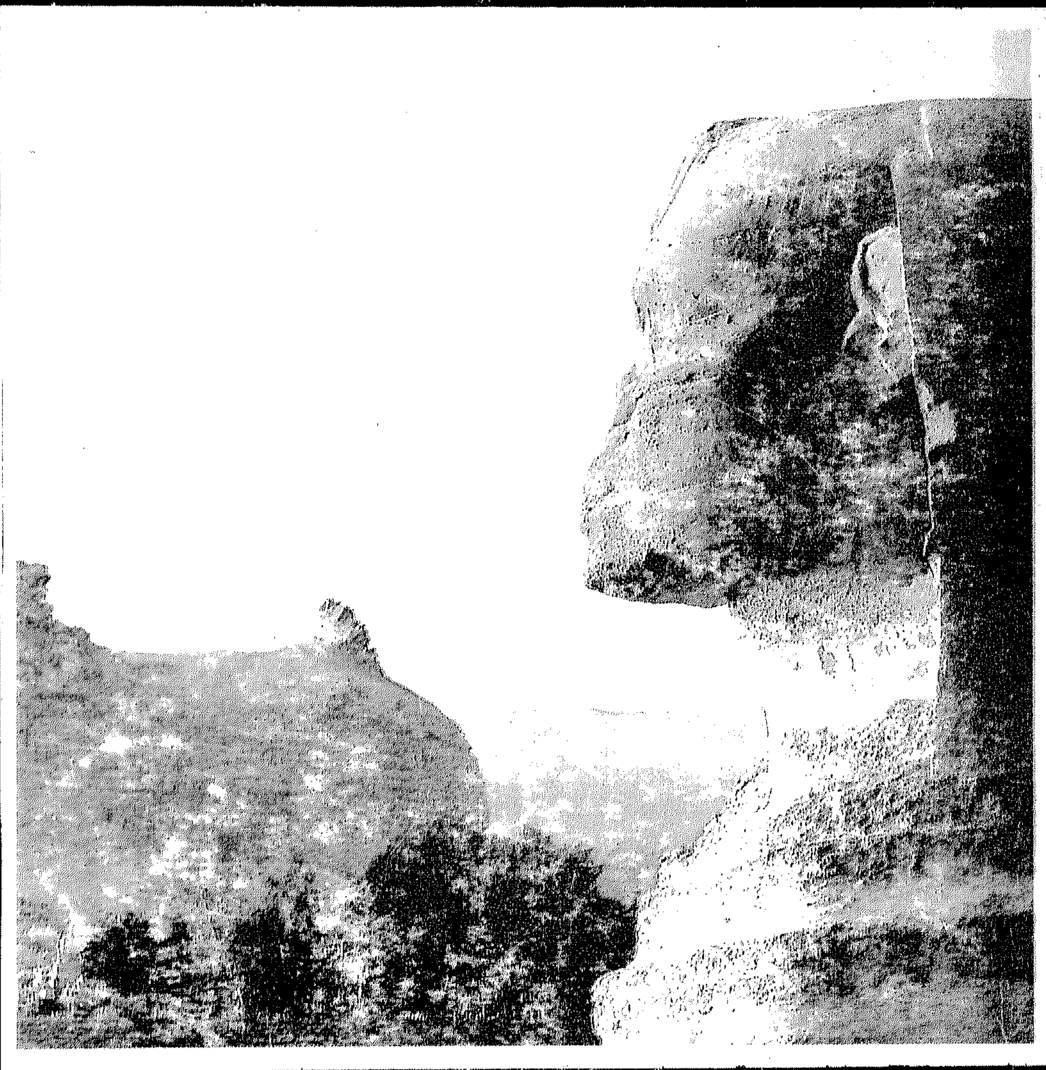
تاريخ مصر القديمة

نيقولا جريمال

ترجمة: ماهر جويجاتي - مراجعة: د. زكية طبوزادة



دار الفكر
للدراسات
والنشر والتوزيع

تاريخ مصر القديمة

الطبعة الثانية
القاهرة ١٩٩٣

دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع
القاهرة - باريس
القاهرة: ش هشام لبيب - رقم ٤٢/٢٥
مدينة نصر - المنطقة الثامنة
تليفون: ٢٧٣٥٠٧٤

تصميم الغلاف: عماد حليم

صدر هذا الكتاب بالتعاون مع
البعثة الفرنسية
للأبحاث والتعاون
قسم الترجمة - القاهرة

نيقولا جريمال

تاريخ مصر القديمة

ترجمة: ماهر جويجاتي

مراجعة: د. زكية طبوزاده

الطبعة الثانية
مصححة ومنقحة

دار الفكر
للدراسات
والنشر والتوزيع

ترجمة لكتاب

NICOLAS GRIMAL

HISTOIRE DE L'ÉGYPTE ANCIENNE

FAYARD

35-14-7963-01
ISBN 2-213-02191-0
Dépôt légal : novembre 1988
N° d'éditeur : 1120
N° d'imprimeur : 5487

مقدمــــــة

لم يعد لكتابة التاريخ المصرى القديم ذلك الطابع المغامر الذى ظل يكتنفها حتى مطلع القرن العشرين. فمنذ ان وضع" جاستون ماسپرو **Gaston Maspero** – فى اوج انتشار النزعة العلمية – كتابه الضخم " تاريخ شعوب الشرق القديم " ، وأخرج من بعده بعدة سنوات جيمس هنرى برستد **J.H.Breasted** كتابه " تاريخ مصر " ، غدا هذان الكتابان وإلى اليوم ، أساسا لمعظم الدراسات التجميعية . ومع هذا فليس ببعيد ذلك الزمن الذى كانت فيه الحضارة المصرية تعانى من غموض واضح ، بالمقارنة بتاريخ الحضارات الأخرى ، وذلك تحت تأثير " الكتاب المقدس " والمعلومات المتوارثة عن الكتاب الكلاسيكيين . ويشهد على ذلك هذا الجدل الطويل الذى أورثه القرن التاسع عشر لقرننا الحالى حول التسلسل التاريخى .

ففى معترك هذا الجدل حدثت مواجهة بين أنصار التسلسل " الممتد" للأحداث التاريخية وهم عادة الذين لم يلتزموا بالأساليب العلمية فى معالجة الوثائق التى بين أيديهم ، و بين المنادين بكتابة التاريخ بعيدا عن الشاعرية ، مع قدرأكبر من الاعتماد على معطيات علم الآثار . وفى نهاية المطاف خفت حدة هذا الجدل ، وانتهى الأمر فى الوقت الراهن إلى شبه إجماع بين العلماء على الأخذ بالتسلسل القصير الموحد للأحداث التاريخية ، وإن كانت خلافاتهم اقتصرت على أجيال معدودة ، يضيفها البعض أو يستبعدها البعض الأخر . فإذا كان العلماء قد توصلوا الآن إلى اتفاق فى الرأى حول الخطوط العريضة للألف الثانية و للألف الأولى قبل الميلاد ، فإن تقدم الأبحاث فى الوقت الراهن قد عاد بالمشكلة إلى بواكير التاريخ ، حيث تطرح من زاوية جديدة أصول الحضارة . وينطوى علم المصريات على العديد من المفارقات ليس أقلها شأناً أنه يتناول بالدراسة عصراً من أقدم عصور التاريخ القديم رغم كونه من أحدث العلوم عهداً على اعتبار أنه رأى النور قبل حوالى ١٥٠ سنه فقط على يدى جان فرانسوا شامبوليون **Jean-François Champollion** . كما أنه يتصدر الأبحاث التى تتناول أصول البشرية من خلال أرقى و آخر ما انتهى إليه العلم من أساليب تقنية .

لقد سحرت الحضارة المصرية ألباب جميع من اقتربوا منها ، رغم وقوفهم عاجزين عن سبر أغوار آليات هذا النظام بإنجازاته العظيمة التي تكشف عن حكمة راسخة وقدرة على

الاستمرار. وكان الإغريق بالتحديد من أوائل من شدوا الرحال إلى مصر . ولما عجزوا عن نقل قيمها الأساسية إلى مدنهم ، نشروا منذ وقت مبكر جدا عن مصر الصورة التى جاءوا يبحثون عنها. فهى منهل الفكر البشرى والبلد الجدير بالاحترام ، الحافظ للأسرار المستغلقة. لقد رأوا فيها مرحلة مجيدة ، ولكنها مرحلة فحسب بالنظر إلى كمال النموذج الإغريقى ... سبقته ومهدت له .

إن الصورة التى رسموها للحضارة المصرية والبيئة التى ازدهرت فيها عكست هذا السحر الذى شدهم إليها ، وقدراً من التحفظ حول عادات شابتها الشكوك والشبهات بسبب الظروف التى فرضت عليهم أن يجهلوا كل شئ تقريباً عن مصادرها . لقد قطع الإغريق البلاد طولاً وعرضاً بغرض استكشافها استكشافاً منتظماً . ففى القرن الخامس قبل الميلاد ، قام هيرودوت بتسجيل الحقائق التى عاصرها . أما الجغرافيا فكانت من نصيب ديودور الصقلى واسترابون الذى يصغره بجيل واحد . وقد أهلتهما اقامتهما الطويلة على أرض مصر أن يدرساها عن كثب . وأخيرا وبعد مرور ستة قرون على بدء نشاط الإغريق فى مصر أماط بلوتارخ اللثام عن أسرار الديانة المصرية . والى جانب هذه المشاريع ظهرت أعمال أخرى نهلت مباشرة من المصادر المصرية ، بمعنى الكلمة ، ثم أعيد اكتشافها فى عهد البطالمة بفضل أبحاث قام بها أمثال مانتون ثم عالم الجغرافيا بطليموس .

أما الرومان فلم يقف اهتمامهم بمصر عند ثرواتها أو ثروة الإسكندر وورثته . صحيح أن انطونيوس وقيصر وجيرمانيكوس وهادريان وسبتيموس وغيرهم ، قد اقتفوا أثر الإسكندر، بيد أن أهداف بلينوس وتاكيتوس ظلت مشابهة لأهداف أسلافهم من المؤرخين وعلماء الجغرافيا الإغريق. وإذا كانت مصر هى التربة التى هيأت لخلفاء أرسطو من أمثال ثيوفراستوس أن يتعمقوا فيما يدرسون من علوم ، فقد لقيت قيم مصر الشرقية صدى فى نفوسهم . ونلمس أولى هذه المظاهر فى روما مع مطلع القرن الثانى قبل الميلاد . ففى عام ١٨٦ ق.م على وجه التحديد اتخذ السناتو فى روما قراراً بإيعاز من كاتون لوقف تزايد تأثير العادات الشرقية التى اصطبغت بالملامح اليونانية المنتشرة بين كاهنات الإله باخوس ، والتى كانت " المدينة " تظن انها تهدد بتقويض بنيتها الخاصة . وهكذا أنقذت القيم التقليدية ، ولو إلى حين ، من خطر اكتساح الشرق لها بلا ضابط أو رابط .

خضعت المدن الإغريقية للسيادة الرومانية التى ورثت عن الاسكندر صورة جديدة عن الشرق ، تلك الصورة التى فوض فيها كهنة رع الحافظين لسلطة النظام الملكى

" الهيلينى " الحق فى بسط سلطانـه على العـالم، مما فتح الطريق أمام سيطرة رومـا على المعمورة ، دون منافس . وبزواج سيد العالم الجديد من كليوباترا - حفيدة الفراعنة الأخيرة ، حتى وإن كانت صلة القرابة هذه محض وهم وخيال - توطدت أواصر الصلة بين هليوس وسلينى لتكرس انصهار الغرب والشرق .

ولكن هذا الزواج لم يعمر طويلاً. فأقدم أكتافيوس على ما أقدم عليه كاتون فى الماضى ، وقضى - بذبحه قيصرون بعد دخوله الإسكندرية عام ٣٠ ق.م - على ثمرة هذا الزواج التى كان من شأنها أن تقوض توازن الامبراطورية الناشئة ، كما كاد أن يحدث فى الماضى عندما تعرضت الإمبراطورية للخطر بسبب الاحتفالات الصاخبة التي كانت تصاحب أعياد الإله باخوس. وهكذا اصبحت مصر ملكاً شخصياً للإمبراطور وانضمت إلى معسكر البلدان التابعة لروما . ومع ذلك فقد ظلت محتفظة بهالة من الحكمة والعلم التليدين ، بعثت فيهما الحياة لغة " الكُوْينة " المنتشرة فى البحر المتوسط ، قبل ان ينتقلا إلى مركز الثقل الجديد فى العالم .

هنـا تتراكب صورتان . الأولـى، صـورة الحضـارة الهيلينية فـى مصـر التـى يمكن التعـرف عليهـا مـن خـلال مؤلفـات " ثيوكريتوس " علـى سبيل المثـال . وقــد تلتقى الثـقافـتـان فى انسجـام تـام كمــا هـو الحـال عند ابولليـنوس الرودسـى وفـى مجمل تيـار الفــكر السكندرى . أما الصورة الثانية فترتبط بما يمكن أن نطلق عليـه " النزعة الاستشراقية " ويمثلها أبولايوس أو هليودوروس الذى وفد من ايميسى . وأخذت هذه الصـورة الأخيرة تدعم الجانب الغيبى والسرى فى الحضارة القديمة بعد أن اتخذت لنفسها منهجا فلسفيا . لقد انبثق من الأفلاطونية المحدثة تيار سرى مستغلق من خلال الفيثاغورية هو الذى يحدد بداية عصر الإمبراطورية فى الشرق . وسـوف تصبـح " الهرمسية " و " القبالة " ، فيـما بعد ، الطريقة الوحيدة والرئيسية للنفاذ إلى حضارة استعصت على الفهم نهائياً وبشكل قاطع ، بعد أن صادرت المسيحية كل فكر مخالف لها. وكان هذا التيار يسير فى اتجاه الفلسفة الباطنية ، وتلقى الدعم من جانب العبادات المصرية التى انتشرت مع توسع الإمبراطورية نتيجة لتعميم طقوس " آلام " النموذج الأسمى للعاهل المصرى بين الشعب ، من خلال صور أوزيريس وإيزيس وأنوبيس ، وعلى اعتبار أن هذه الطقوس هى أحد الأساليب لضمان استمرار الحياة بعد الموت .

وبصدور مرسوم ثيودسيوس عام ٣٨٠ ميلادية تغيرت الأحوال وتبدلت . فأصبحت المسيحية دين الدولة الرسمى ، وحُرِّمت العبادات الوثنية تحريماً لا رجعة فيـه ، فجاء هذا

المرسوم بمثابة جدار من الصمت والكتمان أقيم حول الحضارة المصرية . وبوقوع مذبحة كهنة السيرابيوم في منف عام ٣٩١ م ، اكتملت عملية إغلاق المعابد الوثنية التي بدأت عام ٣٥٦ في عهد قسطنطيوس الثاني . وانطوت عملية إغلاق المعابد على دلالة واضحة : فقد أجهزت على الحضارة التي نهضت على أسسها هذه الممارسات الدينية التي كانت تتمركز في المعابد مع اضطلاع الكهنة دون غيرهم بمهمة الحفاظ على اللغة والكتابة ، فكانوا الضامنين لاستمرارها ودوامها. ولكن انتقام المسيحيين كان قاسياً ، فجاء ردهم على اضطهادات " الوثنيين " السابقة رهيباً ، فخربوا المعابد والمكتبات العامة ، وراحت الصفوة المثقفة في الاسكندرية ومنف وطيبة ضحية للمذابح وحملات الإبادة . ولم تفلت سوى معاقل النوبة السفلى وأقاصي الصعيد التي استطاعت أن تصمد لفترة أطول بفضل موقعها الجغرافي عند أطراف الإمبراطورية والذي سلحها بدراية ودربة في مقاومة المستعمر الطامع في وادي النيل منذ القدم . ومع حلول منتصف القرن السادس الميلادي ، وبعد إغلاق معبد " ايزيس " في جزيرة فيلة نهائياً ، أسدل ستار كثيف من النسيان على الجبانات والمعابد وتركت لقمة سائغة لأعمال النهب والسلب ، وأعيد استخدامها في كافة الأغراض فتحولت الهياكل إلى مساكن وحظائر أو محاجر . وأصبحت المعابد كنائس. وعلى امتداد خمسة قرون استضاف الكرنك الأديرة والرهبان .... وظلت الآلهة القديمة بعد أن فقئت أعينها ، تشاهد أداء الشعائر الجديدة من وراء الطلاء الخشن المتساقط الذي حاولوا طمسها به.

أما مواقع المدن فكانت فرصتها في البقاء أكبر. فقد تعذر نقل التجمعات السكانية بسبب ارتفاع مياه النيل مع حلول فيضان كل عام ، إلى جانب أعمال تنمية الأرض الزراعية ، فغطت المساكن الحديثة المدن القديمة التي اختفت تدريجيا تحت طبقات المباني الجديدة . فالعديد من المدن الحديثة ، مدن الشمال في المقام الأول ، ومدن الجنوب أيضا ، ليست سوى المرحلة الأخيرة التي ترتبت على تراكم المواقع السكنية المتعاقبة والتي ترجع في كثير من الأحيان إلى مطلع التاريخ .

لقد حافظت بعض المعابد أحياناً على طابعها كأماكن مقدسة . وكأنما النزعة التوفيقية الدينية المتأصلة لدى السلف قد تركت بصماتها عند الخلف ، فأبقوا على هذه الأحرام المقدسة وحافظوا عليها ، فأمدتنا بما يشبه ما يقدمه لنا علم طبقات الأرض على امتداد آلاف السنين . ففي معبد الأقصر تقدر التراكمات التي تفصل بين أرضية فناء معبد

"رمسيس" الثانى ومسجد أبى الحجاج بأكثر من ألفى سنة . لقد كان هذا المكان على التوالى مسرحاً للغزو الأشورى والفارسى والإغريقى والرومانى . كما ضم معسكراً حربياً وأقيمت فيه شتى الشعائر الدينية فى عصر الإمبراطورية ، ثم الشعائر المسيحية والإسلامية . وكان هذا المسجد مقام أحد أولياء الله الصالحين . وكل عام ، عند الاحتفال بمولده ، يطوف بالمدينة موكب من المراكب يذكرنا بالمراكب المقدسة التى كانت تنقل فيما مضى الإله آمون رع من معبد إلى آخر .

وليس هذا هو المثال الوحيد . فالمواقع المتبقية عديدة وكثيرة فى الوادى والدلتا أو فى مناطق قصية كالواحة الداخلة . ففى مدينة القصر عاصمة الواحة القديمة فى العصر الأيوبى ، شُيِّد مسجد فوق طبقات الأرض المتراكمة التى ترجع طبقاتها الأولى الى الأسرة الثامنة عشرة ، أو ربما إلى الدولة الوسطى .

إن تراكم هذه الطبقات هو من دواعى السرور والبهجة لكل عالم آثار ، إذ تساعد على حفظ مخلفات الماضى . ومن الواضح أن المؤرخ لايمكنه أن يجد فيها ما يشفى غليله على المدى القصير . فقد تخلت مصر بسرعة عن قيمها التقليدية بعد أن فقدت لغتها وديانتها وبعد أن خضعت لقوانين الفاتح الغازى الذى بدّل بنية المجتمع ، بل وطمس معالمها . إن تطبيق القانون الرومانى على المجتمع قد جاء ليحل محل القوانين المحلية القديمة ، فأقام من حولها سياجاً كثيفاً أصم يقف فى وجه أى بحث عن الآثار القانونية المتخلفة عن مصر القديمة . وتفخر المسيحية فى مصر عن حق وجدارة بإحرازها قصب السبق فى الشرق ، تاريخياً ودينياً . فهى بالفعل صاحبة حضارة أصيلة ومتعددة الجوانب بما قدمته من فكر وفنون . ولكن يبقى أنها ضربت عرض الحائط بكل القيم القديمة التى سبقتها . ولقاء ذلك فقد سمحت بازدهار الفكر الشعبى الذى تفصله عن الأصول والقواعد الدينية مسافة كبيرة ولا يمكن تجاهل تأثيره الواضح على الفن وعلى العمارة. وخير مثال على ذلك الانطلاقة التى عرفها الطُرز التصويرى أو رسم الصورة الجنائزية المسجاة الذى تطور فيما بعد إلى الصور الرائعة التي لا نظير لها والتي عممتها مدارس الفيوم بين عامة الناس. كما يعتبر هذا الفن مقدمة للمساهمة الإسلامية وتجديدها للفنون الزخرفية والانتقال إلي عمارة القبة. كذلك فقد وضع الراهب بولا المصري القواعد التي تمحورت حولها نظم الرهبنة وتقاليدها. ويتضح من حيويتها ونشاطها الراهن الى أى مدى هى جزء من التراث المصرى العريق .

كان الإسلام مرناً متسامحاً مع بداية الفتح .. وصار متشدداً فيما بعد. وازدهرت فى ظله قيم جديدة نهضت على أساسها مصر المعاصرة ، وان باعدت بينها وبين مصر الفرعونية التى اتهمتها الموروثات الدينية باضطهاد الدين الحنيف . وتركز الهجوم على "رمسيس الثانى " الذى صور كعدو موسى اللدود ، ثم صار صنواً لقوى البغى والشر. وظل هكذا حتى نهاية القرن التاسع عشر وتأسيس جمهورية مصر العربية ليصبح جزءاً من تاريخ مصر يذكر فى الكتب المدرسية. ورغم تقلبات السياسة المعاصرة، أصبح بشكل عام رمزاً لأمجاد ماضى البلاد التليد وسؤددها.

مع حلول القرن الخامس الميلادى فرض على التاريخ فرضاً أن يمحو من ذاكرته كل مايرتبط بالعصور القديمة . وجاء هجر اللغة القبطية تدريجياً لصالح اللغة العربية ليقطع الرباط الأخير المتبقى مع العالم القديم . فزحفت عليه الخُرافة وأحاطت به بتأثير نزعة طبيعية ظهرت منذ القدم وسط رعايا الفرعون الذين كان يحلوا لهم أن ينسبوا عن طيب خاطر الى ملوكهم الأقدمين مغامرات أشبه بقصص " ألف ليلة وليلة " . وظلت بعض الآثار تطل برؤوسها وسط الرمال، وتشير الى أمجاد الماضى الغابر الذى استثار الأطماع فى الثروات التى كشفت عنها أعمال التنقيب العشوائية التى جرت فى الخفاء ، فصارت روافد تغذى الروايات المتواترة عن مصر الخالدة ، وشاع تداول بعض الكتب على غرار "كتاب الدرر المدفونة " كدليل للباحثين عن الكنوز فى عالم تسكنه العفاريت ، حيث صار الإله بس جنياً يدعى آية الله ، وصارت الإلهة سخمت غولاً. وهل ننسى العملاقة سارانجوما ... ! ويسخر الحكماء من السفهاء الذين يسعون وراء هذه الأوهام ، كما أن تنديد ابن خلدون بحماقتهم لم يثن الخليفة المأمون الذى خلف أباه هارون الرشيد عن التصدى لهرم خوفو . ولقد بدأ المأمون عملية ممتدة توزعت بين نهب أهرام الجيزة واستخدامها كمحجر وانتهت بتجريدها من كتل الحجر الجيرى الأملس التى كانت تشكل كسوتها الخارجية ، فى نفس الوقت الذى طمست الجانب الغيبى من أسرارها المستغلقة، كما استخدمت هذه الأحجار فى تشييد قصور القاهرة المملوكية والعثمانية .

وأصبحت ذاكرة مصر الأثرية والتاريخية فى طول البلاد وعرضها مرتعاً للباحثين عن الكنوز وعمال المحاجر والجير، كما دخلت عليها تحويرات جوهرية على أيدى المحتلين الجدد. وبقيت بعض الوقائع والعقائد الضاربة جذورها فى الماضى حية دون تغيير أو تبديل من خلال شخصيات من أمثال أبى الحجاج . وظل الاتجاه العام يميل إلى إعادة تأويل ما

استغلق على الفهم والإدراك من خلال الكتب المنزلة التى أصبحت المرجع الأوحد المعترف به للرد على شتى الاستفسارات المرتبطة بأصول مصر التاريخية . وأخذ المسيحيون والمسلمون على حدّ سواء يبحثون عن الأصول والمنابع .فمصر بالنسبة لهم هى فى المقام الأول أرض التوراة ، من بابل إلى الدروب التي سلكها بنو إسرائيل عند خروجهم ، وهنا يلتقى الجميع ، أقباط مصر ومسيحيو الغرب سواء بسواء .

أما مسيحيو الغرب فقد اكتشفوا مصر من خلال رحلات الحج الى بيت المقدس والحملات الصليبية . لقد نظروا اليها نظرة المؤمن الذى يستعين بالمعلومات المتواترة التى ورثوها عن الحضارة اليونانية البيزنطية . وأشهر مثال على هذا التشويه هو اسم الأهرام نفسها كما ورد فى لغات الغرب بشكل عام واللغة الفرنسية على وجه التحديد: Pyramides. وتعنى هذه الكلمة فى أصلها اليونانى كعكة من الحنطة . وربما أطلق "السياح" الأوائل هذا الأسم على الأهرام لما وجدوه من وجه شبه بين شكلها وهذه الكعكة . وفيما بعد تصورت الروايات المتواترة ان الأهرام كانت مخازن غلال قديمة ، استناداً الى أصل الكلمة الاشتقاقى " پيروس " Pyros أى الحنطة ، وهكذا سقط الغرض الحقيقي من تشييدها فى طى النسيان . وإذا كان هؤلاء السياح يعتبرون مصر أولاً وقبل كل شئ أكبر مُصدّر للقمح ، فلا غرو أن يظنوا أن الأهرام هى الأهراء التى خزن فيها يوسف الصديق الحبوب فى سنوات المجاعة . وامتزجت الذكريات المستمدة من التوراة بذكريات العجائب التى سحرت ألباب الأباطرة منذ مطلع القرن الرابع الميلادى ، فاستهواهم جمع التحف المصرية والمسلات التى مازالت من مفاخر روما واسطنبول . ثم شهد عصر النهضة عودة الى كل ما هو غريب فى فن العمارة . وازدانت الحدائق الأوروبية بتماثيل أبو الهول بأشكالها المصرية جنباً إلى جنب مع أهرام من الحجر أو من شجيرات البقس . ودخلت مصر عالم الشهرة لتتربع على عرشه مع استعادة العلاقات التجارية التى توقفت بعد الغزو التركى وحتى حلول النصف الثانى من القرن السادس عشر حين أخذت فرنسا تقوم بالدور الذى لعبته مدينة البندقية حتى القرن السابق .

إن روايات الرحالة الأوروبيين الذين زاروا مصر مقتفين أثر أسلافهم الرحالة العرب: أبو صالح وابن بطوطة وابن جبير وغيرهم ، قد لعبت دوراً بارزاً فى هذا المجال . ومن أشهر هذه الرحلات رحلة الحج التى قام بها إلى الأراضى المقدسة المسيحية الراهب " فيليكس فابرى" **Félix Fabri** من الآباء الدومينكان، أو رحلة عالم النبات" بيير

بيلون دى مانس" Pierre Belon du Mans وكان أحد أفراد حاشية السفير الذى بعثت به فرنسا إلى الباب العالى بعد الغزو العثمانى مباشرة . لقد انساقت هذه الروايات لقواعد أدب الرحلات وسايرتها : نذكر منها روايات " چان پاليرن " Jean Palerne و " جوس فان جيستيل " Joos van Ghistele اللذين طفقا يبحثان عن مملكة الراهب "چان، وميخائيل هيربرر فون Michael Heberer von Bretten و"صمويل كيخل" Samuel Kiechel و "جان سوم" Jan Somme وآخرين. ويبدو أن الذى استهوى الناس وجمهور القراء ، ماتميزت به روايات هؤلاء الرحالة من تصنع وتكلف .

وفى هذه العجالة السريعة نفرد مكانة خاصة لكتّاب من أمثال المقريزى أو ليون الإفريقى الذى يعتبر أقرب إلى هؤلاء الرحالة . أما البعض الآخر وعلى رأسهم " كريستوف هارينت " Christophe Harant فقد اقتفوا أثر الكتاب الكلاسيكيين ، لاسيما إسترابون وديودور اللذين طبعت مؤلفاتهما لأول مرة مع نهاية القرن الخامس عشر . وحاول آخرون بلوغ نفس القدر من المستوى العلمي : ومنهم عالم الجغرافيا اندريه تيڤيه André Thévet والطبيب پروسپير ألپين Prosper Alpin من مدينة "بادوا " الايطالية . وقد تمكن هذا الأخير بفضل إقامته مايقرب من اربع سنوات فى مصر وإلمامه الكامل بما كتبه أسلافه بدءاً من هيرودوت وانتهاء " ببيير بيلون دى مانس " مروراً بابن سينا وبطليموس وديودور وبلينوس وغيرهم ، من أن يؤلف ثلاثة كتب عن الثروة الحيوانية والثروة النباتية والطب ، بقيت نموذجاً طبياً يحتذى . وكنا نتوقع من رحالة القرن السابع عشر أن يتابعوا السير علي نفس هذا النهج العلمي المدعم بمزيد من الوثائق , ولكن خاب ظننا! فرغم انتشار نزعة الاستشراق وذيوعها، تعضدها السياسة الخارجية لكولبير Colbert و " اهتمام الفن والأدب بتصوير مشاهد تركية " على غرار ما حدث فى "البرجوازى النبيل " ، فقد اقتصر الأمر على تصوير التجار ومهام رجال السلك الدبلوماسى والسياح العاديين فى إطار مشاهد نمطية ومتفق عليها ، وكانت غالبا غير مطابقة للحقيقة ، كما أنها انحصرت فى اطار منطقة مدينة القاهرة . إن الإيضاحات الدقيقة نادرة وتتعلق بأمور مادية ، وترمى الى توفير معلومات عملية اكثر منها علمية أو تاريخية . وينطبق ذلك على "چورج كريستوف فون نيتشيتس " George Christoff von Neitzschitz و " دون أكيلانت روخيتا " Don Aquilante Rocchetta و"يوهان ڤيلد" Johann Wild وغيرهم. إن ماكتبوه أقرب

مايكون الى أدب المخاطر وفن قصص المغامرات . وجنح الاتجاه العام الى رصد الملاحظات حول عالم الشرق المعاصر من خلال الزيارات العابرة أو الإقامات الممتدة فى أحضان " الأمة الفرنسية الجديدة " فى مصر ، والأب كوپان Père Coppin خير مثال على ذلك...

وظهرت فى هذا العصر " معارض التحف " وجددت حب جمع العاديات ، ومهدت الطريق للمجموعات الضخمة التى تذخر بها متاحف اوروبا الرئيسية . وبدأ إعادة اكتشاف الحضارة المصرية على أيدى الرحالة وأهل العلم ، وقد تحكم فيها عامل الصدفة الذى أرشد إلى نبش القبور واستخراج المومياوات التى كان يُصنع منها مسحوق له فاعلية فائقة فى تجديد حيوية كل شئ ، ولا سيما الأرض الزراعية التى تستصلحها الدول الأوروبية . وبلغ الأمر بالإنجليز أن شيدوا فى بلادهم " طواحين المومياوات " لتلبية الطلب المتزايد على هذا المسحوق . واهتم الناس بقراءة الكتّاب القدامى ، وكان دليل هيرودوت هو المرشد الاول الذى يصطحبه كل من يزور مصر بعد أن تزايدت هذه الرحلات قبل قيام الثورة الفرنسية . وأفرز جمهور الرحالة بعض الشخصيات التى ابتعدت عن اسلوب الهواة لتقترب أكثر من أسلوب المحترفين . ومن بين هذه الشخصيات علماء الآثار وتجار الآثار ونذكر منهم الأب فانسليب ولوكاسLucas وفورمون. وأطباء مثل جرانچير ومكتشفين مثل پونسيه ولينوار. وأشرقت مصر القديمة تدريجياً من خلال بعض المواقع الأثرية . وأعيد اكتشاف الكرنك عام ١٦٦٨ وكان معروفاً منذ أواخر القرن الخامس عشر بفضل خريطة أورثيليوس Ortelius ورواية أحد أهالى البندقية المجهولين . وبعد مرور ما يقرب من قرن من الزمان على الاكتشاف السابق أعيد اكتشاف منف ، بل وأفرد كتاب صدر فى لندن عام ١٦٤١ صفحاته لموضوع الأهرام .

وشهد القرن الثامن عشر ظهور الدراسات التحليلية العلمية على أيدى نوردن Norden وپوكوكيه Pococke ودوناتى Donati ، وفى روايات رحلات الأب سيكار Père Sicard وڤولنى Volney وبلتزار دى مونكونىBalthazar de Monconys صديق اثاناز كيرشر Athanase Kircher الذى كانت كتاباته مصدر إلهام لشامبوليون ، ثم ساڤارى Savary وكثيرين غيرهم ممن مهدوا بطريقتهم عمل الحملة الفرنسية على مصر والتى تعتبر المنعطف الأعظم فى علم المصريات . وكان صدام الأمم على أثر الثورة الفرنسية فاتحة لأعظم الآمال ، كما كان مجالاً لا حدود له تقريبا لورثة

الموسوعة " الأنسيكلوپديا " المتعطشين إلى المعارف ، وانكب العلماء الشبان الذين جاءوا في ركاب جيش نابليون على كتابة مؤلفهم الشامخ "وصف مصر " Description de L'Égypte الذى لم يكتف بدراسة الثروة الحيوانية والثروة النباتية وموارد البلاد ، بل تطرق أيضاً لمختلف الأشكال والصور المعمارية والتشكيلية - فجاء حصراً للحضارات التى تعاقبت على أرض مصر .

واصل هؤلاء العلماء العمل ليل نهار لعدة شهور ، فبذلوا الجهد الجهيد وتحلوا بالشجاعة والدأب والدقة فاستحقوا كل ثناء وتقريظ ، وجاءت محصلة عملهم هذا كماً ضخماً من الوثائق ، ظلت المدد الذى نهلت منه أعمال العلماء الذين انكبوا على فك ألغاز الحضارة المصرية ورموزها ، إلى جانب العديد من المؤلفات التجميعية الحديثة . ومنذ ذلك الحين اصبح الاستشراق تياراً أدبياً وفنياً بعد أن ظل ردحاً من الزمان مجرد فكرة عابرة عرفت رواجاً ، فانتشرت وتعددت الأعمال وتنوعت من "جيرار دى نيرڤال " Gérard de Nerval إلى " أوجين ديلاكروا " Eugène Delacroix. وبين هذا وذاك شاعت فنون "العودة من مصر" والرسومات الرائعة التى رسمها "چيمس أوين"James Owen و "داڤيد روبرتس" David Roberts واقترنت فى أعمالهم المواضيع الاستشراقية بالدقة الأثرية فبلغت حدّ الكمال. ولن يفوتنا بالطبع أن نذكر اعمالاً ارتبطت بظهور الإمبراطورية الفرنسية الاستعمارية أكثر من ارتباطها بمصر: فقد قام چيروم Gérôme بزيارة شبه جزيرة سيناء وبصحبته پول رينوار Paul Renoir وبونّا Bonnat بمناسبة افتتاح قناة السويس . وفى معرض ١٨٦١ استوقفت أعمال فرومانتان Fromentin وجيّوميه Guillaumet وبلِّى Belly حول " الحج إلى مكة " أنظار المشاهدين . وفى غضون ذلك وضعت دراسات توماس يونج Thomas Young فى انجلترا وچان فرانسوا شامپليون Jean - François Champollion فى فرنسا الأسس الحديثة لعلم المصريات .

وبعد العديد من الصعوبات التى اعترضت طريقه بسبب التقلبات السياسية التى عصفت به وجعلته يعيش متنقلاً بين مدن جرينوبل وباريس وفيچاك من ناحية ، وبسبب مقاومة السلطات العلمية من ناحية أخرى ، نجح چان فرانسوا شامپليون عام ١٨٢٢ فى عرض أسس منهج فك رموز العلامات الهيروغليفية فى عمله المسمى " رسالة إلى السيد داسييه " Lettre à M.Dacier . وفى العام التالى طور هذا المنهج وأصدر " المختصر فى نظام الكتابة الهيروغليفية " Précis du système hiéroglyphique . وترك

منتقديه يواصلون محاولتهم للحط من شأنه ، بحثاً عن ثغرة فى نظامه المقترح ، فانغمس هو وسط مجموعات الآثار التى جمعها المغامرون الذين شدتهم مصر بما عرف عنها من جاذبية تقترن بكل ما هو جديد فى العالم ، فنهبوا المواقع الأثرية لحساب قناصل الدول الأجنبية فى مصر واستفادوا من مشاريع التنمية التى عمت البلاد فى ظل حكم محمد على وخلفائه . إنه التنافس الشرس الذى احتدم بين چيامباتيستا بلزونى Giambattista Belzoni لحساب هنرى سالت Henry Salt وبرنردينو دروڤيتّى Bernardino Drovetti . وكان چاك ريفو Jacques Rifaud من أهالى مرسيليا مُن بين معاونيه . كانت هذه المواجهات أقرب إلى الغزوات منها الى علم الآثار ، وهى المصادر التى تكونت من خلالها أولى مقتنيات المتحف البريطانى ومتحف اللوڤر ومتحف تورين .

ومن ناحية أخرى فإن هذه المجموعة الاخيرة التى جمعها دروڤيتى ثم باعها عام ١٨٢٤ لملك سردنيا قد أعطت الفرصة لشامبوليون ليكون أول من استفاد من القوائم الملكية . كما أعد شامبوليون كتاباً عن آلهة مصر كان بمثابة أول عرض للديانة المصرية . وأخيراً قام بزيارة مصر ذاتها لاستكمال هذه الدراسة ، وسجل ووصف عددا ضخما من الوثائق التى لم تنتشر إلا بعد أربعين عاماً من وفاته فى كتاب " آثار مصر والنوبة Monuments d'Égypte et de Nubie . وبعد عودته الى باريس احتل الكرسى الذى أنشئ له خصيصاً فى الكلية الفرنسية Collège de France إلا انه لم يتمكن من إلقاء سوى عدد قليل من المحاضرات ، فقد وافته المنية فى ٤مارس ١٨٣٢ ، ولم يكن قد تجاوز الثانية والأربعين من عمره ، بعد أن أرسى بشكل راسخ الأسس التى تقوم عليها اللغة المصرية فى كتاب" قواعد اللغة المصرية " Grammaire Égyptienne والذى لم ينشر سوى عام ١٨٣٥ . وهكذا احتلت فرنسا مكان الصدارة فى علم المصريات الناشئ . وجاءت أعمال خلفاء شامپوليون لتؤكد هذا الدور، وكان أبرزها ما قام به أوجست مارييت Auguste Mariette فى مواقع العمل والحفائرحيث يصعب فى الوقت الراهن ، وبمقياس علم الآثار المعاصر، الدفاع عن الطريقة التى اتبعها عند ازالته للرمال فى كبرى المواقع الأثرية كسقارة وتانيس . ولكن الشئ المؤكد انه لم يكتف بالإشراف على أعمال التنقيب فى السيرابيوم والكرنك أو فى تانيس ، بل عرف كيف يستفيد من اكتشافاته ، خاصة تلك التى لعبت فيها الصدفة دوراً مؤثراً ، قلّ أو جلّ ، أو حالفه الحظ فى التعرف عليها . وقد توصل بما تحلى به من قوة العزيمة إلى أن يقنع الوالى سعيد بتأسيس جهاز حكومى تكون مهمته وضع حد لتسرب الآثار المكتشفة خارج البلاد

حيث تذهب لتدعيم المجموعات الأوروبية ، وعمل على ضمان بقائها فى مكانها داخل البلاد .

وأخذت تتكون فى أنتكخانة بولاق ثم فى متحف القاهرة أعظم وأضخم مجموعة موجودة على سطح الأرض تضم قطعاً أثرية تمثل الحضارة الفرعونية . وفى نفس الوقت ضمنت مصلحة الآثار الاستغلال العلمى للمواقع الأثرية فوضعت حداً لأعمال النهب والسلب . إن المناقشات والمواجهات بين الدول الأوروبية على امتداد قرن من الزمن تقريباً لم تؤثر تأثيراً حقيقياً على أعمال رعايا هذه الدول فى مصر اللهم إلا فى فترات الحروب . إن اعمال البعثة البروسية فى الفترة من ١٨٤٢ إلى ١٨٤٥ ومجلدات " آثار مصر والنوبة **Äthiopien Denkmäler aus Ägypten und** التى نشرها ريتشارد لپسيوس **Richard Lepsius** بعد مرور عشر سنوات ، قد أمدت مجتمع العلماء بثالث موسوعة من المدونات والآثار التى ظلت حتى يومنا هذا منهلاً لاينضب لكل متخصص .

وترسخ علم المصريات كعلم مع نهاية القرن التاسع عشر، ليكون هذا التاريخ هو المنعطف الثانى فى تاريخ علم المصريات . وقد شهدت هذه الفترة اكتشافات ضخمة وهامة سواء من حيث مواقع العمل ،أومن حيث حسن استخدامها والاستفادة منها ، هذا إلى جانب إنشاء المؤسسات القادرة على تطوير علم المصريات . ويعتبر جاستون ماسبيرو **Gaston Maspéro** من أبرز العلماء الذين خلفوا أوجست مارييت . انه مكتشف "متون الأهرام" ومدير مصلحة الاثار. كما نجح فى انقاذ القسم الأكبر من المومياوات الملكية فى منطقة طيبة من النهب والسلب . وأسس المدرســـة الفرنسية فى كرسي شامبوليون حيث خلف "دى روچيه " **de Rougé** فى هذا المنصب . ويمكن اعتباره أحد آباء علم المصريات الحديث إلى جانب "هنرى بروكش" **Henri Brugsch** فى المانيا وسيرفلندرزپترى **Sir Flinders Petrie** فى بريطانيا والذى أرسى أسس قواعد علم الآثار العــلمى وحدد معالمه عام ١٨٩٨ فى إطار مدرسة الآثار البريطانية .

ومع منعطف القرن العشرين أخذت الدول الغربية تطور مؤسسات تنظيم المتاحف والمؤسسات الجامعية إلى أجهزة نهضت على أساسها الأبحاث الحالية. فتأسست البعثة الأثرية الفرنسية عام ١٨٨٠والتى تحولت إلى " المعهد الفرنسى للآثار الشرقية " عام ١٨٩٨ **Institut Français d'Archéologie Orientale** و " جمعية الكشوف الأثرية فى لندن " **Egypt Exploration Fund** و"جمعية الاستشراق الألمانية **Deutsche Orient Gesellschaft** وترتب على تقدم وسائل الاتصال أن اتسعت دائرة الاكتشافات

وتعاقبت : ونذكر على سبيل المثال اكتشاف عاصمة إخناتون فى تل العمارنة قبل الحرب العالمية الأولى، ومقبرة توت عنخ آمون عام ١٩٢٢ ، وجبانة ملوك تانيس عام١٩٣٩ ، ومركب خوفو الكبيرة عام ١٩٥٤ ، وإنقاذ آثار النوبة فى الستينات. وفى السبعينات كان خروج كنوز توت عنخ آمون بالتحديد فى معرض يتجول حول العالم هو الحدث الذى دفع علم المصريات الى غزو ساحة جمهور المشاهدين ، كما كان حافزاً لتنظيم معارض متجولة مشابهة . هذا بالإضافة الى ان اكتشاف هذه الكنوز قد أحيط بأسرار غيبية ربطها بتيار ما زال حياً وتضرب جذوره فى التربة الهرمسية والجبالة ، ويقع تحت تأثير الحركات المسارية . وجاء هذا التيار ليشجع ازدهار الموضوعات التى تدور حول "إيزيس" بدءاً من اوپرا "الناى المسحور " وانتهاء بأوبرا "عايدة " التى وضع نصها أوجست مارييت ، مروراً بعبادة "ايزيس" فى كنيسة نوتردام دى باريس اثناء الثورة الفرنسية ، إلى جانب العديد من التأويلات الباطنية للحضارة المصرية وتطبيقاتها على الأهرام والديانة ... الخ .

وقدم اكتشاف هوارد كارتر **Howard Carter** لمقبرة توت عنخ آمون للجمهور العريض صورة تحددت معالمها بالعدد الهائل من القطع الأثرية النفيسة التى عثر عليها ، أكثر من الأهمية التاريخية للاكتشاف التى لم تتضح فائدته إلا فيما بعد : كانت هذه الصورة خليطا طغى عليه الجانب الغيبى السّرى المتمثل فى موكب الكنوز واللعنات معاً . انها كلمات ارتبطت ارتباطاً وثيقاً بكلمة فراعنة وأحاطت علم المصريات بهالة من الخيال الحالم .

وساعد تفاعل كل هذه العناصر والتوسع الخاطف للسياحة الجماهيرية على تعميق انعدام التوازن الذى ترسخ فى الواقع بين الصورة المعتادة المنتشرة بين الجمهور والتى يتمناها وبين حقيقة علم يجنح الكثيرون الى التهوين من حقيقة أنه لايزال فى طور الشباب وعليه أن يقطع طريقاً طويلاً قبل أن يتوصل الى وصف أدق تفاصيل حضارة بلغت فى الماضي شأواً عظيماً من الخصوبة والثراء .

لقد أحرزت معارفنا عن مصر " ما قبل الفراعنة " تقدماً ملحوظا فى السنوات الأخيرة ، وقوضت البعد الزمنى الذى أجمع عليه العلماء كحد للحضارة . ويالـلمسافة التى تباعد بيننا وبين الأربعين قرناً التى كانت تفصل بين بوناپارت وبين الأهرامات ! فبعد الخطوة الفاصلة التى حررت مصر من سطوة الكتاب المقدس ، استطاعت قائمة المعارف المتراكمة ، وتقدم أساليب التقنية منذ أواخر القرن التاسع عشر ، أن تحدد الترتيب الزمنى فى دقة متزايدة وأن تعود بالحد الزمنى لأصول الحضارة إلى الوراء .

ربما كانت الحضارة الفرعونية اكثر من غيرها إثارة للجدل المحتدم حول مفهوم التاريخ . فالامتداد الزمنى الفريد لهذه الحضارة داخل إطار جامد قد رسخ من التعارض الكلاسيكى القائم بين التاريخ وما قبل التاريخ ، وعزز من ظاهرة اعتبار الاهتداء للكتابة فاصلاً ضمنياً بينهما . لقد حدث هذا الفصل ، وفقاً للمعطيات المتوفرة فى الظروف الراهنة ، فى الألف الرابعة قبل الميلاد . كان هذا التاريخ مقبولاً حتى السنوات الأخيرة ، طالما ظل الى هذا الحد أو ذاك مواكباً لنظيره فى بلاد النهرين وللقضايا التى يطرحها الكتاب المقدس : وكفى أن يكون لبلاد النهرين السفلى "قصب السبق الواضح " على مصر ليصبح المكان الذى ظهرت فيه الكتابة والمكان المفترض لوجود جنة عدن واحداً . وعلاوة على ذلك تبرز الألف الرابعة كمرحلة فاصلة فى تطور الإنسان اكتملت فيها مظاهر تمايز الهياكل الاجتماعية كدليل على انفصال الإنسان عن الطبيعة . لقد تأكدت سيطرته على الطبيعة بعد أن اهتدى الى الزراعة واستقر على ضفاف النيل أو نهر الفرات بشكل نهائى .

ومن السهل تحديد الخط الفاصل بين قمة النضج الذى بلغته الحضارة وبلورته فى الإهتداء إلى الكتابة ، وبين الطور التمهيدى الذى يتحدد امتداده الزمنى تبعاً لنقطة البدء المقترحة : سواء فى حدها الأقصى عملاً بوجهة نظر علماء ماقبل التاريخ ، أم فى حدودها المحصورة جدا إذا أخذنا بتعريف ضيق للحدث التاريخى .

كانت هذه الإشكالية قبل نصف قرن من الزمن تعتبر جدلاً يخص علماء المدرسة الداروينية. ولكن سرعان ما اتخذت ابعاداً جديدة . فقد ابتكر بوشيه دى پرت **Boucher de Perthes** نظام التأريخ الذى يعتمد على دراسة نحر نهر السوم **La Somme** فى فرنسا وقام ساندفورد**K.S.Sandford** وأركل **A.J.Arkell** بتطبيقه على وادى النيل . ويوفر الربط بين الآثار التى خلفها النشاط البشرى والقطاع الجيولوچى نقطة ارتكاز لمعطيات علم الآثار التى تعذر تدريجها فى " توقيت متتابع " كما عرفه پترى فى مستهل القرن الحالى ، لاستحالة ترتيب طبقاتها . كما أن بعض الدراسات الحديثة نسبياً فى علم مناخ العصور القديمة والجيولوجيا كدراسات كارل بوتز**K . Butzer** ورشدى سعيد قد بدلت مقياس التوقيت الزمنى . ومنذ قبيل الحرب العالمية الثانية اتضح بجلاء أن ما قبل التاريخ فى مصر الفرعونية لم يتخذ أبعاداً لا تخطر على بال فحسب ، بل تنوعت مظاهره وتعددت . وبرزت على جميع المستويات أشكالاً حضارية متكاملة ، حتى أصبح من العسير النظر إليها كمجرد مرحلة تحضيرية وتمهيدية .

وإضافة إلى ذلك فإن معارفنا حول عصر ما قبل التاريخ فى مصر ظلت جزئية منذ أبحاث كاتون تومسون G.Caton Thompson الأساسية فى الفيوم والواحة الخارجة على وجه الخصوص . وأعمال هيستر J.Hester وهوبلر P.Hoebler فى واحة دنقل ، والعديد من المعلومات التى تجمعت نتيجة الاستكشاف المنظم لمناطق النوبة السفلى لم تنشر بأكملها. كما ان الكثير من المناطق الشاسعة لم تمط بعد اللثام عن أسرارها . مثال ذلك الواحة الداخلة وجبل العوينات الى جانب الكُفرة ودارفور فى الجنوب . ولكن ، ودون التطرق الى الماضى السحيق أو البحث فى المناطق المتطرفة ، لا تزال الفجوات تتخلل معلوماتنا عن أقدم العصور ، هذا بالرغم من أن أعمال التنقيب الحديثة لا سيما فى الدلتا تلقى أضواء جديدة على عصر ما قبل الأسرات. وتأكيدا لكلامنا يكفى أن نشير الى أن اكتشاف موقع الكاب الذى يرجع الى عصر ما قبل التاريخ قد تم فقط فى عام ١٩٦٨ على يد ڤرميرش P.Vermeersch !

ولم تبرز أهمية مصر ما قبل التاريخ كتاريخ غير مكتوب إلا بعد أن تعرفنا على حضارات أمريكا السابقة لكريستوفر كولومبس أو مناطق إفريقيا السوداء الأقرب منا ، بفضل أبحاث علماء الأنثروبولوچيا والإثنولوجيا. لقد بلغت بعض الامبراطوريات مستوى رفيعاً من الرقى رغم افتقارها الى تقليد موروث مكتوب . ومن هنا توصلنا الي إعادة النظر فى المعايير والمقاييس التى تحدد مستوى رقى مجتمع من المجتمعات . كما أن تعديل النظرة للأمور قد شجع على امتداد مناهج بحث علماء عصر ما قبل التاريخ إلى خارج مجالهم الخاص . وتزايد اهتمام علم الآثار أكثر من أى وقت مضى بالترتيب الزمنى النسبى لمواقع الآثار، وخاصة بعد أن لاحظ علماء المصريات التناقص الملحوظ للمدونات وأوراق البردى التى يتم اكتشافها حالياً . وبعد مرور أكثر من مائة سنة من أعمال التنقيب فى مواقع العمل توجه علماء المصريات إلى المواقع الأثرية التى أهملت فى الماضى لافتقارها الى المعطيات المكتوبة .

وخلال العشرين سنة المنصرمة بدأت عملية الاستفادة من المواقع الحضرية فى وادى النيل أو بعيداً عنه - والتى أملاها فى معظم الأحوال التوسع الرهيب فى التجمعات السكانية الكبيرة - على هيئة حملات تنقيب وإنقاذ أو مسح شامل . وهكذا زال التعارض القديم بين علم اللغة وعلم الآثار حيث كانت مهمة الأول هى التعرف على الحضارات بينما الثانى لم يعهد إليه إلا بجمع الوثائق فقط .

لقد شجعت رحابة وجهات النظر وتعديلها على ظهور أساليب تقنية جديدة ضمنت التوصل إلى تواريخ أكثر دقة وبشكل أسرع . وأضحى الجمهور العريض على دراية تامة بمختلف الأساليب التى تعتمد على تحليل النشاط الاشعاعى (مثل الكربون ١٤) ومختلف تحليلات النظائر المشعة Isotopiques ، وظهرت مؤخراً تحليلات التألق الحرارى Thermoluminescence أو البحث عن آثار البوتاسيوم أرجون-Potas†sium- argon† الى جانب علم الدندروكرونولوچيا Dendrochronolgie وعلم الپالليونولوچيا Palynologie الخ....

كما تطورت أساليب البحث ذاتها : كالتصوير الجوى أو التسجيل الطوبوغرافى والمعمارى وعلاج المعلومات التى توفرها المعطيات ، واستناداً اليها سيتم من الآن فصاعداً اعداد الرسومات الايسوميترية والرسومات التحليلية للمبانى بواسطة الحاسب الالكترونى

وبفضل التقدم التقنى لعبت أساليب البحث الجديدة دوراً هاماً فى تبديل فكر الباحثين ، حتى اصبح دور شقفة الفخار فى تفسير حدث محدد أو فهمه يعادل فى أهميته حبة لقاح أو جزءاً من لفافة بردى . وأمام هذا الفيض من المصادر المتنوعة يضطر المؤرخ الى الانفتاح بمنهجه على أساليب بحث متعددة ومتنوعة .

الباب الأول

عصور التأسيس والتكوين

الفصل الأول

من حقبة ما قبل التاريخ إلى العصور التاريخية

الأطر العامة

منذ الوهلة الأولى تترك الحضارة المصرية انطباعاً بأنها كل متجانس ، اكتسبت بفضل امتدادها الزمني غير المألوف مكانة خاصة فى تاريخ البشرية. ومع حلول الألف الرابعة ق. م تظهر وقد اكتملت أركانها لتتوارى قرب نهاية القرن الرابع الميلادى . إن ما يقرب من اربعين قرنا من تاريخ مصر تعطى انطباعاً بالاستقرار الراسخ الذى أحاط بمؤسسة سياسية شامخة لم تستطع قوة أن تقوضها ولا نجح الغزاة فى زعزعتها.

وقد تميزت البلاد بوحدة جغرافية ربما كانت وراء هذه الاستمرارية. إن شريط الأرض الزراعية الذى يمتد لمسافة تزيد على الألف كيلومتر بين خطى عرض ٢٤° و ٣١° شمالاً ، يكون حوض نهر النيل الأدنى ونحت النيل فيه مجراه من أسوان إلى البحر المتوسط بين هضبة الصحراء الغربية وسلسلة جبال الصحراء الشرقية .هذا الشريط هو امتداد للدرع النوبى ، ولا يزيد عرض الوادى على أربعين كيلومتراً على الأكثر. وقد مرّ منذ العصر الألدووانى أى قبل مليون سنة وحتى العصر التاريخى عبر تغييرات مناخية حولت إقليم " الساحل " تدريجياً الى أكثر البقاع جفافا فى الوقت الراهن وأقل مناطق افريقيا الشرقية ملاءمة للحياة .

ومن ناحية أخرى فإن الصورة التقليدية التى تظهر الوادى وهو يفتح ذراعيه مرحباً بالإنسان ينبغى أن تُبرز أيضاً الفروق الدقيقة التى عاشها الوادى من عصر لآخر. لقد تغيرت الصورة التى نعرفها عن ماضى مصر بفضل التقدم الراهن الذى أحرزه علم شكل الأرض **Géomorphologie** والتنقيب فى المناطق الصحراوية وشبه الصحرواية فى غرب البلاد والتى ارتبطت بادىء الأمر بمشروع السد العالى عند أسوان ثم بالبحث فى الصحراء الغربية عن الأراضى الكفيلة بتعويض افتقار الوادى إلى أراض جديدة . لقد نمت معارفنا بقوانين تكوين التربة وتعمقت بفضل دراسات رشدى سعيد واستكشافات رومالد شيلد **Romuald Schild** وفريد وندورف **Fred Wendorf** والتى نشرت نتائجها فى الآونة الأخيرة ، فأصبح فى الإمكان الوصول الى نظريات أكثر دقة من تلك التى أعلنت فى مطلع القرن الحالى وانتشرت فى الكتب ذات الطابع العام . وعدل العلماء على وجه

الخصوص عن الدور الذى نسبوه من قبل الى منخفضات البحيرات فى هضبة الصحراء الغربية . كما أن أعمال التنقيب الجارية فى الواحات التى نشأت عن هذه البحيرات قد وفرت ظروفاً أفضل للبدء فى تحديد الدور الذى لعبته فى هجرة الحياة المنتظمة فى اتجاه وادى النيل . إن نظرية النيل الليبى **Urnil** الذى يفترض أنه قد تكون بعد انحسار البحر الإيوسينى بين الكثبان الرملية فى الصحراد الغربية والوادى الراهن قد تغيرت بعض الشىء ، كما تبدلت الفكرة الشائعة التى رسمت صورة مبالغاً فيها عن كثافة نباتات الوادى ووفرتها فى العصور التاريخية عندما انتقل الإنسان الى الوادى ليستوطنه ويعمره .

التكوين

وتثير اللحظة التى تمت فيها عملية الاستيطان مشكلة الزمن الذى استغرقته هذه الحضارة وامتدادها الجغرافى . فكيف نستطيع أن نحدد نقطة البدء مع الأخذ بعين الإعتبار أصول الحضارة المصرية ومراعاة ما تميزت به المرحلة التى سبقتها من امتداد أطول؟

ومن خلال المعلومات التى تجمعت فمن المفترض تحديد هذه اللحظة بحيث تتفق مع نهاية دور العباسية **abbassienne** المطير خلال العصر الحجرى القديم الأوسط اي منذ حوالى ١٢٠ ألف أو ٩٠ ألف سنة . وفى حقيقة الأمر فإنه من المتفق عليه الآن هو أن تعميرالصحارى قد جرى فى خطوطه العريضة عقب هذه المرحلة الطويلة التى فتحت هذه المناطق ، إذا صح التعبير ، لتوسع الحضارة الأشولية بعد أن قامت وتطورت على ضفاف نهر النيل . والحضارة الأشولية هى الحلقة الأخيرة من سلسلة طويلة من الحضارات اكتشفت أقدم آثارها على مقربة من معبد أبو سمبل المنحوت فى الصخر وتعود إلى حوالى ٧٠٠ألف سنة مضت ، أى قرب نهاية عصر البليستوسين الحديث . واعتباراً من العصر "الأولدووانى" تواجد الإنسان فى الوادى بصفة دائمة ومستمرة ، على أقل تقدير فى المنطقة المحصورة بين القاهرة الحالية وطيبة ؟ فى مصر والنوبة بالنسبة للمرحلة الأشولية .

يشكل هذا الطور من البليستوسين الحديث صدعاً بين دور البليستوسين المطير (اعتباراً من ١٠ مليون سنة قبل الميلاد) وهو عصر النيل القديم **Paléonil** المعروف

بنباتاته الكثيفة التى تغذيها رطوبة المناخ السائد بانتظام وبغزارة ، وبين العصر الادفونى المطير والذى يكرر نفس هذه الظروف المناخية بعد مرحلة دامت حوالى مليون سنة واشتد فيها الجفاف . أما "النيل الأول " **Protonil** فقد أخذ يشق مجراه فى خط مواز للنهر الحالى غرب الوادى الحالى على امتداد ما يقرب من مائة ألف سنة ليحل محله بعد ذلك "ما قبل النيل " **Prénil** . وتتراكم الرواسب القادمة من الحبشة على امتداد فترة زمنية تعادل خمسة أضعاف الفترة السابقة .

السكان الأوائل

وفى نهاية المطاف تقودنا هذه المسيرة الطويلة إلى دور العباسية **abbassienne** المطير الذى يغطى فترة زمنية تقدر بخمسين ألف سنة ، أمكن خلالها للحضارة الأشولية أن تنتشر إلى المناطق الغربية . واذا كان هذا الإنتشار قد حدث حقاً فلربما كان هو مصدر الروابط التى ربطت بين الحضارتين النيلية والافريقية والتى احتفظت مراحلها اللاحقة ببعض آثارهاو إن كنا لا نستطيع أن نحدد بشكل قاطع وجود هذا التبادل الحضارى . وإذا افترضنا وجوده فإنه يبقى سؤال : فى أى اتجاه تم هذا التبادل ؟ ومن المغرى حقاً أن نفترض هنا وجود منحدرين متعارضين سلكتهما نفس الثقافة عبر دروب مختلفة للتغلغل الطبيعى فى المنطقة التى ستصبح فيما بعد الصحراء الكبرى . إن انتشار لغات حوض النيل والصحراء الكبرى انطلاقاً من أعالى وادى النيل فى المناطق الشرقية من الصحراء الكبرى أو انطلاقاً من المناطق الأقرب جغرافياً من مصر والتحليلات الپالينولوجية التى جرت حديثا فى واحات الصحراء الغربية تدعم وجهه النظر هذه بعنصر هام جدير بالملاحظة : فمن الممكن القول أن النباتات التى تكسو هذه المناطق تعكس تطوراً مشتركاً .

ومما يزيد من احتمال وجود هذا التمفصل أنه يتفق مع نهاية الانتقال من " الإنسان المنتصب " **Homo erectus** إلى " الإنسان العاقل " **Homo sapiens** قبل مائة الف سنة تقريباً، أى مع نشأة حضارة مشتركة يمثلها نمط بشرى من النوع المستطيل الرأس . وقد أمكن تشبيه تطوره بتطور أقرانه المعاصرين له فى شمال إفريقيا وأوروبا . ولكن التحفظ واجب عند إصدارمثل هذه التأكيدات . فالجانب الإفريقى من المنحدر غير معروف كل المعرفة من ناحية ، كما أن المعطيات الخاصة بمصر ، لم تكتمل بعد ومازالت ناقصة ، من ناحية اخرى .

لقد وفرت منخفضات بحيرات الصحراء الغربية لحضارات نهاية "الأشولى " و" الموستيرى " فيما بين ٥٠٠٠٠ سنة و ٣٠٠٠٠ سنة ق . م بيئة خلّفت

وراءها بيض النعام وعاش فيها أسلاف حيوان العير على الأرجح . وقد واكب نهاية عصر الحضارة " الأشـولية " ثورة تكنولوجية واضـحة . فانتقلت من صنـاعة الأدوات الحجرية . ذات الوجهين إلى صناعة الشظايا الحجرية واستمرت هذه الثورة وانتشرت فى أرجاء افريقيا ، وكانت ملائمة لظروف الحياة الجديدة . وتمـتد هذه المرحلة إلى حـوالى عـام ٣٠٠٠٠ ق . م وتتـطابق مـع الحضارتـين " الموستيرية " و"العاطرية " . لقد اقتربنا من نهاية اقتصاد يقوم على الصيد فى الساڤانا ووصل إلى ذروتة مع الحضارة "العاطرية " القائمة على استخدام القوس . لقد انتشرت هذه الحضارة إنتشاراً واسعا فى المغرب وجنوب الصحراء الكبرى ، وعاشت طويلاً فى النوبة السودانية وفى واحـات الصحـراء الغربـية ، وربما كانـت نهاية المطاف للأساس الإفريقى المشترك الذى أشرنا إليه آنفاً .

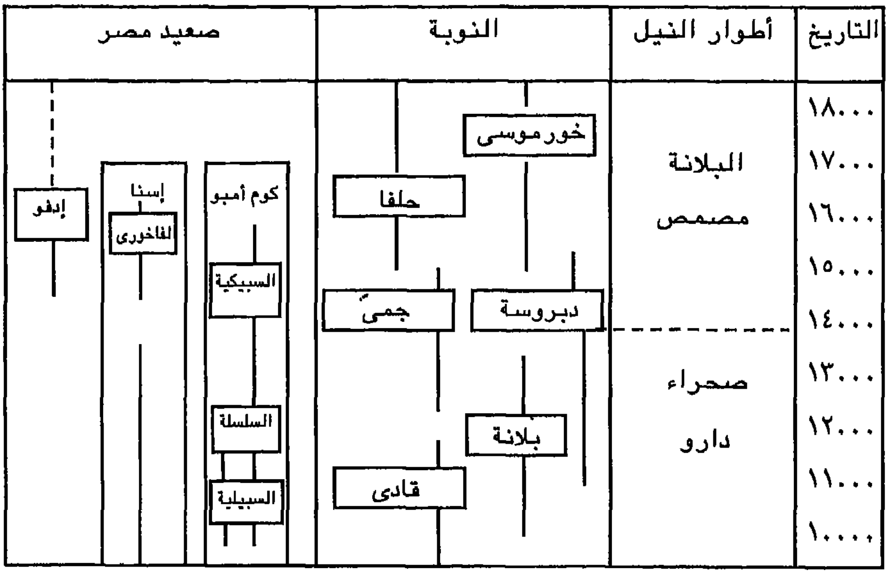
الصيادون والمزارعون

وفى مواجهة الحضارة " الأشولية " عاشت حضارة " خورموسى " على مسافة بضعة كيلومترات من " وادى حلفا " . وقد كشف هذا الموقع عن آثار حضارة نشأت فى العصر الحجرى القديم الأوسط حوالى عام ٤٥٠٠٠ ق٠م واندثرت فى العصر الحجرى القديم الأعلى حوالى عام ٢٠٠٠٠ ق٠م . ، وقد شدها النهر إليه أكثر من غيرها . وجمعت هذه المجموعة الحضارية الأخيرة بين صيد الحيوانات التى تعيش فى الساڤانا كالأبقار البرية والظباء والغزلان وبين ما يحصل عليه أهلها من صيد نهرى . وهكذا نرى الجماعات البشرية التى طردها الجفاف من مناطق الصحراء الكبرى تتكيف مع البيئة النيلية . وفى هذا العص ، ر عندما أفسح دور "مخادمة " المطير الثانوى الطريق لدور "النيل الجديد " Néonil الجاف الذى مازال مستمراً حتى الوقت الراهن ، أصبح وادى النيل البوتقة التى انصهرت فيها العناصر التى سوف تشكل الحضارة الفرعونية . ويبدو أن زحف التصحر على مناطق الصحراء الكبرى قد أبعد الإنسان حتى عن منخفضات واحات الصحراء الغربية ودفعه دفعاً فى اتجاه الوادى . وتكونت جماعات بشرية منفصلة سلكت كل منها سبيل تطورها الخاص انطلاقا من أرضيـة مشتركـة . وسـارت أحيانـاً فـى خـط مـواز لصنـاعـات محليـة كتلك التى اكتشفت فى جبل"سوهان " .

ويحـدث المنعطف التالى خلال الفترة من عام ١٥٠٠٠ إلى ١٠٠٠٠ ق ٠م على وجه التقريب ، حين حلت حضارة "جمّى " محل حضارة حلفا ، وحضارة "دبروسة " محل

حضارة خور موسى . وفى حين يمكن ملاحظة ظهور بعض الأدوات القزمية فى النصف الثانى من حضارة حلفا فقد سادت هذه الصناعة مع حلول حضارة "بلانة " .

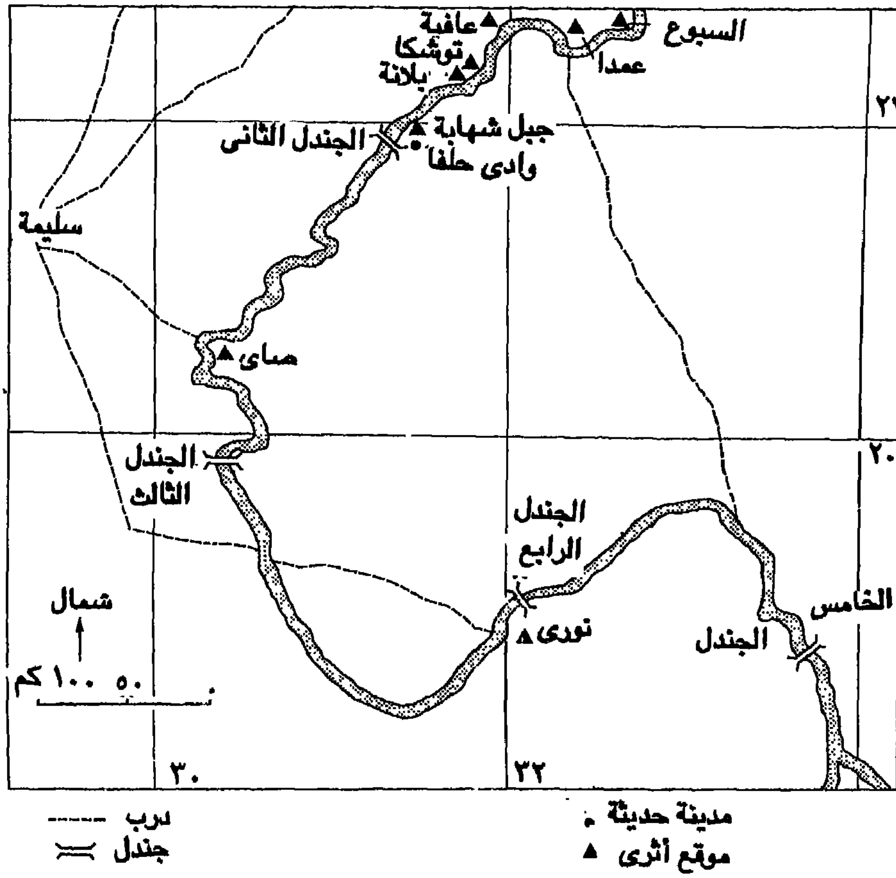
وتغطى حضارة " قادى " أكثر من عشرين موقعاً يمتد من الشلال الثانى وحتى "توشكا " ، وتشكل مرحلة هامة بما خلفته من أدوات حجرية تميل إلى استخدام صناعة الرقائق (النصال) بالإضافة إلى وجود دلالات واضحة تشير إلى مستوى اقتصادى متقدم . فقدتم اكتشاف آثار "أضاحى الحصاد " التى يمكن القول أنها محاولات الزراع الأولى .



شكل رقم (١) : مختصر الترتيب الزمنى لنهاية العصر الحجرى القديم الأعلى

لقد أثبتت التحليلات الپالينولوجية وجود النجيليات والشعير البرى فى إسنا على أقل تقدير . ويمكن القول أن هذه التجربة لم تستمر إلى مابعد بداية الألف العاشرة .

ان أى فرض مقترح لهو من باب الاحتمالات غير المؤكدة . ولكن من المحتمل أن التوسع السكانى الذى رافق هذا التطور قد صاحبته هيمنة حضارة قوم من المحاربين ارتقت على حساب المزارعين . وبالرغم من ذلك ، فإن هذه الزراعة فى شكلها الأول ومع كونها زراعة هشة جداً قد ظهرت على ضفاف نهر النيل فى فترة لم يكن سكان الشرق الأدنى قد مارسوا فيها الزراعة بعد . ولا يمكن الاستناد إلى ماسبق للجزم بالأصول النيلية المحض للنشاط الزراعى، أو لنقض النظرية القائلة بأن المجتمع الزراعى الذى استقر فى وادى النيل

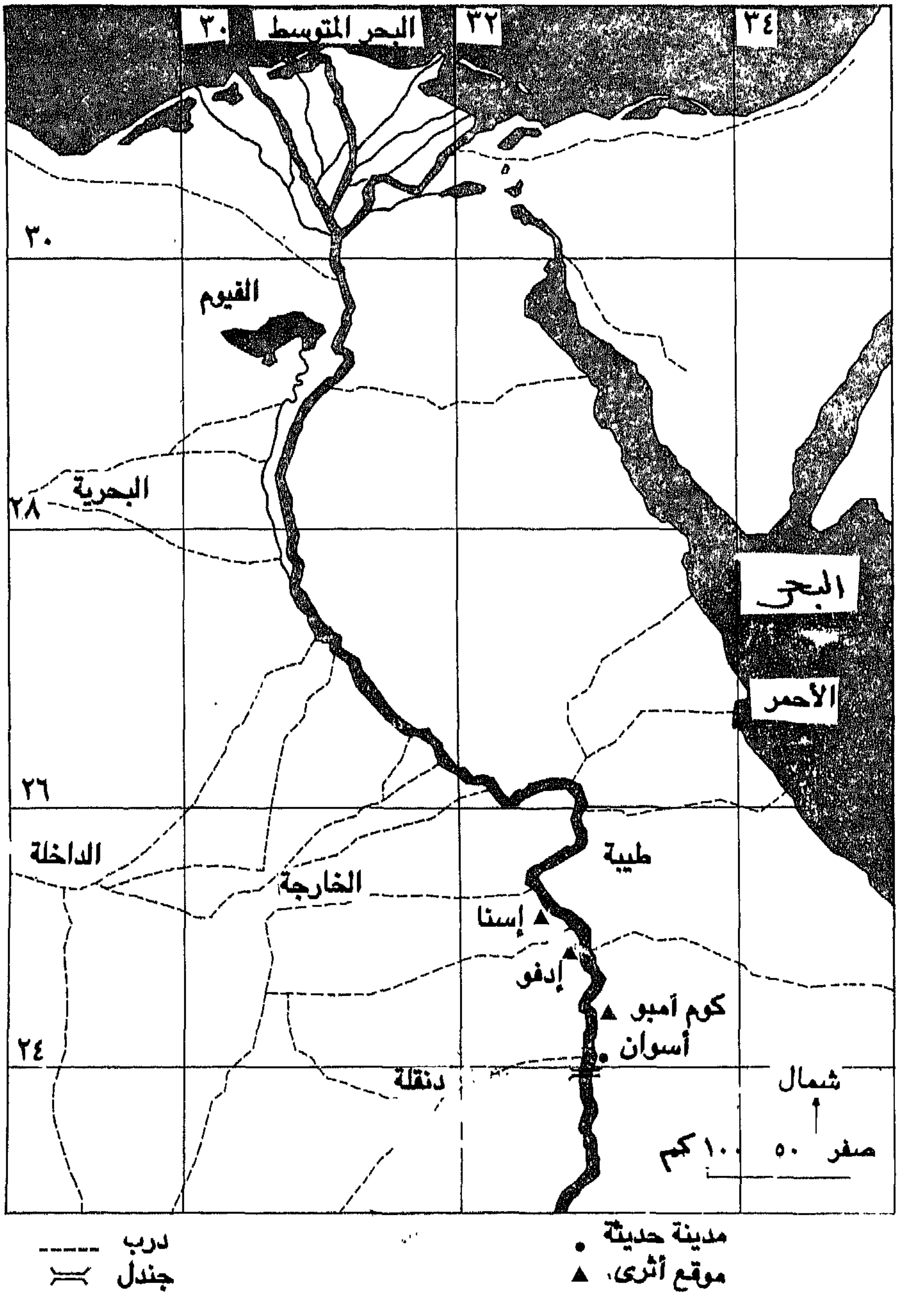


شكل (٢) - أهم مواقع العصر الحجرى القديم فى النوبة .

قرب نهاية امتداد العصر الحجرى القديم **Épipaléolithique** ترجع اصوله إلى الشرق الأدنى.

وتشترك هذه المواقع فى العديد من النقاط مع حضارات العصر الحجرى الحديث فتجمع بينها نوعيــة الأشيـــاء التى خلفتها وراءها ونمط الدفنات ، سواء من حيث عمارتها أو من حيث الفصل بين مقــابر الأطفـال ومقابر البالغين على سبيل المثال لا الحصر (**Hoffman : 1979, 94**) إلى جانب ما تسمح به هذه العناصر من الوقوف على أسلوب حياة اصحابها .

ووفرت اكتشافات ڤرميرش **P.Vermeersch** فى موقع الكاب عناصر الارتباط بالعصر الحجــرى الحديـث . إنهـا حلقــة اتصـال معاصــرة للانتقــال من حضارة "أريكا" إلى حضارة " شرمكا " بجوار وادى حلفا وحضارة قارون بالفيوم . وهى تبرز التكيف



شكل (٣) - أهم مواقع العصر الحجرى القديم فى مصر .

بالبيئة النيلية لحضارة قوم اشتغلوا بالقنص والصيد البرى وأصبحوا يعتمدون على الصيد النهرى دون أن يصبحوا مزارعين . ومن ناحية أخرى فان الإنتقال إلى الزراعة قد حدث عند منتصف الألف السادسة فى ظروف غير واضحة وبتأثير الشرق الأدنى على ما يظن ، بغض النظر عما سبقها من محاولات.

ومن المحتمل ان الاستئناس الأول للحيوان يرجع إلى أصول إفريقية .ويغطى هذا الانتقال فترة زمنية طويلة . وقد أوضحت الأبحاث الحديثة ، ومن أمثلتها المسح الشامل الذى باشره فريق من جامعة كاركوفيا والمعهد الألمانى في القاهرة (Ginter, Kozlowski, Pawlikowski : 1985. 40 - 41) وفى أقاصى الصعيد ، وجود مراحل وسيطة من خلال ذلك كله .

نحو العصر الحجرى الحديث

حدث الانقطاع الأساسى بين عصور ماقبل التاريخ والعصور التاريخية عند التقاء الألف السابعة بالألف السادسة . إنها فترة غير معروفة جيداً Finkenstaedt : 1985, 144 sq. تفصل بين امتداد العصر الحجرى القديم Épipaléolithique والعصر الحجرى الحديث. وأسهم كل شيء على ما يبدو فى إحداث تغيير جذرى فى الحضارة . إن ظهور دور مطير ثانوى قد ساعد على تربية الحيوان بقدر ما ساعد على تقدم الزراعة عند حواف الوادى ر فى مناطق الواحات الغربية . و ساعدت هذه الانطلاقة على تطوير صناعة النسيج و الفخار . وعلى امتداد فترة الألفى سنة تقريباً التى تفصل بين بدايات العصر الحجرى الحديث و عصر ما قبل الأسرات بمعنى الكلمة ، أى من منتصف الألف السابعة وحتى منتصف الألف الخامسة – اكتملت من الناحية العملية العناصر المكونة لتلك الحضارة التى سوف تظل حتى أفول نجمها – حضارة قائمة على الصناعات الحجرية رغم اكتشاف المعادن .

و بالاضافة إلى مجموعات النوبة و سلسلة مواقع " الكاب " التى اشرنا إليها من قبل ، فإن أهم مواقع هذه المرحلة المكتشفة هى محلات الفيوم ("ب" ثم " ا " و ترجع إلى حوالى منتصف الألف السادسة) . أما مواقع البدارى (الهمامية) و ديرتاسا فتوجد فى الوادى .ومن المواقع الموجودة فى الطرف الجنوبى للدلتا نذكر مرمدة بنى سلامة والعمرى قرب حلوان التى أضحت من ضواحى القاهرة فى الوقت الراهن ، و قد كشفت بقاياها عن سمات تضرب بجذورها فى المأثورات المتوارثة عن الصيادين

إلى جـــانب بعـض السـمـات الجديـدة (Huard & Leclant : 1980) . . و نلاحظ ارتقاء فن صناعة الأسلحة كأسنة الرماح المدببة المصنوعة من الظران المصقول والخطاطيف المصنوعة من العظام ، و هى جزء من المعدات التقليدية لكل صياد . لقد تشكلت أبعاد الصورة الحضارية للبيئة النيلية فى هذا العصر السحيق و سوف تخلدها مشاهد القنص والصيد فى المستنقعات على جدران مقابر العصور الفرعونية لتعيد إلى الاذهان سيطرة المزارعين على عالم الوحوش . وجاء تنظيم المجتمع على أسس زراعيـة وأقيمت أماكن السكن على هيئة ضياع مخصصة لتربية الماشية وفلاحة الأرض معاً . وتوجد بالضياع مطامير لحفظ منتجات الأرض ولا سيمـا القمـح والشعـير، ونهضت فيها كذلك صناعات الفخار و السلال و غزل الكتان ، إلى جانب تربية الضأن والماعز والخنازير والبقريات . ولن تتغير هذه الأنشطة المتنوعة أو تتبدل على امتداد آلاف السنين .

لقد اتخذت المعتقدات الجنائزية نفس المسار المعبر عن الانتقال من حياة الصيد إلى حياة الزراعة . وتدريجياً بدأت الدفنات تنتقل بعيداً عن التجمعات السكانية لتقام خارج عالم الأحياء و تستقر عند حدود الأرض المزروعة . و يزود المتوفى بما يلزمه من حبوب وقرابين غذائية ، كما يصطحب معه ما يحتاج إليه من أدوات الصيد و أثاث ريفى يتكون من أوان فخارية على وجه التحديد . ويوسد المتوفى فى وضع الانثناء استعداداً للقيام برحلة كانت تقوده على ما يبدو ، منذ ذلك الوقت المبكر ، صوب الغرب الذى تغمره الشمس يومياً بأشعتها بعد أن تترك عالم الاحياء .

و مازال الطريق أمام الإستكشاف المنظم لمحلات العصر الحجرى الحديث فى الوادى طويلاً قبل أن يمكن ألقول انه قد وصل إلى نهاية المطاف . و مازال الوقت مبكراً لإصدار أحكامنا حول المجموعات المعروفة فى الوقت الراهن و هل هى نتاج صدفة الاكتشافات أم أنها انعكاس للانفصال بين جنوب البلاد و شمالها . وهل يمكن اعتبار أن مواقع الشمال فى منطقتى القاهرة والفيوم قد تفوقت فى الصناعات الحجرية سواء فى الأسلحة الظرانيةأم الأوانى الحجرية ، بينما تميزت مجموعة الجنوب بروعة نوعية أوانيها الحمراء ذات الحواف السوداء والرسوم المحفورة والتى " ظلت العلامة المميزة لحضارات ما قبل الأسرات فى مصر" . (Vercoutter : 1987, 90)

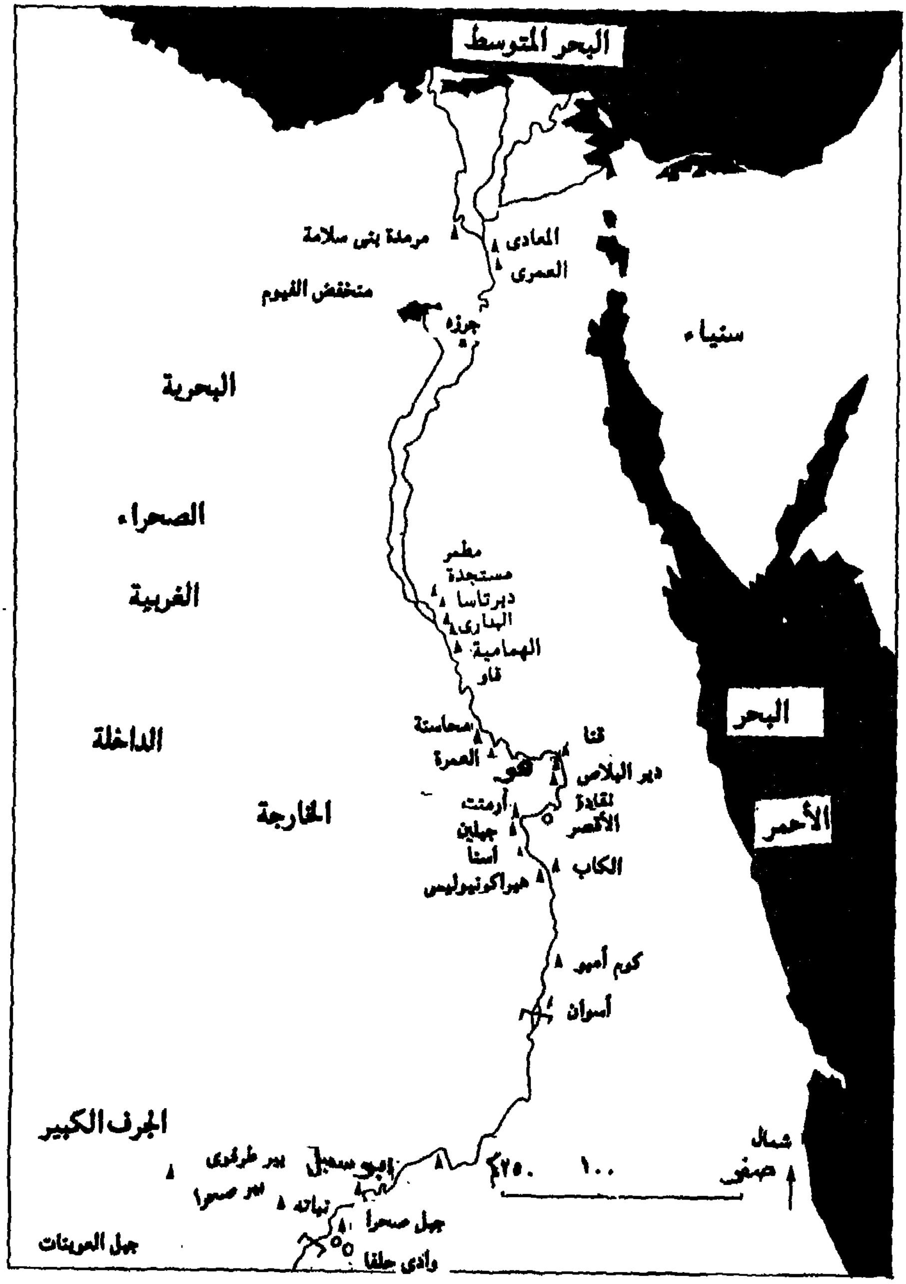
إن الجواب على هذا السؤال يعود علينا بفائدة كبيرة : فهو يشمل تفسيراً لمجمل عملية توحيد مصر الشمال ومصر الجنوب التى يؤكد مجمل التاريخ الفرعونى ثنائيتها

وقد استغرقت عملية النضوج أكثر من الف سنة من حوالى ٤٥٠٠ إلى ٣١٥٠ ق ٠ م ٠ وظهرت الفروق بشكل واضح فى الفترات الأولى من هذه المرحلة الممتدة ، ثم أخذت تخف حدتها فيما بعد دون أن تنصهر الحضارتـــان انصهاراً تاماً . ويرجع هذا التمايز إلى ظهور المعادن ، ولكن لا ينبغى المبالغة فى مغزاه فقد كان استعمال النحاس نادراً كما ظل الأمر على هذا النحو لفترات طويلة كما كان الانتقال وئيدا ولم يتسم بأى نقلة عنيفة . ونقسم اليوم الفترة الممتدة من أوائل الخالكوليثى وحتى العصر الثينى إلى أربع مراحل ٠

" بدايات " عصر ما قبل الاسرات

المرحلة الأولى وهى مرحلة "بدايات" ماقبل الاسرات (من منتصف الألف السادسة حتى منتصف الألف الخامسة) ، قد عاصرت الطور الأخير من تطور حضارة الفيوم " ا " فى الشمال وحضارة البدارى فى الجنوب . و ظلت الفوارق على ما هى عليه ، و نلحظها على وجه الخصوص فى الأوانى الحجرية و الأسلحة و الأدوات الظرانية التى كانت على ما يبدو أكثر تطوراً فى الشمال . و هى تشبة منذ ذلك الوقت المبكر صناعات واحات الصحراء الغربية التى ترجع إلى أواخر الدولة القديمة . و تذكرنا بالسكاكين الرائعة ذات اللمسات الرقيقة التى اكتشفها ج . كاتون تومسون **G.Caton-Thompson** كما تشبه ما اكتشف منها فى موقع " بلاط " فى الواحة الداخلة . و لكن الحذر من المبالغة مطلوب هنا أيضاً . فإنتاج البدارى ، و لاسيما إنتاج أسنة السهام ، ليس أقل تطوراً . ويكمن الفارق فى الأهمية النسبية التى تحتلها أنشطة الصيد البرى والصيد النهرى فى كلا المجموعتين . فقد كان نصيب الإضافات الغذائية التى تعتمد على الصيد بنوعيه أكبر عند سكان الفيوم وفيما بعد سكان الواحات .

وعلى أى حال فإنه إلى جانب إرهاصات التحسينات التى أدخلت على الأمتعة و أدوات الزراعـــة ، نلاحظ تطوراً ملموساً فى الماراسات الجنائزية مزجت بين مظاهر هاتين الحضارتين . لقد ظل المتوفي يُلف بجلد حيوان حماية له ، بيد أن المقبرة بدأت تأخذ أبعاداً معمارية متزايدة. و ظهرت أنماط تشكيلية كتب لها أن تعيش طويلا على امتداد الحضارة المصرية ، وبلغت صناعة الأوانى الفخارية ذات الحواف السوداء التى سبق الإشارة إليها شأواً عظيماً من الرقى والكمال . ونذكر على وجه الخصوص الأشياء المصنوعة من العظم ومن العاج من أمشاط وملاعق مساحيق التجميل والتماثيل الصغيرة النسائية ذات الملامح الجنسية المبالغ فيها التى مهدت لظهور تماثيل " المحظيات " من أجل تجديد قوة المتوفى الجنسية ، بالإضافة إلى الحلى والتمائم ذات الوجوه الإنسانية أو الحيوانية ، وقد



شكل (٤) - أهم مواقع العصر الحجرى الحديث .

صنع بعضها من مادة أطلق عليها اصطلاحاً القيشانى المصرى (Hoffman : 1979 , fig 38-39 , p.p 138-139) .

عصر ما قبل الأسرات القديم .

و دون ان تحدث تغييرات جذرية تم الانتقال أيضاً إلى مرحلة " عصر ما قبل الأسرات القديم " حوالى عام ٤٥٠٠ ق .م . بل يمكن القول أن الفصل بين هذه المرحلة والمرحلة التى سبقتها هو فصل اعتباطى ، طالما حصرنا أنفسنا فى إطار الطور الأول



شكل (٥) - "راقصة" من عصر العمرة (نقادة ١:) ما قبل الأسرات.

صلصال محروق وملون . الارتفاع : ٢٩ سم. متحف بروكلن .

المعروف فى موقع العمرة التى تقع على مسافة ١٢٠ كم تقريباً جنوبى البدارى وفى قلب المنطقة الممتدة من أسيوط إلى الجبلين ، حيث تقع حقول تضم أغنى مواقع ما قبل الأسرات وعلى بعد ١٥٠كم جنوبى العمرة نلتقى بطور مماثل للسابق و هى المحلة الأولى لمواقع نقادة . ونجد شواهد لهذا الطور أيضاً على امتداد منطقة نهر النيل من جبل العركى إلى الجبلين . و نلاحظ أن تطور الفخار يتخذ مساراً مزدوجاً : ظهر خطه الأول فى الزخرف مع ابتكار عناصر هندسية منقولة عن النبات و الحيوان ، مرسومة أو محفورة . وظهر خطه الثانى فى التشكيل لا سيما الأوانى ذات الأشكال الحيوانية . وخير شاهد على بلوغ فن الخزف الذروة هى تماثيل " الراقصات " المرفوعة الأيدى المصنوعة من الصلصال المحروق الملون والتى يحتفظ متحف بروكلين بأجمل نماذجها : ألا يذكرنا هذا النموذج بقده الممشوق " بعازفات كمان جزر سيكلادز " (فى بحر إيجه)

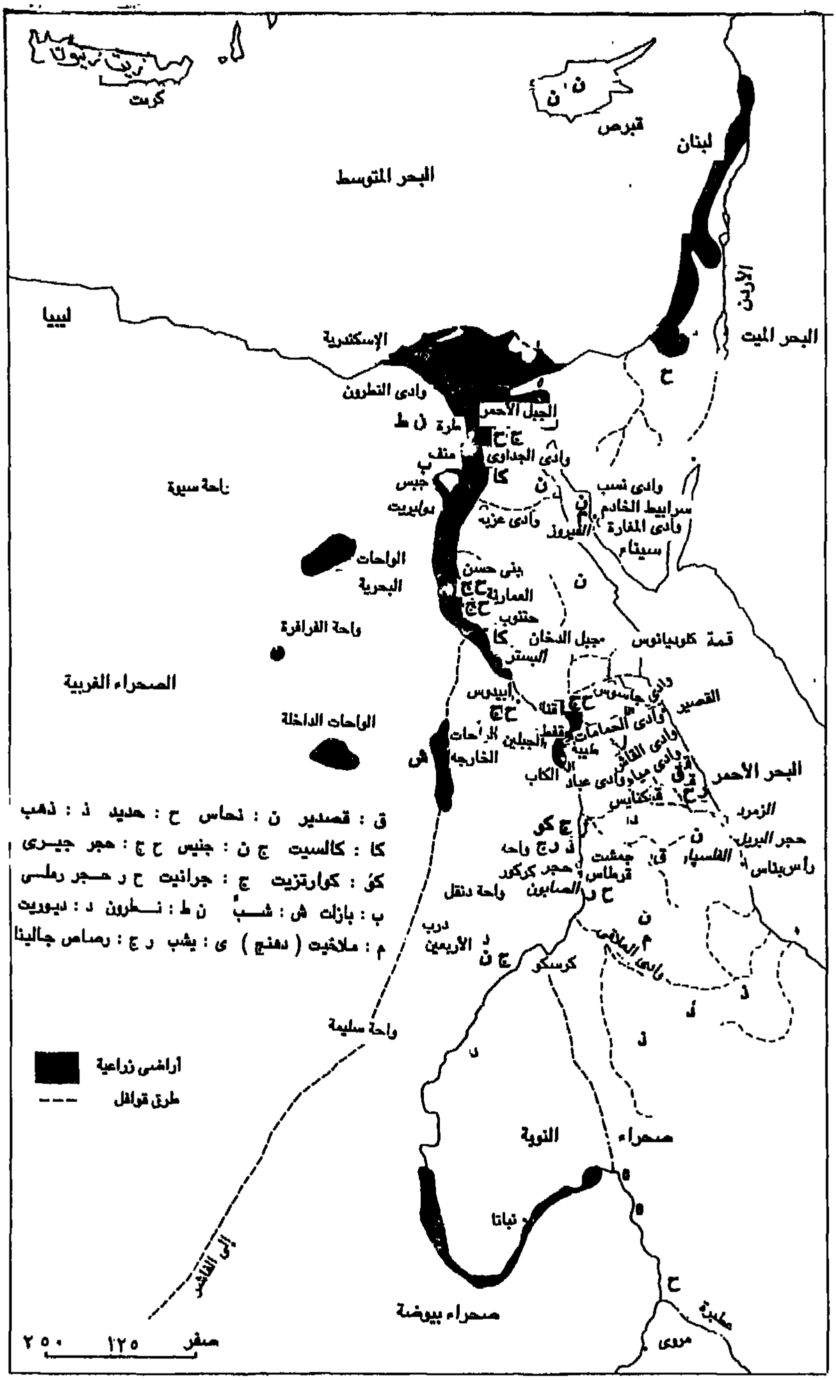
كان انفتاح الوادى على العالم الخارجى أمرا فرضته الضرورة لافتقاره إلى المواد الأولية . فأماكن وجود المعادن كالنحاس قليلة ، وتنتشر فى النوبة جنوبى وادى العلاقى وعلى وجه الخصوص على مقربة من البحر الأحمر : فى سيناء وسلسلة جبال الصحراء الشرقية حيث مناجم الرصاص والقصدير وأيضاً الجالينا ، هذا بالاضافة الى القليل من الذهب المكتشف أيضا على مقربة من الجندل الأول . ولكن ظلت مصر على الدوام تعتمد على النوبة كمصدر رئيسى للذهب . وفيما بعد كانت النوبة أيضاً مصدراً لقليل من الحديد النيزكى الآتى من مملكة "مروى" البعيدة والتى تعتبر إلى جانب الواحة البحرية من المراكز القليلة لإنتاج هذا المعدن . أما الأحجار الكريمة ، فالفيروز والدهنج يتمركزان فى سيناء واليشب بين وادى جاسوس ووادى القش فى سلسلة جبال الصحراء الشرقية ، والزمرد على امتداد سواحل البحر الاحمر الجنوبية ، والجمشت فى منطقة اسوان . اما الأحجار اللينة كالحجر الجيرى فهو واسع الانتشار ، ويوجد بارزاً على سطح الأرض فى هضاب الصحراء الغربية ،. أما فى الوادى فأماكن تمركزه منتشرة من الشمال إلى الجنوب : فى طرة حيث توجد أكبر المحاجر التى أمدت مصر بما تحتاجه من حجر جيرى منذ الدولة القديمة وحتى الوقت الحالى ، وفى بنى حسن وفى تل العمارنة فى مصر الوسطى ، وفى أبيدوس والجبلين بأعالى الصعيد . و يوجد الألبستر على شكل مادة الكالسيت على مقربة من منف ، فى وادى جراوى ، و على الأخص فى حتنوب بمصر الوسطى ، كما يوجد على شكل مادة الجبس فى الفيوم . ويظهر الحجر الرملى فى جنوب

إسنا ، وتوجد أهم محاجر استخراجه عند جبل السلسلة و قرطاس فى النوبة السفلى . أما الأحجار الصلبة التى احتلت مركز الصدارة منذ عصر ما قبل التاريخ فتوجد فى أماكن متفرقة : فالبازلت يوجد فى الشمال و الدلوريت فى الفيوم ، وفى سلسلة جبال الصحراء الشرقية نجد الدلوريت أيضاً إلى جانب حجر السماقى أو البورفير والجرانيت . وأخيرا نجد فى منطقة الجندل الأول الكوارتز والديوريت والستياتيت والجرانيت .

أما الظران فهو الحجر الوحيد الذى ينتشر حقيقة فى طول البلاد وعرضها إذ عروقه جنبا إلى جنب مع بروز الحجر الجيرى فى الوادى وفى هضاب الصحراء الغربية . أما باقى أنواع الأحجار فيتم استخراجها على وجه العموم من المحاجر بشكل وقتى . إن وجودها فى مناطق بعيدة بعض الشئ عن الأراضى الزراعية أو فى مناطق الحدود قد دفع المصريين إلى ضرورة تنظيم حملات حقيقية لتأمين أماكن استخراج الأحجار وطرق المواصلات لنقل ما استخرجوه منها . ولقد حددت هذه الضرورة معالم السياسة الخارجية لملوك مصر والتى استهدفت فى المقام الأول تأمين المناطق المتاخمة للوادى من غارات الشعوب الأجنبية .

وتظهر هذه الإسهامات الخارجية فى فن التصوير ذاته : فنكتشف على سبيل المثال أشخاصا ملتحين يرتبطون من حيث المظهر بالقبائل الليبية . كما ترد المنتجات من أقصى الجنوب كالسبج(الأوبسيديان) ، وربما النحاس أيضا الذى ساد اعتقاد بُنى على عجل أنه لا يوجد إلا فى ســـيناء . وتتعدد هذه الإشارات وتتزايد حتى حلول وحدة المملكتين النهائية ، شاهدة على قوة العلاقات التجاريه التى كانت قائمه فى هذا الوقت المبكر ، سواء مع الجنوب – ومن الطبيعى أن نفترض انتظام رحلات القوافل تدعيما لهذه العلاقات ، أو مع الغرب – وربما تمت عن طريق الواحات – أو مع الشرق عن طريق سيناء أو الشريط الساحلى .وكان التبادل التجارى بين المجموعتين الحضاريتين فى الشمال والجنوب يتم بنفس الطريقة استنادا الى امكانية تأويل ظهور ادوات الأكل الحجرية فى العمرة كدليل على اقتباسها من الشمال .

كمـا ان ظهـور الأشكـال المعمـارية التاريخيـة جدير بمزيد من الإهتمام أيضا . إن وجود " النماذج " وهى عبـارة عن تصميمـات (مكيتّات) يصطحبها المتوفى معه إلى العالم الاخر – يكشف عن وجود منازل وأسوار من الطوب من النمط الذى كان منتشرا منذ ماقبل العصر الثينى (148 -147 ,Hoffman:1979) . وإن دل ذلك على



شكل (٦) - موارد مصر الطبيعية .

شيء فإنما يدل على ان مفهوم المدينة المصريه والتنظيم الحضرى إنما يرجعان على الأقل إلى هذا العصـــر .

مرحلة جرزة

ان اكتشاف حضارة جرزة على بعد بضعة كيلو مترات من ميدوم ،قد سمح بتحديد المرحلة الثالثه الجرزية ، وهى مقابلة للطور الثانى من حضارة نقادة .والفروق بين هاتين المجموعتين قاطعة وواضحة بما فيه الكفاية للوقوف على مدى تاثير الشمال المتزايد على الجنوب حتى استطاع ان يبتكر حضارة مختلطة تتمثل فى مرحلة "ماقبل الاسرات الحديث" (نقادة الثالثة) التى تسبق مباشرة توحيد البلاد واستمرت فى جملتها ثلاثة قرون من ٣٥٠٠ الى ٣١٥٠ ق .م .

ويكمن الفارق بين حضارة العمرة وحضارة جرزة فى انتاجهما من الخزف . فالعجينة فى الحالتين ليست واحدة . ويرجع هذا الفارق الى اختلاف الاماكن أكثر منه الى تقدم تقنى . وأخذت حضارة جرزة خاصة ، ترتقى بالعناصر الموجوده فى الطبيعه بعد تبسيطها لغرض الزخرف : فمنها عناصر هندسية لنقل المواضيع النباتية ، وعناصر طبيعيه لنقل عالم الحيوان وبعض الملامح الحضارية . اما الحيوانات من نعام وتيوس جبلية وأيائل فلا تنطوى ملامحها على اية مفاجأة غير متوقعة . فكلها حيوانات تعيش عادة فى بيئة شبه صحراوية . وعوضا عن ذلك فان رسومات الاوانى الفخارية تموج بحركة الاشخاص والقوارب التى ترفع شارات من الجلى أنها شارات آلهة ،(Vandier : 1952,332-363; F. El -yahky, BIFAO 85 (1985) 187-195) والتى يعتقد أنها سبقت الألوية التى استخدمت بعد عدة قرون من الزمن لتمييز المقاطعات. وتُروى هذه المشاهد بعلامات مرسومة . ولكن هل هى علامات رمزيه أم تاريخيه؟ ومما يزيد من صعوبة تقديم إجابة شافية لهذا السؤال أن هذه الادوات من النذور التى وضعت أصلا فى اطار جنائزى . ومن المهم ملاحظة ان هذه التصاوير قدوجدت جنبا إلى جنب مع نمط آخر أكدت وجوده حضارة البدارى : إنها صلايات الشست المنحوتة والمستخدمة فى صحن مواد التجميل وتصاحب المتوفى فى الاغلب إلى مثواه الأخير، وسرعان ما اصطبغت بقيمة تاريخية .

وبالمقارنة مع الحضارة الفرعونية ، بلغت حضارة جرزة مستوى راقيا من التقدم ، لا سيما فى المجالين الجنائزى والدينى . لقد أصبحت المقابر تحاكى عن كثب المساكن الدنيوية وتضم أحيانا عدة حجرات مؤثثة بأثاث متعدد ومتنوع. كما نلاحظ وجود التمائم

والتماثيل الصغيرة أو مقتنيات هى من علامات الأبهة ، وقد زخرت بمواضيع تمثل الحيوانات من أسود وثيران وأبقار وافراس نهر وصقور وأصبحت جميعا منذ وقت مبكر صورا للأرباب والآلهة وبالطبع تفتقر هذه المحاولات لإعادة بناء الملامح الحضارية - إلى اليقين والدقة حيث أنها تستند إلى عناصر مبعثرة ، غالبا ما تغفل العناصر التى اندثرت دون أن تترك اثراً . ولكن حدث تدريجيا وتحت تأثير حضارة جرزة أن أخذت العناصر المكونة للحضارة الموحدة تفرض نفسها ، فهى التى قدر لها أن تصبح الحضارة الغالبة . ويتضح من المعطيات التى وفرها علم الآثار أن الانتقال من عصور ماقبل التاريخ إلى العصور التاريخية جاء نتيجة تطور بطئ ، ولم يحدث - كما ساد الاعتقاد ردحا من الزمن - نتيجة طفرة حادة جلبت معها أساليب تكنولوجية جديدة- لا سيما فى مجال التعدين وبُنى المجتمع . ونذكر فيما يعنينا تنظيم المجتمع فى حواضر زراعية ، والطوب ، والكتابة ، وكلها عناصر تنُسب أصولها عادة إلى بلاد النهرين ، لالسبب إلا لأنها ظهرت هناك فى نفس الفترة . فى حين يبدو من الأبسط والأسهل إرجاعها الى أصل مشترك هو " نمط الإنتاج الاسيوى" .

إن وجود أختام اسطوانية فى مصر ترجع إلى عصر " جمدة نصر" فى بلاد النهرين (منتصف الألف الرابعة) إن دل على شىء ، كما يلاحظ جان فيركوتير J.Vercoutter (1987, 101 sq .) فإنما يدل على وجود علاقات تجارية تأكدت أيضا مع سوريا وفلسطين ومع ليبيا والجنوب . ولايمكن الاستناد إلى شهادات منفصلة للبرهنة على مثل هذا الغزو . صحيح أن أسلوب زخرفة سكين جبل العركى والمحفوظ حاليا فى متحف اللوفر ، يشبه زخارف بلاد النهرين ، ولكنه المثال الوحيد فى سلسلة المصنوعات العاجية ذات التصاوير والموثقة توثيقا جيدا **(Vandier : 1952 , 533- 560)**، حتى وإن لاحظنا ظهور نفس هذا الموضوع فى " المقبرة ذات الزخارف" فى مدينة هيراكونپوليس بأسلوب أقل نمطية .**(Vandier : 1952, 563)** . ومن الوثائق التى يتم الاستشهاد بها مرارا وتكرارا للبرهنة على تأثيرات بلاد النهرين إحدى قطع ألعاب التسلية ، التى ترجع إلى العصر الثينى وقد تم اكتشافها فى ابو رواش ، وتمثل منزلا غطيت مبانيه بسقف له انحدار مزدوج ، خصص لانسياب مياه الامطار . ولكن هذا المثال لايعتبر برهانا سديدا . فإلى جانب أنه من الممكن اعتباره مجرد قطعة مستوردة أو غريبة بقدر غرابة الختم الأسطوانى ، إلا أنه لا ينبغى أن يغيب عن ذهننا أن مصر كانت عرضة هى الأخرى لهطول أمطار غزيرة .

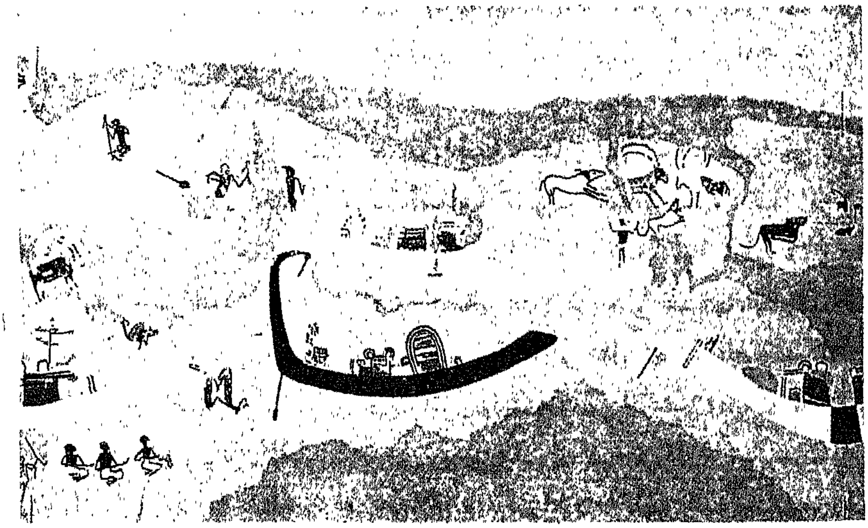
ولم يكن المصريون فى حاجه إلى الذهاب بعيدا بحثا وراء فن صناعة الطوب الذى توصلوا إليه هم ايضا خلال الألف الخامسة : ويمكن أن نقرر ، دون خوف من الانسياق وراء حتمية جغرافية مبالغ فيها ، أن الصلصال كان من أكثر المواد المتاحة للإنسان سواء فى بلاد النهرين أو فى وادى النيل أو الواحات الغربية . وإذا كان الإنسان لم يستعمل الحجر إلا فى وقت لاحق فالسبب فى ذلك لا يرجع إلى ان مستوى تطور تقنية المعادن التى استعملها عمال المحاجر والتى كانت أقل عادة مما يظن ، بقدر ما كان يرجع إلى الإفتقار لتنظيم وأساليب لم تتوفر إلا فى ظل الفراعنه وكان زعماء الأسرات المحلية التى حكمت أقاليم مصر فى أواخر عصر ماقبل التاريخ يفتقرون إليها .

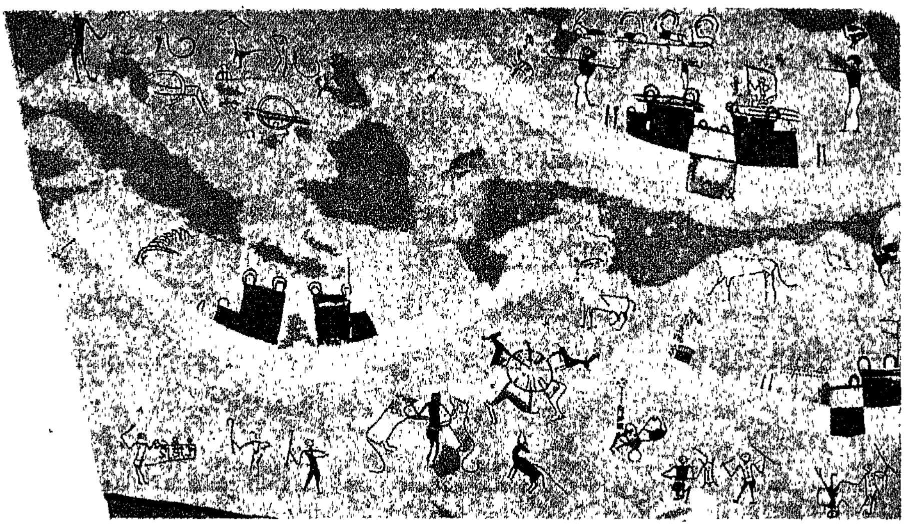
الكتابة

كيف يتسنى لنا التوصل إلى معرفة أصل الكتابه فى إحدى الحضارات وما إذا كانت قد وفدت من الخارج أم ظهرت فجأة ؟ وتعتبر هذه النظرية قليلة الأهمية بالنسبة لنا اذ أنه بإمكاننا ان نتابع من خلال مناظر اوانى حضارة نقادة مسار التبسيط المتدرج للأشكال النباتية والحيوانية بغرض الزخرف مرورا بمناظر الرقصات الشعائرية ووصولا إلى رسومات ألوية الآلهة التى يمكن اعتبارها منذ ذلك الوقت المبكر كتابة هيروغليفية (جرزة: 333-363 et341,fig. 231 . والعمرة (Vandier:1952, 264-296) .

وهذه المناظر والتصاوير تعكس فى حقيقة أمرها المبدأ الجوهرى للكتابة المصرية التى لم تتغير تقريبا على امتداد حضارتها والتى ظلت مزيجا من العلامات المرسومة والعلامات الصوتية . كما أنه من الصعب تحديد لحظة الانتقال من الأولى إلى الثانية . ولكن هل تم هذا الانتقال حقا ؟ والبرهان الوحيد لصالحه هو اقتضاب المدونات الأولى . ونظرا لأنها لم تستخدم فى معظم الأحوال سوى علامة واحدة دون الإضافات الصوتية التى ستدخل على الكتابة فى وقت لاحق ، فان ذلك يجعلنا نفترض أنها اعتمدت على أسلوب الصورة المباشرة . ومما يدل على ذلك اعتبار التدوين الصوتى بمثابة تقدم تقنى ينتهى بمرور الزمن إلى أن يصبح إضافة خطية تزداد وضوحا ، مما يجعلها اشبه بالمدخل إلى الكتابة الأبجدية . كما أننا نخرج بانطباع مماثل عند مقارنة نصوص الدولة القديمة بنصوص الألف الأولى . ولكن هل هذا الانطباع هو الانطباع السليم ؟

تجمع الكتابة الهيروغليفية بين العلامات المرسومة والعلامات التصويرية والعلامات الصوتية . والعلامة المرسومة تمثل الشىء مباشرة ، أى أن رسم إنسان او منزل





شكل (٧) - تفاصيل حائط مقبرة هيراكونبوليس(متحف القاهرة)

أو عصفور يعنى تسميته بالتبعية وهذا هو نفس مبدأ الرسومات الصخرية لعصور ماقبل التاريخ . وتبدو الفكرة بسيطة لأنها تعبر عن واقع الأشياء . ولكن تمثيل المفاهيم مباشرة بالصورة والرسم ليس بالأمر السهل . وإن لجأنا إلى الأساليب المجازية ، فإن النتيجة يعبر عنها بالسبب - والهواء يعبر عنه برسم شراع مركب منتفخ هواء - ويعبر عن المحتوى بالحاوى - فجرة الجعة تشير إلى الجعة ذاتها ولفة البردى تعبر عن عملية الكتابة الخ .... وتبقى مشكلة الكلمات المتماثلة الصوت ، فنذكر منها "سا" وتكتب بواسطة "بطة" فى وضع جانبى . وهى تعنى " البطة " و "الإبن" معاً . من هنا نشأت ضرورة تخليص بعض العلامات من قيمتها التصويرية للإبقاء على قيمتها الصوتية فقط . وسوف تستخدم العلامة الهيروغليفية الدالة على البطة فى نقل العلامة الصوتية الثنائية "سا" ، سواء كان المقصود بذلك الإبن أو الطائر . وللتمييز بين الاثنين تضاف علامة لها قيمة المخصص النوعى إلى المقطع الصوتى، وهى على شكل صورة رجل بالنسبة للإبن وعلى شكل طائر بالنسبة للبطة . وفى هذه الحالة الأخيرة ومنعاً للّبس الذى ينشأ من جراء تكرار صورة طائرين ، يستبدل المخصص بخط عمودى لتوضيح أن العلامة المستخدمة تحتفظ بالدلالة الأولى للصورة التى تمثلها .

وإذا كانت كل علامة صوتية قد ظلت محتفظة من الناحية المبدئية بقيمتها كعلامة تصويرية ، فقد تخصصت بعض العلامات فى واقع الحال فى تدوين الأصوات الأكثر شيوعاً . إنها أساساً علامات أحادية الصوت وتكوّن مايعرف اصطلاحا بالابجدية وتضم ٢٦علامة يمكن نظريا بواسطتها تدوين جميع الاصوات . ويلجأ المصرى من الناحية العملية إلى علامات أخرى تنقل بمفردها أصواتا تتراوح بين " حرفين " وستة " حروف " مع احتفاظها هى أيضا إذا لزم الأمر بقيمتها التصويرية الخاصة . هكذا تتعامل الكتابة مع مجموعة من العلامات التى تضم خليطا من العلامات التصويرية والعلامات الصوتية والمخصصات ، تبدأ بعلامة واحدة لتصل الى عدة الاف من العلامات حسب العصر وثراء التعبير .

وفى المعتاد تخصص الكتابة الهيروغليفية للنصوص الجدارية او المدونة على الحجر ، بشكل عام ، سواء استخدمت أسلوب الحفر أو الحز أو الرسم الملون . وظلت هذه الكتابة دون تطور من حيث أساسياتها منذ المدونات الاولى وحتى تلك التى تغطى جدران معابد العصر الرومانى . وقد ارتبط التغيير الوحيد بخط الكتابة نفسها ، فيتفاوت تارة بين ميلها إلى تبسيط الأشكال بالزيادة أو النقصان وصولا إلى الزخرف . او على عكس

ذلك ، تنزع الكتابة إلى إثراء الصنعة و العودة إلى الماضى السحيق أو إلى التجديد حسبما يتراءى لكتبة المعابد وطبقاً للهدف الذى يرغبون فى تحقيقه .

أما الوثائق الإدارية والمعاملات المالية والقانونية أو محفوظات شتى النصوص على وجه العموم ، بدءاً من المؤلفات الأدبية وحتى الطقوس الدينية والجنائزية ، فقد كتبها المصريون منذ وقت مبكر جداً بخط مختصر أطلق عليه السياح الإغريق فى العصر المتأخر الكتابة الهيراطيقية، ظناً منهم حسبما شاهدوه أنها كانت مخصصة لسلك الكهنوت فى مقابل الديموطيقية التى اعتقدوا أنها منتشرة بين أفراد الشعب فحسب . ولكن الديموطيقية ليست فى واقع الأمر سوى شكل جديد للخط الهيراطيقى ظهر فى حوالى القرن السابع ق.م . إن المبدأ الذى ترتكز عليه الهيراطيقية بسيط ، فهى تعتمد على العلامات الهيروغيليفية بعد اختصارها لجملة العلامات الأكثر انتشاراً سواء فرادى أو مجموعات . إنها ضرب من ضروب الكتابة الاختزالية . وقد أخذت تتطور منذ الدولة القديمة وحتى القرون الأخيرة من الحضارة المصرية القديمة فى اتجاه مزيد من التجريد حتى أصبحت فى مراحلها الأخيرة هى مانطلق عليه بالتحديد الديموطيقية . وكما حدث تطور " طيبى" (نسبة إلى طيبة) فى العصر الأثيوبى والفارسى بلغ ذروته عند منتصف الألف الأولى قبل الميلاد وهو مانطلق عليه اصطلاحاً الخط " الهيراطيقى الشاذ " ، تطورت الكتابة أخيراً فى اتجاه التدوين الأبجدى مع ظهور الكتابة القبطية . وحدث هذا التطور تحت تأثير العلاقات التجارية عبر البحر المتوسط وفى ظلّ الهيمنة اليونانية ثم الرومانية . وما الكتابة القبطية سوى الأبجدية اليونانية التى أضيفت إليها سبع حروف مصرية ضرورية للتعبير عن الأصوات التى تفتقر إليها الأبجدية اليونانية . وتعتبر القبطية انعكاساً لحال اللغة المصرية فى القرن الثالث الميلادى ، وأصبحت بعد التخلى عن الوثنية كتابة الكنيسة والكنيسة وحدها ، حيث ظلت اليونانية ثم العربية هى الكتابة الرسمية . ومن هذا التاريخ أصبحت القبطية لغة الطائفة المسيحية فى مصر ، لتصبح اليوم لغة الطقوس والشعائر الدينية فحسب . وبفضل إلمام شامبوليون بها إستطاع أن يعيد تشييد أسس علم أصوات اللغة المصرية القديمة .

كانت الهيراطيقية هى الكتابة ذات الفائدة والمنفعة المؤكدة دون منازع . وكان يتدرب عليها التلاميذ فى مدارس إعداد الكتبة . ويسطر التلميذ الصغير أولى حروفه بالخط

التواريخ التقريبية	العصر	النوبة السودان	الوادى	الدلتا	الفيوم
٥٥٤٠ – ٤٥٠٠	الحجرى الحديث	الشهيناب الخرطوم شندى (الغابة)	البدارى (أ) الهمامية	مرمدة بنى سلامة	الفيوم (أ)
٤٥٠٠ – ٤٠٠٠	ماقبل الأسرات القديم	الشمرقى شندى (القدادة)	العمرة (نقادة١) البدارى (ب) (الخاطر)	العمرى (أ) حلوان	
٤٠٠٠ – ٣٥٠٠	ما قبل الأسرات الوسيط	المجموعة أ من جندل الأول إلى الثالث	جرزة (أ) (نقادة٢) جرزة (ب) (نقادة٢)	العمرى (ب) المعادى	
٣٥٠٠ – ٣٣٠٠	ما قبل الأسرات الحديث				
٣٣٠٠ – ٣١٥٠	العصر ما قبل الثينى				

شكل(٨) – جدول الترتيب الزمنى لنهاية العصر الحجرى الحديث

Vercoutter:1987,216

الهيراطيقى بواسطة القلم فوق شقف الفخار أو شظايا الحجر الجيرى التى أطلق عليها المحدثون عبارة " أوستراكون " **Ostracon** أو " أوستراكا " باليونانية (لَخْفة وجمعها لِخاف) . وهى من أيسر الوسائل المستخدمة فى الكتابة ، إذ يكفى للحصول عليها البحث قليلاً فى أكوام الأوانى المكسورة أو بين شظايا المحاجر . ويمكن أن يحل محلها الصلصال بعد تشكيله على هيئة ألواح صغيرة ويكتب عليه بواسطة سن رفيع . أما ورق البردى فقد كان أكثر تكلفة ، ولذلك اقتصر استخدامه على النصوص الأكثر أهمية كالمحفوظات والمعاملات المالية والنصوص الدينية والسحرية والعلمية والأدبية والتى يمكن أيضاً نقلها على لفائف الرق أو لوحات صغيرة مطلية بمعجون من المرمر أو الجير .

الوحدة السياسية :

هذه الملاحظات المرتبطة بنشأة الحضارة المصرية تفتح الباب لعقد مقارنات جديدة لمشكلة الوحدة النهائية بين شطرى الوادى التى ظلت مثار جدل طويل . فبعد انقضاء قرنين توحدت الحضارتان ، وتصور المصادر المصرية هذه العملية على أنها انتصار للجنوب على الشمال فى حين يتضح بجلاء من تحليل بُنى المجتمع مع وضعها فى مكانها الصحيح

، مدى تأثير الشمال ، أى الطرف المغلوب . وفيما مضى فتح " كورت زيته " **K.Sethe** وهرمان كيس **H.Kees** ملف هذه القضية (**Vandier: 1949, 24 sq**)فى وقت كان فيه سبر أغوار تاريخ عصر ماقبل الأسـرات يندرج تحت باب التأمل الذهنى . ومازال الوقت مبكراً للتفكير فى غلق ملف هذه القضية ، حتى وإن غدا فى مقدورنا من الأن فصاعداً تتبع المراحل التى أدت إلى نشأة المملكتين وما انتهت إليه المواجهة بينهما . وتصل فرضية " كيس " إلى أن هذا الواقع كان انعاكساً على مايبدو للاتحاد الأول للبلاد تحت زعامة الشمال . وقد انفصمت عـرى هذه الوحـدة لأسباب غامضة ، ثم أعـيدت من جديد بقيادة ملوك الجنوب الذين اكتفوا بالاعتماد على النموذج السابق . لقد ثبت بطلان هذه الفرضية استناداً إلى معطيات علم الآثار التى تسمح بتتبع التأثير المتزايد لحضارة الشمال على مصر الوسطى وأعالى الصعيد ، منذ حضارة ديرتاسا ومن البدارى حتى نقادة (**Kaiser : 1985**) .

ولاتسمح الأوصاف التى قدمها المصريون أنفسهم عن أحداث هذه المرحلة الموضوع فى هذا الاتجاه أو ذاك . وتتكون الوثائق المباشرة أساساً من الصلاياأرأيناها تظهر فى عصر البدارى والتى تعطينا فكرة عن اندماج الأسطورة فى التاريخ . هذه الصلايات عبارة عن نذور، بل إنها لم تصنع إلا لهذا الغرض فحسب . وهى موزعة بين نمطين رئيسين : يتضمن الأول أشكالاً حيوانية بسيطة ، فيتكون إطار الصلاية من جسم حيوان قد يكون سلحفاة أو سمكة أو فرس نهر إلخ ... أما النمط الثانى فهو أكثر تعقيداً ، ويمزج بين الأشكال الرمزية والتسجيل التاريخى ويظهر معه الإنسان ، وتخلّد المشاهد ذكرى أحداث نجد صعوبة فى تقييم مغزاها الحقيقى . إن المواقع التى اكتشفت فيها هذه الوثائق تؤكد المساحة التى انتشرت فيها حضارة جرزة . لقد غطت المناطق التى تبدأ من رأس الدلتا وحتى مدينة " هيراكونپوليس " عاصمة ملوك الجنوب المنادين بالوحدة . كما أن موضوعاتها قريبة الشبه من تلك التى تزخرف الأدوات المصنوعة من العظم على امتداد حضارة جرزة وحتى بدايات العصر الثينى ، وهى تصور عالم الحيوان من طويلات الساق والأسود والفيلة والثيران والأيائل والأفاعى وأفراس النهر الخ ... وجميعها حيوانات تعيش فى الوادى والمناطق شبه الصحراوية . ونشاهدها على شكل مواكب حيوانات أو فى مشاهد المواجهة بين آكلى اللحوم وآكلى العشب: **(Vandier: 1952 ,539q.,** 547) وأيضا بين الفيلة والأفاعى والثيران وبعضها البعض .

الصلايـــــات

وتوجد هذه الأشكال الحيوانية على الصلايات إلى جانب الأشكال البشرية أوبدونها . وقدمت لنا حفائر قرية " هيراكونپوليس" صلايتين من هذا النمط يحتفظ متحف اللوفر بإحديهما . وقد تحدد إطارها بواسطة كلاب تواجه بعضها البعض ، وبين أجسادها حيوانات من النمط الذى سبق الإشارة اليه فى تشابك وتداخل معقدين .: **(Vandier 579sq. , 1952)** كما نشاهد أيضاً ثعلبا زماراً ، وقد أصبح فيما بعد موضوعاً واسع الانتشار فى القصص المصرية ووصلنا عنه عدد كبير من الوثائق . ونشاهد على ظهر اللوحة حيوانين خرافيين استطال عنقاهما ليلتقيا حول بؤرة الصلاية وهى المدق الذى كان الكحل يصحن فيه .وتضم مجموعة الحيوانات الخرافية أمثال هذين الحيوانيـن . فقد وجدت من قبل على مقبض سكين جبل الطارف وهى موجودة على سطح صلاية "نعرمر" ، كما تذكرنا بسكين جبل العركى بوحوشه المتجابهة ...

أكانت هذه الحيوانات مجرد مخلفات عصر ماقبل التاريخ ؟ هل يمكن مقارنتها بما خلفه أسلافهم البعيدين فى كهوف ألتاميرا فى أسبانيا ؟ ولايوجد ما يبرر تصنيفها مع أحد أنواع المملكة الحيوانية ، فقد استعير كل تفصيل منها من شكل حيوانى مختلف حتى ظهرت هذه التركيبة الفريدة بمظهر الحيوانات المسوخ لتذكرنا بشكل غامض بالوحوش الضخمة وفصيلة السحالى. ولم تجتمع عناصر هذا التكوين على هوى الصدف بل هى دائماً حيوانات مخيفة، متوحشة ومفترسة . إنها تبرز دائماً أحد أجزائها المتميزة : من مخالب وخطوم وحوافر الخ... لقد افلتت هذه التكوينات من عالم الواقع لتصبح رموزاً لسطوة الحيوان التى يواجهها الإنسان عند تنظيم الكون. ويدفع محارب جبل العركى بساعديه وحشين يقفان وجهاً لوجه . أما الوحشان الأسيـــران على سطـــح صلاية " نعرمر" فقد ربطا من عنقيهما ليشكلا بؤرة الصلاية حيث يوضع الكحل . إن تدخل الانسان على سطوح الصلايات يصبو على الدوام إلى تنظيم الخليقة . وهذا الاتجاه واضح جلّى فى صلاية "النعام" وفى الصلاية التى تعرف اصطلاحاً بصلاية "الصيد" التى يتقاسم أجزاءها المتحف البريطانى واللوفر . هذه الصلاية أكثر وضوحاً فهى تصور حملة منظمة هدفها قتل الوحوش وأسرها أيضاً. ونشاهد على سطحها أسوداً وقد إشبعها الصيادون طعناً بالسهام ، فى حين تطارد الكلاب الماعز والأيائل تمهيداً لأسرها.

وقد تسلح الرجال بالأقواس والحراب والبلط وعصى الرماية ومقامع كمثرية الشكل، وانتظموا فيما يشبه الفرق العسكرية خلف ألوية تمثل الصقر محمولاً على عمود والعلامة



شكل(٩) - وجه وظهر صلاية" هيراكونبوليس"(نخن، الكوم الأحمر)

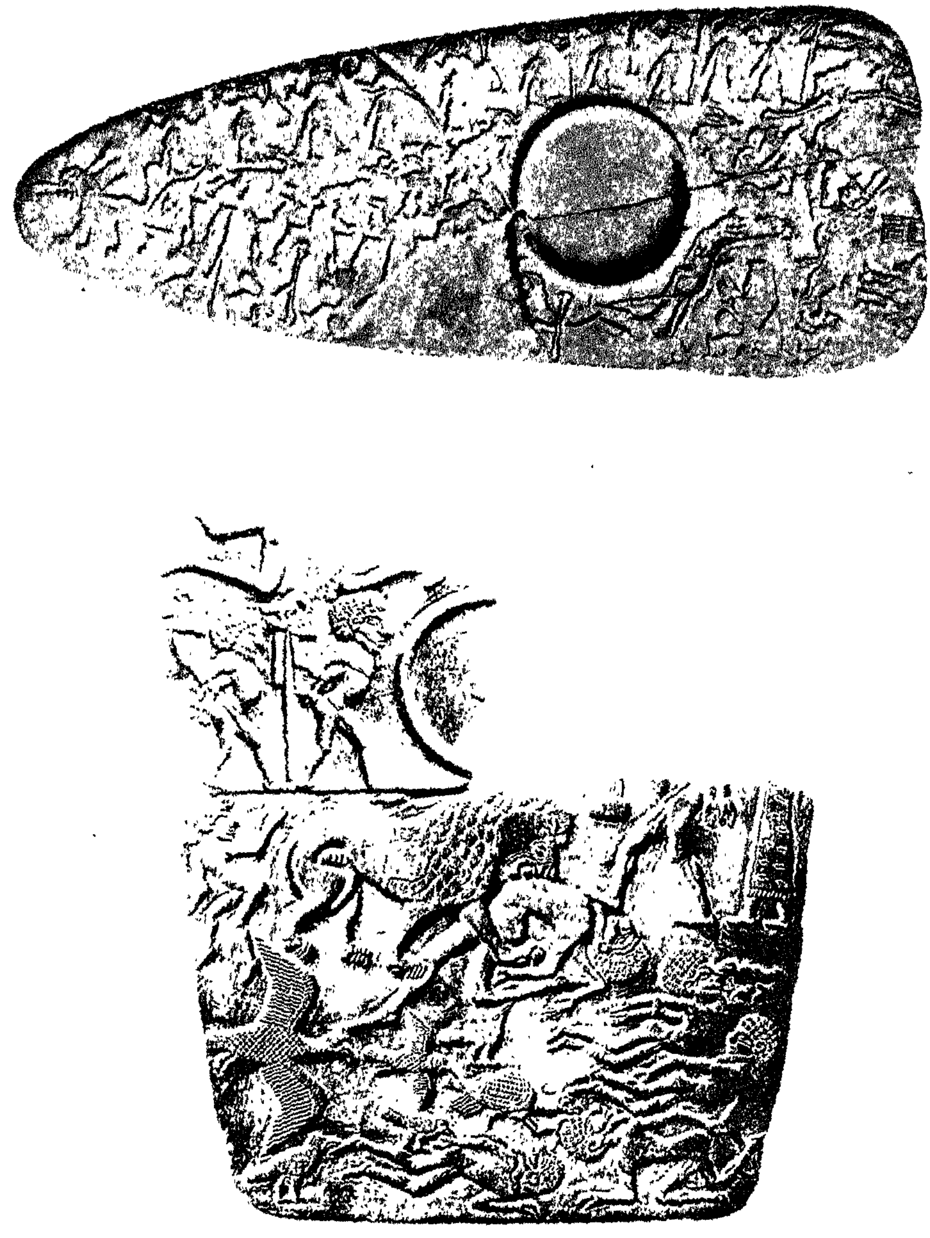
التى تستخدم فى الكتابة للدلالة على الشرق. كما صورت على سطح الصلاية مقصورة للإله، وثور ذو رأسين يذكرنا بالجزء العلوى من صلاية نعرمر.

أما صلاية " العقبان" المحفوظة فى المتحف البريطانى ومتحف اشموليان فهى تروى لنا مصادمات بشرية محض ولكن بأسلوب رمزى . وتصور الصلاية محاربين يبدو من ملامحهم أنهم ليبيون فهم ملتحون وشعرهم طويل ويرتدون قراب العورة. ويسير أسيران أوثقت أذرعتهم خلف ظهريهما ويقودهما لوا ءان شبيهان بألوية صلاية الصيد. وفى هذه الحالة يصبح الرمز واضحاً كل الوضوح . فالأسد إلى جانب الثور هو من الصور الرئيسية المفضلة المعبرة عن سلطة الملك. وهو الضامن لهيمنة مملكة الصقر على شعوب الشمال، تعاونه فى مهمته أنثى العقاب ، الإلهة الحامية لمدينة هيراكونپوليس . وفيما بعد يصبح الصقر إله عصر الأسرات .

وهناك مراحل أخرى لتجسيد هذا الفتح. نذكر على سبيل المثال الصلاية المعروفة اصطلاحاً بصلاية "الثيران" المحفوظة فى متحف اللوڤر. ويصور المنظر الرمز الثانى لسلطة الملك وهو الثور، ونراه يبقر أحد أهالى الشمال بقرنيه فوق موكب أسرى شُدّ وثاقهم بحبل واحد مربوط بشارات الممالك الخمس المتحدة . ويصور ظهر الصلايةَ أســواراً مسننة تضم كل منها إسم المهزومين مكتوباً بالعلامات المرسومة .

كمــا يوجد شاهدان على الطور الأخير والنهائى لعملية الفتح ومصدرهما أيضاً هيراكونپوليس . الأول عبارة عن رأس مقمعة لأحد الملوك الذى يظهر واقفاً وعلى رأسه تاج الجنوب الأبيض ويرتدى سروالاً ونقبة يتدلى من حزامها ذيل ثور . ويهم الملك بشق قناة بواسطة فأس كبيرة فى حين يملأ أحدهم قفة بتراب الأرض ، وانشغل بعضهم قرب مجرى ماء بجوار شجرة نخيل وضعت فى إصيص . أما الملك الذى دون اسمه بعلامة مرسومة تمثل عقرباً فقد صور بقوام فارع بطولى وسط مشاهد عرفان الجميل، وتحت صف من الألوية ، هى مقدمة لما سيصبح فيما بعد مقاطعات البلاد. وقد ربطت بهذه الألوية طيور الزقـــزاق "الرخيت " التى تشير إليها النصوص اللاحقة على أنها تمثل سكان الوجه البحرى .

وتمثل صلاية "نعرمر" المحفوظة فى متحف القاهرة المرحلة الأخيرة من الوحدة . وقد دوّن على سطح ظهر الصلاية إسم الملك بواسطة علامتين هيروغليفيتين : السمكة "نعر" والإزميل "مر" . ونرى الملك وقد ارتدى زياً شبيهاً بزى العقرب ، والتحى بلحية



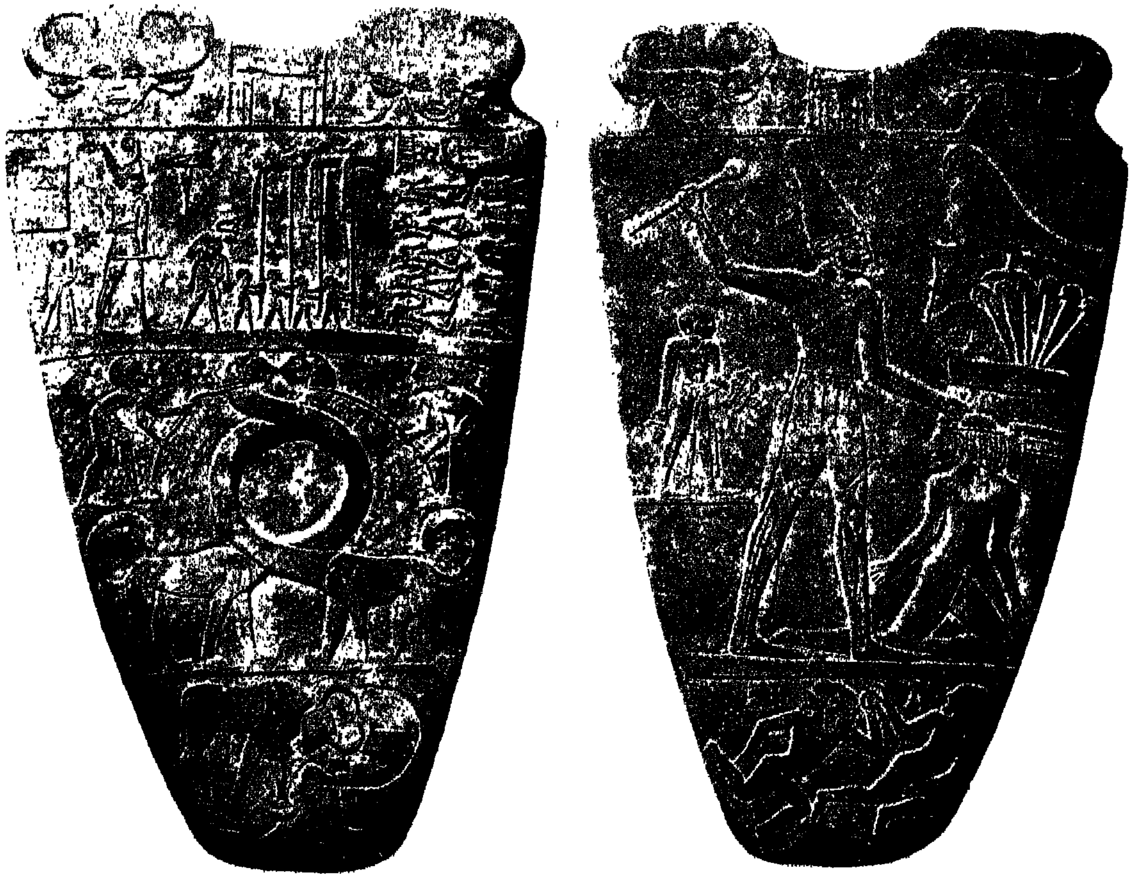
شكل(١٠) - وجه صلاية الصيد(مرممة) وصلاية العقبان





شكل (١١) - رأس مقمعة العقرب - رأس مقمعة نعرمر .

مستعارة، ويقبض بيده اليمنى على مقمعة كمثرية الشكل ويهم بتحطيم رأس أحد المحاربين من أهالى مملكة الشمال كما يتضح من التصوير القائم فوق رأسه . إنه الصقر ممثل "حورس" الجنوب وقد أمسك برأس يطل من دغل من نبات البردى ، وسار خلف الملك حامل النعلين ، وتحت قدميه سجى اثنان من أعدائه قتلى. وعلى وجه الصلاية منظر مماثل للذى شاهدناه على سطح رأس المقمعة، وعلى جانبى مدق الكحل الذى أشرنا إليه من قبل يوجد صفان من النقوش يؤكدان انتصار "نعرمر" . ففى الصف الأسفل نشاهد ثوراً يحطم سوراً مسنناً ويطأ بحوافره عدواً مهزوماً . ونشاهد فى الصف العلوى الملك وقد ارتدى هذه المرة تاج الشمال الأحمر . وقد دون أمامه اسمه تأكيدا على أنه " نعرمر" وليس شخصاً آخر . ويسير من خلف الملك حامل النعلين ويتقدمه حاملو ألوية المقاطعات المظفرة ورجل اعتبره العلماء الصورة الأولى لمن سيصبح فيما بعد الوزير . وفى المقدمة ، وتحت رعاية "حورس " المنتصر ، اصطف القتلى فى صفين ورؤوسهم بين سيقانهم فى رحلة الحج إلى مدينة بوتو المقدسة ويؤكد هذا النصر ما ورد فى نقوش على سطح



شكل (١٢) – صلاية نعرمر الوجه والظهر .

مقمعة أخرى لنفس الملك نعرمر **(Vandier : 1952, Fig 394, p603)**:
فنشاهد الملك منتصباً تحت مظلة عيد اليوبيل فى صحبة نفس الأشخاص وفى حماية نفس الشارات ، وقد مثل الأسرى بين يديه لتقديم فروض الطاعة والولاء . كما نشاهد أيضاً "مئات الألوف" من الحيوانات ، وهو مايصعب تصديقه. إلا أن المتن المصاحب للنقش يؤكد ذلك ! ومما هو جدير بالملاحظة ان هذه الحيوانات ، وإن كانت حرة طليقة فى الماضى ، إلا أن النقوش قد وضعتها داخل مرابض مسورة .

وتدعم هذه الوثائق وثائق أخرى، نذكر منها على سبيل المثال الصلاية المعروفة اصطلاحاً باسم "صلاية الجزية الليبية" . وهى جميعها تعزز الافتراض الذى يؤكد الدور الذى لعبه تنظيم الرى فى نشأة الحضارة . ولا مندوحة من الإقرار بأن مشاريع الرى قد واكبت وتزامنت مع نشأة الدولة ، وهى الدولة التى ضمت بين جانبيها أركان السلطة المصرية بدءاً بالديانة وصولاً إلى الكتابة مروراً بالاقتصاد والسكن وهياكل الأجهزة الحكومية **(Butzer : 1976)** .

الفصل الثانى

الديانة والتاريخ

شارات المقاطعات

تُظهر الوثائق ارتباطاً بين الرموز الحيوانية وبين مراحل الغزو المتعاقبة مما يشير إلى اندماج الأسطورة فى التاريخ اندماجاً مباشراً . وقد خلص العلماء إلى أن الشارات التى عاشت على امتداد الحضارة المصرية رمزاً للمقاطعات التى تنقسم اليها البلاد، لها أصول طوطمية فى إطار ديانة تقدم تفسيراً للوجود ترجع إلى عصر ما قبل الأسرات (Moret: 1923) . والشارات هى رموز واضحة ومؤكدة : فيمثل " أبو حراب " الناهض فوق حامل – منطقة بنى حسن ، و" الأرنب" منطقة الأشمونين المجاورة ، و "السمكة" منطقة منديس فى الدلتا الخ... ومن المغرى حقاً أن ننظر الى الأمر على اعتبار أن الشارة رمز يعبر عن اتحاد يضم وحدة جغرافية أو وحدة قبلية التفت حول أحد الارباب . ونذكر على سبيل المثال السهمين والترس شارة الإلهة "نيت" فى سايس والصولجان "واست" فى طيبة ، ورفات رأس " أوزيريس " فى أبيدوس . وقد تجسد الشارة بنية سياسية . ونذكر على سبيل المثال "الجدار الأبيض" الذى يمثل أسوار منف و " أرض القوس " التى تشير إلى المقاطعة الحدودية فى النوبة السفلى التى ألحقت بمصر عن طريق الفتح .

ويفترض أن كل شارة من هذه الشارات تمثل مرحلة أولى فى تكوين مصر السياسى: وأياً كانت الجماعة البشرية الأساسية فقد توحدت مع طوطمها الذى يمثل القوة الإلهية المهيمنة على الصعيد المحلى. وتفترض هذه المرحلة التكوينية وجود قصص خلق الكون التى تعكس على أكمل وجه مراتب القوى التى تم رصدها من خلال التجربة العملية . وبعبارة أخرى فلا بد أنه قد تشكل اتحاد للآلهة المحلية حول الإله الخالق . ويتكرر الأمر مع كل "عائلة " إلهية فى عاصمة المقاطعة التى تعبد فيها . وهكذا تأسس مقام الاتحاد فى مكان مقدس يدل عليه الحرم الإلهى . هذا إلى جانب حرم السلطة الذى ينهض على أساسه : كالجدار الأبيض أو رفات أوزيريس .

وقد أوضحت الجغرافيا الدينية هذه القواعد ، فحددت أماكن الأحرام بدقة متناهية فى إطار المجموع الذى صارت جزءاً منه واعترفت لها على الصعيد المحلى بمكانة ، هى ترجمة للنظام الكونى الذى اندمجت فيه : فينسب لكل إله بصفته رأس عائلته الدور الذى

يضطلع به الخالق الكونى على رأس جماعة الآلهة . ومن هنا نشأ تماثل فى النظام المادى للشعائر وتنظيم هذه الأماكن أياً كان الإله .

ولا يشفى التفسير الطوطمى للديانة غلتنا تماما ، بداية لأن النظام المصرى لا يلمّ بشتى العناصر الطوطمية ، كما أن هذا التفسير لا يتفق مع تصور الآلهة فى هيئة بشرية ، ولا مع الإنتقال إلى التجريد فى قصص الخلق التى ترجع إلى العصور التاريخية ، أو مشلكة الأقنوم الإلهى الحساسة التى تقع فى صلب النظام الثيوقراطى : Assmann) (1984 . ولكن لا يمكن استبعاد وجود نقاط اتفاق مع بعض المفاهيم الطوطمية ذات السمات الإفريقية دون أن يصل الأمر إلى استعارات بنيوية من هذه النظم .

قصص الخلق .

وعدد قصص الخلق ثلاث ، إلا انها فى حقيقة الأمر ليست سوى روايات متنوعة ذات صبغة سياسية لموضوع واحد: وتتم عملية الخلق بواسطة الشمس انطلاقاً من العنصر السائل علي اعتبار أن فيضان النيل السنوى هو نموذجه الأسمى . ونشأت قصة الخلق الأولى فى مدينة هليوبوليس ، المدينة المقدسة العتيقة ، وهى اليوم من ضواحى القاهرة . وكان الملوك فى الماضى يزورونها بعد اعتلائهم العرش تثبيتاً لسلطانهم وتأكيداً له . والخلق فى قصة هليوبوليس هى أولى القصص، ليس لأنها الأقدم تاريخياً فحسب بل لأن رجال اللاهوت استمروا يضيفون إليها على مر السنين .

والإطار العام لهذه القصة يشبه الخطوط العريضة لغيرها من القصص . ففى البدء كان " نون" العنصر السائل الجامح أو "الخواء" كما يترجمه البعض: وهو ليس بالعنصر السلبى، إنما هو كتلة لم تتشكل بعد ، لا حركة فيها ولا حياة ، تحتوى على بذور الحياة الكامنة . بل إن هذا العنصر لا يتوارى بعد عملية الخلق. بل يتخذ مقامه عند تخوم العالم الحى . ويهدد باجتياحه بصفة دورية كلما اهتز توازن الكون . إنه مقام القوى السلبية المتحفزة دائما للانقضاض، ومقام كل ما لا يخضع لمقولات الكون بصفة عامة . إن النفوس المعذبة التى لم تحظ مثلاً بالطقوس الجنائزية المواتية ، أو المواليد الذين ولدوا موتى فلم تسعفهم قواهم للولوج إلى العالم الحسّى ، يهيمون فى هذا المكان كالغرقى على غير هدى .

والشمس التى تجهل كل شىء عن أصلها قد انبعثت من هذا الخواء . " لقد خرج إلى الوجود من تلقاء ذاته" . وجاء ظهوره فوق أكمة من اليابسة فرشت برمال طاهرة، برزت

بعد انحسار الأمواه . وأخذت أبعاداً مادية فوق حجر مرتفع يعرف باسم "بن بن" ، كان محل تبجيل وعبادة فى معبد مدينة هليوبوليس على اعتبار أنه المكان الذى شهد عملية الخلق. وتشير الأكمة بوضوح إلى "التل" الذى يبرز بعد انحسار مياه الفيضان العالية. أما حجر "بن بن" فهو أشعة الشمس وقد تحجرت . وقد عُبد هذا الحجر على هيئة مسلة ناقصة تنهض فوق قاعدة مربعة . هذا الإله الذى خلق ذاته، هو على التوالى "رع" أى الشمس ذاتها أو " أتوم"أى الكائن الكامل التام بمعنى الكلمة ، أو " خپرى " الذى يمثل على هيئة جعران واسمه يعنى " التحول " ، على غرار ما تفعله الحشرة عندما تدفع أمامها كرة الروث .

لقد خرجت الخليقة من مَنِىّ الإله الخالق . لقد اتحد جنسياً مع ذاته فأنجب زوجاً من الآلهة : الإله "شو"، رب الجفاف والإلهة "تفنوت"، ربة الرطوبة التى يعنى اسمها البصاق. وهى من الوسائل الأخرى لإخراج مادته الإلهية حسبما ورد فى اسطورة "إيزيس" و "رع" . ومن اتحاد الجفاف والرطوبة ولد زوجان آخران ـ امرأة ورجل ـ هما السماء "نوت" والأرض "چب". ورزقت السماء والأرض اربعة أولاد هم: "إيزيس" و "أوزيريس" و "ست" و"نفتيس" . ويربط هذا التاسوع الإلهى الموزع على أربعة أجيال بين الخليقة والبشر، ومع الجيلين الأخيرين نصل إلى حكم البشر بفضل احتواء أسطورة " إيزيس" و " أوزيريس " على نموذج للآلام التى هى من نصيب البشر . والزوجان الثانيان- "ست" و "نفتيس" عاقران، فى حين أن الزوجين الأولين خصبان ، ويعتبران النموذج الأسمى للعائلة المالكة . كان "أوزيريس" ملكاً على مصر، واغتيل غيلة على يدى أخيه "ست" الذى يجسِّد المقابل السلبى العنيف للقوى المنظمة التى يرمز إليها ملك مصر . واستولى "ست" على عرش "أوزيريس" بعد مقتله . أما " إيزيس" فهى نموذج الزوجة والأرملة . وقد عاونتها أختها "نفتيس" على تجميع أشلاء جسد زوجها الممزق. أما :" انوبيس"- ابن آوى - الذى ولد على ما يقال من علاقة غير شرعية بين "نفتيس" و " أوزيريس" فقد هب لمساعدة "إيزيس" على تحنيط الملك المتوفى . وقد أنجبت "إيزيس" بعد وفاة زوجها ابنا هو "حورس" سمّى إله الشمس فى إدفو وقد تجسد على غراره فى صقر. وأخفته "إيزيس" فى مستنقعات الدلتا على مقربة من مدينة بوتو بالتواطؤ مع الإلهة "حتحور" البقرة المرضعة . ولما كبر واشتد عوده دخل فى صراع طويل ومرير مع عمه " ست " وحصل من محكمة الآلهة المنعقدة برئاسة جده الإله "چب" على نصيبه من تركة أبيه الذى عُهد إليه بمملكة الموتى ...

تلك هى الخطوط العريضة لحكم الآلهة - التى كان يحلو لرجال اللاهوت أن يطعموها بعدد من الأساطير الثانوية أو التكميلية فيضموا إليها أحد الآلهة المحليين أو يجمّلوا ما قام به فى قصة الخلق أو بالدمج التوفيقى بين مجموعات الآلهة . ويؤدى كل ذلك إلى تشابك الأساطير تشابكاً معقداً ، فتتداخل فيما بينها وتبرز مشاهد حكم الآلهة للأرض ، فينفعلون كما ينفعل البشر، إلا أنه يندر الحديث عن عملية خلق البشر أنفسهم، ويبدو أن خلقهم قد تزامن مع خلق العالم، وربما كانت أسطورة "عين رع" هى الاستثناء الوحيد . لقد فقد إله الشمس عينه ، فأرسل ولديه ، "شو" و "تفنوت" للبحث عن العين التى هربت . وينقضى الزمن ويمر دون أن يعودا ، فيقرر أن يتخذ لنفسه عيناً بدلاً من العين الغائبة . وفى هذه الأثناء تعود العين الغائبة لتكتشف أن هناك من حلّ محلها ، فتذرف دموعها من شدة الغيظ . ومن دموعها "رموت" ولد البشر "رمث". عندئذ حول "رع" العين العائدة إلى كوبرا وثبتها على جبينه . إنها الصل المنوط به القضاء على أعداء الإله. لقد اتخذت حكاية خلق البشر طابعاً استثنائياً جداً اذ تعتمد أصولها على التلاعب بلفظى "دموع" و"بَشر"، وهى أمور ظل رجال اللاهوت مولعين بها .

ومرّ موضوع العين المصابة أو المستبدلة بعدة أطوار: فهو يفسر مولد القمر، عين الإله "رع" الثانية التى سُلِمت للإله "تحوت" الإله الكاتب الممثل برأس أبى منجل المقدس، أو عين "حورس" السليمة . وواقع الحال أن "حورس" قد خسر عينه فى خضم الصراع الذى خاضه ضد "ست" للسيطرة على مملكة مصر . ويبدو أن "تحوت" قد أعاد اليه عينه لتصبح النموذج الأسمى للكمال البدنى. ولهذا السبب تصور العين عادة على التوابيت فتضمن للمتوفى قيام البدن بكامل وظائفه .

ومع حلول الليل وخلال رحلته المسائية فى العالم الآخر تصارع "رع" ، ملك الآلهة ، مع أعدائه الألداء بزعامة "أبوفيس" الذى يجسد القوى السلبية ، ليحافظ على سلطاته ويجهض محاولاتهم كل ليلة لسلب هذا السلطان منه . ويتولى "حورس" قيادة حاملى خطاطيف القارب الإلهى ليساعد "رع" على إلحاق الهزيمة بالقوى السلبية ، وهو تأكيد جديد على تأثير الأسطورة الشمسية والأسطورة الأوزيرية. أما المحاولات المبذولة ضد ملك الآلهة فانها تتخذ أحياناً مساراً غير متوقع . فمثلاً تحاول "إيزيس" الساحرة العظمى أن تتسلط على "رع" الذى أصابته الشيخوخة ، فتشكل ثعباناً من الصلصال المندى بلعاب الإله الذى سال من فمه وهو يهم لينير الكون مع مطلع النهار ، وتدفع به ليلدغ لإله ، فيصاب الملك الإلهى بنفس القوة التى انبعثت من جسده : وطلباً للنجاة اضطر أن يبوح

لصانعة هذا السحر بسر طاقته الحيوية الكائن فى أسماءه "كاوّ" الإله . وكان هدف " إيزيس" من معرفة أسماء " رع " الخفية أن تتسلط عليــــه وتسيطر... ولاريب أن الإله العجوز قد تمكن من إحباط مخططات الساحرة . ولكن النص يتوقف عند هذا الحد ، ليحرمنا من نهاية القصة .

كما عرفت مصر أيضاً أسطورة ثورة البشر ضد الخالق الذى يقرر القضاء عليهم عملاً بمشورة مجلس الآلهة . وذلك حين أرسل عينه إلى الأرض على هيئة الإلهة "حتحور" كمبعوثة الغضب الإلهى. وفى يوم واحد افترست حتحور جزءاً من البشر ثم استلقت لتنام . ورأى "رع" أن يكتفى بهذه العقوبة ، فقام خلال الليل بسكب الجعة التى اختلطت بمياه النيل لتصبح فى لون الدم. وعندما استيقظت الإلهة أخذت تلعق هذا الشراب حتى ثملت، وهكذا نجت البشرية . ولكن بعد أن خاب ظن "رع" فيها قرر الانسحاب إلى السماء ، فاستقر فوق ظهر البقرة السماوية التى يرفعها الإله " شو " . وسلم إدارة شئون الأرض إلى " تحوت " كما سلم الثعابين وهى رموز الملكية إلى إله الأرض " چب " . وهكذا تم الفصل بين الآلهة والبشر فصلاً لا رجعة فيه ، وبعد أن شغل كل منهم مكاناً محدداً فى الكون الذى عرف من الآن فصاعداً بالمكان "چت" والزمان "نحح". وتذكرنا اسطورة تهدئة الغضب بأسطورة الإلهة البعيدة : ففى سورة غضب ، هامت لبؤة فى منطقة النوبة حيث بثت الرعب فى نفوس سكانها. وأرسل إليها رع مبعوثاً ليصطحبها ويعود بها إلى مصر بعد أن هدّأ من روعها وحولها إلى قطة اختارها إله الشمس حارسة له .

وهكذا تفوقت قصة هليوبوليس للخلق بفضل استيعابها للأساطير الرئيسية فى البلاد. ولكنها لم تكن القصة الوحيدة، فقد ابتكرت مدينة هرموپوليس ، الأشمونين حالياً، قصة خلق خاصة نافست بها لفترة قصة مدينة هليوبوليس . وتقع مدينة الأشمونين على مسافة تناهز الثلاثمائة كيلومتراً جنوبى القاهرة ، وكانت عاصمة الإقليم الخامس عشر من أقاليم الوجه القبلى. أما الطريقة التى تتناول بها مشكلة الخلق فهى على النقيض من طريقة أسطورة هليوبوليس. فالشمس هى الحلقة الأخيرة فى الخليقة وليست الأولى . ولكن تظل نقطة البدء واحدة . إنه خواء المحيط الأزلى الذى لا حياة ولا حركة فيه ، حيث يمرح أربعة أزواج من الضفادع والحيات . وتتضافر جهودها لخلق ووضع بيضة فوق تل بزغ من المياه ؟ ويتكون كل زوج من هذه الازواج من عنصر ورفيقته . أولا "نون" و "نونت" – وهو المحيط الأزلى الذى ضمته أسطورة مدينة هليوبوليس إلى قصتها، ثم

" حـوح " و"حـوحت " ، أى الميـاه التى تبحث عن طريقها ، ثم " كوك " و " كوكت" - أى الظلمات ، وأخيراً "آمون" - الإله الخفى وزوجته "آمونت". وفيما بعد عندما أصبح الإله "آمون" إله الأسرة الملكية الحاكمة، بعد أن كان العنصر الأخير من عناصر الثامون، تولى كهنة طيبة تكوين "عائلة إلهية" - تميزت بطابع بشرى متعاظم ضماناً للانتقال من الخلق إلى حكم البشر على غرار ما حدث مع عائلة مدينة هليوبوليس .

إن قصتى الخلق فى مدينتى هليوپوليس وهرموپوليس ، إلى جانب الأساطير الشعبية كأسطورة " أوزيريس " تجمع بين عناصر شتى انبعثت من أعماق الأساس الحضارى الواحد، ولهذه العناصر ما يضاهيها فى الحضارات الإفريقية : ويمكن عقد مقارنة بين "أنوبيس" وبين ابن آوى عاشق المحارم فى دوره كپرومثيوس عند شعب الدوجون فى مالى، حيث تنهض قصة الخلق أيضاً علـى أسـاس ثمانـية آلهة . ويمكن أن نعدد هذا النوع من المقارنات : فيظهر فى الحالتين " آمون " على هيئة كبش سماوى من ذهب يتحلى جبينه بقرنين معقوفين وكرنيب يشبه قرص الشمس . كما يذكرنا "أوزيريس" بالإله الذى تتزامن قيامته مع نمو نبات الشوفان . ومن ناحية أخرى إذا تركنا الإله الخالق جانباً فان الانسان يتكون فى الحضـارة المصرية وفـى الحـضارات الافريقـية من نفس ومن طاقة حيوية (Griaule : 1966, 28-31, 113-120; 66; 194 sq) أطلق عليها المصريون "با" و"كا" ...

من الأسطورة إلى التاريخ

أما قصة الخلق الثالثة فهى أرقى بكثير من الناحية اللاهوتية . وقد وصلتنا من خلال وثيقة فريدة من زمن متأخر ترجع إلى عهد "شاباكا" ملك كوش على عتبة القرن السادس قبل الميلاد . إنها لوحة ضخمة من الجرانيت عثر عليها بمعبد "پتاح" فى منف وهى من مقتنيات المتحف البريطانى حاليا. ونقلت من أصل قديم هو عبارة عن بردية "أكلتها الديدان" . وتجمع عناصر القصتين السالفتين مع الاعتراف بدور الإله المحلى "پتاح" كإله خالق . بل يمكن القول أن عناصر قصة مدينة هليوپوليس والأسطورة الأوزيرية قد احتلت مركز الصدارة عند بسط آلية الخلق الذى يحدث من خلال عملية مشتركة بين الفكر والكلمة .

من المؤكد اذن أن هذا النص يرجع إلى الدولة القديمة عندما تصدرت مدينة منف زعامة البلاد ، والى الأسرة الخامسة على الأغلب ، وهو العصر الذى شهد انتصار عقيدة

هليوبوليس انتصارا قاطعاً. كما أن حجر " بالرمو " يرجع أيضاً إلى الأسرة الخامسة ، وهو أول وأقدم مستند معروف من نوعه، وقد اختطّ لنفسه هدفاً واضحاً فأراد استعراض التواصل بين البشر والآلهة .

ويندرج حجر بالرمو ضمن مجموعة الحوليات التى وصلتنا بأعداد كبيرة إلى حد ما على هيئة قوائم ملكية ، وقد تُذيل فى بعض الأحيان بالشروح والمتون . وأشهر هذه الحوليات مؤلف مانتون أحد كهنة سبنيتوس (سمنود حالياً - وتقع على البر الغربى من فرع دمياط بالدلتا) ، وقد عاش خلال العصر اليونانى فى عهد بطليموس الأول والثانى . ونديـن له بالتقسيم الزمنى لتاريخ مصر إلى ثلاثين أسرة ابتداء من توحيد البلاد على يدى "مينا " الذى اعتبر هو و " نعرمر" ملكاً واحداً ، وحتى الغزو المقدونى . وللأسف لم يصلنا كتابه "إيجپتياكا" (أى تاريخ مصر) إلا بشكل جزئى ونقلاً عن مؤلفات أحدث (Helck: 1956) . أما القوائم السابقة فترجع معظمها إلى عصر الرعامسة . وأهمها بردية دونت فى عهد رمسيس الثانى ويحتفظ بها متحف تورين ، وكان شامپوليون أول من قام بدراستها ، وتحتوى على قائمة ملوك موزعين على أُسرات بدءاً من الأسرة الأولى وحتى الدولة الحديثة. وأغلب الظن أن القوائم الملكية قد نُقلت عن أثبات مشابهة ، ونذكر منها قائمة حجرة الأجداد فى الكرنك وهى من مقتنيات متحف اللوڤر حاليا ، وقائمة المعبد الجنائزى لسيتى الأول فى أبيدوس ، والقائمة التى عثر عليها فى سقارة فى مقبرة " ثونرى " وهو من معاصرى رمسيس الثانى وغيرها من القوائم الأقل شأناً (Grimal : 1986, 597 sq).

وحجر بالرمو لوح من الحجر الأسود ، ناقص وغير كامل ، ويضم قائمة ملوك تبدأ بالملك "عحا " أول ملوك الأسرة الأولى وآخر اسم مدون عليه هو " نفر إركا رع " ثالث ملوك الأسرة الخامسة . وقد سلم الحجر لمتحف بالرمو عام ١٨٧٧ تنفيذاً لوصية . ومنذ ذلك التاريخ ظهرت ستة أجزاء جديدة وهى محفوظة الآن بالمتحف المصرى بالقاهرة وبمتحف جامعة لندن . ويدور السؤال بين العلماء حول ما إذا كانت هذه القطع أصلية ، وما إذا كانت جميعها أجزاء من حجر بالرمو نفسه . ويحتدم الجدل حول هذا الموضوع منذ ما يقرب من قرن من الزمن .

وتذكر الأجزاء الموجودة فى القاهرة أسماء ملوك يرتدون فى البداية تاجى الصعيد والدلتا على التوالى . لقد حافظ مانتون وجدول تورين على إطار أسلوب الحوليات ، إلا إنه يربط بين أصول الأسرات الحاكمة وأصول خلق العالم ، ويتم إدماج الأسطورة فى

التاريخ بالعودة إلى العصر الذهبى عندما حكم الآلهة الأرض . وتنقل قوائم الملوك معطيات قصص خلق العالم لا سيما قصة منف . ففى البدء كان المؤسس "پتاح" الفخارى الذى خلق البشر على عجلته . فشكل الوعاء الذى استقرت فيه الشرارة الإلهية ، فصنعه من الصلصال وهى مادة كانت دائما فى متناول الإنسان . وخلفه رع . إنه الشمس خالق الحياة ومبدد الظلمات. إنه نموذج الملك الأسمى: وقد خلفه على العرش "شو" رب الهواء الذى فتق الأرض والسماء .

هكذا استقرت مواقيت الخلق الرئيسية وتحددت . ولم يخطئ جامعو نصوص مانتون الاغريق، فقد اعتبروا أن الإله المصرى "پتاح" هو الإله الإغريقى هفايستوس الإله الحداد . و "رع" هو هليوس إله الشمس . أما "شو" وخليفته " چب " أى الأرض فقد تقاسما وظيفة كرونوس وزيوس عند ديودورس الصقلى الذى اعتبر "چب" أبا البشر. فالتاريخ امتداد للأسطورة . وفى نظر المصريين لا يوجد أى انقطاع بين الآلهة والبشر، بل تواصل واستمرارية . فمجتمع البشر تكرار يومى لعملية الخلق ، ومن ثم فهو انعكاس لنظام الكون على جميع مستوياته . والطريقة التى يتشكل من خلالها تسير عن قصد على نسق تشكيل الكون ، الأمر الذى ترك بصماته على التحليلات المعاصرة التى تدور حول هذا المجتمع .

خلف "أوزيريس" "چب" . وبعد اغتصاب " ست " لمقاليد الحكم اعتلى " حورس" عرش البلاد . ويذكر جدول تورين مجموعة من ثلاثة آلهة : " تحوت " الذى سبق أن شرحنا دوره ومهمته و" ماعت " وإله يدعى " حور " ولكن باقى اسمه مفقود ... وتحتل "ماعت" مكانة متميزة فى مجمع الآلهة . وهى ليست إلهة بمعنى الكلمة، بل بالأحرى كيان مجرد يمثل التوازن الذى وصل إليه الكون بفضل الخلق، أى التوافق مع حقيقة طبيعته : ومن ثم فهى مقياس كل شىء بدءاً بالعدل وحتى اندماج روح المتوفى فى النظام الكونى بعد المحاكمة الأخيرة . فهى التى توازن وزن الروح فى ميزان " تحوت " ، وهى أيضا غذاء الألهة فتمنحهم الانسجام والتوافق . وكان عهد "ماعت" العصر الذهبى ، ومهمة كل ملك العمل على أن يسود هذا العصر من جديد من خلال مواجهة القوى السلبية التقليدية التى تسعى يومياً لوقف مسيرة الشمس . إن "ماعت" نقطة البداية لكل دورة من تاريخ دورى .

وخلفهم تسعة آلهة شبههم "يوسابيوس" بأبطال الإغريق، وشأنهم شأن هؤلاء الأبطال ، فقد مهدوا للانتقال الى الحكم الذى أسسه البشر. إنهم " أرواح " (" آخو")

هيراكونبوليس وبوتو وهليوبوليس . ثم تنتهى هذه المجموعة ب " أتباع حورس" . ولا ريب أن الأمر يعكس الصراعات التى مهدت لوحدة البلاد والتى كانت سبباً كما تعترف بردية " تورين " فى ظهور العديد من العائلات المحلية . وتبرز البردية "مِنِى" أول "ملك لمصر العليا ومصر السفلى" (نيسوبيتى) والذى تكرر البردية إسمه مرتين ، ولكن مع وجود فارق هام . ففى المرة الأولى كتب الإسم بمخصص بشرى بينما كتب فى المرة الثانية بمخصص إلهى . ,(Gardiner:1959, pl. I; Malek, JEA 68 (1982), 95) وعرف "مِنِى" عند إيراتوستين ومانتون باسم "مينيس" . فهل "مِنِى" هو "نعرمر" أم أنها مجرد وسيلة اعتادت عليها النصوص القديمة لتسمية من ضاع اسمه وسقط فى طى النسيان ، كما نقول الآن "زيد من الناس؟" نذكر على سبيل المثال الملك " العقرب" أو غيره ممن لم تصلنا أسماؤهم . ولكن الغموض يحيط بالاسباب التى وراء تسميته باسمين مختلفين . هل لأن وضعه القانونى قد تغير من "زيد من الناس" الى " الملك فلان " ؟ فتغير اسمه كما تغير وضعه القانونى. فهل اعتبرته الوثيقة تجسيداً جماعياً دون تحديد فرد بعينه لمجموع الزعماء المحليين القابضين على ناصية السطلة وقد انصهروا فى نموذج أسمى للوحدة ؟ وربما يفسر ذلك عدم اعتراف حجر بالرمو سوى بالملك "عحا" كأول ملوك مصر الموحدة والذى قد يكون الاسم "الحورى" اى اسماً آخر لـ "نعرمر- مينا" .

الفصل الثالث
العهـــد الثيـــنى

الملوك الأوائل

وأيا كان الحل المقبول ، يأتى " عحا " على رأس ملوك الأسرة الأولى التى لقبها مانتون، هى والأسرة الثانية، "بالثينية" نسبة الى " ثنى" مسقط رأس ملوكها المفترض . وتقع " ثنى" على مقربة من أبيدوس حيث تم اكتشاف مقابر جميع ملوك الأسرة الأولى وبعض ملوك الأسرة الثانية. ولكن تم اكتشاف دفنات أخرى لبعض هؤلاء الملوك على مقربة من مدينة منف . ولا تسمح حالة هذه المقابر بتأكيد ما افترضه البعض من أن المقابر التى دفن فيها هؤلاء الملوك تقع على مقربة من العاصمة السياسية الجديدة لمصر احتراماً لثنائية البلاد ، مع الإبقاء فى الوقت نفسه على أضرحة رمزية فى مصر العليا التى انطلقوا منها ليفرضوا سلطانهم على طول البلاد وعرضها. فأقيمت هذه الأضرحة فى موقع سرعان ما اشتهر كمدينة "أوزيريس" المقدسة.

وتشكل هاتان الأسرتان مجموعة واحدة، تبدأ عام ٣١٥٠ لتنتهى عام ٢٧٠٠ ق .م ، أى أن حكمها امتد زهاء خمسة قرون، اكتملت خلالها الملامح النهائية للحضارة المصرية. وما نعرفه عن هذه المرحلة شحيح وقليل بسبب افتقارنا فى المقام الأول إلى الوثائق . فإذا تركنا جانباً حجر بالرمو ، يظل المصدر الرئيسى لمعلوماتنا المقابر التى تم اكتشافها فى أبيدوس وسقارة، والقطع الأثرية التى وجدت بها .

ومما لا شك فيه أن الأعمال التى تنسب إلى "عحا" تفوق منجزاته الحقيقية شأنه شأن كل مؤسس . وإذا اعتبرناه هو و "نعرمر" شخصاً واحداً لكان هو منشىء عبادة التمساح "سوبك" فى الفيوم ، ومؤسس مدينة منف حيث أقام جهازه الإدارى وأنشأ فى نفس الوقت عبادة العجل " أبيس " . كما يفترض أنه نظم البلاد بعد توحيدها واتبع سياسة مصالحة مع الشمال، وهو ما يمكن استنتاجه على الأقل من اسم زوجته " نيت حوتپ " . أى "فلتهدأ نيت".و "نيت" هى الإلهة التى يقع موطنها الأصلى فى الدلتا عند مدينة سايس . وقد تم اكتشاف مقبرة هذه الملكة فى نقادة وهى مجهزة بمتاع شخصى متنوع من بينه بطاقة دُوِّن عليها إسم " عحا " الذي يبدو أنه شيد أيضاً معبدا للإلهة "نيت" فى

٣١٥٠ - ٢٧٠٠	العهد الثينى
٣١٥٠ - ٢٩٢٥	**الأولى**
... - ٣١٥٠	عدد من الملوك (؟) منهم " العقرب "
٣١٥٠ - ٣١٢٥	نعرمر - مينا
٣١٢٥ - ٣١٠٠	عحا
٣١٠٠ - ٣٠٥٥	چر
٣٠٥٥ - ٣٠٥٠	واچى (" الثعبان ")
٣٠٥٠ - ٢٩٩٥	دن
٢٩٩٥ - ...	عج إيب
... - ٢٩٥٠	سمرخت
٢٩٦٠ - ٢٩٢٦	قاعا
٢٩٢٥ - ٢٧٠٠	**الأسرة الثانية**
٢٩٢٥ - ...	حوتپ - سخموى
... - ...	نب رع
... - ...	نى - نثر
... - ...	ونج
... - ...	سندچ
... - ...	پر - إيب - سن
... - ...	سخم - إيب
... - ...	
... - ٢٧٠٠	خع - سخم / خع - سخموى

شكل (١٣) - جدول الترتيب الزمنى للعصر الثينى .

البلاد وغربها . كما أقام علاقات تجارية مع سوريا وفلسطين إذا صح ماذكره حجر بالرمو عن سفنٍ صنعت من خشب الأرز . فالوثائق التى تسجل أحداث عهده متوفرة إلى حد معقول . وقد انتهى حكمه على ما يظن حوالى عام ٣١٠٠ ق.م واكتشف قبران لـ " عحا "، أحدهما فى سقارة والآخر فى أبيدوس .

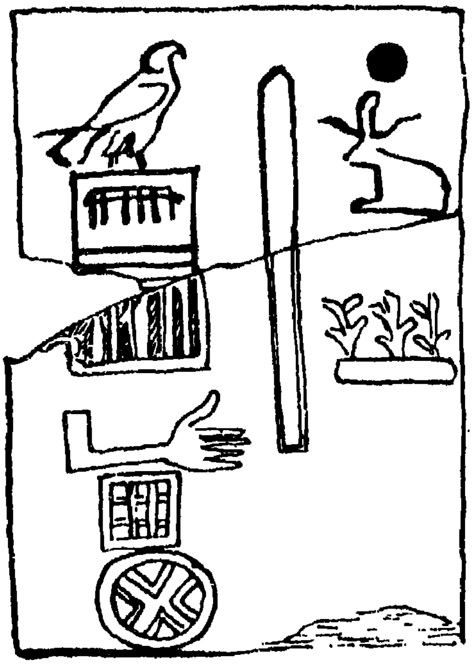
كما يبدو أن اعتلاء من خلفوه عرش البلاد قد اعترضته بعض المتاعب . لقد تركت قائمة تورين فراغاً بين "مِنِي" وخليفته " إيتـ(ى) " الذى خلفه هو الآخر على عرش البلاد ملك آخر يحمل إسم " إيتـ(ى)" وكان لقبه الحورى "چر" على ما يظن. فهل جاءت هذه البلبلة نتيجة تولى الملكة "نيت-حوتب" الوصاية على العرش لفترة قصيرة اعتلى على أثرها أحد أبناء محظيات الملك العرش ؟ يصعب الوصول إلى قول فصل حول مشكلة نسب الآباء والأبناء لافتقارنا إلى الوثائق اللازمة . وتظل مشكلة خلفاء "چر" دون حل . وأنجب "چر" على مايبدو إبنة تدعى " مريت - نيت " أى " محبوبة (الإلهة) نيت " ،

اكتشفت مقبرتها فى الجبانة الملكية فى أبيدوس . واستناداً إلى ذلك استنتج العلماء أنها قد تزوجت الملك " واجى" الذى خلف الملك "چر" . كما أن الوثائق التى عثر عليها فى مقبرتها تبرهن على أنها والدة الملك " دن" رابع ملوك الأسرة الأولى. طور الملك "چر" سياسة البلاد الخارجية ، ووصلت حملات النوبة فى عهده حتى وادى حلفا . وربما نظمت حملات أخرى إلى ليبيا وإلى سيناء نظراً لاكتشاف حلىٍّ من الفيروز فى مقبرته ، ومن المعروف أن سيناء هى المصدر التقليدى للفيروز بالنسبة للمصريين . وواصل تنظيم البلاد على الصعيدين الاقتصادى والدينى، وشيد قصر منف ، وأمر بأن يدفن فى أبيدوس حيث أصبح على ما يبدو النموذج التاريخى للإله :أوزيريس". وقد صحبه فى دفنته رجال البلاط . ولا يجوز ان نفسر ذلك بأنه قد فُرض قسراً على رجال البلاط أن يصطحبوا مليكهم بعد وفاته†(Kaplony.LÄI,IIII,n.9)بل على العكس نلمس هنا أول برهان على اهتمام الملك بالارتقاء بمصير اتباعه بعد وفاته . فمقابرهم مشتركة مع مقبرة سيدهم تماماً كما سيحدث فيما بعد ، فى كبرى الجبانات الملكية. وكان عصره عصر رخاء وازدهار إذا استندنا فى حكمنا الى الأثاث الجنائزى الذى اكتشف فى مقابر معاصرى. ونذكر منه أثاث مقبرة "حماكا" بسقارة .

التقويم والتأريخ الزمنى

تسببت وثيقة ترجع الى عهد " چر " فى إثارة الجدل من جديد حول تأريخ الأسرة الأولى برمته، كما أثارت فى نفس الوقت اشكالية التقويم. نقصد بذلك بطاقة من العاج (شكل ١٤) عليها صورة لبقرة راقدة تحمل بين قرنيها نبتاً يشير الى السنة . واعتقد الباحثون انه يرمز الى الإلهة "سوپدة" اى نجم الشعرى اليمانية (Vandier:1952, 842-843; Drioton & Vandier:1962, 161) وتعنى هذه العلامة البسيطة ، إن صح التأويل الذى عرضنا له ، أن المصريين فى تاريخ يرجع الى حكم "چر" ربطوا بين الشروق الإحتراقى لنجم الشعرى اليمانية وبداية السنة. أى أنهم اهتدوا فى ذلك الحين إلى التقويم الشمسى .

ومن المحتمل أنهم استخدموا فى زمن أقدم تقويماً قمرياً بقيت منه آثار عديدة. ولكن استخدامه فى تحديد الأعياد الدينية أدى إلى عدم تطابقها مع الواقع ، ولهذا تحولوا عنه واهتدوا لتقويم يستند إلى ظاهرة فيضان النيل، وهى ظاهرة استقرت فى أذهانهم ، وتتميز فى نفس الوقت بسهولة ملاحظتها ورصدها وانتظامها أكثر من أى ظاهرة أخرى . ثم قسموا السنة إلى ثلاثة فصول ، وكل فصل إلى أربعة شهور ، يتكون كل شهر منها من



شكل (١٤) - بطاقة من العاج للملك چر

ثلاثين يوماً. وتتزامن هذه الفصول مع الدورة الزراعية التى ينظم الفيضان إيقاعها الثابت . والفصل الأول هو فصل الفيضات " آخت " ، والثانى فصل الإنبات والنمو " پرت " ، أما الثالث والأخير فهو فصل الحصاد " شمو " . وكانت نقطة الانطلاق لتحديد بداية العام الجديد هى قياس ارتفاع منسوب مياه الفيضان ، وما يتم تسجيله عند مستوى مدينة منف وهى الأرض التى شهدت توحيد البلاد على ما يفترض ، يتفق تماماً مع شروق نجم الشعرى اليمانية ، وفقاً للتقويم اليوليانى . تحدث هذه الظاهرة فى التاسع عشر من شهر يوليو وقبل شهر من هذا التاريخ وفقاً للتقويم الغريغوريانى . الا أن هذه الظاهرة لم تتكرر دائما يوم ١٩ يوليو، إذ نعلم جميعاً ان عدد أيام السنة الشمسية الحقيقية يعادل ٣٦٥ يوما وست ساعات. لذا يتباعد سنوياً وتدريجياً تاريخ حدوث كل من الظاهرتين ويأخذ فارق ربع اليوم فى التراكم حتى لا نلحظ تطابقهما مرة ثانية الا بعد دوران هذا الفارق دورة كاملة ، إذا جاز لنا القول، اى كل١٤٦٠ سنة ، وهو ما يطلق عليه " دورة الشعرى اليمانية " . وقد أمكن تسجيل ظاهرة تطابق رأس السنة مع شروق الشعرى اليمانية مرة واحدة على الأقل عبر التاريخ المصرى . وحدث ذلك عام ١٣٩ ميلادية . وبفضل رصد بعض المعالم الزمنية المبنية على ملاحظات المصريين أنفسهم يمكننا أن نحدد بعض التواريخ

الدقيقة التى تقسم هذه المراحل الزمنية ، فيمكن العودة الى الوراء حتى عام ١٣١٧ ثم ٢٧٧٣ و ٤٣٢٣ قبل الميلاد . كما نعلم مثلاً أن العام الثالث من حكم " أمنحوتپ الأول " يتفق مع سنة ١٥٣٧ أو ١٥١٧ ق .م حسب المكان الذى رصدت فيه هذه الظاهرة . ويتفق العام السابع من حكم " سنوسرت الثالث " مع العام ١٨٧٧ ق .م . وجاء العدول عن عام ٤٣٢٣ كتاريخ لبدء التقويم المصرى بسبب عدم التوافق مع معطيات علم الآثار ، فى حين يبدو أن عام ٢٧٧٣ مناسب كتاريخ لاهتداء المصريين للتقويم حتى ولو كان متأخراً جداً بالنسبة لعهد الملك " چر " . وتأكيداً لحجتنا فالملاحظ أن وجود "سوپدة" على بطاقة " چر " ليس دليلاً فى حد ذاته ، فرصْد الظاهرة لا يعنى بالضرورة الأخذ بتقويم جديد تماماً ، كما أن كلا من التقويمين المدنى والدينى قد وجدا جنباً إلى جنب طوال الحضارة المصرية . فمن المنطقى إذن الافتراض بأن التقويم القمرى ظل معمولاً به طوال عهد الملك " چر " ، وأن التقويم الشمسى لم يحل محله الا بحلول دورة الشعرى اليمانية التالية أى قرب نهاية الأسرة الثانية .

نهاية الأسرة الأولى

وخلف " چر " على عرش البلاد الملك "واچى" ، أو إذا اعتبرنا أن العلامة الدالة على اسمه هى " علامة مرسومة " فمن الأفضل أن نطلق عليه اسم " الثعبان " . ومعلوماتنا عن هذا الملك شحيحة ، وإن كنا نعلم أنه قاد حملة إلى البحر الأحمر لاستغلال مناجم الصحراء الشرقية . وقد أمدتنا مقبرته فى أبيدوس بالعديد من اللوحات الحجرية ، وتحمل إحداها اسمه ، وهى من مقتنيات متحف اللوڤر .

وترك " د ن " رابع ملوك الأسرة الأولى ذكرى عهد مجيد ومزدهر . وربما بدأ عهده هو أيضاً بفترة حكمت فيها "مريت نيت" كوصية على العرش ، وساندت سلطة كبار الموظفين ودعمتها ، مما اضطر " د ن " على ما يبدو إلى الحد من هذا السلطان . ولكن من المؤكد أن الملك الجديد نهج منذ وقت مبكر سياسة عنيفة فى علاقاته مع الشرق الادنى ، فقاد حملة « آسيوية » فى السنة الأولى من حكمه ، وعاد منها - على ما يظن - بحريم من الأسيرات ، فكان خير سلف لأمنحوتپ الثالث فى هذا الشأن . وجاء اختيار اسمه الـ " نيسو بيتى " وهو لقبه بصفته ملك الوجهين القبلى والبحرى متأثراً على ما يفترض بهذا النشاط الحربى إلى جانب حملته ضد بدو سيناء ، فلُقِّب باسم " خاستى" أى " الأجنبى" أو "رجل الصحراء" وحرفه الإغريق إلى " أوسفايس" ، كما ورد عند مانتون . وإلى جانب

ذلك فهو أول ملوك مصر الذين أضافوا هذا اللقب الثالث إلى مجموعة ألقابهم . وربما جاء ذلك تعبيراً عن سياسة داخلية نشطة جاءت ترجمتها الملموسة فى تشييد القلاع والحصون والاحتفالات المكرسة للإلهين " أتوم " و " أبيس" والقيام بتعداد البلاد حسبما ورد فى حجر بالرمو . ولكنه نهج سياسة مصالحة مع شمال البلاد ، وترجم هذه السياسة إلى خطوات عملية ، فبالإضافة الى اسم زوجته " مريت - نيت " ، أنشأ وظيفة " حامل أختام الشمال " ، وقد تم الكشف عن مقبرة "حما كا" صاحب هذا اللقب فى سقارة . وإلى جانب ثراء محتويات هذه المقبرة فقد اكتشفت فيها بطاقة تحمل اسم الملك "چر" وتشير إلى عيد السيوبيل للملك " د ن ". كما ورد ذكر هذا العيد فى اماكن أخرى . (Hornung & Staehelin: 1974, 17) . وتسجل هذه البطاقة أقدم إشارة إلى مومياء، وربما كانت مومياء الملك چر . (Vandier : 1952, 845- 848)وتشتد دهشتنا نظرا لما نعرفه من أن ممارسة المصريين لفنون التحنيط لم يتأكد إلا فى وقت لاحق . كما كشفت الحفائر التى أجريت فى المقبرة التى شيدها الملك " دن " فى أبيدوس عن استخدام الجرانيت لتبليط أرضية المقبرة . وهو أول مثال معروف عن استعمال الحجر فى عناصر معمارية كانت تعتمد على الطوب النيء فحسب ، حتى ذلك الوقت.

وامتد عهد الملك "دن" ليصل إلى نصف قرن من الزمن. وهو ما يفسر قصر مدة حكم خليفته " عج إيب" الذى معناه "ذو القلب الجسور". ولأول مرة يوضع لقب " ملك الوجهين القبلى والبحرى " تحت رعاية الإلهين "نبوى" ، فلُقِّب " مر پى بيا " الذى حرفه مانتون الى " ميبيس " . ويبدو أن "عج - إيب" قد اعتلى عرش البلاد متأخراً جداً حتى أنه اضطر إلى الاحتفال بعيد اليوبيل نظراً لتقدمه فى السن. لقد اشتق اسم هذا الإحتفال وهو ما يعرف بعيد "السد" من اسم ذيل الثور، أو ربما من اسم الحيوان "سد" وهو من فصلية الكلاب والذى يشبهه البعض بالمعبود " أوپ واوات " أى " فاتح الطريق " ، وهو ابن آوى الذى استعار منه الإله " أنوبيس" اختصاصاته الجنائزية . وتضيع أصول هذا العيد فى ظلمات الماضى السحيق ، وهى شعيرة تجديد سلطة الملك والبرهنة على حيويته بعد حكم دام ثلاثين سنة من حيث المبدأ . وهذا الاحتفال هو فى أساسه تكرار لشعائر احتفالات التتويج ورفع التاجين وشارات السطلة فوق " المصرين " وقد خصص جوسق لكل مملكة منهما . وعلاوة على ذلك تتضمن الاحتفالات جانباً يعتمد على قدر من النشاط البدنى ، فينظم سباق وموكب مهيب لزيارة آلهة البلاد فى هياكلها. وأخيراً يختم الملك هذه المناسبة

بأداء بعض شعائر الميلاد والتـأسيس . وتعتبر هذه الاحتـفالات مناسبة لبعض الصنـاعات التذكارية . فوصلتنا من العصر محل دراساتنا أوانٍ حجرية تحمل جميعها ألقاب الملك ، ونـحتـفـظ ببعـض هـذه الأوانى الـتـى صنـعـت تـخلـيـداً لذكـرى الأعـيـاد الـتـى أحتفـى بها"عــج-إيــب " فى قصره الجديد فى منف الذى يحمل اسما له مغزاه ودلالته " الأمن والأمان يُحوّطان حورس" . وإلى عهده يرجع الفضل فى إضافة اسم جديد إلى ألقاب الملك ، ووضع هذا الإسم تحت حماية " السيدين" أى " حورس " و " ست " وهما إلاها الشمال والجنوب المتخاصمان وقد توحدا فى شخص الملك . ودلالة ذلك أن الملك يجمع فى شخصه ثنائية مصر وثنائية السلطة : سلطة " حورس " الضامن لكل توازن وسلطة الدمار المتمثلة فى " ست " وهى الموجهة إلى خارج البلاد .

ولا غـر فـى أن طـول حكـم الملك" دن" وراء الاضطـرابات التـى سـادت نهايـة الأسـرة الأولى، فانتقلت السلطة فى جو مشحون بالمصادمات ، وخرج "سمرخت" تماماً على سلفه، فبلغ به الأمر حد إزالة اسمه من على أوانى اليوبيل ، وكان يرمى من وراء ذلك إلى تأكيد شرعيته . ولكن قـائمة سقـارة تطـرح مـن جديد على بساط البحث مسألة هذه الشرعية إذ إنها تسقط اسمه من القائمة .وتدل ألقابه على المناصب التى شغلها قبل اعتلائه عرش البلاد والتـى ربما كانت مناصب دينية. فقد اختار لاسمه " النبتـى" لقب " الذى يحرس السيدتين " أى " نخبت " ، الإلهة العقاب فى مدينة " نخن" (الكاب) و " واچت " الإلهة الثعبان فى مدينتى " په " و " دپ " (بوتو). إنهما الإلهتان الحاميتان للجنوب والشمال، واختار لاسمه الحورى لقب " سمير الآلهة " .

الأسرةالثانية

دفن "سمرخت" فى أبيدوس، كما دفن بها ايضا خليفته "قاعا" الذى يرجح أنه ابنه وآخر ملوك الأسرة الأولى. وما زلنا نجهل الأسباب التى دفعت مانثون إلى بدء أسرة جديدة خاصة فى غياب مواجهات يمكن أن تفسر هذا التغيير . ولكن يبدو بكل بساطة أن مقر عرش البلاد قد انتــقل إلى منف ، اذ نلاحظ أن الملوك الثلاثة الأوائل للأسرة الثانيـة على الأقل قد دفنوا فى سقارة. ومن علامات هذا التغيير الجغرافى، اسم ملك البلاد ذاته الذى جاء على رأس الأسرة الجديدة. إنه "حوتپ – سخموى" أى " القوتان فى سلام " . وبالطبع فإن " حورس " و " ست " هما المعنيان بالقوتين . كما أن لقبه الـ " نبتى" يزكى هذا التفسير . فقد اختار لنفسه لقب " السيدتان فى سلام ". ولهذا اللقب مغزى سياسى .

وربما يشير إلى صراع بين الجنوب والشمال الذى لم يصل إلى حد الصدام العنيف ، ولكنه يظل دليلاً على استعداد البلاد للانقسام إلى قطرين عند حدوث أية مواجهة . وقد أقامت العائلة المالكة نفسها علاقات طيبة مع شرق الدلتا وربما مع منطقة "بوباستس " ، وهو ما يمكن استنتاجه من ممارسة عبادة " باستت " و " سوپد" وهو إله صقر محلى اتحد منذ وقت مبكر مع " حورس بن أوزيريس " . وفى هذا العصر أيضاً تبوأت عبادة الشمس مكانتها ، وإن لم يظهر اسم " رع" إلا فى الإسم "الحورى" لخليفة "حوتپ سخموى" . وهو" نب رع " الذى يعنى " سيد الشمس " ولكن مع شىء من التواضع نفضل "رع هو سيد(ى)". ويحتل " رع " نهائيا مكان إله الأفق ، وهو المكان الذى خرج منه وانبثق . ويتأكد هذا الاختيار مع خليفة " نب رع " الملك " نى نتر " ومعنى اسمه " المنتمى إلى الإله". ومن المرجح أن مقبرتى هذين الملكين موجودتان أسفل الطريق الصاعد لهرم " أوناس" بسقارة حيث عثر على أختام اسطوانية تحمل اسميهما . بيد أن نسبة هاتين المقبرتين إلى صاحبيهما أمر غير مؤكد ومشكوك فيه نظراً لغياب أية وثائق أخرى مكتوبة. وواقع الحال أنه لا ينهض أي دليل على ارتباط هذه الأختام بالملك الذى تحمل اسمه . فقد وجدت أختام مشابهة فى مقابر الأفراد بل أيضا فى مقابر من خلفوهما من ملوك . نذكر على سبيل المثال مقبرة " خع سخموى " فى أبيدوس ، فقد عثر فيها على ختم يحمل اسم " نى نتر" على وجه التحديد دون أن يدفعنا ذلك إلى إثارة الشكوك حول صاحب المقبرة الحقيقى .

ووصلنا نوع آخر من الوثائق وهى الأوانى الحجرية التى تحمل دلالات تتجاوز كثيراً الغرض الأصلى الذى خصصت له. إن ما تحمله من مدونات له قيمة فائقة تضارع قيمة البطاقات العاجية فى الأسرة الأولى، بما وفرته لنا من معلومات قيمة حول بعض الوقائع التاريخية والنظم الإدارية فى البلاد . ولقد عُثر منها على مجموعات ضخمة وهامة جداً فى الممرات السفلية لهرم "چسر" ثانى ملوك الأسرة الثالثة. والجزء الأكبر منها يرجع إلى عهد " نى نتر" . وتؤكد هذه الاكتشافات إستمرارية هذه الشواهد التاريخية التى انتقلت من جيل الى آخر سواء استخدمت أم لم تستخدم. وفيما يتعلق بمقبرة "چسر" فقد ظلت هذه الأوانى تؤدى نفس الغرض الذى خصصت من أجله، فى حين أن أوانى اليوبيل الذى سبق الحديث عنها قد تغير الغرض منها . فقد أُهديت الى أعيان البلاد ثم احتفظت بها عائلاتهم ردحاً من الزمن حتى ضُمت أخيرا للمتاع الجنائزى لواحد من الخلف البعيدين .

ونستمد كل ما نعرفه عن " ونچ " و " سندچ " اللذين خلفا " نى نتر" من مدونات الأوانى التى عثر عليها فى هرم " چسر" إلى جانب ما ورد عنهما فى القوائم الملكية .

ومن المحتمل أن سلطتهما لم تمتد الى أبعد من منطقة منف . وكان " سندج " معاصراً للملك " پرإيب سن " الذى كان يجب أن يعثر على تمثال له فى مقبرة " سندج " ، هذا إذا صح ما ورد فى عصر الأسرة الرابعة عن وجود لقب كبير الكهنة المطهرين خاص بـ "پر إيب سن" فى جبانة "سندج" : فى المعبد والأماكن الأخرى . وتوجد مقبرة " سندج " فى أبيدوس وقد شيدها خليفته المحلى " سخم إيب " أى " ذو القلب القوى " . وقد عثر فيها على أوان حجرية ومصنوعات نحاسية ونصبين من الحجر دوّن عليهما اسم الملك.داخل " سرخ " . والـ " سرخ " عبارة عن تصوير لمسقط أفقى للقصر الملكى تنهض أمامه واجهة القصر ، ويسجل اسم الملك فى الأطار الذى يحدده المسقط الأفقى ، وهذا ما نطلق عليه الإسم الحورى ، وهو أحد ألقاب ملوك مصر . ويعلو عادة واجهة القصر" الصقر حورس " . أما " پرإيب سن " فقد وضُع تحت حماية الإله " ست " .

تقودنا هذه العناصر مجتمعة إلى افتراض أن العلاقات بين المملكتين قد تدهورت قرب نهاية حكم " نى نتر" الذى اتخذت سياسته الدينية على مايبدو وجهة جديدة . فاشتد انحيازه إلى جانب الشمال ، ونلاحظ أن قوائم الملوك قد أغفلت اسم كل من " پرايب سن " وخليفته " سخم - إيب" المنتسب إلى أبيدوس ، بالإضافة إلى الاختيار الراسخ للمعبود "ست" فى مركز الإله الحامى وهو ما يدفعنا إلى الظن بأن الجنوب قد نال استقلاله من جديد ، أو أنه لم يعترف على أقل تقدير بسلطة حكام منف الذين اعتبرهم التقليد المتوارث أصحاب السلطة الشرعية وفقاً لمخطط عام ترسخ بمرور الزمن وصار أمراً متفقاً عليه . وقد امتدت سلطة " پر إيب سن " حتى إلفنتين على أقل تقدير حيث عثر عام ١٩٨٥ على آثار أختام تحمل اسمه . كما نعرف أنه شيد فيما بعد معبداً مكرساً للإله " ست " . إن واقع استمرار الطقوس الجنائزية الخاصة بـ " سندج " و" پر إيب سن " وارتباطها بالأسرة الرابعة ينهض كدليل على احتمال أنهما لم يلقيا مقاومة عنيفة طوال مدة حكمهما على الأقل .

ولكن الأحوال تغيرت بعد أن اعتلى عرش البلاد الملك "خع سخم" أى " القوى (أى حورس) تم تتويجه " . وكان مسقط رأسه فى هيراكونپوليس . وبمناسبة تتويجه أهدى إلى معبد المدينة ما يخلد ذكرى انتصاره على الشمال . ومن بين ما أهداه مدونات على أوانٍ حجرية وتمثالان أحدهما من الشست والآخر من الحجر الجيرى ويظهر فيهما جالساً على مقعد له مسند منخفض ، وهما أول تمثالين من هذا الطراز ، ويبرز فيهما منذ



شكل (١٥) - تمثال الملك خع سخم. عثر عليه فى هيراكونبوليس .
من الحجر الشست. متحف القاهرة .

ذلك الوقت المبكر قواعد فن التصوير الملكى . فظهر " خع سخم " ملتحفاً بعباءة طويلة حابكة من الطراز المستخدم فى احتفالات عيد " السد " ، واضعاً على رأسه تاج الصعيد الأبيض فى كل من التمثالين . ومع ذلك لم يقصد "خع سخم" أن يجعل بالضرورة من الصعيد مصدر سلطاته بل يدل الزى الذى التحف به الملك على أن التمثالين كانا ضمن مجموعة تشبه ما اكتشف فى أماكن أخرى من مجموعات تمثل الملك خلال احتفالات التتويج . ويظهر على التوالى كملك الوجه القبلى ثم الوجه البحرى حسبما تقتضيه مراسم احتفال عيد "السد". وتحمل قاعدة التمثالين زخارف تمثل أسرى مكدسين ، تتداخل أشلاء أجسادهم وتتشابك .

و من المحتمل أنه غير اسمه بمناسبة ما أحرزه من نصر فصار "خع سخموى" أى "القويان تم تتويجهما". ووضع "حورس" و «ست» فوق «السرخ» . وبصفته ملك الوجهين

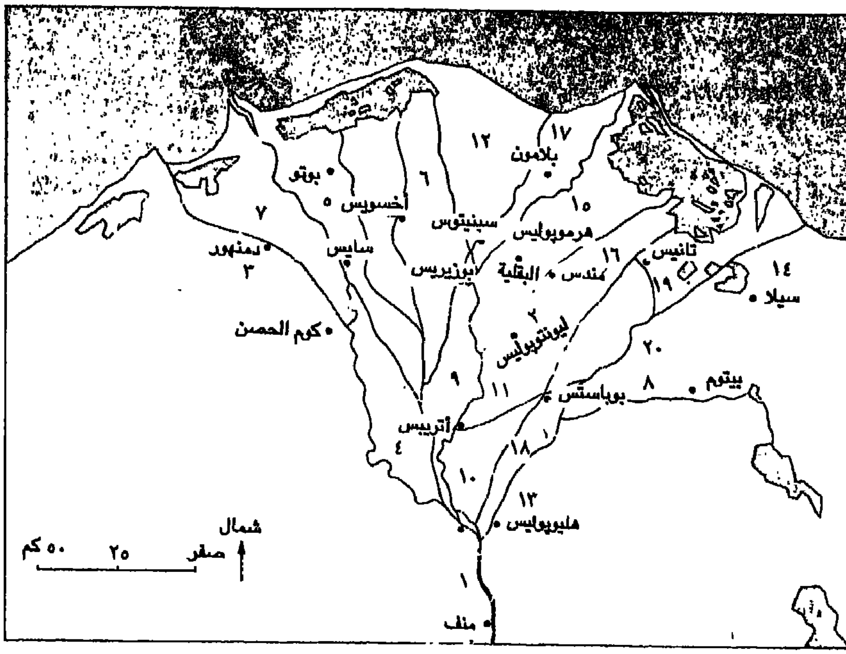
القبلى والبحرى اختار لنفسه لقب " السيدتان فى سلام من خلاله " . وجاء إحكام سيطرته على البلاد وكأنه أعاد توحيد مصر ، كما واكبه تطور فى فنون العمارة ، وسياسة نشطة فى مجال التشييد . فأقام عمائر من حجر فى هيراكونپوليس والكاب وأبيدوس حيث شيد مقبرته وهى أضخم مقابر ملوك الأسرة الثانية .

وينتهى العصر الثينى مع نهاية حكمه عملا بتقسيم مانتون ولكن دون سبب وجيه . بل يبدو غريباً أن تنتهى الاسرة الثانية معه فى حين أن " خع سخموى " قد تزوج بالأميرة « نى ماعت حپ» التى ستصبح والدة الملك العظيم " چسر " خليفته غير المباشر . ولكن يتضح من العرض السابق أن مفهوم الملكية " الثينية " لا يعبر عن الوضع السياسى الحقيقى للأسرة الثانية التى أصبحت كما رأينا " منفية " اكثر منها «ثينية». وكل ما فى الأمر أن نهاية عهد«خع سخموى» كان أيضاً نهاية للمواجهات التى احتدمت بين الشمال والجنوب وترسيخاً للبُنى الاقتصادية والدينية والسياسية فى البلاد . إنها نقطة انطلاق لعصر عظيم سيشهد نهوضاً جباراً للحضارة والفن حتى بلغا شأواً عظيماً من الرقى وإتقان الصنعة ومهارة التنفيذ .

النظام الملكى الثينى

لا يختلف النظام الملكى فى العصر الثينى كثيرا عن مثيله فى الأسرة الثالثة ، فأهم المؤسسات قد تشكلت قبل عهد «چسر» . وكان انتقال السلطة يتم منذ ذلك الوقت من خلال النسل المباشر وهو الركيزة التى نهضت على أساسها المؤسسة الملكية . فالملك يتخلى بعد وفاته عن لقب «حورس» . فى حين كان يحمل منذ الآن الأسماء الثلاثة المكونة لجوهر ألقابه : الاسم الحورى أولاً ، وهو المعبر عن طبيعته كأقنوم الإله وارث العرش . ثم اسمه بصفته ملك الوجهين القبلى والبحرى الـ " نيسو بيتى " . واعتباراً من الملك «سمرخت» ظهر الإسم الـ " نبتى " . وربما كان يشير إلى منصب الأمير قبل تتويجه كوريث للعرش ولكنه يسبق اسم التتويج ويمهد له . ويلاحظ الدور الذى تلعبه زوجة الملك فى نقل السلطة . فهى " التى توحد الإلهين " و " التى تشاهد " حورس " و " ست " . كما أنها " والدة الأبناء الملكيين " .

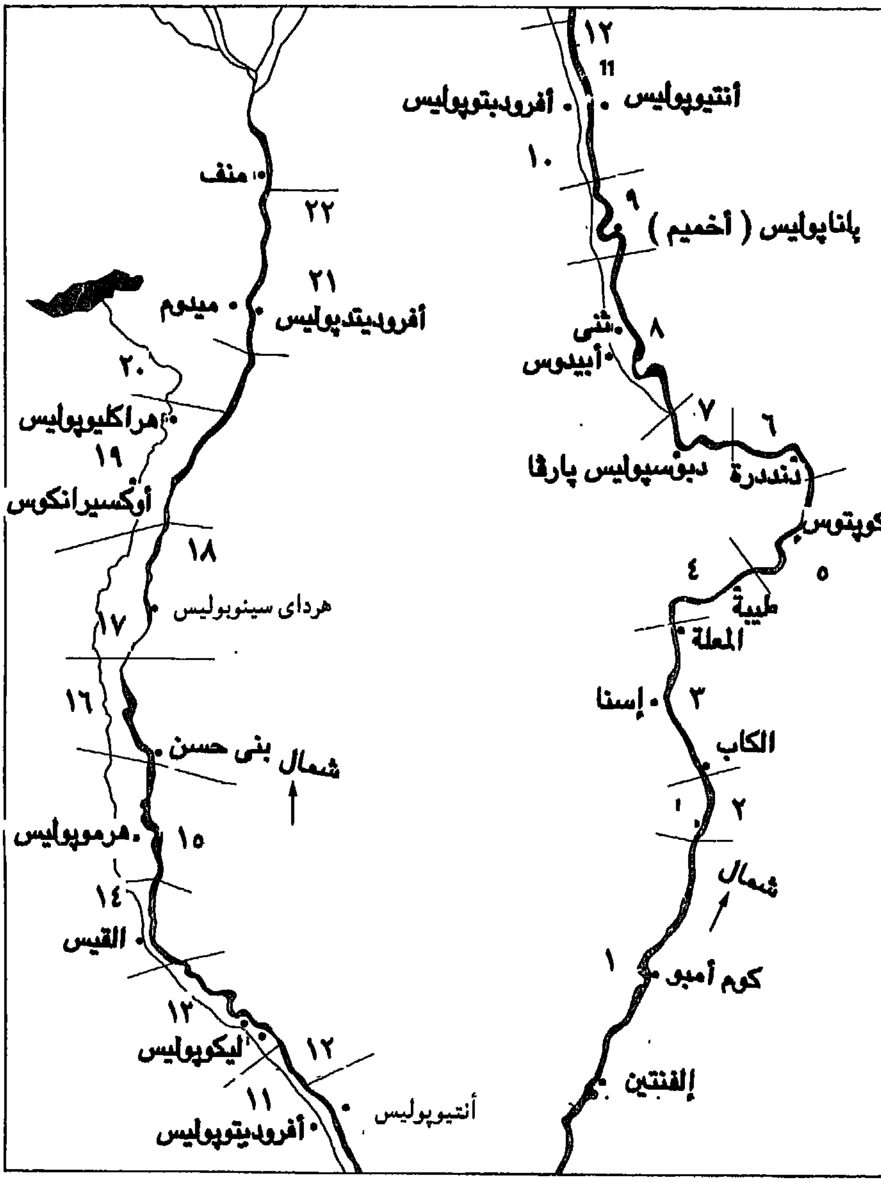
وهكذا تم فى هذا الوقت المبكر تنظيم البيت الملكى ليستمر على ماهو عليه طوال القرون التالية . يفترض أن القصر الملكى كان مشيداً بالطوب النئ طبقاً للعمارة



شكل (١٦) - خريطة أقاليم الوجه البحرى .

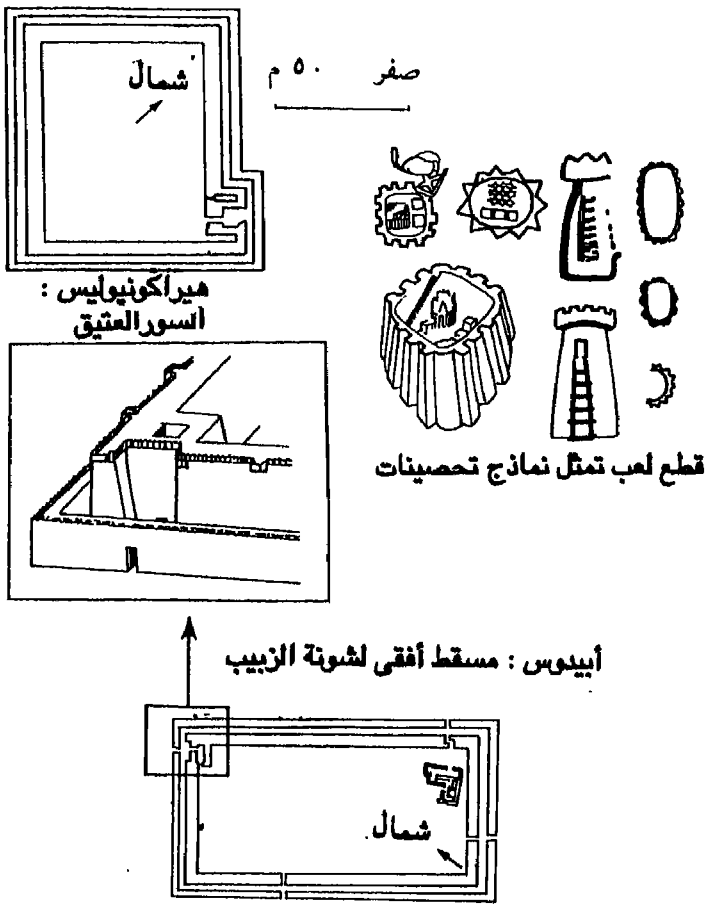
الجنائزية التى كانت على مايبدو تحاكى الأبنية الملكية . ويضم القصر الأجنحة الخاصة - كبيت الحريم والإدارة التى تشمل رؤساء أهم دوائر الخدمات التى هى أيضاً إمتداد ل " بيت الملك " وسلطته . وإذا كان الملك هو صاحب الكلمة العليا فى كافة شئون البلاد من الناحية النظرية ، ففى واقع الأمر هناك فريق من الموظفين يحيطون به ويعاونونه . وإذا كان من الصعب على العموم التمييز بين الألقاب التى تخص رجال البلاط وتلك المرتبطة بمناصب حقيقية ، إلا أن النظر إليها لا يخلو من فائدة ، إذنستطيع أن نكون فكرة ولو تقريبية عن الأجهزة الإدارية العليا .

كان يحيط بالملك مستشارون يتفاوت مستوى تخصصهم . فمنهم " مراقب العرشين " و " القائم أمام الملك " و " المسئول عن سرية المراسيم " . ويمدنا هذا اللقب الأخير بفكرة عن الجهاز القانونى . فبصفته وريث الآلهة يركن الملك فى تصريف أمور المملكة إلى سلطاته الثيوقراطية . وعلى كل حال فإن استحواذه على هذه السلطات مر مؤقت وغير دائم . إذ يقوم الإله من الناحية المبدئية بتسليم الملك الجديد الوثائق التى تثبت ملكيته للبلاد ، خلال حفل تتويجه (Grimal:1986,441) ، وبشرط أن يقوم حكمه للبلاد على احترام قوانينها المعبرة عن قوانين الكون ، وأن يحكم عن طريق إصدار المراسيم.



شكل (١٧) - خريطة أقاليم الوجه القبلى .

وكحد أقصى فإن كل نطق سام هو بمثابة مرسوم له قوة القانون ، وتسجيله كتابة أو عدم تسجيله لا يضفى عليه جديدا . إنه نظام أشبه بنظام " الظاهر " الإسلامى . وتتكون أهم أبواب القانون المصرى القديم من الشروح التى تدور حول هذه المراسيم إلى جانب التشريعات المدونة وما يُصدره القضاة من أحكام .



شكل (١٨) – العمارة المدنية والعسكرية .

وينشط جهاز الكتبة بمختلف مراتبه فى الحدود الفاصلة بين دائرة المقربين للملك من ناحية ، وبين حاملى الأختام من ناحية أخرى . إنه ركيزة الجهاز الإدارى المتواجد فى كل زمان ومكان. ومن دائرة المقربين للملك يبرز منذ الأسرة الثانية شاغل منصب «تشاتى»، الذى لا تنطوى اختصاصاته آنذاك على نفس الاختصاصات التى مارسها مع حلول الأسرة الرابعة ، والذى جرت العادة على مقارنته بالوزير العثمانى. و " حماكا " هو أول حامل اختام الملك فى الوجه البحرى تتوفر عنه المعلومات ، وشغل هذا المنصب فى عهد الملك "دن " . أما منصب حامل أختام الوجه القبلى فقد ظهر فى عهد الملك " پرإيب سن ". ويقع على عاتق هذه المؤسسات الثنائية الإشراف على الإحصاء وتنظيم الرى وبالتالى ما يتصل بمسح الأراضى . كما يختص بتحصيل الضرائب وإعادة توزيع الخيرات وتسليمها إلى "الخزائن " و " المخازن " المتخصصة فى الحبوب والقطعان والغذاء بشكل عام ، والتى تقوم بدورها بتنظيم توزيع الخيرات على كبرى المؤسسات التابعة للدولة : كالجهاز الإدارى نفسه والمعابد أيضا .

وتتعامل هيئات السلطة المركزية مع الأجهزة المحلية المنتشرة فى الأقاليم التى أطلق عليها الإغريق "نوموس" ، والمصريون "سپات" ثم " قعح " ، اعتباراً من عصر العمارنة فى القرن الرابع عشر قبل الميلاد. وفى الحقيقة فمعلوماتنا عن هذه المقاطعات تبدأ مع عهد "چسر". ولكن كما سبق أن رأينا يمكن إرجاع أصول شارات هذه المقاطعات إلى ما قبل توحيد البلاد . لقد ضمت هذه المقاطعات القديمة ، دون شك، أملاك زعماء الأسرات المحلية الذين نجحوا فى المحافظة على سماتهم الخاصة وقدر من الحكم الذاتى - فكان ذلك كافياً على كل حال ليحفظ للقوائم الجغرافية التقليدية كيانها المستقل دون جدال . لقد تأكد وجود هذه القوائم منذ عهد " نى - أوسر - رع" مع تقسيم البلاد إلى ٢٢ إقليما فى الوجه القبلى و ٢٠ إقليماً فى الوجه البحرى .

ونشأت سلطات فدرالية تختص بإحدى المملكتين . نذكر على سبيل المثال " مجلس الشيوخ العشرة للجنوب " أو " حاكم نخن " الذى كان يقوم مقام نائب الملك فى الجنوب على وجه التقريب . وكانت معاملات هذه السلطات تتم مع حكام الأقاليم بصفتهم المسئولين المحليين والذين أطلق عليهم " المديرون " أى " عج مر " وكان يعاونهم مجلس يدعى " چاچات " .

ولا نعلم شيئاً عن التنظيم العسكرى للبلاد أو نظام التجنيد الذى لم يرد له ذكر إلا فى أزمنة لاحقة . ولكن من حقنا أن نفترض أن النظام الذى أصبح معمولاً به فيما بعد هو

الذى كان قائماً فى ذلك الوقت المبكر ، ورغما عن ذلك فمن السهل التوصل إلى صورة معقولة للعمارة العسكرية بفضل تصاوير القلاع والمسقط الأفقى لمنطقة " شونة الزبيب " التى تمثل المواقع المحصنة فى أبيدوس أو سور هيراكونبوليس العتيق .

أما العمارة المدنية فتنحصر معلوماتنا عنها فى إطار قطع اللعب التى تمثل المنازل ، إلى جانب تصاوير " واجهات القصور" فى المقابر ، فهى المصدر الأساسى لمعارفنا عن فن العصر الثينى . كما أن الأمتعة الجنائزية التى كشفت عنها الدفنات الملكية وبعض أكبر مقابر الأفراد كمقبرة " حماكا " تنم عن فن مزدهر . وتحتل الأشياء المصنوعة من العاج والعظم مركز الصدارة إلى جانب " القيشانى المصرى " والأوانى الفخارية والحجرية . وتوجد التماثيل الصغيرة بأعداد كبيرة وتعرض لنماذج بشرية متنوعة . من أسرى حرب وأطفال ، والعديد من التماثيل النسائية الصغيرة التى لا تقتصر على تماثيل " سرارى " المتوفى فحسب بل تجسد أوضاع الحياة العادية . وشاعت تماثيل الحيوانات التى صنعت من مواد مختلفة. وعرفت بعض المواضيع ثباتاً مبكراً لتلقى رواجاً ملحوظاً فيما بعد . ونذكر على سبيل المثال القردة التى تحتضن صغيره (Vandier: 1952,976 et Vallogia: 1986. 80) . أما فن نحت التماثيل الكبيرة فلم يبلغ رشاقة أعمال الدولة القديمة وظل أسلوبه خشناً واتسمت أوضاع الأشخاص بجمود ملحوظ . وإن وجدت نماذج نادرة حققت نجاحاً رائعاً نذكر منها " سيدة نابولى" وتمثال " نج إم عنخ " فى متحف اللوفر والتمثال المجهول صاحبه فى متحف برلين .



شكل(١٩) - تمثال جالس لشخص مجهول.

(من أبو صير؟)

حجر جيرى. الارتفاع: ٤٢ سم. المتحف المصرى فى برلين

الباب الثانى

العصر الكلاسيكى

الفصل الرابع
الدولة القديمة

ظهور الأسرة الثالثة

من الغريب أن ما نعرفه عن الأسرة الثالثة أقل مما نعرفه عن الأسرتين الأولى والثانية ، هذا بالإضافه إلى أن العلماء لم يتفقوا على بدايتها إلى الآن ، وهى بدايه تهيمن عليها شخصية الملك " چسر " وإن لم يكن أول ملوكها . وتطرح علينا الآثار وقوائم الملوك تأويلات شتى ، ولكن الترتيب التالى قد لا يبتعد كثيراً عن الواقع. ربما كان " نب كا " الذى ورد ذكره فى " بردية " وستكار ، أول ملوكها ، ويرجع الفضل فى معرفتنا به إلى " مانتون" وإلى وجود كاهن يؤدى شعائره الجنائزية فى عهد " چسر " . هذا هو كل مانعرفه عن فترة حكمه التى بقيت شبه فارغة على سطح حجر بالرمو والتى يبدو أنها كانت مساوية تقريباً لفترة حكم " چسر " . كما أننا لا نعرف شيئاً عن القرابة التى تربط بين " چسر " و " نب كا " ، فربما كان أخاه أو إبنه . وتزداد الأمور تعقيداً مع " چسر " ، فجدول " تورين " يذكر أنه حكم تسع عشرة سنة ، وخلفه ملك يدعى " چسرتى " أو " چسرتيتى " لا تذكر عنه المصادر الأخرى شيئاً . وعندما اكتشف زكريا غنيم هرماً غير كامل فى سقارة مشيداً على غرار هرم " چسر " أصبحنا نعرف أن خليفة چسر هو الملك " سخم خت " (Lauer : 1988, 143.)
sqفهل " سخم خت " و "چسر تى" شخص واحد ؟ . من الصعب القطع بذلك لما اعترى الألقاب الملكية خلال الأسرة الثالثة من تعديل . فاسم الأمير الذى كان يطلق عليه عند ولادته والذى كان يتخذه إسما له عند تتويجه ملكا للوجهين القبلى والبحرى " نسوت بيتى " حل محله الإسم المعروف ب " حورس الذهبى" ، فى حين أخذ اسم " نسوت بيتى " يميل لأن يندمج مع الإسم ال " حورى " ذاته . اسم ثالث فى هذه الأسرة ليضفى مزيداً من التعقيد على هذه المشكلة . إنه الملك " سانخت " الذى نعرفه بفضل بصمات الأختام التى عثر عليها فى إلفنتين حيث كشفت أعمال التنقيب التى باشرها حديثاً المعهد الألمانى للآثار بالقاهرة - عن مدينة وسور من العصر الثينى يوضحان أقصى ما وصلت إليه حدود مصر الجنوبيه خلال الأسرة الأولى . كما خلّف " سانخت " أثراً فى إحدى مقابر جبانة بيت خلاّف الواقعة شمال أبيدوس التى اتضح أنها مقبرة أحد موظفيه وليست مقبرته كما ساد الاعتقاد ردحاً من

الزمــن . أمـا " سانخت " نـفسـه فمازلنـا نجهـل المكان الذى دفن فيـه ، وإن كان مـن المرجـح أنه مدفـون فـى سقارة غربى مجموعة " چسر " التى عثر فيها علـى بصمات أختـام تـحمل اسمه . وسـواء كان " سانخت " هو أول ملوك الأسرة الثالثة أو ثانى ملوكها ، أو كان هو الملك " نب كا " نفسه ، فإن حكمه لم يتجاوز ست سنوات فى رأى " مانتون " . وينحصر ما نعرفه عن " نب كا " فى اسمه المدون فـى مناجم وادى المغارة غربـى سيناء إلى جانب اسم " سخم خت " الذى لا نعرف عنه أيضا شيئاً أكثر من ذلك اللهم سوى مقبرته .

" چسر " و " إيمحوتپ "

إن شهرة " چسر " - وإسمه الحورى " نتـرى خت " - ترجع فى المقام الأول إلى ما شيده من عمائر وإلى التاريخ المصرى ذاته . وهو يحتل مكانة بارزة فى التاريخ المصرى لعدة أسباب ، فى مقدمتها أنه أقام بناءاً من الحجر ابتكره مهندسه " إيمحوتپ " الذى ألَّه هو نفسه فى العصر المتأخر والذى ارتبط عصره بصورة مستقرة للنظام الملكى ، يصورها نص اكتسب شهرة كبيرة ويحكى قصة سجلت فى زمن لاحق عن ذلك العصر . إنه النصب الحجرى الذى ظهر بعد انقضاء أكثر من ألفى سنة ويرجع إلى عام ١٨٧ ق . م أى إلى عهد بطليموس الخامس الظاهر الذى أمر بحفره على صخور جزيرة سهيل على مقربة من إلفنتين عند الجندل الأول . ويروى هذا النص قصة " المجاعة " التى تفشت على مايفترض فى عهد " چسر " ، وكيف استطاع الملك أن يقضـى عليهـا . وتـصـور القصة الملك "چسر " وهـو يـروى همومه مـن جراء تردى الأوضاع فـى مصر قائلاً :

" قلبى مثقل بالهموم ، وفيضان النيل لم يصل فـى موعده طوال سبع سنوات . الغلال نادرة ، والحبوب جفت ، والغذاء شحيح . قل دخل الناس وتقلص ، ووصل الإعياء بالجميع حداً أقعدهم عن الحركة . الطفل يبكى ، والشباب يائس . الشيوخ مثقلة قلوبهم حزناً : سيقانهم مثنية وهم جالسون على الأرض وقد أخفوا أيديهم . وعمت الفاقة لتشمل رجال البلاط أنفسهم . أغلقت المعابد . وتـراكمت الأتـربه فوق الأحـرام المقدسـة . وباختصار شديد فقد عـم الأسى الوجـود كلـه " .

ويمضى النص فى روايته فيروى أن الملك انكب بحثاً فى السجلات ، حتى توصل إلى معرفة مصدر الفيضـان والدور الذى يضطلع بـه الكبش " خنوم " سيد إلفنتين فى إرتفاع مياه النهر، فاجزل له التقديمات . فجاءه الإله فى المنام ووعده بما يلى :

" مـن أجلك أمـرت أن تـرتـفـع ميــاه نـهـر النيــل ، ولــن تشــهد سـنـوات تـنـخـفـض فيــها مياه الفيضان . لــن يـصـيـب الجـفاف أرضــاً ، وسـوف تـتـفـتـح الأزهــار تحــت ثـقــل غبــار اللقـــاح ." (Barguet: 1953, 15 et 28)

وبطليموس الخامس الظاهر تستر فى هذا النص خلف ملامح شخصية " چسر " ليروى الطريقة التى تغلب بها هو نفسه على تضافر العواقب الضارة لثورة خلفاء إرجامين مع المجاعة . وقد لجأ إلى ذلك لأنه كان يعتبر " چسر" مؤسس الزعامة المنفية. وبذلك ربط نفسه بالأصول الوطنية المتواتره منذ القدم : وبـنموذج الملك المثقف التقىّ الذى لا يتردد فى سبر أغوار منابع اللاهوت والتاريخ بحثاً عـن أســس نشأة الكون ونمــاذج أمجاد الماضى التليد . و " چسر " و " إيمحوتب " خير مثالين .

والمعلومات المتوفرة عن كليهما مستمدة من الأساطير ، أكثر من اعتمادها على المعطيات التاريخية . وقد تحققنا من أن " چسر " و " نترى خت " شخص واحد بفضل مخربشات السياح الذين زاروا هرمه فى العصور القديمة ، وبالرجوع إلى المصادر التى تشبه " نصب المجاعة " التى تبرز أهمية منف السياسية فى عهده . والغريب فى أوضاع هذا الثنائى الذى يجمع بين الملك وخادمه " ايمحوتب " ، أن المعلومات حول الخادم أكثر توافراً ، بــل أنــه صـار محـل تبجيل وعبــادة . ويعتقد أن العمر قد امتد به إلى عهد الملك " حونى " قرب نهاية الأسرة الثالثة ، وأنه لم يشغل أى منصب سياسى . ولكن من المعروف أنه شغل وظائف كبير كهنة مدينة هليوبوليس والكاهن المرتل ورئيس المعماريين، وكانت هذه الوظائف سبب شهرته . وقد خلّف لنا الدهر صورة عن " ايمحوتب " تظهره كأبرز شخصيات عصره .وفى ظل الدولة الحديثة لم يرفعه الأدباء إلى مصـاف راعـى الكتــبة وحاميــهم لتفــوقه الأدبــى ، بـل لأنه كان يعتبر تجسيداً للحكمة ، وكانت "التعاليم" أحد أهم أشكالها . ولما كانت قدراته قدرات ذهنية أكثر منها أدبية فإنها تشهد على الوظائف التى يفترض أنه قد تبوأها فى خدمة " چسر " . وحسبما جاء فى جدول تورين فقد اعتبر إبنا للإله " پتاح " نظراً لصفاته كمستشار ثاقب النظر وهى نفس صفات الإله الخالق فى منف وفقاً لمعتقدات المصريين الدينية . وهى أولى مراحل عملية رفعه إلى مصاف الأبطال التى ستؤدى إلى تأليهه كإله محلى لمدينه منف ، له كهنوته المتفرغ لشعائره ، وله أسطورته الخاصة . ثم ينتهى به الأمر ليصبح وسيطاً يحل مشاكل البشر اليوميه ، ومتخصصاً فى المسائل الطبية . واحتــفــظ الإغريــق بهــذا التخصص

الـذى تـميـز بــه " ايـموتيس " المنـفـى عندمـا دمـجوه مـع " إسكلپيوس " . وانتشرت عبادته في عصور امبراطورية الإسكندرية حتـى وصلت إلـى مدينة " مروى " بعد أن استقرت في مدينة فيلة حيث شيد له معبداً . وقد عاش بعد انهيار الحضارة المصريـة مـن خلال التقاليـد العربية وفـى سقارة علـى وجه التحديد حيث توجد مقبرته علـى مايظن . وعلـى العكس منـه لـم يـؤله الملك " چسر " . وكان هـرمه كافياً ليضمن لـه الخلود مـن خلال ابتكار شكل معمارى جديـد سيصبح النموذج المفضل لكافة خلفائه وحتـى نهاية الدولـة الوسطـى .

نهاية الأسرة الثالثة

لم تكن نهاية الأسرة الثالثة أوضح من بدايتها . ويصعب علـى الباحث أن يطابق المعطيات التى تقدمها قوائم الملوك مع تلك التى يوفرها علم الآثار . وفى غياب الوثائق الجلية تطرح معطيات علم الآثار ترتيباً يرتكز على تطور عمارة المقابر الملكية . وبالفعل فقد عثر فى موقع زاوية العريان أى فى منتصف المسافة بين الجيزة و " أبو " صير على مقبرتين . أما المقبرة الجنوبية المعروفـة إصطلاحاً بالهرم « ذى الطبقات » فقد تـأثرت بشـكل واضح بعمارة هرمى « سخم خت » و « چسر » فى سقارة .

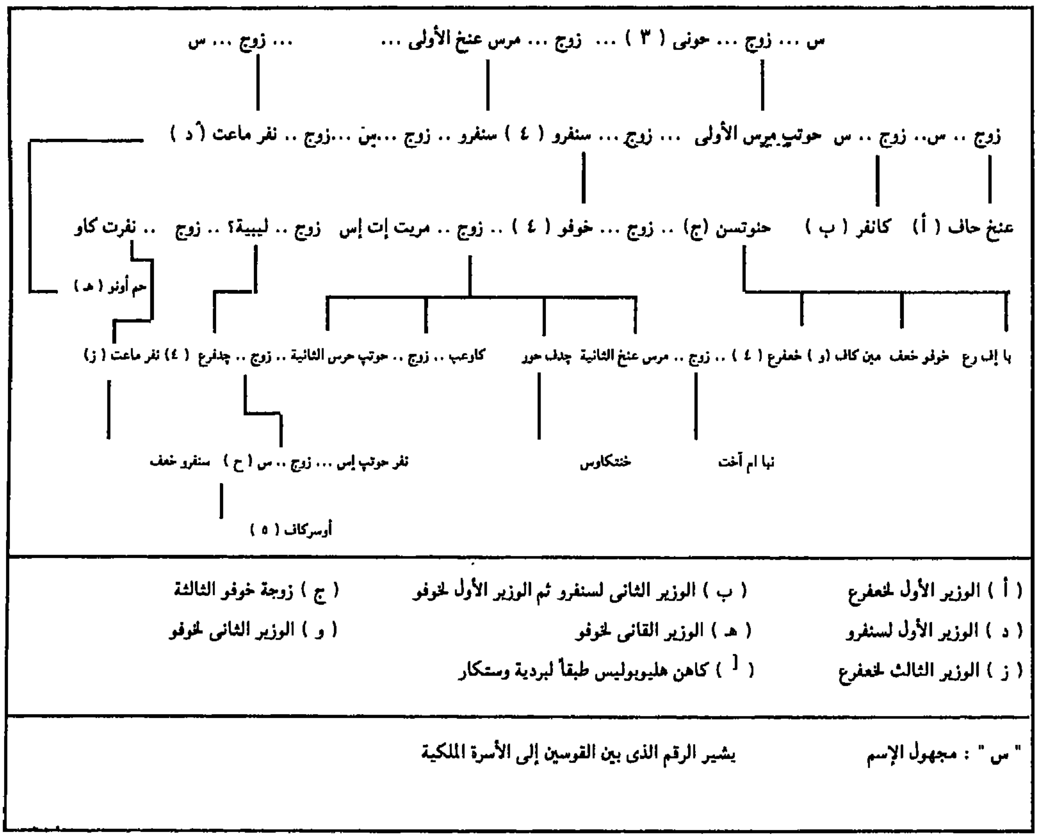
ويحتمل أن هذه المقبرة غير كاملة ولم يستكمل بناؤها . إلا أن نقوش الأوانى ، وهـى المرجع الوحيد الذى نستند إليه ، تشير إلى أن صاحب المقبرة هو الملك « خع با » الذى لم يعثر له على أى أثر آخر ، وإن كان البعض يرى فيه الملك « حونى » الذى ورد اسمه فى قائمة سقارة الملكية وجدول « تورين » الذى حدد له مدة حكم تصل إلى أربع وعشرين سنة ، أى أنها تغطى الربع الأول من القرن السادس والعشرين قبل الميلاد . وقد تأكد ترتيبه كآخر ملوك الأسرة الثالثة من نص أدبى ألفه الكاتب « كاإيرسو » ، حسبما ورد فى نصوص مختارة من عصر الرعامسة . والنص المقصود هنا هو « التعاليم » التى يفترض أنها وجهت صورياً إلى شخصية معاصرة للملك « تيتى » وهى وزيره « كاجمنى » الذى دفن على مقربة من هرم سيده فى سقارة . وعلى غرار ماحدث لـ « إيمحوتب » فقد أصبح « كاجمنى » فـى نـهاية الدولـة القديمـة شخصية تحوطـهـا هـالـة أسطوريـة على اعتبار أنـه تبـوأ شتـى المناصب منـذ عهـد « سنفرو » . وينتهى النص بالكلمات الآتيـة : " عندئـذ توفـى صاحب الجلالة « حونى » ملك الوجهين القبلـى والبحـرى وخلفـه صاحب الجلالـة سنفرو ملك الوجهيـن القبلـى والبحرى ورُفـع إلـى مرتـبـة الملك المحسـن فـى هـذا الـبلـد بـأكمـله . وعندئـذ أصبـح « كاجمنى » عمـدة ووزيراً (بردية « بريس » : P. Prisse 2, 7 - 9) .

واذا كان " حونى " هو بالفعل آخر ملوك الأسرة الثالثة فما هو ترتيب مشيد المقبرة الأخرى فى زاوية العريان ، إنه " حورنب كا (رع) " أو " حور نفركا(رع) " حسبما ذكرت بعض المخربشات . وترتبط عمارة هرمه بالأسرة الثالثة أو على أقل تقدير بالعودة إلى اسلوب هذا العصر . ولكن هـل يكفى ذلك للتيقن مـن أنه الملك " نب كا (رع) " كما ورد فى جدول سقارة ، أو " ميسوخريس " عند " مانتون " ، أو أنه على كل حال أحد أسلاف " حونى " ؟

وهكذا نرى أن كتابة تاريخ الأسرة الثالثة مازال أمامه شوط طويل قبل أن يبلغ مستوى مرضياً ، وربما ساعدت الحفائر فى المستقبل على تعميق فهمنا لمتابعة وقائعها . ونحن ، من ناحية أخرى ، نجهل الأسباب التى كانت وراء الانتقال إلى أسرة جديدة كان من أوضح ملامحها انتقال الجبانة الملكية فى اتجاه الجنوب من زاوية العريان إلى ميدوم ثم دهشور، قبل أن تعود أدراجها ناحية الشمال فى عهد خوفو .

سـنفرو

لم تكن " مرس عنخ " والدة " سنفرو " مؤسس الأسرة الجديدة من دم ملكى ، ومن



شكل(٢٠) - مختصر أنساب الأسرة الرابعة: الأجيال ١ - ٦

المحتمل أنها كانت إحدى سرارى " حونى " وإن لم يوجد مايؤكده . ولكن إذا صح هذا فقد تزوج ابنها من "حوتب حرس " الأولى إحدى شقيقاته من والده " حونى" ووالدة" خوفو"ليؤكد بالدماء الملكية حقه فى الحكم . وتلقى صلة البنوة هذه بظلال من التعقيدات على أنساب الأسرة الرابعة التى تستطيع أى دراسة ولو حتى مختصرة أن توضح مدى رسوخ العائلة المالكة فى الحكم .

إن سنفرو ، شأنه شأن سلفيه " چسر " و " نب كا " من الأسرة الثالثة ، قد خلّف صورة أسطورية ، جسده فيها الأدب المصرى بطلاً اشتهر بكرمه الفياض . وفى الدولة الوسطى رفع إلى مصاف الآلهة ، وأصبح نموذج الملك الكامل ، وانتسب إليه العديد من الملوك أمثال " أمنمحات " الأول عندما أرادوا أن يصبغوا الشرعية على سلطانهم . وبالإضافة إلى ماناله من شعبية تشهد عليها قوائم الأعلام ، بلغت هذه الحظوة حد ترميم معبده الجنائزى فى دهشور . والمصادر التى تتعرض لوصف عهده كثيرة ومتوفرة حيث طالت سنى حكمه المجيدة حتى كادت تبلغ الأربعين سنة .وحسبما ورد فى حجر بالرمو كان سنفرو ملكاً محاربا إذ يفترض أنه خرج على رأس حملة عسكرية لقمع تمرد فى إقليم "دوديكاخوينوس " ، وعاد ومعه سبعة آلاف أسير وهو رقم مبالغ فيه دون شك ،إذ من المعروف أن هذه المنطقة ، وهى تشمل على وجه التقريب ، النوبة الحالية كان عدد سكانها عند منتصف القرن العشرين يناهز خمسين ألف نسمة . كذلك عاد بأعدادكبيرة من الماشية تصل إلى مايقرب من عشرين ألف رأس . ويضاف إليها حسب نفس المصدر ١٣١٠٠ رأس ماشية عاد بها من حملة شنها على الليبيين الذين أسر منهم ١١ ألف رجل . كانت هذه الحملات العسكرية أكثر من مجرد غزوات ضد قبائل شقت عصا الطاعة . فقد ظلت النوبة منذ بواكير العصر الثينى مستودعاً لليد العاملة سواء للإنشاءات الضخمة أو للحفاظ على الأمن .أما سكان الصحراء الشرقية المعروفين باسم « مچاو » والذين عرفوا فيما بعد باسم « البليميين » ، فقد أمدوا مصر بما يلزمها من قوات الشرطة الضرورية لحفظ الأمن فى ربوع المملكة . كما استهدفت هذه الحملات السيطرة على معابر القوافل المتاجرة فى المنتجات الإفريقية كالأبنوس والعاج والبخور والحيوانات الغريبة من زراف وقردة – التى انتشرت باطراد خلال الدولة القديمة – وبيض النعام وجلود الفهود ..إلخ . وفى نفس الوقت كان من الضرورى مراقبة مناطق إنتاج بعض المواد المستوردة كالذهب الذى كان يستخرج على امتداد صحراء النوبة جنوب شرقى وادى العلاقى وحتى نهر النيل أو الديوريت غربى « أبو » سمبل .

وقد دفعت هذه الاهتمامات معظم ملوك مصر بدءاً من " سانخت " إلى إرسال الحملات إلى سيناء .لم يكن الغرض من هذه الحملات ردع غزاة من مناطق سوريا وفلسطين ، فقد كان زحف هؤلاء أمراً مستبعداً ، بل كان الهدف المؤكد هو تأمين استغلال المناجم الواقعة غربى شبه جزيرة سيناء فى وادى نسب ووادى المغارة حيث كان يجرى استخراج النحاس والدهنج وبصفة خاصة الفيروز . ولم يشذ سنفرو عن القاعدة وقاد حملة ضد البدو الذين كانوا يعاودون كل مرة الاستيلاء على المناطق التى لايستغلها المصريون بصفة دائمة . ولاشك أن شعبية " سنفرو " المتأصلة فى سيناء حتى الدولة الوسطى كانت ترجع على مايبدو إلى نهوضه بأعمال استغلال مناجم المنطقة وتأسيسها تأسيساً راسخاً . ولم تمنع حالة الحرب غير المعلنة مع قبائل البدو من إقامة علاقات تجارية مع مناطق الشام عن طريق واجهتها البحرية فى فينقيا . بل لقد أرسل " سنفرو " حملة تتكون من أربعين سفينة كان الغرض منها جلب الأخشاب اللازمة لأعمال البناء والتى ظلت مصر تفتقر إليها باستمرار .

لقد شيد " سنفرو " السفن والقصور والحصون والديار والمعابد . بالإضافة إلى أنه الوحيد من بين ملوك مصر الذى يمكن اعتباره صاحب ثلاثة أهرامات . وبالفعل فقد اتجه فى مرحلة أولى إلى أقصى جنوب جبانات أسلافه عند موقع ميدوم حيث شيد مقبرة لم تبتعد كثيراً عن التقنيات التى استخدمت فى هرم " چسر " . وفى العام الثالث عشر من حكمه ، على مايبدو ، وعندما كان العمل فى بناء هذا الهرم يوشك على الانتهاء تخلى عن إستكماله ليبدأ فى تشييد هرمين جديدين فى دهشور فاتحاً الطريق لإقامة أول هرم كامل . ويصعب معرفة الأسباب التى دفعته إلى نقل الجبانة الملكية إلى ميدوم ثم إعادتها ثانية إلى الشمال . ولكن اختيار ميدوم كان الغرض منه بصورة مؤكدة إبراز الاختلاف مع الأسرة السابقة وجاء متفقا مع النصف الأول من حكمه . ولاشك أن العائلة المالكة قد احتفظت بروابط مع ميدوم حيث دفن فرعها الأكبر لاسيما " نفرماعت " الذى كان وزيراً فى عهد « سنفرو » وشغل ابنه " حم أونو " نفس المنصب فى عهد " خوفو " الذى اعتبره البعض عمه . وواصل " حم أونو " تقليداً عائلياً – استهله " نفرماعت " مع " حونى " – فشيد لحساب سيده عاهل البلاد هرم الجيزة الكبير . ونال بالتالى شرف إقامة مقبرته على مقربة من قبر سيده وان يوضع فيها تمثاله . ويعتبر " رع حوتپ " من أشهر الضيوف الذين شرفوا ميدوم ويظهره تمثاله بجوار زوجته " نفرت " ، وهو من التحف التى يفخر بها متحف القاهرة . (شكل ٣٣) .

خـــوفــــو

شُيدت أهم جبانات الأسرة الرابعة فوق هضبة الجيزة ، تطل عليها أهرام خوفو وخلفائه ، وتنتظم من حولها طرقات تصطف على جانبيها مصاطب الموظفين والأعيان فى موكب مهيب ، يصاحبون سيدهم إلى العالم الآخر . وكان مصير خوفو فريداً فى بابه . واسم خوفو إختصار لاسمه الكامل " خنوم خو إف وى " أى " الإله خنوم يحمينى " . واعتبر هرمه منذ العصور القديمة رمزاً حياً لملك حكم مصر حكماً مطلقاً . وكان يحلو " لهيرودوت " أن يبرز قساوة حكمه فيما رواه عن مصر ، فقال فى هذا الصدد :

" لم يترك " كيوپس " (خوفو) شراً إلا واقترفه . فبدأ بإغلاق جيمع المعابد، وحرّم على المصريين تقديم الأضاحى . ثم أمرهم بالعمل لحسابه ، وتولى بعضهم التنقيب عن مقالع أحجار الجبل العربى لقطع الأحجار التى تسحب بعد ذلك حتى ضفاف النيل ثم تعبر بالسفن إلى ضفة النهر الأخرى . ليتولى أخرون سحبها حتى الجبل الليبى . كانوا يعملون فى مجموعات تتناوب كل ثلاثة أشهر ، وتتكون كل مجموعة من مائة ألف رجل. أما الطريق الصاعد الذى سحبوا عليه الأحجار فقد استغرق تشييده عشر سنوات عانى خلالها الناس من شتى ألوان العذاب (...) واستغرق العمل فى بناء الهرم نفسه عشرين سنة (...) ولشدة حاجة " كيوپس " للمال انحدر إلى أحط درجات الرذيلة فوضع ابنته فى ماخور تمارس فيه الدعارة لتحصل من عشاقها على قدر معين من المال . ولم يخبرنى الكهنة عن مقدار هذه الأموال . وفضلاً عن أنها نفذت أوامر أبيها إلا نها أرادت أن تترك أثراً خاصاً بها . فطلبت من كل من زارها أن يهدى إليها حجراً . ومن هذه الأحجار شُيِّد الهرم الذى يقع وسط الأهرامات الثلاثة القائمة أمام الهرم الأكبر . ويبلغ طول كل ضلع من أضلاعه بليتروناً واحداً ونصف " .

لم يحتفظ له المصريون بذكرى طيبة كما فعلوا مع " سنفرو " رغم استمرار عبادته حتى العصر الصاوى وانتشار شعبيته فى ظل السيطرة الرومانية . و " خوفو " هو الملك الذى تروى على مسامعه عجائب قصص أسلافه من ملوك مصر فى بردية " وستكار " ، ويظهر فيها فى الصورة التقليدية للملك الشرقى كما نعرفه من خلال القصص والحكايات: فهو لين العريكة ، مغرم بكل غريب وعجيب ، أنيس مع أتباعه ولكنه لايعير حياة البشر أدنى اهتمام . ويظل تشييد مقبرته شغله الشاغل . وتصوره رابع قصص بردية "وستكار " وهو يسعى لاكتشاف " القاعات السرية فى معبد تحوت " التى يود

إقامتها فى معبده الجنائزى . وخلال بحثه يتعرف على ساحر من ميدوم يدعى " چدى " يبلغ من العمر العاشرة بعد المائة . ومازال فى هذه السن المتقدمة يأكل مائة وخمسة أرغفة ونصف بقرة ويشرب مائة جرة جعة " . وينبئه الساحر أن " أوسركاف " أول ملوك الأسرة التالية وابن " رع " البكر من زوجة أحد كهنة " رع " فى مدينة هليوبوليس سوف يكشف له عن السر الذى يبحث عنه ! وتروى بقية البردية كيف أحاطت العجائب والغرائب بولادة ملوك الأسرة الخامسة الأوائل،كما نجهل نهاية القصة نظراً لضياع الجزء الأخير من البردية. ولكن نلاحظ أن " خوفو " لم يعد يحتل مكانة مرموقة سواء فى صفوف أسلافه بما عرف عنهم من حكمة ، أو خلفائه بما اشتهروا به من فضيلة . فعندما همّ خوفو بقطع رأس أحد الأسرى لمجرد الاستمتاع بمشاهدة الساحر " چدى " وهو يعيدها إلى مكانها ، اهتزت مشاعر الساحر لهذا التصرف المؤسف فمنع الملك بل ونهره وحاول تقويمه قائلاً : "لاياسيدى ياصاحب الجلالة . لاتقتل كائنا بشريا . فمن المحرم تجربة مثل هذه الأمور على قطـــيع الله ! . " ومن الجدير بالملاحظة أن ميدوم هى مسقط رأس هذا الساحر الخاضع كل الخضوع لمشيئة الله ، كما كانت ميدوم أيضاً الموطن الأصلى " لسنفرو " على مايبدو . لقد كتبت جميع هذه النصوص التى تتناول ملوك الأسرة الرابعة بعد أن أثار عصر الانتقال الأول الجدل حول الصورة التـــى ارتسمت فى الأذهان عن نظام الحكم الذى ساد خلال الدولة القديمة وباشر سلطاته دون منازع . فكان من المنطقى إذن أن تتهجم هذه الكتابات على الملوك الذين شادوا أعظم العمائر كرموز متضخمة لما تصوره عن جبروتهم ، فشوهت الحقائق والوقائع (Posener : 1969, 13) . ولكن إذ صح هذا الاستنتاج ، فلماذا ظل الملك "سنفرو " بمنأى عن أى تجريح رغم أنه من أعظم بناة الأهرام بالمقارنة مع غيره ممن خلفوه من ملوك ؟

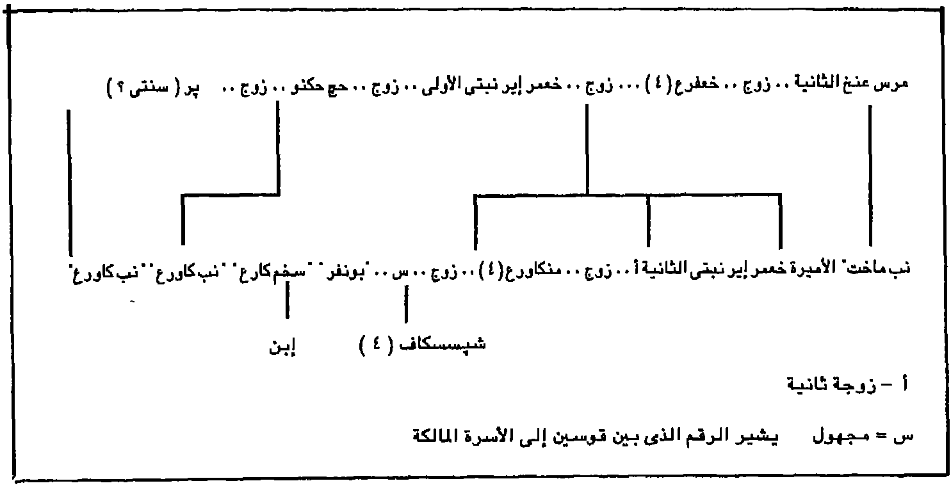
وإذا استبعدنا النصوص الأدبية المتواترة ، فإننا لا نعرف سوى القليل جداً عن "خوفو " . بل من المفارقات الغريبة ألا يخلف وراءه ، وهو صاحب أضخم عمائر مصر والذى يعد أحد عجائب الدنيا السبع ، سوى تمثال صغير من العاج يبلغ ارتفاعه ٩ سم ، ويمثل الملك جالساً على عرش مكعب الشكل مرتدياً النقبة " شنديت " ، وعلى رأسه تاج الوجه البحرى . وكان هذا التمثال الوحيد مكسوراً عندما عثر عليه " فلندرز پترى " عام ١٩٠٣ فى أبيدوس ، وهو محفوظ الآن فى المتحف المصرى بالقاهرة . أما الوثائق التى توفر لنا المعلومات عن عهده فهى قليلة : منها مخربش " وادى المغارة " وينص على

متابعته لأعمال والده في سيناء . ونصب حجرى من محاجر الديوريت الواقعة في صحراء النوبة غربى " أبو " سمبل وتشهد على نشاطه جنوبـى الجندل الأول . كما أننا لا زلنا لانعرف شيئاً مؤكداً عن عدد سنوات حكمه ، فهى ثلاثة وعشرون سنة طبقا لجدول تورين في حين تصل إلى ثلاثة وستين سنة عند " مانتون " .

خلفاء خوفو

أنجب " خوفو " ابنين ، ولد كل منهما من أم مختلفة وخلفاه في الحكم . أولهما " جدفرع " الذى اعتلى العرش بعد وفاة أبيه ، والذى يكتنف الغموض كلا من شخصيته وحكمه ، حتى صار من الصعب التأكد من أن حكمه قد دام ثمان سنوات فقط كما جاء في جدول تورين أو استمر أكثر من ذلك (دون الحاجة إلى القول بأنه دام ثلاثاً وسبعين سنة طبقاً لرواية مانتون) . ومع ذلك يشكل تسلمه السلطة منعطفاً لاجدال فيه ، ينبئ بالهزات التى وقعت عند نهاية الأسرة الرابعة . فكان أول ملك يضم إلى ألقابة لقب " ابن رع " . كما انتقل من الجيزة إلى " أبو رواش " شمالاً على مسافة عشرة كيلو مترات ليقيم مقبرته . ولم يأت اختيار هذا الموقع اعتباطاً . فمغزى اختياره واضح وينطوى على معنى العودة إلى القيم السابقة في عهد " خوفو " ، إذ سبق استخدام هذا الجزء من الهضبة أيام الأسرة الثالثة . وإضافة إلى ذلك فقد عاد " جدفرع " ثانية إلى الاتجاه الشمالى الجنوبى والمسقط الأفقى المستطيل المستوحى ، في أغلب الظن ، من نماذج سقارة . وكانت مجموعته الجنائزية تتكون من معبد للشعائر وطريق صاعد ضخم ومعبد المزار الذى لم يتم التنقيب عنه حتى الآن . إلا أن العمل بهذه المجموعة لم ينته مما يوحى بقصر مدة حكم "جدفرع " ، كما أنها نهبت بشدة . ولكن لابد أن لهذا النهب دلالته ومغزاه . فلما كان الهرم مشيداً بمواد بناء نفيسة كالسيانيت والكوارتـزيت الأحمر المجلوب من الجبل الاحمر ، فقد أصبحت هذه الأحجار مطمع الكثيرين . وهكذا اكتشف " إميل شاسّينا " **E. Chassinat** عام ١٩٠١ على مقربة من الهرم مجموعة من حطام مايقرب من عشرين تمثالاً من الكوارتزيت تمثل جميعها الملك . وتعتبر أجمل هذه التماثيل من روائع الفن التشكيلى الملكى في الدولة القديمة وهى من مقتنيات متحف اللوفر .

إن مكانة " جدفرع " في العائلة المالكة ، وعلاقاته بأخيه غير الشقيق " خَعفْرِع " الذى خلفه غير واضحة ، كما نجهل إسم أمه ، ولكن نعرف أنه تزوج على مايبدو من أخته غير الشقيقة " حوتپ حرس " الثانيـة التى سبق لها أن تزوجت " كاوعب " ولى



شكل (٢١) - مختصر أنساب الأسرة الرابعة، الأجيال ٤ - ٦: الفرع الأكبر.

عهد خوفو ووزيره الذى مات فى حياة أبيه . ونعرف مكان وجود مقبرته وهى من أولى المقابر التى شيدت فى الجبانة الواقعة شرقى هرم أبيه " خوفو " ، كما نعلم أن المصريين قد ظلوا يخلدون ذكراه حتى عهد رمسيس الثانى . فقد رمم الأمير " خعمواس " أحد تماثيله فى معبد منف . وأنجب " كاوعب " من زواجه من " حوتپ حرس " الأميرة " مرس عنخ " الثالثة التى قدر لها أن تتزوج " خعفرع " . أما " چدفرع " فقد رزق من زواجه من " حوتپ حرس " الثانية بنتاً اسمها " نفرحوتپ إس " . ومن المحتمل أنها كانت والدة الملك " أوسركاف " .

بعد وفاة " كاوعب " ، فإنه يبدو أن التنافس بات على أشده بين " چدفرع " وبين "چدفحور"أخيه غير الشقيق الثانى الذى اكتشفت مقبرته على مقربة من مصطبة " كاوعب " ، وكانت ناقصة لم تكتمل ولحقت بها عن عمد أضرار بالغة . فهل جاء ذلك نتيجة ما أصابه من ملاحقات واضطهاد ؟ تساؤل يصعب الإجابة عليه . ولكن الأمر يبدو مقبولا إذا اعتبرنا أن " چدفحور " هو والد الملكة " خنتكاوس " والدة " ساحورع " و" نفرايركارع " . و " خنتكاوس " هى ذاتها الملكة " ردچدت " التى حدثتنا عنها بردية وستكار حين بشرها الساحر " چدى " فى حضرة " خوفو " بأنها سوف ترزق من الإله " رع " بملوك الأسرة الخامسة الثلاثة الأوائل . ويبدو الأمر كأنه صراع بين فرعين متنافسين داخل العائلة المالكة وأن " چدفرع " قد انتصر على " جدفحور " ، لتعود السلطة إلى الفرع الأكبر مع الملك " خعفرع " . ولهذه الفرضية وزنها الكبير بالنظر

لحكم الأجيال اللاحقة على أبناء " خوفو " . وهناك مخريش اكتشف فى وادى الحمامات ويرجع إلى الاسرة الثانية عشرة يضم "چدفحور " وأخاه الآخر غير الشقيق "با إف رع" إلى خلفاء " خوفو " الذين تولوا بعد " خعفرع " . وعلاوة على ذلك فقد رفعه التقليد الملكى المؤازر للشرعية إلى مكانة مساوية تقريبا فى بعض جوانبها إلى شخصية " ايموحتب " ، فاعتبر أديباً . ومؤلفه " التعاليم " كان يدرسه تلاميذ المدارس ، كما جرى الكثير من أجزائه مجرى الأمثال ، واستشهد بها أفضل المؤلفين بدءاً من "پتاح حوتپ" وحتى العصر الرومانى . لقد تخصص " چدفحور " فى النصوص الجنائزية ، فهو من اكتشف فى " معبد هرموپوليوس " الأشمونين حجراً من كوارتزز الصعيد عند قدمى الإله العظيم » . وقد دون عليه أربعة من أهم فصول كتاب الموتى : تعويذة (الفصل ٣٠ "ب") التى تحول دون أن يشهد القلب ضد صاحبه . وتعويذة (الفصل ٦٤) وهى من أهم التعويذات إذ تفتح الطريق أمام التجلى .وتعويذة الشعلات الأربع (الفصل ١٣٧ أ) .وأخيراً التعويسذة التى تكرس لمجد المتوفى فى عالم الموتى (الفصل ١٤٨) . وقد سبق بهذا " ستنى خعمواس " ، كما أنه أيضاً الأمير الذى أعلن عن وجود الساحر " چدى " فى بردية " وستكار " .كما تلامس أبعاد شخصيته عالم الأسطورة حتى ليتعذر على الدارس تحديد دوره التاريخى الحقيقى . فإن صح ما أوردته النصوص فقد كان عالماً مرموقاً معاصراً " لخوفو " وامتد به العمر حتى عهد " منكاورع " .

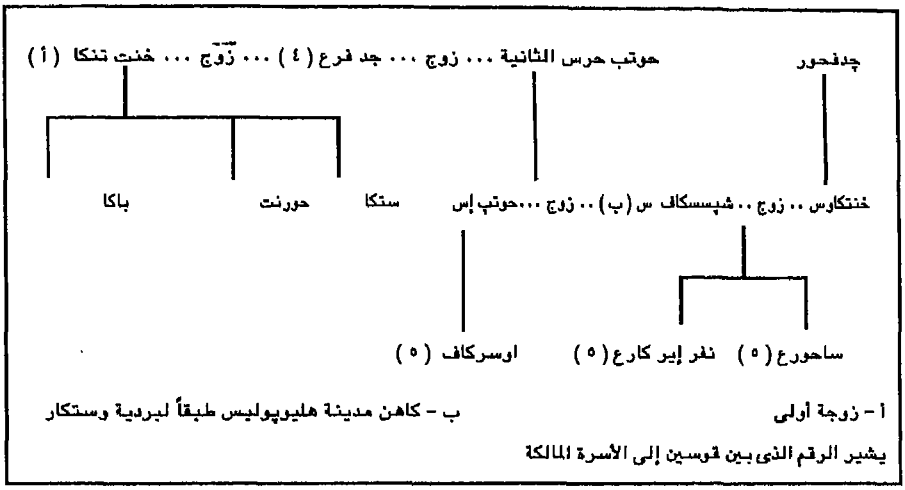
وكان ارتقاء " خعفرع " عرش البلاد بمثابة عودة الفرع الأكبر من العائلة المالكة لتسلم مقاليد السلطة والعودة إلى تقاليد " خوفو " . وجاءت سنوات حكمه المجيدة التى دامت خمسا وعشرين سنة تدعيما لهذه الأوضاع . وعاد إلى هضبة الجيزة ليشيد فوقها هرمه جنوبى هرم والده ، وزوده بمعبد المزار المشيد من الحجر الجيرى والجرانيت . وقد اكتشف العالم الأثرى الفرنسى مارييت عام ١٨٦٠ فى ردهة المعبد أحد التماثيل التى يفخر بها متحف القاهرة ، وقد ألقى به فى أعماق بئر وسط حطام قطع مختلفة ومتنوعة . وقد عثر حديثاً على تمثال مشابه له (Vandersleyen : 1988) . ويصور التمثال " خعفرع " جالساً على العرش الملكى يحميه إله الأسرات " حورس " الذى يحتضنه بجناحيه (شكل ٢٨) . إن الفصل بين العهدين ليس بالخطورة التى يتصورها الكثيرون ، فلا يوجد هناك إنقطاع ايديولوچى بين العهدين . بل على العكس من ذلك نرى " خعفرع " يواصل السير فى الطريق اللاهوتى الذى بدأه سلفه . فنراه لايبقى على لقب " ابن رع " فحسب ، بل يزيد على ذلك تأكيد

أهمية الإله " آتوم " أمام الإله " رع " ، كما فعل سلفه ، وباسلوب تجلت فيه عبقريته وطبقت شهرته الأفاق .فإن أول مثال معروف " لأبو " الهول الملكى الذى عثر عليه فى " أبو رواش " يرجع إلى عهد " چدفرع " . أما التماثيل التى اكتشفها " إميل شاسّينا " والتى سبق الإشارة إليها فتضم رأسا آية فى الجمال يحتفظ بها متحف اللوفر فى الوقت الراهن . وكانت فى الأصل على ما يبدو جزءاً من تمثال لأبو الهول . وقد أمر "خعفرع " ببناء ونحت كتلة حجرية ضخمة فى هضبة الجيزة تخلفت عن أعمال حفر من عهد " خوفو " لتتخذ شكل أسد رابض له رأس تصور وجه الملك شخصياً . وقد ارتدى غطاء الرأس " نيمس". وكانت مقاييس " أبو الهول " تتناسب مع مقاييس الهرم . وقد اعتبر فى الدولة الحديثة الإله " حورس فى الأفق " ، ويمثل الملك نفسه كتجسيد للإله آتوم. إن إقامته عند مدخل الجبانة إلى جانب المعبد الذى أقامه الملك يعتبر إبرازاً لقيمته المزدوجة : إن "خعفرع " هو الصورة الحية " لأتوم " أى " شسپ عنخ " ، بالمصرية القديمة. وتكتب بواسطة علامة هيروغلوفية تمثل على وجه التحديد صورة أبو الهول رابضاً، فهو الصورة الحية" لأتوم " سواء فى حياته أو بعد انتقاله إلى العالم الآخر، وهذا بعد أن تغير مظهره وتجلى.

ومن زوجته " خعمر إير نبتى " أنجب ابنه " منكاورع " أى " ثابتة هى كاو الاله رع " أو " ميكرينوس " ، كما سجله " هيرودوت " والذى لم يخلف أباه مباشرة . وطبقاً لرواية " مانتون " فقد جاء جلوس " بيكريس " على عرش مصر ليتخلل حكم " خعفرَع " وابنه " منكاورع " . و " بيكريس " هو الإسم الإغريقى للملك المصرى " با إف رع " ومعناه " رع " هو " باؤه " . وقد ورد ذكره كما لاحظنا من قبل فى الأسرة الثانية عشر إلى جانب " چدفحور " الذى يوحد البعض بينه وبين " نب كا "صاحب الهرم الناقص الذى كشفت عنه أعمال التنقيب فى منطقة زاوية العريان . وفقد " منكاورع " أحد أبنائه ولكن ابنه الأخر " شپسسكاف " خلفه على العرش ، وهو الذى تولى مهمة إتمام معبده الجنائزى ، وربما أتم أيضاً بناء هرمه، الهرم الثالث فى مجموعة أهرام الجيزة وأصغرها . وهو أيضاً الهرم الوحيد الذى كان كسْاء الجزء الأسفل منه مشيدا من حجر الجرانيت ، أما الجزء الأعلى منه فكان مغطى بالحجر الجيرى الأملس . وطبقاً " لمانتون " فإن مدة حكمه يكتنفها الشك. ولكن جميع العناصر السابق ذكرها ترجح فرضية امتداد حكمه لمدة تصل إلى ١٨ سنة وليس إلى ٢٨ سنة .

و " شپسسكاف " هو آخر ملوك الأسرة الرابعة . وأغلب الظن أنه تزوج من "خنتكاوس " ابنة " چدفحور " توثيقاً لعرى الروابط بين فرعى العائلة المالكة . ولقد ورد فى مقبرة " خنتكاوس " فى الجيزة أنها " والدة ملكين حكما الوجه القبلى والوجه البحرى " . وهما على الظن وكما رأينا " ساحو رع " و " نفرإيركارع " . وقد اعتبرها المصريون الجدة الأولى للأسرة الخامسة . و يبدو أن " شپسسكاف " لم ينجب منها وريثاً للعرش، اللهم إلا اذا اعتبرنا طبقا لرواية مَانيتون أن " ثمفتيس " (چد إف پتاح) ابنا لها . وكان حكمه حكماً عابراً دام سنتين وفقاً لجدول تورين .

رسم " شپسسكاف " لنفسه سياسة دينية اختلفت عن سياسة أسلافة .صحيح أنه أصدر مرسوماً يعتبر أول مرسوم يصل إلينا لحماية أملاك أسلافة الجنائزية ، إلا أنه قطع صلاتة الخاصة بكل تقليد فشيد لنفسه فى سقاره القبلية مقبرة على هيئة تابوت ضخم . ويبدو أن " خنتكاوس " قد شاركتة أفكاره : فهى صاحبة قبرين ،



شكل(٢٢) – مختصر أنساب الأسرة الرابعة الأجيال ٤-٦: الفروع الثانوية الصغرى.

أحدهما فى الجيزة و الآخر فى " أبو " صير على مقربة من مقبرة ابنها . وقد شيد بأسلوب يعتبر إرتداداً واضحاً لأسلوب الأسرة الثالثة . ويدل اختياره " لپتاح شپسس " كبير كهنة منف زوجاً لابنته " خع ما عت " على تخيله عن عقيدة مدينة هليوبوليس .

أوسركاف والفترة الأولى من الأسرة الخامسة .

وتولى الحكم الملك " أوسركاف " الذى يعنى اسمه " قوى هو " كاؤه " الذى يبدو أن ارتقاءه العرش لم يتسبب فى هزات أو قلاقل فى ربوع البلاد أو فى جهازها الإدارى . وحفظ لنا التاريخ أمثلة لموظفين من الأسرة الرابعة استمروا يشغلون مناصبهم

خلال الأسرة الخامسة ، ومنهم على سبيل المثال " نى كا عنخ "من طهنا فى مصر الوسطى. وعلى كل حال فإن بردية وستكار هى المصدر الوحيد الذى أشار إلى أنه ابن للأميرة " ردچدت " التى يفترض أنها " خنتكاوس " . وتوجد روايات متواترة راسخة تؤكد أنه ابن الأميرة " نفرحوتپ إس " التى يحتفظ لها متحف اللوڤر بتمثال نصفى من الحجر الجيرى آيه فى الجمال (Vandier,1958, 48 - 49) .

فهو إذن حفيد " چدفرع " والملكة " حوتب حرس " الثانية على ما يفترض . وينتسب إلى الفرع الأصغر من العائلة المالكة ... ويتوقف الأمر كله على التحقق من شخصية زوج " حوتب حرس " ! ولا نعرف عنه شيئاً . أهو " كاهن رع " رب مدينة "ساخابو " الذى تتحدث عنه بردية " وستكار " ؟ وعلى أى حال فقد شيد "أوسركاف " هرماً على مقربة من مجموعة " چسر " فى سقارة البحرية : وحجم الهرم متواضع جداً فى الوقت الراهن ومهدم إلى حد كبير . كما أرسى " أوسركاف " قواعد تقليد جديد ، فشيد معبداً للشمس فى " أبو صير يفترض أنه صورة طبق الأصل من معبد مدينة هليوبوليس ، وهى المدينة التى ينتسب إليها ملوك الأسرة الخامسة . وقد نهج خلفاؤه نهجه ، ومن المرجح أن اختيار " ساحورع " و " نفر إير كارع " و" نى أوسر رع " لـ أبو صير ليدفنوا فيها إنما جاء على اعتبار أن هذا المكان هو مسقط رأس العائلة المالكة الجديدة وهى مدينة " ساخابو " . ويوجد شبه إجماع على مطابقة هذه المدينة مع " ذات الكوم " القائمة على مسافة عشرة كيلو مترات شمالى " أبو رواش " الواقعة تقريباً على نفس مستوى النقطة التى يتفرع عندها النيل إلى فرعى رشيد ودمياط . كما يظهر النظام الجديد لأوضاع المملكة فى الإسم الحورى " إيرى ماعت " الذى اختاره "أوسركاف " لنفسه ومعناه " الذى وضع ماعت حيز التنفيذ " . إنه توازن الكون الذى يضمنة الخالق ، فهو المسؤل عن إعادة النظام للخلق . وكانت مدة حكمه على ما يبدو قصيرة ، وأقرب إلى السنوات السبع التى يسجلها جدول تورين منها إلى الثمانى والعشرين سنه التى ذكرها " مانتون " . وجاء هجر شعائره الجنائزية مع نهاية الأسرة الخامسة دليلاً واضحاً على تضاؤل أهميته نسبياً . ومع ذلك فقد سجلت له أنشطة محدودة لاسيما فى صعيد مصر ، حيث طور معبد مدينة الطود المكرس للإله " مونتو " إله جنوب الصعيد قبل أن يصبح إله الحرب . كما ترجع إلى عهده على ما يبدو بداية العلاقات المصرية مع عالم بحر إيجه . فقد اكتشف فى معبده الجنائزى آنية مجلوبة من جزيرة " كيثيرا " وهى أول دليل معروف عن قيام هذه العلاقات التى كانت علاقات

تجارية فى أغلب الظن . وقد تأكد وجودها خلال الأسرة الخامسة بعد أن تم اكتشاف مقعد فى "دوراك " مدموغ باسم " ساحورع " . كما اكتشف فى نفس المنطقة أشياء تحمل إسمى " منكاوحور " و " جد كارع إسيسى " .

التفوق الهليوبوليتاني .

يبدو أن مصر قد انفتحت فى عهد الأسرة الخامسة على الخارج ، فى اتجاه الشمال تماماً كما انفتحت فى اتجاه الجنوب . وتشير نقوش المعبد الجنائزى الذى شيده " ساحورع خليفة أوسركاف فى " أبو " صير إلى مناظر عودة الرحلات البحرية القادمة على مايبدو من مدينة بيبلوس ، وفى خلفيتها مناظر سورية إذا صح أن الدببة كانت موجودة هناك ، وذلك إلى جانب مناظر البلاد المهزومة ، وهو مايشير إلى ضرب من الصور البلاغية شاع استخدامها أكثر من تسجيل لحقائق تاريخية . كما يعتقد البعض أن " ساحورع " قد شن حملة على الليبيين ، ولكن أمر هذه الحمله مشكوك فيه . وقد نهضت علاقاته بالعالم الخارجى على ما يبدو على أسس اقتصادية كما كان الحال فى عهد سلفه " أوسركاف " ، سواء فيما يتعلق باستغلال مناجم سيناء أو العودة إلى استخراج حجر الديوريت من محاجر غربى أسوان أو الرحلة التى قام بها إلى بلاد " پونت " ، استناداً إلى ما ورد عنها فى نصوص حجر پالرمو ، كما نجد لها أثراً على ما يظن فى نقوش معبده الجنائزى .

حدد المصريون موقع " پونت " فى " بلاد الإله " ، وكان هذا الإسم يدل منذ الدولة الوسطى على المناطق الشرقية . ويسود الإعتقاد أن هذه البلاد كانت تقع فى مكان ما فى المنطقة المحصورة بين شرقى السودان وشمال إيرتريا .وكانت مصدر مصر الأساسى من المرّ . وقد جلب منها المصريون فيما بعد البخور وأيضاً الالكتروم والذهب والعاج والأبنوس والراتنج والصمغ وجلود الفهود الخ ... وجميعها من المنتجات الأجنبية . ويبدو أن مصدرها أفريقيا . وقد تأكد قيام علاقات تجارية مع بلاد " پونت " خلال الأسرتين الخامسة والسادسة وخلال الدولة الوسطى على وجه التحديد . فقد نظم " حننو " الحملات لحساب "منتوحوتب الثالث " ، وغيره من القادة لحساب سنوسرت الأول وامنمحات الثانى. وتقدم لنا هذه الحملات معلومات تفصيلية حول الطريق الذى سلكته .كانت هذه الحملات تبدأ رحلتها من منطقة طيبة ثم تسلك وادى الحمامات وتبحر من " مرسى جواسيس " حيث توصلت الحفائر التى قامت بها جامعة الإسكندرية بالإشتراك مع هيئة الأثار المصرية إلى الكشف هناك ، قبل بضعة سنوات ، عن مرافق ميناء من الدولة الوسطى . ثم تبدأ رحلة

بحرية عبر مياه البحر الأحمر . وقد تركت بعض أثارها فى النقوش التى خلفتها الملكة "حاتشبسوت "على جدران معبدها الجنائزى فى الدير البحرى تخليداً للحملة التى نظمتها. وفى أعقاب ذلك ترسو الحملة على مقربة من بورسودان لتتوغل غرباً جنوبـــى الجندل الخامس . واستمرت هـذه العلاقات فــى ظل الدولة الحديثة وواصلها كل مـن " تحوتمس الثالث " و " امنحوتب" الثالث " و " وحورمحب" و " سيتى " الأول و " رمسيس " الثانى و" رمسيس " الثالث على وجه الخصوص ، ولكنها توارت واندثرت فيما بعد لتدخل عالم الأسطورة مع أواخر العصر الفرعونى .

أما وثائق خلفاء " ساحورع " المباشرين فهى قليلة ونادرة . ويعتبر " نفرإيركارع – كاكاى شقيق " ساحورع " استناداً إلى بردية وستكار . ولانعرف الكثير عن سياسته ، اللهم إلاأن نقش حجر بالرمو قد جرى على مايبدو فى عهده . و كشفت أعمال التنقيب فى معبده الجنائزى في أبو صير بين عامى ١٨٩٣ و ١٩٠٧ عن كمية كبيرة من البرديات الوثائقية تغطى فترة تبدأ بحكم الملك " أسيسى " وتنتهى مع " پيپى " الثانى . وظلت هذه المجموعة من أهم محفوظات الدولة القديمة المعروفة ، إلى أن قامت بعثة معهد المصريات التابعة لجامعة براغ بكشف النقاب ، على مقربة من المنطقة السابقة ، عن كمية أكبر وأهم فى مخزن تابع للمعبد الجنائزى للملك " رع نفر إف " عام ١٩٨٢ . وسوف تكتمل دراستنا حول سير العمل فى الأملاك الملكية الكبرى فى الدولة القديمة بفضل دراسة اكتشافات أبو صير الأربعة وما أضيف إليها من إكتشافات معبد " رع نفر إف " الجنائزى فى السنوات الماضية .

ويقع عهد " شپسسكارع " بين عهدى " نفر إيركارع " و " رع نفر إف " . ومدة حكمه قصيرة جداً ربما لم تتجاوز بضعة أشهر . ولم يخلّف وراءه شيئاً سوى بصمة ختم اكتشف فى أبو صير إلى جانب ماذكره عنه مانتون . وفى المقابل فإننا نعرف "رع نفر إف" معرفة أفضل ، لاسيما منذ حفائر البعثة التشيكية فى معبده الجنائزى . كانت الفكرة السائدة عن هذا الملك أنه ملك ثانوي قليل الأهمية بالنظر إلى هرمه الذى لم يكتمل بناؤه. ولكن جاءت اكتشافات أعوام ١٩٨٠ – ١٩٨٦ لتغير من فكرتنا عنه . فجاء العثور على مجموعة البردى والبطاقات وما تحمله من تدوينات إلى جانب العثور على المراكب الخشبية وتماثيل الأسرى وتماثيل الملك عام ١٩٨٥ لتشهد على عظمة هذا الملك المجهول .

استمر حكم " نى أوسر رع " زهاء خمس وعشرين سنة ، وربما كان ابن " نفر إير كارع " . واستخدم فـــى تشييد معبد المزار الخاص بـه منشأت " نفر إير كارع " فـــى

أبـــو صير التـــى لـــم تكتمل . وتتمحور شهرته حول معبد الشمس الذى شيده فى " أبو غراب "، وهو الوحيد من نوعه الذى شيد من الحجر ، ووصلنا كاملاً تقريباً . وتقدم لنا عمارته ونقوشه فكرة تقريبية عن معبد مدينة هيلوبوليس الذى يفترض أنه النموذج الأصلى الذى شيد على شاكلته . واستناداً إلى ذلك ، خلص البعض إلى أن عبادة الشمس بلغت أوجها فى عهده، وهو أمر ينطوى على قدر كبير من المبالغة . ومـع ذلك فقـد تغيرت الأمور بعد وفاته تغيراً طفيفاً . فلم يدفن خليفته " منكاوحور " فى أبو صير . ولانعرف عنه الكثير اللهم إلا أنه مثل " نى أوسر رع " داوم على استغلال مناجم سيناء .

وتنتابنا الحيرة عنـد محاولة تحديـد مكان هرمـــه الذى لم يكتشف حتـى الأن . هـل شيد فـى دهشور ، أما أنـه فى سقارة البحريـة حيث انتشرت عبادتـه فـى أيـام الدولة الحديثة ؟ (Berlandini, RdE 31,3-28) . وإذا نسبنا ل " منكاوحور " هذا الهرم شديد التخريب الواقع شرقى هرم " تيتى " فى سقارة البحرية لاصطدمنا بمشكلة ترتبط بعلم طبقات الأرض يصعب التغلب عليـها . إذ تتـداخل بقايـا ركـنـه الجنوبـى مع مصطبـة مـن الأسرة الثالثـة (Stadelmann, LÄ IV,1219.)Æ أما معبده الذى ظلت معلوماتنا حوله قاصرة على المدونات فإننا نجهل إن كان قد شيد فى أبو صير ، ليصبح فى هذه الحالة آخر من استخدم هذا الموقع ، حيث اختار جميع خلفائه سقارة .

شهد هذا العصر اتساع سلطات موظفى الأقاليم والبلاط الملكى وجنوحهم نحو مزيد من الاستقلال والحكم الذاتى ، فخلقوا تيارا أخذ يتزايد ليقوض تدريجيا سلطان السلطة المركزية . ونلاحظ الارتقاء فى سلم الثراء فيما نشاهده فى مقبرة " تى " وهو من كبار الموظفين . وقد تزوج من إحدى الأميرات هى الأميرة " نفر حوتپ إس . " وبدأ حياته الوظيفية فـــى عهـد "نفر إير كارع كاكاى " . وتوفى فى عهد " نى أوسر رع " وقد دفن فى سقارة (راجع فيما بعد الشكل ٦١) . . وقدشغـل " تى " منصب كبير مسئولى الشعر المستعار فى القصر الملكى . وكانت له اليد العليا فى شئون الأملاك الجنائزية للملكين " نفر إير كارع " و " نفر إف رع " . كما كان مراقب البحيرات والمزارع والمحاصيل . إن حجم المقبرة التى أعدها " تى " لنفسه ولعائلته ومستوى الزخارف التى تزخر بها سطوح جدرانها لم تكن فى متناول أحد الأفراد العاديين الذين عاشوا فى ظل الأسرة السابقة .

" إسيسى " و " أوناس " .

نهج " إسيسى " سياسة متحفظة تجاه عقيدة مدينة هليوبوليس الدينية دون أن يبتعد عنها كلية . إن الإسم الذى اختاره كملك الوجه القبلى والوجه البحرى ، " چد كا

رع " أى (ثابت هو " كا " الإله " رع ") يضمن له حماية الإله " رع " ، ولكنه لم يشيد معبداً للشمس . وأمر بأن يدفن فى سقارة القبلية وفى مكان أقرب إلى مدينة منف يقع بجوار قرية سقارة الحالية . واستمر حكم " إسيسى " طويلا . فحدد مانتون سنوات حكمه بزهاء أربعين سنة ، فى حين يختلف معه جدول تورين الذى حدد فترة حكمه بثمان وعشرين سنة فقط . وكانت هذه المدة كافية ليحتفل بعيد اليوبيل كما يتضح من الإناء الذى يحتفظ به متحف اللوفر . وقد اقتفى أثر " ساحورع " وانتهج سياسة خارجية نشطة واجه خلالها نفس الأطراف : فى سيناء أولاً حيث نظم حملتين خلال عشر سنوات إلى وادى المغارة واتجه أيضا إلى محاجر الديوريت غربى " أبو " سمبل ، بل إنه وصل إلى أبعد من ذلك ، إلى بيبلوس وبلادپونت .وسجلت هذه الحملة الأخيرة فى مخربش تم الكشف عنه فى طوماس . وكرر " مرنرع " تسجيلها . وزاد سلطان الموظفين فى عهده ، فظهرت إلى الوجود إقطاعات حقيقية . إن الوزراء الذين تعاقبوا خلال هذه العقود الثلاثة قد خلفوا فى سقارة مقابر تشهد على أنهم عاشوا فى بحبوحة . نذكر منهم على سبيل المثال " رع شپسس " الذى شغل أيضا منصب أول حاكم للصعيد . وأشهرهم هو " پتاح حوتب " . وتعتبره الروايات المتوارثة صاحب كتاب " التعاليم " الذى ظل المرجع الذى اعتمدت عليه أسفار الحكم والنصوص الملكية حتى العصر الأثيوبى .

ولكن هناك فى الواقع عددا من الأشخاص يحملون إسم " پتاح حوتپ " . وتقع مقبرة إثنين منهم فى سقارة ، فى القطاع الواقع شمالى هرم " چسر". أما وزير " چدكارع " فقد دفن بمفرده (PM III 2 596sq) وأما حفيده "پتاح حوتپ تشيفى " والذى عاصر" أوناس " فقد دفن على مقربة منه فى مقبرة ملحقة بمصطبة " أخيت حوتپ " إبن الوزير وكان هو نفسه وزيراً (PM III 2 599) وإليه ينسب كتاب " الحكم " الذى وصلنا من خلال عشرات المخطوطات ، ومنه بردية واحدة وثلاثة قطع من اللخاف اكتشفت فى قرية الحرفيين بدير المدينة ، مما يؤكد أن هذه الحكم نالت حظوة فى عصر الرعامسة ؛ كما ظلت مادة تعليمية فى مدارس الكتبة . واذا كانت تنسب إلى " پتاح حوتپ " فهذا لا يعنى بالضرورة أنه مؤلفها . وترجع أقدم النسخ التى بين أيدينا إلى الدولة الوسطى ، وهو الأمر الذى لا يسمح لنا بالتأكد من أن الأصل يرجع إلى الدولة القديمة وبالتحديد إلى أواخر الأسرة الخامسة ، حتى لو كنا على يقين من أنه قد ذكر كمؤلف لهذه " الحكم " منذ الأسرة الثانية عشرة . والأمر لا ينطوى على كل حال على أهمية تذكر ، فهذه " الحكم " ذات مضمون محافظ جدا وترسم القواعد العامة لسلوك الفرد . وقد جاءت نسبتها لـ " پتاح حوتپ " باعتباره رمزا لكبار الموظفين الحافظين للنظام القائم ، والأمناء عليه.

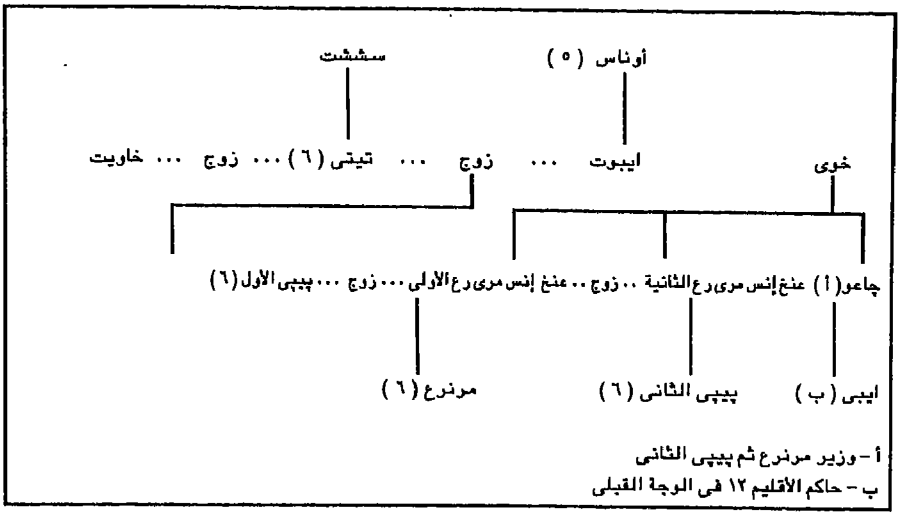
وتميز الموظفون السياسيون والإداريون بثبات ملحوظ خلافا لما حدث للعائلة المالكة التى توارت مع " اوناس " الذى يعتبر - دون التأكد من صحة المعلومة - أنه ابن " جد كارع " . وطبقا لتقسيم مانتون فإنه أخر ملوك الأسرة الخامسة ، ومعه ينتهى بصفة عامة العصر الكلاسيكى للدولة القديمه . وتصبح الأسرة السادسة بداية عصر الانحطاط الذى يشمل الفترة الانتقالية الأولى حتى إعادة توحيد القطرين على يدى " منتوحوتب " الثانى . وهذا التقسيم مصطنع لسببين : أولاً لأنه ليس سوى إسقاط لتقسيم مانتون ، ثم إن الأمر ينطوى على إكراه وتعسف لمسار التاريخ باختلاق تقسيم لم يدركه كتاب التاريخ المصـــريون . فبالإضافه إلى أن العديد من الموظفين قد استمروا يخدمون " جد كارع " و " اوناس " و " تيتى " أول ملوك الأسرة السادسة على التوالى ، فلا يمكن اعتبار عصر " أوناس " عصر اضمحلال بأى حال من الأحوال . ويتفق جدول تورين ومانتون على أن حكمه قد دام زهاء ثلاثين سنة ونهجت مصر خلال حكمه دبلوماسية نشطة فى علاقتها ببيبلوس والنوبة . كما اشتهر " أوناس " بولعه بأعمال التشييد فى جزيرة إلفنتين وفى سقارة البحرية على وجه التحديد ، حيث أقام مجموعته الجنائزية التى رممها الأمير "خعمواس " فى عهد " رمسيس " الثانى وظلت شاهداً على عظمته فاستحق أن يرفع إلى مصاف الإله المحلى .

ميلاد الأسرة السادسة

يبدو أن الإقطاعيات التى تكونت فى البلاد بدأت تشكل قدراً من التهديد للسلطة المركزية رغم أن الدولة القديمة كانت لا تزال فى أوج مجدها وأنه لم يظهر أى أثر للعنف . ومما زاد الأمور تعقيدا غياب وريث ذكر للعرش . ويبدو أن اعتلاء " تيتى " عرش البلاد قد أتى بحل مناسب لهذه المشكلة المزدوجة . فـقد اختـــار لنفسه الإسم الحورى " سحتپ تـاوى " اى " الذى يهدئ الأرضين " . ويستشف من هذا الاسم البرنامج السياسى الذى رسمه لنفسه . لقد تكراختيار الإسم على امتداد تاريخ مصر من جانب ملوك قدر لهم على الدوام إعادة توحيد البـلاد فـى أعقاب اضطرابات سياسية خطيرة ، نذكر منهم "امنمحات " الأول و " أبوبى " و " پدى باست " الثانى و " پى " (عنخ) ى " ... وعلى صعيد آخر لم يقطع روابطه مع الأسرة السابقه ، بل تزوج الأميرة " ايپوت " إحدى بنات " أوناس " وأنجب منها " پيپى " الأول . وبعد أن أثبـت شرعـية نسله ، نهج سياسة تحالف مع طبقة النبلاء ، فزوج ابنته " سششت " من وزيره " مريروكا " الذى أصبح فيما بعد المشرف العام على كهنة هرمه . وقد دفن على مقربة من هذا الهرم فى واحدة من

أجمل مصاطب سقاره البحرية . إن الهرم الذى شيده " تيتى " هو ثانى هرم بعد هرم " أوناس " نقش من الداخل بنصوص دينية ، كما يعتبر هرم " تيتى " عودة إلى بعض تقاليد الأسرة الرابعة . فقد عاد على وجه التحديد إلى تشييد أهرام للملكات فى حين اكتفى " أوناس " بتشييد المصاطب لزوجاته ، الا إن هرم الملكة " خاويت " قد اختفى. واكتشفت بقايا " إيپوت " داخل هرم صغير شيد على بعد زهاء مائة متر شمال غرب هرم زوجها .

لقد أتت سياسته السلمية دون شك بثمارها . أما نشاطه التشريعى فنلاحظه من خلال مرسوم أصدره لإعفاء المعبد من الضريبة . كما كان أول ملك ارتبط بالإسم بعبادة الإلهة " حتحور " فى دندرة . وجدير بالملاحظه أنه قد حافظ على علاقات الأسرة الخامسة الدولية . وذلك دليل على سلامة سياسته الداخلية . فاستمرت العلاقات مع " بيبلوس " وربما مع بلاد " پونت " ومع النوبة حتى مدينة طوماس على الأقل . ولاتتفق مختلف المصادر حول تحديد عدد سنوات حكمه . فمدة السبعة أشهر التى تحددها بردية " تورين " غير مقبولة ، كما أن الثلاثين أو الثلاث والثلاثين سنة التى أوردها مانتون تبدو أطول من اللازم ،لاسيما فى غياب مايشير إلى احتفاله بعيد اليوبيل . وأقصر تاريخ سجل خلال فترة حكمه هو " التعداد السادس " . وهى عملية كانت تتم كل سنتين أو سنتين ونصف . ويروى مانتون أنه مات مقتولاً . الأمر الذى يدعم فكرة الاضطرابات المدنية ، وهى ثانى نقطة مشتركة بينه وبين امنمحات الأول وربما كان مصرعه وراء قصر مدة حكم خليفته " اوسر كارع " . ويعنى اسمه " قوى هو " كا" الإله رع " وهو اسم له رنين يعيدنا إلى أجواء الأسرة الخامسة . فظن البعض أنه تزعم المعارضة التى كانت وراء اغتيال " تيتى " حسبما يروى مانتون . وعلى عكس الاعتقادالسائد ، فإننا لا نجهل كل شئ عن " أوسر كارع " . صحيح أنه لم يرد ذكره سوى فى جدول تورين وقائمة أبيدوس ، بيد أن الزمن قد حفظ لنا بعض الوثائق الأخرى التى تحمل اسمه ، وتشير إحدى هذه الوثائق إلى فريق من العمال القادمين من إقليم قاو الكبير جنوب أسيوط والذين استؤجروا لتنفيذ مشروع ضخم ، وربما المقصود به تشييد مقبرة الملك . ونظراً لانتقال السلطة إلى " پيپى " الأول دون صدام على مايبدو فقد يعتبر ذلك دليلا على قيام الملكة " إيپوت " بدور الوصية على العرش لصالح ابنها " پيپى " الأول الذى تعذر عليه ممارسة سلطاته لصغر سنه .



شكل رقم (٢٣) مختصر أنساب الأسرة السادسة من الجيل الأول الى الجيل الرابع

پيپى الأول:

يذكر " مانتون " أن حكم " پيپى " الأول قد امتد زهاء خمسين سنة . كما دام ماينا هز هذه المدة طبقا لجدول تورين . ورغم وجود خطأ في النسخ ، فإن هذه المدة لا تقل عن أربعين سنة فى واقع الأمر . ونظراً لطول مدة حكمه فمن المفترض أنه اعتلى عرش البلاد فى حداثة سنه ، مع انتهاء وصاية والدته . واختار لنفسه الإسم الحورى"مرى تاوى " أى " حبيب الأرضين " ، على احتمال أنه عقد العزم على إشاعة الهدوء والطمأنينة . ولكن وقعت حادثتان تدفعنا إلى الاعتقاد أن دائرة المصاعب التى سبق الإشارة اليها كانت فى واقع الأمر أكثر اتساعا وأشد خطورة . ومحور الحادثة الأولى ، واقعة يصعب تحديد موقعها من حكم پيپى الأول ، ولم يُبق الزمن عنها سوى شهادة مباشرة واحدة . فربما تآمر البعض ضد حاكم البلاد ، وكان حريم الملك مركز هذه المؤامرة التى انتهت على مايفترض بتوقيع أشد العقوبات على الزوجة المدانة وابنها الذى تآمرت من أجله .

إن الشهادة المعنية شهادة ضابط يدعى " أونى " ، وردت فى سياق سيرته الذاتيه التى حفرها فى هيكله الجنائزى فى أبيدوس . والسير الذاتية من أقدم الفنون الأدبية فى مصر ، وحفظ لنا الزمن منها حصيلة ضخمة من النصوص . وفى الفتره محل دراستنا كان هذا النص لا يدون سوى فى الهيكل الجنائزى . ويؤدى الدور الذى تضطلع به مختلف مناظر المتوفى ، إبرازا لسماته المميزة ، وأهم معالم مراحل حياته الرئيسية التى تؤهله

للتمتع بالقرابين الجنائزية . والأحرى أن نقول أن هذه النصوص أشبه ما تكون بالمستندات التى تعضد صاحبها . ولكن إلى جانب المدائح التقليدية التى ترمى إلى تحويل صاحبها إلى نموذج صالح للاندماج فى النظام الكونى ، فقد أفردت هذه النصوص جانباً منها لمجرد وصف أهم مراحل حياته العملية . وبمرور الزمن لم يعد تدوين السير الذاتية قاصراً على الهياكل الجنائزية بل أصبحت تحفر على ظهر التماثيل وعلى سطوح النصب الحجرية غير المرتبطة بالضرورة بالجبانات . وتعكس السير الذاتية تطور المجتمع ، فتعبر فى ظل الدولة القديمة عن الولاء للنظام القائم فى جو " إنسانى " ثم انتشار نزعة فردية مع تزايد سلطات المحليات . ومع حلول الدولة الوسطى ظهر من جديد الولاء للنظام القائم ولكنه ارتكز فى هذه المرة على الاختيار الشخصى ، بل اتخذ أحياناً أشكالاً تسبح فى الخيال القصصى . وخير مثال على ذلك قصة " سنوهى " . وتعاظمت الأهمية التاريخية للسير الذاتيه اعتبارا من الدولة الحديثة بقدر ما نجحت فى التخلص من القيود التى تفرضها القوالب اللغوية الجاهزة ، لتفرد مكانة أكبر للفرد وإن ظلت محتفظة بالقواعد العامة التى يفرضها الفن الأدبى . وتعاظم هذا التيار فى الألف الأولى قبل الميلاد وتبلور فى أسفار الحكم التى تصل إلى مستوى الأعمال الفلسفية . ويعتبر " پدى اوزير " خير ممثل لهذا التيار .

أما " أونى " فقد عمل فى خدمة الملوك الثلاثة الأول للأسرة السادسة . وتعتبر حياته العملية نموذجا لسيرة الموظفين الذاتية بقوالبها المتكررة : كالنقل من الجهاز الإدارى إلى الجيش . وبعد الحصول على هبة ملكية جنائزية ينقل إلى مجال الإنشاءات الكبرى واستغلال المحاجر وشق قناة عند الجندل الأول . ويروى علينا " اونى " هذه الوقائع فى أسلوب أدبى رفيع تتوارى خلفه الرؤية الواضحة لواقع الأمور :

« وجرت محاكمة سرية فى الحريم الملكى للزوجة الملكية ، صاحبة الحظوة الكبرى . وكلفنى صاحب الجلالة بالفصل فى القضية وحدى دون معاونة قاض أو وزير ... بسبب ماحققته من نجاحات (؟) . فقدرنى جلالته أعظم تقدير لأنى كنت محل ثقة جلالته . وتوليت بمفردى كتابة (المحضر) ومعى قاضٍ من هيراكونپوليس ، فى حين كانت وظيفتى كبير موظفى القصر العالى . ولم يحدث من قبل أن شخصاً مثلى قد سمع أسرار الحريم الملكى . ولكن سمح لى جلالته بذلك ، إذ كنت محل ثقته أكثر من أى قاضٍ من قضاته ، وأكثر من أى نبيل من نبلائه ، وأكثر من أى خادم من خدامه »
. (**Roccati : 1982, 192-193**)

وتجد هذه المؤامره أصداءها فى الثلث الأخير من حكم " پيپى " الأول . ففى عام التعداد الحادى والعشرين تزوج الملك على التوالى من ابنتى" خوى " أحد أعيان أبيدوس . واتخذت الملكتان عند زواجهما إسماً جديداً هو " عنخ إنس مرى رع " أى " مرى رع يحى من أجلها " . وأنجبت الملكتان عدداً من الأبناء . فأنجبت الأولى" مرنرع " والأميرة " نيت " التى ستتزوج من أخيها غير الشقيق " پيپى " الثانى بن " پيپى " الأول من " عنخ إنس مرى رع " الثانية . ومما يزيد من قوة اغراء ربط هذا الزواج الجديد بالمؤامرة أن خلفى " پيپى " الأول كانا ثمرة هذا الزواج الأخير الذى صاحبه تغير ملحوظ فى السياسة العامة. كذلك فإن الامتيازات التى حظى بها أعيان أبيدوس والتى ترتبت على مصاهرة " پيپى " الأول " لعائلة خوى " قد تجاوزت إلى حد بعيد حدود هذه المصاهرة . إذ استمر " جاعو "بن" خوى " فى منصب الوزير لـ " مرنرع " ثم لـ " پيپى " الثانى أو على الأقل حمل اللقب دون أن يشغل المنصب بالفعل ، ولعله كان فى وضع شبيه بوضع الوصى على"پيپى" فى بداية حكمه . وجاء اختيار إحدى عائلات أبيدوس تعبيراً عن الرغبة فى توثيق الروابط مع مصر الوسطى ومصر العليا بعد أن ضعفت علاقاتها بالسلطة المركزية أيضا وتراخت لأهمية الدور الذى تضطلع به المدينة بفضل موقعها الهام لتجارة العبور بين الجنوب والشمال سواء عن طريق القوافل أم الملاحة النهرية . ومن جانب آخر يفسر هذا الموقع جزئياً قوة بعض الأقاليم كإقليم هيركليوبوليس خلال الفتره الانتقالية الأولى والثالثة . كما نهج " پيپى " الأول سياسة استهدفت فرض حضوره فى الأقاليم، فباشر سلسلة من الأعمال الإنشائية الكبرى فى معابد الصعيد الرئيسية ، فى دندرة وأبيدوس وإلفنتين وهيراكونپوليس ، حيث اكتشف جرين **F . Green** وجيمس ادوارد كويبل . **Quibell** . تمثالين من النحاس هما من مقتنيات متحف القاهرة فى الوقت الراهن . والتمثال الأول لـ " پيپى " الأول بالحجم الطبيعى(شكل٣٠) والثانى وهو أصغر بكثير يمثل " مرنرع" كشريك لأبيه . ويدوس الإثنان الأقواس التسعة وهى تصوير زخرفى مبسط للأمم التى جرى العرف على اعتبارها خاضعة لمصر . وتحتل هذه الأمم فى علم أصول الكون ونشأته فى مصر القديمة مكانة تدانى مكانة البرابرة عند الاغريق . وكان فرض الملك لسلطاته ملموساً أيضاً فى الوجه البحرى من خلال الانشاءات فى معبد بوباستس ، واكب ذلك عودة واضحه إلى القيم القديمة . فعدل " پيپى " الأول اسم التتويج من " نفرزاحور " إلى "مرى رع " أى " نصير رع " . كما أصدر فى العام الحادى والعشرين مرسوماً تم

بمقتضاه إعفاء المدينة التى نشأت وسط الأملاك الجنائزية لسنفرو فى دهشور - من الضرائب . أما مدينة هرمه الخاصة والتى أطلق عليها " من نفر " ، فقد نهضت على مقربة من معبد " پتاح " فى عاصمة البلاد . وأصبح اسم " من نفر " يطلق على المدينة كلها بحلول الأسرة الثامنة عشرة .

التوسع ناحية الجنوب

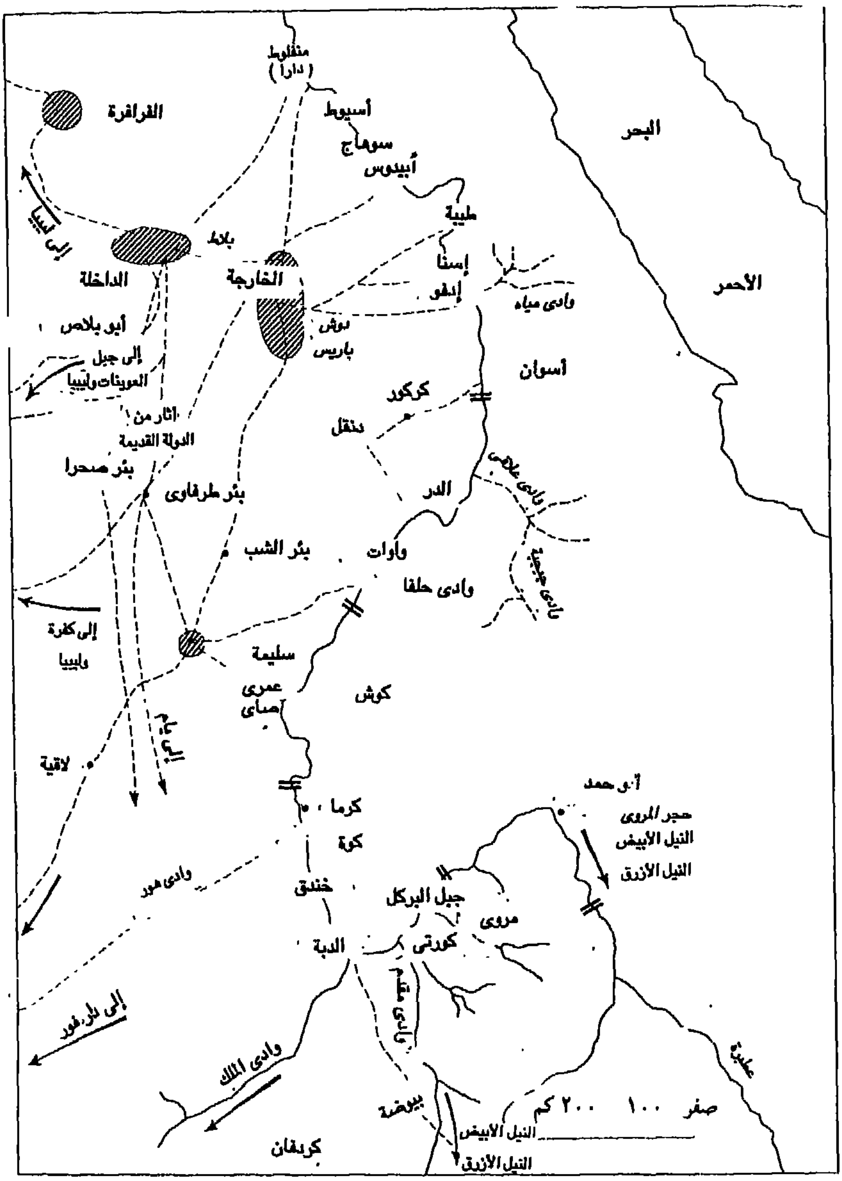
وقام ابنه " مرنرع " الأول أى " محبوب رع " بتوثيق علاقاته بالصعيد ، فاختار عند تتويجه اسم " عنتى ام زا إف " أى الإله " عنتى هو حاميه " . وعنتى إله محارب على هيئة صقر كسان يعبد فى المنطقه الممتدة من الإقليم الثانى عشر وحتى الإقليم الثامن عشر ، ولا سيما فى " ديـر الجبـراوى " . كما أن اعتلاء " مرنرع " الأول عرش البلاد فى شبابه يوضح أن " پيپى " الأول قد تزوج زوجتيه الجديدتين فى سن متأخر ، فأنجب منهما ورثة : كانوا مايزالون فى مقتبل العمر عند وفاته . ولم يعش " مرنرع " طويلاً ، ولعله لم يحكم سوى مدة ثمانى سنوات . ولما خلفه أخوه غير الشقيق " پيپى " الثانى على عرش البلاد كان هذا لا يزال حدثاً لم يتجاوز سنه عشر سنوات . وعلى مقربة من هرم " پيپى " الأول فى سقارة القبلية ينهض هرم ابنه " مرنرع " الأول الذى لم يكتمل بناؤه وذلك دليل على وفاة صاحبه فى سن مبكرة . أما محاولة تحديد سنه بكل دقة فهى مجازفة غير مضمونة النتيجة . وصحيح أننا اكتشفنا جثماناً لشاب فى مقتبل العمر فى هذه المقبرة ، ولكن ربما كنا هنا أمام حالة من حالات إعادة استخدام المقابر فى دفنة جديدة . فبقاء هذه المقبرة غير مكتملة جعلها لقمة سائغة لأطماع السلابين والنهابين وسهل استخدامها فى دفن موتى آخرين .

واصل " مرنرع " سياسة أبيه . فظل ، على الصعيد الإقتصادى ، يستغل مناجم سيناء ويستخدم محاجر النوبة وإلفنتين وحتنوب من أجل تشييد هرمه . ويؤكد مخربش كشف عنه فى"حتنوب " مايرويه "أونى" فى سيرته الذاتية عن حملات جلب الأحجار هذه. كذلك نهج نفس خطه السياسى وأحكم قبضته على الوجه القبلى وعين " أونى " حاكما عليه . ولكنه ركز جلّ نشاطه خارج مصر . وعكست سنوات حكمه عظمة وقوة الأسرة السادسة . وعرف كيف يستثمر ويجنى ثمار الحملات التى شنها " أونى " لحساب أبيه فى سوريا وفلسطين . وعينه حاكماً على الوجه القبلى تقديراً لما حققه من نجاح . قال "أونى " :

« رد جلالته " العامو " الساكنين على الرمال على أعقابهم . جمع جلالته قوة ضخمة في صعيد مصر - من جنوب إلفنتين وحتى شمال إقليم افروديتوبوليس(اطفيح) ومن إدارتي الوجه البحرى (...) وارسلني جلالته على رأس هذه القوة . أما الأمراء وأمناء خزائن الملك والأصدقاء في البيت الكبير ، وأما مديرو ورؤساء قصور الوجهين القبلي والبحرى (...) فقد خرجوا على رأس قوات الوجهين القبلي والبحرى والأملاك والمدن التي يديرونها وأهل النوبة المقيمين في هذه المناطق . وكنت أضع الخطط (..) وعاد هذا الجيش بسلام ، بعد أن قضى على بلاد " الساكنين على الرمال " . عاد هذا الجيش بسلام ، بعد أن دك مدنهم المحصنة . عاد هذا الجيش بسلام ، بعد أن قطع أشجار تينهم وكرومهم . عاد هذا الجيش بسلام ، بعد أن أشعل النار في رجالهم . عاد هذا الجيش بسلام ، بعد أن أباد قواتهم الجرارة . عاد هذا الجيش بسلام (بعد أن عاد بقوات (؟)) كبيرة من الأسرى . وكان جلالته كريماً في مكافأتي . وكلما ثار "الساكنون على الرمال " على هذه القوات أرسلني جلالته لسحق بلادهم . وحدث ذلك خمس مرات (...) وعبرت البحر أنا وقواتي على متن سفن مناسبة ورسوت على أرض تقع خلف قمم الجبل الواقع شمالي بلاد " الساكنين على الرمال " وسلك نصف أفراد الحملة الطريق البرى . وارتددت إلى الخلف بعد أن حاصرتهم جميعاً . فقضيت ، على جميع الاعداء القائمين بينهم ". (Roccati: 1982, 194 - 195)

وفي عهد "مرنرع " أتت سياسة مصر التوسعية في النوبة أكلها . ويمكن تتبع مراحل هذا التوسع من خلال المدونات التي خلفتها الحملات المتعاقبة في طوماس كمحطة عبور تصل بين نهر النيل وطرق القوافل التي تخترق واحة دنقل لتجنب الجندل الأول وحتى تصل بلاد " واوات " .

لقد ورد ذكر اسم " مرنرع " إلى جانب اسم " پيپى " الأول . كما سجلت أسماء الموظفين الذين كلفوا بالاستيلاء على هذا الجزء من بلاد النوبة الواقع شمالي الجندل الثالث وجنوبه . وهي أرض خصبة ، ازدهرت فيها حضارة " كرما " ، كما شهدت ميلاد حضارة كوش فيما بعد ، فاستطاعت أن تمد مصر بشتى أنواع المواد الغذائية الغريبة عليها والتي كانت تستوردها أيضاً من بلاد " پونت " ، إلى الشرق من وادي النيل . ومن هنا أيضاً يمكن العبور في اتجاه المناطق الإفريقية الواقعة فيما وراء خط الاستواء عبر دارفور وكردفان . واستناداً إلى رواية ثلاثة مخربشات من منطقة أسوان فقد أخضع " مرنرع " في العام العاشر من حكمه زعماء النوبة السفلى بما في ذلك بلاد " واوات " .



شكل (٢٤) - طرق تغلغل المصريين فى اتجاه الجنوب
(نقلاً عن J.Vercoutter, MIFAO, 104, 1657)

بعد أن سيطرت مصر على طرق القوافل وواحات الصحراء الغربية المتحكمة في بلاد النوبة تمكنت من فتحها وفرض سيادتها عليها . وتحقيقاً لهذا الغرض قام "حرخوف " حاكم الفنتين بتنظيم ثلاث حملات . وقد دفن " حرخوف " فى" قبة الهواء" أمام أسوان . ويروى فى سيرته الذاتية المدونة على سطح واجهة مقبرته ، الطريق الذى سلكه مرتين متتاليتين للوصول إلى بلاد " يام " عن طريق إلفنتين ، فى حين سلك فى المرة الثالثة طريقاً آخر :

« كما أرسلنى جلالته للمرة الثالثة إلى بلاد " يام " . ورحلت من الإقليم " الثينى " عن طريق الواحة . واكتشفت أن زعيم " يام " يتجه صوب أرض " التمح " جهة الغرب . وصعدت وراءه وتعقبته وهزمته . فابتهل للآلهة أجمعين من أجل الملك (..) ثم نزلت إلى بلاد " إيماو " (؟) الواقعة فى الطرف الجنوبى من " إرتى " وفى جوف بلاد " زاتو " . وواجهت تحالفاً يقوده زعيم شعوب " إرتى " و " زاتو" و " واوات " . وعدت ومعى ثلاثمائة حمار محملة بالبخور والأبنوس وزيت " حنكو " وحبوب " سات " وجلود الفهود وأنياب الفيلة وعُصى الرماية (أو المرتدة) ، ومختلف ماتنتجه تلك البلاد من خيرات . وأدرك زعيم " إرتى " و " زاتو " و " واوات " ، حجم قواتى المتعددة المشكلة من قوات " يام " التى صحبتنى إلى العاصمة بالإضافة إلى الحملة التى كانت تحت قيادتى (...) " (Roccati : 1982, 205.)

يبدأ طريق الواحات من الإقليم " الثينى " ليعبر الواحة الخارجة ثم يسير فى درب الأربعين متجهاً إلى واحة سليمة ، كما يتجه إلى الشمال من الخارجة ليتصل بالطريق المتجه غربا مخترقا الواحة الداخلة ثم واحة الفرافرة ليصل إلى حيث يقيم " التمحو " . وقدمت الحفائر الحديثة التى قام بها المعهد الفرنسى للآثار الشرقية ومتحف أونتاريو الملكى البرهان القاطع على استيطان المصريين فى الواحة الداخلة مع مطلع الأسرة السادسة على أقل تقدير ، إن لم يكن قبل ذلك . وكان أهل الوادى يصلون إلى منطقة بلاط عند مدخل الواحة الداخلة عن طريق درب الطويل الذى يبدأ على مقربة من مدينة منفلوط الحديثة . كان الغرض من هذا الاستيطان استغلال كميات لا بأس بها من المحاصيل الزراعية التى تنتجها الواحة . بالإضافة إلى التحكم فى الطرق التى تربط الجنوب بالغرب وبالشمال . (Giddy : 1987 , 206 - 212) . ومن ناحية أخرى ربما اتضح الدور الحدودى الذى تلعبه الواحة من خلال نص منقوش على دمية تحض على

الكراهية اكتشفت فى مدينة بلاط الزراعية ويصب اللعنات على قبائل " يام " . (Grimal : 1985) . وأياً كان الأمر فقد استمر انفتاح مصر على افريقيا واعالى النيل خلال حكم "پيپى " الثانى المديد الذى كان عصر ازدهار بالنسبة للواحة الداخلة . وقبل مضى سنة على اعتلاء " پيپى " الثانى عرش البلاد خلفاً لأخيه غير الشقيق أسرع بالكتابة إلى " حرخوف " ليعبر عن إعجابه الشديد بأخبار رحلته . واستغل " حرخوف " المناسبة ليسجل خطاب سيده فى مكان بارز عند سرد قصة حياته :

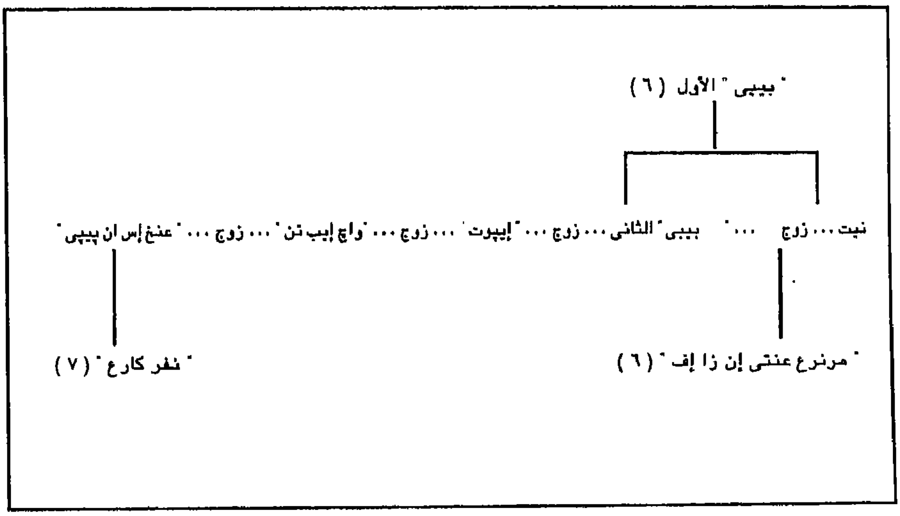
« لقد أخبرتنى (...) أنك أحضرت قزماً من بلاد سكان الأفق فى الشرق ليرقص رقصات الإله . وهو يشبه القزم الذى أحضره " ورچديدبا " مدير خزانة الإله من بلاد "پونت " فى عهد الملك " أسيسى " . كما أخبرت جلالتى أن هذا القزم ليس له مثيل بين الأقزام التى سبق إحضارها فى صحبة من سبقوا لهم أن زاروا بلاد " يام " . (...) ابحر فوراً وعد إلى المقر الملكىَ . أترك الآخرين واصطحب معك هذا القزم الذى جلبته من بلاد سكان الأفق حياً سالماً ليرقص رقصات الإله ويدخل البهجة والسرور إلى قلب ملك الوجه القبلى والوجه البحرى ، " نفركارع " ، فليحيا إلى الأبد ! . وعندما يأخذ مكانه على متن سفينتك فليحط به الرجال ويقفون على جانبى السفينه منعاً من سقوطه فى الماء . وعندما ينام ليلاً فى قمرته فليرقد من حوله رجال أكفاء ، على أن يتم التفتيش عليهم عشر مرات فى الليلة الواحدة . إن جلالتى متشوق لمشاهدة هذا القزم أكثر من منتجات محاجر " پونت " . إذا نجحت فى الوصول إلى المقر الملكى وبصحبتك هذا القزم حياً سالماً فسوف يمنحك جلالتى مكافأة أكبر وأعظم من تلك التى منحها الملك "اسيسى" لـ" أورچددبا" مدير خزانة الإله(..)". Roccati:1982,206-207

لم ينس " پيپى " الثانى انبهار طفولته ، لما اشتد عوده وبلغ رشده ، فواصل سياسة إشاعة السلام فى النوبة . وعاونه فى ذلك رجل من رجاله ، خلف " حرخوف " ويدعى " پيپى نخت " وكنيته " حقا إيب " أى " المتحكم (فى) قلبه " . ودفن هو أيضاً فى قبة الهواء . وقاد " حقا إيب " ثلاث حملات : الأولى لاستعادة جثمان موظف قتل عندما سافر فى مهمة إلى منطقة " بيبلوس " لتشييد سفينة من طراز بيبلوس (الصالحة للملاحة فى أعالى البحار) للإبحار بها إلى بلاد " پونت " . والحملة الثانية والثالثة إلى بلاد النوبة . وسرعان ما استحق بعد وفاته أن يرفع إلى مصاف الآلهة بفضل هاتين الحملتين إلى جانب إدارته الحازمة على مايظن . فقد قامت فى واقع الأمر عبادته

فى جزيرة إلفنين منذ بداية الفترة الانتقالية الأولى وحتى نهاية الفترة الانتقالية الثانية . وانتشرت نزعة تأليه الأفراد ، وأمثلتها كثيرة نذكر ، على سبيل المثال تأليه " إيزى " فى إدفو . وتعتبر هذه النزعة السمة المميزة لتعاظم نفوذ السلطات المحلية التى اتسمت بها نهاية الأسرة السادسة . ويمكننا اقتفاء أثرها فى إلفنتين نفسها من خلال تاريخ أسرة النبيل " ميخو " وابنه " سابنى " وحفيده " ميخو " . فقد ظلوا مسيطرين على سياسة مصر فى بلاد النوبة حتى بعد وفاة " ببپى " الثانى بفترة طويلة .

نهاية الدولة القديمة

أخذ سلطان الدولة يتقوض ويضمحل مع ازدياد سلطات المسئولين المحليين فى الأقاليم حتى أصبح هؤلاء عواهل مستقلين سيما مع امتداد حكم " ببپى " الثانى الذى طال عمره .. كما عانت السياسة الخارجية من مزيد من الخمول . واضطر " حقا إيب " إلى مواجهة العديد من المشاكل لحفظ النظام فى النوبة كما تزايدت متاعب من خلفوه . فقد أخذت حضارة " كرما " تتطور جنوبى الجندل الثالث وتشكل مع جاراتها الشمالية المعروفة اصطلاحاً بالمجموعة " جـ " كتلة وقفت فى وجه السطوة المصرية وظلت تقاومها حتى مطلع الألف الثانى قبل الميلاد . (Gratien :1978 , 307 - 308) .



شكل(٢٥) – مختصر انساب الأسرة السادسة الأجيال ٣ –٥.

حكم " ببيى " الثانى البلاد طبقا لتقدير متوارث زهاء أربع وتسعين سنة . ولكن أقل تقدير معروف لمدة حكمه لايتجاوز تاريخ التعداد الثالث والثلاثين الذى يعادل بكل ثقة مدة حكم تقدر بحوالى خمسين إلى سبعين سنة . وعلى أى حال فالشىء المؤكد أن حكمه كان حكما مديداً استمر لسنوات طويلة . بل لقد دام أكثر من اللازم بالنظر إلى سلطات الإقطاعيين المحليين المتزايدة التى أصبحت فى معظمها وراثية . ونشاهد مظاهر البذخ منتشرة فى جبانات الأقاليم فى " القيس " (القوصية حالياً) وأخميم وأبيدوس وإدفو وإلفنتين . وترتب على طول مدة حكم " ببيى " الثانى ، التى لم ينافسه فيها ملك آخر ، ظهور أزمة حادة فى نظام خلافة العرش إلى جانب تحجر الأجهزة الإدارية . وتذكر قائمة أبيدوس الملكية ملكا يدعى " مرنرع " الثانى ، لقب هو أيضاً " عنتى إم زا إف " ، كخليفة لـ "ببيى" الثانى الذى يبدو انه انجبه من الملكة " ذميت".

كان حكم هذا الملك عابراً فلم يدم أكثر من سنة واحدة . ويبدو أنه تزوج الملكة " نيت إقرت " التى كانت فى رأى مانتون أخر ملكات الأسرة السادسة ، وجاء ترتيبها فى جدول " تورين " مباشرة بعد " مرنرع " الثانى " كملك للوجه القبلى والوجه البحرى " . وفى العصر اليونانى استحوذت الخرافة على سيرة هذه المرأة وحولتها الأسطورة إلى " رادوبيس" الغانية ونسبت اليها تشييد هرم الجيزة الثالث LÄIV 513-514 وهى أولى الملكات المعروفات اللاتى تولين السلطة السياسية وحكمن مصر راجع,V. Beckerath:1984,58 وللأسف فإننا نفتقر إلى أى توثيق أثرى يؤرخ لعهدها . بل نجد أنفسنا فى حيرة من أمرنا إذا أردنا التوصل إلى الترتيب السليم لخليفتها المحتمل وهو الملك "نفر كارع " بن "عنخ إس إن ببيى" والملك "ببيى" الثانى.

المجتمع والسلطة

آلت نهاية الدولة القديمة إلى فترة غامضة تسارع خلالها اضمحلال الإدارة المركزية ، وصارت الأوضاع الخارجية مصدر تهديد للبلاد مع تزايد ضعف السلطة . واتسعت دائرة المصالح الإقليمية المحلية فأدت إلى تنافس حول العرش ، تحول إلى صدام بين التكتلات الجغرافية التى تتذرع كل منها بالإنتساب إلى ذات الشرعية الواحدة . وإذا كان مفهوم السلطة قد ظل دون تغيير أو تبديل ، فلم يعد الاستيلاء عليها أمراً صعب المنال لمن كان يستحيل عليهم المطالبة بها فى الأزمنة الأولى . فمنذ الأسرة الثالثة تطور

الدولة القديمة	٢٧٠٠ -
الأسرة الثالثة نب كا" (" سانخت ؟ ") " چسر " " سخم خت " " خع با " " نفركا (رع) " ؟ " حونى "	٢٧٠٠ - ٢٦٢٥
الأسرة الرابعة " سنفرو " " خوفو " " چدفرع " " خعفرع " " با إف رع " (؟) " منكاورع " " شپسسكاف "	٢٦٢٥ - ٢٥١٠
الأسرة الخامسة " اوسركاف " " ساحورع " " نفر اير كارع - كاكاى " " شپسسكارع " " رع نفر إف " " نى اوسر رع " " منكاوحور " " چد كارع اسيسى " " أوناس "	٢٥١٠ - ٢٤٦٠
الأسرة السادسة " تيتى " " اوسركارع " " پيپى " الأول " مرنرع " " پيپى " الثانى " مرنرع " الثانى " نيت اقرت "	٢٤٦٠ - ٢٢٠٠

شكل (٢٦)

جدول الترتيب الزمنى للأسرات ٣ إلى ٦ .

النظام الملكى على الصعيد اللاهوتى فأضيف إلى مجموعة ألقاب الملك لقبان جديدان : لقب "حورس الذهبى " الذى ظهر فى عهد " چسر " ثم لقب " ابن رع " على وجه الخصوص الذى أصبح يستخدم بانتظام اعتباراً من عهد " نفر إير كارع " . إن وصول الأسرة الخامسة إلى السلطة لخير دليل على أن الأساس الثيوقراطى هو الذى ساد على كل شيء سواه حيث توثقت عرى الروابط بين الملوك الجدد وطائفة كهنوتية بعينها . ويزخر تاريخ مصر على مدى القرون التالية بالعديد من الأمثلة لهذه التبعية التى أسهمت فى تدعيم مركزية السلطة . فتشكل مجتمع تمحور حول الملك والعائلة المالكة فى تسلسل هرمى صارم للمراتب الاجتماعية . وقد انعكست هذه الصورة فى تنظيم الجبانات التى

شيدت حول هرم حاكم البلاد ، كما أن القوى الإقليمية التى اتسعت دائرة سلطاتها جيلاً بعد جيل تحولت إلى نظام الإقطاعيات بازدياد ماحصلت عليه تدريجياً من امتيازات متنامية دعمت سلطاتها وأفردت لها مكانة بارزة فى التنظيم الهرمى الاجتماعى على المستوى القومى .

ونتيجة لهذه السياسة تضخمت الألقاب فى البلاط الملكى وأصبحت غطاء يخفى وظائف قديمة توارت فى طى النسيان ، وإن بقيت فى صورة ألقاب شرفية . وانتشرت هذه الطريقة ولاقت ترحيباً مع تضخم اختصاصات الأجهزة الإدارية وإعداد موظفيها . وسوف يصبح لويس الرابع عشر ملك فرنسا خير مثال على هذه الطريقة فى التاريخ الحديث. والكتبة هم ركيزة الجهاز الإدارى ونواته النشطة ، وقد تضاعفت مسئولياتهم مع تزايد الأقسام الإدارية . واتسعت قائمة المناصب القيادية التى يصعب معرفة كنهها الحقيقى . وخير مثال على ذلك لقب " رئيس الأسرار " الذى يشرف على العديد من المناصب . ونذكر من هذه الألقاب دون التقيد بأى ترتيب : " المهام السرية " و " جميع أوامر الملك " و " القرارات القضائية "و" القصر " و "مايشاهده رجل واحد "و"مايسمعه رجل "واحد " و" بيت العبادة " و " الكلمات الإلهية " و " الملك الموجود فى كل مكان " . و " ساحة العدل " و " أسرار السماء " الخ ... ومن الأسهل حصر الألقاب الشرفية المحض بالنظر إلى أنها لم تعد تعكس فى واقع أمرها أى مناصب حقيقية . ومن هذه الأمثلة لقب " السمير الأوحد " الذى كان فى بداية الأمر لقباً لمستشار الملك الخاص ، ثم صار فيما بعد تسمية نوعية تطلق على رجال البلاط . ثم لقب " رئيس الشيوخ العشرة فى الصعيد " و " فم مدينة په " و " قاضى مدينة نخن " وجميعها وظائف رمزية . زد على ذلك الألقاب المتصلة اتصالاً مباشراً بشخص الملك مثل " المشرفين على الشعر المستعار " و " حاملى النعال " و " الأطباء " و " المسئولين عن التيجان " و " منظفى الملابس " ، ثم الوظائف الكهنوتية المتصلة بالإله المحلى أو الطقوس الجنائزية ...

ويمكن أن نشبه مجمل الصورة التى تبرز من تنظيم الجهاز الإدارى بهرم يجلس على قمته الملك الذى يجمع بين يديه من الناحية المبدئية كافة الاختصاصات ولكنه من ناحية الممارسة الفعلية لايضطلع مباشرة سوى بالشئون العسكرية والدينية . إن الوزير " تشاتى " الذى شاهدنا ميلاد سلفه الأبعد فى الأسرة الثانية هو المعبّر عن سلطة الملك فى الأمور الجوهرية . ففى عهد " سنفرو " ، ولأول مرة ، تم تكليف أمراء من دم ملكى

بشغل هذا المنصب من أمثال " نفر ماعت " و إبنه " حم أونو " ثم " كاوعب " وغيرهم . فالوزير هو رئيس السلطة التنفيذية إذا جاز القول . وتمتد دائرة اختصاصاته من الناحية العملية إلى شتى المجالات . فهو " رئيس جميع الأعمال الملكية " و " رئيس بيت السلاح " و " رئيس قاعات الحلى الملكية " و " حامل أختام ملك الوجه البحرى " الخ ... كذلك يشغل منصب القاضى كما يتضح ذلك من تدخل " أونى" فى قضية حريم " پيپى" الأول . ولكنه لاينظر بالضرورة فى جميع القضايا . وفى نفس هذا العصر ظهر " حامل أختام الإله " . إنه من الثقات ويختاره الملك شخصياً ويكلفه بمهمة محددة كحملة إلى المناجم أو المحاجر أو رحلات تجارية إلى الخارج أو إدارة إحدى المؤسسات الملكية الاحتكارية الخاصة. لهذا الغرض يضع الملك فرقة عسكرية تحت قيادته المباشرة ، أو أسطولاً بحرياً تحت إمرته كأمير بحر . وظهور منصب الوزير يدل على ضعف السلطة المركزية واتساع دائرة الاحتياجات الإدارية . وفى عهد " پيپى " الثانى أصبح هذا المنصب الواحد منصبين ، فعُيِّن وزير مستقل لكل من الوجهين القبلى والبحرى .

وكانت الدوائر الإدارية الأربع الكبرى تتبع الوزير رأساً ، وينبغى أن نضيف إليها الإدارة الإقليمية التى يظل الوزير على اتصال بها من خلال " رؤساء البعثات " . وأولى هذه الدوائر هى " الخزينة " أو كما أطلق عليها " شونة " الغلال المزدوجة التى يشرف عليها " رئيس شونة الغلال المزدوجة " . وتقع على عاتق الخزينة مسئولية إدارة مجمل الاقتصاد وعلى وجه التحديد تحصيل الضرائب الناتجة أساساً من الدائرةالكبرى الثانية : وهى دائرة الزراعة التى تنقسم بدورها إلى وزارتين . فالوزارة الأولى مهمتها العناية بالقطعان وتربيتها وتسمينها . وعملها موزع أيضاً على " بيتين " ، يشرف على كل منهما وكيل يعاونه عدد من الكتبة . وتشرف الوزارة الثانية على الزراعة فى حد ذاتها ، وتشمل " خدمة الحقول " ويرأسها " رئيس الحقول " يعاونه عدد من " كتبة الحقول " ، وخدمة أراضى التوسعات الجديدة على حساب الفيضان " خنتيو شيه " . أما الدائرة الثالثة فهى دائرة المحفوظات الملكية التى تضم الصكوك الملكية ومختلف الشهادات المدنية من عقود ووصايا ، إلى جانب نصوص المراسيم الملكية التى تكون ذخيرة من القوانين تنهل منها الدائرة الرابعة والأخيرة وهى دائرة العدل التى تسهر على تطبيق القوانين " هپو " . وتتناسب أهميتها مع قيمتها الأساسية فى النظام الثيوقراطى كما يشير إليه اللقب الذى يحمله أعضاؤها فى الأسرة الرابعة " عظيم الخمسة فى بيت تحوت " ولقب " كاهن ماعت " فى الأسرة الخامسة ...

هكذا تشكلت الحكومة المركزية ، وكان لها شريك يتمثل فى الإدارة المحلية القائمة على تقسيم البلاد إلى أقاليم . ومعلوماتنا عن أقاليم الوجه البحرى معدومة ، فما حققه التنقيب الأثرى فى الدلتا من نتائج يعتبر شحيحا للغاية . فمعظم الوثائق التى حفظها الزمن تتصل بمصر الوسطى ومصر العليا . ولكن مانتوصل إليه من تصورات عن مصر العليا ينسحب أيضاً على مصر السفلى . ولاغرو أن الإدارة المحلية قد شهدت أخطر التطورات فى عصر الدولة القديمة ، واستندت هذه التطورات إلى تغيير الوضع القانونى لحكام الأقاليم حيث لم يعودوا ينقلون من أماكنهم وباتت مناصبهم وراثية فى واقع الحال إن لم يكن قانوناً . وجرى تشييد الجبانات الخاصة بالأمراء فى عواصم الأقاليم حيث تواصل توريث منصب الكاهن الجنائزى - خلفاً عن سلف - وهو مايتفق والتقاليد المتوارثة ، إلى جانب توريث منصب حاكم الإقليم وهو مالا يتفق وهذه التقاليد ! وفى أغلب الأحيان كان الاستثمار الاقتصادي للمنطقة هو ركيزة هذا الإقطاع وهو المهمة الأساسية لحاكم الإقليم باعتباره المسئول عن حسن تنظيم الرى " عج مر " والمشرف العام على الأملاك " حقا حوت " .

كان من المستحيل أصلاً تصور نقل السلطات على هذا النحو . فأرض مصر ملك لحاكم البلاد ، من الناحية النظرية ، نظراً لكونه تجسيداً للخالق وخليفته على الأرض، أما الموظفون فهم يؤدون له العمل مقابل إعالته وإعاشته لهم . وتعبر كلمة " إيماخو " فى اللغة المصرية عن هذا الوضع . وهى كلمة يصعب ترجمتها ولكنها تعكس العلاقة التى تربط الرعية بمليكهم . ويمد الملك رعيته بكل مايلزمهم فى هذه الدنيا وفى العالم الآخر من غذاء وحماية .حيث يوفر لهم الامتيازات الجنائزية وكل العناصر الضرورية لتشييد المقبرة ، وهى عناصر يصعب على أى فرد إقتناؤها بوسائله الخاصة ، فليس فى وسعه الحصول على تابوت حجرى أو باب وهمي أو مائدة قرابين أو حتى التماثيل وهى الركائز اللازمة لاستمرار حياة المتوفى فى العالم الآخر . والملك هو ،َأولاً وقبل كل شئ ، الضامن لاستمرار خدمة القرابين بفضل المخصصات الجنائزية وصدور مرسوم بإعفاء الأملاك المنوط بها خدمة المتوفى ، من الضرائب . وهذه القاعدة تحكم أيضاً أملاك المعابد فكانت بذلك تحمل فى أحشائها عنصر تقويض للدولة وتعمل على تفتيت الملكية وإفقار الملك . وإذا بدا هذا غير ملحوظ فى البداية إلا أنه كان طريق اللاعودة . فالأرباح التى يحققها أصحاب هذه الامتيازات كانت تشكل خسارة محققة لاقتصاد الدولة حيث أنها لم تكن تخضع لنظام الأجور والمكافاءات التى يتم توزيعها بمعرفة الدولة .ولكن هذا ليس هو الأهم . بل

الأخطر من ذلك ماتمخض عن هذه الأوضاع من آليات .حيث أصبحت هذه الأملاك الركيزة التى تنهض على أساسها الإقطاعيات التى يسعى أصحابها إلى الاستحواذ لحسابهم الخاص على الامتيازات التى تتمتع بها أملاك الملك .

وستظل الأطر التى أشرنا إلى خطوطها العامة كما هى دون تغيير أو تبديل على امتداد الحضارة المصرية شأنها شأن أركان المجتمع وركائزه . أيعنى ذلك غياب أى تطور ؟ لا بالطبع ! فقد حدث التطور أساساً فى العلاقات القائمة بين السلطة المركزية وقاعدة المحليات : تدعيم سلطات الوزير أو الوزراء وإعادة تقسيم الدوائر الإدارية وإنشاء المحافظات الخ ... لقد ظلت البنى التى فرضتها هذه الأطر على البلاد دون تغيير يذكر حتى آخر الأزمنة . ظل هرم المراتب الإجتماعية قائماً على نفس القيم ، بينما كان تطور الحياة اليومية غير محسوس تقريباً لاسيما بين أفقر شرائح السكان وأكثرها تخلفاً .حيث ظلت الفوارق طفيفة جداً بين مزارعى الدولة القديمة وبين الواحى (القروى الفصيح) الذى سنلتقى به بعد برهة كأشد المدافعين عن قضيته ، أو الفلاحين الذين أمدوا الإمبراطورية الرومانية بما يلزمها من قمح ...

الفن التشكيلى المصرى

كان الفن انعكاساً أميناً لتطور المجتمع . فعبر الخمسمائة سنة التى تفصل بين "چسر " والملكة " نيت إقرت " يمكن للمرء أن يتابع كيف استحوذ الموظفون على بعض ملامح التصوير وأنماطه التى كانت وقفاً فى البداية على الملوك أو أفراد العائلة المالكة . إنها المرحلة الأولى من إنزلاق وئيد ، لايمكن اعتباره إشاعة للديمقراطية وإنما هو بالأحرى تضخم تدريجى للقيم السياسية . ويمكن تفسير هذا الانتقال عن طريق نفس الآليات التى انتهت إلى الملكية (بكسر الميم) . إن مايلزم من وسائل لإبداع عمل فنى تتجاوز حدود إمكانيات الفرد العادى . فهل فى وسعنا أن نتصور أن عيناً من أعيان الدولة القديمة على الأقل ، مهما بلغ من سلطان ، فى استطاعته أن ينظم لحسابه الخاص حملة إلى المحاجر لإقتلاع الأحجار ونحت التابوت الحجرى ودعامات الأبواب والتماثيل اللازمة لمقبرته ؟ فتلك هى وظيفة الدولة . فلقد كان نحت التماثيل وحفر النقوش يتم فى الورش التابعة للسلطة المركزية . فالفن إذن هو من عمل موظفين . هذا المبدأ الذى ينهض على أساسه الفن يستبعد أى أبحاث غير نفعية .ويصبح الفن للفن شيئا لاوجود له . وسواء كانت الصورة على هيئة نحت بارز فى استدارة أو رسم أو نقش فإنها تخدم أحد هدفين : هدفا سياسيا دينيا أو هدفا جنائزيا . أما الأول فمقصور على الملك فقط ، فى حين أخذ

الأفراد يستحوذون تدريجياً على الثانى ، ومن ثم غلب على الأفراد نزوعهم إلى الأخذ بالأسلوب الذى ارتضاه الملوك لأنفسهم مع إغفال السمات التى يستحيل نقلها . إن أطر التصاوير أطر محددة فهى تنسج إبداعاتها سواء كانت عن فرد أم وظيفة بأكبر قدر من المصارحة ، وغالباً ماينصرف هذا الإبداع إلى نماذج نمطية . ولكن بين الحين والحين يظهر توافق مذهل وعجيب بين الواقعية " على الطريقة المصرية " ومايجيش فى نفس الفنان من مشاعر . فالاهتمام بنقل حقيقة الواقع بكل تفاصيله قد خنق عند الفنان كل نزعة ذاتية. وتأكيداً لذلك فقد لجأ المصرى فى كتابته أو نقشه أو رسمه ، تجنبا للوقوع فى أشراك الإبصار ، إلى تقسيم الكائنات أو الأشياء التى يصورها إلى أكثر عناصرها المميزة . وهذا المبدأ القائم على " المزج بين أكثر من رؤية " للموضوع الواحد ، يقودنا إلى نتائج طريفة وغريبة أحياناً . ويتمحور هذا المبدأ حول الفكرة القائلة بأن التعرف على كل عنصر من عناصر جسم الإنسان على سبيل المثال هو أمر ممكن دون لبس أو مواراة . فأسهل وسائل التعرف على العين مثلاً هوتصويرها من الأمام ،شأنها شأن الأذن والذقن وجمجمة الرأس . والكتفان واليدان أيضاً يصوران من الأمام ، والذراعان من الجانب والوسط من ثلاثة أرباعه ... ومن ثم يعانى الجسم من إلتواءات عجيبة تدعو إلى الحيرة لأول وهلة . وإضافة إلى ذلك لم يستخدم المصريون قواعد المنظور، علماً بأن بعض التصاوير رغم افتقارها إلى المهارة والدربة تشهد بأنهم كانوا على دراية بها . فتصور صفوف فرق الجيش المتقدمة كل على حدة ، مع توضيح الفراغات بين صف وأخر . كما صور الفنان المصرى منظرين معاصرين بأن رتبهما فى صفين يعلو أحدهما الأخر . ويصور منزلاً أو حديقة من زاويتين معاً كواجهة وكرسم تخطيطى ، وإن أدى الأمر إلى أن يثنى على جوانب المنظر جزءاً من جدار أو أشجار بمحاذاة مجرى مائى . ولايختلف الأمر بالنسبة لفن النحت . فالغرض منه إعداد جسد يمكن " الإقامة فيه " إقامة أبدية ومن ثم ضرورة أن يكون أقرب ما يكون إلى الكمال وهذا لايعنى أن يتجنب الفنان بالضرورة إظهار أى عاهة بدنية . وفى معظم الأحوال يكون تشكيل الجسد أقرب إلى الوضع المثالى من وجه الشخص الذى يحمل بالضرورة ملامح فردية . وينطبق نفس الشىء على أوضاع الجسم التى تشير إلى وظيفة أو إلى حالة ، وهى بالتالى أوضاع نمطية ومقولبة . ويترك الإنتاج الفنى فى جملته انطباعاً بالتماثل والتشابه مع الإهتمام الشديد بالتفاصيل ، مع قدر قليل جداً من التنويع فى الاسلوب بحيث يتعذر تمييز شخصية الفنانين الذين أبدعوا هذه الروائع . وهم على كل حال

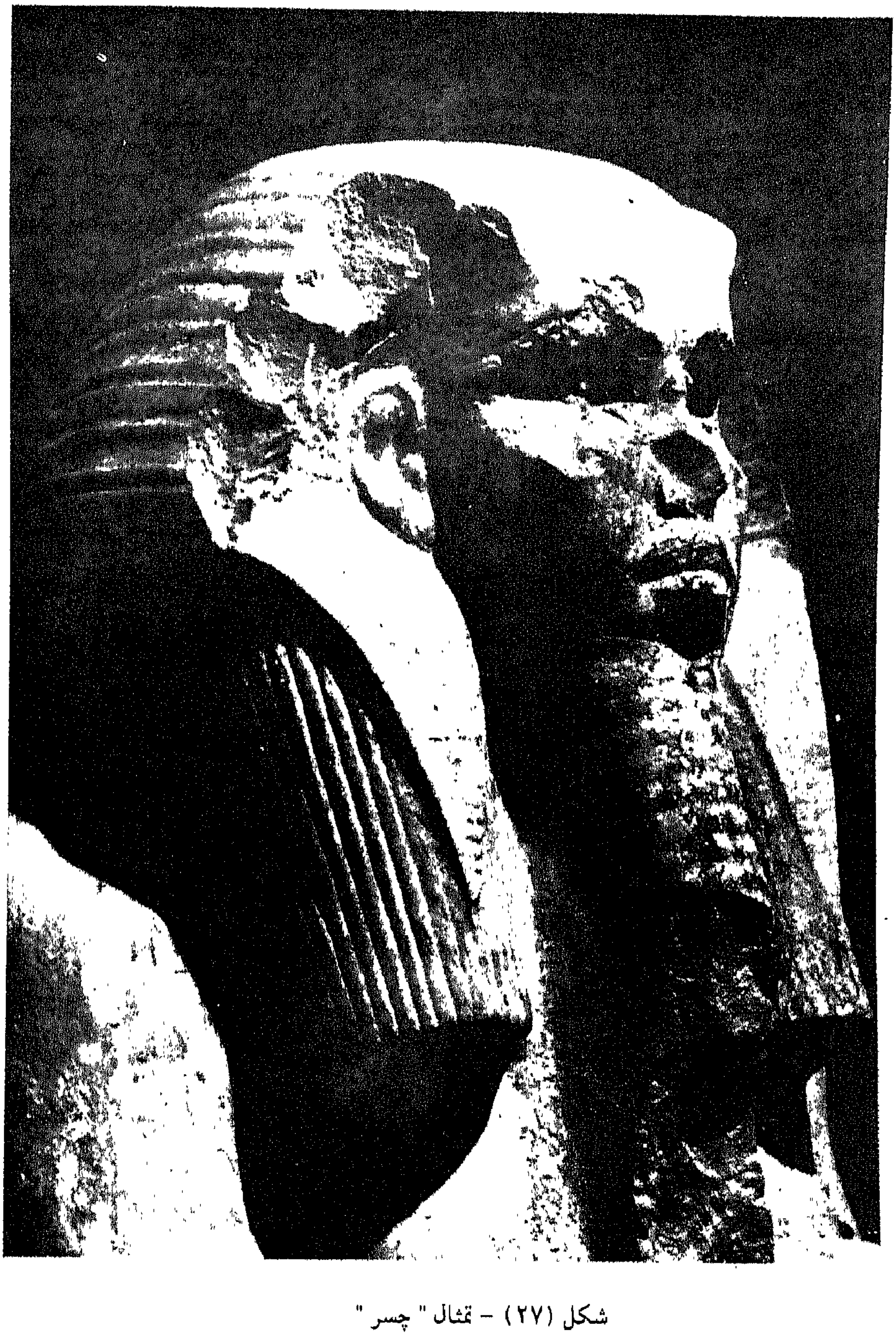
لم يسعوا إلى التفرد من خلال أعمالهم . إنهم فنانون مجهولون ، لم يسعوا إلى عكس ذلك وكان إبداعهم إبداعاً جماعياً . وحافظوا على هذه القاعدة على امتداد الحضارة المصرية سواء فى الفنون التشكيلية أم فــى الأدب ، فالفرد يذوب دائماً فى الجماعة البشرية على مستوى الكون وينصهر فيها .

فن نحت التماثيل :

إن المشاهد التى تزين جدران المصاطب قد أماطت اللثام عن الأساليب الفنية التى استخدمها المثال المصرى فى مجال فن النحت . كما ندين بالكثير من معلوماتنا الى الورشة التى اكتشفها چورچ ريزنر **G. Reisner** ضمن المجموعة الجنائزية للملك " من كاورع " حيث عثر على العديد من التماثيل فى مراحل مختلفة من التنفيذ الفنى ، من مجرد مشروع إلى أعمال اكتملت تماماً أو كادت . وهكذا يمكننا أن نتصور مختلف المراحل التنفيذية للإبداع الفنى وما يستخدمه من وسائل . لقد اختلفت التقنية التى استخدمها المصرى لاقتلاع كتل الحجر من المحاجر مع اختلاف صلابة الحجر . فكان يعالج أكثر الأحجار ليونة معالجة مباشرة بواسطة الإزميل ، أما الصخور الصلبة فكان يعتمد فى معالجتها على الأسافين الخشبية ، فتعد ثقوب تحشر فيها رويداً رويداً أسافين خشبية بعد بلها حتى يتشقق الحجر وفق خطوط منتظمة . وبعد اقتلاع كتلة الحجر يجرى تهذيبها قبل نقلها إلى الورشة . وكمرحلة أولى يتم تشكيل كتلة الحجر لتحديد الإطار العام لما سيصبح تمثالاً . وبعد ذلك وبالتدريج تتحدد ملامح التمثال العامة ولاسيما ملامح الرأس ، ثم توضع بعض اللمسات الدقيقة ، فى بطء وتؤدة حتى يرى النموذج النهائى النور . ثم يركز الفنان على إبراز الذراعين والساقين عن الجسد بتوضيح كل التفاصيل . ثم يصقل التمثال صقلاً نهائياً . أما الأدوات التى يستخدمها الفنانون فهى فى أساسها أدوات حجرية ، وتضم هذه الأدوات بريمة من الظران ومصقلة ومثقاباً وعجينة للحك والصقل ومطرقة وإزميلاً وفى النادر القليل تستخدم المناشير النحاسية . وإذا صنعت التماثيل من الحجر الجيرى أو من الحجر الرملى تم تلوينها فى الأغلب . ولكنها قد تصنع من السيانيت (أى من الحجر الأسوانى) أو الكوارتزيت أو الشست . أما الألبستر فيستخدم عادة فى صناعة الأوانى ويندر استخدامه فى صناعة التماثيل . كما ظهرت أيضاً التماثيل الخشبية التى ستلاقى رواجاً واسعاً فى وقت لاحق . وانتشرت أيضاً التماثيل المصنوعة من النحاس وأشهرها تمثالا " پيپى " الأول و " مرنرع " المحفوظان فى المتحف المصرى بالقاهرة (شكل

٣٠)، وتحدد وظيفة صاحب التمثال هيئته ووقفته . ومنذ أقدم الأزمنة يمثل الملك جالساً على عرش ضخم مكعب الشكل ازدان جانباه بعناصر زخرفية متداخلة ومتشابكة أطلق عليها إسم " سماتاوى " وتمثل الشعار النباتى للوجهين القبلى والبحرى وتربطهما قصبة هوائية . ويرتدى الملك النقبة " شنديت " ويضع فوق رأسه شارات السلطة : التيجان أو غطاء الرأس " نيمس " واللحية المستعارة . ويظهر الملك عادة بمفرده . وإذا كان فى صحبة زوجته فإنها تجلس عند قدميه على غرار " حوتب حرس " الثانية " (؟) الجالسة عند قدمى " جدفرع " فى بقايا تمثال اللوفر الذى عثر عليه فى " أبو رواش (E12627 = Vandier : 1958 , pl. 11 . 1) . أما تماثيل المجموعات فهى أكثر ندرة . ومن الأمثلة المعروفة مجموعات " منكاورع " فى صحبة زوجته (Boston 11.738) أو التماثيل الثلاثية التى عثر عليها فى الجيزة Vandier:1958 ,PI..IV - V ونلاحظ تطوراً فى هيئة التماثيل وأوضاعها فى أعقاب الأسرة الرابعة . فهل يعود ذلك إلى الروابط الجديدة التى قامت بين الأيديولوجية الثيوقراطية وواقع السلطة السياسية ؟ ونخشى أن نكون مبالغين فى الأمر إذا جاء ردنا بالإيجاب . ومع ذلك فمن الملاحظ أنه قد بات فى الإمكان تصوير الملك أثناء ممارسته الشعائر . فمن مقتنيات متحف بروكلن تمثال من الشست لـ " پيپى " الأول جاثيا على ركبتيه وجالساً على عقبيه وهو يقدم إناءى نبيذ (شكل ٣٢) . ومن التجديدات الأخرى التى أدخلتها الأسرة السادسة التماثيل التى تصور الملك فى طفولته . نذكر على سبيل المثال تمثال " پيپى" الثانى المصنوع من الألبستر ، وهو من مقتنيات متحف القاهرة (JE. 50616) . وربما كان اعتلاء " پيپى" الثانى عرش البلاد فى طفولته من الأسباب الكامنة وراء هذا الابتكار الذى يعبر عن تكيف الأسلوب الفنى مع الواقع السياسى .

ونضرب مثلاً على ذلك بالمجموعات التى يحتفظ متحف بروكلن بأحد أمثلتها والتى تصور " پيپى " الثانى جالساً على ركبتى والدته . وقد صنعت هذه المجموعة من الألبستر أيضاً لارتباط موضوعها بطفولة الملك ومرحلة الرضاعة التى يوحى بها لون الألبستر المائل إلى البياض اللبنى . إن الجمع بين " عنخ إنس مرى رع " الثانية وابنها الذى صور بملامح أقرب إلى ملامح الملك البالغ ولكن فى حجم صغير -- منه إلى الطفولة - لدليل على انتقال سلطة " پيپى " الأول إلى خلفه من خلال وصاية الملكة الأم .

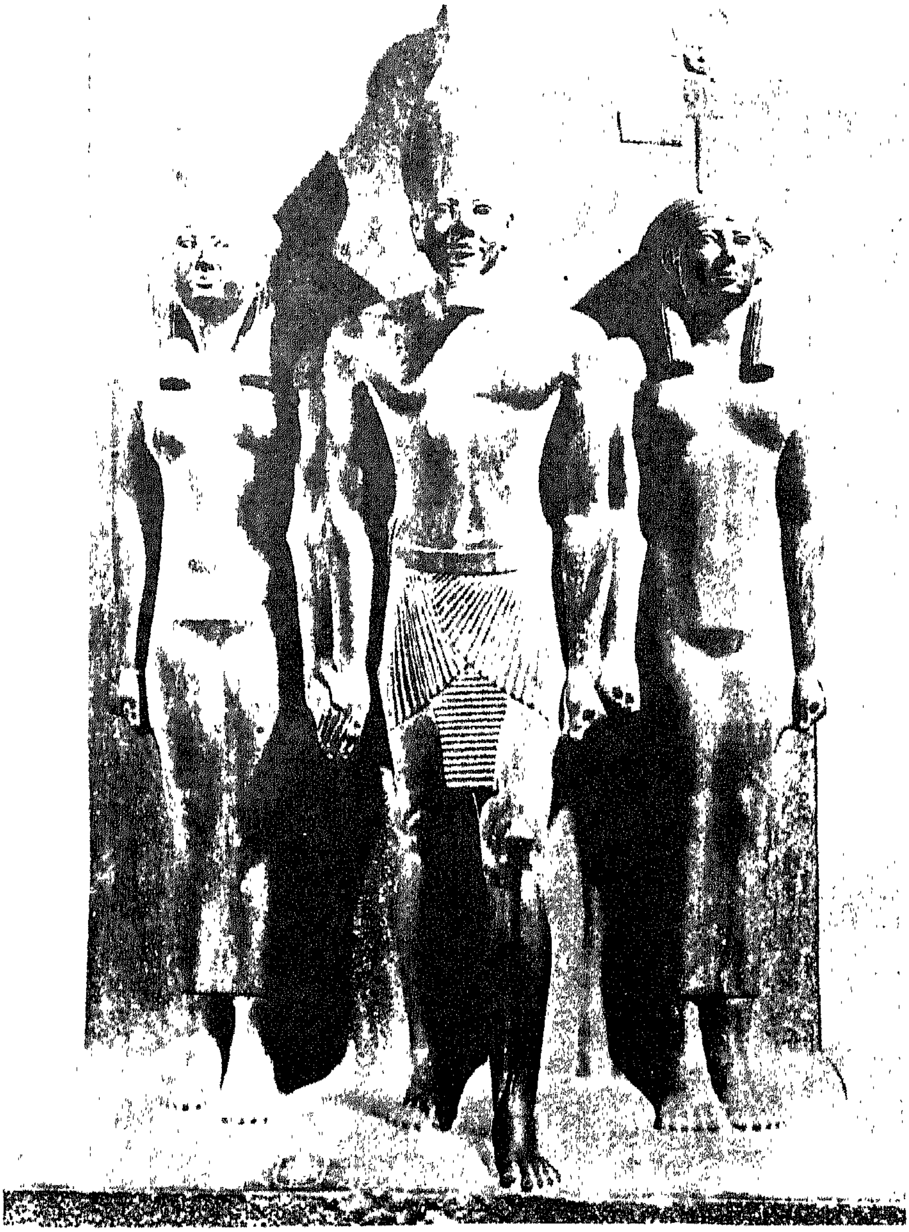


شكل (٢٧) - تمثال " چسر "
من سرداب معبده الجنائزى فى سقارة .من الحجر الجيرى الملون . الارتفاع ١٣٥سم القاهرة . المتحف المصرى .



شكل(٢٨) - "خعفرع" فى حماية حورس. من معبد المزار

المجموعة الجنائزية بالجيزة من الديوريت. الارتفاع ١٦٨سم متحف القاهرة: C.G.C.14



شكل (٢٩) - "منكاورع" و"حتحور" وإله أقليم ديوسبوليس

تمثال ثلاثى من معبد مزار منكاروع بالجزة .حجر الشست الارتفاع ٩٧سم.متحف القاهرة : J.E 46499



شكل(٣٠) -"ببيبى"الأول و"مرنرع"واقفين

تفصيل: بيبى الأول. من النحاس - متحف القاهرةJ.E33034-33035

شكل (٣١) - "ببيى" الثانى جالساً على حجر "عنخ إن إس پيپى" الثانية.
مصدره الأصلى: سقارة على ما يظن. من الألبستر. الإرتفاع ٣٩سم متحف بروكلن. 39. 119





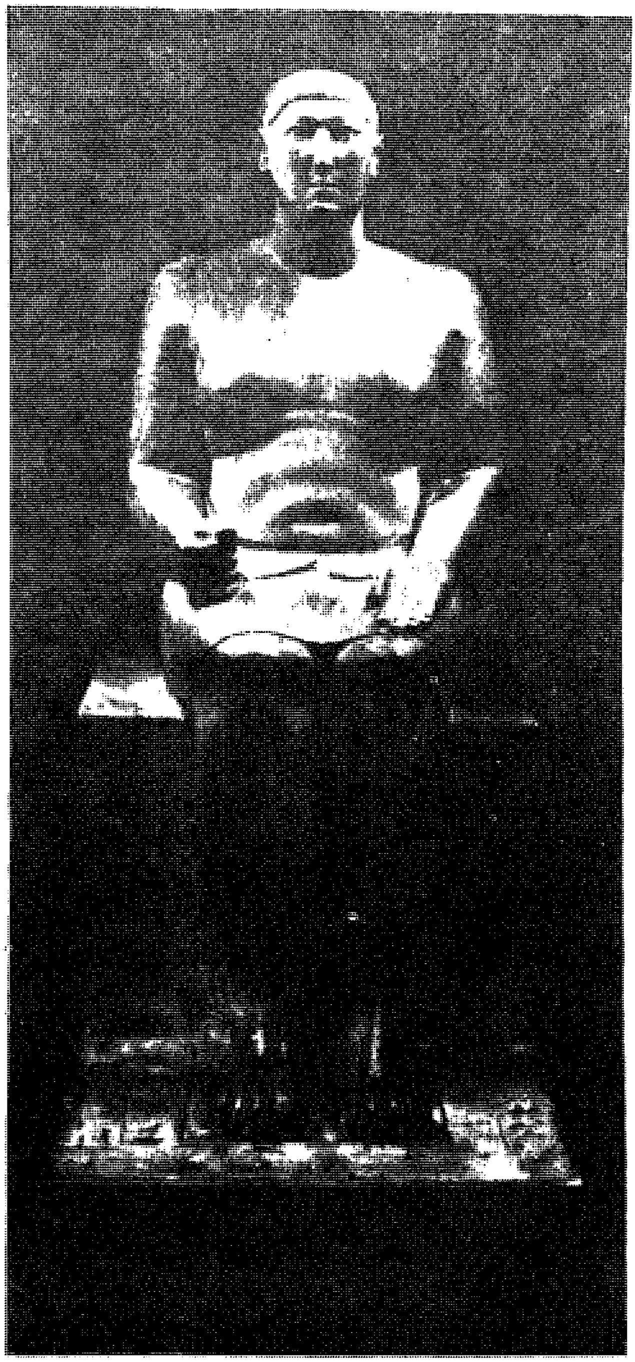
شكل (٣٢) -"پيپى" الأول جاثياً على ركبتيه وهو يقدم إنا ءى النبيذ.
حجر الشست : الارتفاع ١٥سم. متحف بروكلن 39. 121

وتلتقى أوضاع الأشخاص الجديدة ولاسيما تلك التى تصور الروابط العائلية مع المواضيع التى سبق أن عالجها فن النحت الخاص بالأفـراد . وفى حين أخذ النـحت يحاكى الأوضاع الملكية الرسمية إلا أنه ظل يتناول مواضيعه الخاصة . وفى أعقاب الأسرة الرابعة تطور أيضاً فن نحت تماثيل الأفراد . فقد تخلف أسلوب النحت عـن حد الكمال الذى نشاهده فى مجموعة " رع حوتب " و " نفرت " أو فى تمثال " حم إيون " . لقد كان عدد تماثيل المدنيين فى الماضى أكبر من عدد تماثيل الملوك ، وزاد عددها فى ظل الأسرتين الخامسة والسادسة كمامالت إلى التخلى عن القواعد الكلاسيكية دون أن يكون ذلك على حساب نوعيتها . ومن الأمثلة على ذلك تمثال الكاتب المصرى الشهير باللوفر . كما لم تتخل تلك التماثيل عن الأوضاع التقليدية : كالأشخاص الوقوف أو الجلوس وقد صوروا بشارات وظائفهم ، أو المجموعات العائلية الخ ... بيد أنها تميزت بأسلوب فنى متحرر واهتمام متزايد بنفس الواقعية التى ظهرت بها التماثيل الملكية المعاصرة . إن رقة الإحساس التى يمكن ملاحظتها منذ الأسرة الخامسة أخذت تنتشر وترقى فى أعمال الأسرة



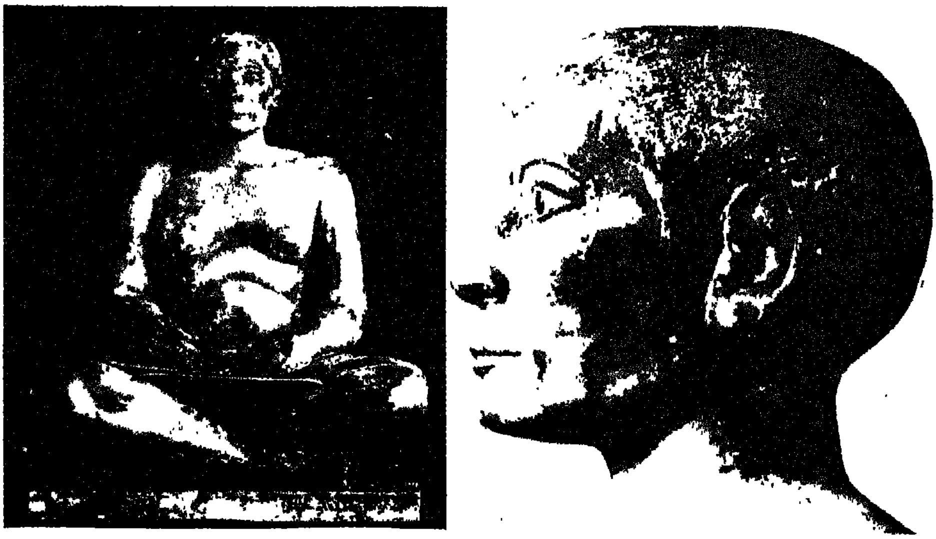
شكل (٣٣) -"رع حوتب" و"نفرت" جالسين .

عثر على التمثالين فى مقبرتهما فى ميدوم من الحجر الجيرى الملون. الارتفاع ١٢٠سم متحف القاهرة : CGC 3 et 4



شكل (٣٤) - حم إيون

تمثال من الحجر الجيرى. عثر عليه فى مقبرته بالجيزة الارتفاع ١٥٧سم، متحف بليزايوس. هيلدسهايم.

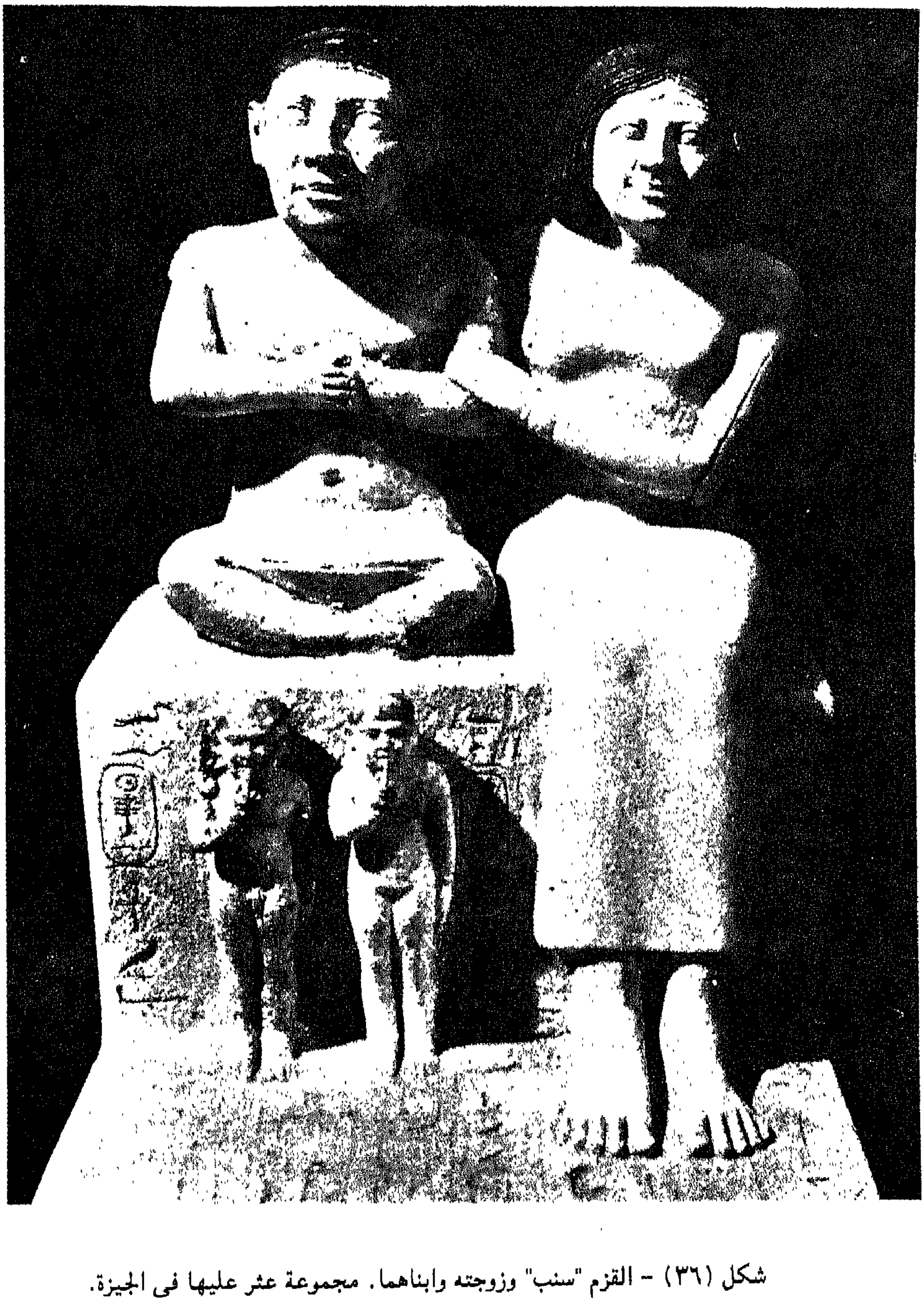


شكل(٣٥) كانت عاقد ساقيه تحته. عثر عليه في سقارة. من الحجر الجيرى الملون.

الارتفاع ٥٣سم، متحف اللوفر **N2290** - تفصيل الرأس

السادسة بفضل التعمق فى أسلوبها الواقعى . ويمكن أن نذكر على سبيل المثال تمثال القزم " سنب " أو تمثال " نى عنخ رع " الجميل .واضافة إلى التماثيل المصنوعة من الحجر ظهر مع الأسرة الرابعة أسلوب تقليدى لصناعة تماثيل من خشب كانت أعظم وأروع ما خلفته فنون الدولة القديمة. ونذكر على سبيل المثال تمثال "كاعبر" الذى يبدو وكأنه على وشك أن ينطق حتى أن عمّال أوجست مارييت الذين اكتشفوه أثناء تنظيف مصطبته فى سقارة اطلقوا عليه اسم «شيخ البلد» لشدة ما بينه وبين عمدة قريتهم من شبه . كما نشير إلى مجموعة متحف اللوفر المكونة من موظف من مدينة منف وزوجته. ومهد هذا الأسلوب الطريق أمام ما يعرف اصطلاحاً بـ «النماذج» ، وهو شكل فنى جديد انتشر خلال الفترة الانتقالية الأولى ، ويجسد مشاهد النقوش ، وكانت أمثلتها الأولى المصنوعة من الصلصال أو الحجر الملون تسحر الألباب من شدة واقعيتها .

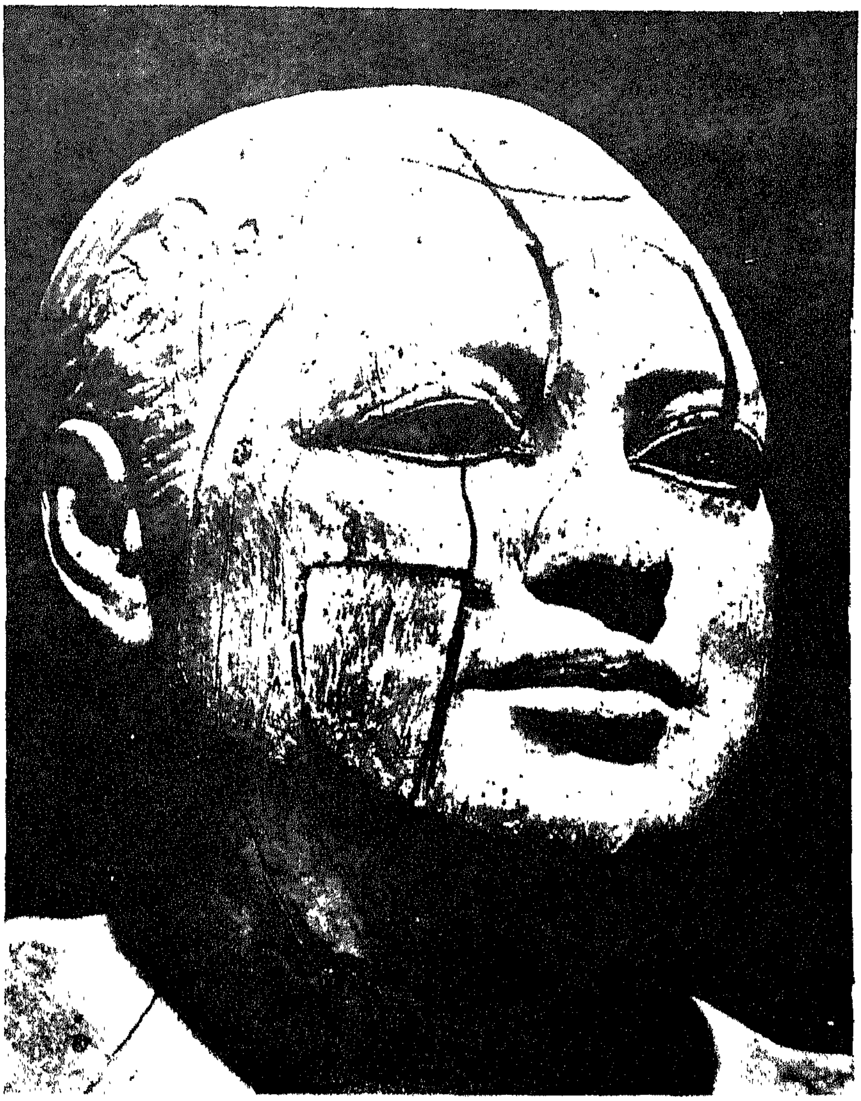
ان طرائق تنفيذ النقوش والرسومات شبيهة بما يتبع بالنسبة لنحت التماثيل. يبدأ العمل بوضع التصاوير على سطوح الحجر الجيرى الأملس الذى يكون جدران المقبرة ، وبعد تسويتها بالحك والكحت يتم صقلها. ويتولى فريق أول تقسيم الجدار الى مربعات صغيرة



شكل (٣٦) - القزم "سنب" وزوجته وابناهما. مجموعة عثر عليها فى الجيزة.
من الحجر الجيرى الملون. الارتفاع ٣٣سم. متحف القاهرة. J.E 51281



شكل (٣٧) -"نى عنخ رع"، جالساً. تمثال عثر عليه فى الجيزة.
حجر جيرى ملون. الارتفاع ٧٠سم. القاهرة: المتحف المصرى



شكل (٣٨) - كاعپر. تمثال عثر عليه فى سقارة (تفصيل الرأس)
مصنوع من الخشب الارتفاع ١٠٩ سم .القاهره CGC 34 .



شكل (٣٩) - موظف من منف وزوجته (تفصيل)
مصنوع من الخشب. الإرتفاع ٦٩سم. متحف اللوفر N 2293



شكل (٤٠) - صانعة الجعة. تمثال صغير عثر عليه فى الجيزة

حجر جيرى ملون. الإرتفاع ٢٦سم.
القاهرة : المتحف المصرى .

تسهيلاً لرسم المشاهد المطلوب تصويرها . وتخط الرسومات حتى أدق تفاصيلها دون إغفال المتون الهيروغليفية المصاحبة لها. ثم يبدأ العمل فى أعمال النقش بمعنى الكلمة . ويتم تأجيل العمل فى مواضيع المشاهد . ويبدأ إزالة الخلفية كلها وتسويتها . وقد نحى هذه الأسلوب منذ عهد «خوفو» منحى منطقياً : فبدلاً من إزالة الخلفية ينحصر العمل فى إحاطة كل موضوع بحزّ يصل الى العمق الكافى للإيحاء «بالنقش الغائر» . ويستخدم أسلوب الحز لتثبيت كافة تفاصيل المواضيع وخلفيتها. ويعنى النقش الغائر الحقيقى الحفر داخل إطار ثم إزالته ، وهولا يستخدم من الناحية العملية إلا للمدونات الهيروغليفية سواء على سطوح العمائر أو التماثيل أو اللوحات الحجرية. وبتغير أسلوب تشييد المقبرة ظهر أسلوب جديد فى النقش . فالمقابر الصخرية غيرت من طبيعة الجدران التى تحمل التصاوير . فلابد إذن من مراعاة عدم انتظام سطح المادة المحلية وخشونته على عكس الحجر الجيرى الأملس. ومن هنا نشأت ضرورة تسوية الجدران بالجص أو بكل بساطة بطلاء من المونة المكونة من صلصال مخلوط بالقش أو الرمل. لايزال الفخرانى أو البناء يستخدمانها حتى الوقت الراهن . ويتم الرسم على هذا الطلاء مباشرة بالألوان المائية ، باللون الأسود الحيوانى والمغرة الحمراء أو الصفراء ومعدن الأزوريت والملاخيت المخلوط أو المسحوق بالنسبة للون الأزرق أو الأخضر. وتضم المواضيع التى تصور على الجدران شتى المشاهد المستوحاة من الحياة على الأرض أو موكب المتوفى الجنائزى .

الفصل الخامس
العقـــائد الجنائزيـــة

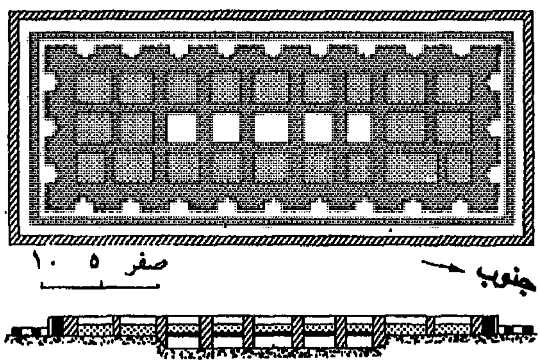
من كوم التراب والحجر إلى المصطبة

لقد سحرت الأهرام منذ تشييدها ألباب كل من شاهدوها- كما أنها أصدق تعبير عن عظمة الدولة القديمة. وظل «خوفو» ، فى نظر من خلفه من أجيال ، الملك الذى توصل الى تطوير هذا النمط من المقابر الذى ابتدعه الملك «چسر» ، فبلغ به حد الكمال مستهلاً تحولاً جذرياً فى تطور عمارة المقبرة الملكية . إن القسم العلوى من مقابر أبيدوس وسقارة الذى شيد فوق سطح الأرض قد اتخذ خلال العصر الثينى شكلاً مستطيلاً يشبه مقعداً من الحجر ولذا أطلق عليه عمال أوجست مارييت «المصطبة» . وظلت المصطبةهى الشكل الشائع للمقبرة للدفنات غير الملكية على امتداد الدولة القديمة فى منطقة منف ، وفيما بعد غربى وادى النيل . ويرجح أن المصطبة تحاكى المسكن الدنيوى للمتوفى أو تحتفظ على الأقل بشكله الخارجى . ومع بداية العصر الثينى اتخذت المصطبة شكل كتلة ليس بداخلها بالضرورة حجرات مخصصة للهياكل أو المخازن. وتحد هذه الكتلة جدران من الطوب لها دعامات ودخلات توحى بما يشبه «واجهة قصر» ذات منظور زائف. وتحاط هذه المبانى بسور أو سورين لتحديد الأرض المخصصة للمتوفى. وظهر هذا الشكل المعمارى نتيجة لتطور كومة التراب و الحجر التى ظهرت فى عصر ما قبل الأسرات والتى كانت تغطى الحفرة المسجى فيها المتوفى . ويمكن القول أن فكرة هذه الكومة ترتبط بفكرة الأكمة الأولية التى ظهر(ت) فوقها الشمس ، الإله الخالق ، حسب رواية علماء اللاهوت فى هليوپوليس ، وتتكون أصلاً من رمال تحاصرها كتل حجر أو اطار خشبى .

ويرقد المتوفى أسفل الكومة فى حفرة بيضاوية أو مستطيلة ، تطور شكلها خلال عصور ما قبل التاريخ ، وإن ظل المبدأ الذى نهضت على أساسه واحداً دون تغيير : فهى المكان الذى يجمع بين صاحب المقبرة ومختلف الوسائل التى وضعت تحت تصرفه لبلوغ العالم الآخر والإقامة فيه. ويسجى الجثمان فى المعتاد على جنبه فى وضع انثناء فوق حصيرة من الغاب فى بعض الأحوال، وقد يلفّ بكفن . وتوضع فى الحجرة الجنائزية بعض مقتنياته الخاصة وأوان مختلفة القيمة والأهمية تكوّن نواة الأثاث ، بالإضافة إلى

استخدامها كماعون توضع فيه التقديمات الغذائية التى يحتاج إليها المتوفى . كل ذلك يشكل الحد الأدنى اللازم للمتوفى. ويمكن أن يضاف إليه حسب العصر وحسب ثراء صاحب المقبرة أوان حجرية وكميات متنوعة من المـــؤن .كانت المواد الغذائـــية توضع فى جرار ، أما المقتنيات النفيسة ، من أسلحة وسكاكين وسهام ظرانية على وجه التحديد وحلى وألعاب التسلية - فكانت توضع فى صناديق .

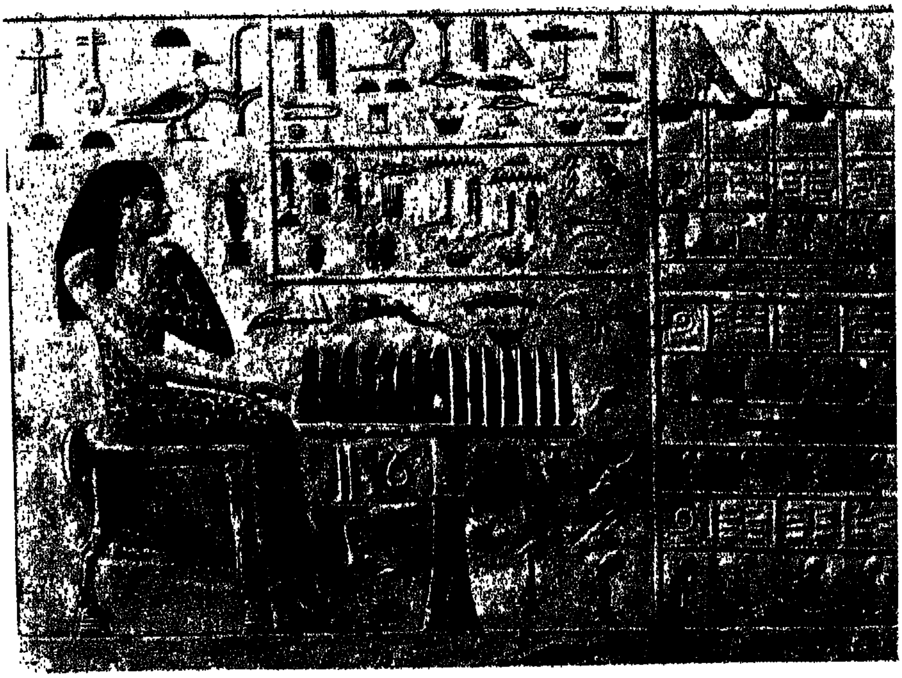
وخلال الأسرتين الأولى والثانية تطورت البنية العلوية للمصطبة كما تطورت بنيتها السفلية تطوراً ملحوظا، وظهر إلى الوجود نمط المصطبة الكلاسيكى كمحور للشعائر وكتجسيد للمسكن الدنيوى حيث تتعدد أساليب العيش وتتنوع ، إلى جانب الرموز التى تؤمِّن استمرار الحياة فى الآخرة. ومن المكان الذى كانت تقام فيه الشعائر بقى لنا موضع النصب الحجرى الذى يخلد اسم المتوفى اعتباراً من أوائل ملوك العصر الثينى . واقتبس كبار الموظفين منذ وقت مبكر الممارسات التى كانت وقفاً فى بادىء الأمر على حاكم البلاد وحده ، وفقاً للنموذج الكلاسيكى الذى عرفناه لتونا . فما كان يعتبر امتيازاً موقوفاً على الملك أخذ يتسرب بالتدريج عبر مراحل متعاقبة إلى الأفراد العاديين ، وذلك بعد استبعاد رموز الملكية وخصائصها وشاراتها. وجنباً الى جنب مع تطور النصب الحجرية، جنحت مدوناتها إلى الإطناب والاسترسال فيما تسجله فأصبحت لا تقتصر على ذكر اسم صاحب المقبـرة بل تقدم أوصافاً دقيـقة عن التقـدمات التى ينتظر توفيرها للمـــتوفى .



شكل (٤١) - رسم تخطيطى وقطاع فى مصطبة فى سقارة معاصرة لحور عحا .
(نقلا عن W. Helck, LÄ V 389)

يحدد هذا التصوير نقطة الانتقال من مملكة الموتى إلى مملكة الأحياء ، ويحدد من الناحية النظرية مكان وضع التقدمات كما كان يحدث فى العصور الأولى . أما من الناحية

الفعلية ، فقد تداخل مع ما يطلق عليه اصطلاحاً «الباب الوهمى» واندمج فيه . و «الباب الوهمى» تصوير على أساس منظور زائف من نمط «واجهة القصر» ، يعلوه حصيرة مطوية. وجاء نتيجة تطور المشكاة ، وهى عبارة عن تجويف فى البناء العلوى لأولى المصاطب وأقدمها. وكان «الباب الوهمى» يسمح على ما يفترض لطاقة المتوفى أو ما أطلق عليه «كا» المتوفى بالولوج إلى العالم الحسى ليستخلص منه ما يلزمه من غذاء ضماناً لاستمرار حياته فى العالم الآخر.

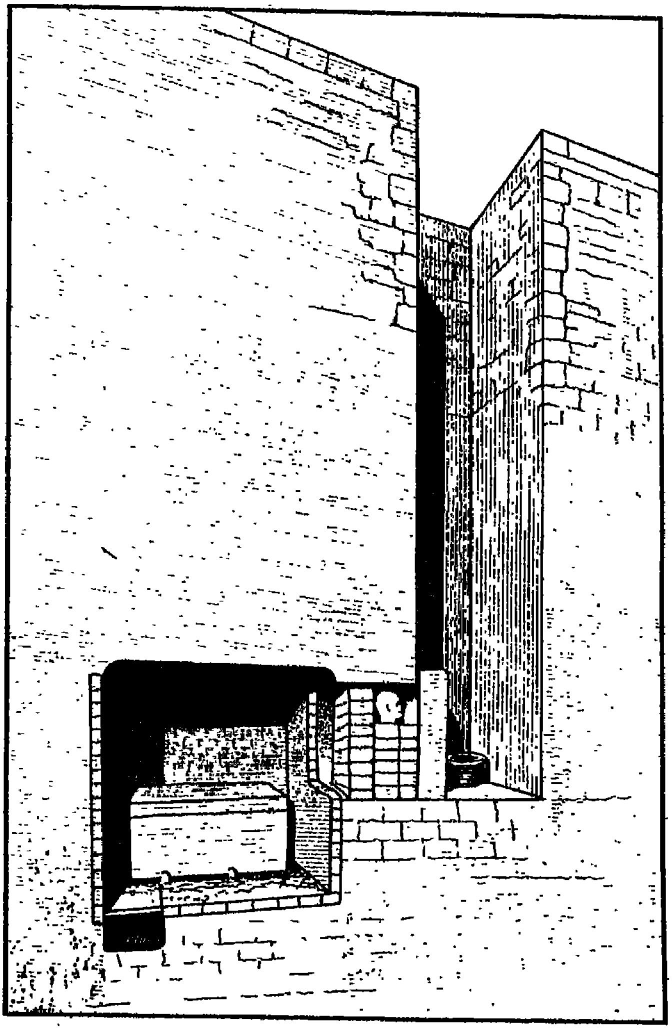


شكل (٤٢) – نصب حجرى للأميرة "نفرت إيابت" . متحف اللوفر .

يصور النصب "قائمة طعام" كاملة لصالح المستفيدة من القربان، وهى الأميرة "نفرت إيابت". وكانت معاصرة للملك "خوفو". ودفنت فى إحدى مصاطب جبانة الجيزة. وترتكز فاعلية هذه الوثيقة على عناصر عدة: بادىء ذى بدء، ينبغى التحقق من شخصية صاحبة الشأن بوضوح. كما أنها تصور على النصب ، إلي جانب تدوين اسمها ولقبها الرئيسي. وعملاً بنفس المبدأ تم تصوير التقدمات مادياً. فوضعت فوق منضدة مع فصل كل نوع من أنواع الأطعمة عن الاخر بفضل تصويرها فى اتجاه جانبى أو رأسى. فيصبح كل عنصر مرئياً للمشاهد. كما يتم تدوينها فى جدول يعلو المنضدة . وإلى جانب هذه الأوصاف يسجل جدول آخر، فى أقصى اليمين ، تفاصيل الكميات التى تم تقديها .

العناصر اللازمة لاستمرار الحياة فى العالم الآخر .

يتكون كل فرد في حقيقة الأمر من عناصر خمسة : الظل، وهو القرين اللامادى لكل شكل من الأشكال التى يمر بها الفرد على امتداد حياته ، وال «آخ» وال «كا» وال «با» وأخيراً «الإسم». وال «آخ» ذو أصول شمسية ، وهو العنصر النورانى الذى يفتح الطريق أمام المتوفى لبلوغ عالم النجوم عند انتقاله إلى العالم الآخر . إنه



شكل (٤٣) - نموذج لبناء المصطبة السفلى .
(نقلاً عن Vandier : 1954, 266)

المظهر الذى تتخذه قوة الآلهة أو الموتى ، وهو روحهم. اما الـ «كا» فهو القوى الحيوية الكامنة فى كل فرد ، ويتكاثر حسب فوة صاحبها . فللإله «رع» على سبيل المثال أربعة عشر «كاو» . والغذاء أمر ضرورى له للحفاظ على فاعليته ، وإذا تم تجهيز الجسد تجهيزاً ملائما فإنه يقهر الموت، فان الـ «كا» هو الذى يعاونه ليحى حياة جديدة شبيهة بتلك التى عاشها فى الدنيا. ويعتمد الـ «كا» فى وجوده على ركيزة مادية ، كما يحتاج إلى الغذاء. ولهذا السبب ومنذ وقت مبكر توصل المصريون الى إيجاد بدائل للجسد المعرض للتلف والتحلل على هيئة تماثيل المتوفى . وجرت العادة على إيداعها فى مكان محدد من المقبرة الملكية يطلق عليه اصطلاحاً «السرداب» . إنه بناء تحت الأرض داخل المصطبة أو فى بنائها السفلى بشكل عام . ويتصل بالانشاءات المخصصة للشعائر من خلال فتحة طولية صغيرة عند مستوى وجه الإنسان. وهكذا يستطيع التمثال أو التماثيل الموضوعة فى السرداب أن تستفيد من التقدمات . واذا كان هذا التقليد وقفاً على الملوك فى بادىء الأمر، إلا أنه سرعان ما انتشر بين الأفراد .

وقد تم تجهيز الحيز الملاصق لحجرة الدفن ليصبح سرداباً ليسهل وصول القرابين إلى المتوفى. كما وعليه أيضاً الاستفادة من القرابين التى تم وضعها فى قاع البئر عند إتمام مراسم الدفن .

أما الـ «با» فهو أيضاً عنصر لامادى، حامل لقوة صاحبه سواء كان إلهاً أو من الأموات أو من الأحياء . إنه أشبه بقرين الفرد وله استقلاليته بعيداً عن الجسد . ويصور على شكل طائر ذى رأس بشرية ، وهو يغادر الجثمان لحظة الوفاة ليعود اليه بعد إتمام عملية التحنيط . انه بمثابة «ذات ثانية» للفرد ويمكنه أن يتحاور معها . ويترجمه جمهور العلماء بكلمة «نفس» ، وهى ترجمة اصطلاحية غير دقيقة . أما " الإسم " فهو آخر العناصر الخمسة المكونة للفرد . وكان المصرى القديم يعتبره عملية خلق متجددة للفرد ، سواء عند ولادته لما قامت أمه باختيار اسمه تعبيراً عن طبيعته وما يرجى له من مستقبل، أو فى كل مرة ينطق به . ويدور محور سلوك المصرى فى مواجهة الموت حول إيمانه الراسخ بقدرة الكلمة الخلاقة . إن تسمية شخص أو شىء يعنى بعثه إلى الوجود رغم اختفاء شكله المادى ، ومن هنا نشأت ضرورة الإكثار من العلامات الدالة عليه ولتسهيل التعرف عليه . ويجمع الهيكل الجنائزى أو المكان المعدّ للشعائر بشكل عام أكبر عدد ممكن من المعالم الدالة على صاحبها بأكبر قدر من الوضوح حتى يمكن للـ «كا» أن يستمتع دون لبس أوغموض بنصيبه من الخيرات .

ويلبى كل من النصب الحجرى والباب هذا الغرض .ويطلق عليهما اصطلاحاً « الباب الوهمى» الذى لقى رواجاً منقطع النظير فى مقابر الدولة القديمة ، واحتل مركز الصدارة فى الهيكل الجنائزى ، وإليه كانت تتجه شتى الزخارف الجدارية مع تفاوت عدد الزخارف من هيكل الى آخر. ويتكون «الباب الوهمى» ، إضافة إلى عناصر أخرى ، من «الكورنيش المصرى» وهو إفريز محفور يكلل فى المعتاد قمة الأبواب والجدران ، ويقلد أطراف سعف النخيل العليا ، فى حين يشكل جريده ، بعد ربطه بعضه ببعض ، جدران الأكواخ البدائية ، كما نراه اليوم وقد تجاوز قمم مونة الجدران التى تحيط بحدائق الريف المصرى نظراً لأن جريد السعف يكون دعامتها الداخلية .

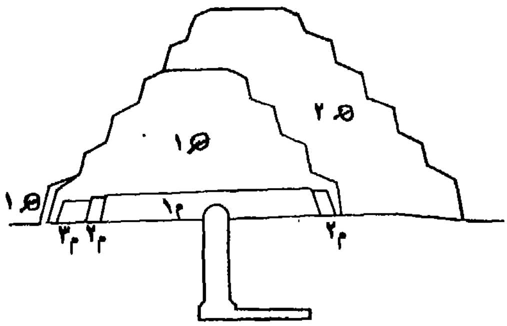
ويوجد النصب الحجرى بين عتب الباب العلوى وعتبه السفلى . وكقاعدة عامة يدون على العتب الأول فاتحة نص «نقل القرابين» ، فيكرسها الملك لأحد الألهة الذى يتولى بدوره تقديمها لصاحب الإهداء لينعم بها. يضمن هذا المبدأ استمرار الشعائر الجنائزية من الناحية النظرية ، حتى بعد اختفاء الأملاك المخصصة للصرف على الانتفاع بالمقبرة وامدادها بالمؤن تحت إشراف كاهن متخصص . إن قراءة متن وصف القرابين كان يعتبر كافياً لتجسيدها فالذى يضمن تسليمها هو استمرار شعائر الإله الذى يتنازل عن جانب منها للمتوفى. بل كان يكفى أن يقرأ هذا المتن من جانب المتوفى أو إحدى التصاوير التى تقوم مقامه، «فنقل القرابين» هو من وسائل الإبقاء على التصاق المتوفى مع لحمة النسيج الكونى . إن التحامه مع العالم العضوى يضمن له استمرار الحياة بعد الموت على غرار استمرار حياة الكون. أما العتب الأسفل فيعدد ألقابه، ثم يذكرها فى إطناب فوق سطوح عضادتى الباب الوهمى اللتين تكتنفان الكوة التى تشكل فتحة الباب . وينقش أحياناً على هذه الكوة تصوير يمثل الـ «كا» بالنقش البارز.

أول الأهرامات

يرجع الفضل إلى الملك « چسر » فى تطوير شكل المقبرة الملكية من المصطبة إلى الهرم :

فقد أصبح فى إمكاننا بفضل أبحاث «چان فيليپ لوير» **J . - Ph . Lauer** أن نتخيل المراحل المتعاقبة التى مر بها الانتقال إلى الشكل الهرمى . فقد شيد «چسر» لنفسه فى بداية الأمر مقبرة من النوع الكلاسيكى . إذحفر بئراً كبيرة وصل عمقها الى ٢٨

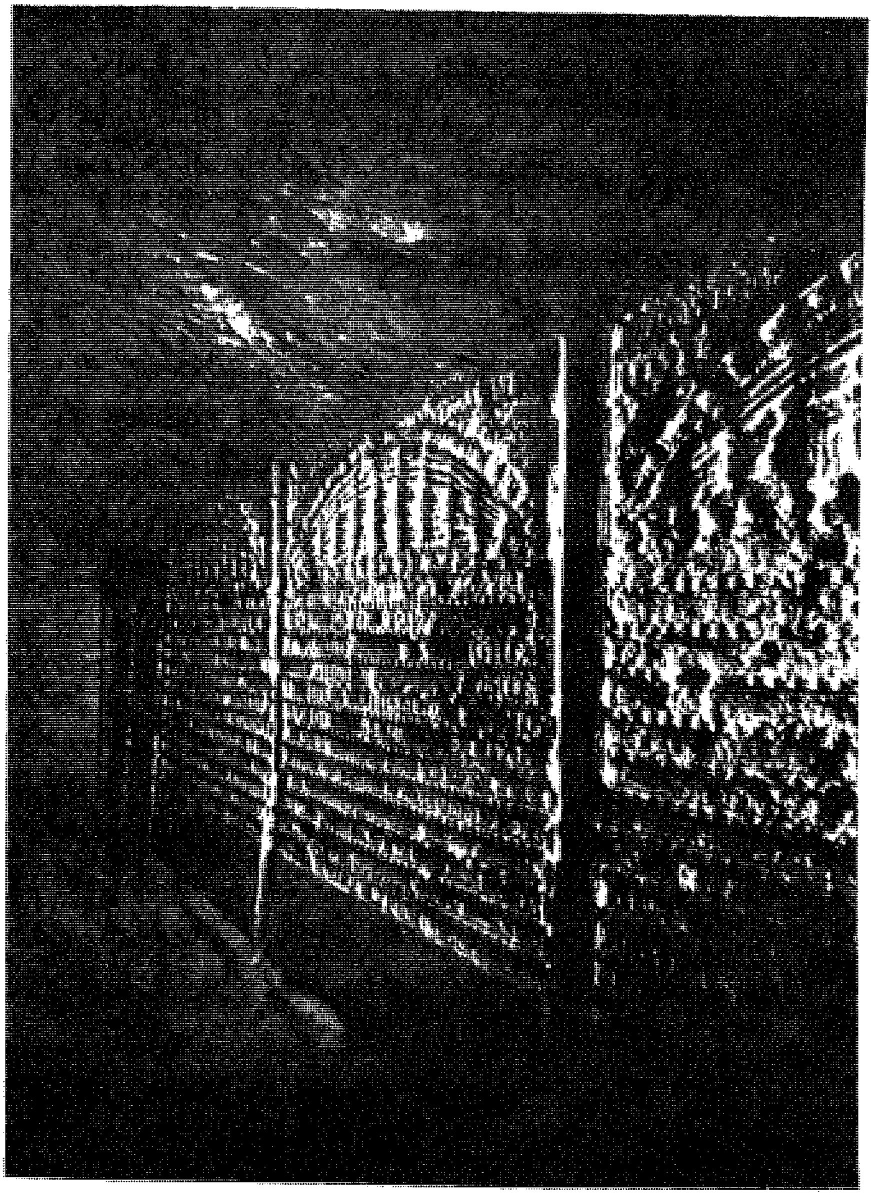
مترا وتؤدى الى حجرة دفن من حجر السيانيت أضيفت إليها العديد من السراديب كمخازن حيث عثر على الأوانى الحجرية التى سبق أن أشرنا اليها . وتنتهى هذه السراديب بجناح جنائزى ازدانت جدرانه بالقيشانى الأزرق، وتقلد إحدى هذه الحجرات العمارة النباتية حيث يعيش على ما يفترض قرين الملك المعروف بالـ "كا" ، وتحاكى حجرة أخرى الصوامع التابعة لدياره . وقد أعاد چان فيليب لوير تركيب أحد السواتر الجدارية عام ١٩٣٨، ويعتبر هذا الساتر الجدارى من أروع مقتنيات المتحف المصرى بالقاهـــرة .



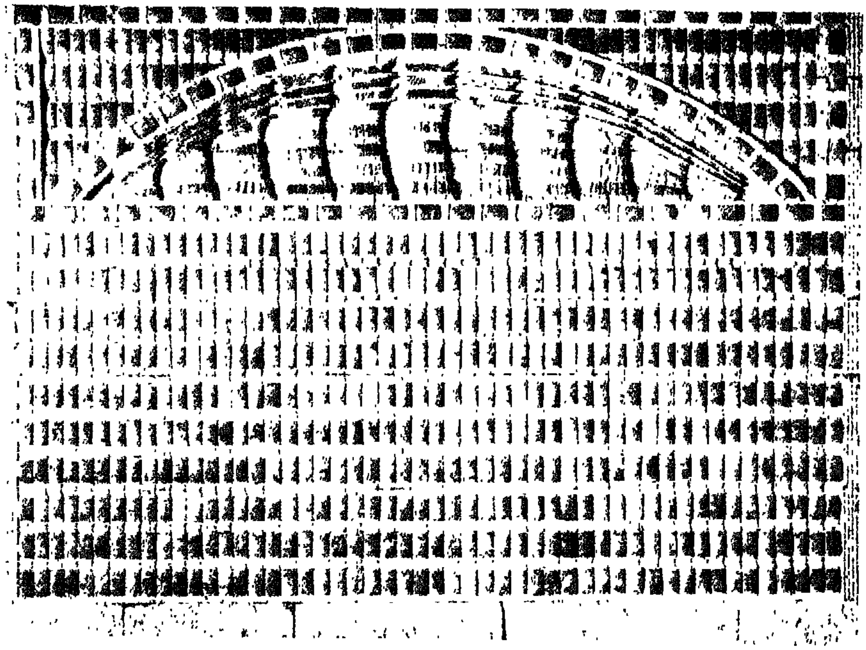
شكل (٤٤) - مقطع فى هرم "چسر" المدرج. سقارة .

وكان من المفروض أن يغلق البـــئر بسدادة جرانيتية عقب الانتهاء من المراسم الجنائزية ، كما شيدت فوق البئر وملحقاتها كتلة معمارية ضخمة مربعة الأبعاد يبلغ طول كل ضلع من اضلاعها ستين متراً وارتفاعها ثمانية أمتار. ونظرا لأن جميع الحجرات قد نحتت فى البناء السفلى، فان هذه الكتلة المعمارية قد حشيت بالحجر الغفل وغطيت بكسوة مزدوجة من الحجر الجيرى، كما حفر على امتداد الواجهة الشرقية عدد من الآبار الإضافية تفضى إلى حجرات جنائزية جديدة خصصت لبعض افراد الأسرة المالكة الذين توفوا فى تلك الأثناء . ولاخفاء هذه الآبار، تم إدخال إضافات إلى المصطبة الأصلية ناحية الشرق .

هنا حدث التغير الجذرى الذى غير من المظهر المعمارى الخارجى للبناء والذى فسره «چان فيليپ لوير» على أنه تعبير عن رغبة ملحة من جانب المهندس المعمارى لإبراز المقبرة وإظهارها للمشاهد القصى . فقد كان السور الخارجى للمجموعة الجنائزية يخفى المصطبـة



شكل (٤٥) - ساتر من القيشانى الأزرق الجناح الجنائزى لهرم "چسر".



شكل(٤٥ مكرر) ساتر من القيشانى الأزرق الجناح الجنائزى لهرم" چسر".

القاهرة: المتحف المصرى

البالغ ارتفاعها ثمانية أمتار ، وكمرحلة أولى أحاط إيمحوتپ المصطبة الأصلية بهرم ذى أربع درجات، ثم عاد إليه ليزيد من ارتفاعه حتى يصل إلى هرم ذى ست درجات يناهز ارتفاعه نيفاً وستين متراً.

وقد عاد «سخم خت» إلى هذا النمط المعمارى فى سقارة ذاتها ، فى حين مهدت أهرام زاوية العريان السبيل لتقنيات جديدة يعتبر هرم «سنفرو» فى ميدوم من أبرز أمثلتها.

وربما تكونت المرحلة الأوليمن هرم ميدوم من مصطبة شيد فوقها هرم مدرج صغير. وعند هذا الحد تتوقف أوجه الشبه مع عمائر الأسرة الثالثة . فى حين أن أوجه المقارنة مع هرم الأسرة الرابعة الكلاسيكى متعددة ، من تخطيط الهرم المربع إلى المدخل الواقع جهة الشمال فى صلب البناء الهرمى وتشييد جزء من شبكة التجهيزات الجنائزية فى جسم الهرم والجزء الآخر فى بنيته السفلى .

لقد أضيفت إلى نواة الهرم الأصلية ست طبقات من الحجر الجيرى المحلى إلى جهاته الأربع بزاوية ميل تعادل ٧٥° فشكلت هرماً ذا سبع درجات، ثم أضيفت اليه درجة أخيرة .

وبعد ذلك كسيت كل درجة من درجاته الثمانية بكساء من الحجر الجيرى الناعم المجلوب من محاجر طرة. ولما انتهى البناءون من أعمالهم ملؤوا مابين الدرجات، ثم كسوا البناء كله من الخارج بالحجر الجيرى فأصبح مظهره الخـــــارجى هرماً صحيحاً بزاوية ميل قدرها ٥٢° / ٥١° وطول كل ضلع ١٤٤.٣٢ متراً وارتفاعه ٩٢ متراً .

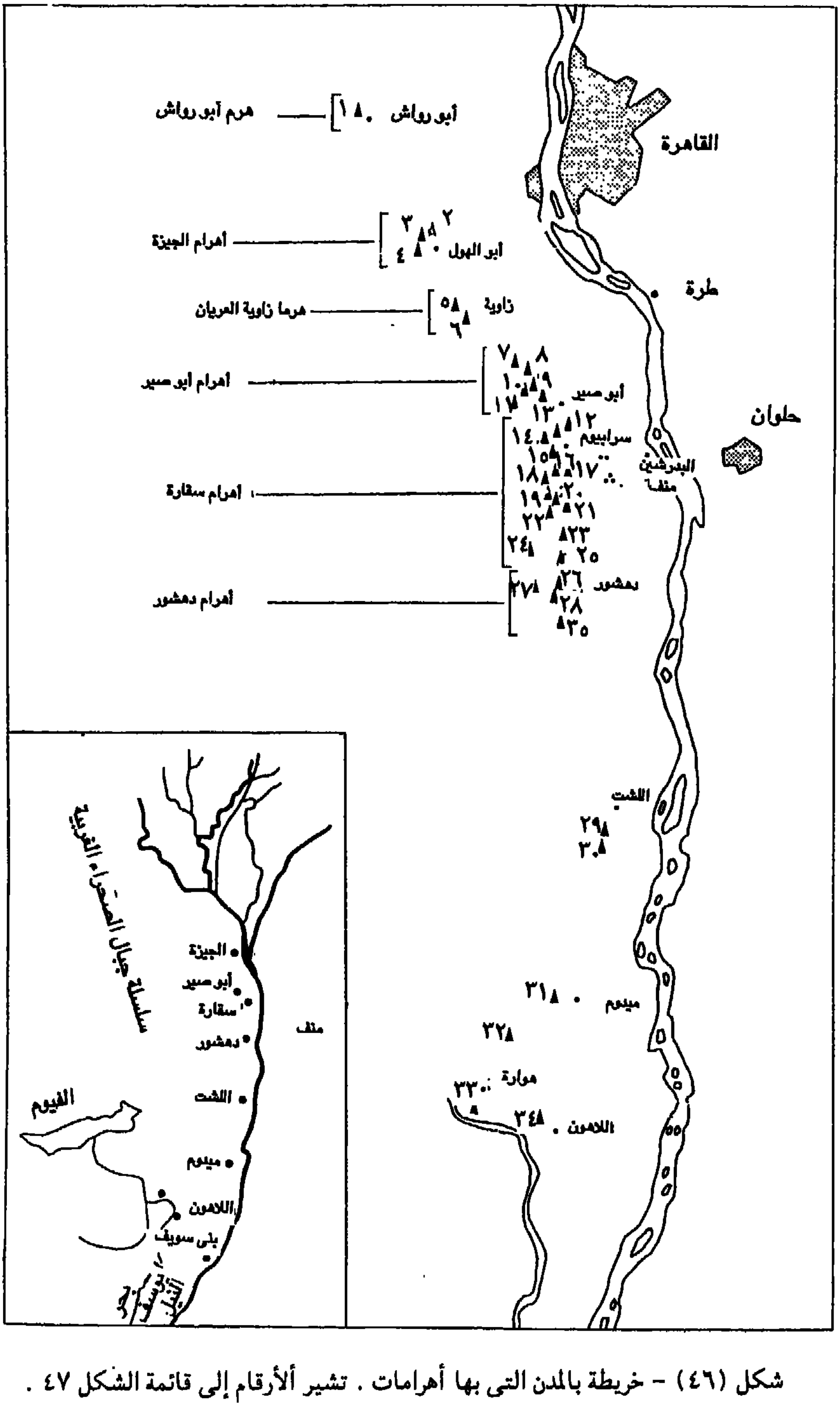
لم يكتف «سنفرو» بهذه المقبرة فقد أقدم على محاولة جديدة فى دهشور هذه المرة ، فأقام الهرم «الجنوبى» الذى صادفت أعمال تشييده عدة عقبات . فظهرت ضرورة إعادة بناء العناصر المعمارية الداخلية بعد تعديلها وتعديل ميل زاوية الهرم عند منتصف الارتفاع من ٣١ ٥٤° إلى ٢١ ٤٣° ، ولذا أطلق اصطلاحاً على هذا الهرم بشكله المميز «الهرم المنبعج أو المنحنى» . ورغم عيوب هذا الهرم ونواقصه التى نتجت عن ضعف أساساته إلا انه ينطوى مع ذلك على تجديد بارز. فقد جرى تثبيت كسوته الخارجية مع كل مدماك ، مما زاد من متانتها .

ومرة أخرى لم يتوقف الملك عند هذا الحد . إذ اقدم على محاولة ثالثة فى دهشور أيضا ، ولكن إلى الشمال من الموقع السابق . فشيد هرماً جديداً أقامه على قاعدة أكثر رسوخاً وبزاوية ميل مقدارها ٣٦ ٤٣° منذ البداية . وظل معبده الجنائزى ناقصاً لم يكتمل بناؤه .

مجموعة الجيزة

بلغت عمارة الهرم حد الكمال مع هرم «خوفو» فى الجيزة حيث وفرت الهضبة أساساً أكثر رسوخاً من مثيلتها فى دهشور . إنه من أفضل عمائر مصر اتقاناً من الناحية الهندسية ، ومن بين أهرامات مصر فإنه يترك أكثر من غيره فى نفس المشاهد انطباعاً بالشموخ والجلال ، كما أنه سحر ألباب البشر على مر العصور، ومع كل جيل تظهر نظرية جديدة تحاول تفسير كيفية بنائه والغرض منه .

وتروى لنا الحجرات والممرات الداخلية الخطوط العريضة لقصة تشييد الهرم . ففى بداية الأمر اتجهت النية إلى إقامة حجرة الدفن فى قلب القاعدة التى ينهض فوقها الهرم على غرار أسلوب ميدوم وسقارة . ويصل بينها وبين مدخل الهرم الموجود فى جهته الشمالية ممر طويل يميل بزاوية ٣١ ٢٦° . ولكن تم التخلى عن هذا المشروع لأسباب مجهولة واستبدل بحجرة شيدت هذه المرة فى بنية الهرم العليا يطلق عليها خطأ «حجرة الملكة» . ويمكن الوصول إليها من خلال ممر متفرع من الممر الأصلى الهابط . وسقف

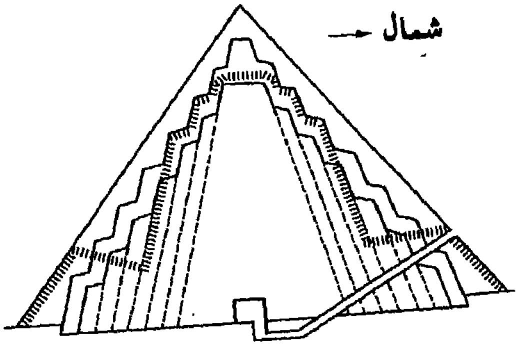


شكل (٤٦) - خريطة بالمدن التى بها أهرامات . تشير الأرقام إلى قائمة الشكل ٤٧ .

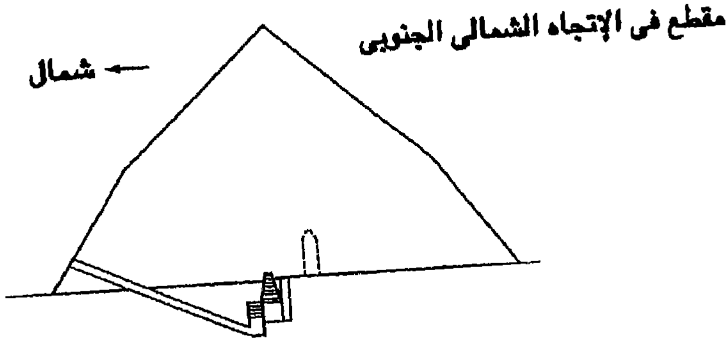
الأسرة	اسم الملك	اسم الهم	الموقع
الثالثة	" چسر " " سخم خت " " خع با (؟) "		سقارة البحرية سقارة البحرية زاوية العريان (القبلية)
الرابعة	" سنفرو " " سنفرو " " سنفرو " " خوفو " " چدفرع " " خعفرع " " منكاورع " " شپسسكاف " " خنتكاوس " " خنتكاوس "	ثابت هو سنفرو " سنفرو الجنوب يشرق فى مجد " سنفرو يشرق فى مجد أفق خوفو چدفرع واهب النور " خعفرع " عظيم " منكاورع " رباني (مكان) تطهر " سپسسكاف "	ميدوم دهشور القبلية دهشور البحرية الجيزة ابو رواش الجيزة الجيزة سقارة القبلية الجيزة ابو صير
الخامسة	"" اوسركاف " "" اوسركاف " " ساحورع " " نفر إير كارع " " رع نفر إف " " ني اوسررع " " ني اوسررع " " منكاوحور " " منكاوحور " " چدكارع إسيسى " " " اوناس "	" طاهرة هي منازل أوسركاف " " رع فى الحرم " يشرق با ساحورع في امجاده " " نفر إير كارع هو با " " إن بأو رع نفرت ربانية " " دائمة هى منازل نى أوسر رع " " (المكان) يروق لرع " " ربانية هي منازل " منكاوحور " " أفق رع " " إسيسى الجميل " " جميلة هي منازل اوناس "	سقارة البحرية ابو صير ابو صير ابو صير ابو صير ابو صير ابو غراب دهشور (؟) ابو صير (؟) سقارة القبلية سقارة البحرية
السادسة	" تيتى " " ايپوت " " خويت " " پيپى " الأول " مرنرع " " پيپى " الثانى " نيت " " أيپوت " " واچ إيب تن "	" ثابتة هى منازل بقتى " " پيپى دائم وجميل " " مرنرع يشرق في أمجاده وهو جميل " " پيپى دائم الحياة "	سقارة البحرية سقارة البحرية سقارة البحرية سقارة القبلية سقارة القبلية سقارة القبلية سقارة القبلية سقارة القبلية سقارة القبلية
الثامنة	قا كارع أبا		سقارة القبلية
الحادية عشرة	نب حپت رع منتوحوتپ	" مجيدة هى منازل منتوحوتپ "	الدير البحرى
الثانية عشرة	" امنمحات " الأول " سنوسرت " الأول " امنمحات " الثانى " سنوسرت " الثاني " سنوسرت " الثالث " امنمحات " الثالث " امنمحات " الثالث " نفرو سوبك (؟)	" امنمحات شامخ وجميل " " شريكة منازل سنوسرت " " با أمنمحات " " سنوسرت قوى " " سنوسرت يشرق في أمجاده " (؟) " امنمحات جميل " (؟) " امنمحات يحى "	اللشت اللشت دهشور اللاهون دهشور دهشور هوارة مزغونة
الثالثة عشرة	" خنچر "		سقارة

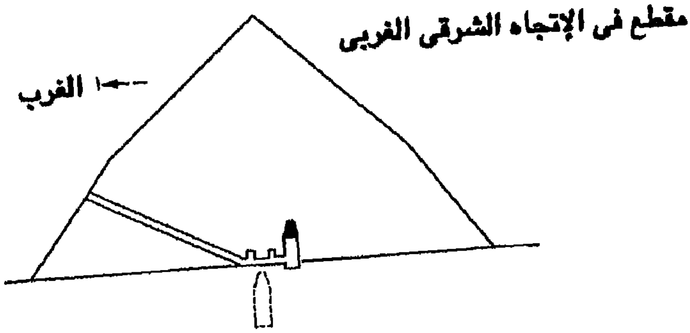
شكل (٤٧) – جدول جامع لأهم أهرامات الدولة القديمة والدولة الوسطى .

الرقم	ابرز المميزات	طول القاعدة بالامتار	أهم المنقبين
١٤	هرم مدرج	١٢٣,٣½١٠٧,٤	بروكش ، فيرث ، كويبل ، لوير .
١٦	هرم مدرج	١١٨ر٥٠	زكريا غنيم
٦	هرم مدرج	٨٣,٨٠	بارسانتى ، ريزنر ، دنهام
٣١	الهرم الجنوبى	١٤٤,٣٢	لپسيوس ، ماسپرو ، پترى ، روى ، شتادلمان
٢٧	الهرم المنحنى	١٨٨,٦٠	بيرنج ، ڤايز ، چيكييه ، دى مورجان ، عبد السلام حسين ، فاريل ، أحمد فخرى ، شتادلمان
٢٤	الهرم الأحمر	٢١٩,٢٨	پيرين ، ڤايز ، دى مورجان ، شتادلمان .
٢		٢٣٠,٣٠	ڤايز ، بورخارت ، پترى ، ريزنر ، يونكر ، لوير
١		١٠٥	ڤايز ، لپسيوس ، شاسينا .
٣		٢١٥,٢٥	بلزونى ، ڤايز ، مارييت ، ماسپرو ، پترى ، بورخارت ، يونكر ، باريز ، سليم حسن
٤		١٠٤,٦٠	ڤايز ، پرنج ، بورخارت ، ريزنر .
٢٢	مصطبة "فرعون"	٩٩,٦٠ ٧٤,٤٠	ماريت ، چيكييه .
–	هرم مدرج	٤٥,٨٠ ٤٣,٧٠	يونكر ، سليم حسن
–	قبر رمزى		ڤرنر .
١٣		٧٣,٣٠	بيرنج ، ڤاير ، فيرث ، لوير .
٨	معبد شمس		بيرنج ، ڤاير ، بورخارت ، ريكه .
٩		٧٨,٥٠	بيرنج ، ڤاير ، بورخارت .
١٠	ناقص	١٠٨	بيرنج ، ڤاير ، بورخارت ، ڤيرنر .
١١			بورخارت ، ڤيرنر
١٠أ		٧٨,٨٠	بيرنج ، ڤاير ، بورخارت .
٧	معبد شمس		بورخارت ، شافر ، فون بيسنج
–	لم يكتشف		ڤاير ، عبد السلام حسين ، فاريل .
–	لم يكتشف		ڤاير ، بارسانتى ، ماسپرو ، ڤيرت ، سليم حسن ، عبد السلام حسين ، پيانكوف
١٩		٧٨,٥٠	
١٥	متون الأهرام	٥٧,٧٥	
١٢	متون الأهرام	٧٨,٧٥	ڤاير ، بيرنج ، ماسپرو ، لوريه ، لوير ، ليكلان
–		١٥,٥٠	لوريه ، ڤيرت
–	اختفت		لوريه
١٧	متون الأهرام	٧٨,٧٥	ڤايز ، ماريت ، ماسپرو ، لوير ، ليكلان .
١٨	متون الأهرام	٧٨,٧٥	ماريت ، ماسپرو ، چيكييه ، لوير ، ليكلان
٢٠	متون الأهرام	٧٨,٧٥	ماسپرو ، بوريان ، چيكييه ، لوير ، ليكلان .
–	متون الأهرام	٢٤	چيكييه
–	متون الأهرام	٢٤	چيكييه
–	متون الأهرام	٢٤	چيكييه
٢١	متون الأهرام	٣٠,٦٠	چيكييه
خارج الخريطة	معبد جنائزى		ناڤيل ، هول ، وينوك
٢٩		٨٤	ماسپرو ، جوتييه ، چيكييه
٣٠		١٠٥	لانسنج ، ليثجو ، ماس ، وينيك ، أرنولد .
٢٦			دى مورجان ، أرنولد .
٣٤		١٠٤,٢٠	پترى ، برونتون .
٢٥	قبر رمزى	١٠٥	پترى ، دى مورجان ، أرنولد .
٢٨		١٠٢,٦٠	پترى ، أحمد فخرى
٣٣			
٣٥		١٠٠,٢٠	پترى ، أحمد فخرى
٢٣			چيكييه

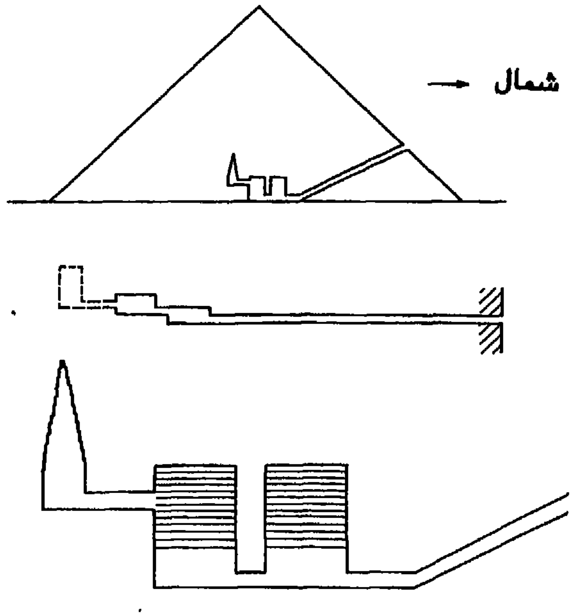


شكل (٤٨) - مقطع لهرم سنفرو بميدوم .

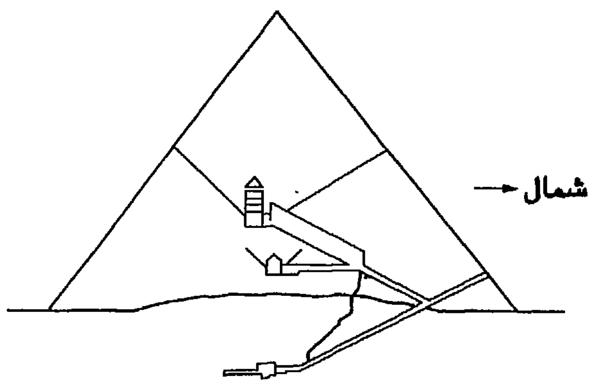




شكل (٤٩) - مقطع للهرم المنحنى لسنفرو بدهشور



شكل (٥٠) - مقطع للهرم " الأحمر " لسنفرو بدهشور



شكل (٥١) - مقطع لهرم خوفو بالجيزة .

هذه الحجرة يتكون من بلاطات على هيئة رقم ٨ . وتم التخلى أيضا عن هذا التصميم قبل الفراغ من العمل فى مسلكى التهوية اللذين كانا مخططاً لهما أن يصلا إلى سطحى الهرم الشمالى والجنوبى . وفى صورته النهائية يتكون الهرم من بهو صاعد هو «البهو الكبير» الذى يبلغ طوله حوالى ٤٨ متراً وعرضه ٧.٤٠ أمتار وارتفاعه ٨.٥٠ أمتار، ويمكن أن نطلق على قبو البهو السقف المتدرج .ونقطة بدايته عند السرداب الموصل الى حجرة الملكة ، كما أنه يفضى إلى حجرة الدفن الحقيقية . وتبلغ مساحة «حجرة الملك» ٥٠ و١٠ أمتار طولاً من الشرق إلى الغرب و ٥٫٢٥ أمتار عرضاً من الشمال إلى الجنوب. ويتكون سقفها من تسع بلاطات وزنها الإجمالى ٤٠٠ طن قائمة على ارتفاع ٨٠ و٥ أمتار من أرضية الحجرة . ويعلو السقف خمس حجرات تفريغ الغرض منها توزيع الضغط. ويتكون سقف الحجرة العلوية منهـا من بلاطات على هيئة رقم ٨ . وقد عثر على اسم خوفو مدوناً فى حجرات تخفيف الضغط هذه . ونظراً لنهب الهرم منذ العصور القديمة لم يتبق دليل آخر يشهد على هوية صاحب الهرم واسم مشيده . وتحتوى حجرة الدفن على تابوت مكسورة حافته تتصل بالبهو الكبير من خلال ممر ضيق خصص لإنزال ثلاثة متاريس من الجرانيت الغرض منها حماية الحجرة من أعمال السلب والنهب.

إن حصيلة معلوماتنا عن هرم خوفو ضخمة ، فقد قام العلماء بدراسته وفحصه باستفاضة ووصفوا كل صغيرة وكبيرة فيه . وقد شيد فوق قاعدة طول ضلعها ٢٣٠ متراً، ويصل الى درجة عالية من الانتظام حيث لا تتجاوز فروق أطوالها ٢٥ سم . وتتجه كل واجهة من واجهاته الأربع صوب إحدى الجهات الأصلية . وزاوية ميل الهرم تعادل ٢ً ٥٢َ ٥١ْ ويبلغ ارتفاعه ٥٩ و١٤٦ متراً يضاف اليه هريم من الجرانيت على الأغلب ، كان يكلل قمته على ما يفترض .

لم يسجل المصريون سوى النزر اليسير من الأساليب التقنية التى استخدموها عند تشييد ما شيدوه من عمائر . ولكن فى الإمكان تصور هذه الأساليب استناداً الى بعض المناظر والمخلفات الأثرية والدراسة التحليلية للعمائر نفسها والتى تعتمد فى الوقت الراهن على تقنيات غاية فى التطور والتعقيد .ورغم ما تتميز به من دقة فائقة فإنها لا تستغنى فيما تصل اليه من نتائج عن الاعتماد على التفسيرات المنطقية .

وبداية كان يتعين اختيار الموقع المناسب . ومن مقوماته أن يقع على مقربة من

عاصمة البلاد ومن نهر النيل أيضاً ، وأن يتوفر فى الموقع قاعدة صخرية تتحمل كتلة المبانى الضخمة التى ستشيد فوقها ، وأن يقع المكان على الضفة الغربية من النهر المخصص تقليدياً لمملكة الموتى التى تلامسها أشعة الشمس عند غروبها قبل قيامها برحلتها الليلية . وعلاوة على ذلك ينبغى أن يبتعد الموقع بالقدر الكافى عن مياه الفيضانات التى قد تصل إلى مسافة ٣٠٠ متر من الهضبة .

وبعد اختيار الموقع يتولى العمال تسطيح أرضيته الصخرية تسطيحاً دقيقاً بلغ حد الكمال بالنسبة لهرم «خوفو» الذى لا تتجاوز الفروق فى سطح أرضيته ١٨ مليمتراً . وقد تم الإبقاء على النواة الصخرية المركزية لتصبح جزءاً من المبانى، توفيراً لمواد البناء من ناحية ، وحفاظاً على صورة الأكمة الأولية ، التى كانت ترتفع فى الماضى فوق حجرة الدفن، من ناحية أخرى. وتتحدد وجهة الهرم تبعاً لاتجاه أضلاعه التى تتجه ناحية الجهات الأصلية الأربع . ويبدو الأمر واضحاً جلياً بالنسبة للغرب والشرق . ولكنه يزداد صعوبة بالنسبة للشمال . وينبغى استبعاد احتمال وجود قياس ثابت للنجم القطبى ، لما قد يترتب عليه من خطأ أكبر من ذلك الذى نلاحظه على ارض الواقع . ومن المحتمل أن المصريين قد اعتمدوا أسلوباً ينطوى على قدر من البساطة . فاستخدموا جهازاً اطلقوا عليه «مرخت» ، وهو عبارة عن مطمار مثبت فى عمود خشبى يسمح بتحديد الرؤية . فكانوا يسطحون رقعة من التربة ليشكلوا خطاً أفقياً مستوياً ويسجلون من خلاله بواسطة الـ «مرخت» نقطتى شروق وغروب أحد النجوم الثوابت ، ربما كان نجماً من نجوم مجموعة الدب الأكبر . ويحدد مُنصِّف الزاوية التى ترسمها هاتان النقطتان اتجاه الشمال الحقيقى . (Lauer : 1960 , 99 Sq .)

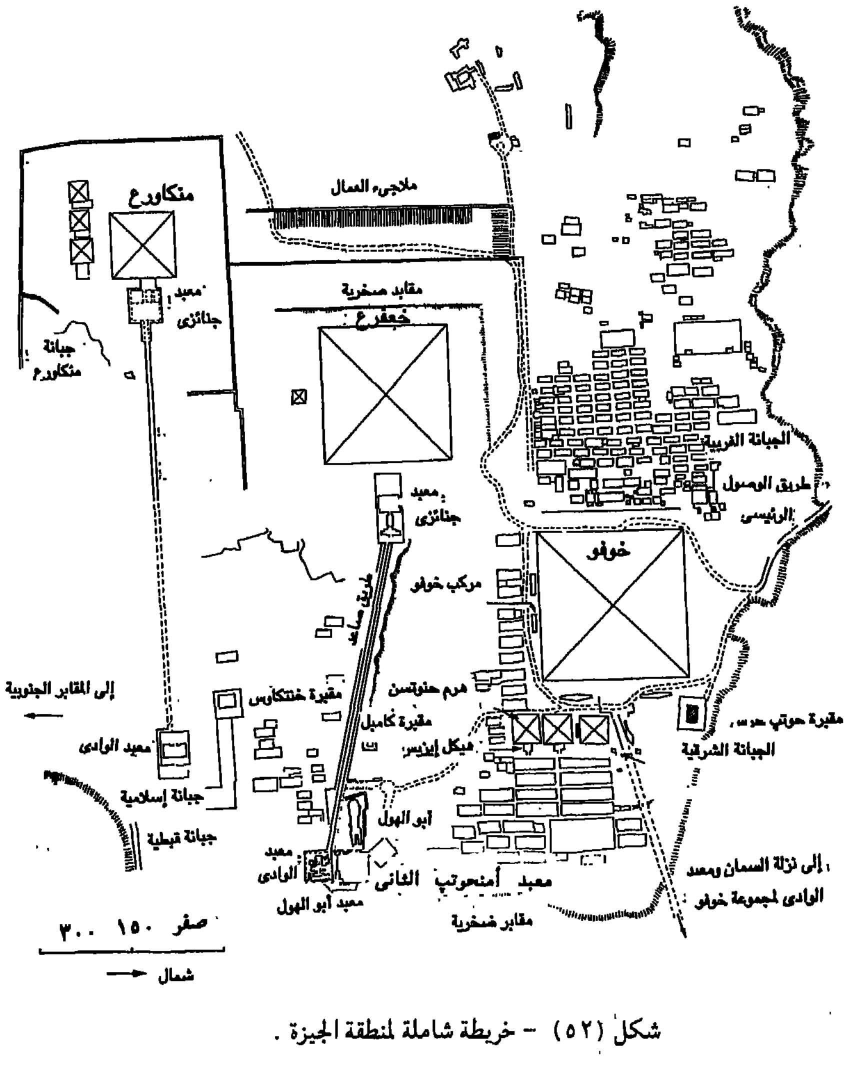
ثم يبدأ تشييد الهرم وترتفع المداميك . وتوفر المحاجر المحلية الأحجار الخشنة التى تستخدم عادة فى ملء الفراغات الداخلية بمختلف الأحجار الغفل . فقد اكتشف المنقبون فى الركن اشمالى من هرم خفرع آثار اقتلاع أحجار من القاعدة الصخرية ، وإلى الغرب قليلاً عثر على ثكنات تكفى لإيواء ما يناهز ٥٥٠٠ من العمال وعمال المحاجر والحرفيين الملحقين بالجبانة . وقد أقيمت مساكن مشابهة فى أزمنة لاحقة فى اللاهون ودير المدينة . أما الحجر الجيرى الأملس اللازم للكسوة الخارجية فيتم اقتلاعه من المحاجر القريبة من طرة . ويستخدم حجر الجرانيت الأسوانى ككساء للمرات والحجرات الداخلية بشكل عام بالاضافة إلى الأماكن المخصصة لإقامة الشعائر . أما غير ذلك من الصخور اللازمة

لإعداد التوابيت وقطع البلاط والتماثيل وما شابه ذلك ... فيتم استخراجه أحياناً من أماكن بعيدة جداً . ومن أمثلة ذلك ، حجر الديوريت الموجود الى الغرب من أسوان . ويتم اقتلاع كتل الحجر وصقلها فى المحاجر تمهيدا لنقلها على متن صنادل تبحر بها فى موسم الفيضان عندما يرتفع مستوى المياه فيمكن الاقتراب من مواقع العمل بقدر المستطاع . هذا ما يرويه علينا «أونى» عندما يتطرق بالحديث عن آخر حملة نظمها بصفته حاكم الوجه القبلى لحساب «مرنرع» . لقد وقع على عاتقه تشييد هرم سيده حاكم البلاد ، فسافر إلى النوبة لاستخراج تابوت من البازلت الى جانب عناصر من الجرانيت والألبستر، تم استخراجها من أسوان وحتنوب يقول أونى :

وارسلنى صاحب الجلالة إلى إبهيت لإحضار تابوت الأحياء الذى هو رب الحياة بغطائه ، والهريم النفيس الجليل المخصص للهرم المبجل المسمى «مرى إن رع يشرق فى كماله» . كما أرسلنى صاحب الجلالة إلى إلفنتين لإحضار الباب الوهمى وعتبة الباب والعتب العلوى والمتاريس وكلها من الجرانيت الوردى ، إلى جانب الأبواب والبلاط وهى أيضا من الجرانيت الوردى واللازمة للحجرة العلوية لهرم «مرى ان رع يشرق فى كماله» . وأبحرت على رأس حملة واحدة من السفن تضم سفنا عريضة وثلاثة صنادل وثلاثة مراكب طولها ٨٠ ذراعاً (...) كما أرسلنى صاحب الجلالة إلى حتنوب لإحضار مائدة قرابين ضخمة من الألبستر الذى تشتهر به هذه المنطقة . وأبحرت شمالاً بهذه [المائدة] المستخرجة من حتنوب فى مدة سبعة عشر يوماً على نفس الرمث . وقد أعددت له رمثاً مصنوعاً من خشب السنط طوله ٦٠ ذراعاً وعرضه ٣٠ ذراعاً ، انتهيت منه فى ظرف سبعة عشر يوماً فى الشهر الثالث من الصيف . ورسوت فى سلام فى مواجهة هرم «مرى ان رع يشرق فى كماله»، رغم انحسار المياه وضحالتها . كما أرسلنى صاحب الجلالة لشق خمس قنوات فى صعيد مصر ، ولصناعة ثلاثة أرماث وأربعة صنادل من خشب السنط الذى اشتهرت به «واوات» (...) وأنجزت كل تلك المهمة فى سنة واحدة . فتم تعويم السفن وتحميلها بحجر الجرانيت الوردى اللون بكمية كبيرة من أجل هرم «مرى إن رع يشرق فى كماله» **(Roccati : 1982 , 196 - 197)** .

إن موسم الفيضان وارتفاع المياه كان أيضاً الموسم الذى تضع الأيدى العاملة نفسها فيه تحت تصرف الملك وفاء له بحق السخرة الذى يتمتع به عليهم . ومن نافلة القول أن الفلاحين كانوا يشكلون غالبية الأيدى العاملة فى ذلك الزمن . وفى ظروف العمل

الموسمى هذه، لا تبدو العشرون سنة التى قدرها هيرودت لأعمال التشييد أمراً يتعارض مع المنطق والحقيقة حتى وإن استغرقت غيرها من الإنشاءات كأهرام " سنفرو " وقتاً أقل . وعلى النقيض من ذلك ، فإن ما يقدمه من أوصاف حول أساليب الرفع تبدو بعيدة كل البعد عن واقع الحال . والأقرب إلى الصواب هو التفسير الذى اقترحه چان فيليپ لوير من



شكل (٥٢) - خريطة شاملة لمنطقة الجيزة .

تشييد مَدْرج أو أكثر مع تغيير زاوية انحداره كلما لزم الأمر . فيُقام المدرج على واجهة الهرم بزاوية قائمة ، وكان عرضه كبيرا عند البداية ثم يتضاءل كلما ارتفعت المداميك ويتزايد طوله مع احتفاظه بزاوية انحدار تعادل واحد الى ١٢ لتسمح للزحافات بنقل الكتل الحجرية . وتمتاز هذه النظرية بالبساطة بالمقارنة مع النظريات الأخرى المنافسة ، عوضاً على أن مخلفات مدارج المنشآت المشيدة من الطوب اللبن التى وجدت بجوار الصرح الأول لمعبد « آمون رع »فى الكرنك أو فى ميدوم واللشت، تؤكد المبادىء الأساسية لهذه النظرية . ويتم رفع الكسوة الخارجية مدماكاً مدماكا إلى جانب الإنشاءات الداخلية. ثم يتم صقلها بدءاً من أعلى وبعد وضع الهُريم على قمة البناء .

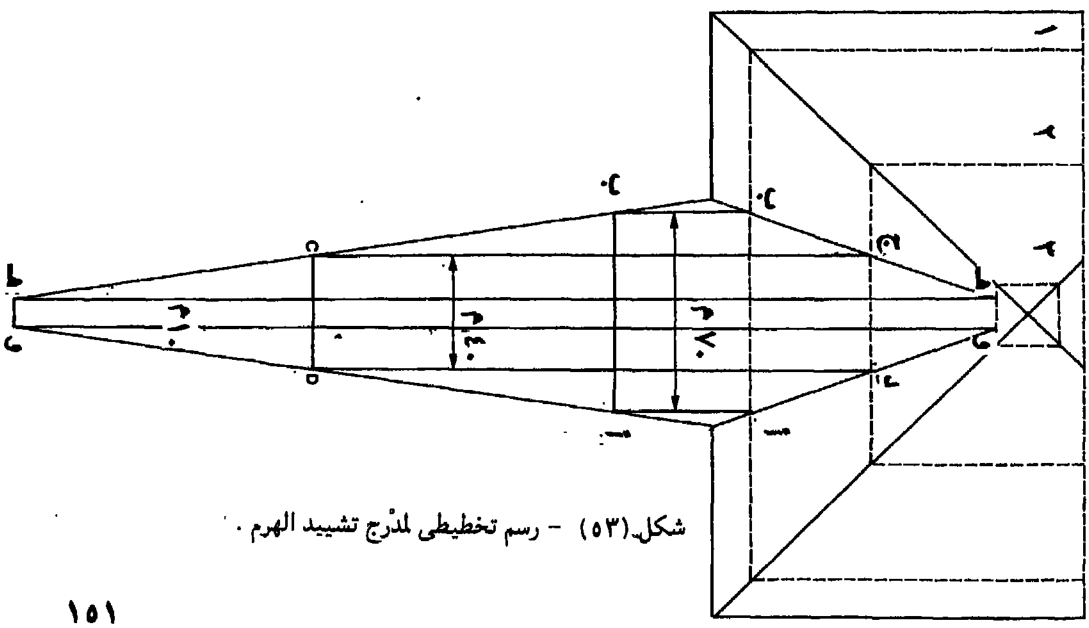
لن يصل هرم آخر الى ما وصل اليه هرم «خوفو» من كمال وشموخ . وفضل« جدفرع » أن يشيد هرمه فى أبورواش بدلاً من الجيزة ، كما أن وضعه الراهن المتهدم لا يسمح بعقد مقارنة مفيدة . وعلى العكس من ذلك نجد أن هرم «خفرع» ينقل الكثير عن هرم «خوفو» . ويفعل هرم «منكاورع» نفس الشيء وإن تناقص حجمه إلى النصف . كما أن انشاءاته الداخلية الموجودة فى البنية السفلية مختلفة إختلافاً جذرياً .

وتحاكى أهرام الأسرتين الخامسة والسادسة المظهر الخارجى لنموذج أهرام الجيزة دون أن تصل أبداً الى شموخها . ويكمن وجه الخلاف الوحيد فى تطور الحجرات الداخلية التى استقر تخطيطها العام على وجه التقريب فى عهد « أوناس »، وفى تطور عناصر المجموعة الجنائزية غير الهرم ذاته . «وشپسسكاف» هو الاستثناء الوحيد ، اذ لم يشيد هرماً بل «مصطبة» ضخمة فى سقارة القبلية ، تعرف اليوم اصطلاحاً باسم «مصطبة فرعون» . وهى عبارة عن بناء ضخم على هيئة تابوت ضخم يناهز طوله المائة متر وعرضه ٧٥ مترا وارتفاعه ١٩ متراً . ومن الصعب تفسير هذا الارتداد الواضح الى تقاليد جنائزية سلفية ومع ذلك فإنه لم يكن ارتداداً شاملاً وعاماً . صحيح أن مصطبة فرعون قد أحيطت بسور مزدوج ، إلا أنها احتفظت بالطريق الصاعد الذى يعتبر من ابتكارات الأسرة الرابعة . كما وقع اختيار «شپسسكاف» على نظام الأجنحة الجنائزية التى وصلت إليها الأسرة السادسة واحتفظت به فيما بعد . كما شيد ملوكها مقابرهم على مقربة من الملك الذى اعتبروه سلفاً لهم ... ومهما يكن من أمر فمن الممكن الافتراض أن هذا «الارتداد» المعمارى يكشف عن المصاعب التى صادفت الانتقال من الأسرة الرابعة إلى الأسرة

الخامسة، نظراً لأن «خنتكاوس» والدة «ساحورع» و «نفرإيركارع» - التى عرفت أنها كانت زوجة ثانية لـ «شپسسكاف» قد شيدت هى أيضا مقبرة تشهد على «ارتداد» سلفى، وإن شُيدت بعد وفاة زوجها فى الجيزة فى المنطقة الواقعة بين الطريقين الصاعدين لهرمى «خفرع» و «منكارع» . إنها بناية مهجنة تجمع بين المصطبة وبين هرم بطبقتين ويبلغ ارتفاعها ١٨ مترا فوق مستوى الأرض . وينسب إلى «خنتكاوس» أيضا هرم فى " أبو " صير انتهت اعمال تنظيفه حديثاً، ويقع جنوبى هرم نفر إير كارع . وربما كان ارتفاعه ايضا هو نفس ارتفاع مقبرة «خنتكاوس» الواقعة فى الجيزة . وظل المصريون بعد وفاتها بزمن طويل يقيمون لها الشعائر فى معبدها الجنائزى بالجيزة بصفتها من أسلاف الأسرة الخامسة .

المجموعةالجنائزية

مع حلول الأسرة الرابعة تغير التنظيم العام للمجموعة الجنائزية، كما ظهرت عناصر جديدة .مثل أهرام الملكات التى لم يلحق بها سوى معبد الشعائر ، وفيما عدا هذا فهرم الملكة تابع لمجموعة الملك الهرمية . وقد أقيمت ثلاثة أهرام شرقى هرم «خوفو» ، خصص الهرم الجنوبى منها لدفن الملكة «حنوتسن» . كما ألحق بهرم «منكاورع» من الناحية الجنوبية ثلاثة أهرام صغيرة . ويقوم أكبر هذه الأهرام الثلاثة واكثرها تطرفاً جهة الشرق مقام الهرم الذى ينهض بجوار الواجهة الجنوبية لهرم «خعفرع» . إنه الهرم الذى يعرف اصطلاحاً بالهرم «التابع» الذى كان يخصص لقرين الملك ، وظهر أول ما ظهر فى



شكل (٥٣) - رسم تخطيطى لمدّرج تشييد الهرم .

هرم ميدوم ولا يشتمل على تابوت أو منشآت للشعائر، وان كان له مدخل خاص وهيكل . ويمكن الربط بينه وبين المبانى التى شيدت ضمن مجموعة «چسر» فى ملاصقة سورها الجنوبى لاستقبال «كا» الملك ، وتضم مقبرة تذكارية وفقاً للأسلوب الشينى التقليدى إلى جانب هيكل للشعائر .

ويفترض أن سور مجموعة «چسر» يحاكى السور الذى كان مقاماً حول المقر الملكى كما نشاهده منذ أقدم الازمنة على هيئة «سرخ» .

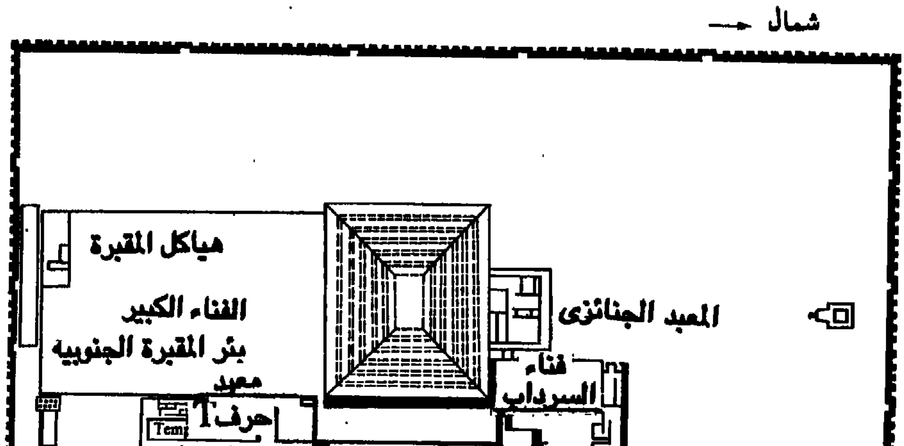
وندخل إلى المجموعة الجنائزية قرب الركن الجنوبى الشرقى من خلال الباب الحقيقى الوحيد من بين الأربعة عشر باباً الموزعة على محيط سور المجموعة . ونعبر ممراً ينهض على جانبيه صفان من الأساطين المقناة .يتكون كل صف من عشرين أسطواناً . ثم نصل إلى أصغر بهو أساطين وهو الذى يفضى إلى فناء شاسع يلتزم بالاتجاه الشمالى الجنوبى ويفصل الهرم عن المقبرة الجنوبية التذكارية . ويؤدى هذا الفناء إلى مجموعة مبانٍ مكرسة لإقامة عيد «السد» . وتتكون من معبد على شكل حرف (T)، ربما كان فى واقع الأمر مقصورة انتظار، ومن فناء أقيم على جانبيه عدد من الهياكل ومنصة . وقد أعدت هذه المبانى ليكرر الملك المتوفى مختلف أطوار عيد اليوبيل متنقلاً من مبنى إلى آخر ، عبر الأبواب التى شيدت على امتداد الجدران لتظل مفتوحة إلى الأبد (Lauer : 1988 , 208 Sq) . وعند الفراغ من اتمام الشعائر يتبوأ على التوالى عرش «بيت الجنوب» ثم «بيت الشمال»، حيث تقدم له رجالات المملكتين ولاء الطاعة .

ويشمل القسم الشمالى منشآت خصصت للشعائر الجنائزية بمعنى الكلمة . ومن داخل السرداب كان فى إمكان تمثال «چسر» الموجود حالياً فى متحف القاهرة، أن يشارك فى خدمة التقدمات الجنائزية التى تجرى فى المعبد الملاصق وذلك من خلال فتحتين مثقوبتين عند مستوى ارتفاع عينى التمثال .

ويختفى أسلوب تنظيم مختلف عناصر المجموعة الجنائزية وتجميعها داخل سور واحد مع حلول الأسرة الرابعة ، ليحل محله تخطيط أقل تركيزاً يتمحور حول نقاط رئيسية ثلاث: الهرم ذاته وملحقاته المباشرة ، ثم الطريق الصاعد، فمعبد المزار .

ويشيد «معبد المزار» أو «معبد الوادى» على حافة الأرض المنزرعة ، وفيه يجرى

استقبال المتوفى خلال المراسم الجنائزية . وهو من الناحية النظرية المرسى الذى يرسو عنده المتوفى فى نهاية رحلة نهرية تحاكى رحلة الإله فى الأمواه السماوية . وقد ظهر أول ما ظهر فى هرم «سنفرو» فى ميدوم عندما استبدلت المجموعة الجنائزية التخطيط ذا الاتجاه الشمالى الجنوبى بتخطيط ذى اتجاه شرقى غربى. وإلى جانب أن الاتجاه الجديد يلتزم بالفصل بين عالم الأحياء وعالم الموتى فإنه يلتزم أيضاً بالموقع الحقيقى لكل من الوادى والهضبة الصحراوية . ومعبد المزار نقطة انتقالية فى المقام الأول ، اذ يفضى باب المدخل إلى فناء محاط بمقاصير تنهض فيها تماثيل شعائر الملك، وبمخازن المؤن، وهو الى جانب ذلك مكان تطهر واستقبال . ويشبه فى جميع جوانبه المدخل الى منطقة مكرسة لإقامة الشعائر . وخير شاهد على ذلك التماثيل الأربعة للمجوعات الثلاثية التى عثر عليها جورج ريزنر فى معبد «منكاورع» والمحفوظة حاليا فى متحف القاهرة وفى متحف بروكلن . وهى تكرر تمثيل الملك وإلى جانبه الإلهة حتحور من ناحية ومعبودات أحد أقاليم الصعيد من الناحية الأخرى وهى على التوالى معبودات الأقاليم الثامن عشر والخامس عشر والسابع والرابع من أقاليم الصعيد . وكانت هذه التماثيل على ما يعتقد جزءاً من مجموعة أكبر تمثل أقاليم البلاد .



شكل (٥٤) – رسم تخطيطى لمجموعة "چسر" فى سقارة

وكما يتضح من الأمثلة اللاحقة ، كانت المعبودات المؤنثة تضطلع بمهمة الاستقبال . ومن هذه الأمثلة اللبؤة " سخمت " التى نشاهدها وهى ترضع الملك «نى أوسر رع» . كما يرجح أن حتحور قد قامت بهذا الدور أيضا إلى جانب الملك «منكاورع» ، إذ تشير إليها مدونات مجموعة التماثيل الثلاثية بصفتها « سيدة الجميزة» . فسيدة الجميزة هى فى واقع الأمر الإلهة الأم المرتبطة بجبانة طيبة سواء على هيئة «إيزيس» أم على هيئة «حتحور». كما نشاهدها فى وقت لاحق على هيئة شجرة ترضع «تحوتمس» الثالث فى مقبرته. (Mekhitarian : 1954 , 38) . وإذا أخذنا بهذا التفسير فبمقدورنا أن ندرك حقيقة وظيفة معبد الوادى بعيداً عن الإطار الضيق الذى حددناه له كمجرد موقع للاستقبال او التطهر. فهو مكان العودة الى الحياة . فبعد الفراغ من مراسم الدفن تبدأ فيه تماثيل الملك فى ممارسة الشعائر التى أقيمت لصاحبها خلال عملية التحنيط لتظل تمارسها إلى الأبد. ويمكن النظر إلى تلك الممارسات باعتبارها إرهاصات لمقاصير الـ «ماميزى» أو «بيت الولادة» التى أقيمت فى المعابد فى زمن لاحق . كما أنها مكان العودة إلى الحياة لحظة الانتقال من الحياة الى الموت . ولا يسمح تصميم معبد الوادى بتأكيد ما ذهب اليه البعض من استخدامه فى عمليات التحنيط التى كانت تستغرق سبعين يوما حسب رواية هيرودوت . بل تؤكد العديد من الشواهد تشييد تلك المنشآت خارج نطاق المعبد وربما كانت مبانى مؤقتة غير دائمة . وأيا كان الأمر يظل معبد الوادى هو نقطة عبور المتوفى الى الهرم .

وينتهى الطريق الصاعد إلى معبد الشعائر وهو آخر نقطة اتصال بين أرض الأحياء وأرض الأموات. وقد يكون الطريق الصاعد مسقوفاً أو مزخرفاً على نحو ما نشاهده فى الطريق الصاعد إلى هرم «أوناس» بسقارة والذى يمتد لمسافة سبعمائة متر. وتشبه المواضيع الزخرفية تلك التى تزين هياكل مقابر الأفراد ولكن بالمقياس اللائق بالملك : من تصوير لتوريد منتجات الأملاك ، ومشاهد اقتصادية ، وتربية الحيوان والقنص والصيد المائى ، وصور الحياة اليومية إلى جانب تشييد المعبد وإمداده بالمؤن ، والمشاهد التى تسجل أهم الأحداث التى وقعت خلال حكم الفرعون. ولا بد أن تلك المشاهد قد ظهرت منذ الأسرة الرابعة ، ولكن يستحيل وصفها نظراً لأن الزمن لم يحفظ لنا وثائق لتوضيح الأمر. كما نشاهد نقل الأساطين الجرانيتية ، التى يزخر بها المعبد من أسوان ، ومواكب الأقاليم والسفن العائدة من حملة بيبلوس ، والمعارك ضد البدو وتصاوير فريدة بالنسبة لهذا

العصر، تمثل جموع الجائعين القاطنين فى الصحراء ، وفسرها البعض على أنها نذر المجاعة التى ستجتاح البلاد... بعد أربعة قرون !

حتى نهاية الأسرة الثالثة ظل معبد الشعائر ملاصقاً لجهة الهرم الشمالية. ولما تغير اتجاه الهرم بدءاً من هرم ميدوم ليتفق ومسار الشمس، أصبح ملاصقاً لجهة الهرم الشرقية . ويتكون المعبد من قسمين: يشمل القسم الأول ردهة تفضى إلى فناء، أضيف له رواق بدءا من عهد «خوفو» ، ويطلق على هذا القسم بالتحديد اسم معبد الشعائر . ويضم القسم الثانى المعبد الخاص حيث توضع التقدمات أمام الباب الوهمى. وتقام تماثيل الملك فى هياكل خاصة تنعم فيها بالتقدمات وما يقام لها من شعائر. وقد تقف تماثيل الملك فى صحبة بعض أفراد العائلة المالكة على نحو ما نشاهده فى تمثال «جدفرع» المحفوظ فى متحف اللوفر . وتشكل التقدمات الجنائزية والشعائر المكرسة للتماثيل الملكية الوظيفتين الأساسيتين لنشاط المعبد .

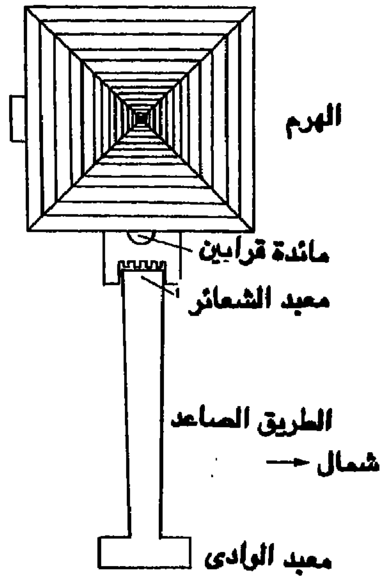
واعتباراً من «ساحورع» ألحقت بمعبد الشعائر بعض المنشآت كالمخازن ، وتزايدت أعدادها ، وأصبح الحد الفاصل بين معبد الشعائر والمعبد الخاص أكثر وضوحاً . وتمحورت الشعائر الملكية فى المعبد الخاص حول عيد « السد » وطقوس التجديد ، لا سيما مشاهد الرضاعة الإلهية . ويركز معبد الشعائر على مشاهد القنص والقتال إلى جانب طقوس إبادة الأعداء . كما تبرز صور الملك فى علاقاته مع الآلهة مع الاحتفاظ بمكان الصدارة للشعائر الخاصة بالتماثيل .

وازدهر عنصر آخر على مقربة مباشرة من الهرم ، فظهرت الحفر المخصصة للمراكب المصنوعة من الخشب . ولقد ظهرت هذه المراكب منذ العصر الثينى لتعاون المتوفى فى ملاحته فى العالم الآخر يصحبه فيها الإله رع . وقد عثر المنقبون على خمس حفر موزعة عند سفح وجهى هرم « خوفو » الشرقى والجنوبى . وتوصلت أعمال التنقيب فى إحدى الحفرتين الواقعتين جنوبى الهرم عام ١٩٥٤ إلى اكتشاف مركب تم إعادة تجميعه فى الوقت الراهن ليعرض فى المتحف الملاصق للهرم . ولم تكن هذه المراكب تصنع دائماً من الخشب ، إذ تضم مجموعة « أوناس » ما يشبه مركبين من الحجر المرمم جنوبى الطريق الصاعد .

معبد الشمس

ونلتقى بتلك المراكب كعنصر من عناصر نمط معمارى آخر ، هو معابد الشمس التى

ظلت حكراً على الأسرة الخامسة . وهـى تشبه المجموعات الهرمية مـن حيث البنية ، رغـم صعوبة المقارنة بينهما ، لكون الأولى معـابد وليـست مقـابر . وتقع معـابد الشمس التى حفظها الزمن من الاندثار فـى منطقة تمتد مـن أبـو صير إلـى أبو غراب . ويعـتبر معبد الشمس الذى شيده « نى أوسر رع » فى أبو غراب من أحسن المعابد التى يسهل تصور تصميمها . وربما شيد علـى طراز معبد الشمـس فـى هلـيوبولـيس الـذى انـدثـر إلـى الأبـد تحت وطأة التـوسـع العمرانـى لمديـنـة القاهرة .



شكل (٥٥) - رسم تخطيطى نموذجى لمجموعة جنائزية .

ويـتكون معبد الشمس من نفس العناصر التى تتكون منها المجموعة الهرمية . ونبدأ بمعبد الوادى الذى سجلت على سطوح جدرانه المراسيم التى تحدد إمداده بالتقدمات وهو يـرتبط بالمعبد العلوى من خلال طريق صاعد . ويتـكون المعبـد العلوى مـن فناء مكشوف يتوسطـه مذبح أقيم فى مواجهة الـ " بن بن " وهو الحجر الذى يجسد الشمس كإله خالق ، طبقا لعقيدة هليوبوليس اللاهوتية ، وهـو عبارة عـن مسلة نـاقصة أقيمت فـوق منصة عريـضـة . ويـتكون مذبـح معبـد " ساحورع " من أربعة مذابح تشكل جزءا واحدا نحت فى كتلة واحدة من الألبستر . ويتجه كل مذبح نحو إحدى الجهات الأصلية الأربع . وتقام الشعائر فى الهواء الطلق كما هو الحال فى مختلف معابد الشمس المعروفة، سواء المعابد التى اندمجت فى المعابد الجنائزية التى ترجع إلى الدولة الحديثه أو معابد العمارنة حيث أخذ اخناتون يتعبد لقرص الشمس . وكانت هى الأخرى مجهزة بفناء لقصب

الأضاحى . ومـن النقوش التـى أبقى عليهـا الزمن تصاوير الشعائر واحتفالات عيد "السـد " . كما نجد أيضا عنـد " نى اوسر رع " مجموعة فريدة مـن النقوش تزخرف سطوح مـمـر صاعد يلتف حول قاعدة الـ " بن بن " وتمثل مايعرف اصطلاحا بمشاهد " فصول السنة " والتى سجلت فيما بعد على جدران طريق " أوناس " الصاعد ، كما نجد لها صدى فى وقـت لاحق فى " حديقـة النباتـات " التى تزين القاعات الشمسيه الواقعه شرق بهو احتفالات " تحوتمس " الثالث فى معبد " أمون رع " بالكرنك ، وأيضا نشيد آتون العظيم الذى وضعه أمنحوتب الرابع (أخناتون).

ويقدم كل عمل من هذه الأعمال وصفا للخليقة على طريقته الخاصة ، إلى جانب نشيد مكرس لمن أقامها ، وجميعها تصور مشاهد من عالمى النبات والحيوان اللذين يحييـان ويعيشان بفضل أشعة الشمس . وفيـما بعد ستلقـى مشاهـد مواكب الأقاليم التـى تقدم منتجاتها للملك رواجا عظيما ، وسنشاهـدهـا عند " أوناس " ايضا ثـم فـى المعابـد المتأخرة بشكل منظم ودائم .

متون الأهرام

فلنواصل حديثنا عن الهرم ذاته . فكما سبق رأينا " اوناس " عند تصميم المنشآت الداخلية لمقبرته يعتمد تصميما ظل معمولا به حتى أواخر الدولة القديمة :

فنحن ندلف إلى الهرم من جهة الشمال لنصل إلى دهليز . وبعد أن نعبر ثلاثة متاريس من حجر الجرانيت سبق أن اشرنا إلى مايشبهها عند الحديث عن هرم " خوفو " ، نصل إلى صالة تفضى من جهة الشرق ، أى من ناحية عالم الأحياء ، إلى سرداب رُصّت فيه تماثيل المتوفـى . وتفضى من جهة الغرب ، اى من ناحية عالم الموتى ، الى حجرة التابوت . ومع حلول الأسرة الثانية عشرة تم التخلى عن هذا التصميم لإحباط محاولات اللصوص والنهابين .

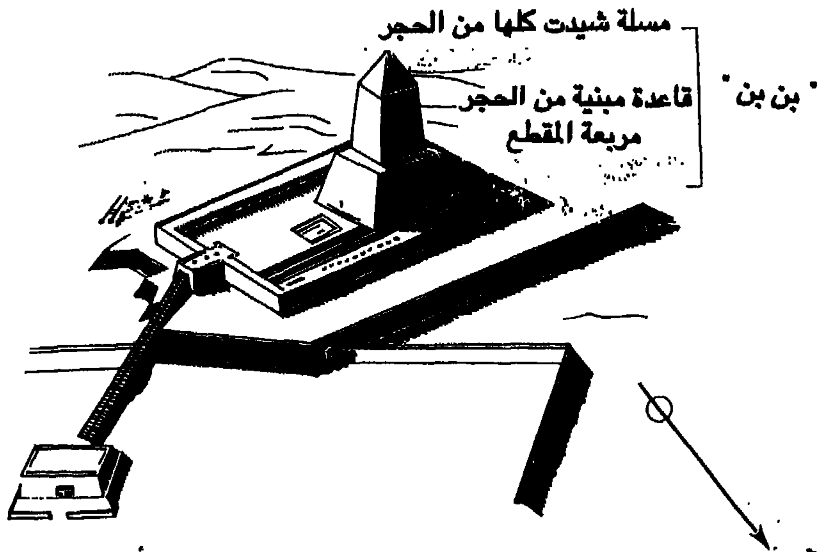
وترجع أهمية هرم " أوناس " إلى أنه أول هرم دُوّن على سطوح جدرانه الداخلية نصوص جنائزيـة . ونجد " متون الأهرام " تلك فـى مقابـر سقارة الملكية عند " أونـاس " و " تيتى " و " پيپى " الأول و " مرنرع " و " پيپى " الثانى و " ايبى " . كما نجدها أيضا فى اهرام الملكات " نيت " و " واج إيب تن " و " ايپويت " . كما يرجع وجودها أيضا داخل أهرام الملكات التى اكتشفتها حديثا بعثة الآثـار الفرنسيـه فى سقارة داخل مجموعة " پيپى" الأول الجنائزية . كان " جاستون ماسپرو " قـد اكتشف متون " أوناس " و " تيتى " و " پيپى " الأول و " مرنـرع " و " پيپى " الثانى فى عامى ١٨٨٠

و ۱۸۸۱ . وسرعان ما تولى نشرها . أعاد " كورت زيته " نشرها في طبعة مقارنة قبيل الحرب العالميه الأولى، ثم استكملها بمقدمة نقدية وشروح وتفاسير . بيد أن هذه الطبعة الشامخة قد أغفلت متون أهرام الملكات وهرم " أبيبى" التى تم اكتشافها فى الأعوام ١٩٢٥ - ١٩٣٥ على يدى جوستاف چيكيه G . Jéquier كما أغفلت الشذرات الجديدة التى استخلصت من أهرام " تيتى " و " پيپى " الأول و " مرنرع " بفضل أعمال البعثة الفرنسية فى سقارة التى أخذت على عاتقها إعداد طبعة جديدة لسفر جامع لمتون الاهرام تحت إشراف چان لوكلان J . Leclant. وتتكون هذه المتون من قائمة طويلة من الفقرات ، لا تظهر بعضها سوى عند " أوناس " وإن ظلت فى مجملها تتواتر حتى الملك " أبيبى " . كما وجدت هذه المتون فى سفر جنائزى جامع آخر ترجع نسخه الأولى إلى الأسرة السادسة وعثر عليها فى الواحات الداخلة . وظهرت لتحل محل متون الأهرام اعتبارا من الدولة الوسطى ونعرفها اصطلاحا بـ " متون التوابيت" . وعلى عكس نصوص الأهرام فإن " متون التوابيت " لم تكن حكرا على الملوك . بل لقد عثر حديثا فى معبد " پيپى" الأول الجنائزى على آثار التحول من هذه إلى تلك . وتركت " متون التوابيت " بدورها بصماتها على " كتاب الموتى " فى الدولة الحديثة والعصر المتأخر .

وتكون هذه الفقرات فى مجملها طقساً الغرض منه ضمان انتقال المتوفى إلى العالم الاخر فى سلام ليقيم فى عالم الأبرار . وتقدم بعض هذه الفقرات وصفا لصعوده إلى السماوات ليقيم مع النجوم وليتوحد مع الشمس ولينتقل الى الوضع الأوزيرى . كما تمده بما يلزمه من نصوص ضرورية لتطهره وما يحتاج اليه من تعويذات سحرية تساعده على اجتياز العقبات التى تقف عائقا فى طريقه . وهى تنسب على مايفترض إلى طقوس ترجع إلى العصور العتيقة ، ضاعت فلم تصل إلينا ، سواء بسبب اندثار شواهدها ووثائقها أم لأنها تولدت من تقاليد تواترت شفاهة لتضيع فى ظلمات الماضى السحيق .

إن قراءة فقرات " متون الأهرام " تمدنا ببعض العناصر التى تساعدنا على التعمق فى فهم التطورات التى مرت بها الدفنات الملكية على امتداد الدولة القديمة حيث كانت المصطبة هى نقطة البداية . إن بنيتها العلوية التى تضم مسكن المتوفى تحاكى الأكمة الأصلية التى بدأ منها " أتوم " عملية الخلق . فالمقبرة إذن هى صورة للخلق . وقد نتساءل فى هذه الظروف عن السبب الذى دفع " ايمحوتب " إلى إقامة هرم فوق المصطبة بعد ان صارت مربعة الشكل . وحسب الشروح التى توفرها المتون فإن الهدف الذى يبتغيه

الملك هو الصعود إلى السماء ليصبح وجوده وجودا شمسيا ونجميا فى ذات الوقت . ولتحقيق هذا الهدف وضعت تحت تصرفه وسائل متعددة ومتنوعة ، منها الزوابع الرملية الصاعدة التى لايزال المعاصرون يرون فيها عملا من أعمال عفريت لعين ، أو بمعاونة الإله " شو " الذى يحمله بين يديه ، أو يتحول إلى طائر ، ويختار الصقر فى أغلب الاحوال لقدرته على الارتفاع إلى السماء أكثر من غيره من الطيور . وقد يلجأ إلى أسلوب أكثر شاعرية فيختار البخور المتصاعد من المباخر إلى أعالى السماء . أو أسلوب مبتذل فيستخدم درجا أو سلما صنع من اشعة الشمس . والدرج هو الهرم المدرج . وتستعمل العلامة الهيروغليفية الدالة عليه كمخصص للفعل " يعر " الذى يعنى " يصعد " . ولم تبق هذه الوسيلة تحت تصرفه لفترة طويلة ، إذ لم يستمر الهرم المدرج لأكثر من قرن من الزمن . فبحلول الأسرة الرابعة حل محله الهرم الأملس الذى يرمز لحجر " بن بن " وهو شعاع الشمس المتحجر الذى يستخدمه الملك للوصول إلى أعالى السماء . فالهرم صورة وظل لنموذج أصلى ، وفيه تكمن قيمته الحقيقية ، شأنه شأن المركب الذى يصاحبه . وكان الغرض من الانتقال إلى الهرم الأملس ثم ظهور حجر " بن بن " ، التوفيق بين " اتوم " و " رع " لما قام بينهما من تناقض وتعارض . وقد جرت أولى المحاولات على أيدى " چد فرع " و " خعفرع " كما أشرنا إلى ذلك من قبل. بيد ان هذا التناقض لم يجد حلا له إلا بحلول الأسرة الخامسة باندماج أحدهما فى الآخر .



شكل (٥٦) - رسم تصورى لمعبد الشمس الذى شيده "نى أوسر رع".
(نقلاً عن "لودفيج بورخارت".)

وهكذا اندمج " أوناس " مع " أتوم " فى العالم الأسفل - " دات " - وهو مقابل الأمواه الأولية - " نون " - حيث ينشط الإله الخالق . وانبشق منه على هيئة " أتوم " شمسي ، للولوج إلى " دوات " وهو الأفق . وتروى لنا المتون هذا الانتقال الذى يفترض أن تمثال أبو الهول بالجيرة يعبر عنه . إن دلالة متون الأهرام ومغزاها مرتبطان بموقعها فى المقبرة ، وهى تتطابق مع مراسم الدفن كمرحلة أولى ، ومراسم البعث كمرحلة ثانية .

ففى البداية تستعرض النصوص مسار الموكب إلى المقبرة : فالدهليز تقابله الطقوس التى تمارس فى معبد الاستقبال ،والمرهو المقابل للطريق الصاعد ، والصالة لمعبد الشعائر . وتقوم حجرة الدفن مقام المعبد الخاص . أما السرداب فهو مقام صور الملك . هذا النهج فى تفسير قراءة المتون دخولا إلى التابوت واضح جدا فى هرم " پيپى " الأول . وبعد أن يسجى المتوفى فى التابوت تعود القراءة ثانية ، ولكن فى اتجاه الخارج ، وتحمل معنى البعث وتسبغ على حجرات الهرم دلالة رمزية.ويخرج الملك من التابوت ويغادر الـ"دات" - عالم الأموات الأسفل . لقد صار أتوم . ثم يتجه صوب الصالة التى هى بمثابة الأفق ، ومن هنا يستهل صعوده عبر الممر إلى أن يبلغ المتاريس ، وهى بوابات السموات الموصدة بالمزلاج الذى يرمز إلى عضو التذكير للإله " باباى " . وباجتياز الأبواب يصبح فى سرداب الدفن الذى تحول إلى " دوات " - وهو الليل ، عالم النجوم ، حيث يحقق الخلود بينها ومعها .

مقابر الأفراد :

لاينحصر اهتمام الملك بعد صعوده إلى السماء فى التمتع وحده بنعيم الحياة الأبديـــة . ورغم أنه يصبح من رفاق الإله " رع " فإنه لا يتخلى عن مسئولياته نحو رعاياه الذين يتبعونه إلى دارالاخرة والذين يسعون بوسائلهم الخاصة إلى بلوغ الخلود افرادا ، وإن ظل رجاؤهم معقودا على رعاية الملك لهم . وضمانا لذلك تخلوا عن مصاحبة ملكهم فى نفس مقبرته ، كما كان الحال فى الماضى ، وأخذوا يشيدون مقابرهم الخاصة على مقربة من الدفنة الملكية . فاقيمت مدن جنائزية حقيقية بأكملها ، مقابرها هى المنازل ، تفصلها طرقات وتقسمها إلى أحياء ، تزداد رقيا كلما دنت واقتربت من هرم

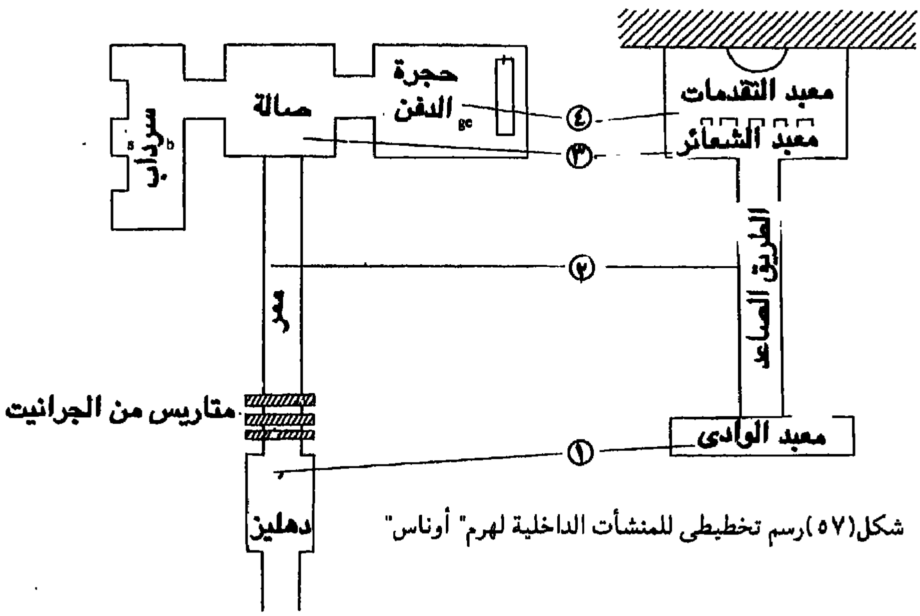
الملك ، طبقا لمستوى صاحبها الاجتماعى . وعلى هذا النحو ينتقل التدرج الطبقى إلى العالم الأخر بعد وفاة الأفراد . فيستمر النبلاء ورجال البلاط والموظفون يشغلون مناصبهم إلى الأبد إلى جوار مليكهم ، كما كانوا فى السابق .

وظلت " المصطبة " هى النمط المعمارى السائد فى مقابر الأفراد فى ظل الدولة القديمة . وينسحب مفهوم " الأفراد " على مجموع السكان باستثناء الملك بل ويمتد ليشمل أفراد العائلة المالكة ايضا . ويزول أى لبس إذا أدركنا أن الأمراء قد اضطلعوا بدور سياسى وتصدروا مسرح الأحداث بصفتهم موظفين حتى وإن ازداد تأكيدهم على الألقاب الدالة على أصولهم أو مصاهرتهم للعائله المالكة . أما وضع الملكات فمن الأمور التى يصعب تحديدها وتمييزها . فهن لايحظين دائماً بشرف إقامة هرم يلحق بهرم زوجهن . وعموما فان وجه الشبه بين النمط المعمارى لمقبرتهن والنمط الملكى ، قد يزيد او يقل حسب أهمية الملكة ودورها ، وهى التى تلقب عادة بزوجة الملك أو والدته . ومن أبرز الأمثلة " حوتپ حرس " و الدة خوفو. و " خنتكاوس " التى تصورها نصوص مقبرتها فى الجيزة " كوالدة الملكين " ، كما عبدت كمؤسسة للأسرة الخامسه فى " أبو " صير . أما " نيت اقرت " فهى الملكة الوحيدة الحقيقية . وللأسف لم يتم الكشف عن الهرم الذى ينسب إليها طبقا لما ترويه الروايات المتواترة .

اقتفت المصطبة فى تطورها أثر الهرم ولحقت به عندما تخلت قرب نهاية الأسرة الثالثة عن البناء بالطوب واستبدلته بالحجر السجيلى . ثم شاع خلال الأسرة الرابعة استخدام الحجر الجيرى السليسى أو الصوانى الذى يمتاز بجمال المظهر . ثم أضيفت كسوة من الحجر الجيرى الأملس . لقد جاء التطور اكثر وضوحا فى الجزء العلوى ، منه فى الجزء السفلى . حتى استقر على النحو التالى كنمط ثابت :

كان تطور حجرة الدفن محدودا وبطيئا ، فهى مستقر الجسد فى المقام الأول . انها مربعة أحيانا أومستطيلة فى أحوال أخرى بل ومستديرة فى بعض الحالات . وفى الأسرة الرابعة كانت تشيد فى الأغلب بالطوب وسقفها من الحجر على هيئة قبو متدرج (راجع ماورد فى هذا الفصل حول " مجموعة الجيزة ") . وتحتوى على تابوت مستطيل ، صنع من الحجر ، سواء الحجر الجيرى او الحجر الأسوانى ، حسبما يجود به سخاء الملك . فبفضل كرمه يستطيع صاحب المصطبة أن يحصل على تابوت . اذ يستحيل عليه دون ذلك – كما لاحظنا – أن يتحمل بمفرده أعباء حملة إلى محاجر طرة أو حتنوب أو أسوان . ومن الصعوبة بمكان تأكيد تحنيط الجسد من عدمه . لقد اشرنا من قبل إلى أن

المصريين قد عرفوا من الناحية النظرية فنون التحنيط ابتداء من الأسرة الأولى . وقد عثر المنقبون على بقايا مومياء في مقبرة " چسر " . ووصلتنا جثث الموتى الذين دفنوا في كبرى جبانات الدولة القديمة في حالة سيئة جدا من الحفظ . ولم يكتشف الأثريون في هياكل المصاطب مشهدا واحدا يؤكد ممارسة فن التحنيط الذي لم يرد وصف له بالنسبة للأفراد على الأقل سوى في زمن لاحق . كما لم يعثر من ناحية أخرى على أي مومياء ملكية ترجع إلى هذا العصر . فأقدم مومياء معروفة هي مومياء " مرنرع " وهي محفوظة في الوقت الراهن في متحف القاهرة (**Bucaille : Fig. 1**) : وقد اعتمد المصريون في معظم الحالات على مايظن على أسلوب تجفيف الجسد تجفيفا طبيعيا



شكل(٥٧)رسم تخطيطي للمنشآت الداخلية لهرم" أوناس"

الذي ظل لفترة طويلة من الأمور الميسرة بفضل البيئة الصحراوية . فلم يعثر في جبانة حكام الواحات الداخلة على اثر للتحنيط لتاريخ سابق على النصف الثاني من الأسرة السادسة .

الطقوس والشعائر الجنائزية

لم يسجل المصريون وصفا لعملية التحنيط بتفاصيلها وجزئياتها ، كما لم يصلنا مرجع واحد يتناول هذا الموضوع . ولم تتعرض المناظر صراحة لعملية التحنيط وبالوضوح المطلوب . وما ورد فيها من إشارات وإيماءات يقتصر على الجانب الديني ، ويمر مر

الكرام على الأساليب الفنية والتقنيه . ونحن نستمد معارفنا الأساسية من الكتاب الإغريق من أمثال هيرودوت ، وديودور ، وبلوتارك وبورفير . وفي استطاعتنا استعراض هذه العملية في خطوطها العريضة مع دلالتها الرمزية التي كانت محور اهتمام المصري القديم . وحسبنا أن " نزع اللفائف " هي الوسيلة الوحيدة التي تتيح حقا الفرصة أمام العلماء لفحص المومياوات بالأساليب الفنية الحديثة وتوفر بعض المعلومات التي تتناقض احيانا مع الأفكار التي وصلتنا حول التحنيط ، وهو ما سجل أثناء علاج مومياء رمسيس الثاني . كما حدث مؤخرا ، وفي عام ١٩٨٦ ، على وجه التحديد ، أن قام فريق يضم مجموعة من الباحثين في مختلف فروع المعرفة بفحص مومياء من العصر المتأخر مجهولة الهوية وموجودة حاليا في متحف مدينة ليون الفرنسية **Josset-Goyon:1988** فمنذ الدولة الحديثة على الأقل كانت عملية التحنيط تمر بالمراحل التالية:

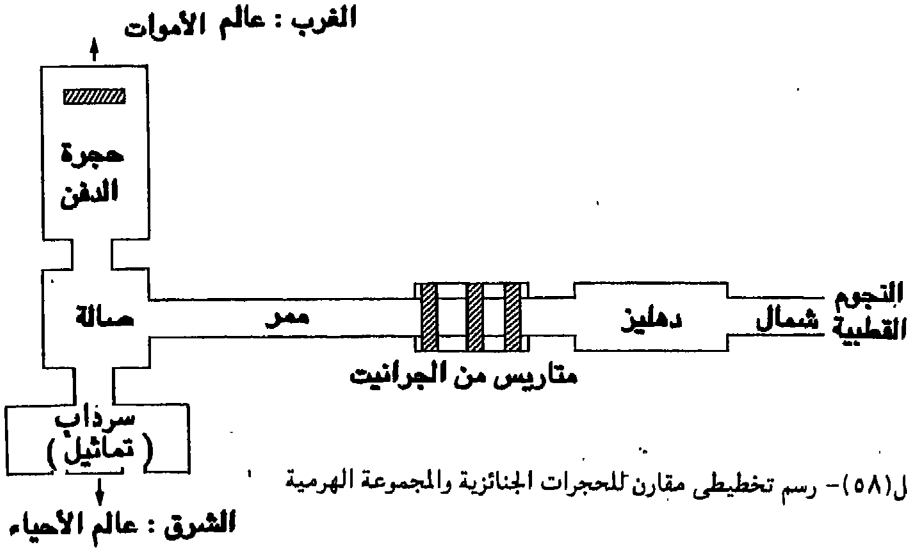
بعد الوفاة مباشرة يُنقل المتوفى إلى " بيت التطهر " وهو المكان المخصص لعلاج جثمانه تحت إشراف كاهن جراح إخصائي في إعداد الجثث للتحنيط . فيسجى المتوفى فوق مائدة خاصة ، ويتم استخراج مخه ، كما يتولى الكاهن إحداث شق أسفل البطن في الجانب الأيسر مستخدما سكينا من الظران حسبما تقتضيه الطقوس الجنائزية . وتفرغ أحشاء المتوفى من خلال هذه الفتحة بعد نزع الحجاب الحاجز . اما الأعضاء المستخرجة فيتم معالجتها كل عضو على حدة ثم تحنط وتلف باللفائف . وبعد ذلك ظل المصريون من الناحية النظرية حتى عصر الانتقال الثالث يضعونها في أوان خاصة . وعثر على آثارها الأولى ضمن أثاث " حوتپ حرس " الجنائزي وهي والدة " خوفو " . وبسبب تأويل خاطيء لـ " اثناس كيرشر " تعرف هذه الأواني اصطلاحا " بالأواني الكانوبيه " .

وكانت هذه الاواني تحت حماية أبناء " حورس " الأربعة " أمستي " و " حاپي " و" دواموتف" و " قبح سنو إف " . ووظيفتهم من الناحية النظرية السهر على سلامة الكبد والرئتين والمعدة والأمعاء على التوالي . وتوضع الأواني في حجرة الدفن . وفيما بعد اكتفى المصري بتحنيط الأحشاء ثم إعادتها إلى مكانها داخل الجسد على هيئة لفة " كانوبيه " . أما القلب والكليتان فتبقى حيث هي ، لا سيما وأنه كان من الصعب على كل حال الوصول إليهما .

وبعد الانتهاء من إخراج الأحشاء يأتي دور المحنط الذي يتولى " تمليح " الجسم

الذى يوضع فى النطرون لمدة خمسة وثلاثين يوما ، الأمر الذى كان يتسبب فى اسوداد البشرة . وللتقليل من هذا الأثر السلبى لجأ المصرى إلى صبغ بعض أجزاء الجسم بالحنة أو دهنها بالمغرة الحمراء بالنسبة للرجال او الصفراء بالنسبه للنساء ، أسوة بما كان متبعا مع التماثيل والنقوش . ويقوم أهل المتوفى فى المعتاد بتوفير قطع من القماش لحشو البطن بلفائف مشبعة بالصمغ والعطور ومختلف الأدهان ، الغرض منها الإبقاء على المظهر الخارجى لجسم المتوفى مع ضمان سلامة حفظه . وتغطى فتحة البطن بلوحة صغيرة يتكفل أبناء " حورس " بحمايتها .

وبعد إعادة تشكيل الجسد على هذا النحو يُنظّف ويطهّر . ثم تبدأ عملية لف المومياء التى تمر هى ايضا بمراحل متعاقبة . بادىء ذى بدء يلف كل عضو على حدة ، بما



شكل(٥٨)- رسم تخطيطى مقارن للحجرات الجنائزية والمجموعة الهرمية

فى ذلك الأصابع وعضو التذكير بأشرطة كتانية . ثم يلف الجسد بنفس الطريقة بعد أن يغطى بقطعة نسيج كبيرة تقوم مقام الكفن . وتتم عملية اللف تلك وفقا لطقوس دقيقة ومحددة تظل ثابتة لاتتغير ، سواء كان المتوفى ملكا أم فردا عاديا . أما الفارق الوحيد بين شخص وآخر فيكمن فى قيمة التمائم التى توضع فوق بعض أعضائه ونوعية النسيج المستخدم . واعتبارا من الدولة الحديثة تضمنت لفائف المومياوات نصوصا جنائزية إلى جانب ما يوضع بين ثناياها من تمائم وحلى ، فيوضع أحيانا بين ساقى المومياء نسخة من "كتاب الموتى "، وأخيرا يغطى مكان الوجه بقناع غالبا ما كان يصنع بأسلوب "الكرتوناچ" أو من مواد نفيسة بالنسبة لعلية القوم بالمزج بين الذهب وهو لحم الألهة واللازورد وهو شعرهم . وابتداء من الدولة الحديثة أخذ هذا القناع يتطور حتى أصبح مجرد " لوح " يغطى الجسد بأكمله يستعمل كغطاء للتابوت ، وفى مرحلته الأخيرة تحول إلى

مايسمـــــــــى بـ " بورتريهات " أو صور الفـــــيوم الشـــخصية الملونــة بطلاء شمعي .وتوسد المومياء فى تابوت ظل هو الأخر يتطور عبر الزمان ، وفى بادىءالأمر غلب عليه دوره كبديل لمنزل المتوفى كما يشهد على ذلك شكله المربع وزخرفة " واجهة القصر".

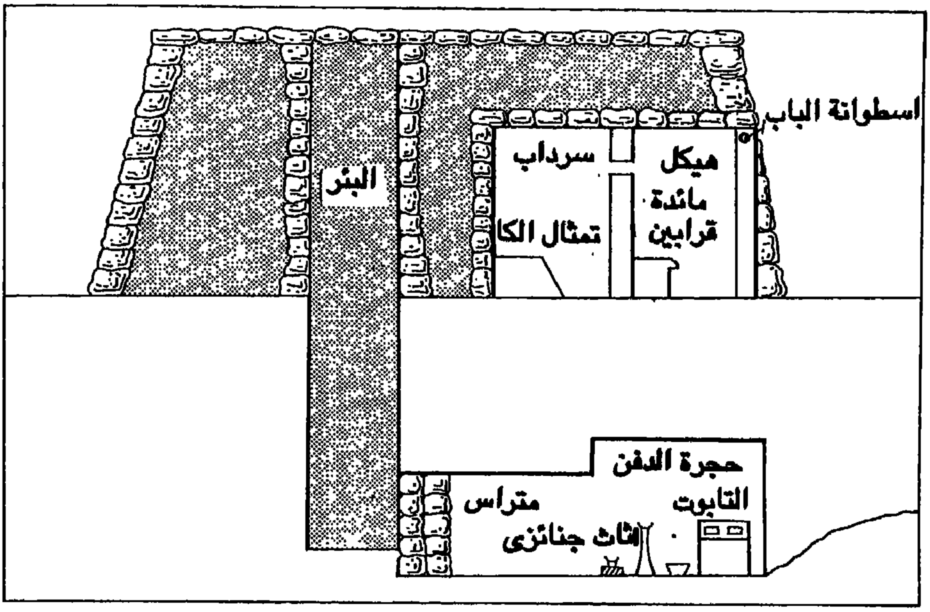
واعتبارا من الأسره السادسة بدأ المصرى يدون فقرات التقدمات على التوابيت التى احتفظت بدورها كباب وهمى . وحملت أفاريزها صوراً توضيحية بديـلة للتـــقدمات ، كـــما نصـــادف منذ ذلك الوقت الـــمبكر ، بعض فصـــول " متـــون التــــوابيت " التـى ترجع نمـاذجـها المعروفة إلى الدولة الوسطى (Vallogia : 1986 - (74 - 78) على وجه الخصوص . كما تطورت ايضاً أشكال التوابيت والمادة التى تصنع منها . فنميز بين التابوت على صورة صندوق ، المصنوع غالبا من الحجر وقد ينحت فـى صخـر المقبرة ذاتــه ، وبيـن التابوت الـذى ظهـر مـع الدولـة الوسطـى واتخذ شكل جسم الإنسان .

أمـا المتاع الجنائـــزى فيظل كما هـو مكونا مـن نفس العناصر الأساسية مـــن مســند الرأس وأدوات الأكل واللوازم الشخصية وبــقايا الوجبـة الجنائزيـة . ومن الآن فصاعدا سوف تغلق حجرة الدفن بمتراس على غرار المقابر الملكية . وتوصد فتحة البئر بعد الانتهـاء من المراســم الجنائزية . وقد تجهز بسلم أو بمر ينتهى عند الفناء الواقع أمام البنـية العلوية للمصطبة . أما الهيكل الموجود فى البنية العلوية فقد تعرض لأعمق التطورات . وحتى عهد " سنفرو " ظل تخطيط الهيكل تخطيطا صليبيا متعامدا ويقـع عنـد جدار المصطبه الشرقــى ، وجاء كتــطور منطقى للكوة الأصلية التى كانت تقوم بدور الباب الوهمى . وفيما بعد تغير هذا التخطيط . وصنفها المتخصصون تصنيفا نموذجيا معقدا إلى حد كبير يستند إلى نظام الهيكل العام ووجود الكوات وعدد الحجرات الخ.... وجاء التطور الحاسم من الجيزة مع انتظام استخدام الحجر الذى أحدث تغييرا شاملا فى المظهر الخارجى للمصاطب .

وأمكن زيادة ميل الجدران بالمقارنة مع الجدران المقامة بالطوب ، بالإضافة إلى تخصيص مسطحات ضخمة للزخرفة الداخلية . واقتصرت التوسعات التى حدثت مع الأسرتين الخامسة والسادسة على زيادة عدد الحجرات واستغلالها لتعديل نظام المصطبة العام . وهكذا وصلت المصطبة إلى ذروة ازدهارها فشيد المصرى أجمل النماذج وأفخمها . ثم اندثر هذا النموذج من الدفنات مع سقوط الدولة القديمة .

وفى عام ١٨٦٥ اكتشف " أوجست مارييت " مقبرة " تى " الذى سبق أن اشرنا الى المناصب التى تقلدها على امتداد حياته . ولا زالت هذه المصطبة إحدى القمم البارزة

لفنون الدولة القديمـــة الجنائزية مـن الناحية المعمارية ، ومن ناحية روعة نقوشها علـى حد سواء . ويصور الدهليز (أ) علـى جانبى الباب موكب الست وثلاثيـن ضيعـة التـى يمتلكها المتوفى وتقديم خيرات المزارع وحظائر الطيور،كما سجل " النداء إلى الأحياء " ، وهى رسالة موجهه إلى كل زائر تدعوه إلى تلاوة فقرات تقديم القرابين لمنفـــعة المتـــوفى.



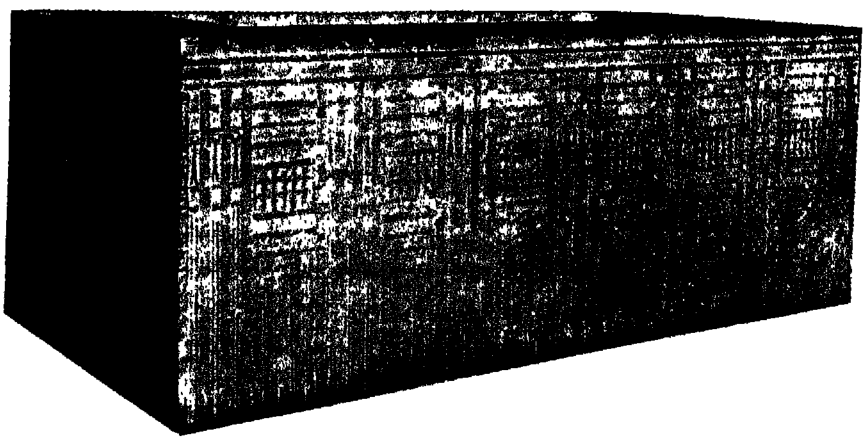
شكل (٥٩) - مقطع طولى فى نموذج نمطى لمصطبة .
(نقلاً عن Desroches-Noblecourt: 1946, 54)

حيث ان تلاوة هذه الفقرات على لسان أحد الأحياء ، يجسدها فيضمن بذلك معاش صاحب المقبرة . وندلف من الباب إلى صالة الأعمدة (ب) التى زينت جدرانها بمشاهد تروى صورا من الحياة فى الضياع وتقدم مناظر أقفاص الطيور وتدجينها وتقديم الحسابات إلى جانب مشاهد ترتيب الإجراءات الجنائزية ونقل المتاع الجنائزى بينما يتجه " تى" محمولا على محفة إلى مقبرته يصحبه كلبه الأليف . ويطل السرداب الأول على هذه الصالة ، وفيه تم اكتشاف تمثال لصاحب المقبرة نقل إلى المتحف المصرى حيث يعرض الآن .(CGC 95) . كما يوجد بالصالة لوحة باب وهمى باسم " دمج " بن " تى" ومـن رجـــال البـــلاط أيضا.

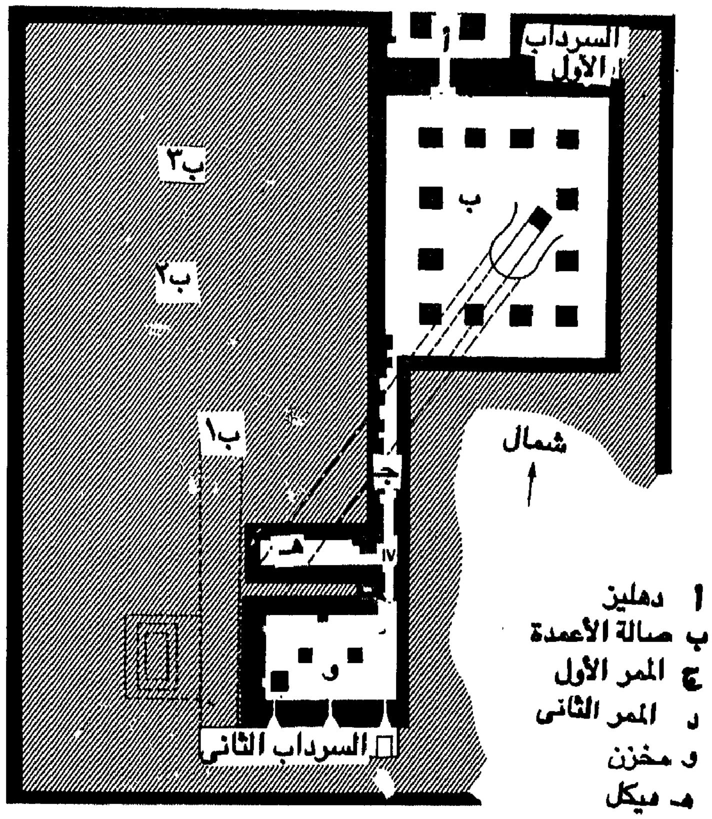
وعلى مسافة بسيطة وفى الممر الأول يوجد باب وهمى آخر مكرس لزوجة صاحب المقبرة

"نفر حوتپ إس " . وتصور النقوش " تى" وهو يمارس مهامه الكهنوتية ومشاهد عزف الموسيقى والرقص وإبحار الزوجين فى رحلة نهرية . أما مشاهد الممر الثانى (د) فتصور زيارة "تى" لاملاكه فى الدلتا ثم عودته إلى منف ونقل التماثيل ومشاهد تقديم القرابين.

ويفتح الممر على الحجرة (هـ) التى كانت تستخدم مخزنا . وتزخر جدرانها بنشاط الفخاريين وصناع الجعة والخبازين وتسليم التقدمات تمهيدا لتخزينها . وأخيرا وفى أقصى المقبرة يوجد الهيكل الذى يتصل بالسرداب الثانى بواسطة فتحات ثلاث . وعلى جدران الهيكل تتجمع كافة المواضيع السابقة لتوفر لسيد المكان جميع العناصر الضرورية لمعاشه فى دار الأخرة . ويصور الجدار المواجه للسرداب مواكب الضياع والصيد المائى والقنص فى المستنقعات وتربية الحيوان . أما مناظر الزراعة ونهر النيل فيشاهدها "تى" وأسرته وفى صحبتهم حيواناتهم الأليفة . وتصور مناظر الجدارين الجنوبى والشرقى جنى المحاصيل وحصادها واستعراض الماشية وتقديم الحسابات وشتى الحرف وألوانها .



شكل(٦٠)- تابوت على هيئة" واجهة قصر". عثر عليه فى أبو رواش. محفوظ فى متحف اللوفر

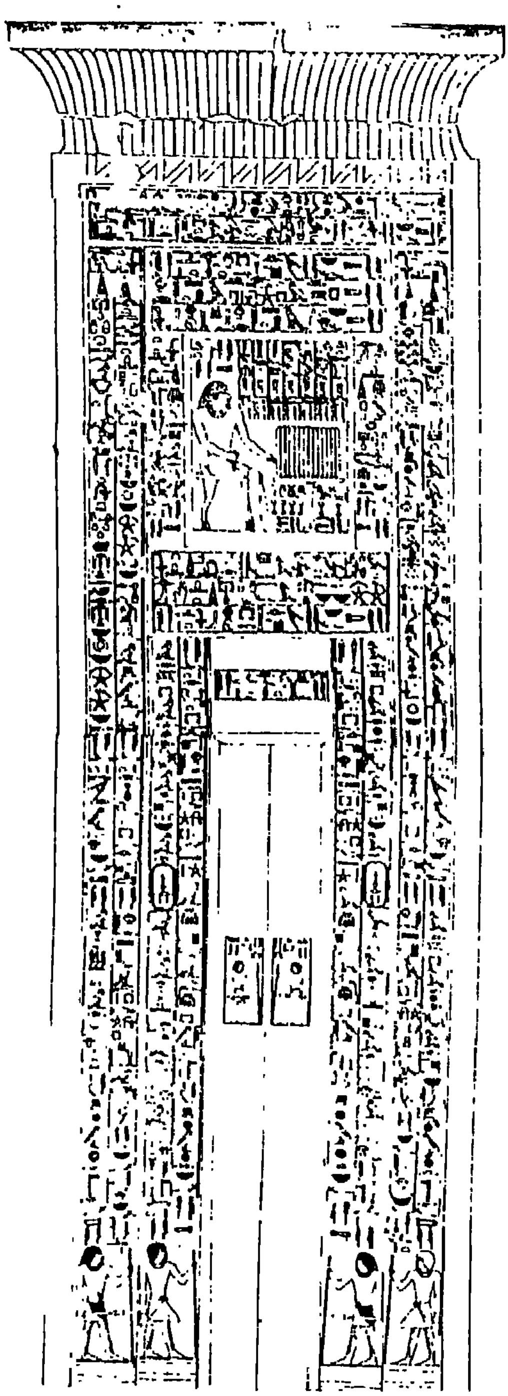


شكل (٦١) - رسم تخطيطى لمصطبة "تى" فى سقارة .

لقد أصبح وجود هذه اللوحات والمشاهد من الضروريات التى تزين جدران جميع الهياكل . وسوف تتحول قرب نهاية الاسرة السادسة إلى صور تشكيلية تعرف اصطلاحا "بالنماذج " . وإضافة إلى ماسبق نشاهد بالطبع مناظر نحر الماشية وقصبها والتقدمات وقد وزعت على جانبى بابين وهميين مندمجين فى الجدار الغربى عند نقطة التماس بين عالم الموتى وعالم الاحياء .

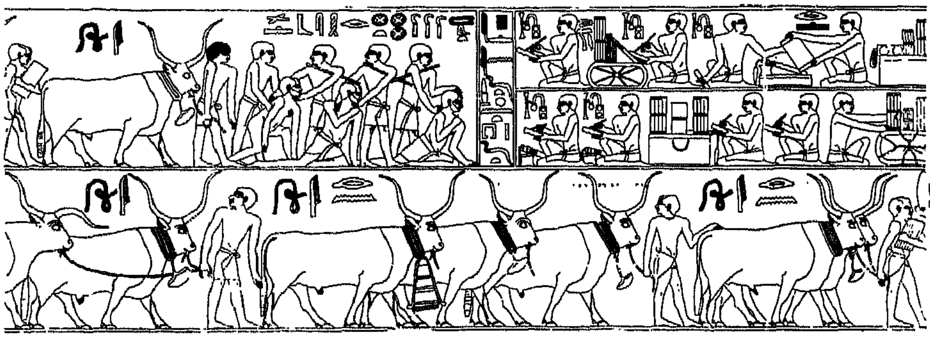
إن الخطوط العامة لزخرفة الهياكل واحدة تقريبا فى جوهرها . فيستقبل المتوفى زواره عند باب المصطبة الذى يحمل صورته وألقابه . وقبالة باب المدخل يوجد الهيكل وعلى جداره الغربى باب وهمى واحد أو اكثر يسمح له ولذويه بأن ينعموا بالتقدمات . ويخصص للمتوفى الباب الوهمى الواقع جهة الشمال أما الواقع جهة الجنوب فهو لزوجته . ويزدان جانب الجدار الواقع بين البابين الوهميين بزخارف نباتية أو نقوش تقلد النسيج المطرز . وعلى الجدار المقابل للأبواب الوهمية نشاهد مناظر جنائزية بمعنى الكلمة ، كرحلة الحج النهرية إلى المدينتين المقدستين "بوزيريس" و"ابيدوس" وقد تم تسجيلهما فى القسمين الشمالى والجنوبى من الجدار حسب الوضع الجغرافى لجهة الحج المعنية . وقد زين الجداران الشمالى والجنوبى بمشاهد مستمدة من حياة الضياع كالزراعة وتربية الحيوان والألعاب والفنون والحرف المختلفة . ونشاهد على الجدار الجنوبى مناظر إطلاق البخور للتماثيل القابعة فى السرداب المقام خلف هذا الجدار.

وساد الجانب الأكبر من هذا الأسلوب الزخرفى فى المقابر المنحوتة فى الصخر ، وهو نمط جديد من الدفنات استحدث خلال الأسرة الرابعة وظهر أول ماظهر منحوتا فى هضبة الجيزة ولاقى رواجا عظيما فيما بعد . وترتيب الحجرات مشابه لترتيب حجرات المصطبة : الصالة فالهيكل ثم السرداب . كما توجد فى الهيكل أيضا فتحة البئر التى تفضى إلى حجرة الدفن أو توجد فى حجرة خاصة . ويكمن الفارق الوحيد بالطبع فى حجم المقبرة . وقد نحتت واجهتها بزاوية مائلة للإيحاء بمدخل المصطبة . فحيثما استحال تشييد المصطبة بسبب طبيعة الأرض حلت محلها المقبرة المنحوتة فى الصخر . حقا لقد أخذت مدن الأقاليم بنفس نمط الدفنات السائد فى عاصمة البلاد ، غير أن المكان المناسب لم يتوفر لها دائما لإقامتها ، وهو ماحدث فى مصر الوسطى على وجه الخصوص حيث اقيمت الجبانات فى الجرف المشرف على الوادى . ومن هنا جاء اختيارهم للمصطبة " الصخرية " ، كما حدث على سبيل المثال فى جبانة طهنا اعتبارا من الأسرة الرابعة . وقد أقام حكام إقليم

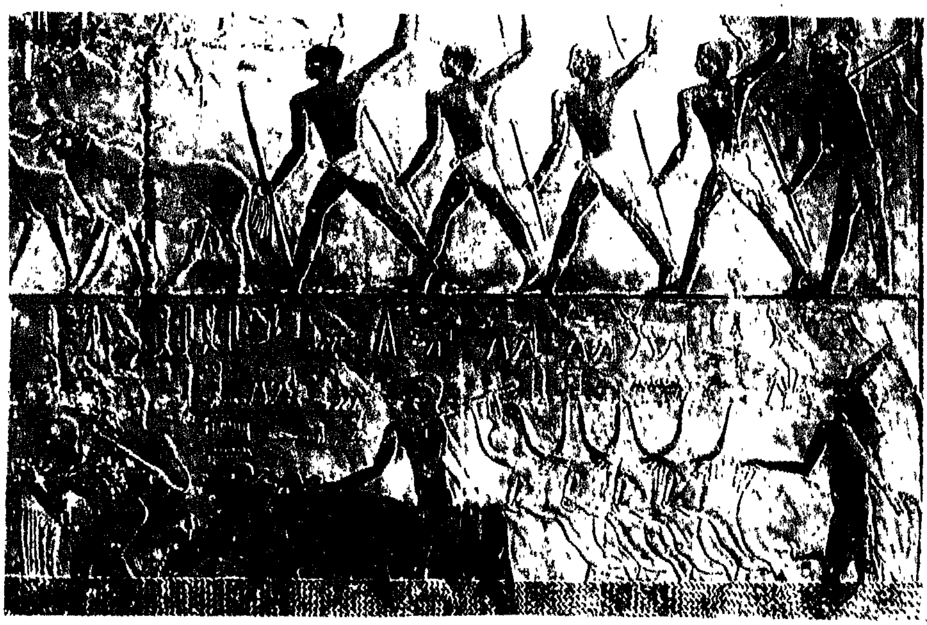


شكل(٦٢)- هيكل"تى" : الباب الوهمى الشمالى

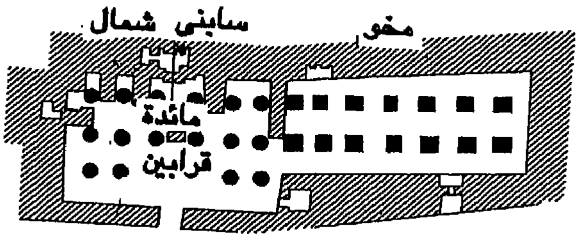
(رسم هنرى فيلد)



شكل(٦٣)- هيكل"تى": موكب الجاموس وتقديم الحسابات(رسم هنرى فيلد)



شكل (٦٤) -هيكل "تى": عبور المخاضة.

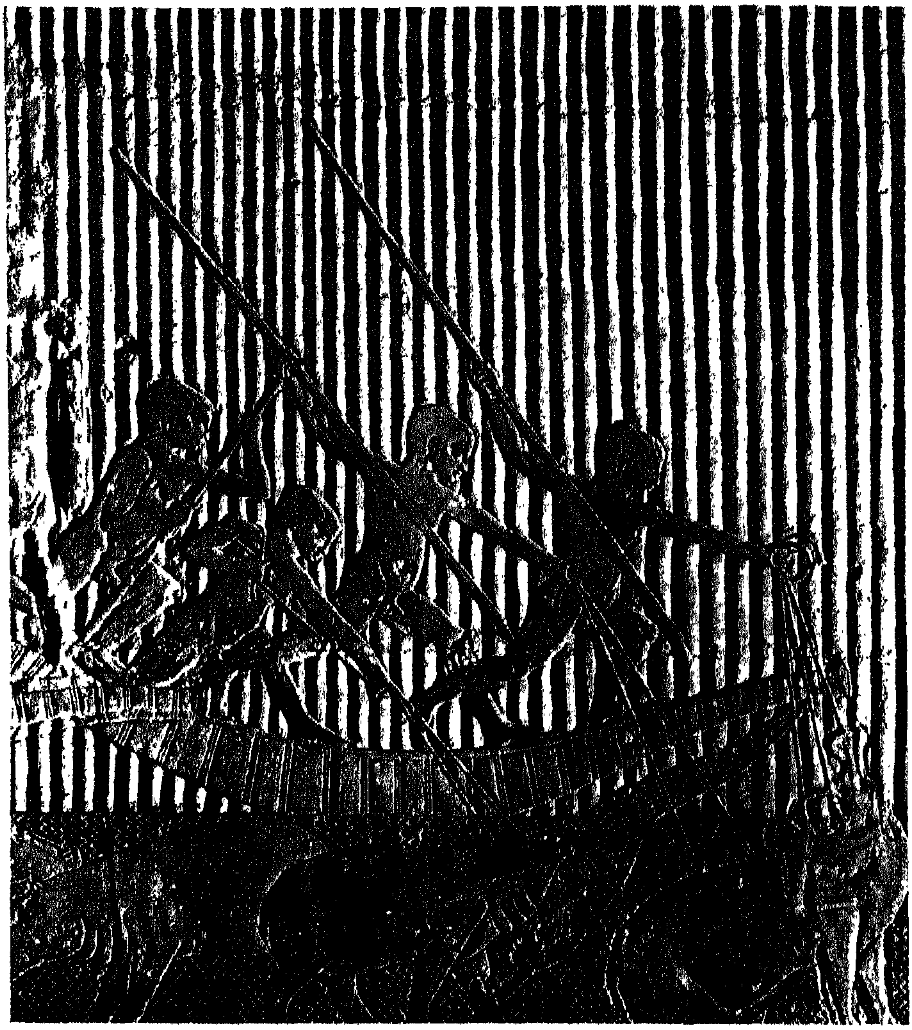


شكل(٦٧)- رسم تخطيطى لمقبرة "سابينى " و" مخو" بأسوان

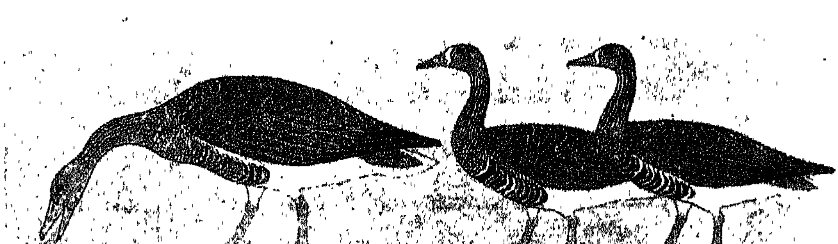
لا تحمل الواجهة أى زخارف. يخترقها باب مزود بقطعتين من الحجر تشبهان النصب الحجرية التى تزين مدخل مصاطب حكام الواحات الداخلة والتى ترجع إلى نفس العصر. وعرض الهيكل ذاته اكبر من عمقه ويتخلله ثلاثة صفوف من الأعمدة. يتكون كل صف منها من ستة أعمدة. وتقع وسط الصف الأوسط من الأعمدة مائدة قرابين. وتوجد مائدة قرابين وسط الصف الثانى من الأعمدة وقد زخرفت المقبرتان بمواضيع تقليدية.



شكل(٦٦)- أوز "ميدوم": من مصطبة " إيتت" بميدوم تصوير على الجص المغطى بطلاء من الصلصال.



شكل(٦٥)- هيكل "تى" : الصيد فى المستنقعات.



"الأرنب"هذا النوع من المقابر فى الشيخ سعيد جنوب ملوى . ونذكر منهم حكام الأسرة السادسة الأقوياء " ميرو" و " واو " و "عنخ تيتى" . وأقيمت نفس المقابر فى دير الجبراوى وأسوان بصفة خاصة ، فتضم جبانتها حوالى ثلاثين مقبرة من هذا النوع .

لقد جاء هذا التغيير استجابة لضرورة التكيف مع واقع تضاريس الأرض، وأحيانا لاتصلح الأرض لبناء المصطبة التقليدية ولا المقبرة المنحوتة فى الصخر كما هو الحال فى الواحة الداخلة حيث لاتسمح التربة الطينية بإقامة بناء من الحجر . عندئذ يلجأ المعماريون إلى أسلوب مختلط يمزج بين إقامة حجرة الدفن من الحجر داخل حفرة فى التربة الطينية من ناحية ، ثم تشييد الجزء العلوى من الطوب القائم علي أساسات وحشوات صنعت من نفس المادة **(Vallogia: 1986,43-48)**. وصارت الغلبة للمقبرة الصخرية فى نهاية المطاف لالشيء إلا لانتقال مركز البلاد السياسى صوب الجنوب ، فأقيمت الجبانات فى الجرف الصخرى ذاته وليس فوق الهضبة .

مواضيع الزخرفة

تعتبر المناظر التى تزخر بها المقابر مصادر قيمة للإلمام بالحياة الاقتصادية فى الدولة القديمة ولإمدادنا بقدر من المعارف حول بعض جوانب الحياة الاجتماعية فيها . كما تحيطنا علماً بالعادات والمعتقدات الجنائزية ذاتها . ونلاحظ فى المقام الأول أن الفرد العادى ينعم فى قبره بعد وفاته بحياة تطابق حياته الدنيوية خلافاً لما يحدث للملك الذى يصعد إلى أعالى السماء ، وأن مجاورة المتوفى للإله ، أى مجاورته للملك ، هو خير ضامن لاندماجه فى عالم الإله ، وأن التنظيم الذى يتحكم فى الجبانة كما عرضنا له من قبل هو تجسيد عينى لمفهوم المجاورة تلك . ومن هنا فإن الملك حاضر كل الحضور فى مقبرة كل فرد من الأفراد : بداية من المنحة التى حصل عليها كل واحد منهم بحق استغلال الأرض التى هى جزء من المنطقة التى ارتبطت بمصير الملك الجنائزى ، وأيضا من خلال شتى عناصر الهندسة المعمارية الرئيسية كالتابوت والباب الوهمى ومائدة القرابين الخ . . . وأخيراً وليس أخراً ، من السيرة الذاتية لصاحب المقبرة الذى يتبع الملك تبعية كاملة ، فهو " إيماخو " كما سبق لنا القول . كما تقترن محتويات المقبرة بإسراف شديد فى التدابير الاحتياطية التى تتخذ فى السرداب بغرض توفير أكبر قدر من عُمد الروح وركائزها من تماثيل أو مجرد رؤوس بديلة بالإضافة إلى النصوص والمناظر . فترسم لنا صورة للكون تنحصر أبعاده فى الواقع الأرضى والدنيوى .

وتظل المواضيع الزخرفية متمحورة حول صميم الواقع المرتبط بالمتوفى ، وإن تطورت مع الزمن من حيث التفاصيل . ويمكن متابعة تواصل مختلف مراحل حياة الإنسان ، بدءاً من مراحل الحياة ذاتها بمشاهد الحياة اليومية ، ثم المراحل الأخيرة لانتقال المتوفى من بيت المأتم إلى الأبدية ، ومشاهد المراثى والعويل بجوار جثمان المتوفى والإيماءات الأزلية التى تقوم بها الندابات ، فيتكرر دون ملل أوكلل الأنين الصادر عن قلب يعتصره الأسى والألم لرحيل شخص عزيز . وكأنه مشهد واحد لم يتغير ، يمتد منذ أن وقفت إيزيس و نفتيس تنتحبان على وفاة أوزيريس ، ولايزال مستمراً حتى يومنا هذا . ثم ينقل الجثمان على متن مركب بمظلة . وتظل النسوة اللواتى أرتدين ملابس الحداد ساهرات عليه حتى يصل الموكب إلى دار التحنيط التى يرعاها الإله أنوبيس حيث تجرى له العمليات التى سبق أن وصفناها . وبعد الفراغ من التحنيط ينقل المتوفى على مايفترض إلى مدينة سايس الواقعة فى الدلتا عن طريق النهر . ويعتبر هذا الطقس الجنائزى رحلة الحج الأولى إلى مكان سوف يقدم فى وقت لاحق طقس " سر " آلام أوزيريس طبقاً لما رواه هيرودوت . ومن ثم تسنح له فرصة التمتع بتقدمة فى المكان الطاهر (واعبت) . وهذه التقدمة غذائية فى المقام الأول ، وتنطوى على طقوس نحر يشارك فيها المعزون ، إلى جانب الكهنة المحنطين والمشرفين على أداء الطقوس . ثم يقوم برحلته الثانية إلى مدينة بوتو المقدسة . وفى واقع الأمر ، لاينتقل المتوفى إلى هذين المكانيين المقدسين بالفعل بل تجرى الطقوس فى إطار الجبانة ذاتها وفى مكانين أطلق عليهما سايس وبوتو . وبعد أن يتوجه المتوفى الى معبد هليوبوليس يصل إلى مدخل الجبانة حيث تنتظره الشعائر الأخيرة التى تكرس انفصاله عن عالم الأحياء : وتجرى مجدداً طقوس التطهر بإهراق الماء الطهور وإطلاق البخور بينما تستمر الندابات فى الولولة والنحيب . ثم تبدأ تمثيلية تتعاقب مشاهدها وتتلاحم مناظرها يمثلها كاهنان : فيتجاذبان التابوت متظاهران بالتنافس للحصول عليه . والكاهن الأول هو المحنط الذى يجذب المتوفى إلى عالم الأحياء. أما الثانى فهو الكاهن الجنائزى الذى صار المتوفى من نصيبه ، من الأن فصاعدا. ثم يظهر الـ " تكنو " . إنه شكل مغطى بجلد حيوان وقائم فوق زحافة . ويفهم من اسمه الذى يعنى " الجار " أو " القريب " أنه القوة الحامية فى الجبانة التى تعاون المتوفى فى تحقيق النصر على أعدائه لحظة دخوله المقبرة . ويصطحب الـ " تكنو " المتوفى إلى الغرب ، بينما يسير فى أعقابهما رجال يحملون الأوانى الكانوبية بين أيديهم . ويصل الموكب إلى مدخل المقبرة أمام الباب الوهمى حيث تقام المأدبة الجنائزية كنموذج

أولى للتقدمة المتجددة إلى الأبد . ثم ينتقل المتاع إلى حجرة الدفن ، يليه التابوت وتمثال المتوفى الذى يفترض أن يقوم برحلة حج إلى أبيدوس مدينة أوزريس المقدسة . ثم توصد حجرة الدفن إلى الأبد بعد أداء شعائر الحماية . عندئذ تدب الحياة فى جدران الهيكل ويدعى المتوفى لينعم إلى الأبد بما يمتلك من خيـــرات .

الفصل السادس

الصراع من أجل السلطة

الانهيار

يطلق " عصر الانتقال الأول " على المائة والخمسين سنة التى تفصل بين الدولة القديمة والدولة الوسطى . وهذه العبارة لاتعنى شيئاً كما تعنى كل شىء . فمفهوم " العصور الانتقالية " مفهوم مرفوض وغير مقبول تاريخياً . فكل عصر هو رباط يجمع بين مرحلتين من مراحل الحضارة الواحدة . كما أن المصريين لم يعتبروا هذه الفترة انقطاعاً فى تاريخهم ، فلم تحدث قطيعة قط . بل إن زعماء الأسرات المحلية أخذوا ينادون كل فى جانبه بحقه فى المطالبة بهذه الحكومة على اعتبارها الشكل الراسخ للمؤسسات. وظل هدف كل منهم استعادة السلطة التى تسربت من بين أيدى ملوك منف.

وتثير حدود الترتيب الزمنى لعصر الانتقال الأول مشكلة . ولكن هناك إجماع على اعتبار أن نهايته تتفق مع النجاح الذى حققه " منتوحتب " الثانى " نب حيت رع " ، وهو الأمير الطيبى الذى اعتبر نفسه هو وأسلافه ، حكام مصر الشرعيين وليسوا أمراء إقليميين ، فوحّد المملكتين بعد أن استردتا استقلالهما كما كان الوضع فى أقدم العصور. وإذا كان هذا الانقطاع متفقا مع واقع سياسى لاجدال فيه ، إلا أنه لاينطبق مع التأريخ المصرى الرسمى سواء ذلك الذى أشرف على تسجيله أمراء طيبة أم تاريخ مانتون الذى يأخذ بالتقسيم إلى أسرات . ومن ناحية أخرى يصعب أيضاً تحديد نهاية الدولة القديمة . فهل بدأت هذه النهاية مع الانحطاط البطىء للسلطة الملكية الذى بدأ زحفه فى عهد "پيپى" الثانى ، أم مع انهيار الأسرة السادسة فى فترة اضطراب أحوال نظام وراثة العرش فى أيام "نيت إقرت " أم خلال الأزمة التى اجتاحت مصر فى ذلك العصر ؟

تعكس رواية مانتون عن أحوال الأسرة السابعة اضطراب المصادر التى استقى منها معلوماته إذ يقول أن مصر قد حكمها " سبعون ملكاً فى سبعين يوماً " . وربما اعتمدت هذه الصيغة على تلاعب فى الألفاظ حول الرقم " سبعة " الدال على هذه الأسرة لإبراز قصر مدة حكمها (Helck : 1956 , 32) . اللهم إلا إذا كان الأمر ينطوى على استعارة تدور حول الرقم سبعين الذى يرمز إلى القوة الخلاقة فى قصة الخلق لمدينة هليوبوليس. . . .

والتزم المصريون صمتا شبه مطبق حول أحداث هذه الفترة المظلمة من تاريخهم . وقد وصلتنا من هذه الفترة شهادة وحيدة في شكل عمل أدبي كتب بأسلوب الإيماءات الغامضة والصور المجازية وإن كنا نجهل المؤلف الحقيقي لهذا العمل الذي ربما كتب بعد وقوع الأحداث التي يدعى أنه كان شاهداً عليها . وحفظ لنا الزمن منه نسخة وحيدة . وجاءنا النص على لسان شخص يدعى " إيپو ور" فيوضح مختلف التجاوزات وأعمال الإبتزاز التي يقول أنه عاصرها ، وتكشف هذه " المراثي " التي كتبت على طريقة " النبؤات " عن هدف سياسي يكمن وراء أسلوبها واختيار ماتقدمه من عناصر . وإذ يستعرض (إيپو ور) أحوال مصر ، يترحم على النظام الذي ساد في الماضي ويصف ماحل بالبلاد من خراب ودمار نتيجة لضعف السلطة وضرورة ظهور ملك قوي . وربما كان يقصد بذلك الملك الذي بشرت بمجيئه نهاية النبؤة التي فقدت للأسف ولم تصل إلينا :

" فقد وقعت أحداث لم نسمع عنها منذ ظلمات الماضي السحيق . إذ قامت الغوغاء بخلع الملك ! أجل إن الذي دفن بصفته " الصقر " قد انتزعوه من تابوته ! لقد نهبت حجرة الدفن وسلب مابها ! ووصل بنا الأمر إلى الحد الذي قامت زمرة من الأفراد - تجهل كل شيء عن أمور الحكم - بتقويض النظام الملكي في البلاد".
.(Admonitions 7, 1- 4)

وانتهكت المقدسات انتهاكا مزدوجا : فلم تقف هذه الزمرة الباغية عند حد حرمان البلاد من مليكها المتربع على عرشها ، وهو الضامن الأوحد لاستتباب النظام ، بل أقدمت على تدمير جسد الملك المتوفى فحرموا بذلك الأجيال السابقة من حياة الآخرة . ودون التلاعب بالألفاظ فقد قوضوا بفعلتهم الشنعاء هذه ، بنية الهرم الكوني فتصدع وتداعى . وأصبحت مصر " عالماً مقلوباً رأس على عقب " . فوقعت فريسة الفوضى الواقفة لها بالمرصاد لتنقض عليها كلما تقاعس الملك عن واجباته أو اختفى ، وهو خليفة الإله الخالق المتجسد فيه . وخلف هذه الجمل التي يتشدق بها المؤلف نستشف أساساً من الحقيقة تؤكد الشواهد غير المباشرة . ويرى البعض أن الأزمة التي اجتاحت مصر هي ثورة اجتماعية ، وهو أمر مستبعد نظراً لأنها لم تفض إلى شكل جديد من الحكومات . بل استمر النظام القديم . وهونفس ماحدث بعد كل " عصر إنتقالي " فما يرويه " إيپو ور " من أحداث انما يشبه هبة أكثر شرائح المجتمع حرمانا والتي لم تتحرك بسبب ماتعانيه من ظلم اجتماعي ، وهو أمر بعيد كل البعد عن روح النظام السياسي السائد ،

انما حدث نتيجة تأثيرات خارجية وفدت على مصر لتجد تربة صالحة فى بلد أصابه الوهن والإنهاك . وبالفعل فقد شهدت نهاية الألف الثالثة قبل الميلاد فترة ساد خلالها مناخ " ساحلى " أصاب فيما اصاب إفريقيا الشرقية على وجه الخصوص ، وجاء القصور الذى أصاب الإدارة المركزية فى مصر ليضاعف من آثار القحط المدمرة . ومما زاد الطين بلة حصول حكام الأقاليم على درجات متفاوتة من الاستقلال ، فتجلى عجز الإدارة المركزية عن أن تفرض عليهم تطهير قنوات الرى وصيانتها لضمان حسن توزيع مياه الفيضان مع احتمال انخفاض مستواه دون الحد المطلوب لسنوات عدة . ونتقدم بملاحظة تدعيما لهذه النظرية وندلل بها أيضاً على تهافت مفهوم " عصر الانتقال " . إذ يبدو أن المجاعة أو القلاقل التى صاحبتها لم تتعد حدود وادى النيل وانحصرت فيها . فعلى سبيل المثال لم تعان مدينة بلاط الزراعية فى الواحات الخارجة وجبانتها المجاورة من أى تدمير أو انقطاع مع نهاية الاسرة السادسة (**Giddy : 1987, 206 sq**) .

ولم تستمر هذه المرحلة الحرجة لأكثر من جيل أو جيلين . غير أن العنف الذى تمخض عنها لم يهدأ فى الحال بل امتد لفترة طويلة نسبياً إذا أخذنا بعلامات الأسى والأسف التى عبر عنها ملك هيراكليوپوليس عندما واجه اضطرابات مشابهة . وماهذا الملك على مايعتقد سوى " خيتى " الثالث صاحب " التعاليم " التى وجهها إلى ابنه بعد زهاء قرن من الزمان :

لقد استوليت على " ثنى " فى لمح البصر ... ولكن انتابنى الحـــزن والأسى إلى الأبد ... لقد وقع أمر منكر فى عهدى : فقد سلبت " ثنى" ونهبت . ولم يحدث هذا حقا نتيجة لتصرفى. فقد علمت بما حدث بعد وقوعه" **Mérikarê.XXVI et XLII**

ويتضح من إعلان" خيتى" الثالث لبراءته أنه لم يكن مسيطراً هو ذاته سيطرة تامة على قواته رغم مرور ردح من الزمن على الاضطرابات . كما لم تختف المجاعة فى ظرف سنة واحدة . ونلحظ أن أجيال الجياع ذات المسلك العنيف ظلت سمة مميزة للمجتمع المصرى لفترة طويلة (**Vandier : 1936**). وزاد الوضع الخارجى من تأزم أحوال مصر الداخلية . ولم يصلنا مايؤكد قيام مصر بأى نشاط خارجى مع من شاركوها الوجود فى أيام الدولة القديمة ، سواء فى سوريا أو فلسطين ، مما يعنى توقف التجارة مع بيبلوس وشرق البحر المتوسط ، أو فى سيناء حيث هُجرت المناجم وتوقف استغلالها . والأدهى من ذلك والامر ، أن البدو " الساكنين فوق الرمال " الذين حاربهم " أونى " فى

زمن سابق أخذوا يجتاحون الدلتا عند نهاية الاسرة الثامنة . ولم تسر الأمور على أفضل من ذلك فى النوبة . وتوقفت الحملات والمبادلات وازدهرت حضارة المجموعة الثالثة بعيدا عن التأثيرات المصرية .

الورثة

فى حين كان وجود الاسرة السابعة صوريا ، فمانعرفه عن الاسرة الثامنة هو أقل غموضا . وقد يصل عدد ملوك هذه الاسرة إلى ثمانية عشر ملكا ، منهم خمسة ملوك على الاقل من الذين وردت أسماؤهم فى القوائم الملكية وأطلقوا على أنفسهم اسم العرش لپيپى الثانى: " نفركارع " . واستنتج العلماء أن هؤلاء الملوك الخمسة هم أبناؤه أو أحفاده : ومنهم على الارجح " نفركارع نبى " وخندو "و " پيپى سنب " . كما وصلتنا معلومات عن أواخر ملوك هذه الأسرة كبعض نسخ من مراسيم صدرت لصالح أسرة الوزير " شيمع " وموطنه الاصلى " كوپتوس " (قفط) . أما "قاكارع " فهو الملك الوحيد الذى أمكن التحقق منه بكل دقة ، فقد حكم البلاد سنتين طبقا لما وردفى بردية تورين . وقد جاء ترتيبه الرابع عشر فى قائمة ملوك هذه الأسرة . وقد تم الكشف عن هرمه فى سقارة القبلية قرب هرم پيپى الثانى . ورغم صغر حجمه إلاأنه قد شيد حسب التقليد المنفى كما غطيت سطوحه الداخلية بالمدونات .

وفى حدود هذه الفترة ، أى بين عامى ٢١٦٠ - ٢١٥٠ ق . م على وجه التقريب لم تكن أحوال البلاد على مايرام . فقد سقطت الدلتا فى أيدى الغزاة القادمين من الشرق والذين أطلق عليهم المصريون " الاسيويين " كاسم جنس . وانحسرت سلطة ملوك الاسرة الثامنة عن معظم أنحاء البلاد ، وانحصرت سلطاتهم على مايبدو فى حدود منطقة منف . أما طيبة فلم تكن قد أصبحت عاصمة الإقليم الرابع حتى ذلك الوقت . وأخذ أمراؤها - وهم خلفاء " ايكنى " يضعون الاسس الراسخة التى سوف تنهض عليها مملكتهم فى المستقبل . أما مصر الوسطى فقد انفصلت لتلتف حول أمراء هيراكليوپوليس عاصمة الاقليم العشرين من أقاليم الصعيد.وقد أطلق عليها المصريون القدماء اسم " ننونيسوت " أى الطفل الملكى . وتعرف حاليا باسم اهناسيا المدينة . وهذا الاقليم خصب غنى بخيراته . كما يتميز بموقعه الاستراتيجى على بحر يوسف جنوبى مدخل الفيوم على طريق التجارة بين الشمال والجنوب . وظل بسبب موقعه بعيدا عن الغزوات الزاحفة من الشمال . كما استفاد من زيادة حركة التجارة التى ترتبت على

استعمار النوبة . واستأثر " مرى ايب رع خيتى " الأول أمير هيراكليوپوليس بالسلطة. فلم يلق معارضة من حكام الأقاليم الآخرين . وقد عثر على اسمه مدونا فى عدة مواقع وحتى أسوان . وأسس أسرة جديدة هى الأسرة التاسعة حسب مانتون . ولم تدم سنوات حكم هذه الأسرة طويلا فناهزت الثلاثين عاما من ٢١٦٠ الى ٢١٣٠ ق . م . وتلتها الأسرة العاشرة التى استمدت منها شرعيتها . وكانت أسماء العرش التى حملها ملوك هيراكليوبوليس وهى " مرإيب رع " و " نفركارع " و" نب كاورع " تظهرهم كخلفاء للأسر المنفية وربما أبقوا على منف كمركز إدارى (Vercoutter : 1987 , 142). فقد دفن " ايبى" فى سقارة حيث عثرت بعثة هانوڤر وبرلين الألمانية على جبانة معاصرة له . وهو دليل على استمرار النشاط فى هذا الموقع . Leclant &) Clerc , Or 55 (1986) 256 - 257) كما يفترض أن سقارة قد بقيت الجبانة الملكية فى ظل الأسرة العاشرة . حيث تشير الروايات المتواترة إلى وجود موقع هرم " مرى كارع " على مقربة من هرم " تيتى " . ولكن الامر لايخرج عن مجال الافتراضات. فكل مانعرفه عن هؤلاء الملوك هو أسماءهم فقط . ويجد العلماء صعوبة فى تفسير المعطيات النادرة التى منّ بها علينا علم الآثار . ففى بلدة دارا الواقعة على مقربة من مدينة منفلوط الحديثة ، حيث يبدأ درب الطويل المؤدى إلى الواحة الداخلة عثر المنقبون على سبيل المثال على جبانة بأكملها . ومن الواضح أنها جبانة ملكية . ويرتفع فى وسط الجبانة هرم ينسب إلى ملك يدعى " خوى " الذى يندرج ضمن ملوك الأسرة الثامنة دون دليل قاطع (V . Beckerath : 1984 , 60) إن العودة إلى مباشرة أعمال التنقيب التى بدأها المعهد الفرنسى للدراسات الشرقية بالقاهرة فى الماضى فى بلدة دارا سوف يلقى الضوء على هذه المرحلة من تاريخ مصر الوسطى.

زعماء مدينتى هيراكليوپوليس وطيبة

امتد حكم الأسرة العاشرة إلى أكثر من مائة سنة وتجاوز مدة حكم الأسرة التاسعة القصير . كما لايكتنف هذه الأسرة الغموض الذى أحاط بالأسرة التاسعة . واتخذ مؤسس هذه الأسرة لنفسه لقب " نفر كارع " . فكان على مايبدو سابع ملك يحمل هذا اللقب وأطلق عليه مخربش من حتنوب لقب " مرى حتحور " أى " محبوب حتحور (Vercoutter : 1987 , 143) أو ربما " مر إيب رع " على الأرجح LÄ VI 1441 n.5 . الأمر الذى يوثق روابطه مع تقليد مدينة منف الذى يدعى الانتساب إليه . ونشأت الخلافات بين خليفته وبين جيرانه من زعماء الجنوب الذين قاموا

	هيراكليوبوليس (اهناسيا المدينة)	طيبـــــة	اسيوط الإقليم ١٣ الصعيد	الوعل الإقليم ١٦ الصعيد	هيرموبوليس (الأشمونين) الإقليم ١٥
١٠٦٠	**الأسرة التاسعة** "مرى إيب رع خيتى" الأول				
					"عحا" الثانى
	(س) "نفر كارع" "نب كاورع (؟) خيتى" الثانى	" أنتف" القديم "		"باكت" الثانى	"چحوتى نخت "
		الأسرة الحادية عشرة			
		" منتوحتپ " (الأول) -			
٢١٣٣	**الأسرة العاشرة**				
٢١٣٠	" نفر كارع مرى إيب رع "	" سهرتاوى "			"چحوتى نخت" الثانى
		"أنتف " الأول	"خيتى" الأول		"چحوتى نخت" الثالث
	واح كارع خيتى الثالث		"تفـإيبى"		"چحوتى نخت" الرابع
٢١١٨		"واح عنخ أنتف " الثانى	"خيتى الثانى"		
٢٠٧٠	" مرى كارع "				
٢٠٦٩		" أنتف " الثالث			
٢٠٦١	(س)	"منتوحتپ" الثانى: "سى عنخ إيب تاوى"		"باكت" الثالث	" نهرى "
٢٠٤٠		"منتوحوتپ" الثانى "نب حپت رع"			" چحوتى نخت " الخامس
٢٠٠٩		"منتوحوتپ" الثالث			
١٩٩٧ - ١٩٩١		"منتوحوتپ..." الرابع			

شكل (٦٨) – جدول الترتيب الزمنى للأسرات من التاسعة إلى الحادية عشرة.

مع أسماء حكام أقاليم مصر الوسطى.

بدورهم بالاستيلاء على السلطة . فبعد انهـــيار حكومـــة منف المركزية اجتازت مصرمرحـــلة أولى شهدت خلالها البلاد لعبة تحالف الأقاليم مع السلطة الشرعية أو ضدها . وحاول كل إقليم أن يجرب حظه فعمل على تدعيم مواقعه الخاصة . وقد تخلى جميع الباحثين فى الوقت الراهن عن فكرة إقامة مملكة فى أبيدوس وأخرى فى مدينة كوپتوس . حتى وإن استساغ البعض فى الماضى هذه الفكرة نظرا لموقع مدينة كوپتوس المتطرف القصى عند مدخل وادى الحمامات . وسرعان ما توثقت منذ وقت مبكر العلاقات بين أفراد عائلة الوزير " شيمع " الذى أشرنا إليه من قبل وجيرانهم فى طيبة ، عندما وقع الصدام بين زعماء هيراكليوپوليس وطيبة . إن السيرة الذاتية للمدعو " عنخ تفى " تكشـــف النقاب عن هذه الأحـــداث . وكان " عنـــخ تفى " رئيـــس إقليم " حفات " –

المعلة حاليا - وهو الاقليم الثالث من أقاليم الصعيد . ويقع على مسافة حوالى ٤٠ كيلو متراً جنوبى الأقصر . فلنترك له الكلمة :

" الأمير والحاكم وخازن الملك للوجه البحرى والصديق الأوحد والكاهن المرتل وقائد الجيش ورئيس المترجمين وحاكم المناطق الجبلية والرئيس الأكبر لإقليمى إدفو وهيراكونپوليس . يقول " عنخ تفى " :

" أرسلنى حورس الملك إلى اقليم إدفو للسهر على مصالحه وإعادة النظام إلى نصابه . ونفذت ماطلب منى على الفور ، ... ووجدت ضيعة " خوو " (إدفو) وقد غمرتها المياه وتحولت إلى مايشبه مزرعة أسماك من جراء إهمال المسئول عنها وماأصابها من خراب بسبب تصرفات الملعون . ونشرت الأمن فى ربوع إدفو . فتصالح القاتل على ابن ضحيته أو شقيقه (...) .

" ولم أفرق بين البشر . ولاقى كبيرهم وصغيرهم نفس القدر من اهتمامى . وكنت أنا صاحب الحل الصائب . فأتقدم به عندما تفتقر إليه البلاد ولاتجده ، وذلك بفضل قراراتى الحكيمة . وعندما انعقد العزم على توحيد الأقاليم الثلاثة كنت بارعا فى أقوالى، ثابتا فى شجاعتى . فأنا عنوان الجسارة ، وليس كمثلى أحد . كنت رجلا مقداما ، أعلن رأيه على رؤوس الأشهاد فى زمن سكت فيه البشر ولم يتكلموا . يومئذ عم الخوف وساد ، بينما خيم الصمت على الصعيد "

" وحضر قائد أرمنت العسكرى وأخبرنى قائلاً : " هيا احضر أيها الجسور ! ابحر جنوبا حتى قلاع أرمنت " . فأبحرت جنوبا صوب المناطق الواقعة غربى أرمنت . ولاحظت أن جميع قوات طيبة وكوپتوس قد استولت على قلاع أرمنت بعد أن اقتحمتها ! (...) ورسوت على البر الغربى لأقليم طيبة (...) وسعت صفوة قواتى إلى خوض المعركة فى المنطقة الغربية من إقليم طيبة . فلم يتجاسر أحد على الظهور لمواجهتها وأصاب الهلع الجميع . عندئذ أبحرت جنوبا ورسوت على البر الشرقى لإقليم طيبة (...) وتولت قواتى الجسورة ، اجل قواتى الجسورة ، أعمال الاستطلاع غرب طيبة وشرقها ، سعيا لخوض المعركة . فلم يتجاسر أحد على الظهور لمواجهتها وأصاب الهلع الجميع (...) " .

"وكان الصعيد بأكمله يتضور جوعاً . ووصل الأمر بكل منهم الى أن اضطر الى أكل أطفاله . اما أنا فقد أبيت أن يهلك الناس جوعا فى هذا الإقليم . فقدمت سلفة حبوب إلى الصعيد . ومنحت الشمال حبوب الصعيد . وفى حدود علمى لم يفعل من سبقنى من حكام الأقاليم مايشبه ذلك (...)" .

ويفضلى عاشت أقاليم هيراكونپوليس وإدفو وإلفنتين وأمبوس (كوم امبو) ، ودبّ فيها النشاط ".

(**Inscriptions 1 - 3 , 6 - 7 , 10 et 12 = Vandier : 1950 , 161 - 242)** "

كان " عنخ تفى " حاكمَ هيراكونپوليس مواليا إذن لعاهل هيراكيلوپوليس (إهنـــاسيا) وهو " نفر كارع " السابع على الأرجح . ومن الملاحظ أن جذور ألقابه ضاربة فى تربة التقاليد المنفية وتتجاوز حدود منصبه كحاكم محلى ، صحيح أن أمير هيراكونپوليس كان يشغل فى نفس الوقت منصب القائد العام ورئيس الكهنة والمترجمين والمناطق الجبلية (أى الشئون الخارجية) وحامــل خـتم " ملك الوجه البحرى " . إلا أن الدلائل تشير إلى حجم مملكة هيراكليوپوليس المحدود . وتبرز سمة أخرى . فبقدر مايبرز "أونى " ألقابه القومية بقدر ماكان يشعر " عنخ تفى " بأنه فى المقام الاول حاكم مقاطعة. فهو لايرأس منطقة جغرافية بل هو رئيس ثلاثة أقاليم . كما أنه لم يصبح حاكم إدفو إلا بعد أن تخلص من " خوى " حليف طيبة . هنا أيضا نلحظ التفاوت بين عبارات التفخيم الملكية وواقع المساومات الدبلوماسية . وأنـها تحجب هذا الواقع أكثر مما تعبر عن الاستتباب الحقيقى للأمن والنظام .

ووقعت أهم المعارك حول أرمنت مدينة الإله مونتو فى قلب جنوب مصر العليا . وهى تجسد مدى سلطة زعماء طيبة الذين تحالفوا مع زعماء قفط . وقد التزموا حدود مقاطعتهم بسبب الضغوط التى مارستها عليهم قوات أقاليم مصر العليا الثلاثة الأولى ، ورفضوا خوض أية معارك . ولايوضح النص الذى استشهدنا به مآل هذه الاشتباكات التى توقفت بسبب انتشار المجاعة دون شك . اللهم إلا إذا كان " عنخ تفى " قد أراد أن يتجنب سرد مانالـه من هزائم . فخص الجانب الأخير من سيرته الذاتية لرواية أعمالـه السلمية . ومن المحتمل أنه قد تكبد الهزيمة وإن كان الانتهاء من تشييد مقبرته دليلا على أنه لم يعرف شخصيا الهزيمة .

وكان خصمه وغريمه هو الأمير" أنتف " الأول مؤسس الاسرة الملكية الطيبيـة . وقد جلس على العرش وتلقب بالاسم الحورى " سهرتاوى " ومعناه " الذى أعاد الهدوء إلى الارضين " . وبعد انقضاء خمسة قرون سوف يتخذ نفس هذا الإسم موحد مصر الطيبى " كامس " . ولايعتبر" إنتف " الاول ، هذا مؤسس الأسرة الطيبية بل لقد سبقه أميران غيره. و بداية ظهر عميد هذه الأسرة الأمير " أنتف " و قد ورد اسمه فى " حجرة الأجداد "

في معبد الكرنك هو وخلفه " منتوحوتب " الأول بوصفهما من حكام الأقاليم . وربما كانا معاصرين لأواخر الأسرة الثامنة . وقد بايعا زعماءها ربما من منطلق عدائهم للسلطة الصاعدة في هيراكليوپوليس . وقد قدمت الشعائر الدينية لـ " إنتف" هذا، في عهد " سنوسرت " الأول بصفته مؤسس الاسرة الملكية ، تماما مثل "منتوحوتب " الأول الذى أطلق عليه اسم حورى مختلق هو " تيتى عا " أى " الجد الأول " وهو والد " أنتف " الأول الذى أعلن نفسه الحاكم الأعلى لمصر العليا قبل أن يعلن نفسه ملكاً.

أصبح " أنتف" الأول سيد الجنوب بعد ما حققه من انتصار محتمل على " عنخ تفى" وامتد نفوذه من كوپتوس على أقل تقدير ليشمل دندرة والأقاليم الثلاثة التى سيطرت عليها هيراكونپوليس. واستأنف خلفه "أنتف" الثانى "واح عنخ" القتال ضد هيراكونپوليس حيث اعتلى "خيتى" الثالث العرش. ودارت رحى المعارك هذه المرة على أرض مصر الوسطى التى حاول زعماء طيبة انتزاعها من ملوك الشمال.

لقد أصبح من السهل تتبع تاريخ المعارك التى دارت رحاها فى مصر الوسطى خلال هذه الفترة الزمنية بفضل المعلومات التى توفرت من خلال جبانات أهم أقاليم الصعيد الثلاثة وهى الأقاليم الثالث عشر والخامس عشر والسادس عشر . وكانت هرموپوليس (الأشمونين) عاصمة الإقليم الخامس عشر ، حيث يفترض أن الإله " شو " رفع السماء . وقد دفن امراؤها فى البرشا على مسافة بضعة كيلو مترات شمالى مدينة ملوى . وتسمح مقابرهم العشر بتخيل تكوين أسرة حاكمة بأكملها ادعت ارتباط نسبها بملوك منف . ويمكن متابعتهم بدءا من " عحا " الثانى المعاصر للملك " خيتى " الأول ثم " جحوتى نخت " الأول فالثانى فالثالث الذى سلم السلطة فى عهد الملك " نفر كارع " إلى " عحانخت " الذى خلفه " جحوتى نخت " الرابع الذى عاصر الصراع الذى احتدم بين " خيتى " الثالث و " أنتف " الثانى " واح عنخ" ، دون أن يكون طرفا فيه على مايبدو. ولايشترك إقليم الأرنب فى الصراع إلا حوالى عام ٢٠٤٠ ق.م خلال الفتح النهائى الذى قاده " منتوحوتپ " الثانى . وقد شغل " نهرى " حاكم هذا الإقليم منصب الوزير أيضا كما كان على رأس إحدى فرقتى هيراكليوپوليس . واقتصر نشاطه على حماية مقاطعته . يساعده فى ذلك أبناه " كاى " وآخر سيصبح فيما بعد "جحوتى نخت " الخامس الذى حافظ على علاقات حسن الجوار مع طيبة حتى أن أسرته كانت لاتزال تحكم هرموپوليس فى عهد سنوسرت الثالث.

وإلى الشمال يمتد الإقليم السادس عشر اقليم الوعل . وتقع جبانته فى بنى حسن أمام مدينة المنيا ، وقد ظلت الأوضاع فى هذا الإقليم تشبه إلى حد بعيد الاوضاع السائدة فى الإقليم الخامس عشر المجاور . وكان أمراء الإقليم السادس عشر يرتبطون بصلة قرابة مع أمراء الإقليم الخامس عشر . ولكنهم ظلوا على الحياد فى الصراع الدائر . ثم أصبحوا موالين لطيبة فى عهد " باكت " الثالث المعاصر " لمنتوحوتب " الثانى . وأعطت هذه السياسة أكلها اذ احتفظت هذه العائلة بالسلطة بعد الفتح الطيبى .

أما مقاطعة أسيوط فقد عاشت أكثر من غيرها هذه الأحداث إذ كانت قلب هذه المجابهات . ويمكن متابعة تاريخها ابتداء من حوالى عام ٢١٣٠ ق. م فى عهد الأمير "خيتى " الأول الذى يشير اسمه إلى مدى الولاء الذى كان يكنه لزعماء هيراكليوپوليس . ويتفاخر بأنه جنّب إقليمه المجاعة فلجأ إلى تقنين توزيع المواد الغذائية . بل إنه وسع الرقعة الزراعية بفضل سياسته الحكيمة فى مجال تنظيم الرى . وسار خليفته " تيف ايبى" على نهجه بينما واصل القتال ضد طيبة لحساب الملك "خيتى " الثالث . وبلغت المقاطعة مستوى رفيعاً من الرخاء والازدهار فى عهد " مرى كارع " الذى أقام الامير خيتى الثانى حاكما : فقام بترميم معبد أسيوط وجمع جيشا لايستهان بقوته (شكل ٧١ و ٧٢) .

لم تكن المجابهة بين الشمال والجنوب حرباً مستمرة بل كانت بالأحرى حالة من السلم المزعزع . فاستغل كل معسكر هذه الأوضاع لتدعيم مركزه . لقد ولت وانتهت تلك الايام التى انتشرت فيها المجاعة وعمت القلاقل الاجتماعية . وسيتولى المنتصر توحيد بلاد كانت قد استعادت قواها بالفعل .

فلنعد الى أسرة هيراكليوپوليس . لقد سبق أن رأينا كيف يستعيد " خيتى " الثالث إلى الأذهان فى " التعاليم " التى اوصى بها ابنه " مرى كارع " المعارك التى اندلعت للسيطرة على " ثنى " ، ولكن اهتمامه انصب على الموقف فى شمال البلاد ، فخاض بنجاح معارك التحرير وطرد البدو والآسيويين ، وأعاد تشكيل التنظيم الإدارى للبلاد وقسمها إلى أقاليم وضعت تحت سلطان العاصمة القديمة ، بعد أن كانت " سلطة رجل واحد فى يد عشرة " . وأعاد تطهير قنوات الرى وعمر شرقى الدلتا بالمستوطنين . أما عن الجنوب فإنه ينصح ابنه بان يتوخى الحذر . وأن يحسن إدارته فحسب ، ليضمن رخاء رعاياه " فمن امتلأت داره بالخيرات لايثير القلاقل . فالغنى لايعرف الفاقة " . وشجعه على إعادة بناء قوى مملكته مع إقامة جيش قوى ترقبا لأى صدام محتمل مع طيبة .

وكان " خيتى " الثالث آخر ملوك هيركليوپوليس العظام . واتسمت سياسته فى الداخل بقدر كبير من الحكمة ولكنها لم تلق على مايبدو نجاحا كبيرا فى الخارج . وبالفعل فقد اكتشف اوجست ماريت عام ١٨٦٠ فى منطقة الطارف بجبانة طيبة الهيكل الجنائزى لـ " إنتف " الثانى وبداخله نصبا دَوّن عليه ملك طيبة مسردا يروى فيه فتح صعيد مصر فيقول :

" لقد نقلت الحدود الجنوبية (لمملكتى) حتى إقليم واچت " (الإقليم العاشر من أقاليم الصعيد) .(...) لقد استوليت على أبيدوس والمناطق المحيطة بها . واقتحمت شتى قلاع إقليم " واچت " فصار بوابة (مملكتى) . (CGC 20512) .

كما نعرف من جانب آخر، بفضل التمثال الذى اكتشف فى معبد " حقا إيب " فى جزيرة الفنتين ويصوره مرتديا عباءة " الحب سد " أن سلطانه قد امتد حتى الجندل الأول وربما شمل جانبا من النوبة السفلى . الأمر الذى يؤكد قيام الحملة التى قادها " چيمى " من الجبلين حتى بلاد "واوات". وعندما حل محله "أنتف" الثالث كانت طيبة قد بسطت سلطتها على الصعيد حتى جنوبى أسيوط. وفى هذه المنطقة دارت رحى المعارك الأخيرة التى انتهت بتوحيد البلاد بشكل نهائى تحت قيادة "منوحتپ" الثالث ابن "أنتف" الثالث والذى نستهل به الدولة الوسطى.

الحكمةوالتشاؤم

كان من المنتظر ان تصبح المرحلة الانتقالية الأولى بمصر مرحلة جهالة وردة ثقافية . ولكن واقع الأمر كان بعيداً كل البعد عن هذا التصور، إذ حفزت هذه الاضطرابات المصريين فكريا وثقافيا خلافاً لماكان متوقعاً. فتصدوا لمواجهة انهيار بعض قيم المجتمع ، بالبحث عن صياغة جديدة لموقفهم فى الكون . لقد ضعفت صورة النظام الملكى من جراء عجز الملك والصراعات التى احتدمت حول عرش البلاد . وكان النظام الملكى كما عرفنا من قبل قد أخذ يتداعى منذ الأسرة السادسة. ولم تعد الدولة هى الإطار الراسخ الآمن. وحُرِم الفرد من كل حماية وصار عُرضة لعنف من هو أقوى . وجاءت الأعمال الأدبية متأثرة بالقلق الذى تولد عن هذا الموقف، وجاءت جميعها على إختلاف فنونها مطبوعة بتشاؤم واضح .

سبق أن تعرفنا على «التعاليم الموجهة إلى مرى كا رع» التى ترجع إلى عصر هيراكليوپوليس استناداً الى أن مؤلفها هو "خيتى" الثالث على ما يظن . وقد اقترح هذا الأسم رغم عدم ذكره صراحة بناء على ما ورد فى "التعاليم" من أنها موجهة من سلف

"مرى كارع". ووصلنا هذا النص من خلال ثلاث نسخ ناقصة ترجع إلى الأسرة الثامنة عشرة، نقلت جميعها من أصل يرجع إلى الدولة الوسطى . وربما كان هو أيضا نسخة منقولة . إن استمرار نسخ هذا العمل الأدبى بعد انقضاء زمن طويل على الأحداث التى يسردها يؤكد مدى تقدير المصريين لهذا النص . ويتفق هذا العمل رفيع المستوى فى هذه النقطة مع نص آخر لـ "تعاليم" تنسب إلى الملك "امنمحات" الأول الذى يتضح من دراستها أنها أقرب إلى العمل الدعائى منها الى الشهادة التاريخية . إن تقارب المواضيع التى يعالجها النصان أمر واضح جلى . (Volten : 1945) فيزخر العملان بالاستشهادات الأدبية وينم بناؤهما الفنى عن سعة ثقافة من سطراهما وسعة اطلاعهما على كل ما يُكتب. ولا يهمنا فى شىء أن يكون "مرى كارع" قد ألف هذه " التعاليم" الذى يُزعم أنها قد وصلته عن والده ليبرر بها سياسته أم لم يؤلفها. فأحاديث "خِيتى" الثالث تَروى على لسان أحد الملوك ما ألفناه وعرفناه من "حكم" الدولة القديمة . نذكر منها حكم "پتاح حوتپ" أو "كاجمنى" التى ربما جُمعت أفكارها ، بل تم تأليفها فى هذا العصر . وهى عبارة عن توجيهات من الأب إلى ابنه لضمان تحقيق النجاح فى الحياة وفى مهنته . والإبن خليفة الأب فى منصبه ووظيفته . فيواصل النظم التى أقامها الأب بفضل إتقانه تقنية العمل التى ورثها بدوره عن سلفه . إن طريقة توارث المعرفة ، خلفاً عن سلف ، هى وحدها التى تضمن دوام النظام واستقراره . وبالإضافة إلى ما سجلته " التعاليم الموجهة إلى مرى كارع " من "حكم" نمطية فإن من سماتها البارزة نظرتها الثاقبة لخصائص مهام الملك . فلا يتردد "خيتى" الثالث فى الاعتراف بما ارتكبه من أخطاء . ويستحث ابنه على مراعاة ذلك . كما يشجعه على معاملة الأعيان وكبار الموظفين باللين ومداراتهم تجنباً لأى مواجهات محتملة معهم ... فما أبعدنا عن عاهل الأسرة الرابعة المطلق الصلاحيات وهيمنته الشمولية ! بل وزيادة على ذلك يشير " خيتى " إلى ما كان يستحيل حدوثه فى وقت سابق من حساب الملك بعد وفاته على افعاله ومكافأته عليها:

«إنك تعلم أن القضاة الذين يحاسبون التعساء لا تعرف قلوبهم الرحمة يوم محاكمة الأشقياء والنطق بالحكم . وانه لمشهد رهيب أن يوجه أحد الحكماء الإتهام ! فلا تضع ثقتك فى الزمن الذى يمضى مهما طال . فالحياة بالنسبة للقضاة لا تتعدى ساعة زمن . فعندما يصل المرء إلى شاطىء الموت توضع أفعاله بجواره أكواماً . إنه خلود الأبدية ! »

Mérikarê XIX - XX

كما نصادف هذا الاهتمام بالعالم الآخر فى مؤلف معاصر ينتمى إلى فن أدبى مختلف كل الاختلاف. إنه حوار يدور بين يائس من الحياة وروحه أى الـ "با". إنه حوار فريد فى

الأدب المصرى - وقد وصلنا من خلال بردية ترجع الى الأسرة الثانية عشرة محفوظة فى الوقت الراهن فى برلين - ودوّن على ظهر البردية مؤلف لا مثيل له أيضا، وهو لقاء ابن راع قلق على مصير قطيعه بعد انخفاض مياه الفيضان وبين إلهة... فهل يمكن اعتبار قصة "الراعى والإلهة" قصة خرافية؟ إن المجاز السياسى واضح جلى. ولا يتطلب الأمر البحث وراء تأثيرات " أسطورة جلجامش " فخلفية الاضطرابات والمجاعة بمصر خلفية كافية لتفسير هذا التشبيه أو هذا المثل. ويختلف لون صياغة "حوار اليائس من الحياة مع روحه"، فهى ملاحظات مهمومة لشخص يواجه حياة تئن تحت وطأة عنف الأشرار:

"مع من اتحدث اليوم؟
الإخوة صاروا أشراراً
وأصدقاء اليوم لا يعرفون للحب معنى!
مع من أتحدث اليوم؟
إن رغبة التملك تملأ قلوب البشر.
ويحاول كل منهم الاستيلاء على خيرات جاره!
الإنسان المسالم يذبل
والقوى يسحق الجميع!
مع من أتحدث اليوم ؟
لقد انتصر الشر فى كل مكان
والخير طُرح أرضا!"

(Lebensmüder 103 - 109 ,)

ويشعر " اليائس " انه أعزل ويستدعى الموت ليخلصه مما هو فيه:

" لقاء الموت اليوم
كالبرء بعد مرض
كمغادرة الدار بعد ألم .
لقاء الموت اليوم

كرائحة المرّ العطرة

كالجالس تحت مظلة لينعم بالهواء العليل.

لقاء الموت اليوم

كرائحة زهرة اللوتس

والجلوس عند شاطىء السكرة .

لقاء الموت اليوم

كدرب المطر الهاطل

وعودة الجندى إلى داره .

لقاء الموت اليوم

كانقشاع السماء

والكشف عن لغز محير.

لقاء الموت اليوم

كاشتهاء الإنسان العودة إلى ذويه

بعد طول سنين فى الأسر اللعين ! "

(Lebensmüder 130 - 142)

كما وصلنا مؤلف من نمط فنى آخر يزخر بإشارات قيمة عن مجتمع العصر الانتقالى الأول والأخلاق السائدة فيه. إنها قصة لم يحفظ لنا الزمن منها سوى نسخ مدونة على البردى ترجع إلى أواخر الأسرة الثانية عشرة وأوائل الأسرة الثالثة عشرة ولم تصلنا أية نسخ لاحقة . مما يدفعنا إلى الاعتقاد أنها لم تشكل جزءاً من التعليم الكلاسيكى الذى يحصل عليه الكتبة .

إنها قصة فلاح أو بالأحرى واحىّ من سكان وادى النطرون . كان يكسب قوت يومه من الإتجار بمنتجات واحته مع وادى النيل فى عهد " نب كاو رع خيتى " الثانى. واثناء توجهه الى العاصمة وعند نقطة تقع عند مستوى منطقة دهشور مرّ بضيعة يشرف عليها

موظف جشع يدعى « نمتى نخت» الذى أوقعه فى شرك كان ينطوى على حيلة بسيطة فقد بسط "نمتى نخت" فى طريق الواحى قطعة قماش ليجبر حمار الواحى أن يطأ جانباً من حقل يمتلكه. وأثناء مرور الحمار اقتلع بعض عيدان الشعير وأكلها . ورأى المشرف على الضيعة الفرصة سانحة لينقض على الواحى ويقبض عليه ويستولى على ما يحمله من خيرات . وتقدم الواحى بشكواه إلى "رينسى بن ميرو" الذى كان يدير الضياع لحساب الملك والذى كان يبارح منزله لتوه ويهم بالإبحار على متن سفينته :

" ياكبير الأمناء ، يا سيدى ، ياعظيم العظماء. إنك ترعى كل موجود! إذا هبطت أنت فوق سطح بحيرة العدالة فأبحرت مع هبوب الرياح المواتية وامتلأ شراعك هواءً، فلن تتباطأ سفينتك فى سيرها. ولن تصاب ساريتها بعطب ولن تتحطم عوارضها ولن يجرفك التيار لحظة رسوك ، ولن يسحبك ، ولن تعانى من متاعب النهر ! لن يخافك أحد . فتتجمع الأسماك من حولك جماعات. وتلمس بيدك من الطيور أسمنها. أنت والد لليتيم. وزوج للأرملة . وأخٌ للمطلقة . أنت نقبة من ماتت أمه . دعنى أعمل ليطبق صيتك الآفـــاق ، بعيداً عن أفضل القوانين. إنك ترعى كل موجود. ولا تعرف الجشع . أنت العظيم المنزه من كل دنىء! اقـــض على الكـــذب ! لينبثق العـــدل والحق! استجب لشكواى ! إنى ارفع صوتى كى تسمعنى وتقم العدل ! أنت الذى يثنى عليه من ينالون ثناء الآخرين ، لأنك طردت البؤس . أجل لقد قبض على أنا لأمثل أمام القاضى وصرت معدماً ! " (Conte du Paysan B1 , 53 - 71) .

وسرعان ما يشك الفلاح فى تواطؤ «رينسى" مع من سرقه عندما وجد أنه لم يستجب إلى عريضته الأولى التى تقدم بها. ولكن "رينسى" نقلها إلى الملك الذى عُرف عنه ولعه الشديد ببلاغة رجال القضاء . فترك الواحى يترافع عن قضيته حتى تبلغ مرافعاته تسعاً . وقد تكفل طوال هذه المدة بأسرته دون علمه. ومرّ الواحى المسكين بلحظات أمل وضيق . فلما كان يظن أن النصر صار قاب قوسين ويتفاخر قبل الأوان بما حققه ، إذا بهم ينهالون عليه ضرباً. ولما انتهى من دفاعه التاسع أيقن انه قد خسر كل شىء واستعد لمواجهة الموت فسلّم أمره للإله "أنوبيس" . وعندئذ رأى النصر يتحقق . فقد أقر الملك بحقه السليب ووهبه كل ممتلكات مشرف الضيعة "نمتى نخت" لما لمسه من عدم أمانته .

لقد زخرت بلاغة الواحي بزخرف اللفظ وكانت أكثر من مجرد تسلية . فقد بنى كل خطاب من خطاباته بحيث يبرز من خلال أسلوب مجازى المجابهة التى تحتدم بين القوى السلبية والقوى الايجابية ، وتمزق مجتمع ذلك العصر. إن التفاؤل الذى يصبغ نهاية القصة يكشف عن طبيعة هذا العمل الأدبى. فالملك بما لديه من سلطان يستطيع أن يعاقب الأشرار ويعيد التوازن إلى سابق عهده . واستناداً إلى هذه النهاية يميل البعض إلى اعتبار ان القصة ترجع إلى الدولة الوسطى. ولكن يجدر الملاحظة أن الشاكى قد تقدم فى نهاية المطاف بحجته الأخيرة عندما لجأ الى الإله "أنوبيس". فالواحى يحمل إسم " خو - إن - انپو " الذى يعنى «المحمى من قبل "أنوبيس"» ، ومن ثم فهو فى حمايته وتحت رعايته . فهل يعنى ذلك أن تأمين العدالة فى الدنيا لا يتحقق إلا بفضل محكمة الآلهة بما تثيره من رهبة فى نفوس الأحياء ؟ ودون الوصول إلى هذه النتيجة قد نكتفى بملاحظة أن المصريين قد تخلوا عن ركونهم المطلق إلى قرار يصدره الملك. وأصبح مصيرهم الجنائزى يتوقف على ما يقدمونه من كشف حساب.

الإنسان يواجه الموت

هذه الفكرة جديدة وترتبط بتطور الدور الجنائزى لـ «أوزيريس» . وقد سبق أن رأينا فى هياكل «المصاطب» أن المتوفى يظل على علاقة بـ «أوزيريس» نظراً لقيامه برحلة الحج إلى أبيدوس ، إذ ساد الاعتقاد أن هذه المدينة المقدسة تضم رفات الإله . كما لقّب الملك فى "متون الأهرام " بـ " أوزيريس" دون أن يتخلى مع ذلك عن مصيره الشمسى فى العالم الآخر . لقد ظهر " أوزيريس " فى أساطير الخلق الكبرى واندمج فيها . ولكنه بقى فى المقام الأول حلقة فى السلسلة التى تربط الخالق بالبشر . ومع "نصوص التوابيت" التى ظهرت أول ما ظهرت قرب نهاية الدولة القديمة ، إذا بالمتوفى يحاكم أمام محكمة "أوزيريس " !.

ولا يقصد بذلك حدوث ثورة بمعنى الكلمة ، بل تآلف بين عنصرين . العنصر الأول هو تداعى سلطة منف الذى يفضى إلى ما اصطلح على تسميته بـ "إشاعة ديمقراطية" الامتيازات الملكية ، وقد لاحظنا ذلك من قبل فى الفن اللاحق على الأسرة الرابعة . كما أن اتساع سلطات زعماء الأسرات المحلية قد لازمه قدر من الاستقلال الجنائزى . فصاروا يتحكمون فى مصيرهم فى العالم الآخر ، ولكن دون الركون إلى الإله الخالق الذى ظل حكراً على الملك. بل اعتمدوا على إله إقليمهم الذى كان يعلو شأنه كلما علا شأنهم . ومن ثم تبوأت الآلهة الصغرى فى الدولة القديمة مرتبة أرقى فى هرم المراتب الإلهية .ونذكر

"واپ واوات" إله أسيوط ، و "خنوم" إله إلفنتين ، و"مونتو" الذى سبق أن شيدت له المعابد فى أرمنت ، والطود والذى أصبحت أمجاده من أمجاد أمراء طيبة ، و " آمون " الذى هجر هرموپوليس ليشارك "مين" إله " كوپتوس" (قفط). وتراجعت السمة التى اختص بها فى معاونة المصابين بالاختناق ليصبح "آمون رع" ملك الآلهة من خلال اندماج إلهين... واستفاد "اوزيرس" دون منازع من هذه التحولات التى رسّخت من شعبيته . ولكن هذا لا يفسر كل شيء .

يفوز الملك بعد وفاته بمكانة بجوار "رع" بعد أن أنجز مهمته على خير وجه. فقد كان الحافظ الضامن لتوازن الخلق أثناء حياته . ومن الواضح أن الفرد العادى لا يستطيع أن يعتمد على هذه الحجة كمبرر لقبوله وسط الأبرار. فشرعيته من نفس نوعية الشرعية التى يعتمد عليها الملك . ولكن بعد نقلها إلى مستواه الخاص . فالمطلوب منه إنجاز مهمته فى الدنيا على أكمل وجه ، أي لا يكون قد عرض المجتمع للمخاطر بأى شكل من الأشكال . وقامت أخلاق المجتمع على هذه الأسس ، فكانت حِكَم "پتاح حوتپ" من أولى مظاهرها مع حلول الأسرة الخامسة . اللهم إلا إذا اعتبرنا أن تأليف هذا الفن الأدبى قد حدث خلال مرحلة الاضطرابات ، فهذا يفسر ذاك . فمن أحجم عن القيام بوظيفته فى المجتمع ، مجرم فى نظر الخالق ولا يحق له بالتالى الاندماج فى الكون بعد وفاته ، بعد أن رفض أن يضطلع بالدور المنوط به خلال حياته . وتلك هى دلالة المسارد التبريرية الواردة في السير الذاتية التى انتشرت خلال الدولة الحديثة فيما عرف اصطلاحاً " باعلان البراءة " الذى يفصله المتوفى أمام محكمة " أوزيريس " ناقلاً إلى العالم الآخر ما اعتبره ناموس سلوكه فى هذه الدنيا :

«إنى لم أكن جائرا على بشر .

إنى لم أعامل الناس بالسوء .

إنى لم أرتكب خطيئة فى «مكان الحق».

إنى لم أحاول معرفة ما لا ينبغى معرفته.

إنى لم آت شراً.

إنى لم استهل يومى بالحصول على عمولة من جانب من يعملون لحسابى ، ولم يصل اسمى إلى وظيفة رئيس عبيد.

إنى لم أسب الإله.

إنى لم أسلب إنساناً ممتلكاته.

إنى لم أرتكب ما يمقته الآلهة .

إنى لم أتسبب فى ألم.

إنى لم أترك شخصاً يتضور جوعاً .

إنى لم أدفع شخصاً الى البكاء .

إنى لم أقتل .

إنى لم آمر بالقتل .

إنى لم أتسبب فى تعاسة شخص .

إنى لم أنتقص من تقدمات المعابد الغذائية .

إنى لم أدنس خبز الآلهة .

إنى لم أغتصب قرابين الأبرار .

إنى لم ارتكب لواطاً .

إنى لم أزْنِ فى الأماكن المقدسة لإله مدينتى .

إنى لم أقتطع من المكيال .

إنى لم انقص " الأرورا" .

إنى لم أغش فى الأراضى .

إنى لم أطفف الميزان .

إنى لم أغش الموازين .

إنى لم أغتصب اللبن من فم الرضيع .

إنى لم أحرم الماشية من مرعاها.

إنى لم أنصب الشباك لطيور الآلهة .

إنى لم أصطد سمكاً من بحيراتهم .

إنى لم أحبس الماء زمن الفيضان .

إنى لم أضع سداً أمام المياه المتدفقة .

إنى لم أطفىء ناراً متأججة .

إنى لم أبطل الأيام المخصصة لتقدمات من لحم .

إنى لم أبعد القطعان المخصصة لطعام الآلهة .

إنى لم اعترض طريق الإله عند خروجه فى موكبه ."

L d M ch.125

بيد أن المتوفى لم يصبح بعد من رعايا "أوزيريس" بشكل كامل. إذ أن مثوله أمام محكمته يستهدف تحقيق حياة فى الآخرة منقولة عن حياة الملك:

«أيا "چحوتى"، لقد أعلنت براءة "أوزيريس" ضد أعدائه

فى محكمة هليوپوليس، فى ذاك اليوم ، عندما وُرِّث عرش شاطئى" چب " سيدهم .

فى محكمة بوزيريس ، فى ذاك اليوم ، عندما تمنح العين "واچت" لسيده.

فى محكمة " په - دپ " ، فى ذاك اليوم ، عندما أزيل شعر النائحات .

فى محكمة ليتوپوليس ، فى ذاك اليوم، عندما يقدم طعام المساء فى ليتوپوليس.

فى محكمة " رو - سيتاو " ، فى ذاك اليوم ، عندما يتم حصر جمهرة الناس وإقامة الساريتين .

فى محكمة أبيدوس ، فى ذاك اليوم ، عندما يقام احتفال عيد "حاكر" عندما يحاسب الموتى وعند حصر من لا يملكون شيئاً.

فى محكمة هيراكليوپوليس، فى ذاك اليوم عندما يجرى عزق التربة والحفاظ على سرية الأرض فى " نارف ".

هكذا لقد برِّىء "حورس". والهيكلان راضيان .

وانشرح صدر أوزيريس . إنه حقا "تحـــوت" هو الذى أعلن براءتـــى فى محكمـــة "أوزيريس".

- ومن يعرف كل ذلك يمكنه أن يتحول الى الصقر ، ابن رع .

ومن يعرف كل ذلك وهو على الأرض ... لن تفنى روحه....

إنه لا يفنى أبداً. بل العدو هو الذى يفنى...

أما هو فسوف يأكل الخبز فى دار "أوزيريس".

وسوف يدخل معبد الإله الفائق القوة.

ويتلقى التقدمات ولا يمكن أن يعيش على الفضلات ! ».

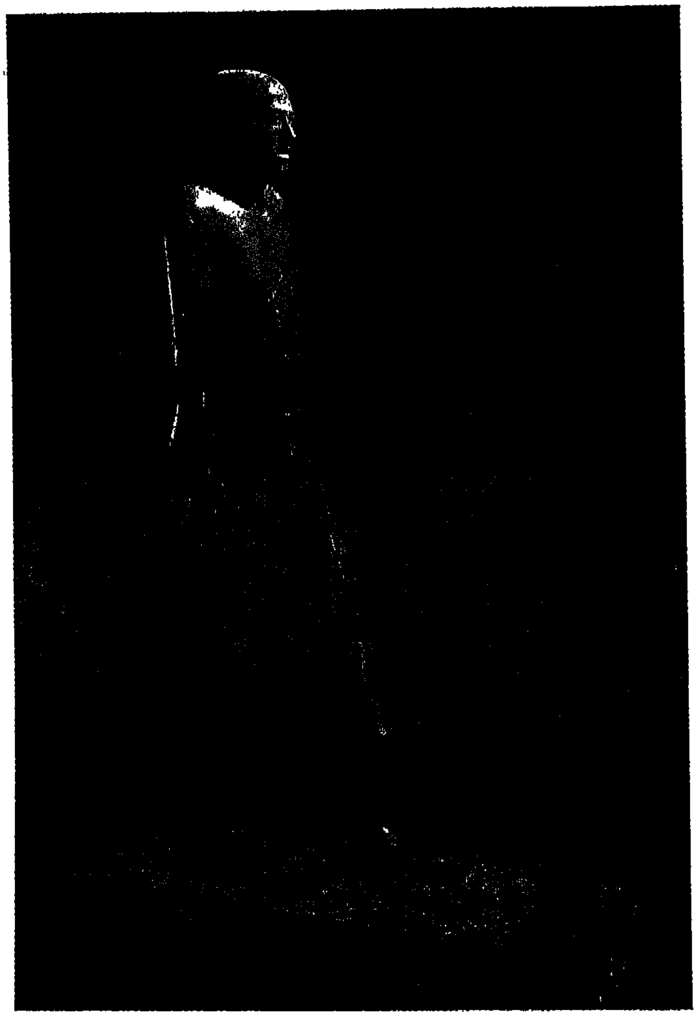
(C T Spell 339)

إن أساس الأخلاق التى صبغت أدب الحِكَم أو الأدب الجنائزى هو احترام التوازن الذى تجسده الإلهة "ماعت". إنها تملك المعيار الذى يحدد مدى استقامة سلوك البشر على الأرض . وطبق المصريون هذه الصورة تطبيقاً حرفياً. فكان المتوفى يحاكم أمام محكمة مشكلة من اثنين وأربعين إلهاً، على أساس إله لكل إقليم من أقاليم مصر . وتنعقد المحكمة برئاسة " أوزيريس " ويمثل المتوفى بين أيديهم. وينتظر أمام ميزان ضخم يقف بجواره "تحوت" و "الملتهمة الكبرى" وهى حيوان خرافى نصف أسد ونصف تمساح . واسمه على مسمّى ويوحى بوظيفته . ويوضع على إحدى كفتى الميزان إناء صغير يمثل قلب المتوفى، وعلى الكفة الأخرى صورة الإلهة "ماعت" جالسة فوق سلة . وإذا مال ذراع الميزان من أحد جانبى اللسان قُضى على البائس وسلم إلى "الملتهمة الكبرى" . وإذا خرج منتصراً من عملية " وزن القلب " يقف فى حضرة "أوزيريس" الذى يستقبله ليضمه إلى الأبرار .

الفن الإقليمى

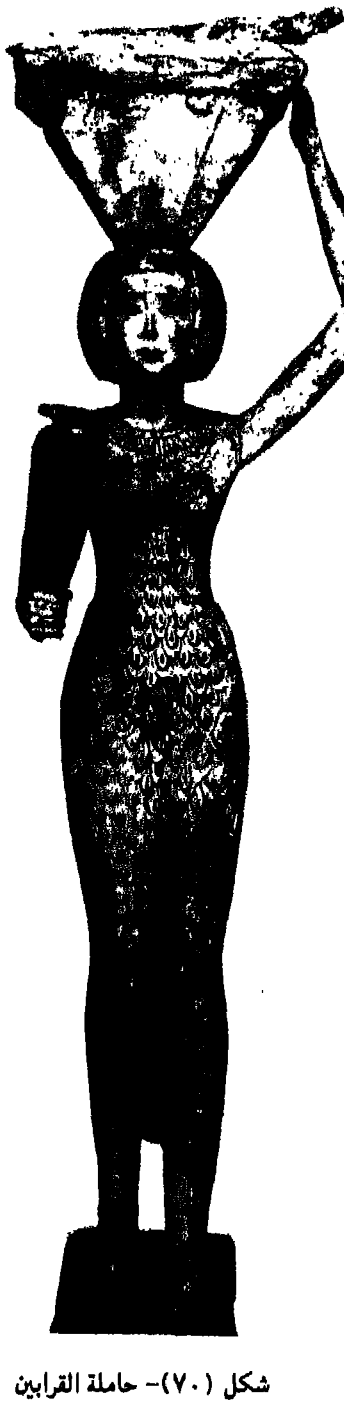
وقد اعتبر الفن أيضاً مرآة لوعى الفرد بذاته كنتيجة لضعف السلطة المركزية. وإذا شق على الباحث متابعة تاريخ مدرسة منف الفنية إلا أنه فى إمكانه أن يفترض أنها أتخذت منحىً هابطاً شأنها شأن حكومة منف المركزية . ولا شك ان العديد من الأعمال الفنية قد جرى تنفيذها لصالح ملوك هيراكليوبوليس . ولكن المدارس الفنية ازدهرت إلى جانب ذلك فى كل إقليم على حدة ، وظلت قواعد الفن هى هى . بيد أن الأعمال الفنية قد

خسرت الكثير من جراء هجرها لمحاكاة روائع الفن المصرى . ولكنها عوضت مافقدته بفضل التلقائية التى اكتسبتها وان كان على حساب ظهور بعض السمات الخرقاء التى تعوذها البراعة . كما نضبت المصادر التقليدية لامداد المصرى باحتياجاته من الأحجار التى تقتلع من المحاجر عن طريق تنظيم الحملات الضخمة التى تنطلق من العاصمة . ومن هنا نشأت ضرورة استحداث مواد أولية جديدة. وتَصدّر الخشب قائمة هذه المواد ، فأتاح البحث عن أشكال على قدر كبير من التحرر مع انتشار الواقعية . لقد عثر فى جبانة أمراء أسيوط على كمية كبيرة من القطع الأثرية ومنها تمثال من الخشب لحامل الأختام "ناختى" الذى كان معاصرا للأسرة العاشرة ،وهو من روائع هذا الضرب من الفنون.



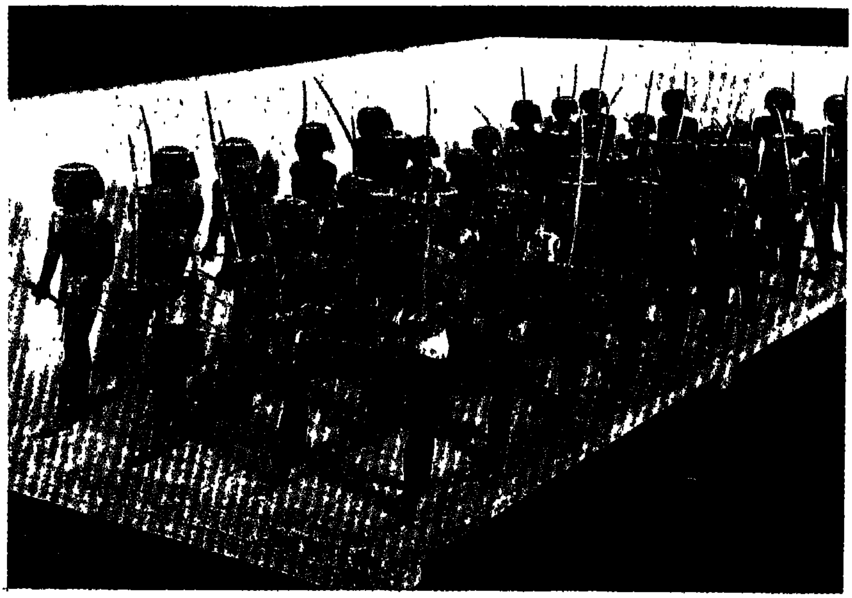
شكل (٦٩) - حامل الأختام "ناختى"

تمثال من الخشب عثر عليه فى مقبرته فى أسيوط.الارتفاع ١٧٥ سم. متحف اللوفر E11937.



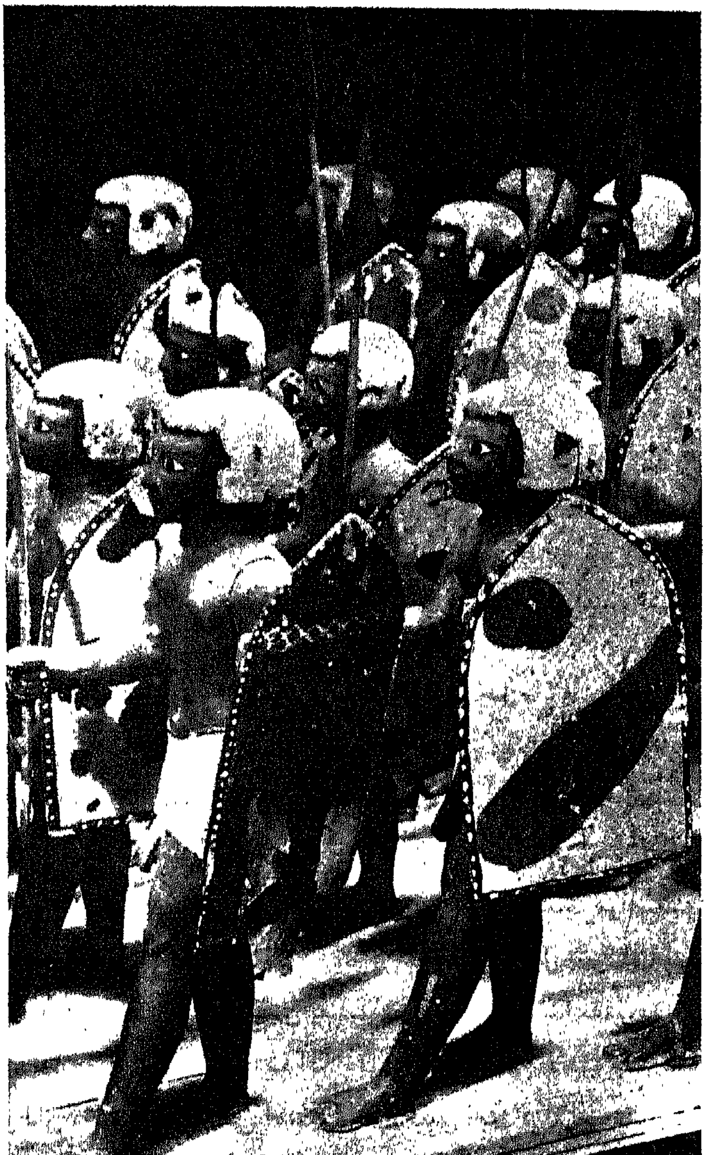
شكل (٧٠)- حاملة القرابين

تمثال اكتشف فى أسيوط(٢). من الخشب الإرتفاع ٤٠١سم. متحف اللوفرE10781



شكل (٧١) - حاملو الأقواس.
مجموعة عثر عليها فى أسيوط من الخشب. الارتفاع ١٩٣ سم. متحف القاهرة CGC257

كما امدتنا هذه المقابر بأروع الأمثلة لما عرف اصطلاحاً بـ " النماذج ". وقد ازدهر هذا الأسلوب لأسباب عملية أيضاً . فتنقل "النماذج" بأسلوبها التشكيلى الخاص المشاهد التى كانت تزدان بها جدران الهياكل الجنائزية فيما مضى ، إذ اصبح من الصعوبة بمكان زخرفة سطوح جدران المقابر المحفورة فى الصخر . ولذا لجأ المصرى إلى هذه الأشكال من الفنون التطبيقية الوثيقة الصلة بالمشاعر الشعبية الحميمة من حيث مواضعيها أو الأساليب التقنية المستخدمة . وهذا الإنتاج إلى جانب فن نحت التماثيل بشكل عام ، يفصلهما عن الدولة القديمة خط واضح ، فى حين يعتبر العصر الذى يبدأ بفتوحات " منتوحوتپ " الثانى امتداداً له . وتنسحب هذه الملاحظة أيضاً على الأدب وقد بلغ ذروة الكمال الكلاسيكى فلن يحيد عنه إلا فى أضيق الحدود على امتداد الألف سنة التالية . كما تظل العمارة الجنائزية دون تغيير خلال الدولة الوسطى بالنسبة للأفراد على الأقل، فلا يوجد خط فاصل بين جبانات الأقاليم فى أسيوط وأسوان والجبلين وبنى حسن ومير والبرشا أو قاو الكبير ، على سبيل المثال ، وبين جبانات الدولة الوسطى . ومع ذلك تظهر "المصطبة" حيثما يلجأ الملوك إلى الدفنات الهرمية الشكل. فنشاهد عودة إلى النموذج المنفى الذى أخذ به ملوك الدولة الوسطى وكل همهم هو تأكيد شرعية حكمهم .



شكل(٧٢) - حاملوا الحراب

مجموعة عثر عليها فى أسيوط. من الخشب الارتفاع١٩٣سم. تفصيل متحف القاهرة CGC et 257 e

الفصل السابع
الدولـــة الوسطـــى

الوحدة ومراحلها الأولى

خلف " منتوحوتب " الثانى سلفه إنتف الثالث حوالى عام ٢٦٠١ ق. م. وعندما تبوأ عرش البلاد تلقب باسم " سى عنخ ايب تاوى" ومعناه " الذى يحمى قلب الأرضين ". وظل سلطانه محصورا بين الجندل الأول و الإقليم العاشر من أقاليم الصعيد شمالا عند الحدود الفاصلة بينه وبين أمراء أسيوط ، وقامت بين المملكتين هدنة فرضتها قواتهما المسلحة فرضا . و انهارت هذه الهدنة إثر نشوب الثورة فى الإقليم " الثينى " الذى عانى مجددا من المجاعة و انقضّ على زمرة هيراكليوبوليس . فاستولى " منتوحوتب "على أسيوط و اجتاح الإقليم الخامس عشر دون عناء يذكر . وسقطت هيراكليوپوليس .

و أخيرا نودى به ملكا على مصر القطرين و اختار اسم " نب حيت رع " . واتخذ ابن رع " منتوحوتب " لنفسه اللقب الحورى " نترى حچت " أى " إلهى هو التاج الابيض " ليؤكد أصوله . ومع ذلك لم يبسط نفوذه و سلطانه على طول البلاد وعرضها ، بل استغرقت جهود إقرار السلام سنوات طويلة . ومن الملاحظ فى هذا الصدد أن الواحات الداخلة فى الصحراء الغربية كانت منذ هذا الوقت المبكر ملاذا يلجأ إليه المعارضون السياسيون . و قد قام " منتوحوتب " بمطاردتهم الى هذه الأصقاع . وكان كريما مع أمراء إقليمى " الوعل " و " الأرنب " ، فكافأهم على إخلاصهم ووفائهم فثبتهم فى مناصبهم وفعل الشئ نفسه مع مختلف إقطاعيات الصعيد ماعدا أسيوط . وانتشر المفتشون المعينون من قبل طيبة فى أرجاء البلاد و كلفوا بأعمال الرقابة و لاسيما فى هيراكليوپوليس ، التى عادت إلى وضعها كمقاطعة ، وكذلك هيليوپوليس . وتم نقل العاصمة إلى طيبة و أنشأ منصب " حاكم الشمال " . و أعاد مناصب حاملى الأختام القديمة . ومنصب الوزير وقد وصلتنا أسماء ثلاثة من الذين شغلوا هذا المنصب وهم " داجى " و " بيبى" و " إيپى" . واستغرقت شتى هذه الإنجازات على مايفترض حتى العام الثلاثين من حكمه . وهكذا تحققت الوحدة . واختار فى العام ٣٩ من حكمه اسما حوريا جديدا هو " سماتاوى " و معناه " الذى وحد الأرضين " وإذا كان منتوحوتب الثانى موحد البلاد ، فقد كان أيضا بنّاء عظيما ، إذ واصل أعمال الترميم التى بدأها " أنتف"

الثالث فى إلفنتين فى معبدى الأمير " حقا إيب " و الإلهة " ساتيت " كما شيد العمائر فى البلاص و دندرة و الكاب وفى معبد " حتحور " فى الجبلين حيث سجل بالصورة إخضاع الشمال ، وفى أبيدوس حيث ألحق إضافات بمعبد " أوزيريس ". و قام بتجميل معبدى " مونتو " فى الطود وأرمنت . وعند سفح الجرف الذى يشرف على منطقة الدير البحرى شيد مجموعة جنائزية على الطراز المعمارى المشتق من مجموعات الدولة القديمة الجنائزية .

كما استأنف السياسة الخارجية التى أخذت بها الدولة القديمة . فقاد حملة فى اتجاه الغرب ضد الليبيين الـ " تمحو " و الـ " تنحو " ، وفى سيناء ضد البدو الـ " منتيو " . وأمن بصفة قاطعة ونهائية حدود البلاد ضد تسلل الآسيويين وطاردهم حتى نهر الليطانى . و حاول استعادة ما كان لمصر من نفوذ فى النوبة عند نهاية الأسرة السادسة ولو فى حدود استغلال المناجم وصيانة الدروب . وقد جاء الاستيلاء على كركور بخاصة تأمينا لطرق القوافل القديمة . وظلت النوبة مستقلة رغم إقدام مصر على إعادة فتح بعض المناطق كأبى بلاص على سبيل المثال ، إلى جانب الحملات التى قادها حامل الأختام " خيتى " الذى عهد اليه " منتوحوتب " الثانى بمهمة الإشراف على سائر البلدان الجنوبية . وقد وصلتنا أخبار حملتين من هذه الحملات . فنظمت الأولى فى العام التاسع و العشرين من حكم " منتوحوتب " الثانى ، فى حين نظمت الأخرى فى العام الحادى والثلاثين . فمكنتا المصريين من الوصول إلى بلاد " واوات " . وكانت المحصلة النهائية لهاتين الحملتين الإشراف على جانب من النوبة حتى مشارف الشلال الثانى أكثر من كونها احتلالا حقيقيا .

وتوفى " منتوحوتب " الثانى حوالى عام ٢٠١٠ ق.م. بعد حكم استمر واحد وخمسين سنة . و خلفه ابنه الثانى " منتوحوتب " الثالث " سى عنخ تاوى إف " و معناه " الذى يحى أراضيه ".فورث عن أبيه بلادا مزدهرة يسودهاالنظام. وعندما اعتلى "منتوحوتب " الثالث عرش البلاد كان طاعنا فى السن إلى حد كبير . و لم يدم حكمه لمصر سوى اثنتى عشرة سنة . فواصل خطط تنمية البلاد و نفذ برامج التشييد التى بدأها والده فى أبيدوس و الكاب وأرمنت والطور وإلفنتين و فى غربى طيبه بالطبع حيث كرس معبدا للإله تحوت . وأقام لنفسه على مقربة من الدير البحرى مقبرة لم يسعفه الوقت كى ينتهى منها .

كما قام بتدعيم المراكز المصرية فى شرق الدلتا مقتفياً أثر عواهل هيراكليوپوليس . كما أمر بإقامة التحصينات لتأمين حدود مصر من إغارات الأسيويين ، و استمر التوسع فى هذا النظام الدفاعى . وخلال الدولة الوسطى لم تتوقف أعمال التوسع فى هذا النظام الدفاعى و إن ظل المصريين يعتبرون أن " منتوحوتب " الثالث " وخيتى " الثالث أصحاب الفضل فى المبادءة بإقامته ، كما تشهد على ذلك الشعائر التى أقيمت لهما فى زمن لاحق فـــى الختاعنة .كما استأنف " منتوحوتب " الثالث نشاطا آخرا كان يعتمد فى المقام الأول على استعادة السيطرة على النوبه السفلى الأمر الذى كان قد تم فى عهد والده. فجهز فى العام الثامن من حكمه حملة تتكون من ثلاثة الآف رجل وضعوا تحت قيادة " حننو " . فخرجت من " كوپتوس" متجهة إلى وادى جاسوس. وأثناء سيرها قامت بحفر اثنتى عشرة بئراً لتأمين إمدادات المياه اللازمة للحملات التى كان من المزمع تسييرها فى المستقبل إلى البحر الأحمر انطلاقاً من وادى النيل . وأبحرت الحملة إلى «پونت" ، وعادت منها محملة بالخيرات ، وكان من جملة ما جلبت الصمغ العربى . وبعد عودتها استؤنف قطع الأحجار من وادى الحمامات .

ونديـن للصدفة وحدها باكتشاف شهادة شيقة وعظيمة الفائدة تحدثنا عن الأوضاع فى أواخر أيام حكم "منتوحوتپ" الثالث الذى كان مزدهراً فى الظاهر . إنها مراسلات المدعو "حقانخت" الكاهن الجنائزى للوزير "إيپى" فى طيبة . فقد أبقته الظروف بعيداً عن أملاكه فكتب سلسلة من الخطابات إلى أفراد أسرته الذين تولوا إدارة شئون أرضه طوال فترة غيابه . وعُثر على هذه الخطابـات فى الدير البحـرى فى مقبـرة المدعو "مســح" الذى كان هو أيضا على علاقة وثيقة بـ "إيپى" . وتزخر هذه المراسلات بمختلف البيانات المتعلقة بتوزيع هذه الأملاك وإيجار الأرض والضرائب المستحقة إلى جانب حصر بالممتلكات مؤرخ بالعام الثامن من حكم "منتوحتپ" الثالث . كما تعتبر بما تحتويه من معلومات مصدرا قيما حول اقتصاد العصر وقوانينه. ولكن "حقا نخت" يشير أيضا إلى الاضطرابات التى اجتاحت جنوبى الصعيد والمجاعة التى أصابته .

وبالفعل فقد أضحت الأوضاع غامضة مشوشة عندما توفى "منتوحوتپ" الثالث حوالى ١٩٩٨/١٩٩٧ ق. م. وقد ترك جدول تورين "فراغاً يغطى سبع سنوات" وهى الفترة المقابلة لحكم" منتوحتب" الرابع. أما لقب اعتلائه العرش "نب تاوى رع" ومعناه" رع سيد الأرضين" ، فهو يشير إلى اتجاه سياسى للعودة إلى قيم الدولة القديمة . وينقل لنا

مخربش سجل فى وادى الحمامات أخبار الحملة التى أرسلها "منتوحوتپ" الرابع فى العام الثانى من حكمه والذى يطلق عليه المخربش لقب "نب تاوى" فحسب . وكانت هذه الحملة تتكون من ألف رجل مهمتهم إحضار التوابيت والتنقيب عن آبار جديدة فى الصحراء الشرقية والبحث عن موقع افضل لميناء يطل على ساحل البحر الأحمر وهو مرسى جواسيس الذى سيفرغ " امنمحات" الثانى فى وقت لاحق من تجهيزه وتبحر منه الرحلات المتجهة إلى بلاد "بونت" .

أمنمحات الأول

وخرج وزيره " امنمحات " على رأس هذه الحملة . وهناك شبه إجماع على اعتبار "امنمحات" هذا و" امنمحات " الأول خليفة "منتوحوتپ" الرابع شخصاً واحداً . وتم الكشف عن مدونة واحدة تجمع دون لبس بين الملكين ، ومن هنا ظهر الفرض القائل بوجود فترة حكم مشتركة وإن كان افتراضا وهمياً مشكوكا فى صحته . Murnam : 1977,227-228 وعلى كل حال فأن "منتوحوتپ" الرابع هو آخر ممثلى سلالة عائلة أمراء طيبة. ومن ناحية أخرى يستهل " أمنمحات؛ أسرة حاكمة جديدة بشهادة إسمه الحورى الذى اختاره وهو "وحم ميسوت" ومعناه "مجدد الولادات" أى الذى يأتى على رأس سلالة جديدة . ورغم هذا التغيير المؤكد فلا شك أن تواصل السلطة ظل قائماً، وإن اعترى الانتقال من أسرة إلى أخرى قدر من الصدامات . فقد ظهر على مسرح الأحداث فى عصر "أمنمحات" الأول اثنان من المطالبين بعرش البلاد ، يدعى أحدهما " أنتف" والآخر فى النوبة ويدعى "سچرسينى" الذى ربما اضطر ملك مصر أن يخوض ضده معارك عنيفة طوال سنوات حكمه الأولى . ومع ذلك لم تنفصم الروابط مع الأسرة الحادية عشرة ، إذ ظل الموظفون شأنهم شأن الملوك الجدد يعتزّون بانتمائهم إلى الأسرة السابقة . والأرجح أن هذه الخلافة لم تخرج عن المألوف طالما أن نظام الوراثة عند أمراء طيبة ظل يستند إلى الاختيار أو إلى رابطة الدم . إن لقب "سحوتپ إيب رع" الذى اختاره «أمنمحات» اسما للتتويج ويعنى " الذى يهدئ قلب رع " جاء ليدعم الاتجاه الأيديولوجى الجديد الذى انحاز إليه "منتوحوتپ" الرابع. أما لقب امنمحات وهو الإسم الذى حمله منذ ولادته ومعناه "أمون فى المقدمة" فهو إعلان للبرنامج السياسى الذى أدى فى نهاية الأمر إلى صيغة "آمون رع" التوفيقية ، وهى الأساس الذى استمد منه الملوك الجدد سلطانهم نتيجة عودتهم إلى لاهوت هليوبوليس ، أما "أمنمحات" فلم يكن من أبناء طيبة وإن كان صعيدياً فى الأصل وهو ابن كاهن يدعى "سن أوسرت" الذى يعنى

"رجل الإلهة العظمى" أنجبه من امرأة تدعى "نفروت" ومسقط رأسها إلفنتين . كما اعتبرته الأسرة الثامنة عشرة المؤسس الحقيقى للأسرة الثانية عشرة .

واعتمد العاهل الجديد على الأدب للترويج للبراهين التى تثبت حقه الشرعى فى وراثة العرش، شأنه فى ذلك شأن أسلافه من ملوك الأسرة الخامسة . واعتمد على أدب النبوءة وصولاً لغرضه فى قصة تحذيرية تروى على لسان أحد حكماء مدينة هليوپوليس يدعى "نفرتى" الذى بوجد العديد من النقاط المشتركة بينه وبين "چدى" الذى ورد ذكره فى بردية وستكار. وتقع أحداث هذه القصة على ما يزعم فى عهد "سنفرو" الذى استدعى "نفرتى" إلى بلاطه تماماً كما حدث لـ "چدى" . أما الدوافع التى تحكمت فى اختيار "سنفرو" فى كلا القصتين فليست واحدة أو متماثلة . لقد سبق أن لاحظنا كيف أضحى العاهل العجوز مع حلول الأسرة الثانية عشرة نموذج الملك الحكيم الدمث الخلق . حتى بات شرف الانتساب إليه مفخرة ومصدر اعتزاز. ويرسم "نفرتى" لوحة قاتمة عن آخر أيام حكم الأسرة الحادية عشرة . ومن الغريب حقاً أنها تخص مناطق الدلتا الشرقية فى المقام الأول. وفى ختام روايته يتنبأ بمجىء " أمنمحات" الذى يلقبه " أمينى":

" لم تعد هليوبوليس مهد الآلهة. وسوف يأتى ملك من الجنوب يدعى "أمينى". وهو إبن امرأة من الإقليم الأول فى الجنوب وهو من أبناء الصعيد. سيتسلم التاج الأبيض ويلبس التاج الأحمر. فيوحد التاجين وينشر السكينة بين الإلهين ومن يشاءون". **Néferti XIIe-XIIIe**

وهكذا تكرست شرعية انتقال السلطة من هليوپوليس مهد ملوك الدولة القديمة إلى

١٩٩١ -	الأسرة الثانية عشرة
١٩٩١	" أمنمحات " الأول
١٩٦٢	" سنوسرت " الأول
١٩٢٨	" أمنمحات " الثانى
١٨٩٥	" سنوسرت " الثانى
١٨٧٨	" سنوسرت " الثالث
١٨٤٢	" أمنمحات " الثالث
١٧٩٧	" أمنمحات " الرابع
١٧٩٠ - ١٧٨٥	" نفرو سوبك "

شكل رقم (٧٣) جدول التسلسل الزمنى للاسرة الثانية عشرة

طيبة . وربما كانت الرغبة الملحة فى استمالة شرقى الدلتا تخفى شيئا من الحقيقة . لقد شيد "امنمحات" الأول العمـــائر فى بوباستس حيـــث كان "نفرتى" كاهـــناً وفى الختاعنـــة وفـــى تانيـس (Posener : 1961, 39) . وإن كان الجهاز الإدارى قد خضع لهذا التغيير إلا أن الملك الجديد قد اضطر مع ذلك إلى تجهيز حملة إلى إلفنتين بعد وقت قصير من اعتلائه عرش البلاد . وكانت الحملة بقيادة "خنوم حوتپ" الأول حاكم إقليم " الوعل" الذى أبحر صوب الجنوب على رأس اسطول مكون من عشرين سفينة . وربما واصل التقدم حتى النوبة السفلى حيث تَجمّع انصار "سچرسينى" على ما يظن . كما خرج " امنمحات" الأول فى جولة تفقدية فى وادى الطميلات حيث شيد تحصينات "أســـوار الأمير " . وكان من الملوك الذين عُرف عنهم ولعهم بأعمال التشييد. فنفذ أعمالاً ضخمة فى الكرنك ، بقى منها ناووس من الجرانيت حيث كان يقبع فيما مضى تمثال للشعائر إلى جانب مجموعة تماثيل أخرى . وربما كان مؤسس معبد الإله "موت" جنوبى حرم معبد "آمون رع" . وترك آثاراً فى كوپتوس فى معبد الإله "مين" وزخرف أجزاء كبيرة منه، وفى أبيدوس حيث كرس لأوزيريس مذبحاً من الجرانيت ، وفى دندرة حيث أهدى للإلهة حتحور باباً من الجرانيت أيضاً . وأخيراً وليس آخراً فقد ترك لمساته المعمارية فى معبد "پتاح" فى منف . وهو أمـــر له مغزاه ودلالتـــه . كما أمـــر بأن يشـــيد هرمه فى اللشت على بعد خمسين كيلومتراً جنوبى منف .

وركـــز " أمنمحات " الأول جل اهتمامه على إعادة تنظيم الجهاز الإدارى . واستهـــل نشاطه بنقل عاصمة البلاد من طيبة ، فأسس مدينة جديدة على مقربة من اللشت حيث سيقيم جبانته ، وأطلق على المدينة إسم "أمن إم حات إثت تاوى" ، ومعناها "امنمحات هـو الذى فتح الأرضين" . وقد اختصره المصريون الى "إثت تاوى" . وسار على نهج منتوحوتپ الثانى فكافأ حكام الأقاليم المؤيدين لارتقائه عرش البلاد فثبتهم فى مناصبهم . ونذكر على سبيل المثال حاكم إقليم الوعل . وقد قام من ناحية بتدعيم سلطاتهم من خلال إحياء بعض الألقاب القديمة ، وتولى مـن ناحية أخرى تقليص هذه السلطات سواء بإبعاد بعضهم مثل حكام إلفنتين وأسيوط والقوصية، أو من خلال إعادة مسح الأراضى. ويروى "خنوم حوتپ" حاكم بنى حسن كيف وضع تقسيماً جديداً على أساس المدن فى إطار الإقليم الواحد (Urk . VII , 27 , 13) كما قام بتوزيع الأراضى تبعاً لمستوى الفيضان وأعاد العمل بنظام التجنيد العكسرى .

ويعتبر العام العشرون من حكم " امنمحات " منعطفاً هاماً . فقد اشرك ابنه البكر" سنوسرت" فى الحكم مستهلاً تقليداً ظل سارياً بانتظام طوال الأسرة الثانية عشرة . وتتزامن هذه المشاركة مع تجديد السياسة الخارجية . وأصبح "سنوسرت" ذراعاً لأبيه بتوليه الإشراف على الجيش . وربما كان يهدف من وراء ذلك أن تتعرف الأمم الأجنبية على خليفته المنتظر حتى يتمكن من ممارسة سيطرته عليهم . ولعب أسلوب المشاركة فى الحكم دوراً عظيماً فى عصر الرعامسة عندما أخذت مصر تناضل من أجل السيطرة على الشرق الأدنى . وفى حدود العصر الذى ندرسه فقد اتجهت جهود الملك إلى النوبة . ففى العام الثالث والعشرين من حكمه خرج المصريون بحملتهم الأولى فوصلوا إلى جرف حسين وإلى محاجر الديوريت القديمة الواقعة عند توشكى . وفى العام التاسع والعشرين قامت الحملة الثانية التى سمحت للمصريين بالتغلغل إلى أعماق النوبة فوصلت إلى كرسكو بل وتجاوزتها مع تشييد حصن الحدود عند سمنة الواقعة عند الشلال الثانى . كما تواجد المصريون فى كرما حيث عثر على تمثال لحاكم إقليم أسيوط "حعپى چيفا" ، وإن لم يعتبر ذلك بالضرورة دليلاً على أن " حعپى چيفا " كان حاكما لها (Vercoutter : 1987 , 158) . بل على العكس يمكن الافتراض أن التمثال قد نقل إليها فى وقت لاحق وفى عهد "سنوسرت" الأول على الأرجح . ومن جهة الشرق الأدنى أحرز القائد "نيسو مونتو" فى العام الرابع والعشرين انتصاراً على البدو ، فأمن بذلك استقلال مناجم الفيروز فى سرابيط الخادم . وفى نفس الوقت عادت العلاقات الدبلوماسية إلى سابق عهدها مع بيبلوس وعالم بحر إيجه .

الأدب والسياسة :

كان " سنوسرت " فى طريق العودة من حملة شنها فيما وراء وادى النطرون ضد مناوئى النظام ومعارضيه الذين لجأوا عند الليبيين عندما تفجرت أزمة خطيرة باغتيال "امنمحات" الأول فى منتصف فبراير ١٩٩٢ ق.م فى مؤامرة دبرها حريم الملك . ولا غرو أن نظام وراثة العرش لم يكن قد استقر تماماً على النحو الذى تحاول الوثائق التى ترجع إلى هذين العاهلين التأكيد عليه والإيحاء به (Murmane : 1977 , 2sq) . صحيح أن "سنوسرت " الأول قد تربع على عرش البلاد ، ولكن هذه القضية ظلت مع ذلك يكتنفها قدر كبير من الغموض وأصبحت من المواضيع المحببة للأدب الرسمى فتناولها على أقل تقدير اثنان من الأعمال الأدبية ، سيصبحان مع حلول الدولة الحديثة، على غرار" نبوءة "

نفرتی" ، من كلاسيكيات الأيديولوجية الملكية التى تدرس فى المدارس وتلاقى ذيوعاً وانتشاراً منقطعى النظير .

النص الأول قصة تروى ما ألّم بموظف فى الحريم من محن وشدائد. وكان هذا الموظف ويدعى " سنوهى " أحد أفراد حاشية "سنوسرت" العائدة من ليبيا ، عندما سمع عرضاً نبأ اغتيال الملك أثناء إبلاغه لإبنه الأمير الصغير فانتابه الخوف . فهل السبب أنه سمع ما كان لا ينبغى سماعه؟ أم كان هناك سبب غامض آخر ؟ على كل حال لقد غادر فى إثر ذلك ، وقطع الدلتا شرقاً متجهاً شرقاً عبر برزخ السويس وحطّ فى نهاية المطاف فى سوريا حيث استقبله أحد رجال البدو الذين خضعوا لمصر قبل فترة قصيرة وتبناه . ومرت الأيام والسنون . وتروى لنا القصة الأحداث والمفاجآت التى تعرض لها "سنوهى" حتى أضحى زعيم قبيلة قوياً ومحل احترام الجميع . ولكن الحنين إلى الوطن ظل يعذبه ويضنيه ، فطلب العفو من "سنوسرت" الذى لبّى طلبه . فعاد إلى وطنه والتقى بالأبناء الملكيين ومات بين ذويه . هذه القصة زاخرة بالمغامرة ، وليست هذه المغامرات سوى الخلفية التى تبرز وفاء خادم ضل الطريق قبل أن يعود إلى الصراط المستقيم. ويتخلل قصة "سنوهى" موقفان تبلغ فيهما القصة ذروة الجمال الفنى ، أحدهما ثناؤه على الملك الجديد فى حضور الأمير السورى ، والآخر الرد الذى أرسله إلى الملك بعد ان تلقى الإذن بالعودة إلى الوطن:

" يقول سنوهى خادم القصر: فى سلام إذن ! إنه من الأمور الطيبة أن يوافق "كاؤك"على الهروب الذى أقدم عليه هذا الخادم المتواضع دون دراية منه، أيها الإله الكامل ، يا سيد الأرضين. يا محبوب رع ، يا صفى مونتو رب طيبة . أيا أمون يارب عرش الأرضين ، أيا سويك ، أيا رع، أيا حتحور، أيا آتوم وتاسوعه، أيا سوپد ، أيا نفرباو ، أيا سمسرو ، أيا حورس الشرق ، أيا سيدة بوتو (فلتطوق رأسك) ، أيا أيها المجلس المنعقد فوق الأمواه ، أيا مين حورس الساكن فى الفيافى ، أيا "ورت إرت " ، آيا سيدة بونت ، أيا نوت ، أيا حورس الكبير ، أيا سائر الآلهة الأخرى ، أيا أرباب مصر وجذر "الخضراء الكبرى" ، فليمنحك جميعهم الحياة والقوة فى أنفك ، فليجودوا عليك بعطاياهم ، فليهبوك الأبدية التى لا نهاية لها والآماد التى لا حدود لها! وتنتشر الرهبة التى تثيرها فى النفوس عبر السهول والجبال حتى تُخضع الدائرة التى يحيط بها قرص الشمس فى مسيرته . إنه ابتهال الخادم المتواضع إلى سيده بعد إنقاذه من الـ "أمنتى" .

" إن سيد المعرفة الذى يعرف رعاياه ، كان يدرك فى خفايا قصره أن هذا الخادم المتواضع كان يخشى أن يبوح بهذه الأمور . حقا انه لأمر فى غاية الخطورة أن يتحدث المرء فى هذا الأمور. إن الإله الكبير، وهو صورة رع يؤتى الفطنة كل من يعمل من أجل نفسه . إن الخادم المتواضع بين يدى من يسهر عليه . أجل إنى تحت إمرتك . فجلالتك هو حورس الفاتح . وساعديك أقوى من سواعد سائر البلدان(....)".

" أما هروب هذا الخادم المتواضع فلم يكن أمراً متعمداً . وما كان فى قلبى، ولم يكن أمرا مدبراً. ولا أدرى ما الذى دفعنى بعيداً عن المكان الذى كنت أقيم فيه . وبدا كل شئ وكأنه حلم، مثلما يتراءى لشخص من أهل الدلتا أنه فى إلفنتين . أو أحد القاطنين فى المستنقعات أنه فى النوبة . لم ينتبنى خوف ولم يلاحقنى أحد . ولم أسمع كلمة شائنة. ولم يرد إسمى على لسان المنادى . ومع ذلك فقد ارتعدت فرائصى . فهربت على قدم وساق بهدى من قلبى. أما الإله الذى أملى علىّ الهروب فقد دفعنى دفعاً . ومن ناحية أخرى فلست بالرجل المعاند المكابر ، لأن من يعرف بلده هو شخص متواضع . فقد أراد رع أن يعم الخوف منك أرض مصر ويسود الرعب منك فى سائر البلدان الأجنبيـــة . وســـواء أكنـــت أنا فى البلاط أم هنا فى هذا المكان ، ففى مقدورك أنت ، حجب هذا الأفق . فالشمس تشرق حسبما يتراءى لك ، والمياه الجارية فى الأنهر لا نشرب منها إلا حسبما تريد . ونسيم السماء نتنفسه حسبما تأمرنا به (....) إننا نحيى ونعيش من الهواء الذى تمنحه لنا . ألا فليحب رع وحورس وحتحور أنفك المبجل الذى يريد مونتو رب طيبة أن يخلد إلى الأبد " (Lefebvre : 1976 , 18 - 20) .

إن قصة سنوهى من أكثر الأعمال شعبية فى الأدب المصرى . إنها سرد أخلاقى لأحد الموظفين وعودته تائباً نادماً فغُفر له بسبب إخلاصه ونزاهته . وقد وصلنا من هذه القصة بضع مئات من النسخ ، وهو نفس عدد النسخ تقريباً الذى وصلنا من تعاليم "امنمحات الأول".وهو نص أدبى متأثر إلى حد كبير بالنموذج الذى تقدمه التعاليم إلى"مرى كا رع". وكان الهدف منها التأكيد على شرعية خليفة أمنمحات الأول أكثر من إلقاء الضوء على أسباب اغتياله.

وخلافاً "لقصة سنوهى" فان أقدم نسخ " التعاليم " التى بين أيدينا لا ترجع إلى زمن سابق على النصف الثانى من الأسرة الثامنة عشرة . وكان "سنموت" رجل الثقة لدى الملكة "حتشبسوت" ، على سبيل المثال لا الحصر، شغوفاً بقراءة هذه " التعاليم" مولعاً

بها . وبالطبع لا ينفى ذلك أن يكون هذا العمل الأدبى قد ظهر فى عهد سنوسرت الأول لأغراض تبريرية. ولكن أسلوب سـرد الأحداث وطريقة إبراز فكرة المشاركة فى الحكم والمبادىء التى تنهض عليها الحكومة ، تضفى على هذا النص قيمته كنموذج أول . وهو ما يفسر مانلاحظه من شيوعه وانتشاره اعتباراً من حكم " تحوتمس" الثالث . وقبل أن يسرد امنمحات الأول أحداث وفاته الخاصة يروى على مسامع خليفته نصائحه الحكيمة على غرار ما فعله الملك "خيتى" الثالث فى عهد سابق:

" لاتقرّب منك الأتباع الذين لا يساوون شيئاً حتى لا يحدث مالم يكن فى الحسبان. لاتختلط بهم وأنت بمفردك . ولاتثق فى أخ . ولا تصاحب صديقاً. ولا تُحط نفسك بالمقربين . فلا جدوى من كل ذلك . وإذا رقدت طالبا للراحة فاسهر على نفسك بنفسك. فليس للمرء أصدقاء وقت الشدة ! لقد أجزلت العطاء للفقير . وتوليت تربية اليتامى . وساعدت من لا يملك شيئا على الوصول لغرضه شأنه شأن من لا يملك . والذين أكلوا من طعامى حاكوا ضدى المؤامرات! والذى مددت له يدى استغل الفرصة لإثارة القلاقل ، والذين ارتدوا كتانى الناعم نظروا إلىّ كدمية حشيت قشاً! والذين دهنوا أجسادهم بأدهان المر التى تخصنى أخذوا يبصقون علىّ. والصور الحية التى تخصنى - أى البشر- دبروا ضدى مؤامرة شنعاء وخاضوا ضدى صراعـات مريرة لم يـشاهد مـثلها من قـبل"
(Enseignement d'Amenmehat I er ,IIa-Vc)

إن موضوع جحود البشر ليس من ذكريات عصر الانتقال الأول . إنما هو تذكير بتمرد البشر (" الصور الحية التى تخصنى ") ضد خالقهم . فبعد أن اندمج الملك مع الإله " رع " سلم سلطاته إلى خليفته على غرار ما حدث فى وقت سابق عندما قرر الإله الخالق أن ينسحب إلى أعالى السماء بعد أن ملّ مخلوقاته إلى الأبد ونفر منهم .

" انظر! لقد دبروا أمر اغتيالى بينما كنت بمفردى ، وقبل أن يعلم رجال البلاط بأننى خولتك سلطاتى ، وقبل أن نتربع معاً على عرش البلاد . آه! لو ظل فى مقدورى أن أرتب أحوالك! ولكن لم أعدّ العدة لشئ من هذا ! فما كنت انتظر ما حدث ! وهل كان فى الإمكان افتراض هذا الإهمال من جانب خدمى . وهل يصح أن تقود النسوة المعارك؟ وهل يصح إدخال التمرد إلى قلب القصر؟. "

Enseignemen d'Amenmegat I er,VIIIa-IXb

ولا يمـكن لنص أن يكون أكثر وضوحاً بما يثيره من شكوك حول مشاركة الملكين فى الحكم (Helck , GM 67 (1983) , 43 - 46) ومع ذلك فلّما تسلمّ " سنوسرت "

الأول مقاليد الحكم لم تعم الاضطرابات البلاد ، بل عرف عن حكمه المديد الذى دام خمسا وأربعين سنة أنه عهد أمن وسلم . كما لا يمكن أن نفترض بناء على ما سبق أنه كان المستفيد من المؤامرة ... واقتفى أثر "امنمحات" الأول فى حبه لأعمال التشييد . وتنتشر آثار عمائره فى خمسة وثلاثين موقعاً ، إلى جانب هرمه الذى شيده فى اللشت جنوبى هرم والده . وتقع الفيوم على رأس هذه المواقع فكان أول من اهتم بها . وعندما تربع على عرش البلاد اختار اسم "نفر كا رع" برهاناً على انحيازه لعقيدة مدينة هليوپوليس ، وأعاد تشييد معبد "رع أتوم" فى العام الثالث من حكمه ، كما اقام مسلتين أمام صرح المعبد بمناسبة احتفاله باليوبيل الأول فى العام الثلاثين من حكمه . كما امتد نشاطه أيضاً إلى معبد "آمون رع" بالكرنك . وقد نجح هنرى شيڤرييه **H . Chevrier** فى الأعوام من ١٩٢٧ إلى ١٩٣٧ ق . م فى إعادة تشييد مقصورة "سنوسرت" الأول المخصصة لاحتفال عيد "سد" بعد أن قام بتجميع القوالب الحجرية التى كان قد أعاد استخدامها أمنحوتپ الثالث عند تشييد الصرح الثالث. والمقصورة معروضة الآن فى المتحف المفتوح الملحق بالمعبد .

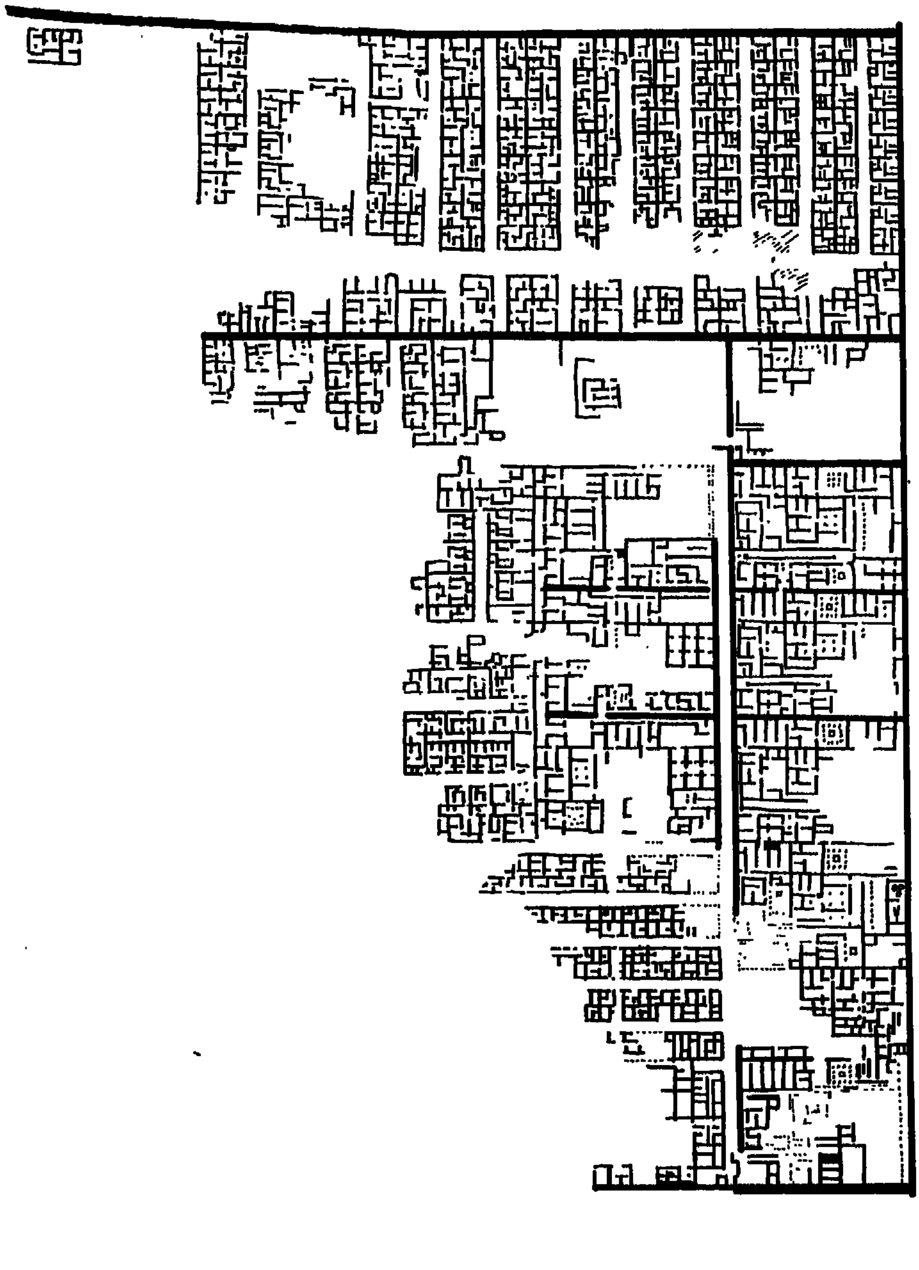
العالم الخارجى:

واصل " سنوسرت " الأول السياسة الخارجية التى نفذها والده على امتداد السنوات العشر الأخيرة من عهده . ففى العام الثامن عشر من حكمه كان "سنوسرت" الأول قد أتم فتح النوبة السفلى. كما أقام حامية عسكرية فى بوهن عند الجندل الثانى ، وفرض سيطرته على بلاد كوش من الجندل الثانى وحتى الجندل الثالث ، وعلى جزيرة صاى ، وأقام علاقات تجارية مع مدينة كرما . ولم يعثر على اسمه فى مكان ابعد من جزيرة أرجو الواقعة شمالى دنقلة . وواصل المصريون العمل فى استغلال مناجم الذهب الواقعة فى الصحراء الشرقية إلى الشرق من كوپتوس ، إلى جانب نشاطهم فى محاجر وادى الحمامات حيث اقتلعوا من الكتل الحجرية ما يكفى لنحت ستين تمثالاً لأبو الهول ومائة وخمسين تمثالاً. وتتفق هذه الأرقام مع ما عرف عنه من نشاط واسع فى مجال التشييد، وجرى استغلال محاجر حتنوب مرتين على أقل تقدير فى العام الثالث والعشرين والعام الحادى والثلاثين من حكمه . كما ضمن لنفسه الإشراف على الواحات الواقعة فى الصحراء الغربية وعلى رأسها المنطقة التى تربط أبيدوس بالواحات الخارجة ، وحافظ على حدود مصر الشرقية حماية للأعمال الجارية فى مناجم سرابيط الخادم . لقد دفعت العلاقات

التى أقامها المصريون مع سوريا وفلسطين إلى ظهورهم فى هذه المناطق حتى وصلوا إلى أوجاريت .

وطرحت هذه السياسة الخارجية أكلها فى عهد "امنمحات" الثانى الذى خلف أباه بعد أن شاركه فى حكم البلاد لمدة عامين . وفى النوبة توقفت أعمال الفتح بصفة مؤقتة . وكان قد سبق "لامنمحات" الثانى أن شارك بصفته ولى العهد فى حملة سلمية بقيادة "أمينى" حاكم إقليم الوعل . وظل السلم قائما فى عهده وفى عهد "سنوسرت" الثانى . وتولى الأمراء المحليون استغلال مناجم الذهب والفيروز لحساب الملك وتحت إشراف المصريين . ولم يتم تسجيل سوى حدث عسكرى واحد عند قيام أحد الضباط بتفقد قلعة "واوات" . كما جرّد حملة إلى بلاد بونت قرب أواخر حكمه .

وأخذت مصر تلعب دوراً مؤثراً فى أحداث الشرق الأدنى على وجه الخصوص . لقد عثر المنقبون عام ١٩٣١ فى ودائع أساسات معبد "مونتو" فى الطود على أربعة صناديق بها "جزية" سورية هى عبارة عن أوانى مائدة مصنوعة من الفضة . وقد لوحظ أن آنية واحدة منها على الأقل قد صنعت على طراز جزر بحر إيجه . كما وجد بهذه الصناديق تمائم من اللازورد جلبت من بلاد النهرين . وإذا افترض الباحث أن ما أطلق عليه المصرى القديم لفظة "جزية" إنما هو فى حقيقة أمره مجرد ثمرة التبادل التجارى ، فإن وجود هذه الأشياء فى ودائع الأساسات لخير دليل على الأهمية الكبرى التى احتلتها العلاقات الخارجية فى عهد امنمحات الثانى . وعندنا شهادة على الوجود المصرى فى "رأس شمرا" ، هى تمثال صغير لابنة " أمنمحات" الثانى، وفى " مشرفة " و مجدو" حيث عُثر على أربعة تماثيل ل "چحوتى حوتپ" حاكم إقليم منف . بل لقد استدل فى منطقة أنقرة على آثار لعبادة "سنفرو" فى عهد الأسرة الثانية عشرة . كما حدث فى عهد سنوسرت الثانى أن قام "خنوم حوتپ" حاكم إقليم الوعل باستقبال "إيبشا" وقبيلته وهم من الهكسوس . وقد صورهم على جدران مقبرته فى بنى حسن . ولهذا الحدث دلالته الكبرى اذ يشهد على أن العلاقات كانت متبادلة ولم تسر فى اتجاه واحد فحسب ، فانفتحت مصر على المؤثرات الشرقية التى يمكن ملاحظتها فى الحضارة والفن . فقد عثر فى اللاهون وفى إحدى مقابر أبيدوس على سبيل المثال على قيشانى من عصر "مينوس" . كما وجدت المصنوعات المصرية فى جزيرة كريت . فى حين نزحت أيضاً إلى مصر أعداد كبيرة من الأيدى العاملة جالبة معها تقنيات جديدة ، وبدأت عملية تسلل بطيئة مهدت الطريق أمام السيطرة الآسيوية إذا حانت



شكل(٧٤) - خريطة مدينة كاهون

الفرصة . وفى غضون ذلك كانت مصر المثل الذى سار أهل مدينة "بيبلوس" على هديه . فتلقب زعماؤها بالألقاب المصرية واستخدموا علاماتها الهيروغليفية والمنتجات التى صنعت على ضفاف نهر النيل .

الدولة الوسطى فى قمة أمجادها

شارك " سنوسرت " الثانى والده فى حكم البلاد خمس سنوات تقريباً . ثم خلفه وتربع على العرش لمدة خمسة عشر سنة . ويعتبر خليفته "سنوسرت" الثالث النموذج الذى شكل لُحمة شخصية " سنوسرت " كما نسجتها الأسطورة ، فطغت بذلك على عهد سلفه . وبالرغم من كل ذلك، تعزى إلى "سنوسرت" الثانى مختلف المشاريع الضخمة التى آتت أكلها فى عهد حفيده "امنمحات" الثالث . فإليه يرجع الفضل فى استصلاح أراضى الفيوم التى كانت تغطيها البرك والمستنقعات ، فى أيام الدولة القديمة وينتشر فيها الصيد البحرى والصيد البرى ، كما كانت مدينة " كروكود يلوبوليس" (مدينة التمساح) مركزها الحضرى . وتقع هذا الواحة الكبرى على مسافة ٨٠كم إلى الجنوب الغربى من مدينة منف. وتتوفر فيها الأراضى القابلة للاستصلاح . فتولى "سنوسرت" الثانى إعداد بحر يوسف ليصبح صالحاً للملاحة ، وكان يصب فيما عرف فى زمن لاحق ببحيرة قارون. وألحق به نظاما للصرف والرى بعد أن شيد سداً عند اللاهون ، ولم يكتمل المشروع إلا فى عهد " امنمحات " الثالث . ولكن ترتب على هذه الأعمال الضخمة ان انتقلت الجبانة الملكية مجدداً لتستقر فى اللاهون بعد أن كانت قد انتقلت شمالاً فى اتجاه دهشور . ووقع اختيار الملك على قطعة أرض شرق مجموعته الجنائزية وقام بتقسيمها تمهيداً لإقامة العمال الذين التحقوا للعمل بهذه المشاريع الضخمة .

وتعتبر اللاهون أقدم مدينة لاتنشأ نشأة طبيعية يتم الكشف عنها فى مصر. أما المثال الآخر فهو مدينة الحرفيين فى دير المدينة ، وهى ترجع أساساً إلى عصر الرعاسمة ، ولا تزال محافظة على كيانها بدرجة أفضل . كما ظلت لأمد طويل أقدم مثال معروف عن تخطيط المدن وتنظيمها . وفيما بعد ألقت أعمال التنقيب فى تل العمارنة وفى واحة بلاط وفى جزيرة إلفنتين ضوءاً جديداً على العمارة المدنية .

وتصل أبعاد هذه المدينة الى ٤٠٠ متر فى ٣٥٠ متراً . ومن سماتها الأساسية التى يمكن أن نتعرف عليها فى العمارنة ودير المدينة – عزلتها التامة وانغلاقها على نفسها

بفضل سور يحيط بها من كل جانب– والمدينة مشيدة بالطوب اللبن ويخترقها بابان ، باب لكل حي . وربما كان الحي الغربي أكثرهما ثراء ، فمنازله رحبة وتتوفر فيها كل وسائل الراحة ، في حين يتكون الحي الشرقي من اكثر من مائتي منزل يتكون كل منها من ثلاث حجرات على الأكثر .

إن تخطيط هذه المدينة ليس كل ما نعرفه عنها . فقد عثر المنقبون على كمية من البرديات في المنازل وكذلك في معبد " أنوبيس " الواقع جهة الجنوب . وتضم هذه البرديات نصوصاً متنوعة وتشهد على نشاط فني واقتصادي وإداري حقيقي . إنها أعمال أدبية تضم أناشيد ملكية و "تاريخ هاي" وفقرات من "قصة حورس وست" ودراسة في أمراض النساء ودراسة في الطب البيطري وأجزاء من مؤلف في الرياضيات ، ووثائق قانونية ومستندات حسابية ، ومحفوظات المعابد تشمل الأسرة الثانية عشرة بأكملها . ولكن كل ذلك لايقودنا إلى الاستنتاج أن اللاهون كانت العاصمة التي حكم منها "سنوسرت" الثاني البلاد . فمن الملاحظ مثلاً أن دير المدينة التي لم تضطلع بأي دور سياسي على الإطلاق قد كشفت عن مادة أدبية تفوق بوفرتها ما عثر عليه في اللاهون .

وعندما اعتلى " سنوسرت " الثالث العرش اضطر إلى مواجهة مشكلة الإقطاعيات المحلية بعد أن استأثرت بسلطات واسعة تضارع في بعض الأحيان سلطة الملك . ويشهد على ذلك البذخ المنتشر في مقابر بني حسن أو نشاط عائلة "چحوتي حوتپ" في"حتنوب". وكان "سنوسرت" الأول الجد الأكبر "لسنوسرت" الثالث قد بدأ يتوصل إلى حل لهذه المشلكة عندما قام بتوزيع اختصاصات منصب الوزير . ثم جاء "سنوسرت" الثالث فعقد العزم على القضاء قضاءاً مبرماً على سلطات الإقطاعيين الذين أخذوا يتحولون تدريجياً إلى زعماء أسرات محلية ويرتكزون في ذلك على تقاليد عائلية طاعنة في القدم وربما كانت أحياناً أقدم من تلك التي ينتسب إليها الملك. فألغى منصب حاكم الإقليم ، بلا قيد أو شرط. ، وإن استثنى حاكما إقليمياً واحداً وهو "واح كا" حاكم "أنتيوبوليس" الذي ظل في منصبه حتى عهد "امنمحات" الثالث . وبمقتضى التنظيم الإداري الجديد أصبح الوزير يشرف إشرافاً مباشراً على البلاد من خلال ثلاث وزارات ."وعرت" . وزارة للشمال وأخرى للجنوب وثالثة لـ "رأس الجنوب" وتشمل إلفنتيين والنوبة السفلى . ويدير دولاب العمل في كل وزارة موظف يعاونه مساعد ومجلس "چاچات" يتولى إبلاغ التعلميات إلى رؤساء الأقسام الذين يعتبرون من جانبهم مسئولين عن تنفيذها من خلال الكتبة. وترتب على هذا الإصلاح نتلئج مزدوجة ، إذ فقد الأشراف نفوذهم وسلطانهم

وبالتالى صعدت الطبقة الوسطى الأمر الذى يمكن تتبعه من خلال ازدياد النذور المكرسة "لأوزيريس" فى أبيدوس وتعددها . كما قام الملك نفسه بتطوير الإقليم الذى انحدر منه فشيد معبداً للإله "مونتو" فى المدامود .

بدأت النزعة الإقليمية مع عصر الانتقال الأول وبلغت أوجها فى ظل الدولة الوسطى. ويمكن تتبع تاريخ البلاد من خلال جبانات عواصم الأقاليم. فقد سبق أن التقينا على سبيل المثال فى أسيوط مع " تف إيبى" خلال المعارك التى دارت رحاها بين زعماء هيراكليوبوليس وطيبة ، ومع ابنه الذى عينه "مرى كا رع" وأخيرا مع حاكم الإقليم "خيتى" الأول . ولن تكتمل هذه القائمة إلا بإضافة شخصيتين بارزتين من الدولة الوسطى: الأولى "مسحتى" الذى عاش فى أواخر الأسرة الحادية عشرة وبداية الأسرة الثانية عشرة ، وقد دونت على سطوح تابوتية إحدى أهم نسخ "متون التوابيت" . والآخر هو "حعپى چيفا" الذى كان معاصراً "لسنوسرت" الأول والذى سبق أن اقتفينا أثره حتى مدينة كرمة . وقد أعاد تعمير الإقليم الثالث عشر الذى دمرته الحروب ضد طيبة ، وخلف وراءه عشرة عقود جنائزية تعتبر مصدراً له أهمية كبرى فى دراسة القانون .

أخذت جبانة أسوان فى الازدهار منذ الأسرة السادسة . وزادت شهرة على شهرة بفضل مقبرة "سارنبوت" الأول فى عهد أمنمحات الأول ومقبرة "سارنپوت" الثانى فى عهد أمنمحات الثانى. وإضافة إلى ما سبق ، تجدر الإشارة إلى الجبلين ، والبرشا ، حيث مقبرة "چحوتى حوتپ" الذى عاش فى عهد "سنوسرت" الثالث وإلى قاو الكبير . كما نشير بصفة خاصة إلى بنى حسن التى بلغت أوج ازدهارها فى أيام الأسرة الثانية عشرة ، مع عائلة "خنوم حوتپ" وإلى مير وإلى جبانة إقليم القوصية و "خع خپر رع سنب" آخر حكامها المعروفين الذى كان معاصراً لسنوسرت الثانى .إن السلام الطويل الذى عم البلاد على امتداد حكم سلفى سنوسرت الثالث قد شجع القبائل السودانية على التسلل إلى الشمال من الجندل الثالث ، مما دفع "سنوسرت" الثالث إلى اتخاذ إجراءات حازمة . فقام بتوسيع القناة التى كان قد حفرها "مرنرع" أيام الأسرة السادسة على مقربة من بلدة الشلال تسهيلاً لعبور السفن فى منحدرات أسوان النهرية . كما استخدمها فى العام الثامن من حكمه عندما شن حملته الأولى ضد بلاد كوش . ثم جرّد حملة ثانية فى العام العاشر ، وثالثة فى العام السادس عشر . وفى العام التاسع عشر صعد المصريون مجرى النيل حتى الجندل الثانى ، ونجحوا بفضل حملتى العام الثامن والعام السادس عشر فى بسط نفوذهم حتى بلدة سمنة التى صارت تشكل الحدود الجنوبية لسلطانهم ، وتدعيما

لنفوذهم فى هذه المنطقة أقاموا سلسلة من التحصينات مكونة من ثمان قلاع فى المسافة الممتدة من سمنة إلى بوهن وبنيت جميعهـــا بالطوب اللــبن . فشيد سنوسرت الثالث أو أعاد تشييد قلاع غرب سمنة وشرقها (كمة) وجزيرة"اورنارتى" . ومن الجدير بالملاحظة أن المصريين لم يفرقوا بين تشييد أو إعادة التشييد عند صياغة المدونات التذكارية على اللوحات التأسيسية . وتعتبر هذه القلاع المتبقية من أفضل نماذج العمارة العكسرية التى لم تَنَلْ منها معاول الزمن .

وقد وصلتنا معلومات عن حملة واحدة شنها "سنوسرت" الثالث ضد "المنتيو" فى الأراضى السورية الفلسطينية ، فاصطدم المصريون مع أهل "سشم" والليطانى" . ان أكوام "نصوص الحض على البغض والكراهية " التى تم العثور عليها فى النوبة ووادى النيل تعطينا فكرة ولو عامة عن أعداء مصر فى الخارج . إنها تماثيل لغرض السحر ، أو هى بكل بساطة شقف من الفخار دونت على سطحوها أسماء الأعداء المطلوب لعنهم وإهـــلاكهم . وتقترن ممارسة هذه الأعمال السحرية مع المراسم التى تحييها المؤسسات الرسمية عند القيام بشعائر تأسيس المنشآت . فبعد تحطيم الأسناد التى دونت عليها هذه النصوص من خلال شعائر مناسبة ، تُدفن لتظل حبيسة البناية التى تخنقها خنقاً ، تماماً كما يسحق الملك الجالس على عرشه بقدميه الأقواس التسعة رمز البلدان المجاورة لمصر ، أو تثبت بالمسامير خارج المنطقة الواقعة تحت حماية السحر . ولهذه القوائم أهميتها الكبرى ، ولكن شهادتها غير موثوق فيها نظراً للدور الذى تضطلع به ، إذ رأى القائمون على أداء هذه الشعائر أنه من المفيد الجمع بين أعداء الوقت الراهن والقوائم القديمة التى عفى عليها الزمن حتى تعم الفائدة من التعزيمة السحرية وتصبح أكثر شمولاً ، وذلك بدلا من وضع قوائم جديدة كاملة ومطابقة للمواقع . وبعد كل ما قلناه نجد أن المصادر المباشرة تؤكد سلامة ما أدرج من أسماء فى هذه القوائم بالنسبة لمنطقة النوبة كأهل "كوش" و "المجاو" وأهل "واوات" والـ "نحسيو " والـ " يونتيو " . أما المعلومات المتاحة عن فلسطين فهى أكثر غموضاً رغم وفرة الأسماء ، ونذكر منها بيبلوس وأورشليم وسيشم وعسقلان .

لقد أمنت السياسة الخارجية " لسنوسرت " الثالث سيادة مصر فى النوبة حيث قام " أمنحمحات " الثالث بتدعيم الحدود عند سمنة وفى الشرق الأدنى ، على حد سواء . فمن كرما فى أقصى الجنوب وحتى بيبلوس فى أقصى الشمال كانت تقدم "لأمنمحات" الثالث وخلفه فروض الطاعة والولاء .

واستقبلت مصر فى عهده جمعاً غفيراً من العمالة الشرقية من فلاحين وجنود وحرفيين وفدوا إلى مصر وقد شدهم إشعاعها الحضارى وفرص العمل المتوفرة نتيجة مشاريع التنمية فى طول البلاد وعرضها على حد سواء . وبالفعل فقد قاد " أمنمحات " الثالث مصر من خلال حكم دام خمساً وأربعين سنة إلى قمة الرخاء والازدهار ، فدعم السلام فى الداخل كما فى الخارج ، وسارت مشاريع تنمية الفيوم جنباً إلى جنب مع تطور نظم الرى وتكثيف العمل فى المناجم والمحاجر ، وبلغ استغلال مناجم الفيروز والنحاس فى سيناء حداً من النشاط المنقطع النظير . وقدتم حصر ما لا يقل عن تسع وأربعين مدونة فى سرابيط الخادم وعشر مدونات فى وادى المغارة ووادى نسب فى الفترة الممتدة من العام التاسع وحتى العام الخامس والأربعين من حكمه. وأخذت معسكرات عمال المناجم تتحول إلى حد ما إلى معسكرات دائمة تضم المنازل والتحصينات والآبار والصهاريج والجبانات ، بعد أن كانت موسمية فحسب . وأجريت توسعات فى معبد "حتحور" فى سرابيط الخادم ، وأنشئت الاستحكامات للدفاع عن هذه الأماكن ضد إغارات البدو. وسوف يتولى أمنمحات الرابع من بعده إتمام هذه المنشآت . كما تعددت الحملات إلى شتى المحاجر من طرة إلى وادى الحمامات وأسوان وقرب توشكا .

وجد هذا النشاط الاقتصادى صداه فى العديد من المنشآت التى تكشف عن عهد " أمنمحات " الثالث كذروة من دولة تحكم حكماً مطلقاً. وبالإضافة إلى نشاطه فى استكمال مدينة سمنة وتشييد معبد كوبان فى النوبة فقد كرس جل اهتمامه للفيوم . وظل اسمه مرتبطاً بها حتى العصر اليونانى والرومانى حيث كان يعبد تحت اسم " لاماريس ". وقد عثر فى "بيهمو" على تمثالين عملاقين من الجرانيت يرتكزان على قاعدتين من الحجر الجيرى يصورانه جالساً . وزين معبد الإله سوبك فى كيمان فارس . وأقام هيكلاً للإلهة "رننوتت" ، ربة الحصاد ، فى مدينة ماضى . ونذكر على وجه الخصوص تشييده هرمين لنفسه ، الأول فى دهشور والآخر فى هوارة . وعلى مقربة من هرم هوارة توجد أطلال ما تبقى من معبده الجنائزى الذى أطلق عليه "استرابون" اسم "اللابيرانت" (قصر التيه) لما أراد وصفه .

وظلت الفيوم شغل " أمنمحات " الرابع الشاغل . فقد خلف أباه عام ١٧٩٨ ق.م بعد فترة وجيزة من الحكم المشترك وتولى على ما يفترض استكمال أعمال تشييد معبد قصر الصاغة على مسافة ثمانية كيلو مترات إلى الشمال من بحيرة قارون . كما انتهى

من بناء معبد مدينة ماضـى الذى بدأه " أمنمحات " الثالث ، و هو مخصص لـ " للمعبودة رننوتت - الحية التى من چا " والتى سوف يطلق عليها فيما بعد " ترموتيس " وللإله "سوبك " الذى هومن " شدت " ، وكان المعبد يضم بهو أساطين صغيرا يشكل قسمه الامامى ، ويفضى إلى هياكل ثلاثة تجمع بين المعبودين " وأمنمحات " الثالث وأمنمحات الرابع . وسيتم توسيعه واعادة زخرفته فى أزمنة لاحقة و حتى عهد الامبراطور الرومانى "هادريان "

نهاية الاسرة الثانية عشرة

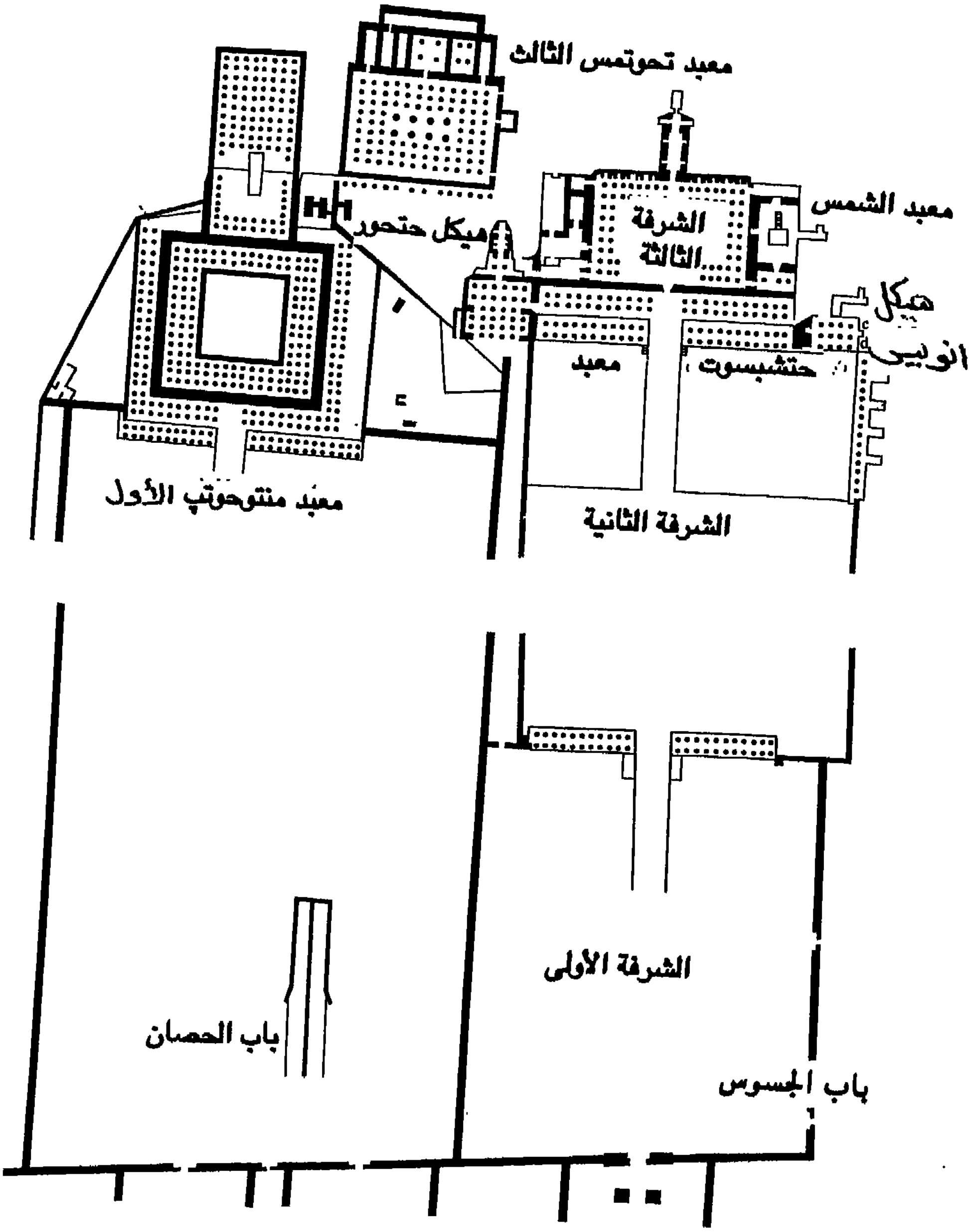
لم يدم حكم " أمنمحات " الرابع أكثر من عشر سنوات ، وعند وفاته أخذت أوضاع البلاد فى التدهور و الانحطاط من جديد . وربما كان وراء ما حدث بعض الأسباب التى كانت قد دفعت إلى انهيار الدولة القديمة . لقد دام حكم كل من " سنوسرت " الثالث وأمنمحات الثالث ما يناهز نصف قرن من الزمن . وبالرغم من ذلك فقد ثارت المشاكل حول وراثة العرش . ألهذا السبب تبوأت حكم البلاد امرأة هى الملكة " نفروسوبك " أى "جمال (الاله) سوبك " على غرار ما حدث فى نهاية الدولة القديمة ؟ و لأول مرة فى تاريخ مصر يشار اليها كامرأة وفرعون فى آن واحد . وربما كانت أخت (وزوجة ؟) "أمنمحات " الرابع . وإليها ينسب هرم مزغونة الشمالى إلى الجنوب من دهشور ، فى حين ينسب هرم مزغونه الجنوبى إلى " امنمحات " الرابع فى اغلب الظن . وإذا صح ماقلناه عن هرمى مزغونه لكان معناه أن " نفروسوبك " لم تدفن فى هرمها . ويدفعنا ذلك إلى تأييد الرأى القائل بأن الحكم القصير للملكة ، الذى تجمع القوائم الملكية على أنه لم يتجاوز ثلاث سنوات ، قد انتهى نهاية عنيفة فى أغلب الظن . ولكن ليس فى وسعنا تأكيد ذلك ، اذ يبدأ عصر الانتقال الثانى بالأسرة الثالثة عشرة التى تعتبر استمراراً شرعيا للاسرة الثانية عشرة سواء على أساس قرابة الدم أو الزواج ، فيما يخص أول ملوكها على الاقل وهو الملك " سخم رع خوتاوى " . ومن ناحية أخرى لم نلاحظ حدوث انقطاع أو انفصال على غرار ما حدث مع نهاية الدولة القديمة . فقد ظلت مصر متماسكة فى الداخل وفى الخارج على حد سواء قرابة قرن ونصف من الزمن ، إلى أن دخلها الهكسوس وفرضوا سيطرتهم على البلاد . بل يبدو أن كل ما فى الأمر هو أن السلطة المركزية أخذت تعانى من أزمات فى إطار حضارة ذات طابع كلاسيكى ثابت .

الكلاسيكية

سبق أن أشرنا إلى بعض الأعمال الأدبية . وتعتبر الدولة الوسطى بأوسع معانيها أى منذ بداية عصر الانتقال الأول وحتى الأسرة الثالثة عشرة - العصر الذى بلغ فيه الأدب واللغة أزهى صورهما ووصل إلى حد الكمال . ونجد نماذج تمثل مختلف الفنون الأدبية إذا صح استخدام هذه المقولة . لقد سبق أن تعرفنا على الكتابات التعليمية من خلال الفن الأدبى المعروف بالتعاليم ونذكر منه " حكم پتاح حوتپ " و " الوصايا الموجهة إلى كاجمنى" وحكم " چدفحور " و" التنبيهات والتحذيرات " و" الوصايا الموجهة إلى مرى كارع " وهى مؤلفات سياسية فى حقيقة أمرها دونت فى معظمها فى وقت لاحق على الأحداث التى تدعى أنها عاصرتها . وفى عهد الدولة الوسطى ظهر إلى النور مؤلف سار على منوال الأدب التعليمى ولقى نجاحاً منقطع النظير. إنه مؤلف يعرف باسم " كميت " ، وهو "تصنيف " شامل وتام من نوع أدب " التعاليم " بلغ حداً من الكمال جعله انعكاساً لكمال مصر " كميت " أى " (الأرض) السمراء" التى تعتبر بدورها صورة كاملة للكون . كما وصلنا أكثر من مائة مخطوط لنص آخر له شهرته ، وعنوانه " هجو الحرف والمهن " ألفه الكاتب " خيتى بن دواوف " فى مطلع الأسرة الثانية عشرة . كما تعرفنا من قبل على " تعاليم أمنمحات الأول " و " نبؤة نفرتى " وهما من الأدبيات السياسة . كما يمكن أن نضيف لهذه القائمة " الوصايا الداعية للولاء للعرش " و " وصايا أب إلى ابنه " أو "الوصايا الموجهة إلى الوزير " . وهى من عهد أمنمحات الثالث .

كما تعتبر الأسرة الثانية عشرة بمثابة العصر الذهبى للقصة المصرية . نذكر منها قصة «الفلاح» وقصة " سنوهى " اللتين تسيران على هدى الأدب الداعى للولاء للعرش الذى تنسج على منواله بردية وستكار . وترجع أقدم مخطوطات القصتين إلى "أمنمحات " الثالث . كما نذكر " قصة الغريق " التى وصلنا منها مخطوط واحد . وكتبت على ما يبدو فى جو العلاقات الجديدة مع بلاد پونت والدور البارز الذى أخذت تلعبه مع حلول الأسرة الحادية عشرة .

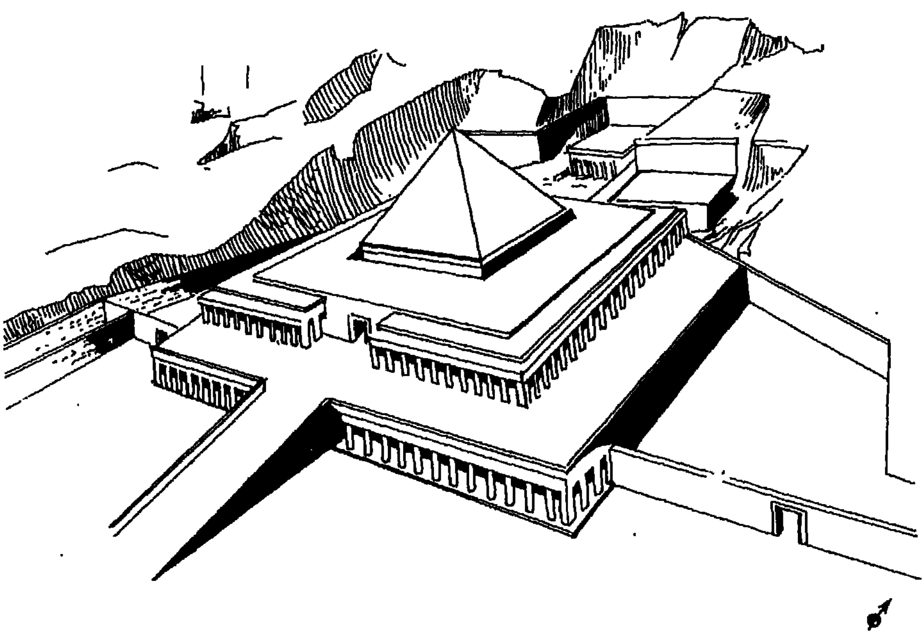
وتجمع هذه القصة بين الميل إلى كل ما هو غريب وأجنبى وبين النزعة الأسطورية . وتتضمن حكاية يسردها أحد المسافرين على مسامع رفيق فى سفره وهو موظف أخفق فى مهمة كان قد كلف بها ، وتدور حول حادث غرقه الذى وقع على ما يبدو فى البحر الأحمر. فلجأ المسافر الغريق إلى جزيرة كل شىء فيها يثير الإعجاب ويمتلكها ثعبان ضخم.



شكل (٧٥) - الدير البحرى
المجموعتان الجنائزيتان لمنتوحوتب الثانى وحتشبسوت

ويظهر من سياق القصة أن الثعبان الذى يتمتع بالقدرة على إتيان الخوارق كان الناجى الوحيد من كارثة سماوية ، ربما كان المقصود بها سقوط أحد النيازك ؟ وكان الثعبان يضع يده على منتجات بلاد " پونت " النفيسة وبشّر المصرى أن انقاذه وشيك وأجزل له العطاء ... ويوفر لنا هذا النص ذخيرة فكرية متنوعة حتى صار من أعمال الأدب المصرى القديم التى حازت على أكبر قدر من الشروح والترجمات .

أما أشهر الروايات الأسطورية فهى فى الغالب قريبة الشبه بالقصص لما تتضمنه من مغامرات . ويرجع تاريخ كتابتها إلى هذا العصر وإن اعتمدت معرفتنا بها على نسخ من عصور لاحقة . ونذكر منها أسطورة " هلاك البشرية " بما لها أيضا من أصداء سياسية . وأسطورة " إيزيس ورع " وأسطورة " حورس وست " . وسبق لنا الحديث عن هذه الأساطير الثلاث . وينطبق هذا القول على كبرى المسرحيات المقدسة ومنها "مسرحية التتويج " و " المسرحية المنفية " التى ترجع النسخة التى بين أيدينا منها إلى عصر " شباكا " .



شكل (٧٦) - رسم تخيلى للمعبد الجنائزى لمنتوحوتپ الثانى بالدير البحرى

أما التيار المتشائم فخير مثال عليه "حوار اليائس من الحياة مع " با " ثه (روحه)". ويمكن أن نضيف إليه مصنفاً آخر هو مجموعة أقوال "خع خپر رع سنب" . ونستشهد بنصوص اللاهون كنموذج لدراسة الأناشيد الملكية وهو فن أدبى مختلف . كما وصلتنا أعداد كبيرة من النصوص الدبلوماسية والترجمات الذاتية والروايات التاريخية والمراسلات والنصوص الإدارية والمصنفات فى مختلف التخصصات من دراسات فى الطب والرياضيات (والتى منها نسخ دونت فى عصور متأخرة) إلى جانب الأجزاء التى بقيت من دراسة فى طب النساء والطب البيطرى وعثر عليها فى اللاهون . كما وصلتنا شذرات فى الطب السحرى عثر عليها فى طيبة إلى جانب أقدم النماذج لما يعرف اصطلاحاً بالـ "أونوماستيكون " وقد عثر عليه فى الرامسيوم ، ويضم قوائم بأسماء مختلف فئات المجتمع أو الكون من حرف وطيور وحيوان ونبات والقوائم الجغرافية التى كان الغرض منها تعليم تلاميذ المدارس .

وتنم أعمال الدولة الوسطى الأدبية عن أسلوب مرهف عذب. وتجمع بين تقاليد الدولة القديمة وبساطة مفعمة بالإنسانية . ونستشف هذا الأسلوب أيضا فى شتى أنواع الإنتاج الفنى ، بدءاً بالعمارة وصولاً إلى المشغولات الدقيقة .وتتميز " المقصورة البيضاء " التى شيدها سنوسرت الأول فى الكرنك بسلاسة خطوطها الفائقة الجمال . ونجد السمة ذاتها فى معبد قصر الصاغة الخالى من أى زخرف ، أو فى معبد مدينة ماضى ببساطة نسقه على حد سواء . ولسوء الحظ فإننا لا نعرف سوى القليل عن العمائر الدينية التى شيدها ملوك الدولة الوسطى خلافاً لتلك التى أقامها خلفاؤهم ، إلا أنه فى وسعنا أن نقف بأنفسنا على خصائصها من خلال المبانى الجنائزية ونخص بالذكر تلك التى أقامها "منتوحوتپ" الثانى فى الدير البحرى .

أقام "منتوحوتپ" الثانى مجموعته الجنائزية فى البر الغربى لطيبة فى حضن دارة الدير البحرى الصخرية الشامخة التى تشرف عليها قمم الجبل التى ظلت إلى يومنا هذا تتولى حماية مقابر الملوك والأشراف . وقد أخذ منتوحوتپ الثانى بالأسلوب التخطيطى الذى اعتمده ملوك الدولة القديمة عند تشييد مجموعاتهم الجنائزية ، من معبد للمزار، فطريق صاعد ، ومعبد جنائزى . ولكن أصبحت الدفنة جزءاً من المجموعة المعمارية ذاتها بعد أن هجرت الشكل الهرمى . وهذا هو الفارق الوحيد بين المجموعات الهرمية لملوك الدولة القديمة ومقبرة "منتوحوتپ" الثانى . ولن نحيد كثيراً عن الحقيقة إذا افترضنا

أن فكرة تجسيد الأكمة الأولية فى شكل هرمى قد جرى الحفاظ عليها ، وإن كان ما تبقى من مبان لا يسمح بتأكيد ذلك . ويمكن تصور هذا الشكل الهرمى على النحو التالى .

إن ودائع الأساسات الموجودة أسفل هذه الشرفة التى يعلوها هرم أو مرتفع بسيط (Arnold : 1974 a) ترتبط بالإله "مونتو رع" . فمن الواضح على ما يبدو أن هذه الإنشاءات هى المقابل الطيبى لمثيلتها فى هليوپوليس المخصصة لـ "رع حور أختى" . أما جزؤها الملامس للجرف فيضم المقبرة والإنشاءات الشعائرية الملكية التى جمعت بين "منتوحوتب" و "آمون رع" لتصبح صورة مسبقة لما سيطلق عليه فيما بعد " مساكن ملايين السنين " أى المعابد الجنائزية التى عرفتها الدولة الحديثة . لقد اكتشف لورد دوفرين **Dufferin** عند أواسط القرن التاسع عشر معبد ومقبرة "تيم" ، زوجة الملك . بيد أن أعمال التنقيب الحقيقية جرت فى الفترة من ١٩٠٣ إلى ١٩٠٧ تحت إشراف إدوار ناڤيل **E.Naville** وهول **E.Hall** ولحساب جمعية الكشوف الأثرية المصرية **Egypt Exploration Society** وذلك بعد أن اكتشف هوارد كارتر **H . Carter** مقبرة باب الحصان التذكارية خلال عامى ١٩٠٠-١٩٠١. واستؤنفت أعمال التنقيب عام ١٩٢١ واستمرت حتى عام ١٩٢٤ باشراف ونلوك **H . E . Winlock** لحساب متحف المتروپوليتان للفنون **Metropolitan Museum of Art** . وأخيراً أشرف على أعمال التنقيب ارنولد **D . Arnold** اعتباراً من ١٩٦٧ لحساب المعهد الألمانى ، وسمحت أعمال التنقيب بتخيل أربع مراحل مرت بها أعمال الإنشاء . فى المرحلة الأولى أعدت ساحة يحيط بها سور على شكل منحرف من الحجر المنحوت ويمتد خارج الفناء الشرقى . ويصعب علينا إبداء رأى قاطع حول الغرض منه ، ويرجع تاريخ المرحلة الثانية إلى السنوات التى حمل خلالها " منتوحوتپ " اللقب الحورى " نترى حچت " ، أى بين العام العشرين والعام الثلاثين من حكمه على وجه التقريب . فشيد جدار سور بمحاذاة دارة الجبل وبحيث يحيط بمقبرة باب الحصان ودفنات الملكات اللاتى توفين قبل الملك . ثم ننتقل إلى المرحلة الثالثة وهى المرحلة الرئيسية التى ترجع إلى سنوات حكم الملك التى حمل خلالها اللقب الحورى "سماتاوى " ، أو بين العام الثلاثين والعام التاسع والثلاثين من حكمه ، وفيها شيدت الشرفة التى تضم نواة مركزية وممشى يطل على القسم الخلفى المكون من فناء به بواكى وبهو أساطين والهيكل والمقبرة الملكية. أما المرحلة الرابعة فقد بدأت قبل الانتهاء من المرحلة الثالثة ، وتضمنت الانتهاء من الطريق الصاعد وإعداد وتصفيف الجدار الداخلى للفناء وتشييد بواكى الفناء إلى جانب الأفنية المحيطة بالممشى وقدس أقداس " آمون رع " .

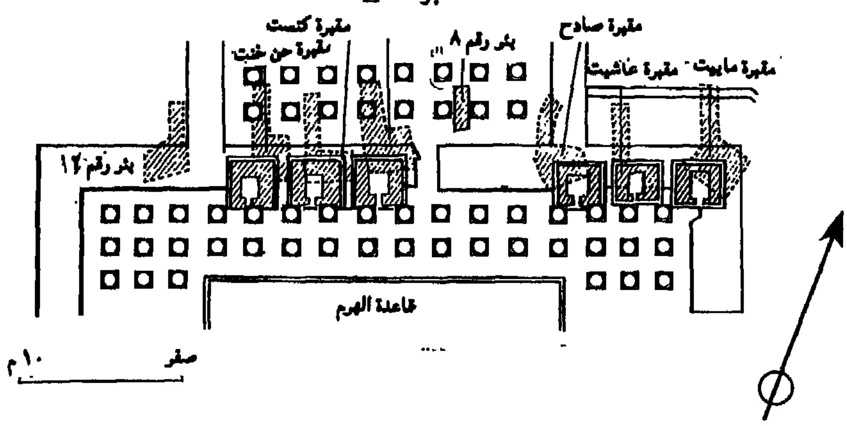
أما معبد المزار فما زال مدفوناً تحت الأراضى الزراعية لكوم الفصاد ولم يتم الكشف عنه حتى الآن . ومن هنا كان يبدأ الطريق الصاعد . كان طريقاً مكشوفاً مرصوفاً بالطوب ويرسم حدوده حائط من الحجر الجيرى . كان الطريق الصاعد يمتد لمسافة ٩٥٠ متراً . وتنهض على جانبيه تماثيل للملك فى صورة أوزيرية ، ويفصل بين كل تمثال وآخر مسافة تسعة أمتار تقريبا، وقد عثر ونلوك على كمية كبيرة من حطام هذه التماثيل . ويفضى الطريق الصاعد إلى الفناء الأول الذى طوره منتوحوتب نفسه وبدّل فيه قبل أن يعتدى "تحوتمس" الثالث فيما بعد على جانب منه عندما أقام الطريق الصاعد المؤدى إلى هيكل حتحور الذى شيده متاخماً لشمالى معبد " منتوحوتپ " الثانى . وتحد مؤخرة الفناء باكية مزدوجة يخرج عند منتصفها أحدور صاعد يفضى إلى الشرفة وتقوم على جانبيه خمس وخمسون شجرة إثل وصفان من أربع شجرات جميز تظلل كل منها تمثالاً يمثل الملك جالساً وقد ارتدى زى احتفالات عيد "سد" . وسقف كل باكية محمول على أربعة وعشرين عموداً مربع الشكل ويحمى جذاراً عليه كسوة من الحجر الجيرى تصور نقوشه الحملات العكسرية الآسيوية ومشاهد الملاحة الشعائرية . وفيما بعد استندت حتشبسوت إلى أدق تفاصيل هذا المعبد كنموذج حى للمعبد الذى شيدته بجواره .

وقد لعبت الصدفة وحدها دوراً بارزاً فى اكتشاف هوارد كارتر مدخل مقبرة "منتوحوتپ" الثانى التذكارية فى فناء المعبد . فقد تعثرت خطى جواده أثناء سيره فى هذه المنطقة عند منخفض أرضى فوق هذا الموقع فكان هذا الحدث وراء اطلاق اسم "باب الحصان" على هذه المقبرة .كانت الأختام ماتزال فى موضعها على باب المقبرة . وينفتح الباب على ممر يبلغ ١٥٠ متراً طولاً منقور فى الصخر ويتجه جهة الغرب ليفضى إلى حجرة سقفها معقود وتقع أسفل الهرم. وعُثر فـى هذه الحجرة على تمثال ملكى مجهول اسم صاحبه وهو من الحجر الرملى الملون . ويمثل ملكاً يرتدى زى عيد "سد" . كما عثر على تابوت مجهول إسم صاحبه أيضاً وإلى جانبه بعض القرابين . وبالحجرة فُوّهة بئر عمودية تفضى إلى حجرة ثانية تقع على عمق ثلاثين متراً وتحتوى على أوانٍ ونماذج ثلاث سفن . ولا يظهر اسم "منتوحوتپ" إلا على صندوق خشبى عُثر عليه فى بئر تقع عند منتصف الممر الأول .

وترجع الشرفة إلى مرحلة التشييد الأولى حيث دمجت الهياكل الستة ومقابر الملكات كاهنات حتحور سيدة الموقع فى مبنى واحد .

وخلال المرحلة الثانية اندمجت الهياكل فى وضعها الثانى فى الجدار الشرقى لممشى الشرفة . وجدران الهياكل مزخرفة بمشاهد شيقة عظيمة الفائدة : فتظهر الملكات وهن يتزين أو يزرن مزارعهن ويشتركن فى الحفلات والولائم كما يظهرن وهن يشربن لبن الأبقار. فالموضوع الجنائزى الذى يصور حتحور كمرضعة هو منشأ كل ميلاد جديد . وسوف يتناول "تحوتمس" الثالث هذا الموضوع بأسلوب مبدع رائع فى الهيكل المنقور فى الصخر الذى سبقت الإشارة إليه . وكان ينهض فى وسط الهيكل تمثال يثير الإعجاب يمثل الملك تظلله الإلهة بحمايتها ، وترضعه فى الوقت نفسه ، وقد اتخذت شكل بقرة واقفة عند أطراف المستنقعات ، وهى المحطة الأخيرة والنهائية فى الرحلة إلى مملكة الأبرار .هذا التمثال محفوظ فى الوقت الراهن فى المتحف المصرى بالقاهرة . (شكل ٩٠) . وخلف كل هيكل من الهياكل الستة توجد بئر تفضى إلى حجرة الدفن . كما أن أربعاً من المقابر الست كانت ضحية لعمل من أعمال السلب والنهب لمرة واحدة فقط. وقد عثر على توابيت فى مقابر " حن حنت " و " كاويت " و " عاشيت " . وخصصت مقبرة لطفل يدعى " مايبت " .

وتتكون الشرفة فى وضعها الثانى من ممشى زينت جدرانه بمشاهد شعائرية وإدارية وينهض بينها وبين النواة المركزية فناء مسقوف . ثم ندلف عبر رواق إلى القسم الخاص من المعبد: وهو بهو أساطين زينت حيطانه بمناظر التقدمات . وفى منتصف الجدار الغربى توجد كوة منحوتة فى الصخر خصصت لوضع تمثال للملك وأمامه قدس أقداس مخصص " لآمون رع " و"منتوحوتپ" يزخر بصور للشعائر. وكانت مقبرة الزوجة الملكية "تيم" عند الركن الجنوبى الغربى من ممر بهو الأساطين .



شكل (٧٧) - الدير البحرى: معبد "منتوحوتب نب حتپ رع".
هياكل الملكات ومقابرهن.

أما مقبرة الملك الحقيقية فقد أقيمت غربى قدس الأقداس . وللوصول إليها نعبر ممراً طويلاً يبدأ من الرواق ويمر أسفل بهو الأساطين ، وتقع حجرة الدفن أسفل صخر جرف الجبل ، وقد غُشيت بكسوة من الجرانيت . وحتى عهد " رمسيس " الحادي عشر كانت لا تزال بعيدة عن أعمال السلب والنهب حسبما جاء فى تقارير محاضر الجولات التفتيشية التى جرت عقب انتشار سرقات المقابر الملكية. ولم يعثر فى حجرة الدفن سوى على ناووس من الجرانيت والألبستر ونماذج سفن وعصى وصولجانات .

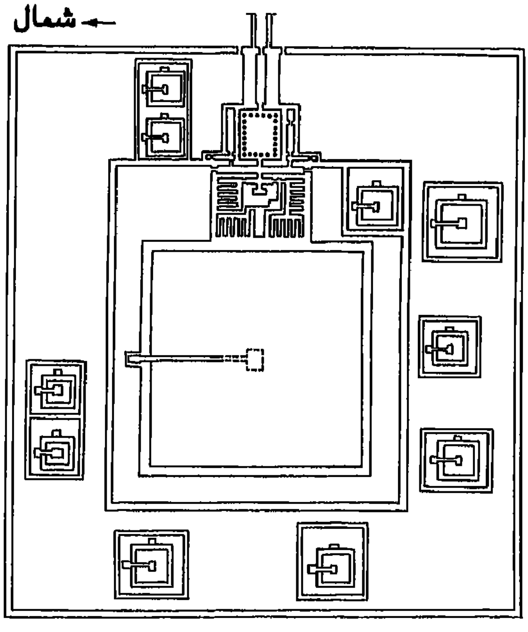
وقد ظل عنصر الإبداع فى أبحاث "منتوحوتب" المعمارية مرتبطاً بمدينة طيبة . وعندما أقدم خلفاؤه على نقل العاصمة ، عادوا إلى الإرتباط بالتنظيم الذى اعتمدته مدينة منف عند تشييد المجموعة الجنائزية . فاختاروا منطقة سقارة الجنوبية موقعاً لمقابرهم، ومالوا بادىء الأمر إلى الأخذ بتخطيط المنشآت الجنائزية التى راجت فى أواخر الأسرة السادسة . وكانت اللشت وهى عند منتصف الطريق بين دهشور وميدوم ، أول موقع استخدمه " أمنمحات الأول" وسنوسرت الأول"

وشيد " أمنمحات" الأول شمالى الموقع هرماً يشبه فى خطوطه العريضة النموذج المعمارى الذى ساد فى الأسرة السادسة ، سواء من ناحية ميل زاوية الهرم وهى ٥٤° أومن ناحية أبعاده التى تصل إلى ٨٤ متراً طولاً لكل ضلع و٧٠ مترا ارتفاعاً ، وشيده بأحجار مجلوبة من "أبو" صير والجيزة ، وكسيت سطوحه بالحجر الجيرى الأملس المجلوب من طرة . وقد زالت الكسوة تماماً فى الوقت الراهن . ومدخل الهرم فى الجهة الشمالية خلف باب وهمى من الجرانيت يظلله هيكل صغير . وتقع حجرة الدفن تحت المستوى الراهن للمياه الجوفية . واكتمل بناء المعبد الجنائزى فى فترة "مشاركة" سنوسرت الأول فى الحكم . وجاء الأحدور والمجموعة على غرار تصميم هرم بيپى الثانى . ومقابر أميرات البيت المالك تتاخم الجانب الغربى من الهرم ، فى حين تقع مقابر أعيان الدولة إلى الجنوب الغربى منه ، ومن بينها المقبرة التذكارية للوزير " إنتف أكر " الذى شغل هذا المنصب فى عهد امنمحات الأول وفى عهد خلفه " سنوسرت " الأول . وقد دُفن " إنتف أكر " فى مقبرته بالشيخ عبد القرنة بجبانة طيبة . (TT.60) ولكنه عاد إلى التخيل القديم الذى يصور الموظف مرافقاً لسيده إلى العالم الآخر.

وقام " سنوسرت " الأول بتشييد هرمه جنوبى هذا الموقع . وقد أحيط بسور من الحجر يلتف من حوله سور من الطوب . وهرمه أكبر من هرم سلفه إذ يبلغ طول ضلعه ١٠٥ أمتار فى حين أن ارتفاعه ٦٠ متراً فقط . وترتب على ذلك انكسار شديد لزاوية

الميل إذ تبلغ ٤٩ْ فقط . واعتمدت أعمال التشييد أسلوباً تقنياً مختلفاً أقل تكلفة ويجمع بين دعامات على شكل عوارض مركزية مكونة من جدارين متقاطعين من الحجر وبين حشوة من الدبش غطيت بكسوة من الحجر الجيرى المجلوب من طرة . ولايزال المشاهد فى الوقت الراهن يرى بعض بقاياه وآثاره ، وخلاف هرم " كا " الملك توجد تسعة أهرام تابعة . وفيما عدا هذا فقد أخذ هرم سنوسرت الأول أيضاً بتخطيط هرم " پيپى " الثانى. وعندما قام " جوتييه " J . E . Gautier بالكشف عن المجموعة الهرمية عام ١٨٩٤ عثر على عشرة تماثيل تمثل "سنوسرت " الأول جالساً على عرش مكعب ذى مسند ظهر منخفض - وقد زخرف كل منها بزخارف متنوعة تدور حول موضوع الـ "سماتاوى" . وهو الرمز الشعارى لاتحاد الأرضين (شكل ٨٠) . وكان المصريون قد أخفوا التماثيل على عجل فى حفرة عميقة خوفاً من سرقتها على ما يبدو ، وهى معروضة الآن فى المتحف المصرى بالقاهرة .

أما " أمنمحات " الثانى فقد عاد واتجه جهة الشمال فأقام مقبرته فى دهشور ، كما دفن حفيده " سنوسرت " الثالث فى نفس هذه المنطقة ، فى حين اكتفى "أمنمحات" الثالث بن " سنوسرت " الثالث بإقامة مقبرة تذكارية .



شكل (٧٨) - رسم تخطيطى لهرم سنوسرت الأول فى اللشت

وعاد هرم " امنمحات " الثانى إلى الأخذ بالتقنيات التى استخدمها هرم " سنوسرت " الأول ، ولكن يصعب علينا التوصل إلى وصف هذا الهرم وصفا دقيقا نظرا لما لحق به من دمار شديد . وتجدر الإشارة الى أنه قد تم الكشف غربى حرم الهرم على مقابر الأميرات " إيتا " و" إيتاورت "و " خنومت " وهى من أبرز المقابر ، وما عثر عليه فيها من حلى ومجوهرات معروض الآن فى المتحف المصرى بالقاهرة .

أما " سنوسرت " الثالث فقد اختار الأساليب التقنية التى اعتمدها أبوه فى اللاهون . فشيد هرمه فوق نواة صخرية ، على هيئة شبكة من الجدران الحجرية وتم حشوها بالطوب اللبن ، واستخدمت كسوة من الحجر الجيرى المجلوب من طرة . ومدخل الهرم عبارة عن بئر تقع غربا وتفضى إلى حجرة الدفن المشيدة من الجرانيت الأحمر . كما أقيمت جنوبى المجموعة الهرمية وغربها مصاطب الأشراف وأحيطت بسور من الطوب اللبن . أما فى الشمال فتوجد مقابر الأميرات " نفرت حنوت " و" مريريت " و" سنت سنبتيس " . وقد حفرت على شكل مقاصير ودهاليز . وإلى جانب ما عثر عليه فيها من توابيت وأوان كانوبية ، فقد أمدتنا بمجموعة من الحلى ، وفى مقدمتها الصدريات الرائعة التى تحمل اسم كل من " سنوسرت " الثانى و " سنوسرت " الثالث ، وهى من مقتنيات المتحف المصرى بالقاهرة .

وشيد " أمنمحات " الثالث مقبرة تذكارية من الطوب اللبن كان لها فيما مضى كسوة من الحجر الجيرى . وبسبب مظهرها الراهن ، فقد أطلق عليها اصطلاحا " الهرم الأسود " . وكان كبير الحجم إذ يناهز طول ضلعه مائة متر وتعادل زاوية ميله ٢٠ " ٥٧° ، وكان يعلو قمته هريم . أما مدخله ومعبده الجنائزى فمن الجهة الشرقية . وكان تخطيط بنيانه السفلى غاية فى التعقيد وربما جاء متأثرا بتخطيط مجموعة " چسر " الجنائزيه فى سقارة ، كما احتوى على تابوت من الجرانيت . (Lauer : 1988 , 198) .

كذلك استخدم ملوك الأسرة الثالثة عشرة موقع دهشور وعلى رأسهم الملك " حور " الأول " إويت إيب رع " . ويحتفظ متحف القاهرة بتمثال " كا " الملك المصنوع من الخشب . ولا يمكن اعتبار أن جبانات ملوك الأسرة الثانية عشرة قد أقيمت فى منطقتى اللشت ودهشور دون غيرهما . بل نجد أن " سنوسرت " الثانى و " أمنمحات " الثالث اللذان ارتبط اسمهما باستصلاح إقليم الفيوم قد عقدا العزم على أن يدفنا على مقربة منه . فدفن العاهل الأول فى اللاهون، فى حين دفن الثانى فى هوارة .

شيد هرم اللاهون إلى شمال السد الذى أقامه " سنوسرت " الثانى وعند حافة الأرض الزراعية . وهو على شكل مربع يبلغ طول ضلعه ١٠٧ امتار وبزاوية ميل قدرها

٣٥ َ ٤٢° درجة. ويحتمل أن ارتفاع الهرم كان حوالى ٤٨ مترا . ويقع مدخل الهرم جهة الجنوب من خلال بئر تفضى إلى مجموعة ممرات معقدة تلتف حول حجرة الدفن وهى تشبه التفاف الأمواه حول الجزيرة التى شيدت فوق أرضها مقبرة أوزيريس فى مدينة أبيدوس ، على مايظن . وتم الكشف عن تابوت من الجرانيت داخل الهرم وعثر بجواره على صل من الذهب . وتتميز مقبرة "سات حتحور إيونت" دون غيرها من مقابر الأميرات بما عثر عليه فيها من حلىّ أصبحت الآن موزعة بين متحف المترو بوليتان ومتحف القاهرة .

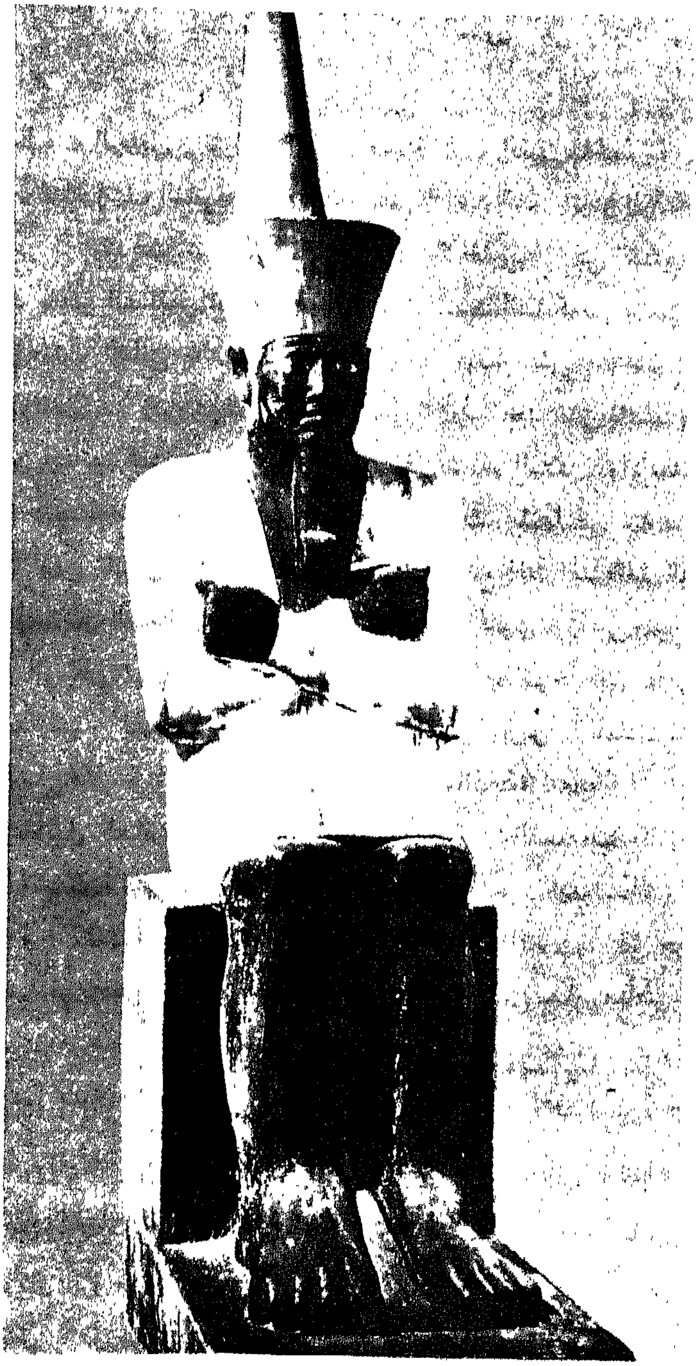
إن أوجه الشبه بين الهرم الذى شيده "أمنمحات" الثالث فى هوارة على مسافة ٩ كم جنوب شرق مدينة الفيوم وبين هرم " سنوسرت " الثانى عديدة ، إذ تضم حجرة الدفن تابوتا من الجرانيت وتابوتا ثانيا أصغر من الأول كان مخصصا لـ " نفروبتاح " ابنة امنمحات الثالث التى دفنت على مسافة كيلو مترين جنوبى هذه المنطقة . فى حين دفنت الأميرات الأخريات فى دهشور . كما أقيم المعبد الجنائزى أيضا جهة الجنوب وهو الذى أطلق عليه سترابون اسم " اللابيرانت " أو قصر التيه . يتكون " اللابيرانت " من ثلاثة صفوف من الوحدات المستقلة المتجاورة التى شيدت على مساحة ٢٠٠فى ٣٠٠ مترا . وقد عثر فيه على أجمل تماثيل أمنمحات الثالث فى وضع الجلوس (CGC 385) . ولا شك أن هذه المبانى كانت مخصصة لعيد " سد " . ويمكن تشبيهها بمثيلتها فى مجموعة " چسر " بسقارة . كما أن اوجه الشبه بينها وبين مجموعة أمنمحات الثالث كثيرة ومتعددة . ويبدو أن " سوبك نفرو " هى التى أكملت المعبد . ولكن يستحيل تحديد الهدف من هذه الأعمال ، وهل استهدفت اتمامه كما يظن أم إقامة شعائر عبادة " امنمحات " الثالث بعد ان تم تأليهه .

لقدتركت الدولة القديمة بصمات واضحة وعميقة على فن نحت التماثيل الملكية رغم تخلى عاهل البلاد فى الدولة الوسطى عن وضعه السابق كإله لا يمكن المساس به . بيد أن تطور هذا الفن كان نسبيا أكبر من تطور فن نحت تماثيل الأفراد التى انحصر التجديد فى أوضاعها فى إطار ما استعارته من النماذج الملكية . فلأول مرة تصادفنا تماثيل صغيرة على شكل مومياء موضوعة فى كوة . وقد استمدت أصولها من التماثيل الأوزيرية الضخمة . كما تأثرت تماثيل المصلين والملتحفين بالعباءات بفن نحت التماثيل الملكية . ويعتبر " التمثال المكعب " هوالابتكار الوحيد الحى الذى ابتدعه ذلك العصر . ويصور شخصا جالسا وقد ثنى ساقيه قرب ذقنه مكونا كتلة لن يبرز منها بمرور الزمن سوى الرأس . لقد ولدت هذه الأشكال من المباحث ذات الأغراض الهندسية التى شاعت

فى عصر الانتقال الأول فأصبحت إسناداً مواتية للمتون التى زخرت بها سطوحها خلال العصر المتأخر .

اصطبغت البدايات الأولى لأسلوب مدينة طيبة الفنى بالخشونة . ونذكر على سبيل المثال تمثال إنتف الثانى مرتديا رداء عيد " سد " . وتبدو الرقبة من خلاله غائرة فى الكتفين . وقد عثر عليه فى قدس أقداس " حقاإيب " فى إلفنتين . كما نذكر فى هذا الصدد بعض التماثيل التى ترجع إلى هذا النمط التشكيلى والتى عثر عليها فى معبد منتوحوتب الثانى بالدير البحرى والموزعة حاليا على متاحف القاهرة وبوسطن ونيويورك ولندن . وفى عهد " أمنمحات " الأول أخذ الفن يلطف من هذه الخشونة ويخفف من وطأتها تحت تأثير المدارس الفنية فى شمال البلاد . والأمثلة على ذلك واضحة جلية من خلال بعض النماذج التى عثر عليها فى منديس (Caire JE 605 20) وفى تانيس (Caire JE 37470) . ومع ذلك فقد ظلت الفوارق محسوسة وأكثر وضوحا بين الشمال والجنوب ، طالما بقى ملوك مصر موزعين بين موطنهم الأصلى وبين مصر الوسطى . وخلف " سنوسرت " الأول وراءه انتاجا فنياً غزيرا يمكن توزيعه بين عدة مدارس . فقد أمدنا معبد الكرنك بتمثالين كبيرين " لسنوسرت " الأول واقفا وهما من إنتاج مدرسة طيبة الفنية (Caire JE 38286 - 38287) . أما اعمال اللشت الفنية والتماثيل العشرة التى سبقت الإشارة اليها والدعامات الأوزيرية إلى جانب التماثيل الخشبية التى عثر عليها فى معبد " ايمحوتب " (Caire JE 44951) و (MMA 14.3.17) فتنتمى إلى مدرسة الفيوم . فى حين نجد أن إنتاج مدرسة منف لم يزدهر فى مدينة منف فحسب بل امتد إلى سائر مناطق البلاد الشمالية واقترن بعودة صريحة إلى التقاليد الملكية ، فصنعت فى عهد " سنوسرت الثانى " تماثيل تصور ملوك الأزمنه الغابرة ، من أمثال " ساحورع "و " نى أوسررع " و " چسر" .

وظل الاتجاه الكلاسيكى مزدهراً فى عهدى " أمنمحات " الثانى و " سنوسرت " الثانى . وكان أبرز مايكون فى التماثيل التى أعيد استخدامها فى وقت لاحق فى موقع مدينة تانيس . وزخرت فترة حكم خلفيهما بأعمال فنية بلغت شأوا كبيرا فى الرقى . ونخص بالذكر المجموعة التى تصور ملامح وجه " سنوسرت " الثالث التى عثر عليها فى معبد المدامود وهو فى مقتبل العمر أو طاعنا فى السن على التوالى ، بغرض ابراز



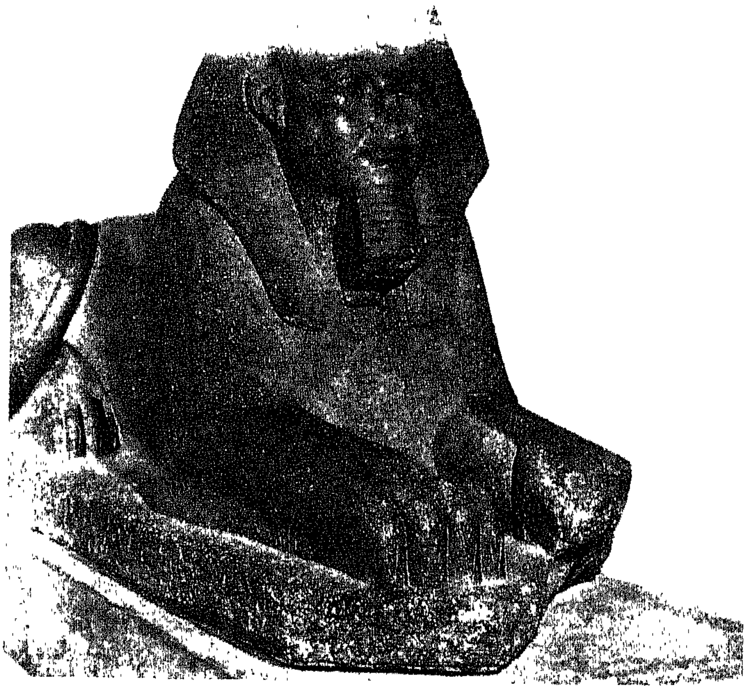
شكل(٧٩) - "منوحوتپ" الثانى مرتدياً رداء عيد" سد".

وقد عثر على التمثال فى مقبرته التذكارية بالدير البحرى. من الحجر الرملى الملون. الإرتفاع ١٨٣سم.

متحف القاهرة:JE36195



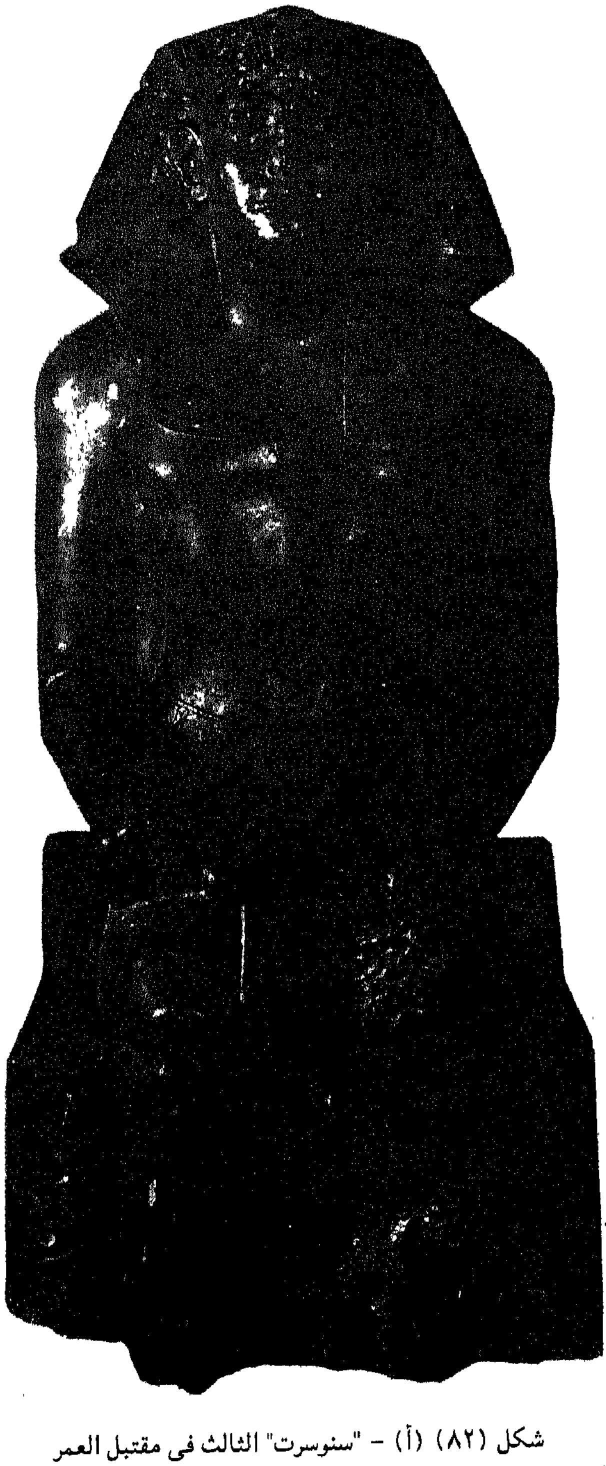
شكل (٨٠) -تماثيل سنوسرت الأول فى خبيئة اللشت.



شكل(٨١) - تمثال لأبو الهول يمثل " أمنمحات"الثانى.

عثر عليه فى تانيس واغتصبه كل من "أبيبى"و"مرنپاح" وشاشانق" الأول. من الجرانيت الوردى.

لإرتفاع ٢٠٦سم. الطول ٤٧٩سم Louvre A23



شكل (٨٢) (أ) - "سنوسرت" الثالث فى مقتبل العمر
تمثال عثر عليه فى المدامود. من الجرانيت الأسود الإرتفاع ١٢٠سم. Louvre 12902



شكل (٨٢)(ب) - سنوسرت الثالث - طاعناً فى السن .
رأس تمثال عثر عليه فى المدامود "من الجرانيت الأسود الأرتفاع ١٥ سم.Louvre 12960

الجانب البشرى الذى اكتسبه الملك بشكل واضح مع حلول عصر الانتقال الأول . كما نذكر مايشبهها من تصاوير" أمنمحات " الثالث (CGC 385) التى عثر عليها فى هوارة. وتضم عددا من تماثيل أبو الهول وتماثيل الشعائر كتجسيد لموضوع سبق أن صادفناه قرب نهاية الدولة القديمة وهو يمثل الملك جاثيا رافعا أوانى النبيذ تقدمة وقربانا (CGC 42013 ، جاءت من الكرنك - والخرطوم ٤٤٨ ، وقد عثر عليه فى سمنة)وقد عثر على مجموعة كاملة من التماثيل التى ترجع إلى أواخر عهد "أمنمحات " الثالث ، وإن نسبت إلى عصر الهكسوس استنادا إلى أسلوبها المتميز الخارج على المألوف . وهى مجموعة تماثيل " أبو " الهول التى عثر عليها فى تانيس وبوباستس والكاب وتماثيل الملك وهو يرفع تقدمة من الأسماك (CGC 392) . وهذه التماثيل هى فى واقع الأمر تعبير عن نزعة سادت شمال البلاد وامتدت آثارها الى أزمنه لاحقه .

إن الدولة الوسطى هى أزهى عصور الحضارة المصرية وهى عصرها الكلاسيكى بكل معنى الكلمة . ومع ذلك فهى ليست أطول هذه العصور من الناحية الزمنيه ولا أفضلها توثيقا . انه لا يوجد عصر نجهل عنه مانجهله عن الدولة الوسطى فى المجال المعمارى . فنجد مثلا أن معابد عظيمة كمعابد آمون رع بالكرنك وتانيس لم يبق منها

أثر سوى الأحجار التى أعيد استخدامها فى عمائر جديدة . ومن ثم يستند تقييمنا هذا إلى ماوصلنا من آثار فحسب ، والتى تعبر جميعها عن قدر من الاعتدال ، يقربها أكثر فأكثر من دائرة بنى البشر بالمقارنة مع ضخامة الأهرامات وشموخها . كما ينبغى أن نولى تعاظم شأن المراكز الاقليمية أهمية خاصة ، إذ يبدو أن البلاد بأسرهـا قد أخذت تدخل عهدا من التوافق مقتربة من وضع كان فيما مضى من نصيب أقلية ، دون أن تنزلق مع ذلك إلى المزايدات الصاخبة . إن الصورة التى تقدمها الدولة الوسطى هى صـورة توازن يشبه ما عرف عن حكم الإلهة " ماعت " . هذا مانستشفه على الأقل من الأدب ، وهو المصدر الوحيد الذى بلغ درجة رفيعة من الرقى فى عصر الدولة الوسطى بالمقارنة مع غيره من عصور . لقد سبق أن لاحظنا أن الإبداعات الأدبية التى تشكل جوهر ولب الثقافة المصرية قد جرى تأليفها فى جانبها الأكبر فى ظل الدولة الوسطى ، وهى تعبير عن مفهوم حضارى ساد فيما بعد وصار النموذج الذى لا يمكن أن يتجاهله المصريون . ومن هذا المنطلق فإن الإمبراطورية التى أسسها الملوك الذي حملوا أسماء "أمنمحات" وسنوسرت" هى بحق العصر الكلاسيكى فى مصر.

الفصل الثامن

الغـــــــزو

عصر الانتقال الثانى

وإضافة إلى ما سبق ينبغى أخذ الوضع الدولى بعين الإعتبار . فقد سبق ورأينا كيف استعادت مصر تدريجياً سيطرتها على النوبة وفرضت سيادتها على الشرق الأدنى . إن تدفق العمالة الآسيوية وزيادتها زيادة ملحوظة فى عهد "امنمحات" الثالث على وجه التحديد ، كانت السبب وراء بداية حركة هجرة متصلة وسلمية ولكنها ثابتة دؤوبة ، أدت إلى استقرار بعض الشعوب فى شمال البلاد . وقد جاءت هذه الهجرة بعد أن طردت من مواطنها الأصلية تحت ضغط الهجرات القادمة من الشرق ، حتى إذا آن الأوان نزعت هذه الجماعات إلى الاتحاد لتحتل المناطق التى تطولها . وعادت الآليات التى كانت وراء سقوط الدولة القديمة إلى الظهور ، وتتمثل فى إضعاف الدولة وما ترتب عليه من انفـراط عقد وحدة البلاد . وأخـذت سـلطة مصر الحقيقية تتحصن فى جنوب البلاد .

لم يبدأ "عصر الانتقال الثانى" فجأة مع نهاية الأسرة الثانية عشرة ، كما لا يعتبر مرحلة تاريخية فى حد ذاتها شأنه فى ذلك شأن عصر الانتقال الأول . وكل ما فى الأمر أنه يساعد على رسم حدود ترتيب زمنى يسهل استخدامه فى حدود المعلومات اليقينية التى وصلتنا والتى لا تتجاوز بداية العصر ونهايته . فيبدأ تاريخ هذا العصر بوفاة "سوبك نفرو رع" حوالى عام ١٧٨٥ ق . م . وينتهى باستيلاء " أحمس" على السلطة حوالى عام ١٥٦٠ ق . م ، مستهلاً عصر الدولة الحديثة . وبين هذين التاريخين تمتد مرحلة بأكملها تناهز قرنين من الزمن . ونحن نجهل النصف الأول من هذه المرحلة جهلاً مطبقاً . ولا تتعدى معلوماتنا فى واقع الأمر الأسماء الواردة فى القوائم الملكية . ففى القسم الأول من هذا العصر حكمت الأسرة الثالثة عشرة وحدها مصر . ثم دخلت فى تنافس مع أمراء "أخسويس" و "أواريس" فى الدلتا الذين شكلوا أسرتين من الهكسوس هما الأسرة الخامسة عشرة والأسرة السادسة عشرة ، المنافستان للأسرة السابعة عشرة الطيبية، وإلى أن قام "أحمس" بطردهم .

وتذكر قوائم الملوك نيفاً وخمسين ملكاً للأسرة الثالة عشرة . ولكنها لا تتفق فيما بينها على ترتيب تعاقبهم على عرش مصر . فلا نعرف يقيناً أن كان أول ملوكها هو "سخم رع خوتاوى " (CAH II3 , 13 , 42 Sq) أو " أوجــاف " (راجع (V.Beckerath: 1984,67)؟ ويمكن طرح نفس هذا السؤال مع كل ملك من هؤلاء الملوك الذين تعاقبوا بإيقاع متسارع ، حتى ظن بعضهم أن اختيارهم قد جاء طبقاً لنظام انتخابى ظل معمولاً به فى المرحلة الأولى من حكم ملوك النسب الطيبى . وتدور بخلدنا فرضية لها ما يغرينا على قبولها . فقد تركز نشاط هؤلاء الملوك " الصوريين " فى طيبة فى المقام الأول مع استمرار عاصمة البلاد فى" إثت تاوى " حتى حوالى عام ١٦٨٤ . كما احتفظت مصر بقدر من السلطة كان يكفى للإبقاء على هيبتها فى الداخل وقــوتها فى الخــارج . فــمن المغــرى حــقاً أن نفــترض فــى ظــل هــذه الظــروف أن .

١٧٨٥	سخم رع خوتاوى
	أمنمحات الخامس
	سحوتب إيب رع (الثانى)
	أمنمحات السادس (" أمينى الأسيوى؟ ")
	حورنج حر إيتف " الأسيوى "
	سوبك حوتپ الأول
	رينى سنب
	حر الأول
	أمنمحات السابع
	وچاف
	سنوسرت الرابع
	خنچر
	سمنخ كارع
	سوبك إم ساف الأول
	سوبك حوتپ الثالث
	نفر حوتپ الأول
	ساحتحور
	سوبك حوتپ الرابع
	سوبك حوتپ الخامس
	نفر حوتپ الثانى
	نفر حوتپ الثالث
	يع إيب
	إيبى
	إينى
	....
١٦٧٤	ديدو مسيو الأول

شكل (٨٣) - الترتيب المحتمل لتعاقب ملوك الأسرتين الثالثة عشرة والرابعة عشرة

الجهاز الإدارى هو الذى احتفظ بين يديه بالسلطة فى واقع الأمر ، من خلال منصب الوزير الذى كاد أن يصبح مستقلاً عن البلاط الملكى .

الاستمرارية

وتعطينا بعض الوثائق التى حفظها الزمن انطباعاً مبدئياً بوجود تواصل واستمرارية بين الأسرة الثالثة عشرة والأسرة الثانية عشرة . فقد شيد " سخم رع خوتاوى " المنـــشآت فى الدير البحرى والمدامود . وذكرت عمائر الصعيد والوجه البحرى اسم خليفته " أمنمحات " الخامس. أما " حورنچ حر إيتف " والذى يعنى اسمه" حورس المنتقم لأبيه " - أو إذا أردنا الدقة فى التعبير فمعناه " القيِّم على مصالح أبيه " ، تماماً كما فعل حورس بمصالح " أوزيريس " - فقد وُجد اسمه مدوناً فى الختاعنة .

واذا تتبعنا ملوك هذه الاسرة نصل إلى " سوبك ام ساف " الأول الذى ذكر اسمه على المدونات المعمارية فى المدامود . كما أقام العمائر فى ابيدوس و الكرنك و الطود وإلفنتين . وشيد " سوبك حوتپ " الثالث صف أساطين وأبواب فى معبد " مونتو " فى المدامود . ووجوده مسجل فى الكاب . و الأهم من كل ذلك الوثيقتان الإداريتان اللتان ترجعان إلى عهده وابقى عليهما الزمن . الوثيقة الأولى عبارة عن بردية تضم قائمة موظفين و يحتفظ بها متحف بروكلن فى الوقت الراهن . أما الثانية فهى بردية بولاق رقم ١٨ وتسجل واردات ومصاريف البلاط الملكى أثناء إقامتـــه لمدة شـــهر فى مدينة طيبة . و تسجل هذه الوثيقة أسماء ثلاث وزارات (" وعرت ") . أنشئت إحداها على الأقل فى عهد " سنوسرت " الثالث و هى " رأس الجنوب ". أما الوزارتان الأخريان فهما " الخزينة " و " ديوان الإنشاءات " . كما تنطوى شخصية " سوبك حوتپ " الثالث على أهمية أخرى . فمن المعروف انه لاينحدر من اصول ملكية ، بل هو ابن أمير طيبى يدعى "منتوحوتپ " . دفن جميع هؤلاء الملوك وفقا لتقاليد الدولة الوسطى ، وعثر المنقبون على بعض أهرامهم .

فقد عـثر عام ١٩٥٧ فى دهشـــور عـلى هرم " امينى الاسيوى " الـذى يرجـح أن يكـون هو و " امنمحات " السادس شخصاً واحداً . و دفن " خنچر " فى سقارة القبلية فى هرم مشيد من الطوب اللبن له كسوة من الحجر الجيرى وحجرة دفن من حجر الكوارتزيت. كما يوجد على مقربة منه هرم أضخم منه لانعرف هوية صاحبه. وأخيراً يبدوا أن " نفرحوتپ " الأول مدفون فى اللشت على مسافة قصيرة من " سنوسرت" الأول.

وأغرب ما فـي الأمر دون شك ، أن مصر قد استطاعت المحافظة على مكانتها فـي الخارج . وفى النوبه عثر على تسجيلات لارتفاع الفيضان عند مدينة سمنة فى مستوى الجندل الثانى ترجع الى السنوات الأربع الأولى من حكم " سخم رع خوتارى " . ولانجد آثارا للحكم المصرى فى عهد " امنمحات " الخامس ولكن مصر استمرت تفرض سلطانها على النوبة السفلى فى ذلك العصر وحتى عهد " أوجاف " على الأقل إذ عثر على تمثال له فى سمنة . ويسجل مخربش فى شط الرجال قيام " سوبك ام ساف " بحمله إلى النوبة . كما نعلم أن سلطة نفرحوتپ قد امتدت حتى الجنـدل الأول على أقل تقديـر . كما أن تطور الأحداث في الشرق الأدنى قد نحى منحى مشابهاً . إذ لم تتغير الأوضاع فى ظل حكم امنمحات الخامس و "سحوتپ ايب رع " الثانى . فظلـت بيبلـوس على سبيـل المثال على ولائها لحكام مصر . بل إن " حورنچ حر إيتف " قد لقب بـ " الآسيوى " . و ربما كان مرد ذلك إلى سياسته الخارجية النشطة التى ضاعت معالمها للأسف إلا إذا استثنينا الجعران الذى يحمل اسمه و عثر عليه في مدينة اريحا . و لكن هذا الضرب من الوثائق معرض بحكم تكوينه و طبيعته إلى اتساع دائرة انتشاره دون ان يعنى ذلك بالضرورة وجودا مصريا فى أماكن انتشاره . و من ناحية أخرى فقد عثر فى بيبلوس على نقش يفيد إن هذه الإمارة كانت لاتزال تابعة لمصر فى ظل حكم "نفرحوتپ " الأول .

" نفرحوتپ " الأول و "سوبك حوتپ " الرابع

يشكل عهد " نفرحوتپ " الأول نقطة تحول ، فقد احتفظ بالسلطة على مدى إحدى عشرة سنة ، و تبين مجموعة ألقابه ماقام به لتنظيم الأوضاع فى البلاد . فلقبه الحورى " جرج تاوى " يعنى" الذى أسس الأرضين " .أما لقبه النبتى أو لقب السيدتين فهو " اوپ ماعت " ومعناه " الذى يفصل الخير (عن الشر) " . فإلى جانب الصعيد امتدت سلطته فى واقع الأمر إلى أقاليم الدلتا ما عدا الإقليم السادس الذى كانت عاصمته " اخسويس " أو بلدة قدم على مقربة من كفر الشـيخ ، عاصمة الاسرة الرابعـة عشـرة ، حسـب رواية مانتـون ، و التى عاصرت الأسرة الثالثة عشرة و أسـرة الهكسوس التـى سـوف تقفز إلى مسـرح الأحداث فى وقت لاحق فى " أواريس " .

أما " سوبك حوتپ " الرابع شقيق " نفرحوتپ " الأول فقد استمر حكمه ثمانى سنوات . وفـى عهـده سيطر الهكسـوس على مدينة أواريس أو " حات أورت " بالمصرية

القديمة " و تعنى " القصر العظيم "، وجعلوا منها عاصمتهم . و صارت مركز إشعاع لتأثيرهم المتنامى على سائر أنحاء الدلتا . وقد ساد الاعتقاد فى وقت سابق أنه يمكن مطابقتها مع مدينة تانيس . ولكن المعلومات التى وفرتها الحفائر التى أجراها " منفريد بيتاك " M . Bietak انتهت إلى أن أواريس هى الختاعنة حاليا والموقع المشترك لتل الضبعة الذى سيصبح فى وقت لاحق " بررمسيس " ويقع على مسافة سبعة كيلو مترات شمالى فاقوس . وقد جرت هذه الأحداث فيما بين عامى ١٧٣٠، و ١٧٢٠ ق . م استنادا إلى النص المدون على سطح لوح أقيم فى عهد رمسيس الثانى وأعاد إكتشافه أوجست ماريبت عام ١٨٦٣ (Paris : 1976 , 33 - 38) .

وقد أقيم هذا اللوح احتفاءاً بذكرى تأسيس معبد الإله " ست " فى "أواريس " وهو فى واقع الإمر مؤرخ بالعام ٤٠٠ واليوم الرابع من الشهر الرابع من فصل الفيضان من حكم ملك الوجهين القبلى والبحرى العظيم فى جسارته " سيتى " ،" ابن رع وصفيه ، ومحبوب رع حور أختى". وإذا أخذنا بالراى القائل أن هذا اللوح نسخة منقولة عن لوح أقدم، يرجع إلى عهد حور محب ، يصبح التاريخ المشار إليه هو تاريخ كتابة النص الأصلى وليس تاريخ إقامة اللوح وبالتالى يرجع تأسيس المعبد إلى عام ١٧٢٠ ق . م .

الهكسوس :

جاء استيلاء الهكسوس على الحكم فى شمال البلاد بالتدريج و على مراحل . فقد وطدوا أقدامهم فى فرعشة و تل الصحابة عند مخرج وادى الطميلات ، و فى بوباستس وإنشاص وفى تل اليهودية على مسافة عشرين كيلو مترا شمال هليوپوليس . واستغرق هذا الزحف قرابة خمسين سنة لينتهى عام ١٦٧٥ فى عهد الملك رقم ٣٣ أو٣٤ فى قائمة ملوك الأسرة الثالثة عشرة وهو الملك " ديدومسيو " الأول . و إذا صح أن هذا الملك هو نفسه " توتيمايوس " الذى ذكره " مانتون " ، يمكن القول أن الهكسوس قد تمت لهم السيطرة على مصر فى عهده . وربما كان تطابق الشخصيتين متفقا مع حقيقة أن "ديدومسيو " هو أخر من نعرفهم من ملوك الاسرة الثالثة عشرة من خلال آثار طيبه و الدير البحرى و الجبلين . و مع ذلك لايمكن القول بأن نهاية حكمه قد وضعت نهاية للأسرة الثالثة عشرة . بيد أن سلطة خلفائه انحصرت فى إطار محلى وسرعان ما اختفت هى أيضا بشكل نهائى فى عام ١٦٣٣ق . م .

أسس أسرة الهكسوس – و هى الاسرة الخامسة عشرة حسب رواية " مانتون " – ملك يدعى " ساليتس " . وربما كان هو نفس الملك الذى ظهر اسمه على سطوح

بعـــض الأختـــام تحت اسم " شيشى " و التى عثر عليها فى كرما ، و هو ما يدعونا إلى الافتراض أن النوبة قد تحالـفت منذ البدايـة مـع الهكسوس ضد أهل طيبة . وقد يكون هو أيضا نفس الملك الذى يدعى " شارك " الذى كان معروفا فى منف . تُرى من يكون هؤلاء الهكسوس ؟ و الاسم تصحيف يونانى للاسم الذى عرفهم به المصريون و هو " حقاو خاسوت " أى " زعماء البلدان الأجنبية " . ولاتنطوى هذه التسمية على أى مفاهيم عرقية أو تحديد واضح لأصولهم . فخلال الدولة القديمة و الدولة الوسطى انطبقت هذه التسمية على كل اجنبى سواء جاء من فلسطين أو من النوبة . وتمتد تسمية الهكسوس لتشمل على وجه التقريب الأقوام الذين أطلق عليهم المصريون اسم " الآسيويين " واصطدموا بهم فيما سبق من أزمنة ، وهم الـ " عامو " و الـ " سيتيو " و الـ "منتيو " الآسيويون والـ " رتنو " . واذ اتسمت آخر مرحلة من مراحل استيلائهم على السلطة بالعنف ، فقد تقبل السكان استيطانهم خلافا لما توحى به النصوص التى ترجع إلى بدايات الدولة الحديثة والتى تجنح الى العديد من صور التطرف و الغلواء تعبيرا عن نزعاتها الوطنية . وتوضح قائمة موظفى بردية بروكلن - التى سبق الإشارة إليها - تعايش المصريين و الآسويين فى سلام ودون صدامات . زد على ذلك أن ملوك الهكسوس كانوا بنائين عظاما ، خلفوا من ورائهم المعابد و التماثيل و النقـوش و الجعاريـن كما شجعـوا علـى نشـر الأدب المصـرى و انتشـــاره . فبردية " رند " **Rhind** على سبيل المثال ، مؤرخة بالعام الثالث و الثلاثين من حكم الملك " ابيبى " الأول خصم والد " كامس " اللدود . و حتى لو اعتبرناها مجرد صورة منسوخة لأصل طيبى إلا أنها تفصح عن تقدير ثقافى أكيد .

ودشّن الهكسوس أسلوبا جديدا فى الحكم أضحى دون غيره وراء نجاح سياسة كل غاز وكل محتل أخذ به . فقد انصهروا فى القالب المصرى السياس بدلا من فرض الهياكل التنظيمية الحكومية الخاصة بهم . و لم يقف ذلك دون احتفظاهم بهويتهم الثقافية التى تظهر بوضوح فى العمارة " و قلاع الهكسوس " أو فخاريات تل اليهودية رغم ما يمكن أن نبديه من تحفظات . واعتمدوا الخط الهيروغليفى فى تدوين أسمائهم وتبنوا الألقاب الملكية المصرية و نقلوا النماذج التشكيلية التى شاعت فى الدولة الوسطى الخ ... وفيما يتعلق بالمعتقدات الدينية فقد ساروا على هدى المسلك الذى سلكوه فى الأمور السياسية فأقاموا ديانة رسمية " على الطريقة المصرية " تمحورت حول الإله " ست " فى " أواريس " وهو غريم " أوزيريس " . و اكتفوا بأن أبرزوا سماته السامية . ولم يتحد " ست " بالإله " بعل رشف " أو إله الحيثيين " تشوب " سوى فى وقت لاحق ، كما احتفظوا أيضا

بعبادة " عنات عشتارت "ولكنهم لم يستبعدوا الآلهة المصرية .واستمر الملوك يحملون إسم " رع " الذى ظل فى عداد ألقابهم الملكية .

وكان الضرر الذى لحق بمصر من جراء وجودهم أقل مما ادعته المصادر المصرية اللاحقة ، بل إنهم تركوا بصمات غائرة فى الحضارة المصرية بعد أن حطموا بلا رجعة عزلتها الشبيهة بعزلة الجزر . فعلى الصعيد الدينى والحضارى والفلسفى خلق وجودهم النبع الذى نهل منه ملوك الدولة الحديثة . أما إضافاتهم فى مجال الأساليب التقنية فهى لاتحصى ، ولاسيما فى المجال العسكرى ، وعلى راسها استخدام الفرس لجر العربات والذى ثبت وجوده لأول مرة فى عهد " كامس " ، حتى وإن عاش الفرس فى وادى النيل منذ زمن سابق وأقبل القوم على تربيته . كما مهدوا الطريق أمام المصريين للولوج إلى تكنولوجيا التسليح العصرى القائمة على صناعة البرونز التى مكنت فراعنة الدولة الحديثة من التفوق على منافسيهم من زعماء بلدان الشرق .

	الأسرة ١٣ الأسرة ١٤	الأسرة ١٥ - الأسرة ١٦ (الهكسوس)	طيبـــــة
١٦٧٤	ديدومسيو١ ديدومسيو٢ سنب ميو چدكارع منتو إم ساف	٦ ملوك حتى حوالى ١٥٦٧ ساليتس	
١٦٥٠	...	يعقوب بحار خيان	رع حوتپ إنتف الخامس سوبك إم ساف الثانى چحوتى منتو حوتپ السابع نب إرى أو الأول إنتف السابع
١٦٣٣	نهاية الأسرة		
		" أبيبى " الأول	سناخت ان رع تاعا الأول (القديم) "سقنن رع تاعا الثاني" الجسور كامس
١٥٧٨ ١٥٧٠		"أبيبى" الثانى	
			بداية الأسرة الثامنة عشرة
(١٥٥٣)			

شكل (٨٤) - جدول الترتيب الزمنى لأسرات الهكسوس وطيبة .

ويعتقد أن " ساليتس " المعروف باسم " شيشى " أو " شارك " قد انطلق من منف ليحكم البلاد قرابة واحد وعشرين عاما . وامتد سلطانه ليشمل الدلتا و الوادى حتى الجبلين . كما سيطر على دروب القوافل ليضمن و سائل الاتصال بحلفائه فى النوبه. ودامت هذه الأوضاع حتى عهد " أيبيى" الأول الذى تنازل عن جانب من سلطاته لإحدى عائلات الهكسوس الموالية له . و قد أطلق عليها مانتون الأسرة السادسة عشرة ، وهى على كل حال تسمية غير دقيقة لاتتفق مع واقع الأمر .

ملوك طيبة

وقامت فى وجه أيبيى الأول أسرة جديدة ظهرت إلى الوجود فى طيبة منبثقة من فرع محلى للأسرة الثالثة عشرة . وقد أسسها "رع حوتپ " و اختار من جديد اللقب الحورى "و عح عنخ " . وتحدد بردية تورين خمسة عشر ملكا لهذه الأسرة ، فى حين تحدد قائمة الأجداد التى أقيمت فى الكرنك عددهم بتسعة ملوك ورد ذكر عشرة منهم على عمائر طيبة . وعثر فى طيبة على سبع مقابر لهؤلاء الملوك بالإضافة إلى ملك ثامن لم يرد اسمه فى القوائم الملكية . وتولى هؤلاء الملوك حكم أقاليم الصعيد الثمانية الأولى من إلفنتيين و حتى أبيدوس لفترة دامت خمسة وسبعين عاما ، وهو ما يعادل على وجه التقريب الأقاليم التى سيطروا عليها خلال عصر الانتقال الأول . و كانت مواردهم الاقتصادية هزيلة فلا سيطرة لهم على الطرق المؤدية إلى المناجم والمحاجر على و جه الخصوص .غير أنهم استطاعوا أن يحافظوا بوسائلهم الخاصة على حضارة الدولة الوسطى. فتولى " رع حوتپ " على سبيل المثال ترميم معبدى " مين " فى " كوپتوس " وأوزيريس فى أبيدوس . وأمر ملوك طيبة بأن يدفنوا فى منطقة دراع أبو النجا أسفل هريم من الطوب . فمهدوا بذلك الطريق للهريم الذى سيعلو هياكل الأفراد الجنائزية فى الدولة الحديثة . وجرى الحفاظ على " التعاليم والوصايا " المصرية المتواترة من خلال نسخ النصوص الأدبية والتقنية . وإلى هذا العصر ترجع بردية " بريس " **Prisse** التى تضم حكم " پتاح حوتپ " ووصايا " كاجمنى " . أما " نشيد العازف على الجنك " فتزدان به مقبرة " أنتف " السابع ...

كان " يعقوب حار " الذى اشتهر أيضا تحت اسم " يعقوب بعل " خليفة " ساليتس " ومعاصراً لـ " رع حوتپ " . و من المرجح أن حكمه دام ثمانية عشر عاما . وتشهد الأختام على و جوده من غزة إلى كرما . وأقام علاقات حسن الجوار مع الملوك الثلاثة الذين خلفوا " رع حوتپ " . و كان اولهم " إنتف " القديم الذى اختار " واپ

ماعت " اسماً حوريا له تيمنا بانتسابه إلى " نفرحوتپ " الأول . ودام حكمه ثلاث سنوات ونصفا وأشرف على دفنه فى دراع أبو النجا - أنتف السادس وهو أخوه الأصغر وخليفته الذى حكم حكما عابرا . وقد جاء فى بردية "أبوت " **Abbott** التى سجلت محضر الحملات التفتيشية على المقابر الملكية فى طيبة ، بعد ما حل بها من سلب ونهب فى ظل حكم " رمسيس " التاسع ، ان دفنته كانت لاتزال سليمة أيام الاسرة العشرين ، بيد أنه لم يتم الكشف عنها حتى الوقت الراهن ، وإن كان من المؤكد أنها نهبت فى العصر الحديث والدليل على ذلك هو هريم المقبرة الذى بين أيدينا إلى جانب صندوق أوانى الأحشاء وتابوت صغير على هيئة آدمية كان يضم بردية " بريس " **Prisse** على ما يفترض . ولم يستمر حكم " أنتف " السادس سوى بضعة شهور ، ويحتفظ متحف اللوڤر بتابوته . والمعلومات المتوفرة عن خليفته " سوبك ام ساف " الثانى هى من أكثر ما وصلنا من معلومات عن ملوك الاسرة السابعة عشرة . كانت سنوات حكمه التى امتدت ستة عشر عاما مزدهرة ، و أقام العمائر فى الكرنك و أبيدوس . كما أشارت إلى مقبرته برديات " أبوت" **Abbott** و "أمبراس" **Ambras** و امهرست وليوبولد " الثانى-**Amherst - Léopold II** بصفته أحد ملوك مصر العظام الذين جهزت مقبرتهم بفاخر الأثاث الجنائزى و نفيسه .

و خلال حكم " سوبك ام ساف " الثانى و بين عامى ١٦٣٥ / ١٦٣٣ ق . م . على وجه التقريب كانت الأسرة الثالثة عشرة تعيش آخر أيامها . وأعقبتها فى مدينة "أخسويس" الأسرة الرابعة عشرة التى لم تعمر لأكثر من جيلين أو ثلاثة . أما فيما يتعلق بالهكسوس فإن " خيان " قد خلف " يعقوب حار " . وسنجانب الصواب إذا قلنا أنه أسس امبراطورية بمعنى الكلمة . بيد أنه من الثابت أنه قد عثر على اسمه مدونا فى داخل البلاد وفى خارجها على حد سواء حيث وجد على سطح أحد العناصر المعمارية فى الجبلين " وبوباستس " فى مصر . أما فى الخارج فقد عثر على اسمه مدونا على سطح جرة فى قصر " كنوسس " ، بالإضافة إلى مجموعة الجعارين وعلى بصمات بعض الأختام فى فلسطين وعلى أسد من الجرانيت فى بغداد . و ينهض ذلك دليلا على اقامة علاقات تجارية بلغت المستوى الذى كانت عليه فى الدولة الوسطى . ومن ناحية أخرى لايوجد أى دليل على قيام علاقات التبعية بين النوبة ومصر ، بل على العكس من ذلك حيث تولى ملك يدعى " نج " السلطة فى " كوش " بمعاونة ضباط مصريين واتخذ من بوهن عاصمة له وامتد ملكه من إلفنتين حتى الجندل الثانى وربما حتى كرما . إن النصوص التى تسرد

علينا الصدام الختامى بين طيبة و الهكسوس تشير إلى أن مملكة كوش قد تحالفت مع الهكسوس وأن حكمها استمر إلى أن استولى " كامس " على بوهن . وكانت مظاهر التمصير فى أبرز صورها واضحة فى كافة نواحى الحياة فى هذه المملكة سواء فى ألقاب الموظفين أو أنماط العمائر أو عبادات الآلهة ، شأنها شأن مملكة نپاتا فى زمن لاحق . وفى نفس الوقت أخذت شعوب المجموعة "ج " المتمركزة فى النوبة بين توشكا ودكة تستقر فى المنطقة الممتدة بين دير ريفة شمالا وحتى المعلا جنوبا . ومن سمات هذه الشعوب دفناتهم الملكية الزاخرة بالمتاع الحربى ، وهى دفنات بيضاوية الشكل تعرف اصطلاحا "بالمقابر القدور" " **Pan - Graves** " . ويمكن اعتبارهم والـ " مجاو" شعبا واحدا ومن بين صفوفهم خرجت طليعة الفرق الضاربة لملوك طيبة .

أما معاصرو " خيان " من ملوك طيبة فهم قوم خاملو الذكر . ومنهم المدعو "چحوتى" الذى لم يدم حكمه سوى عام واحد ولم يخلف وراءه سوى صندوق لأوانى الأحشاء يحمل اسمه ، وقد أعيد استخدامه فى وقت لاحق . ثم منتوحوتپ السابع ومدة حكمه لاتزيد أيضا عن العام الواحد ، وعثر له في إدفو على تمثالين من الحجر الجيرى يمثلان أبو الهول . أما "نب ارى أو" الأول فقد ظهر اسمه على " اللوحه القانونية " التى عثر عليها فى الكرنك . وقد سجل عليها صفقة تجارية بين " وعرت " الشمال ومكتب الوزير . وفيما بعد برزت شخصيتان : " انتف " السابع فى طيبة و" أپيپى " الأول فى جانب الهكسوس . وكان انتف السابع من أوائل من ثبُت نشاطهم على الصعيد العسكرى والتنظيم الإدارى ، وأقام العمائر فى " كوپتوس " وأبيدوس والكاب والكرنك ، كما أصدر فى العام الثالث من حكمه مرسوما حول معبد الإله "مين" فى " كوپتوس " يعرب عن الطابع الأوتوقراطى لسلطة طيبة . ويظهر الآسيويون والنوبيون فى صورة الأعداء المهزومين فوق سطح كتلة وجدت وسط المبانى التى شادها فى معبد الإله " مين " وأيضا فوق قاعدة تمثال تحمل اسمه عثر عليها فى الكرنك . وبالطبع ربما كان الأمر مجرد ترديد لموضوع تقليدى اعتمدته لغة الشعارات الملكية ، ولكن من الملاحظ أنه قد وضع مع " انتف " السابع عند دفنه المتاع الجنائزى الخاص بالمقاتلين ورجال الحرب، كما وُضع داخل تابوته قوسان وستة سهام وهى حاليا من مقتنيات المتحف البريطانى . كما أن موضع مقبرته فى دراع أبو النجا شمالى مقابر أسلافه لهو إشارة واضحة إلى تدشينه لسلسة جديدة من المقابر . وتأكيدا لذلك نستشهد بالمصير الذى

عرفته بعد وفاتها زوجته "سوبك ام ساف " التى دفنت فى إدفو ، اذ اعتبرها التقليد المتواتر من أسلاف الأسرة الثامنة عشرة .

وفى عهده عاشت طيبة فى سلام مع الهكسوس الذين كان يحكمهم "إيپپى" الأول الذى امتد حكمه أربعين سنة حسبما جاء فى جدول تورين . وقد أشرنا من قبل إلى بردية "رند" الرياضية التى تم نسخها فى عصر الهكسوس عن أصل طيبى ، الأمر الذى يمكن أن ينهض دليلا على وجود علاقات سلمية بين الجانبين ، بل وربما وصل الأمر إلى حد الولاء من جانب طيبة لمملكة الشمال . ولا ينهض هذا الفرض على أساس ما نلاحظه من تواجد " إيپپى " الأول حتى الجبلين فحسب ، إنما أيضا على أساس علاقات النسب التى ربطت بينه وبين العائلة المالكة فى طيبة على مايبدو . ومن هنا لا نميل إلى استبعاد هذا الفرض . وبالفعل فقد عثر على إناء يحمل اسم ابنته "هريت " فى مقبرة "أمنوحتب " الأول . وربما تناقلت الأجيال هذا الاناء على أثر زواجها الذى جعل منها إحدى أسلاف الأسرة الثامنة عشرة... ومهما يكن من أمر فما أبعدنا عن البغضاء كما جاء وصفها فى النصوص اللاحقة . كما لقّب " إيپپى " الأول بـ " ملك الوجهين القبلى والبحرى " على لوحة أحد الكتبة وعلى سطوح العديد من الجعارين .

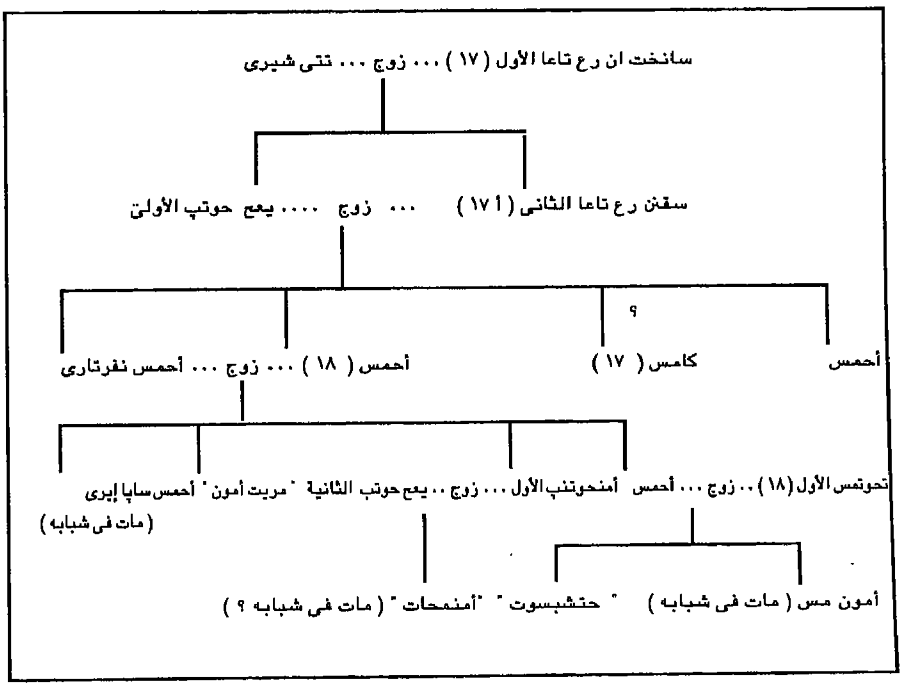
وقرب نهاية عهد " إيپپى" الأول بدأ الصراع المكشوف مع طيبة حيث تولى الحكم "تاعا" الأول الملقب " بالكبير " خلفا لإنتف السابع . وقد امتد العمر بزوجته " تتى شيرى " إلى أوائل الأسرة الثامنة عشرة . كما كرمت بعد وفاتها بصفتها جدة " احمس " محرر مصر العظيم . وجاء "سقنن رع تاعا" الثانى وشهرته " الجسور " ليخلف " تاعا الأول " وتزوج من الملكة "يعح حوتپ " الأولى والدة " احمس " .

لقد حفظ لنا الزمن مومياء "سقنن رع تاعا" الثانى من أعمال السلب والنهب التى جرت فى ظل حكم "رمسيس" التاسع ، وأخفيت مع غيرها من رفات ملوك مصر بعيدا عن التهديداتكانت تتعرض لها فى الخبيئة التى اكتشفها جاستون ماسبيرو عام ١٨٨١ . إن آثار ماتحمله من ميتة عنيفة تؤكد ما حدث من مجابهة بين الشمال والجنوب . كما وصلتنا شهادتان تختلفان من حيث القيمة . الشهادة الأولى سرد قصصى يحمل عنوان "الصراع بين إيپپى وسقنن رع "، ولم يبق من هذه القصة سوى البداية التى وصلتنا بفضل النسخة التى سطرها الكاتب "بنتاؤور" الذى عاش فى عهد "مرنبتاح " . أما المصدر الآخر فهو رواية رسمية مؤرخة بالعام الثالث من حكم" كامس " وقد دونت بطريقتين

مختلفتين : أولاهما في أجزاء من لوحين من الحجر يكملان بعضهما البعض كان الملك قد أقامهما داخل الكرنك . وثانيهما في نسخة مسطورة على لوح صغير هو من المقتنيات التي جمعها لورد " كارنرفون " **Lord Carnarvon** . ويترجم النص الأول هذه المجابهه على شكل مناظرة بين الملكين تعتمد على الأحاجي . على النحو التالي :

" في هذه الأيام حل البؤس بالأراضي المصرية وعاشت دون سيد - له الحياة والصحة والقوة- كملك هذا الزمان - وفي هذه الأيام كان الملك سقنن رع - له الحيـاة والصحة والقوة - حاكما - له الحياة والصحة والقوة - على المدينة الجنوبية (طيبة) . في حين ساد البؤس مدينة الآسيويين ، بينما كان الأمير " أبيبي " - له الحياة والصحة والقوة - في أواريس . ومع ذلك كانت البلاد قاطبة تقدم له التقدمات بفضل ماغنمته من خيرات . وبالفعل فقد غمره الجنوب بالعطايا وأغدق عليه الشمال أيضا بمحاصيل الدلتا الطيبة " .

" وفي ذلك الوقت اتخذ الملك " أبيبي " - له الحياة والصحة والقوة - من"سوتخ" (ست) إلها . ولم يقدم الولاء لأي من آلهة البلاد إلا للإله " سوتخ " . وشيد له معبدا أبديا ، أحسن بناؤه . وكان على مقربة من دار الملك " أبيبي " - له الحياة والصحة والقوة . وكان يذهب يوميا مع بزوغ كل فجر جديد لتقديم الأضاحي (...) إلى سوتخ.



شكل (٨٥) - العائلة المالكة وأصول الأسرة الثامنة عشرة .

مختصر الأنساب من الجيل الأول إلى الجيل الرابع .

وكان عظماء القصر – له الحياة والصحة والقوة – يقفون أمامه وهاماتهم مكللة بالغار على نحو مايحدث فى معبد رع حور أختى " . (Lefebvre : 1976, 133 - 134) .

وربما فرضت الأحداث على " سقنن رع " أن يخوض المعارك حتى مشارف القوصية .

وعند وفاته اعتلى ابنه " كامس " العرش ، واتخذ لنفسه ألقــابا تفصح عن برنامج . مايقال عنه أنه برنامج حربى ، اذا اعتمدنا على أسمائه الحورية الثلاثة فحسب ، وأولها "خعى حرنسيت إف " ويعنى " الذى توج على عرشه " . وثانيها " حور نفرخاب تاوى " ويعنى " حورس الكامل الذى انحنت له الأرضان . وثالثها " سجفا تاوى " ويعنى الذى "يطعم الأرضين " . كما يمكن أن نشير إلى اسمه ال "نبتى" وهو " وحم منو " ويعنى " مجدد التحصينات " وهكذا تسرد نصوص اللوحين ولوح كارنارفون الصغير استئناف الأعمال الحربية ضد الهكسوس . اذ تقول :

"عندئذ تساءل الملك موجها كلامه إلى كبار رجال البلاط من أفراد حاشيته قائلا:"كيف لى أن أتحقق من سلطتى ؟ وهناك ملك يحكم فى "اواريس" وآخر فى كوش وأظل أنا عاجزا عن التصرف إذ يشاركنى الحكم آسيوى وزنجى ! " (Kamosé , 83).

وتجاهل الملك نصيحة رجال البلاط الذين فضلوا البقاء ساكنين فى المنطقة الممتدة من القوصــية إلــى إلفنتين وعدم المخاطرة بضياع القطعان والخيرات التى يمتلكونها فى شمال البلاد ، وهو مايؤكد وجود علاقات سلمية بين المملكتين . وزحف الملك على رأس قواته المؤلفه من الـ "مچاو " حتى بلغ " نفروسى " على مقربة من بنى حسن حيث ألحق الهزيمة بجيش المدعو " تيتى " بن " پيپى " :

" لقد جعل من " نفروسى " وكرا للأسيويين . وامضيت الليل فى سفينتى . وكنت منشرح الصدر . ومع ضياء الصباح انقضضت عليه كالصقر . وعند الظهر دحرته بعد آن قوضت أسوار المدينة وأعملت فى قواته تقتيلاً ". (Kamosé,89 - 90)

ولسوء الحظ ينتهى نص اللوح الأول عند هذا الحد . أما نص اللوح الصغير فينتهى بعد ذلك بقليل . وعندما يواصل اللوح الثانى سرده للأحداث نجد أن كامس ينهال سبا وتحقيرا على عدوه حسبما تمليه تقاليد " المسرد الملكى " . ثم جرد حملة بحرية ضد ممتلكات الهكسوس الواقعة فى مصر الوسطى ، وربما واصل سيره حتى بلغ مشارف الإقليم الرابع عشر من أقاليم الوجه البحرى أى حتى منطقة " أواريس " . وكفل لنفسه

الرقابة على البضائع التى تنقل عبر النهر . واستولى على الجبلين وهرموپوليس على أقل تقدير . والتقط رسالة موجهه من " أپيپى" الى ملك كوش :

" التقطت رسالة جنوبى الواحات أثناء صعود حاملها إلى بلاد كوش . واكتشفت أنه فى خطاب سطره ملك " أواريس" بخط يده ويقول : " عا أوسر رع" - "أپيپى" - ابن رع " يحيى ابنه ملك كوش . لمَ أعلنت نفسك ملكا دون أن تحيطنى علما ؟ وهل بلغك مافعلته مصر معى ؟ فالعاهل القائم عليها - كامس - فليوهب حياة وعمرا ! يشن الهجمات على ممتلكاتى رغم أننى لم أناصبه العداء . لقد عاملنى كما عاملك تماما ! لقد وقع اختياره على بلدين لينشر فيهما الخراب ... بلـدى وبلـدك . وعـاث فيهما فساداً . هيا ! احضـر ! لا تخـف ! إنه هنا فـى الوقـت الراهـن حيـث يلاحقـنى . فلا أحـد يترقبك فى مصر . ولن أتركه يرحل قبل وصولك " . (Kamosé , 94) .

عندئذ توقفت العمليات الحربية بمعنى الكلمة . و عاد " كامس " الى طيبة لينقش قصة مآثره و بطولاته . ولم يتطرق الحديث إلى تحقيق النصر . ولذلك يمكن الافتراض على أكثر تقدير انه أمن لنفسه طريق القوافل قاطعا و سائل الاتصال بين الشمال و بلاد كوش . فهل تسمح تلميحات " أپيپى " بتأكيد انه عاد ليحتل النوبة من جديد ؟ ولا ريب أنه استهل حركة بدأت معه و جاء ختامها على يدى " أحمس " . و يبرهن على ذلك المخربش الذى عثر عليه فى توشكا و يشرك الملكين معا ، ومن المحتمل أن الجعران الذى يحمل اسم " كامس " والذى عثر عليه فى مدينة فارس قد نقل إليها فى وقت لاحق على انتهاء حكمه .

وأسس ملك طيبة فى بقعة بين طيبه ودندرة أملاكا تحمل اسم " سچفا تاوى " الذى اشتق من اسمه الحورى . كما شيد فى الكرنك ناووساً إلى جانب عدد من اللوحات الحجرية ، وظلت مقبرته فى دراع أبو النجا سالمة لم ينل منها السارقون عندما وقعت الجبانة فريسة السلب والنهب فى عهد " رمسيس " التاسع . ولكن تم نقل تابوته من باب الاحتياط إلى خبيئة الدير البحرى فكان أول من اعتدى عليه سّلابو ونّهابوالعصور الحديـثة . و بالفعل فقد تم العثور عام ١٨٥٧ على تابوت على هيئة آدمية و هو تابوت غير ملكى ، ولكنه تابوت كامس على الأرجح . و كل ما كان يحتويه هو مومياء تحولت إلى كومة تراب و بعض المقتنيات النفيسة .

إعادة فتح مصر

عند وفاة " كامس " بدا أن كل طرف يحتفظ بمواقعه . ويشير لوح " كامس "

بوضوح إلى " أبيبى الأول عا أوسر رع " بصفته عدو " كامس " . وفى أعقاب هذه المعارك خلفه على ما يعتقد " ابيبى قن رع " الذى لايظهر اسمه جنوبى " بوباستس " ،إلا اذا استثنينا خنجرا تم شراؤه من سوق تجارة الآثار بالأقصر ، و لايعنى ذلك بالضرورة العثور عليه فى هذه المنطقة . و من المرجح أن سلطاته قد تقلصت إلى حد كبير وقد أنجز بعض الأعمال فى معبد " بوباستس " واكتفى باغتصاب تماثيل أسلافه : نذكر منها على سبيل المثال تمثالين من الجرانيت " لأمنمحات " الثانى نقلا فيما بعد إلى تانيس (Louver A23 - Caire JE 37478 bis) وتمثالين كبيرين للملك " سمنخ كارع " من ملوك الأسرة الثالثة عشرة . إن مسائل الترتيب الزمنى هذه غير واضحة . و لانعرف عن "كامس" تاريخاً متأخرا أبعد من العام الثالث من حكمه الذى ورد على سطح لوح حجرى . و من الأمور المحيرة أيضا أنه تلقب بثلاثة أسماء حورية فى حين لايوجد مايقطع بأنه احتفل بعيد اليوبيل . وأخيرا فهل يعتبر تابوته المتواضع دليلا على وفاته المفاجئة أم غير المرتقبة .

لكل هذه الأسباب نتوقف فى حيرة عند تحديد تواريخ حكم "أحمس " الذى يبدأ عام١٥٧٠ ق . م ، أو وفقا للحساب الفلكى ، عام ١٥٦٠ أو ١٥٥١ ق . م ، لينتهى عام ١٥٤٦ أو ١٥٣٧ / ١٥٢٧ ق . م . وكانت مومياؤه جزءاً من المجموعة التى عمل "رمسيس " التاسع على تأمين حفظها . ونستخلص من الوضع الراهن للمومياء أن صاحبها كان فى الخامسة والثلاثين من عمره عندما قضى نحبه . بينما حدد " مانتون " حكمه بخمس وعشرين سنة . ومن المعتقد أنه استأنف القتال ضد الهكسوس فى العام الحادى عشر من حكمه . وامتد القتال فى الدلتا لسنوات عديدة استولى خلالها على منف ثم "أواريس " . ولم يتم القضاء نهائيا على هيمنة الهكسوس إلا فى وقت لاحق عندما تمكنت القوات المصرية من احتلال مدينة شاروحين الحصينة الواقعة جنوب غرب فلسطين إذ كانت بمثابة المؤخرة التى تنطلق منها عمليات " الآسيويين " العسكرية . ووقعت أخر مراحل إعادة فتح مصر قبل العام السادس عشر من حكم " أحمس " . ويقدم لنا القائد العسكرى " أحمس بن السيدة أبانا " من أهالى الكاب رواية عن هذه الحملات العسكرية تعتبر من أفضل ما وصل إلينا من حيث وفرة تفاصيلها . وقد وردت فى ثنايا سيرته الذاتية التى سجلها فى مقبرته :

" فيما بعد لما أسست بيتا جندت على متن " سفينة الشمال " تقديرا لما أبديته من بسالة وإقدام . ورافقت عاهل البلاد - له الحياة و الصحة و القوة - و تابعته مترجلا حيثما تقله عجلته الحربية . وضربنا الحصار حول مدينة " أواريس " وأظهرت بسالة

وإقداماً كجندى مشاة فى حضرة صاحب الجلالة . عندئذ أُلحقت بالسفينة " الأمجاد فى منف " . وجرت معركة بحرية عند بلدة " پچكو " على مقربة (؟) من " أواريس " واستوليت على المدينة وأحضرت يدا وأحيط حاجب الملك علما ونلت ذهب الشجاعة . وتجددت الاشتباكات فى هذه المنطقة واستوليت على مدينة أخرى و أحضرت يدا . ونلت من جديد ذهب الشجاعة . واحتدمت المعارك فى مصر ذاتها جنوب هذه المدينة . وعدت و معى أسير . واضطرنى الأمر أن اخوض فى الماء لأدفعه أمامى بعيدا عن المدينة حيث اعتقلته . وعبرت النهر سباحة و أنا احمله . وأخطر حاجب الملك بما حدث . ومرة ثانية كافأنى الملك بالذهب . وتُركت أواريس لقمة سائغة لأعمال السلب والنهب . وغنمت منها رجلا و ثلاث نسوة أى أربعة اشخاص . ومنحنى إياهم صاحب الجلالة كعبيد . وضربنا حصارا حول مدينة شاروحين استمر ثلاث سنوات . ثم أمر صاحب الجلاله بسلبها و نهبها . وغنمت منها امراتين ويدا ونلت أيضا ذهب الشجاعة . أما الأسرى فقد صاوروا عبيدا فى خدمتى " .(Urk . IV , 3 , 2 - 5 , 2) إن الترتيب الزمنى لآخر ملكين من ملوك الهكسوس يشوبه شئ من الاضطراب . ويتفق تيبهما فى الفترة الممتدة من العام العاشر الى العام الخامس عشر من حكم " أحمس ، . وأحدهما هو " عا زح رع " آخر ملوك الأسرة الخامسة عشرة . وقد وجد اسمه مسجلاً على مسلة فى " تانيس " وربما كان مطابقا للملك " اسيت " طبقا لرواية " مانتون" او " خامودى " حسب جدول تورين . أما الآخر فهو " أپيپى " الثالث آخر ملوك الفرع التابع للأسرة السادسة عشرة . ويظهر اسمه على بعض العمائر وعلى خنجر عثر عليه فى سقارة . كما أن المصادر المتاحة لاتوفر لنا أدنى المعلومات عن آخر أيام الهكسوس . وكان من الواضح عندما خرج " أحمس " فى العام الثانى والعشرين من حكمه على رأس الحملة التى قادته إلى شواطىء نهر الفرات ليصبح أول ملك مصرى يصل إلى هناك ، أنه لم تصادفه أدنى مقاومة خلال زحفه أو على أقل تقدير أثناء سيره فى منطقة " چاهى " الواقعة فى بلاد الشام .

وبعد طرد الهكسوس تولى أحمس إعادة فتح النوبه حيث نتابع مرة ثانية مآثر "أحمس بن أبانا " :

" بعدأن أجهز جلالته على آل " منتيو " فى آسيا. صعد جنوبا إلى " خنت نفر " (فى النوبة) لإبادة حاملى السهام النوبيين . وحدثت مذبحة كبرى . وغنمت رجلين وثلاث أيدى . وكوفئت مجددا بأن وهبت ذهبا كما وضعت امرأتان فى خدمتى

كآمتين . عندئـذ هبط جلالته شمالا راضيا بما أحرزه من انتصارات . فقد أخضع شعوب الجنوب و الشمال " . (Urk . 5 , 4 - 14) .

ولكـن هـذه الحملـة لم تكـن حاسمة . فقد ثار شخص يدعى " عاتا " وربما كان خليفة " نچ " :

" فقدم " عاتا " من الجنوب . وكان مقدرا له أن يُهزم فأمسك آلهة الصعيد بخـناقه . والتقى به جلالته عند بلدة " تنتاعا " . وأسره جلالته . ووقعت جميع قواته بين يدى جلالته غنيمة حرب . ووهُبت محاربين فى مقتبل العمر مكافأة على استيلائى على سفينة " عاتا " الحربية . فمنحت خمسة أشخاص وخمس " أرورات " من الارض فى مدينتى . وعومل طاقم السفينة نفس المعاملة . عندئذ ظهر هذا الخسيس الذليل المدعو "تيتى عن " لقد تجمع من حوله المتمردون . وقضى عليه جلالته و أباد قواتة . أما أنا فـقد وهبـت ثـلاثة اشخـاص و خمـس " أرورات " من الأرض فى مدينتـى " (Urk : IV , 5 , 16 - 6 , 15) .

و لا غرو أن " تيتى عن " كان مصريا يعارض النظام الطيبى الجديد . وعلى أى حال فقد وطد أحمس نفوذه فى النوبة على ما يفترض عندما شيد أول معابد الدولة الحديثة فى " صاى " جنوب بوهن أو بالتأكيد عندما أقام مركز الإدارة المصرية فى بوهن . وعين "تورى " قائدا عليها . وهو موظف سوف يصبح اول نائب للمـلك فى عهد" امنمحوتپ الاول " . مع أن والده " زاتايت " قد مارس مهام هذا المنصب على مايبدو و إن لم يحمل بالتحديد لقب و ظيفته .

توفى أحمس تاركا العرش لابنه " أمنـحوتپ " الأول الذى رزق به من زوجته "أحمس نفرتارى " ، و خلال سنوات حكمه الذى دام خمسة و عشرين عاما أكمل تحرير مصر وعاد بعلاقات مصر الخارجية إلى سابق عهدها عند نهاية الدولة الوسطى . ومع استرجاع الأساس الذى كانت مصر قد فقدته والذى أضيفت إليه الإسهامات الآسيوية القيمة انطلق خلفاؤه ليقودوا مصر فى زحفها للسيطرة على الشرق الأدنى لفترة من الزمن دامت خمسمائه سنة .

الباب الثالث
الإمــبراطورية

الفصل التاسع

التحـــامسة

أحـــمس

أعيد تنظيم البلاد بعد فتحها . وبقدر ما يمكننا الاهتداء إلى رأى سليم ظلت الهياكل الإدارية تعمل فى حدود الأطر التى كانت قد وضعتها الدولة الوسطى وأبقى عليها حكام الأقاليم وحافظوا عليها. وقد سعى" أحمس" كمرحلة أولى إلى أن يضمن ولاء الحكام . ولم يولّ العائلات القديمة التى كانت قد أبعدت خلال الأسرة الثانية عشرة وما كان فى استطاعته الاعتماد إلاّ على عدد قليل من النقاط القوية تنحصر فى المقاطعة التى انحدرمنها وطيبة و الكاب . وفى الحقيقة أننا لانعلم شيئا عن إعادة التنظيم الإدارى. ولكن يمكن استخلاصها من الأوضاع التى آل اليها الجهاز الإدارى فى الأسرة الثامنة عشرة . ولاريب أنه اختار الأعيان المحليين الذين ساندوا القضية التى دافعت عنها طيبة وكلفهم بشغل المناصب الهامة ، و لكن هل أقدم " أحمس " على توزيع الأراضى ؟ و إن حدث ذلك ، فمن غير المحتمل أن يتجاوز حدود المكافأة لإحد المحاربين القدماء ، على غرار ما حدث مع " أحمس بن ابانا " . ومن المرجح ان الجهاز الإدارى الجديد قد عاد وأخذ على عاتقه مسئولية تنظيم الرى ومن ثم الإشراف على النظام الضرائبى . ولكن لايستبعد إن تكون مهمته قد انحصرت فى مجرد استرجاع ماتركه الهكسوس ، إذ كانت أحوال البلاد مزدهرة . وقيام زعماء طيبة باستئجار المراعى فى الدلتا من " الآسيويين " لخير شاهد على فاعلية النظم التى كان معمولا بها .

استمر الانفتاح على الشرق الأدنى على الصعيدين الاقتصادى والفنى . وهو الانفتاح الذى استهله المصريون من قبل فى ظل الأسرة الثانية عشرة بشكل واضح وواصلوه فيما بعد . لقـــد وضـــع الانفتـــاح أسس استيراد المواد الأولـــية وما ترتب عليه من إبداع فنى . ومن الأمثلة الجيدة لهـــذا الاتجـــاه مانستشفه مـــن خلال النص المنقوش على سطح اللوح الحجرى (CGC 34001) الذى خصصه " أحمس " فى معبد آمون رع بالكرنك لتخليد ذكرى أعماله وأعمال والدته الملكة " يعح حوتپ " . فقد صُنعت المنتجات النفيسة التى يقدمانها " لآمون رع " من المواد الأولية التى أخذت تتدفق على مصر . فجاءت الفضة والذهب من آسيا والنوبة واللازورد من آسيا الوسطى و الفيروز من سيناء ... وقد خلف المصريون وراءهم آثارا لمختلف أنشطتهم فى سرابيط الخادم على

شكل قطع نذور تحمل اسم " أحمس نفرتارى " و ضعت فى معبد حتحور . كما أن بعض حلىّ "يعح حوتپ " باسم " أحمس " مطعمة بالفيروز . وهناك غيرها من الحلى ذات المواضيع المتأثرة بحضارة كريت القديمة قد صيغت من الفضة و اللازورد . ولا ينهض ذلك دليلا على قيام علاقات تجارية مع جزيرة كريت و لكنه يشير على ما يفترض إلى تأثيرات وافدة عن طريق بيبلوس بفضل العلاقات التجارية التى أقامتها مصر معها . ودليلنا على ذلك ماورد على سطح لوح الكرنك من بناء سفينة من خشب الأرز مكرسة "آمون رع".. وأخيرا يدرج هذا اللوح عالم بحر إيجه فى عداد البلدان التى أخضعتها مصر بالاضافة إلى النوبة وفينقيا . وربما لم يتعد الامر ضربا من ضروب البلاغة الكلامية .

وفى عهد " أحمس " استأنف المصريون تشييد العمائر الدينية والجنائزية ، واعتمدت أساليب تقنية رفيعة المستوى . إن مجرد تأمل المتاع الجنائزى للملكة " يعح حوتپ " لخير دليل على مانقوله . كما أن رقة ورشاقة الحفر على سطوح الألواح الملكية التى خلفها "أحمس " فى أبيدوس والكرنك لاتقل فى شىء عن أمهات أعمال الدولة الوسطى ، وتضارع أفضلها . ومن ناحية أخرى لم يثبت و جود أى تقاليد فنية فى الدلتا خلال هذا العصر ، إذ يبدو أن فن الهكسوس قد نضب قبل رحيل الآسيويين .

لم يخلف لنا الزمن سوى القليل مما تبقى مماشاده " أحمس " من معابد . وربما كان السبب وراء ذلك أنها أقيمت فى معظمها بالطوب اللبن . ونحن نعلم أنه شيد المبانى فى بوهن حيث عثر على عناصر باب يحمل اسمه فى معبد " آمون رع " بالكرنك ، وفى معبد " مونتو " بأرمنت . كما أقام فى أبيدوس ضريحين تذكاريين من الطوب فى القسم الجنوبى من الجبانة ، أحدهما لنفسه و الآخر للملكة " تتى شيرى " . وأعاد فتح محاجر طرة فى العام الثانى والعشرين من حكمه ربما بغرض تشييد معبد للإله پتاح فى منف وأخر فى الأقصر ليصبح ، على مايظن ، معبد " الحريم الجنوبى " للإله " آمون " . ولم ينجح فى اتمام هذه المشاريع وهو على قيد الحياة. ومع ذلك فقد حظى بفضله الإله "آمون" فى طيبة بمكانة متميزة على حساب عبادات مصر الوسطى ومصر السفلى. ولربما كان ذلك هو السبب الذى أظهر " حتشبسوت" فيما بعد كصاحبة الفضل فى إصلاح وترميم معابد مصر الرسطى التى دمرها وخربها الهكسوس.

دفن " أحمس " فى دراع أبو النجا ، وقدمت له بعد وفاته الشعائر الجنائزية فى ضريحه التذكارى بأبيدوس ، و شاركته فى هذه الشعائر جدته و جارته " تتى شيرى "

التى تعتبر بالفعل إحدى الشخصيات النسائية الثلاث اللاتى سيطرن على بدايات الدولة الحديثة . فرغم أصولها غير الملكية إلا أنها تعتبر الجدة الكبرى للسلالة الحاكمة ، فاستحقت بهذه الصفة أن تقدم لها الشعائر خلال الأسرة الثامنة عشرة . وعمرت طويلا حتى عاصرت حفيدها . فشاركتة لوحا حجريا هو من مقتنيات الكلية الجامعية بلندن (University College) . ويظهر " أحمس " نفسه وهو يقدم لها الشعائر على سطح اللوح الذى كرسه لها فى هيكلها الجنائزى فى أبيدوس حيث ضريحها التذكارى وأملاكها الجنائزية ، على غرار ما خُصص لها فى منف .

وكانت "يعح حوتپ" الاولى ثانى الشخصيات النسائية اللاتى قدمت لهن الشعائر .وقد توفيت بين العام السادس عشر والعام الثانى والعشرين من حكم ابنها. وفى اللوح الذى أقامه " أحمس " بالكرنك يقول عنها مايلى :

" هى التى أقامت الطقوس ووضعت مصر تحت رعايتها . كانت تسهر على قواتها وتحميها . لقد أعادت الهاربين وجمعت شمل الفارين . لقد نشرت السلام فى ربوع الوجه القبلى وطردت المتمردين " (Urk. IV , 21,9- 16) .

إن التلميحات إلى الدور الذى اضطلعت به الملكة الأم بالقرب من ابنها الحدث فى السنوات الأولى لأمر واضح جلى . إنها وصاية فعلية على العرش ، وإن لم يذكر ذلك صراحة . وقد تركت هذه الوصاية اثرا على باب بوهن الذى سبق أن اشرنا إليه ، فدون اسم الأم جنبا إلى جنب مع اسم ابنها .

واخيرا فإن " أحمس نفرتارى " زوجة " أحمس " هى آخر الملكات اللائى قدمت لهن الشعائر فى طيبة ، واستمر ذلك حتى عهد "حريحور" فى نهاية الألف الثانية قبل الميلاد . كانت على قيد الحياة عندما توفى زوجها ، وعثرنا على آثار لوجودها حتى العام الاول من حكم " تحوتمس " الأول ، وتعتبر شخصيتها المفتاح لفهم بدايات الدولة الحديثة . وفى العام الثامن عشر أو العام الثانى والعشرين من حكم " أحمس " تخلت عن و ظيفة الكاهنة الكبرى الثانية لآمون وحصلت فى المقابل على مخصصات بغرض الإنفاق على مَجْمع " أملاك الزوجة الإلهية " . فكانت أول من شغلت هذا المنصب . وعلى سطح اللوح الذى سجل عليه هذا العقد نراها فى صحبة ولى العهد " أحمس ساپا ايرى " الذى وافته المنية قبل أن يتولى العرش . وبعد وفاة زوجها اضطلعت بوصاية العرش نظرا لصغر سن ابنها " أمنحوتپ " الأول الأمر الذى حال دون تولية مقاليد الحكم . وشاركت فى غضون

ذلك فى كبريات الأحداث التى مرت بها المملكة . ويظهر اسمها فى ربوع البلاد من جزيرة صاى و حتى طرة . وأضحت بعد وفاتها محل عبادة حظيت بشعبية فائقة . وسواء شاركت ابنها هذه العبادة أم لم تشاركه ، فقد ذكرت فى الفرائض الشعائرية التى قدمت له . كما ظهرت فى العديد من مقابر الأفراد والعديد من المبانى سواء فى البر الشرقى أو البر الغربى من طيبة على امتداد الفترة التى تبدأ بالملك " تحوتمس " الثالث وتنتهى بعصر الرعامسة عند منعطف الألف الاولى قبل الميلاد . وقد ناهز عدد مقابر الأفراد هذه ، الخمسين وتعدت هذه المبانى الثمانين ، ومع ذلك فقد ظلت دير المدينة مركز عبادتها الرئيسى .

صدر الأسرة الثامنة عشرة

إن التذبذب الذى أشرنا إليه فى تحديد التواريخ الخاصة " بأحمس " يؤدى الى فارق زمنى فى تحديد بداية عهد " أمنحوتپ " الأول يناهز ربع قرن من الزمن . وفيما مضى أجمع الباحثون على اعتبار عام ١٥٥٧ بداية عهده .(Drioton & Vandier 1962)

	الهكسوس	الأسرة الثامنة عشرة
١٥٥٢ (١٥٦٠)		أحمس
١٥٤٢	عا زاح رع	
	ابيبى الثالث	
١٥٢٦ (١٥٣٧)		أمنحوتپ الأول
١٥٠٦ (١٥٢٦)		تحوتمس الأول
١٤٩٣ (١٥١٢)		تحوتمس الثانى
١٤٧٩ (١٥٠٤)		تحوتمس الثالث
١٤٧٨ (١٥٠٣)		حتسشبسوت
١٤٥٨ (١٤٨٢)		تحوتمس الثالث
١٤٢٥ (١٤٥٠)		أمنحوتپ الثانى
١٤٠١ (١٤٢٥)		تحوتمس الرابع
١٣٩٠ (١٤١٧)		أمنوحتپ الثالث
١٣٥٢ (١٣٧٨)		أمنحوتپ الرابع }
١٣٤٨ (١٣٧٤)		أخناتون
١٣٣٨ (١٣٥٤)		سمنخ كارع (؟)
١٣٣٦		توت عنخ آتون
		توت عنخ آمون
١٣٢٧		أى
١٣٢٣		حور محب
(- ١٣١٤)		

شكل (٨٦) جدول الترتيب الزمنى للأسرة الثامنة عشرة .

ولكن من المتفق عليه أنه قد تم رصد الشروق الاحتراقى لنجم الشعرى اليمانية فى عهد " أمنحوتپ " الأول ، الأمر الذى يتيح لنا تأريخا مطلقا انطلاقا من تحديد مطلع دورة جديدة من دورات الشعرى اليمانية . وقد سجلت بردية " إيبرز " **Ebers** هذه الظاهرة وفصلتها على النحو التالى :

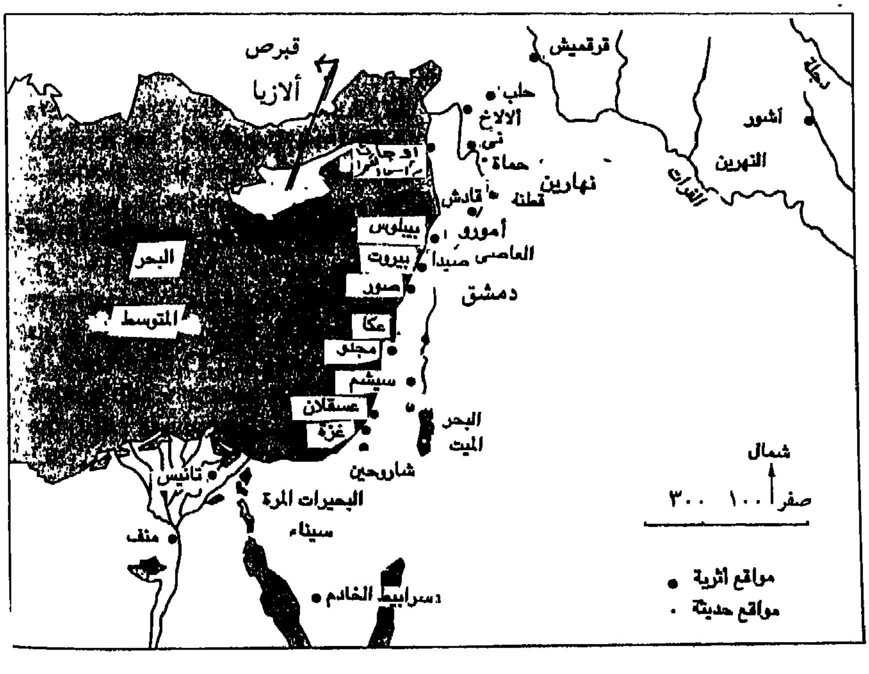
" العـام التاسع من حكم ملك مصر العليا ومصر السفلى - چسركارع " - فليحيا الى الأبد ! عيد غــرة العام الجديــد : الشهــر الثالث مــن شهور الصيف ، اليوم التاسع : شروق سوپدة " . (**Urk. IV 44, 5 - 6**) .

وإذا كـان المقـصـود بـذلـك هو الشـروق الاحـتراقى لنجـم الشعـرى اليمـانيـة **(Helck, GM 67 (1983),47-49)** فـإنـه يعطينا الحسـاب الفلكى عام ١٥٣٧ ، وهو مايعادل ١٥٤٦ كبداية لحكم أمنحوتپ الاول **(CAH I^3,1,ch.VI et II^3,** **308)** شريطة أن يكون الرصد الفلكى قد تم فى مدينة " منف " . ولكن مع افتراض أنه تم فى مدينة طيبة التى كانت عاصمة البلاد على مايظن ومن ثم فهى المكان المعنى ، فينبغى تعديل جميع التواريخ بمقدار عشرين سنة لتقع الظاهرة الفلكية عام ١٥١٧ وتتويج "أمنحوتپ " الاول عام ١٥٢٦**(LÄ I 969)**

ومن ثم اعتلى " أمنحوتپ " عرش البلاد فى صيف او خريف ١٥٢٦ على ما يظن . ورسم لنفسه برنامجاً ركز فيه كل اهتمامه على البلاد الأجنبية . فاسمه الحورى "كا اوعف تاو " يعنى " الثور الذى أخضع البلاد " . واختار لنفسه الاسم النبتى " أعا نيرو " و يعنى " الذى يثير ذعرا شديدا " و فيما بعد سيستعيد رمسيس الثانى إلى ذاكرته هذين الاسمين فيجمع بينهما ليصبحا اسمه الحورى (**Grimal : 1986 , 694**) . ومع ذلك فقد عم السلام سنوات حكمه الإحدى والعشريـن سواء فى الداخل أو فى الخارج . وظلت النوبة هادئة . و يسرد علينا " أحمس بن ابانا " أخبار الحملة التى شنها على الـ "يونتيو " . وربما لم يتعد الأمر مجرد إغارة خاطفة . وإلى هذا العصر ينتمى "أحمس بن نخبــت " الذى أصبـــح فى أخر أيامه معلم ومربى ابنــة " حتشبسوت ". وكان رجل حرب معاصراً " لأحمس بن ابانا " . وخلف هو أيضا وراءه سيرته الذاتية على جدران مقبرته فى مدينة الكاب . و يشير إلى قيام حملة ضد كوش . و ربما كانت نفس الحمــلة ؟ لقد قام " أمنحوتپ " بتعيين " تورى " نائبا للملك فى " كوش " وشيد فى جزيرة صاى معبدا ليصبح علامة الحدود الجنوبية لنفوذ مصر وسلطانها . كما سلمت آسيا

من الحرب ، وإن أدرج" الميتانيون " فى قائمة أعداء مصر . ذلك أن الوقت كان مايزال مبكرا جدا لوقوع الصدام بين القوتين ، وإن لم يمنع ذلك " الميتانيين " من إدانة سيطرة مصر على المناطق القريبة من نهر الفرات . أما بالنسبة للمناطق القريبة من الوادى فنجد أن المصريين قد أعادوا فتح الواحات بأكملها كما يتضح بجلاء من ظهور منصب " الأمير الحاكم للواحات" - " حاتى عا" (لوح Louvre C47)كما قاموا بترميم كافة منشآت سرابيط الخادم.

وانطلقت البلاد على طريق التقدم سواء على الصعيد الاقتصادى أو فى مجال الفنون. ولكن يصعب علينا تقييم الإنتاج التشكيلى داخل المراسم . فالقليل جداً من تماثيل الملك صنعت وهو على قيد الحياة ، بل صنعت معظمها فى ظل حكم من خلفوه لارتباطها بشعائر عبادته التى نشأت بعد و فاته . ومع ذلك يمكن ان نتخيل نوعية منجزاته بفضل ما خلفه من مبانٍ لم تتضرر عند إعادة استعمالها فى و قت لاحق . وقد أعاد " أمنحوتپ " الثالث استخدام منشآته لحشو الصرح الثالث بالكرنك ، و نذكر استراحة من الالبستر للمركب المقدس وهى آية فى الرقة والرشاقة شاركه فيها " تحوتمس" الأول ، ونسخة طبق الأصل من الحجر الجيرى لمقصورة " سنوسرت "

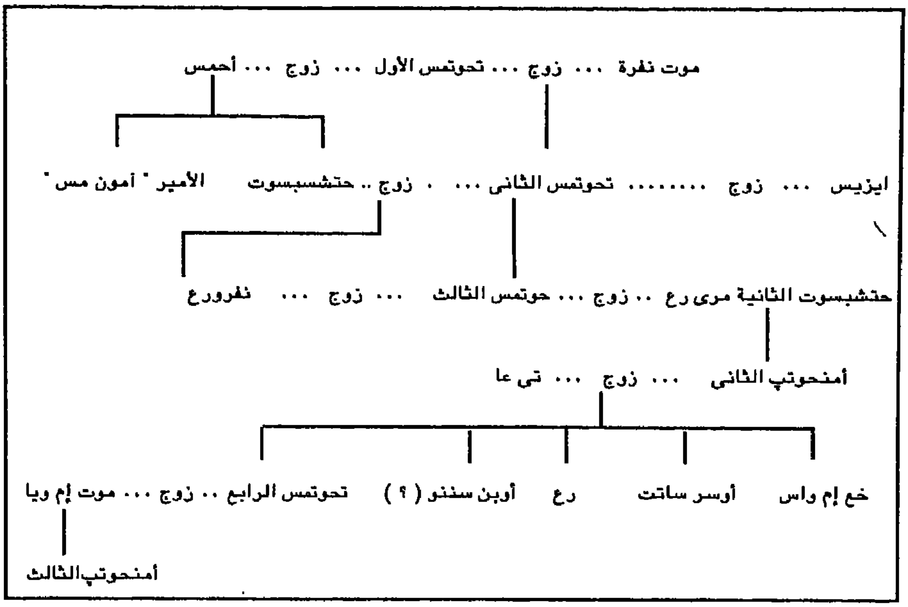


شكل (٨٧) - خريطة مصر والشرق الأدنى فى بداية الدولة الحديثة

الأول البيضاء ، والعديد من الأحجار المتفرقة المأخوذه من منشآت " أمنحوتب " الأول أيضا واستخدمها فى وقت لاحق " تحوتموس " الثالث فى تشييد بعض القاعات . ولم يكن "أمنحوتپ " الأول أوفر حظاً فى الدير البحرى حيث قامت " حتشپسوت " بإزالة مقصورة قدس الأقداس التى أقامها من الطوب اللبن للإلهة حتحور . وقد حفظ لنا الزمن آثارا قليلة لما شاده فى صعيد مصر من منشآت فى إلفنتين و كوم أمبو و بمعبد نخبت بالكاب وفى أبيدوس . وفى المقابل يبدوا أنه لم يقم بأى نشاط فى الوجه البحرى وظل ينتهج السياسة التى رسمها والده .

كما توصل أحد رعاياه و يدعى آمنمحات إلى اختراع الساعة المائية، (Helck : 1975 , 111 - 112) التى ترجع اقدم نماذجها المعروفة إلى عهد " أمنحوتپ " الثالث (Caire JE 37525) . أما بردية " إيبرز " التى عثر عليها فى الأقصر وتعتبر المصدر الرئيسى لمعارفنا حول الطب المصرى القديم فقد تم تحريرها فى عهده . وهى محفوظة الآن فى ليبزج . وقد اكتمل أيضا فى عصره ، على الأرجح ، النص النهائى لكتاب"إمى دوات " وهو الكتاب الرئيسى من بين الكتب الجنائزية الملكية . وأقدم ماوصلنا منه و جد مسجلا على جدران مقبرة " تحوتمس " الأول . ويميل الرأى السائد اليوم إلى اعتبار أن النسخه الأصلية ترجع إلى الدولة الوسطى ، لا بل إلى الدولة القديمة .

وتعبير كتاب " إمى دوات " تسمية نوعية تشمل مجمل الكتب الجنائزية الملكية. وكانت الغاية منه أن يحل إلى حد ما محل كبرى المؤلفات السابقة ، و أن يقوم قبل كل شيء بوصف " ما هو فى العالم الآخر " كما يتضح من عنوانه ، إلى جانب امداد المتوفى بالمفاتيح الشعائرية التى تعينه على الولوج إلى هذا العالم . إنه تصنيف وصفى ينقسم إلى اثنتى عشرة ساعة يتمركز فى وسطه المسار الليلى للشمس ، و عرف رواجا كبيرا حتى عصر العمارنة . وبعد احتجاب قصير شاع من جديد بدءاً من عهد " سيتى " الأول و حتى نهاية الأسرة العشرين .و فيما بعد و حتى فتح " الإسكندر " أقبل عليه الأفراد و اتخذوه كتاباً لهم . ونجهل أين أقام " أمنحوتپ " الأول مقبرته . فهل دفن فى دراع أبو النجا ؟ ربما كان آخر ملك يقع اختياره على هذه المنطقة ليدفن فيها نظراً إلى أن خلفة " تحوتمس" " الأول كان أول من دفن بجبانة وادى الملوك . و قد تصدرت مقبرة " امنحوتپ" الأول التقرير الذى أعدته لجنة التحقيق فى العام السادس عشر من حكم " رمسيس " التاسع و الذى نسخته بردية " أبوت " Abbott . و لم تسمح المعالم التى ذكرها



شكل (٨٨) – العائلة المالكة خلال الأسرة الثامنة عشرة مختصر الأنساب من الجيل الرابع إلى الجيل التاسع .

هذا التقرير بنحديد مكان المقبرة بكل دقة (PM I 599) ولكن الشىء الوحيد المؤكد أن أمنمحوتپ الأول قد عدل من بنية المجموعة الجنائزية تعديلاً جذرياً إذ فصل المقبرة عن المعبد الجنائزى. وحذا كل من خلفوه حذروه، فشيد كل منهم " مسكن ملايين السنين" فى البر الغربى لطيبة.

حتشپسوت

نظرا لوفاة " أمنمحات " بن " أمنمحوتپ " الاول ، فقد خلفه " تحوتمس " الأول وهو ابنه من زو جة ثانوية . و قد ثبت شرعية توليه العرش بزواجه من " أحمس " أخت "أمنمحوتپ " الأول . و انجب منها بنتا هى " حتشپسوت " وولدا هو " آمون مس " الذى لم يتول العرش . وبالمقابـــل تزوجت أخته من أخيها غير الشقيق الذى أنجبه أبوها من "موت نفرة " إحدى محظياته . و سوف يتولى هذا الأخ غير الشقيق العرش تحت اسم "تحوتمس " الثانى . و للمرة الثانية لم يثمر زواج " تحوتمس " الثانى من " حتشپسوت " عن وريث ذكر . بل أنجب منها ابنة وحيدة هى " نفرورع " التى زوجتها أمها على مايبدو من " تحوتمس " الثالث ابن زوجها من إحدى المحظيات التى تدعى " إيزيس " .

استعرضـنا الخطـوط العريضــة للمشـاكل التـى اعترضـت طريق وراثة العرش لخلفاء " أحمس " . وأوجد تطبيق مبدأ الزواج من الاخت غير الشقيقة مرتين حلا أرضى جميع الأطـــراف . ولكن " تحموتمس " الثانى توفى عام ١٤٧٩ ق . م إثر مرض على

الأرجح .ولم يدم حكمه سوى أربع عشرة سنة ، و ترك ابناً ذكرا سيصبح فيما بعد "تحوتمس " الثالث ، ولكنه كان أصغر من أن يتولى مقاليد الحكم . ومن هنا اضطلعت زوجة " تحوتمس " الثانى بالوصاية على العرش ، وكانت هى زوجة أب " تحوتمس " الصغير أيضا . وقد وصلنا وصف لهذه الوصاية على لسان " انينى." احد كبار الموظفين كان مشرفا على مخازن غلال آمون و شغل هذا المنصب منذ عهد " امنحوتپ " الأول و حتى عهد "تحوتمس " الثالث . وورد هذا الوصف فى سياق سرده لسيرته الذاتية التى نقشها على لوح وضعه تحت باكية مقبرته الصخرية بمنطقة شيخ عبد القرنة (TT 81)

" ثم صعد (الملك) إلى السماء وانضم إلى الألهة . وحل محله ابنه ملكاً على الأرضين .وصار ملكاً على عرش من أنجبه و لكن اخته (أى أخت الملك المتوفى) الزوجة الملكية " حتشپسوت " كانت تدير شئون البلاد و تشرف عليها . وكانت الأرضان تخضعان لحكمها وتسلم لها الضرائب بعد جبايتها " (Urk . IV 59 , 13 - 60 , 3) .

وفى العام الثانى أو الثالث تخلت " حتشپسوت " عن هذا الأسلوب فى ممارسة الحكم وتوجت نفسها " ملكا " ، واتخذت لنفسها جميع الألقاب الملكية . فلقبت "ماعت كارع " أى " (الإلهة) ماعت هى "كا" (الاله) رع " و أيضا " خنمت أمن حات شبسوت " أى " التى يعانقها آمون هى الاولى بين السيدات " . ومن الناحية الرسمية أصبح " تحوتمس " الثالث شريكها فى الحكم فحسب . ولتبرير اغتصابها للسلطة قامت بتحجيم سلطات " تحوتمس " الثانى ، فابتكرت قصة مشاركتها لأبيها فى الحكم . وضمت هذه الرواية إلى مجموعة النصوص و التصاوير التى ازدانت بها جدران معبدها الجنائزى الذى شيدته فى دارة الدير البحرى على مقربة من المعبد الجنائزى " لمنتوحوتپ " الثانى . ويعنى هذا النص بشباب " حتشپسوت " ، وهو سرد له دلالته الأسطورية والسياسية فى آن واحد . و سوف يسير على منواله فيما بعد " تحوتمس " الثالث فى الكرنك .

ففى المشهد الأول يعلن آمون فى حضور التاسوع الإلهى عن نيته أن يقدم لمصر ملكا جديدا . فقام " تحوت " بترشيح الملكة " أحمس " زوجة تحوتمس الاول واوصى بها خيرا . فزارها آمون واحاطها علما بأنها ستلد بنتاً هى من صلبه و تقوم بتسميتها " التى يعانقها آمون هى الأولى بين السيدات " . عندئذ ، وبناء على طلبه تولى خنوم الإله

الفخارى تشكيل الطفلة وقرينها على دولاب الفخار . ووصفت " أحمس " ابنتها وقدمتها "آمون" الذى سهر على تربيتها بمساعدة " تحوت " وأرضعتها الإلهة حتحور .

ثم تتوالى مشاهد التتويج . فبعد مراسم التطهر يقوم آمون بتقديم " حتشپسوت" إلى آلهة التاسوع وتنتقل فى صحبتهم إلى الشمال . و يتولى " آتوم " تنصيبها على عرش البلاد وتتسلم التيجان ومجموعة ألقابها الملكية . لقد نادى بها الآلهة " ملكا " ولم يتبق سوى أن يحذو البشر حذوهم . فقدمها والدها البشرى " تحوتمس " الأول إلى البلاط وعينها شريكة له فحياها جميع الحضـــور . وفـــى أعقـــاب إعلان ألقابهـــا تجـــرى مراســـم تطهـــر أخرى . (Urk . I , 216 , 1 - 265 - 5)

وأشركت " حتبشسوت " أباها فى شعائرها الجنائزية فكرست له هيكلا فى معبدها بالدير البحرى. وقد عثر فى مقبرتها (VdR 20)على تابوت لتحوتمس الأول الذى كـان لـه تـابوت آخر فى مقبرتـه (VdR 38) وللأسف لانستطيـع أن نؤكد أن اهتمـام "حتشپسوت " بشرعيتها قد وصل حد إعادة دفن سلفها فى مقبرتها الخاصة ، إذ وجدت موميـــاء تحوتمس الأول فى خبـــيئة الدير البـــحرى بـــعد أن سُـــجِّى فى تابـــوت ثالـــث (CGC 61025) .. . قام " پى نجم " باغتصابه بعد مرور أربعة قرون من الزمن .

ودام حكمـها للبـلاد حتـــى عام ١٤٥٨ ق . م . المقابل للعام الثانى و العشرين من حكم " تحوتمس " الثالث بعد أن استعاد عرشه . ويبدو أن المعارضة التى واجهتها وهى على قيد الحياة كانت أقل قدرا مما يمكن استخلاصه من حجم الحنق والغضب اللذين أبداهما ابن زوجها فى محو ذكراها بعد وفاتها . لقد حكمـــت بالاعتمـــاد على بعض الشخصيات البارزة التى احتل " سنموت " مركز الصدارة بينهم . فقد و لد من اسرة متواضعة من أرمنت ، وحقق فى عهدها أعظم النجاحات المهنية فى تاريخ مصر القديمة . فكان الناطق بلسان الملكة إلى جانب أنه شغل منصب الرئيس الأول لاستقبال العائلة المالكة ورئيس استقبال الإله آمون . فكان مسئولا عن جميع الانشـــاءات الأمـــر الذى أهله للإشـــراف علـــى نقـــل وإقامـــة المسلات التى شيدتها " حتشپسوت" فى معبد "آمون رع " بالكرنك و تنفيذ أعمال معبدها الجنائزى بالدير البحرى . وقبالته أمر بحفر مقبرتـــه الثانيـــة (TT 35) إلـــى جانـــب مقبرته بجبانـــة الشيـــخ عبـــد القرنة (TT 71) قد أوعز فيما مضى النمامون من معاصريه بأنه نال مانال من نعم و حظوة بفضل علاقاته الوثيقـة والخاصـة بالملكـــة . ولكـــن يـــبدو فـــى واقع الأمر أن الدوْر الذى اضطلع به فى

تربية "نفرورع " ابنة " حتشپسوت " الوحيدة كان وراء اهتمام الملكة به حتى صار من المقربين اليها . كما أشرف " سنى من " أحد إخواته على حضانتها و شغل منصب رئيس استقبال الاميرة . وتجمع العديد من التماثيل بين الاميرة " وسنموت " الذى كان واسع الثقافة . إن إنجازاته كمعمارى لخير دليل على ذلك ، إلى جانب الصور الفلكية التى تغطى سقف مقبرته بالدير البحرى و العثور على مائة وخمسين لخافا فى مقبرتة بجبانة القرنة ، وتضم العديد من الرسومات لاسيما تصميمان لنفس المقبرة ومختلف القوائم والحسابات و التقارير و نسخا لنصوص دينية وجنائزية وأدبية نذكر منها على سبيل المثال " هجو الحرف والمهن " و " قصة سنوهى " ووصايا " امنمحات "الخ : Hayes) (1942 وتصدر "سنموت " مسرح الأحداث طوال ثلاثة أرباع فترة حكم " حتشپسوت " ثم فقد حظوته دون وجود سبب واضح على وجه التحديد . وافترض البعض أنه بعدغياب " نفرورع " التى ربما وافتها المنية فى العام الحادى عشر من حكم و الدتها ، أخذ "سنموت" يتقرب إلى "تحوتمس " الثالث ، الأمر الذى دفع " حتشپسوت " إلى التخلى عنه فى العام التاسع عشر من حكمها أى قبل ثلاث سنوات من اختفاءها .

وفى الدير البحرى استعاد " سنموت " الفكرة العامة التى كانت وراء تصميم معبد " منتوحوتپ " الثانى (شكل ٧٥) ، وأخذ بعين الاعتبار مسار السور الشمالى لحرم هذا المعبد عند تحديد اتجاه المبانى الشامخة التى شادها " لحتشپسوت " . وتنطوى الأصالة المبدعة لهذه المجموعة المعمارية فى انقسامها إلى شرفات متتابعة توفر سلسلة متتالية من المسطحات المنفصلة تتزاوج فى انسجام وتجانس تام مع الدارة الطبيعية لجرف الجبل . وللوصول إلى الشرفة السفلية كان يمر الداخل عبر صرح تحيط به الأشجار على ما يحتمل . ولبلوغ الشرفة الثانية يسلك الداخل أحدورا محورياً تقوم على جانبيه باكيتان . ويعادل ارتفاع الشرفة الثانية بالنسبة للأولى ارتفاع الباكيتين اللتين ينهض تمثالان أوزيريان شامخان عند طرفيها الشمالى والجنوبى . وتصور زخارف الباكية الجنوبية عملية نقل وإقامة مسلات الكرنك ،أما زخارف الباكية الشمالية فتصورمشاهد القنص والصيد. وانشئت الشرفة الثانية على نفس النمط السابق . وتصور باكيتها الشمالية قصة الحملة إلى بلاد " پونت " ، أما الباكية الأخرى فتسرد قصة الزواج الإلهى وتقوم مقام معبد الولادة أو "الماميزى" ، ويفضى القسم الشمالى من الشرفة الثانية إلى مقصورة قدس الأقداس للأله أنوبيس وقد نقر هيكلها فى صخر الجبل . أما القسم الجنوبى فيحده جدار داعم له دخلات وخرجات ، وبين هذا الجدار وبين السور المحيط بحرم المعبد أقيم ممر

فلسطين	بلاد النهرين		ايران	كريت	اليونان
	الشمال	الجنوب			
كنعان الوسطى الهكسوس	العصر الأشورى القديم شماشى اداد زمرى ليم الذى من مارى	الأسرة الأولى فى بابل ١٨٩٤ - ١٥٩٦ حمورابى ١٧٩٢ - ١٧٥٠	العصر العيلامى القدمى ٢٠٠٠ - ١٥٠٠	المنياوى الوسيط الثانى ١٨٥٠ - ١٧٠٠ المنياوى الوسيط الثالث ١٧٠٠ - ١٥٥٠	العصر اليونانى القديم الوسيط ١٨٥٠ - ١٥٨٠
		العصر الكاشى ١٥٩٥ - ١١٥٥		المنياوى الحديث الأول ١٥٥٠ - ١٤٥٠	الميكانى الأول ١٥٨٠ - ١٤٥٠
كنعان الحديثة البرونز الحديث ١٥٠٠ - ١١٠٠	امبراطورية الميتانى ١٥٠٠ - ١٣٦٠		العصر العيلامى الوسيط ١٥٠٠ - ١٠٠٠		
	سانستار الأول ارتاتاما الأول شوتارنا الثانى ارتا شومارا تو شراتا ماتى وازا	كريندداش ١٤٤٥ - ١٤٢٧	جليان (١) أ	المنياوى الحديث الثانى ١٤٥٠ - ١٤٠٠ المنياوى الحديث الثالث ١٤٠٠ - ١١٨٠	الميكانى الثانى ١٤٥٠ - ١٤٠٠ الميكانى الثالث ١٤٠٠ - ١١٠٠
	المرحلة الأشورية الوسطى ١٣٦٠ - ٩٠٠ أشور اوباليت الأول ١٣٦٠ اداد نيرارى الأول ١٣٠٠		تشو جازميل		
	شالمناصر الأول ١٢٧٣ توكولتى نينورتا ١٢٤٤	مليشباخ الثانى ١٢٠٢ - ١١٨٨			
		نبو خذ نصر ١١٣٦	جليان (١) ب ادوات برونزية لورستان ١٢٠٠ - ٧٥٠	النياوى الأدنى ١١٨٠ - ١٠٦٠	
	تيجلات بيلاسر الأول ١١١٢ - ١٠٧٤			العصر الهندسى الأول	الميكانى الأدنى

شكل (٨٩) - جدول مختصر : مصر والعالم القديم فى عصر البرونز الوسيط وعصر البرونز الحديث

		الاناضول			
	مصر	المنطقة الغربية	المنطقة الوسطى	المنطقة الجنوبية	المنطقة الشرقية
حوالى ١٨٠٠	عصر الإنتقال الثانى	طروادة (٥)	نهاية بوغاز كوى (٤)		
	الهكسوس	١٩٠٠ - ١٨٠٠		مملكة حلب	
	(الأسرات ١٣ - ١٧)	طروادة (٦)	بيتخانا الذى من كوشار	١٨٠٠ - ١٦٥٠	
		١٨٠٠ - ١٣٠٠	انيتا الذى من كوشار		
			امبراطورية الحيثين القديمة		
			١٦٨٠ - ١٥٠٠		
			لابارناش الأول ١٦٨ - ١٦٥٠		
			خاتوشيليش الأول ١٦٥٠ - ١٦٢٠		
١٦٠٠	الدولة الحديثة		مورشيليش الأول ١٦٢٠ - ١٥٩٠		
١٥٨٠ - ١٠٨٥	الأسرة ١٨		تيپينوش ١٥٢٥ - ١٥٠٠		
(١٥٥٢-١٠٦٩)	أحمس				
	أمنحوتب الأول			ادريمى الذى من آلالاخ	
١٥٤٦ (١٥٢٦)	تحوتمس الأول				
١٥٢٦ (١٥٠٦)	تحوتمس الأول		امبراطورية الحيثيين الحديثة		
١٥١٢ (١٤٩٣)	تحوتمس الثانى		١٤٦٠ - ١١٨٠		
١٥٠٣ (١٤٧٩)	حتشبسوت		تودخالياش الأول ١٤٦٠ - ١٤٤٠	العصر الذهبى	
١٤٨٢ (١٤٥٨)	تحوتمس الثالث		ارنوواانداش الثانى ١٤٤٠ - ١٤٢٠		
١٤٥٠ (١٤٢٥)	أمنحوتب الثانى		خاتوشيليش الثانى ١٤٢٠	نى اوجاريت	
١٤٢٥ (١٤٠١)	تحوتمس الرابع		تود خالياش الثالث ١٤٠٠	١٤٠٠ - ١٢٥٠	
١٤١٧ (١٣٩٠)	أمحوتب الثالث		ارنوواانداش الثانى ١٣٨٥		
١٣٧٩ (١٣٥٢)	أمنحوتب الرابع		شو بيلو ليو ماش الأول ١٣٧٥		
١٣٦١ (١٣٣٦)	توت عنخ آمون		ارنوواانداش الثالث ١٣٣٥		
١٣٥٢ (١٣٢٧)	آى		مورشيليش الثانى ١٣٣٤		
١٣٤٨ (١٣٢٣)	حور محب				
	الأسرة ١٩	طروادة (٧) أ			
		١٣٠٠ - ١٢٦٠			
١٣٢٠ (١٢٩٥)	رمسيس الأول		مواتاليش ١٣٠٦	معركة قادش	
١٣١٨ (١٢٩٤)	سيتى الأول		اورختى تشوب ١٢٨٢		
١٣٠٤ (١٢٧٩)	رمسيس الثانى				
		طروادة (٧) ب	خاتوشيليش الثالث ١٢٧٥		
		١٢٦٠ - ١١٠٠	تود خالياش الرابع ١٢٥٠		
			ارنوواانداش الرابع ١٢٢٠		الإمارات الحيثية
					١٢٠٠ ٧٠٠
١٢٣٦ (١٢١٢)	مرنتاح				
١٢٢٢ (١٢٠٢)	آمون مس				
١٢١٦ (١٢٠٢)	سيتى الثانى				
١٢٠٩ (١١٩٦)	سى پتاح				
	تاوسرت				
	الأسرة ٢٠				
١٢٠٠ (١١٨٨)	ست نخت		شوبيلوليوماش الثانى		
١١٩٨ (١١٨٦)	رمسيس الثالث		١١٩٠		
١١٦٦ (١١٥٤)	رمسيس الرابع				
١١٦٠ (١١٤٨)	رمسيس الخامس				
١١٥٦ (١١٤٤)	رمسيس السادس				
١١٤٨ (١١٣٦)	رمسيس السابع				
١١٤٧ (١١٢٨)	رمسيس الثامن				
١١٤٠ (١١٢٥)	رمسيس التاسع				
١١٢١ (١١٠٧)	رمسيس العاشر				
١١١٣ (١٠٩٨)	رمسيس الحادى عشر				
١٠٥٠		بداية الإستعمار اليونانى			

يمكن الوصول إليه أيضا ابتداءً من الشرفة السفلية ويفضى إلى الهيكل المخصص "لحتحور" . ويمكن بلوغ بهو الأعمدة الثانى فى هذا الهيكل مباشرة عبر باكية الشرفه العلوية الملاصقة لفناء تكتنفه الأعمدة . وشيد فى الناحية الشماليه معبد شمس يضم مذبحا أقيم فى فناء مفتوح إلى جانب هيكل صخرى يقدم فيه تحوتمس الأول الشعائر إلى الإله "أنوبيس" . ونقرت مقصورة قدس الأقداس الرئيسية فى صخر الجبل وتقوم على جانبيها كوات تضم تماثيل الملكة . ويوجد ثلاثة هياكل على التوالى خصصت الأولى لاستراحة المركب المقدس .

وضم حزب الملكة أيضا كاهن آمون الأكبر "حپوسنب" الذى ربطته بالعائلة المالكة روابط نسب من خلال والدته السيدة " يعح حوتپ " ، وكان سليل عائلة ذات شأن . وإذا كان والده "حاپو" مجرد كاهن مرتل لآمون فقد شغل جده " ايمحوتپ" منصب الوزير فى عهد تحوتمس الأول . لقد أشرف "حپو سنب " على الأعمال التنفيذية لتشييد معبد الدير البحرى ثم أسند إليه منصب الكاهن الأكبر "لآمون" وعين أخاه كاتبا لخزانة " آمون " . ولن يفوتنا بالطبع الإشارة إلى حامل الأختام " نحسى" الذى خرج على رأس الحملة التى أرسلتها "حتشپسوت" فى العام التاسع من حكمها إلى بلاد پونت لتواصل التقليد الذى درجت عليه الدولة الوسطى . وقد تم تسجيل أخبار هذه الرحلة باستفاضة على جدران معبدها الجنائزى . وتعتبر هذه الرحلة حدثاً بارزا فى سياسة حتشپسوت الخارجية التى اقتصرت على استغلال مناجم وادى المغارة بسيناء وحملة عسكرية إلى النوبة حيث استبدلت الملكة نائب الملك "سنى" الذى كان مايزال فى منصبه فى عهد "تحوتمس" الثانى وأحلت محله أخر يدعى " إنينى" . كما انضم إلى فريق معاونيها الخازن "چحوتى" (TT 110) رئيس الاستقبال والمحارب القديم " أمنحوتپ "(TT 73) الذى أنجز على خير وجه إقامة مسلتى الكرنك ، والوزير "اوسرآمون" الذى شغل هذا المنصب منذ العام الخامس من حكم "حتشپسوت" .

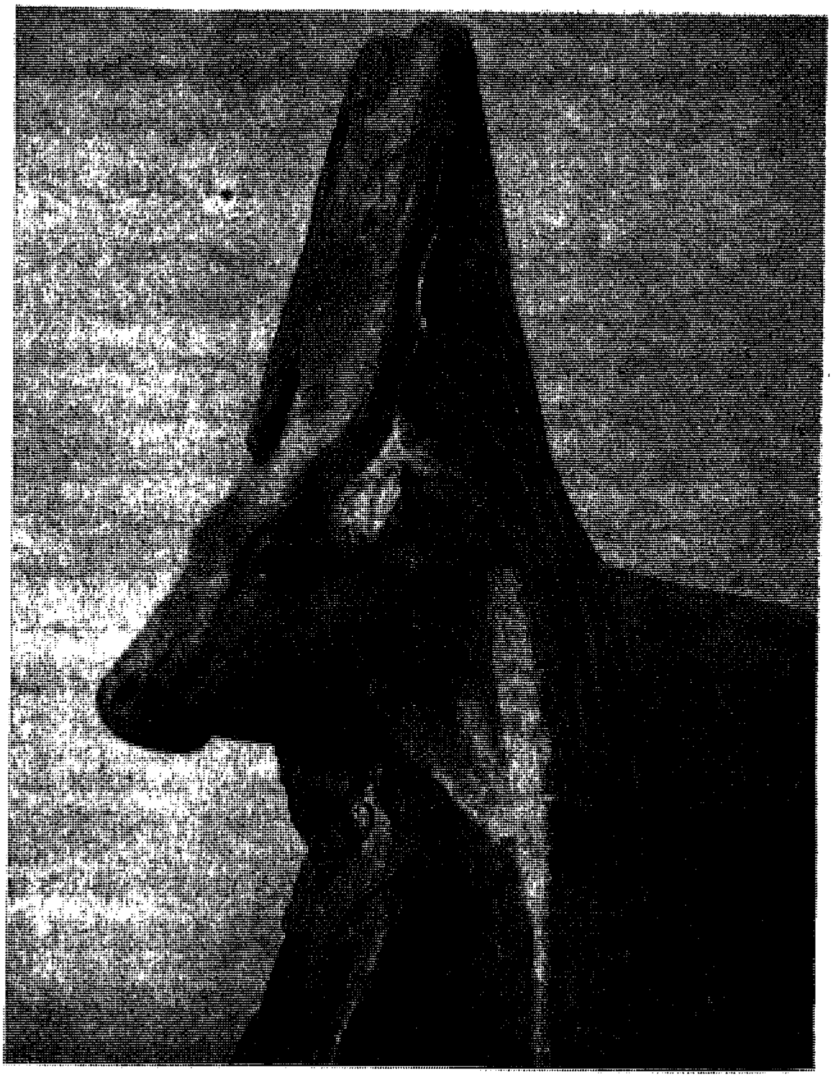
ولما استعاد تحوتمس الثالث عرشه حوالى عام ١٤٥٥ ، كانت أمامه فترة حكم سوف تمتد ثلاثة وثلاثين عاما نفذ خلالها سياسته التى مكنتِ مصر من فرض سيادتها على آسيا والجنوب دون منازع بعد أن أحجمت " حتشپسوت " طوال سنوات حكمها عن أى نشاط عسكرى تدعيما للمكتسبات التى حققها "تحوتمس" الأول الذى كان قد شن حملةً وقائية ضد بلاد "رتنو" ونهارين وتمكن من إقامة لوحة حدود على ضفاف نهر الفرات

كما عمل على بسط نفوذ مصر وسيطرتها فى النوبة حتى جزيرة " ارجو " الواقعة عند الجندل الثالث حيث أقام قلعة "طمبس" ، فاستطاع أن يسجل فى العام الثانى من حكمه أن امبراطوريته كانت تمتد من الجندل الثالث وحتى نهر الفرات (Urk IV 85, 13-14) ودعم "تحوتمس" الثانى ماكسبته مصر من نفوذ فشن حملتين : الأولى فى النوبة فى العام الأول من حكمه لسحق ثورة فى كوش. والأخرى جنوبى فلسطين ضد البدو " شاسو" واستمر فى زحفه حتى وصل مدينة " فى يا" فى بلاد نهارين (قلعة المودك حالياً).

تحوتمس الثالث وأمجاده

وبمجرد اعتلاء "تحوتمس" الثالث العرش اضطر إلى التصدى للثورة التى اجتاحت الإمارات الآسيوية المتحالفة ، فى أعقاب وفاة "حتشپسوت" . وقام هذا التحالف الذى تزعمه أمير قادش بتحريض من الميتانى . واضطر "تحوتمس" الثالث إلى القيام بما لايقل عن سبع عشرة حملة عسكرية قبل أن ينجح فى السيطرة على الأوضاع المتأزمة . والميتانى هى التسمية السياسية التى عرفت بها حضارة"الحوريين" المعاصرة"للكاشيين" فى بابل . وقامت امبراطوريتهم على أنقاض امبراطورية "حامورابى" فبلغت أوج ازدهارها فى القرن الخامس عشر ق . م . ويقع قلب الإمبراطورية فى المنطقة المحصورة بين دجلة والفرات جنوب جبل "طوروس" ، وتمتد لتشمل سوريا وكردستان شمالا ثم تصل إلى أرض فلسطين وهى المنطقة التى شهدت المواجهه بين "الميتانى" وبين المصريين منذ عهد " أحمس " . فكان هدف المصريين رد " الآسيويين " الذين يهددون حدودهم ومطاردتهم بعيدا قدر استطاعتهم .أما هدف الميتانى فكان توريط منافسيهم الخطرين فى نزاعات محلية شريطة ألا يتجاوزوا سوريا حتى لا يتحولوا إلى تهديد مباشر لإمبراطوريتهم . وتحقيقا لأهدافهم أذكوا نار الصراعات التى مزقت منذ أمد بعيد هذه الإمارات الصغيرة، فتبنوا سياسة بعيدة النظر بنوها على أساس تغيير تحالفاتهم حسبما تقتضيه المصلحة .

ومـرت المجابهـة بين المصريين والميتانيين بمراحل خمس ، يمكن متابعتها من خلال " الحوليات " التى نقشها " تحوتمس" الثالث فى معبد آمون رع على مقربة من مقصورة المركب المقدس . وكان لتدوين هذه النصوص هدفان : أحدهما تذكارى والآخر عملى .. فهى سرد للأحداث وفقا لأسلوب درامى ارتبط بالروايات الملكيه التقليدية يصاحبه بيان تفصيلى بالمغانم التى جلبتها الجيوش المصرية - بعد كل:حملة على حدة والتى كرست " لآمون رع "



شكل (٩٠) - حتحور ترضع تحوتمس الثالث. تفصيل
اغتصب أمنحوتپ الثانى هذا التمثال. الدير البحرى .
حجر رملى ملون. الطول ٢٢٥سم. الارتفاع ٢٢٠ سم. متحف القاهره CGC 445

فى المرحلة الأولى تصدى "تحوتمس" الثالث للأخطار التى كانت تحتاج إلى حلول عاجلة وملحة . ففى العام ٢٣/٢٢ من حكمه شن حملة عسكرية استطاع من خلالها إعادة فتح بلاد "رتنو" . فبدأ مسيرته من شرق الدلتا وصعد إلى غزة متجها الى " يحم" (وهى بلدة " إيما " حاليا ، وتقع جنوب غرب جبل " الكرمل ") . ثم وصل إلى سهل "مجدو " بعد أن عبر ممرا جبليا . وسقطت مدينة " مجدو " بعد حصار دام سبعة شهور كاملة وعندئذ استطاع أن يواصل سيره إلى صور . وفى الطرييق اليها استولى على مدن "ينوعمو " و " نوجس " (نهاسة جنوب حلب) و"مهرنكارو" . وهكذا نجح فى تحطيم الجناح الغربى للتحالف المعادى ثم أخذ يتقدم صوب المرافىء التقليدية التى تطل مصر من خلالها على البحر المتوسط .

تحققت هذه الفتوحات نتيجة للحملات الثلاث التالية التى شنها من العام الثانى والعشرين وحتى العام الرابع والعشرين . فقام كل عام بجولة تفقدية لضمان جباية الجزيةالتى فرضت على المغلوبين وفى عدادهم أمراء آشور و"رتنو" . كما استولى على محصول قمح سهول "مجدو" ونقله إلى مصر بالإضافة إلى عينات عديدة من الحيوانات والنباتات السورية . وقد خلد ذكرى هذا الجانب من حملة العام الخامس والعشرين فصور " حديقة نباتات" حقيقية على جدران القاعة التى أنشأها بالكرنك شرقى بهو الاحتفالات . وهذه "الحديقة" مماثلة لما ورد من أوصاف فى معبد " حتشپسوت" بالدير البحرى عن نباتات وحيوانات بلاد "پونت" . ويضطلع كلاهما على ما يعتقد بنفس دور "مشاهد فصول السنة " للملك " نى أوسر رع " من حيث التأكيد على عالمية عبادة الشمس التى التزم بها ثلاثتهم .

ومن العام التاسع والعشرين إلى العام الثانى والثلاثين هاجم "تحوتمس" الثالث "چاهى " و" قادش " . وفى البداية عمل على تأمين الواجهة المطلة على البحر ، فاستولى على مدينة " أولازا " عند مصب نهر " البارد " التى كانت فى قبضة أمير "تونيب " المتحالف مع قادش و" نهارين " . كما استولى على " ارداتا " الواقعة على مسافة بضعة كيلو مترات جنوب غرب طرابلس . وبعد أن اجتاحت القوات المصرية منطقة " ارداتا " وأتلفت مابها من محاصيل وبساتين فاكهة استولت على " چاهى" التى أسبغت عليها النصوص أوصافا جعلت منها " كابوا " سوريا الشرق :

"عندئذ اكتشف جلالته أشجار سائر بلاد "چاهى" مثقلة بما تحمله من ثمار . وأخيرا اكتشف النبيذ وهو يفيض كالماء من معاصرهم . والقمح جمعوه فى البيادر فى

كميات تجاوز حبات رمال الشاطئ .وأخذ الجيش منها كفايته ". (Urk. IV 687,9 - 688,1)

وبقيام الحملة السادسة فى العام التالى وصل المصريون إلى سوريا عن طريق البحر ثم واصلوا السير حتى وصلوا " قادش " فاجتاحوها هى والمناطق المحيطة بها . ثم ارتدوا ثانية صوب الشاطئ وأخذوا بعد ذلك يتقدمون نحو " سيميرا " الواقعه شمال مصب النهر الكبير لينقضوا فيما بعد على " ارداتا " التى كانت قد تمردت على الحكم المصرى على مايبدو خلال هذه الفترة . وتجنبا لقيام ثورات أخرى تبنى " تحوتمس " الثالث سياسة نقلتها عنه روما فيما بعد . فقرر أن يرافقه إلى بلاط مصر ستة وثلاثون من أبناء زعماء البلاد المفتوحة كرهائن . وأمر بتربيتهم تربية مصريه قبل أن يعيدهم إلى بلادهم ليخلفوا أباءهم . ومع ذلك لم تصل عملية إقرار السلام الى منتهاها . فقد قاد الملك فى العام التالى حملة سابعة ضد " اولازا "، وفى أعقاب استسلام أولازا خضعت الموانئ الفينقية وأمّن الملك ما يصلها من إمدادات من مناطق البلاد الداخليه ليحول دون انقلاب الأوضاع من جديد . وبعد عودته إلى مصر استقبل وفدا حضر من بلد آسيوى – لم يتم التحقق من اسمه – لتقديم فروض الولاء والطاعة لمليك مصر .

وحتى الآن كانت الحوليات تكتفى بسرد المعارك التى دارت رحاها فى مناطق سوريا وفلسطين . وفى العام الحادى والثلاثين أشارت "الحوليات" للمرة الأولى إلى الجزية التى سلمتها " كوش " و" واوات " . واستمر ظهور هذين الاسمين حتى العام الثامن والثلاثين من حكمه ، ولكنهما ترددا فيما بعد بشكل متقطع دون أن يعنى ذلك بالفعل ظهور القلاقل أو الاضطرابات . وسوف يكتفى "تحوتمس" الثالث بشن حملة واحدة قرب نهاية حكمه فى العام الخمسين للوصول بحدود الإمبراطورية حتى الجندل الرابع حيث بسطت مصر نفوذهامن قبل . وبالفعل ترجع أقدم وثيقة معروفة من جبل " البركل " إلى العام السابع والأربعين من حكم تحوتمس" الثالث .

ودخلت الحروب الأسيوية طورا جديدا فى العام الثالث والثلاثين بوقوع الصدام المباشر مع"الميتانى" . وكان نهر الفرات يعترض الطريق إليهم ويحميهم ، فهو حاجز طبيعى لابد من اختراقه للوصول إليهم . فأمر " تحوتمس " الثالث ببناء سفن نهرية ، يتولى الجيش سحبها عبر الأراضى السورية . ووصل المصريون إلى " قطنة " أى إلى مدينة "مشرفة " الواقعة شرقى نهر العاصى واحتلوها ، ثم واصلوا سيرهم متجهين إلى نهر الفرات ، فعبره " تحوتمس" الثالث وأقام لوحا تذكاريا إلى جانب اللوح الذى أقامه جده ،

ثم صعد شمالا . وأتى على الأخضر واليابس فى المنطقة الواقعة جنوب " قرقميش " . وهزم جماعة معادية وعبر ثانية إلى الغرب .ثم عاد ادراجه إلى نهر العاصى عند مستوى مدينة "نى " التى سترسم من الآن فصاعدا الحدود الشمالية للنفوذ المصرى ، اذ كانت مدينة حلب تعتبر من مواقع " الميتانى " المحصنة المتقدمة . وفى هذه الأصقاع خرج فى رحلة لصيد الفيل ، شأنه فى ذلك دون ريب شأن جده "تحوتمس" الأول. ثم عاد إلى مصر بعد أن أمن إمداد الموانىء الفينقية بالمؤن ، وهو الأمر الذى سيداوم عليه عند خروج كل حملة . وفى نفس هذا العام دفع الـ "رتنو" الجزية ، إلى جانب الجزية التى قدمها كل من خضعوا له من الناحية النظرية فى أعقاب عبوره نهر الفرات وهم أهل " بابل " و" أشور"و" الحيثيون " .

وكُرست الحملات التسع التالية لمحاولات إخضاع قوات الميتانى فى نهارين . وفى العام الرابع والثلاثين من حكمه وأثناء حملته التاسعة سحق"تحوتمس" الثالث ثورة "چاهى" واستولى على " نوجس " . واضطر إلى العودة إلى المنطقة فى العام التالى ، لمواجهة تحالف"ميتانى" جديد شمال غرب حلب ، وربما استطاع أن يحقق نجاحا أكبر من الذى أحرزه فى العام السابق إذ نرى الحيثيين مضطرين إلى دفع الجزية . اما قصة حملتى السنتين التاليتين فقد فقدتا ، ويحتمل أنهما لم تحسما الأوضاع ولم تفعلا أكثر مما فعلته الحملات السابقة . واضطر الجيش المصرى أن يغير على منطقة " نوجس "، وعندئذ انضم "الألاخ " إلى زمرة الشعوب التى تدفع الجزية ، وأصبح أمير حلب لا يسيطر إلا على املاكه فحسب . وفى العام التالى اقتصرت أعمال "تحوتمس" الثالث العسكرية على سحق ثورة البدو " الخاسو " . ولم يشن حملة جديدة إلا فى العام ٤٢، عندما قام بحملته السادسة عشرة والأخيرة ضد " چاهى " ، حيث أخذت الإمارات الفينقية تنحاز من جديد إلى جانب " الميتانى" ، فاستولى على ميناء " أركاتو " على مقربة من طرابلس ، واجتاح " تونيب " . ثم زحف على منطقة " قادش " واستولى على ثلاث مدن وأجهز على فريق ميتانى قوى .ووضع هذا النصر حدا للمنازعات بين مصر والميتانى لمدة عشر سنوات ، فكان له أصداء ملموسة ، وفرض على مدينة " أدنا " وهى إحدى مدن " قلقلية " فى آسيا الصغرى دفع الجزية لمصر . وكانت السنوات الأخيرة من حكمه أكثر هدوءا ، فخضع الشرق الأدنى مؤقتا للنفوذ المصرى وأقامت مصر علاقات ودية مع بحر إيجه .

لم يكن " تحوتمس " الثالث محاربا عظيما فحسب ، بل إنه واصل البرامج الإنشائية التى بدءها تحوتمس الأول الذى كلف المهندس " انينى " بالبدء فى تغيير وجه معبد " آمون

رع " بالـكرنك . كما أنجز أعمالا معمارية فى الدير البحرى ومدينة هابو ، سوف نتطرق إليها فيما بعد . وفى أواخر حكمه ازدهر نشاطه المعمارى حتى نافس ماقامت به "حتشپسوت " من نشاط . ورغم مابذل من جهد فى تحطيم اسمها من على سطوح العمائر ليحكم عليها بأسوء ميتة يمكن أن تلحق بمصرى وهو موت النسيان ، فقد حافظت حتشپسوت على وجودها فى أرمنت فى معبـد "مونتو " الذى قـام " تحوتمـس " الثالث بتوسيعه . وفى بنى حسن حيث شيدت معبدا للإلهة " باخيت " ، سوف يطلق عليه الإغريق " اسبيوس ارتميدس " **Speos Artémidos** بعد أن وحدوا الإلهة " باخت " بإلهة الحرب "أرتميدس " . وقد أتم "تحوتمس " الثالث زخرفته ، ماعدا القسم الداخلى من قدس الأقداس الذى سيتولى سيتى الأول إكماله . وسجلت "حتشپسوت " عند مدخل هذا المعبد بيانا بالمنشآت التى خصصتها للآلهة فى مصر الوسطى ، فرسمت معابد القوصية و" انتينوى " (قاو الكبير) وهرموبوليس (**Urk . IV , 386 , 4 - 389 , 17**) كما شيدت معابد أخرى صخرية منها هيكل مخصص لحتحور فى " فارس " شمال وادى حلفا وآخر فى قصر أبريم وفى جبل السلسلة . كما شيدت فى النوبة معبد بوهن فى السنوات الأولى وأقامت معبد "ساتيس" فى إلفنتين و" خنوم " فى " قمة " . أما " تحوتمس " الثالث فقد بذل من الجهد والنشاط فى مجال التشييد مثلما فعل فى حروبه ضد " الميتانى " . ففى النوبة أقام المنشآت فى بوهن وصاى وفارس ودكة وأرجو وكوبان وسمنة وجبل البركل.أما فى الوادى ، فبالإضافة إلى ماشيده فى طيبة ، تنتشر منشآته فى كوم أمبو وأرمنت والطود والمدامود وإسنا ودندرة وهليوبوليس ، إلى جانب العديد من مواقع الدلتا التى لم يحفظ لناالزمن شيئا من آثارها .

"أمنحوتپ" الثانى و"تحوتمس" الرابع

وقبل وفاة تحوتمس الثالث بسنتين أشرك معه فى الحكم ابنه "أمنحوتپ " الثانى الذى أنجبه من زوجته الثانية"حتشپسوت " الثانيه" مرى رع" .وبصفته خليفته قام " أمنحوتپ " الثانى بكافة الترتيبات الخاصة بالشعائر الجنائزية عند دفنه فى وادى الملوك (**VdR 34**) وترك" تحوتمس" الثالث وراءه ذكرى ملك عظيم سرعان ما نسجت من حوله الأساطير . وخلد المصريون ذكريات عبور نهرالفرات على وجه الخصوص ولم ينسوها . بل صارت الحملات السورية خلفية الأحداث التى تروى استيلاء القائد العظيم "چحوتى" على مدينة "چوپى "

ونقلت الينا هذه القصة بردية " هاريس ٥٠٠ " Harris 500" . فتروى لنا كيف استطاع القائد العظيم أن يستولى على مدينة "چوپى" وهى يافا الحالية بفضل حيلة أصبحت جزءاً من تراث الأدب العالمى ، ابتداء من استيلاء الملك الفارسى " داريوس " على بابل إلى قصة على بابا والأربعين حرامى ، مرورا بقصة حصان طروادة . فلجأ إلى الحيلة لاغتيال أمير "چوپى" الذى قدم إليه كموفد . ثم أدخل إلى المدينه بهدف الاستيلاء عليها مائتى مقاتل مختبئين فى سلال كبيرة .

أجل لقد كفلت له مآثره ومنشآته الخلود. بيد أن التقليد المتواتر ينسب إليه سببا آخر للخلود وصفه الكتبة بأنه أبقى من العمائر. فقد لاحظنا ولعه الشديد بعالم النبات ، كما مارس صناعة الخزف . ولم يجد غضاضة فى استخدام قلم الكاتب ، طبقا لما ورد على لسان وزيره " رخمى رع " الذى كان على رأس مثقفى عصره والذى تعتبر مقبرته فى الشيخ عبد القرنة (TT 100) من أبرز وأروع مقابر الدولة الحديثة ، فجمعت بين الفنون الأدبية وفن الزخرف . كان تحوتمس الثالث مثقفا ثقافة رفيعة ، فاستغرق عند الضرورة فى قراءة نصوص الأزمنة الغابرة وأظهر اهتماما بالأجداد والأقدمين وتحول هذا الاهتمام إلى اتجاه عام شاع بين أبناء عصره . إن القائمة التى أعدها فى الكرنك للأجداد والرعاية التى أحاط بها منشآتهم ، وإن دلت على عمق تقواه ، فإنها تشهد على حس مرهف بالتاريخ ، هو من سمات كل ملك عظيم رفيع الشأن .

وخلفه " عا خرو أمنحوتب " الثانى . فترك ذكرى عاهل أقل ثقافة بكثير من سلفه ، ومع ذلك فقد استطاع أن يحافظ على ازدهار بلاده وقوتها . وكانت قوته البدنية التى خرجت عما هو مألوف ، مفخرته الأساسية الوحيدة . ويُحكى أنه قتل بيده سبعة أمراء فى " قادش " أثناء الحملة الأولى التى شنها على سوريا فى العام الثالث من حكمه . وربما اشتهر إلى جانب قوته بقدر من الشراسة كان خليقا بإثارة الرعب فى نفوس أعدائه . فعلق أجسادهم على أسوار طيبة ونپاتا... عبرة لمن يتعظ .. ومن المفيد بمكان المقابلة بين هذا الموقف والمكانة المتميزة التى خص بها ممارسة الرياضة العسكرية من رماية وقنص وتجـديف ، وكلها أنشطة ارتبطت بالتأثيرات الآسيوية التى نلحظها أيضا فى المعتقدات الدينية ، مع انتشار عبادتى " عشتارت " إلهة الفروسية و " رشفت " . إن هذا الإسهام الوافد عن طريق الممر السورى الفلسطينى ، هو استمرار للحركة التى بدأت أيام الدولة الوسطى ، وتعززت بفضل تدفق المواد الأولية التى جلبت من هذه البلاد لسد احتياجات الإقتصاد المصرى بعد ان انتقل إلى تكنولوجيا البرونز . فجاء القصدير من سوريا والنحاس من قبرص والفضة من كيليكيا . كما وفدت من هذه البلدان الأيدى

العاملة المتخصصة . فانضم الأسرى إلى صفوف الحرفيين الأجانب المقيمين فى التجمعات العمالية على نمط التجمع الذى كان قائما فى دير المدينة .

كما توسع التقليد الملكي فـى عصور لاحقة فى تسجيل الألعاب الرياضيه (Decker: 1971). وترجع أصول رياضة قنص الأسود التى مارسها مرتجلا ؛ أوقنص الحيوانات المتوحشة عموماً إلى بواكير التاريخ المصرى . كما أنها جزء من نظام الخلق كما لاحظنا من قبل . ونجد هذه النزعة إلى ابراز القوة فيما اختاره الملك لنفسه من ألقاب . إنه حورس " الثور القوى الشديد البأس " ، أو " ذو القرنين الحادين " أو حورس الذهبى " الذى استولى على سائر البلدان بالقوة " .

واستنفد هذه القوة فى حملات ثلاث على سوريا . وقد سبق الإشارة إلى الأولى التى حدثت فى العام الثالث من حكمه وجاءت نتيجة للثورة التى حاولت نهارين القيام بها خلال انتقال السلطة إلى الفرعون الجديد ، وانتهت هذه الحملة بسقوط " قادش " دون أن تحسم الأوضاع ، مماترتب عليه ضرورة القيام بحملتين أخريين توجهتا مباشرة ضد " "الميتانى " : إحداهما فى العام السابع والأخرى فى العام التاسع ، فى أعقاب الثورة التى نشبت فى سوريا بتحريض من " قرقميش " . ووقعت المواجهة فى منطقة تقع عند مستوى مدينة " "نى " وأسفرت عن ضياع كل المنطقة الواقعة بين نهر العاصى ونهر الفرات من مصر ، وإن عاد المصريون محملين بالمغانم الوفيرة التى جمعوها عند قيامهم بسلب ونهب الـ " "رتنو " . وكان فى عداد الأسرى ٣٦٠٠ "عاپيرو "، وهم من جنس آخر غير جنس الـ "خاسو " الذين ذكروا فى أعقابهم . وهناك إشارات إليهم فى " كابادوكيا " ، فى القرن التاسع عشر ثم فى "مارى " فى القرن الثامن عشر واخيرا فى " الألاخ " . إنهم العبرانيون الذين ورد ذكرهم فى " ألواح العمارنة "، وقد اندمجوا فى المجتمعات التى استقروا فيها بعيدا عن موطنهم الأصلى حيث زاولوا أعمالا هامشية كمرتزقة أو خدم . وقد وردت اشارات إليهم فى قصة الاستيلاء على " چوبى "، وظهروا فى مصر فى عهد "تحوتمس الثالث " كعمال فى بساتين الكروم على جدران مقبرتى الكاهن الثانى لآمون" پو إم رع " (TT 39) و" أنتف " الرسول الكبير للملك (TT155). ووضعت هاتان الحملتان نهاية للمجابهة التي احتدمت بين مصر و" الميتانى" . ففى عهد تحوتمس الرابع تغيرت العلاقات بينهما تماما ، وبدأ " الميتانى " يتقربون من عدو الأمس . فقد تأسست امبراطورية "الحيثيين " الحديثة على يدى " تود خالياش " الثانى لتهدد المواقع الميتانية . فى ذلك الحين كانت حلب قد انتقلت تبعيتها من معسكر إلى آخر ، وحالت حروب الأناضول وحدها دون تزايد تهديد "الحيثيين " . ومن

المحتمل أيضا أن الميتانيين والمصريين قد نجحوا فى التوصل إلى اتفاق يرضى الطرفين ، يتخلى بموجبه الطرف الأول للطرف الثانى عن فلسطين وجزء من سواحل البحر المتوسط مقابل شمال سوريا . وتؤكد الجولة التى قام بها "تحوتمس " الرابـع إلى نهاريـن وجـود مثل هذا التقسيـم . فقـد تخلى ملك مصر عن " الألاخ " " للميتانى " ، بل مضى إلى أبعد من ذلك عندما تقدم بطلب الزواج من إحدى بنات " "ارتاتاما " الأول . لقد عقد العزم على إتمام هذه الزيجة فى الحقيقة تأكيدا على المجرى الجديد الذى بدأت تسلكه العلاقات بين العـدوين القديمين .

أما التركة التى خلفها وراءه "تحوتمس " الثالث فى النوبة فكان حملها خفيفا . فقد سادالسلام فى ربوعها فى عهد"أمنحوتپ" الثانى الذى عين رفيق السلاح "أوسرساتت" نائبا للملك فى النوبة. كما يمكن متابعة أعماله الإنشائية من قصر إبريم حتى سمنة . ويبدو أن بعض القلاقل قد تفجرت أثناء انتقال السلطة إلى خلفه ، ومن المحتمل أنها كانت السبب وراء قيام "تحوتمس " الرابـع فـى العـام الثامـن مـن حكمه بحملة ضد القبائل التى تسللت الى بـلاد " واوات " إذا صحت الروايـة التـى سـجلها اللـوح الذى أقيم فى جزيرة " كونوسو " (Urk . I V 1545 sq) . ومع ذلك لم تتباطأ حركة التجارة أو أعمال تشيـيد المعـابد ، وتولى " أمنحوتپ " الثانى زخرفة قسم من معبد كلابشة وواصل الأعمال التى بدأها "تحوتمس " الثالث فى عمدا ، حيث شيد " تحوتمس " الرابع أيضا فناء تكتنفه الأساطين احتفالا بيوبيله الثانى .

كما شيد " أمنحوتپ " الثانى العديد من المنشآت فى أقاصى الصعيد بالكرنك والمداموود والطود وأرمنت . وأمر بأن يقام له معبد جنائزى لم يصلنا منه شىء . وزخارف مقبرته بوادى الملوك قليلة جداً †¨(VdR 35) وبهابعض المشاهد الإلهية ونسخة كاملة من كتاب " إيمى دوات". وترجع أهميتها إلى سبب آخر، فقد عثر فيها فكتور لوريه عام ١٨٩٨ على مومياوات "تحوتمس" الثالث (VdR 34) و"مرنپتاح(سى پتاح) ¢(TT47) و"سيتى" الثانى (VdR 15) و"ست نخت"(VdR 14) و"رمسيس" الثالث (VdR 11) و"رمسيس" الرابع Æ(VdR 2) وكانت المومياوات قد نقلت إلى هذه المقبرة حماية لها من النهابين والسلابين فى أيام الأسرة الحادية والعشرين بإشراف كبير الكهنة "پى نجم".

وبعد وفاة " آمنحوتپ " الثانى خلفه "تحوتمس " الرابع الذى آل اليه الحكم على مايظن فى أعقاب الوفاة المبكرة لأخيه الأكبر الذى كان من المفترض أن يرث العرش

وبالفعل فقد نحت الملك لوحة أقامها بين قدمى تمثال " أبو " الهول بالجيزة تخليدا لذكرى قيامه بعمل من أعمال التقوى والورع له طابعه الخاص . إذ كان الإله العظيم كما هو الحال فى أيامنا هذه مدفونا على الدوام تحت رمال الصحراء التى تتراكم بفعل الرياح حول جسده يوما بعد يوم ، وكان يحلو للأمير الشاب أن يخرج للصيد فى هضبة الجيزة ، وكثيرا ما كان يرقد إذا انتصف النهار فى ظلال " أبو " الهول لينام ويستريح :

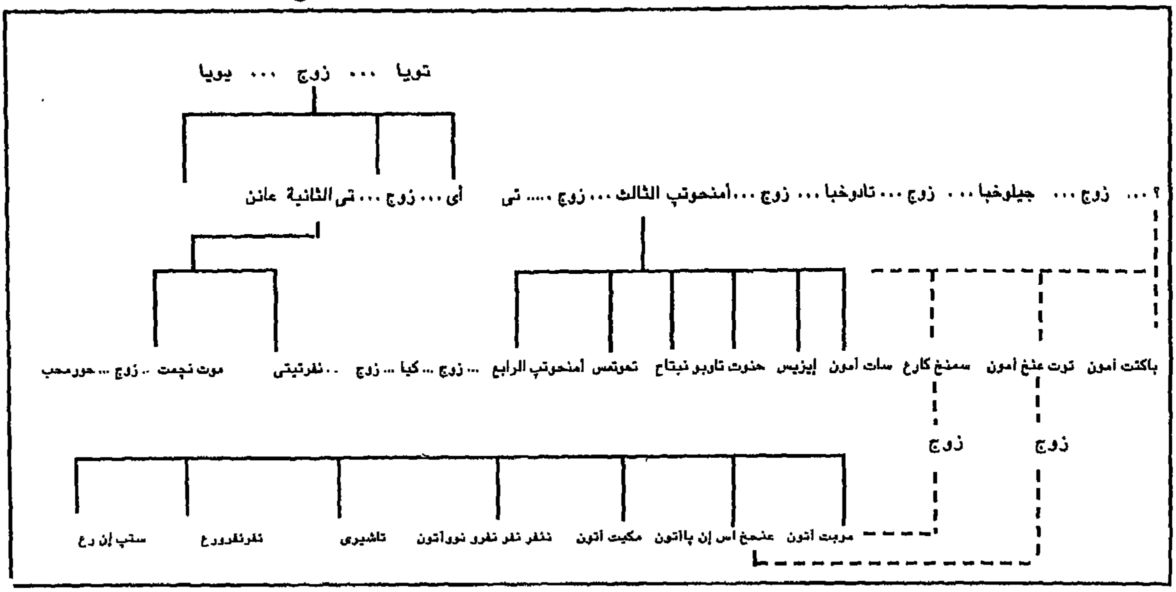
"جدث فى يوم من الأيام أن خرج الابن الملكى تحوتمس فى نزهة عند الظهيرة . واستراح فى ظل الإله العظيم . فغشيه النوم والشمس فى كبد السماء . ورأى فى المنام جلالة هذا الإله المبجل يتحدث بلسانه وكأنه أب يخاطب ابنه قائلاً : تطلع إلىّ والق نظرة علىّ ، أيا ابنى تحوتمس . فانا والدك " حورإم أخت خپرى رع آتوم " . سوف أهبك مملكتى الأرضية . وأقيمك على رأس الأحياء . وتلبس التاج الأبيض والتاج الأحمرعلى عرش "چب " الوراثـى . وتصبـح الأرض طـولا وعرضـا وكافة ما تنيـره عين رب الكون (...) ملكـا لك . هيا ! راقب حالى . فالألم شملنى وفتّ أوصالى . وجسـدى حـل به الخراب . ورمـال الصحـراء التى انتصب فوقـها ، تزحـف علىّ(...) " . (C. Zivie: 1976, 130-131)

وازاح " " تحوتمس " " الرمال عن جسد الإله الذى وهبه عرشا ما كان ليحلم به ... ولكنه لم يستفد به سوى تسع سنوات إذ وافته المنية هو الآخر فى سن مبكرة وهو فى الثلاثين من عمره تقريبا . ويتوارى خلف هذه القصة الجميله هدف سياسى لابد وأن لاحظناه من قبل عند "أمنحوتپ " الثانى، كما أن وجود الأمير فى منف لا يبعث على الدهشة فى شىء . فقد جرى العرف منذ عهد " تحوتمس " الأول أن يقضى ولى العهد فترة تنشئته وتربيته فى " منف " . والأمر الملفت للانتباه هو اهتمامه العظيم بآلهتها . فقد واصل تجهيز المعبد الذى أقامه أمنحوتپ الثانى على مقربة من " أبو " الهول ، كما عثر على وديعة اساس تحمل اسمه فى معبد "پتاح " "بمنف ". وربما كان للأمر دلالته فى الرغبة فى موازنة سلطان طيبة التى عاش أشرافها وأعيانها حياة ترف وبذخ . وتقدم لنا مقابر عظماء المملكة وكبرى شخصياتها فكرة عن الأبهة والبحبوحة التى كانت من نصيبهم فى محياهم . نذكر منهم على سبيل المثال : "أمن إم أپت" "(TT 29) وأخاه " سن " "نفر " (TT 96) حـاكم مـدينة طيبـة و" قن آمون " الرئيس الأول لاستقبال القصر الملكـى فى منف ، وأخاه" كـا إم حـرى إب سـن " الكاهـن الثالث لآمـون (TT 98) وكبيـرى

كهنة آمون " مرى " و " آمن إم حات "(TT 97) ، ورئيس مخازن الغلال " من خپر رع نسب " (TT 79) و" اوسرحات " (TT 56) و" خعى " الذى يحتفظ متحف تورين بكنوزه الخ....

أمنحوتپ الثالث وبلوغ الأسرة الثامنة عشرة أوج ازدهارها

اذا كان فن التصوير قد مال إلى بلوغ أوج ازدهاره فى عهد " تحوتمس " الرابع ، فبحدوث مزيد من الإنفتاح فى عهد " امنحوتپ " الثالث نراه يبلغ حدا من الرقة



شكل رقم ٩١ : العائلة المالكة ونهاية الأسرة الثامنة عشرة . مختصر تسلسل الانساب من الجيل التاسع إلى الجيل الحادى عشر .

والرشاقة لن يعرفها فى أى عهد لاحق بما فى ذلك العهود التى تدفق فيها على الورش الملكية كل ثمين ونفيس أنتجته آسيا والنوبة . ولد " أمنحوتپ " الثالث فى طيبة من "موت إم ويا " احدى محظيات " تحوتمس " الرابع . وقد ظن البعض خطأ أنها ابنة " أرتاتاما الأول " . وكان فى الثانية عشرة من عمره عندما اعتلى عرش البلاد ، وتولت أمه الوصاية على العرش . وفى العام الثانى من حكمه على الأكثر تزوج من " تى " التى لا تنتمى إلى العائلة المالكة[1] ، وكان تأثيرها حاسما على مستقبل الأسرة . والملكة " تى " هى ابنة " يويا " أحد أعيان أخميم الذى لعب أيضا دورا سياسيا بارزا بصحبة زوجته " تويا" ، إذ مهد الطريق أمام أحد ابنائه الآب الإلهى " آى " ليخلف " توت عنخ آمون " فى أصعب الظروف. وأنجب " أمنحوتپ" الثالث من " تى" ستة أبناء : الأول ويدعى "تحوتمس" على مايظن، وتوفى قبل اعتلائه العرش. أما الثانى فسيعرفه التاريخ باسم

"أمنحوتپ " الرابع. كما أنجب أربع بنات سوف تحمل اثنتان منهما لقب ملكة وهما "سات آمون" و"إيزيس".

وفى ظل الأسرة الثامنة عشرة فرضت الروابط العائلية نفسها على سياسة البلاد على غرار ماحدث فى الأسره الخامسة . فكانت المناصب الحكومية الرئيسية موزعة على أفراد العائلة المالكة ، أو على عكس ذلك حيث إذا فرض واقع السلطة السياسية نفسه فرضا ، بحيث يستحيل تجاهله ، يصبح الزواج هو الوسيلة لتكريس هذا الواقع . حدث ذلك مع " تحوتمس " الأول ثم مع " آى "و "حور محب " ، فى وقت لاحق . ونضيف فى هذا الصدد أن زواج " أمنحوتپ " الثالث و " تى"، كان بعيدا كل البعد عن قصة الحب التى تصورها البعض . كان " يويا " ضابطا بسلاح المركبات الحربية ومشرفا على خيول الملك ، وقد افترض البعض أنه كان من أقرباء الملكة الأم " موت إم ويا " ، وكان بالتالى من اخوال " أمنحوتب " الثالث . وعين ابنه " آى " مشرفا على خيول الملك فى عهد حفيده ، وكان من قبل قد عين ابنه الثانى " عانن " فى منصب الكاهن الثانى للإله آمون فى طيبة " وكبير الرائين " فى معبد الإله رع بالكرنك .

تركت " تى " بصماتها على شئون البلاد بشخصيتها القوية وعمرها المديد . فقد امتد بها العمر إلى مابعد وفاة زوجها ، ووافتها المنية فى العام الثامن من حكم ابنها "أمنحوتب " الرابع بعد أن ارتبط اسمها بسياسة الملكين كزوجة أولا ثم كأم ، ودفعت بمكانة الزوجة إلى مركز الصدارة باعتبارها "زوجة الملك العظمى " التى حلت محل الملكة الأم ، الصورة التقليدية للنظام الأمومى . وشاركت " تى " زوجها كطرف مكمل له . فهى إلى جواره – تشخيص للإلهة " "ماعت " . ومن ثم تتمتع بنصيبها من امتيازات المآدب والولائم .كما شاركت فى كبرى الأعياد الشعائرية بما فى ذلك عيد"سد ". وصورت على شكل " أبو " الهول ، وخصص لها زوجها معبدا فى " سدنقة " الواقعة بين الجندل الثانى والجندل الثالث ، كما أسهمت بنصيب كبير فى رسم سياسة البلاد الخارجية وسيرت دفة البلاد فى السنوات الأولى من حكم ابنها اثناء وصايتها عليه. وخلال هذه الفترة ألقت إليه ، على مايظن ، شيئا من أسس العقيدة الجديدة التى قام بتطويرها فيما بعد . واصطحبته بالفعل إلى العمارنة حيث دفنت بعد وفاتها . وسوف يتولى " توت عنخ امون " نقل مومياثها إلى موطنها لتدفن هى ومومياء " سمنخ كارع " فى المقبرة رقم ٥٥ من مقابر وادى الملوك .

ساد السلام عصر " أمنحوتپ " الثالث الذى لم يشهد سوى عمل عسكرى واحد، على شكل حملة رادعة قام بها فى بداية حكمه ، وفى العام الخامس على وجه التحديد. إن

العلاقات التى سادت بين مصر والشرق الأدنى خلال السنوات الباقية من حكمه دليل واضح على ما تمتعت به مصر من إشعاع حضارى فى آسيا وحوض البحر المتوسط .

ونتابع مسار هذا الإشعاع من خلال الدلائل التى أثبتت وجود اسم " أمنحوتپ " الثالث فى جزيرة " كريت " و" ايتوليا " فى بلاد اليونان والأناضول واليمن وبابل وآشور ... كما حفظ لنا الزمن مصدر معلومات آخر حول سياسة مصر الخارجية فى ذلك العصر . فقد عثرت إحدى الفلاحات المصريات عام ١٨٨٧ على مجموعة ٣٧٩ لوحة صغيرة على مقربة من القصر الملكى فى تل العمارنة دونت عليها نصوص بالمسمارية ، وهى الكتابة الدبلوماسية لذلك العصر ، وتضم المراسلات التى تبادلها كل من امنحوتپ الثالث وأمنوحتپ الرابع مع ملوك الشرق الأدنى . وبفضل مقارنة ما توفره هذه المراسلات من معلومات مع محفوظات " بوغازكاى " عاصمة " الحيثيين " والحوليات " الأشورية البابلية " ، يمكن متابعة علاقات التبادل التى قامت بين القوتين بالإضافة إلى النكبات التى أمت " بالميتانى " واستمرار انحسار قوتهم . وجاء زواج " أمنحوتپ " الثالث من " جيلوخيا " ابنة " شوتارنا " الثانى فى العام الحادى عشر من حكمه تأكيدا للتقارب المصرى الميتانى . ولكن حدث فى الثلث الأخير من حكمه أن انضم " عبدى اشيرتا " أمير " امورو " إلى صف " الحيثيين " لعقد تحالف الغرض منه إزاحة نير المصريين .

وتدهورت الأوضاع فى العاصمة " الميتانية " ، إذ قام " توحى " زعيم الحزب الموالى " للحيثيين " فأعلن نفسه وصيا على العرش بعد أن أقدم حزبه على اغتيال " ارتاشومارا " بن " شوتارنا " الثانى البكر . وانتقم " توشراتا " لأبيه واسترد الحكم ووطد من جديد تحالفه مع مصر بأن زف ابنته " تادوخيا " إلى " أمنحوتپ " الثالث . كما ظلت بابل شديدة القلق بسبب جارها الميتانى ففعلت نفس الشىء . وتزوج " أمنحوتپ " شقيقة "قادشمان أنليل " أولا ، ثم ابنته . ولم تنجح علاقات النسب المتشابكة القائمة على هذه الزيجات فى التصدى على الوجه الأكمل للأطماع الإقليمية التى تحرك مختلف الأطراف ، فبابل تتطلع إلى فرض سيطرتها على " آشور " التى تعتبر من توابع " الميتانى " من الناحية النظرية . وسيجد "اشور اوباليت " الأول صعوبة كبيرة فى الحفاظ على التوازن بين الطرفين ، ولن ينجح فى الحفاظ على استقلاله النسبى إلا بفضل سياسة بارعة جاهرت على الملأ بإعلان صداقتها لمصر . وظهر" الحيثيون " كقوة صاعدة برزت كمركز مؤثر قرب نهاية حكم " أمنحوتپ " الثالث ، ومع بداية حكم " أمنحوتپ " الرابع واعتلى الأمير " شوبيلوليوماش " العرش . وخصص السنوات العشر الأولى من حكمه لإقرار السلام فى الأناضول ، ثم توجه إلى سوريا الشماليه فاستولى على حلب وجعل من

لبنان حدود الحيثيين الجنوبية . أما فى مصر فقد خلف أمنحوتپ الرابع والده ، ولم تهب مصر لنجدة الحليف "الميتانى " الذى اضطر للرضوخ .

وعلى امتداد نصف القرن الذى سبق هذه الأحداث كانت مصر فى أوج اشعاعها الحضارى وفى ذروة القوة . وكان " امنحوتپ " الثالث أعظم من عرفتهم مصر فى مجال التشييد والبناء ، فقد أقام العمائر فى طول بلاد النوبة وعرضها . فشيد فى إلفنتين معبدا صغيرا تكتنفه الأساطين وينسب إلى "تحوتمس " الثالث . أما فى وادى السبوع فقد خص " آمون رب الطرق " بمعبد صخرى صغير . وبدأ يشيد فى عنيبة معبدا للإله " حورس " الذى من " ميعام" . كما أسس معبد كوة ومعبد سسبى الذى أقام " امنحوتپ " الرابع فوقه معبد " چم آتون " . كما شيد معبد صولب المخصص لعبادته هو وزوجته بالاشتراك مع " آمون " ، فكان هذا المعبد فاتحة تقليد سار على هديه ملوك الأسرة التاسعة عشرة إلى حد كبير . وإلى جانب معبد سدنقة فقد خص مرقسة وكوبان وجزيرتى " صاى " و " ارجو " بعناصر معمارية . وفى مصر ذاتها أقام المنشآت فى " أتريبس (أتريب) وبوباستس (تل بسطة) . وشيد معبدا لحورس عملا بسيرة اسلافه القائمة على نهج هليوبوليس .كما بدأ أعمال إنشاء سيراپيوم سقارة . وفى الوادى يمكن مشاهدة ماشيده فى الكاب و "سمنو " قرب الجبلين ، وفى أبيدوس وهرموبوليس ، حيث أقام تماثيل شامخة برأس قرد ، مازلنا نشاهدها فى أماكنها . أما فى طيبة فقد شيد فى الأقصر معبدا يعتبر " الحريم الجنوبى " لآمون رع". كما كرس ستمائة تمثال للإلهة " سخمت " وضعها فى معبد الإلهة " موت " فى آشر إلى الجنوب من سور معابد الكرنك . ويزدان متحف اللوڤر ببعض هذه التماثيل الرائعة (شكل ٩٢) . وفى البر الغربى شاد لنفسه قصرا فى ملقاطة . وبنى معبدا جنائزيا ضخما قام " مرنپتاح " بهدمه عند تشييد معبده الخاص فلم يترك منه سوى التمثالين الشامخين اللذين أقيما على جانبى الصرح .

عند قيام المرشدين بشرح الآثار للرحالة الإغريق الأوائل اختلط عليهم الأمر وهم يتحدثون عن " نب ماعت رع " و هو لقب " امنحوتپ " الثالث ، فنطقـــوه بعد تصحيـــفه " ميموريا " على وجه التقريب ، فساد الاعتقاد أن التمثال الضخم الواقع إلى الشمال هو للبطل " ممنون " بن " اورورا " قائد الفرق الإثيوبية الذى قتله " أخيلوس " خلال حرب طروادة ، وأن مقبرته على مايقال موجودة أسفل التمثال . وفى العام ٢٧ق .م. وقع زلزال فى المنطقة . فتفككت من جرائه كتل أحجار التمثال ، وأحدث صدعا أخذ

يطقطق مع بزوغ كل نهار عندما تساعد حرارة الشمس على تبخر الرطوبة التى تراكمت طوال الليل . و تعززت الاسطورة ، و اعتقد الناس أن ممنون يبعث بالتحية إلى أمه عند ظهورها كل صباح بما يصدر عنه من أنين . وللأسف قام الامبراطور الرومانى " سيپتيموس سڤيروس " بدافع من التقوى بترميم ماتصدع من الأثر ، فصمت التمثال الى الأبد .

تتميز العمائر التى شيدها " امنحوتپ " الثالث ، سواء لأغراض رسمية أم دينية برقة ورشاقة تعتمدان على إجادة مهارات الصنعة إجادة تامة بدون منازع . ونلتمس التأثيرات الشرقية فيما بلغه التشكيل من تحرر ، و هو مالا يتفق و الصرامة التى لازمت الفن فى بدايات الاسرة الثامنة عشرة . وتمهد الطريق أمام رقة المشاعر التى سادت الإنتاج الفنى فى تل العمارنة . ونذكر على سبيل المثال تقنية " الاردية ذات الثنايا اللينة " كما تظهر فى تماثيل أواخر عهد " أمنحوتپ " الثالث (شكل ٩٣) . وإن دلت هذه الارهاصات لفن العمارنة على شيء فإنما تدل على أن الابحاث الصوفية التى انكب عليهامن سيلقب فى المستقبل بأخناتون ، لم تولد فجأة ، بل نشأت تدريجيا فى البلاط الملكى حيث عاشت النزعات العقلانية بسماتها الشرقية . ان اهتمام أمنحوتپ الثالث بمدينة هيليوبوليس يوضح أن صعود نجم عبادة " آتون " كان نتيجة منطقية لتجديد معابد العاصمة الدينية العتيقة لمصر . و لايعنى ذلك بالطبع أن هليوبوليس قد انفردت دون غيرها بهذه المكانة المتميزة ، فقد شجع الملك أيضا العبادات الرسمية الخاصة بحلول الأرباب فى الحيوانات ، فشيد السيراپيوم ليصبح مقبرة العجل أبيس . والقاسم المشترك بين اهتمامات الملك فى هذه الحالة و تلك ، هو عدم ارتباط هذه العبادات بطيبة . و هنا يكمن على الأرجح المبرر الذى دفع " أمنحوتپ " الرابع إلى قطع صلاته مع " آمون رع " بسبب هيمنة كهنة طيبة على شئون الدولة و الدين . فقد ازداد نفوذهم فى اعقاب الانشاءات الضخمة التى نفذها " أمنحوتپ " الثالث فى الكرنك طلبا لمساعدة الآلهة على شفائه من المرض الذى أصابه ، فى اعقاب احتفاله بعيد " سد " الأول فى العام ٣٤ من حكمه . وتكشف تصاوير صولب ، ومقبرة " خرواِف " رئيس خدم الزوجة الملكية العظمى (TT 192) عن إنسان أصابه الوهن والهزال ويعانى من آلام مبرحة واضحة للعيان . كما خص " أمنحوتپ " الثالث الإلهة " سخمت سيدة أشر" وربة الشفاء والإبراء بستمائة تمثال . بل أرسل له حموه " توشراتا " تمثالا " لعشتارت " له القدرة على الشفاء . ولكن ذهبت كل الجهود وكل المحاولات لشفائه أدراج الرياح ، ولم

تتمكن الآلهة من تجنب القدر، فاحتفل أمنحوتپ الثالث للمرة الثانية بعيد " سد " فى العام ٣٧ من حكمه قبل أن يتزوج " تادوخبا " مباشرة . فإذا راعينا فترة الثلاثين سنة اللازمة عند احتفاله بعيد "سد " لأول مرة ، فلابد من اختزال هذه الفترة إلى العُشر بالنسبة للأعياد اللاحقة . و مات أمنحوتپ الثالث فى العام٣٩ من حكمه بعد أن أشرك ابنه فى الحكم فى آخر ايامه على مايفترض . و تزخرف جدران مقبرته(VdR 22) بنسخة من كتاب "إمى دوات ". و قد سلبت المقبرة و نهبت خلال الأسرة الحادية و العشرين ولكن أمكن الحفاظ على مومسيائه مع غيرها من المومياوات التى تم تجميعها فى مقبرة "أمنحوتپ " الثانى . والمومياء لشخص فى الخمسين من عمره ، تغلبّ عليه المرض. فقضى نحبه .

وباختفائه زالت من الوجود مصر المبادىء اليقينية ، على الصعيد السياسى والدينى . زالت مصر الدولة التى أضحت بفضله قوية ، ومحل احترام الجميع فى الداخل كما فى الخارج . وأحدثت الاضطرابات التى سببتها فترة حكم ابنه القصيرة تغييرات جذرية فى توازن السلطة ، فدفعت فراعنة مصر إلى طرح مشكلة أساس الحكم الثيوقراطى بكل وضوح ، والعلاقة بين ما هو دنيوى و ما هو روحانى .

الفصل العاشر
إخنـــاتـــون

خلفاء أمنحوتپ الثالث

اعتباراً من١٣٧٨ / ١٣٥٢ حكم " أمنحوتپ " الرابع البلاد بمفرده و اختار لنفسه عند تتويجه لقب " نفرخپرو رع " و معناه " كاملة هى تحولات رع " وأرفق به صفة "وع ان رع " و معناه " و حيد رع " . أما بقية ألقابه فترتبط بينه وبين طيبة ، و إن أطلق عليها اسم " هليوبوليس الجنوب " ، فى لقبه كحورس الذهبى . وقد لاحظنا من قبل أن أهيمة هليوبوليس ترتبط بنفس مقر تربية الأمراء و تنشئتهم ، دون أن يعنى ذلك بالضرورة مقاومة عقيدة آمون .

و تظل مشاركته فى الحكم مع " أمنحوتپ " " الثالث من المواضيع المثيرة للجدل . فإذا اتفقنا على وجود هذه المشاركة فلا يمكن تأكيد مدتها . إذ يرى البعض أنها بدأت فى العام ٢٨ - ٢٩ من حكم " أمنحوتپ " الثالث ، فى حين يفضل البعض الآخر العام ٣٧ - ٣٩ . وفى الحالتين ، تبرهن فترة المشاركة فى الحكم على أن الافكار التى مهدت " لثورة " العمارنة كانت من الانتشار بمايكفى ليظهر تأثيرها فى الأعمال الرسمية التى رأت النور فى السنوات الأخيرة من حكم أمنحوتپ الثالث . وإلى جانب ذلك فإن إتمام مراسم تتويج " أخناتون " فى الكرنك لخير دليل على أنه لم يدخل فى صراع مكشوف مع كهنة " آمون رع " ، فى بداية الامر على الأقل .

كما أن الاستمرارية العائلية واضحة للعيان . حتى أننا لانشعر بالغربة و سط أفراد العائلة المالكة فى العمارنة ؛ فقد تزوج " إخناتون " ابنة خاله " نفرتيتى " . وهى ابنة "آى " و" تى " الثانية ، أى حفيدة " يويا " و " تويا " . ومن الجلى إذن أن حضور عائلة أخميم ظل مؤثرا فى قلب أحداث العمارنة ، كما استمر من خلال " موت نجمت " أخت " نفرتيتى " وزوجة " حورمحب " . ولربما كان لها ضلع فى اختيار الموقع الجديد فى مصر الوسطى عاصمة جديدة للبلاد . ومهما يكن من أمر الأصل ، فإن الروابط التى جمعت بين " أمنحوتپ " الرابع و" نفرتيتى " كزوجين لها سمة سياسية غالبة وأعمق من تلك التى جمعت بين " أمنحوتپ " الثالث و" تى " . فقد اشتركا سويا و على غرارهما فى الاحتفالات . ولكن الجديد فى الأمر أن يصورهما الفن

الرسمي و منذ بداياتة الأولى فى مشاهد عائلية كانت تعتبر حتى هذه اللحظة مشاهد من الحياة الخاصة ، تصويرها من الأمور غير المستحبة . و مع ذلك لم يضطلـــع كلا الزوجين بدور مماثـل. ففى نشيد " آتون " العظيم ، نرى على سبيـل المثال أن الملك وحده هو الذى يتعرف على الإله .

انتظر" أمنحوتـــپ " الرابع العام الثانى من حكمه ليزيح الإله آمون رع من مكانه ويضع بدلا منه الإله " آتون " . وقبل ان يخطو هذه الخطوة شرع ينفذ برنامجا من الإنشاءات التقليدية . فبمناسبة افتتاح محاجر الحجر الرملى بجبل السلسلة ، صور نفسه وهو يحمل التقدمات للإله آمون . (Urk, IV, 1962) . كما وضع اللمسات الأخيرة فى زخرفة معبد " أمنحوتپ " الثالث فى صولب . ومع ذلك فالإنشاءات التى بدأها فى الكرنك من أجل الإله " آتون " ، تظهر تصميما واضحا على التجديد والتغيير مع قدر من التسرع . فقد أمر بقطع الأحجار من محاجر الحجر الرملى ليسهل إعدادها وبأحجام صغيرة ، تيسيرا على فرق السخرة الضخمة المكونة من الأيدى العاملة غير المدربة على التعامل معها . وحذا عالم الآثار رمضان سعد حذو التقاليد المحلية المتوارثة وأطلق على هذه القوالب اسم " التلاتات " . وقد حليت بزخارف يغلب عليها طابع الخشونة . ولكن أسلوبها واقعى يأخذ بالسهل الممتنع وينحى منحى الأيديولوچية الجديدة التى تولى الملك تلقينها بنفسه للفنانين ، و هو ما سجله مخريش فى أسوان قام بتدوينة " باك " كبير نحاتى الملك . وقد حفظ لنا الزمن هذه القوالب من الاندثار التام وربما بفضل صغر حجمـــها . فبعد العودة إلى الدين القويم و الإله " آمون " ، دُكّت المنشأت التى أقامها الفرعون صاحب البدعة الآتونية ، شرقى حرم معبد " آمون رع " وصـــار عاليها سافلها . و أعاد "حور محب " استخدام هذه القوالب كحشوة للصرح التاسع بخاصة . و تم استحراج ١٢ الف قالب من قوالب " التلاتات " عند فك هذا الصرح تحت إشراف المركز الفرنسى المصرى لمعابد الكرنك"**Centre Franco-Égyptien des Templesde Karnak** خلأل السنوات العشر الأخيرة. وأصبحت هذه القوالب محل دراسة مستفيضة وهى مصدر يفوق كل تقدير لمعرفة تاريخ عبادة " آتون ".

وفـى العـام الرابع مـن حكـمه انتقل الملك فـى صحبة الملكة إلى الموقع الذى كشف عنه " اتون " ذاته و الذى سيصبح عاصمة البلاد الجديدة ، و أطلق عليه " أخت آتون " ويعنى" أفق القرص(الشمس)"، وشـرع فـى الـعام الـتالـى يقـيم مـنشأتـه

الجديدة . و كان الموقع الجديد عبارة عن دارة فسيحة فى حضن جبال شامخة على بعد حوالى عشرة كيلو مترات إلى الجنوب من ملوى على البر الشرقى من النيل . وتمتد الدارة ليصل انبساطها إلى خمسة و عشرين كيلو مترا من الشيخ سعيد شمالا حتى الشيخ عبد الحميد جنوبا . إنه مكان بكر يشبه تل الرمال بهليوبوليس الذى كان نقطة الانطلاق لخلق الكون . ووضع الملك علامات حدود حول هذا المكان بلغت أربعة عشر لوحا ، أحد عشر على البر الشرقى و ثلاثة على البر الغربى . وكان على المدينة أن تكون المقابل لمدينة طيبة من حيث طبيعتها و أسماء منشآتها . كما ستصبح هليوبوليس جديدة بفضل جبانتها الملكية و المدينة و المقبرة المخصصة للعجل " منيفيس " .

الإصلاح الدينى

تظهر ألقاب الملك الجديدة للمرة الأولى على ألواح الحدود فى البر الشرقى معلنة للبلاد عقيدة " آتون " الجديدة . فقد بدل اسمه الحورى " الثور القوى والريش العالى " الذى يعبر عن قدر كبير من الروابط بمدينة طيبة إلى "الثور القوى محبوب آتون " كما تغير اسمه " النبتى " من " عظيم " المُلك فى الكرنك " إلى " عظيم المُلك فى أفق قرص (الشمس)" . ويتغير اسم حورس الذهبى من " الذى ارتقى بالتيجان فى هليوبوليس الجنوب " إلى " الذى ارتقى باسم آتون " واحتفظ باسم التتويج و غيّر "أمنحوتپ " إلى " أخناتون " ، ومعناه " راض عنه هو آتون " . إنه مجرد استبدال "آمون " " بآتون " .

ولاينطوى التغيير فى حد ذاته على أى عقيدة ثورية . وهو ابعد ما يكون عن الديانة المنزلة ، كما يحلو للبعض تصويره بغرض الكشف عن جذور المسيحية . فى حين لايعدو الأمر أكثر من مصدر مشترك نهلت منه الحضارات السامية . وفى الحقيقة فقد تابعنا منذ بداية الأسرة الثامنة عشرة علو نجم عبادات هليوبوليس كامتداد لحركة استهلتها الدولة الوسطى : فصبغت أهم الآلهة بصبغة شمسية ، على غرار ما حدث للاله "آمون" بطريقة مباشرة من خلال الشكل التركيبى للاله " آمون رع " .وتتفق هذه الحركة مع مثيلتها التى ظهرت عبر الكتب الجنائزية مثل " كتاب ما هو موجود فى العالم الآخر " و " أناشيد الشمس " أو " كتاب البوابات " . وتركز على الدور المحورى الذى يلعبه الإله " رع " فى الخليقة و فى الحفاظ على الحياة . فالحديث هنا عن التوحيد أمر مبالغ فيه ، (Assmann , 1984 , 235 sq.) طالما أن التركيز على " رع " لم يستبعد

غيره من الآلهة . ولكن من الأمور المؤكدة أن الكثير من الصلاحيات المتنوعة قد اندمجت في الشمس كإله خالق بكل معانى الكلمة . وقد اختار " أمنحوتپ " الرابع أن يتعبد لمظهره الحسى المتمثل فى قرص الشمس الذى حدد لاهوت هليوبوليس دوره بشكل واضح منذ زمن الدولة القديمة . والنتيجة التى نتوصل اليها لها صبغة عالمية تشبه الوحدانية من حيث المظهر. فكثيرا ما عُقدت المقارنات بين نشيد " آتون العظيم " المسجل على الجدار الغربى من مقبرة " آى " بالعمارنه و المزمور ١٠٤ من مزامير داوود :

" عندما تغرب الشمس فى الافق الغربى ،
يغرق الكون فى الظلمات و كأنه مات .
و ينام الناس فى المضاجع و قد لفوا رؤوسهم ،
فلا يرى المرء اخاه .
ويمكن أن تسرق كل ما وضعوه من أمتعة تحت رؤوسهم ، دون أن يلحظوا ذلك !
والسباع خرجت من عرينها ،
و مختلف الزواحف تلدغ .
و يغلف الظلام كل شىء و يرقد العالم فى سكون .
فالذى خلقهم يستريح فى أفقه .
و عند الفجر ، عندما تشرق فى الأفق ،
و تتألق كقرص الشمس أثناء النهار ،
فتبدد الظلمات و تنشر أشعتك ،
عندئذ تعم الأعياد الأرضين ،
و يستيقظ الناس و يقفون على أقدامهم .
لقد نهضوا بفضلك أنت !
و اذ يطهرون أجسادهم و يرتدون ملابسهم
يرفعون سواعدهم ابتهالا لشروقك .
والكون بأسره يدب فيه النشاط و يعمل.

و الماشية راضية بمروجها .
و الأشجار و الأعشاب نضرت و اخضرت .
و الطيور ترفرف بعيدا عن أعشاشها .
فتنشر أجنحتها و تسبّح لك .
و تقفز المواشى على أقدامها .
وسائر الطيور و سائر الدواب ،
تحيا جميعها عندما تشرق من أجلها .
و تبحر السفن نزولا و صعودا .
و الطرق غدت مفتوحة بعد ظهورك .
وعلى سطح النهر تقفز الأسماك فى حضرتك:
لأن اشعتك تنفذ إلى أعماق البحر شديد الاخضرار .
و بفضلك تنمو بذرة الحياة فى النساء ،
ياخالق النطفة فى الرجال ،
أنت تُحى الطفل فى بطن أمه ،
أنت الذى يهدىء من روعه بما يوقف دموعه ،
إنك " مربية " من لايزال فى بطن أمه ،
إنك واهب نسيم الحياة لكل خلائقك ،
عند خروجها من الرحم لتتنفس يوم مولدها ،
فتفتح فمها و تمدها بكل احتياجاتها .
وبينما لايزال الفرخ يزقزق فى بيضته
تمده بالنسمة الداخلية التى تبث فيه الحياة .
لقد حددت له اللحظة التى يحطم فيها غلاف البيضة من الداخل
فيخرج منها مزقزقا فى الزمن المحدد ،
ليسعى على قدميه لحظة خروجه (...) .

- (Daumas : 1965 , 322 - 323)

وفى ظل الأسرة التاسعة عشرة سوف يستعيد الملك شخصيا هذه الآليات ليجمع فى شخصه مختلف أوجه الخالق . وتكمن أصالة إخناتون فى أنه يبلور سائر هذه الجوانب فى وحدة شملها قرص الشمس كمظهر حسى للخالق . كما أنه فى متناول البشر من كل حدب و صوب . ونجح " إخناتون " فى عرض صورة يسهل إدراكها مع تجنب الوسائل غير المباشرة التى تعتمد على كهنوت متخصص كحلقة بين البشر و بين الإله وبعيدة عن كل فهم وإدراك . فـ " آتون " إله يمكن مشاهدته مشاهدة حقيقيه بكل معنى الكلمة على عكس " آمون " الإله " الخفى " .

وبقى إرساء أسس التناظر الذى يستند اليه تفويض قدرات الخالق إلى الملك . فقد جعل أخناتون من قرص (الشمس) فرعونا سماويا . فسجل اسمه داخل الخرطوش الملكى (الإطار الملكى) شأن اسمه الخاص . أن القاب " آتون " واضحة جلية . إنه " رع حور اختى المتجلى فى الافق " و " باسمه شو الذى هو فى قرص (الشمس) " . فقرص الشمس شكل من أشكال الخالق على غرار الملك الذى يعتبر كُفأه الارضى . انه الارتداد إلى نهج الأقنوم التقليدى بعد إدخال تغييرات طفيفة عليه . كما أخذ آتون على عاتقه مسئولية الموتى . وهو مايبدو منطقيا بالنظر إلى قيامه بسائر أدوار الشمس الخالقة . ومع ذلك فقد ظل أوزيريس يتبوأ مكان الصدارة حتى وسط افراد العائلة المالكة . وتشهد على ذلك التماثيل الأوزيرية الشامخة التى تصور الملك . ومع ذلك فقد توارت الشعائر التقليدية بعض الشىء .

وانعدم تقريبا الأثر الذى تركه هذا الإصلاح على جموع الشعب ، وذلك لسببين : الأول سرعة اعتكاف البلاط الملكى فى " آخت آتون " . كما لم تسنح الفرصة ليقف الشعب على الطقوس الجديدة ، إذا استبعدنا منشآت الكرنك . أما السبب الثانى فأشد عمقا ، و هو تعارض هذه العبادة مع التكوينات الهيكلية للمجتمع . اذ ظلت الجماهير الشعبية مرتبطة بالقواعد الدينية التقليدية . بل لقد تم الكشف عن ابتهالات للإله آمون فى قرية العمال .... بتل العمارنه ! أما أدنى الفئات الاجتماعية فلا ينبغى المغالاة فى مدى معرفتها بهذه الديانة و بأسرار السلطة التى ظلت حبيسة فى المعبد والقصور . و جاء تصاعد التقوى الشعبية و انتشارها فى ظل الدولة الحديثة ليكشف عن اهتمامات بدائية بسيطة و قدر ضئيل من الاهتمامات الميتافيزيقية لدى عامة الناس . وعلى كل حال فإن الصورة العامة لإخناتون ليست على هذا القدر من الأصالة التى اعتادت الروايات التقليدية المعاصرة أن ترسمها له . فقد أبقى على أبهة التراكيب اللفظية والصيغ البيانية

التى ارتبطت بأسلافه . كما شاع أنه ملك مسالم ، نظرا لأنه لم يشارك فى المعارك التى هزت الشرق الأدنى فى عهده . ومع ذلك فقد صور نفسه و هو يبيد أعداءه المهزومين . و لم تظهر هذه الصور على التصاوير التى نهجت أسلوبا كلا سيكيا كواجهة الصرح الثالث بالكرنك فحسب ، بل ظهرت أيضا على سطوح " التلاتات " حيث تشاهد " نفرتيتى " وهى ترفع الدبوس " حج " على رؤوس الأعداء المهزومين (Hall : 1986 , fig36 - 40) . كما لم تمس " ثورته " الجهاز الإدارى الذى ظل على وضعه مع بقاء معظم الموظفين فى مناصبهم . وعلى الصعيد السياسى وطدت " الثورة " الحكم المطلق الثيواقراطى . فالملك هو " فتى آتون الجميل " والوسيط الحتمى بين البشر وقرص الشمس . وبوصفه و سيطا أدى له رجال الدولة العبادات وصوروا ذلك فى مدخل مقابرهم . إن تخصيص عبادة للملك قلل من أهمية الآلهة الأخرى . فلم يبق لهم سوى دور هامشى . و لكن واقع ارتباط مصير رجال البلاط بعد الموت بمصير مليكهم إنما يعنى العودة إلى الأصول الأولى . كما يتفق مع نزعة التنقيب عن الماضى التى كانت قسمة من قسمات عصر " أمنحوتپ " الثالث ، شأنه شأن أسلافه . ونذكر على سبيل المثال : البحث عن الحوليات القديمة وعن قبر " أوزيريس " فى أبيدوس الخ ....

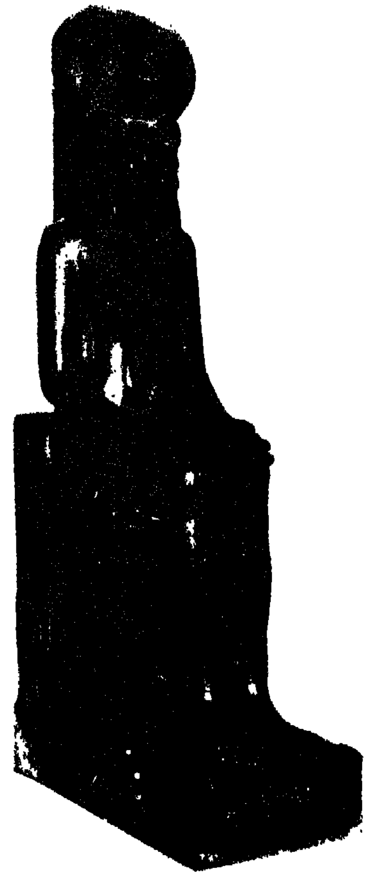
وتركت حركة الإصلاح أثرها الواضح فى مجال الاقتصاد والفن بخاصة . لقد أغلق إخناتون بعض المعابد أو حدد على الأقل أوجه نشاطها . وضم ممتلكات الكهنوت إلى أملاك التاج . وترتب على ذلك أولا تزايد المركزية الإدارية و سلطتها التنفيذية المتمثلة فى الجيش . وجاء وقف العمل بالقضاء المحلى ليضع العراقيل أمام عمل الجهاز الإدارى فتفشى الفساد و المحسوبية مما دفع " حور محب " إلى التصدى لهما فى وقت لاحق . لقد جاء تشييد العاصمة و المعابد الجديدة على حساب الاقتصاد بصفة عامة ، والاقتصاد الإلهى بصفه خاصة . صحيح أن نظام الأملاك الالهية يقوض أسس كل سياسة تنزع إلى توطيد أركان مركزية الإدارة . ولكن التخلى عنه يقضى على شبكة متكاملة من الإنتاج وإعادة التوزيع فى غياب هياكل جديدة بديلة .

ومن ناحية اخرى تركت " الآتونية " فى الفنون والآداب بصمات أكثر عمقا ، واستمر تأثيرها إلى حد ما مدة اطول . ففى مجال الأدب لم تحدث تغييرات جذرية إذ تعليم الفنون الأدبية التقليدية ، وظل تلاميذ المدارس يدرسون قصة سنوهى . ولكن الفضل يرجع للأيديولوجية الجديدة فى الانتشار المتزايد لروح الحرية التى عمت الأعمال المعاصرة ، وبرزت على وجه الخصوص فى مجال الشعر كالأناشيد و الترانيم الإلهية و الملكية .

فأرخى الشاعر العنان للإبداع الفنى . وسوف نلتقى مع جانب من هذه الروح الإبداعية التى تتصف بمزيد من التلقائية عن ذى قبل فى الأعمال التاريخية فى عصر الرعامسة . إن السمة البارزة لما أدخل من إصلاحات على الفنون الادبية هو انتقال لغة الحديث إلى النصوص الرسمية . لقد سادت فى الماضى النزعة المحافظة فى مدارس الدولة ، فحافظت على لغة الدولة الوسطى التى تعرف باللغة " الكلاسيكية " وأبقتها على حالها . أما إخناتون فقد أدخل لغة الحياة اليومية إلى أمهات الأعمال الأدبية التى تناولت موضوعاتها بأسلوب أقرب إلى اللغة القبطية منه إلى لغة "متون الاهرام " بفضل تطعيمها باللهجات الشعبية والاقتباسات الأجنبية .

لقد نهل الانفتاح الأدبى من نفس الروح التى نهل منها الفن ، و لكن دون أن يصل إلى تجاوزاته .ولقد سبق أن لاحظنا أن المثالية الرسمية أخذت تتراجع منذ عهد أمنمحات الثالث لتفسح الطريق أمام نوع من الواقعية ، أكثر حسية ، ولاتتردد فى إبراز ملامح الجسد باستخدام أساليب تقنية نذكر منها على سبيل المثال " الأردية ذات الثنايا اللينة " . كما يظهر هذا السخاء المفرط فى معالجة الأحجار فى فن الرسم . فالخطوط أقل صرامة واستخدام الالوان أكثر ليونة .كما تطورت " الموضة " لتتمشى أكثر مع " العصر" ، فظهرت طرز حديثة لتصفيف الشعر وأزياء جديدة ، إلى جانب الاهتمام ببعض التفاصيل البسيطة فى أساليب التصوير : كاحتواء المَحْجِر للعين والخطوط الانسيابية التى قدمت لنا العيون " اللوزية الشكل " التى اشتهر بها " إخناتون " . كما نلحظ ثنايا الرقبة والآذان المثقوبة الخ .... وعلى كل حال لم تلق هذه التغييرات إجماعا عاما ، فمقبرة الوزير " رع مس" على سبيل المثال (TT 55) من أجمل مقابر الشيخ عبد القرنة، وهى مثال حى للأسلوب الكلاسيكى . وتعرف برشاقة خطوطها الفائقة .

ومنذ العام الثانى من حكمه دفع إخناتون هذا الاتجاه إلى مزيد من المغالاة فيما يخصه هو وعائلته ، وأسرف فى الواقعية إلى حد أنها قاربت الكاريكاتير . واتخذ بروز ملامح الوجه وهبوط البشرة مظهرا مَرَضيا شديد الوضوح فى التماثيل الأوزيرية التى نحتها المثال " باك " لسيده . ويميل البعض إلى تفسير انتفاخ بطن هذه التماثيل بأنه تجسيد لما أصاب جثة " أوزيريس " من فساد بفعل السائل اللمفاوى . وعلى مر السنين أخذت الخطوط تفقد الكثير من حدتها وإن ظلت تتجاوز الحدود التى أقرتها التقاليد المتوارثة التى بقيت مع ذلك حافظة على أساليبها و قواعدها وظهرت



شكل(٩٢) – الإلهة سخمت جالسة . الكرنك

من حجر الديوريت الارتفاع ٢٤٦سم متحف اللوفرA8



شكل(٩٣) – تمثال لأمنحوتب الثالث بدون رأس.

من السربتين . الارتفاع ٢٣ سم MMA.30.80.74

موضوعات جديدة . ولكن الصورة التى تمثل افراد العائلة ظلت قاسما مشتركا بين كل المشاهد لاسيما مشاهد العبادات . (شكل ٩٤) ولايتضمن الموضوع جديدا اللهم إلا استخدام مشاهد من " الحياة اليومية " مضفية على التصاوير مسحة إنسانية قوية . فنشاهد الأشخاص فى أوضاع و مواقف تصبو إلى بساطة ما هو طبيعى و تترك انطباعا بالخصوصية . وما حدث هنا أشبه بالأساليب التى اتبعت مع انفتاح الأدب الرسمى على اللغة العامية الوطنية . إنه نزعة إلى تبسيط الشكل مع التخفيف من حدة خطوطه الأساسية . وتراجع دور هذه الخطوط فى إبراز حدود الشكل ، وأصبحت السيمترية فى الفن أكثر خفاء . وظهر المنظور الزائف ، وانفتح المجال أمام التعبير عن العواطف ، فانطلقت دون قيد بعد أن تداعت الحدود الصارمة . وزحف فن الحياة اليومية والموضوعات الطبيعية ليشمل التصاوير التقليدية التى تشبعت بالنضارة وببساطة التعبير الجياش بقدر



شكل (٩٤) - العائلة المالكة فى تل العمارنة

تقدم القرابين لقرص الشمس. كتلة من الألبستر من تل العمارنة: (البهو الرئيسى بالقصر الكبير)

الارتفاع ١٠٥ سم متحف القاهرة. T30/10/26/12



شكل (٩٦) - تمثال أوزيرى ضخم لإخناتون.

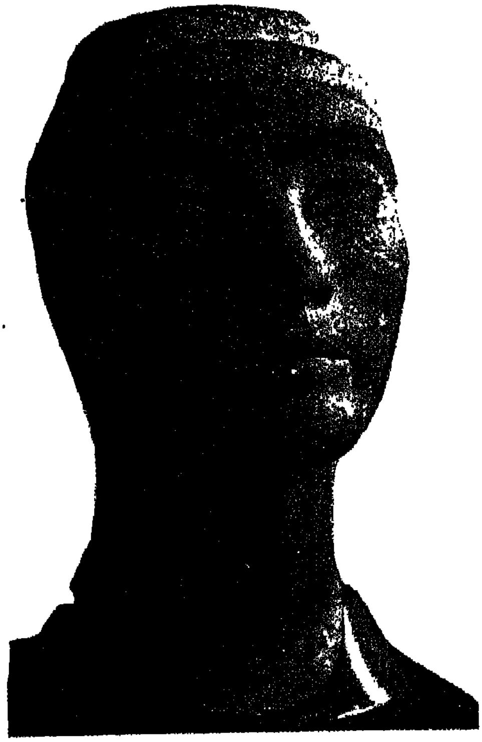
من شرق الكرنك. من الحجر الرملى الارتفاع .

٣١سم متحف القاهرة. JE 49528



شكل (٩٥) - الملكة "تى" .

رأس عثر عليه فى الفيوم .من الأبنوس الارتفاع ٩ر٥ سم Berlin . 21834



شكل (٩٧) - رأس غير كامل لنفرتيبتى.
من تل العمارنة من حجر الكوارتزيت الارتفاع ٣٣سم. متحف القاهرة JE 59286

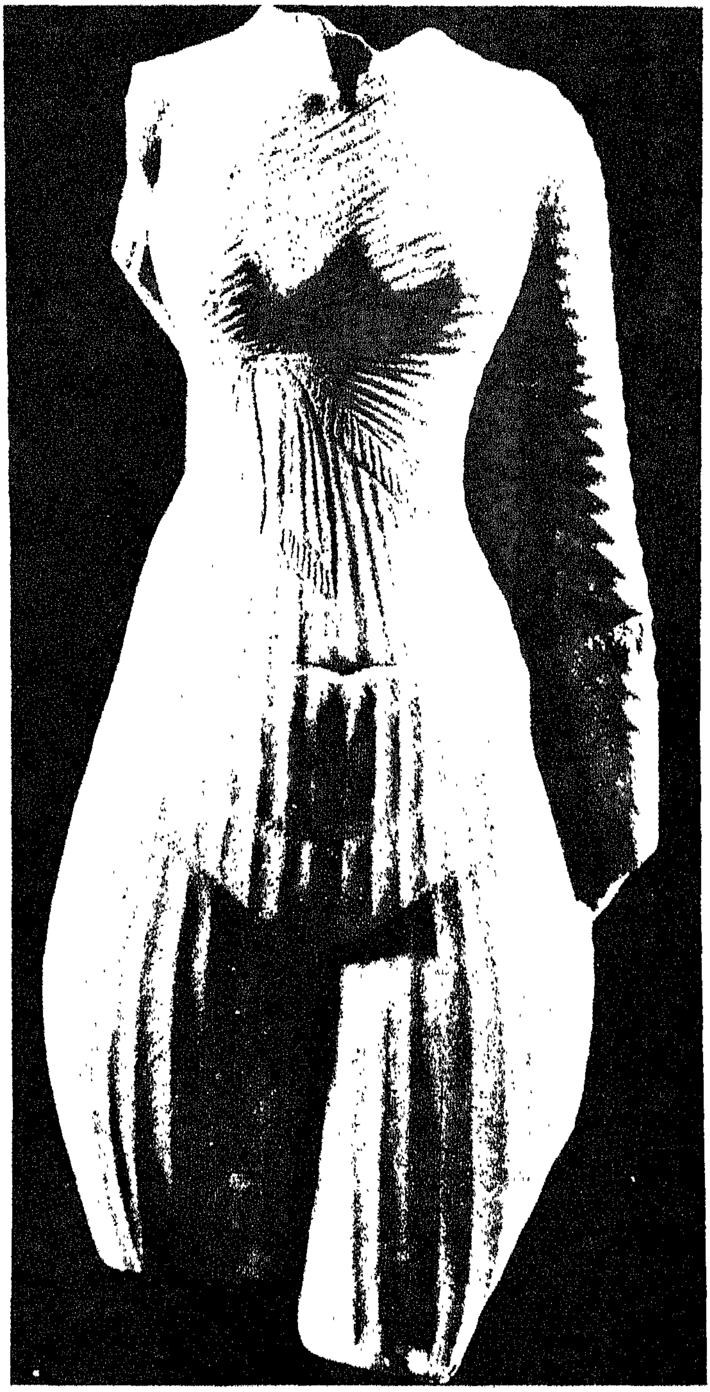
مافقدت من إتقان للأساليب الفنية . وشاعت فى أواخر عهد " أخناتون " الدراسات الفنية نقلاً عن الطبيعة . فصممت بأسلوب هادىء يتسم بالصفاء . وقد تم الكشف فى موقع العمارنة ، فى مرسم النحات " تحوتمس " ، عن العديد من الرسومات الأولية وقوالب وصور شخصية لأفراد العائلة المالكة . نذكر منها على سبيل المثال رأس نفرتيتى الذائع الصيت والموجود حالياً فى متحف برلين . وتعبر هذه الصور (شكل ٩٩) عن مدى تحكم الفنان فى فنه وعن مشاعره المرهفة وتخلصه كلية من الجنوح إلى المبالغة الذى ساد السنوات الأولى من عهد " أخناتون " ، وسيترك هذا المناخ الفنى أثره على الإنتاج الفنى اللاحق . إن فن المرحلة التى تغطى نهاية الأسرة الثامنة عشرة وبدايات الأسرة التاسعة عشرة قد احتفظ بالانطباع الحسى للكتلة ورقة الخطوط ورشاقتها (شكل ١٠٠) وهو مايمكن التعرف عليه فى إنتاج عصر سيتى الأول على وجه الخصوص . .



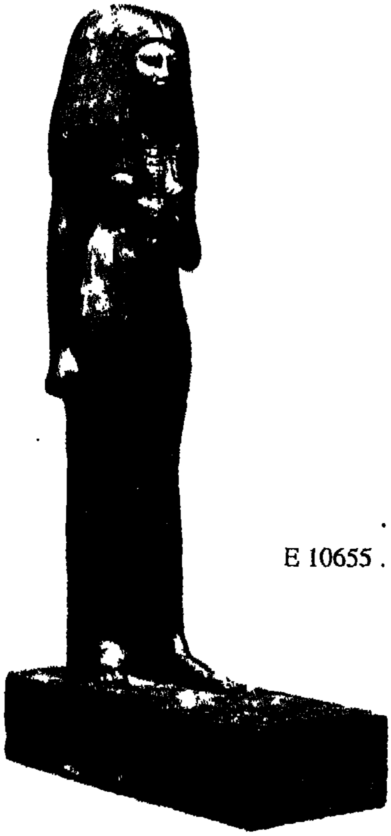
شكل (٩٨) - إخناتون ونفرتيتى
حجر جيرى ملون الارتفاع ٥ر٢٢سم متحف اللوفر E 15593

العائلة المالكة

جاء إنشاء المدينة والانتقال إليها فيما بين العام الخامس والعام السادس من حكم " أخناتون " وهو تاريخ احتفال العائلة المالكة بالذكرى الثانية لاختيار هذا الموقع وتكريس أحد عشر لوح حدود فى البر الغربى لمناسبة قيامها بزيارة رسمية للمدينة . ويحدد نص الألواح بكل دقة أبعاد هذه الأملاك ويعلن الالتزام بعدم زيادة حدودها ، ويقسم على ذلك . لم يقصد الملك بهذا التعهد سوى رسم حدود أملاك المدينة الجديدة . وقد فهمه البعض خطأ على أنه تصميم على عدم مغادرة " أفق آتون " من الأن فصاعداً . وفى العام الثامن من حكمه أمر الملك بحفر ألواح حدود المجموعة الثانية ، وأقام فى العام الثانى عشر من حكمه احتفالات مهيبة على النمط التقليدى بما

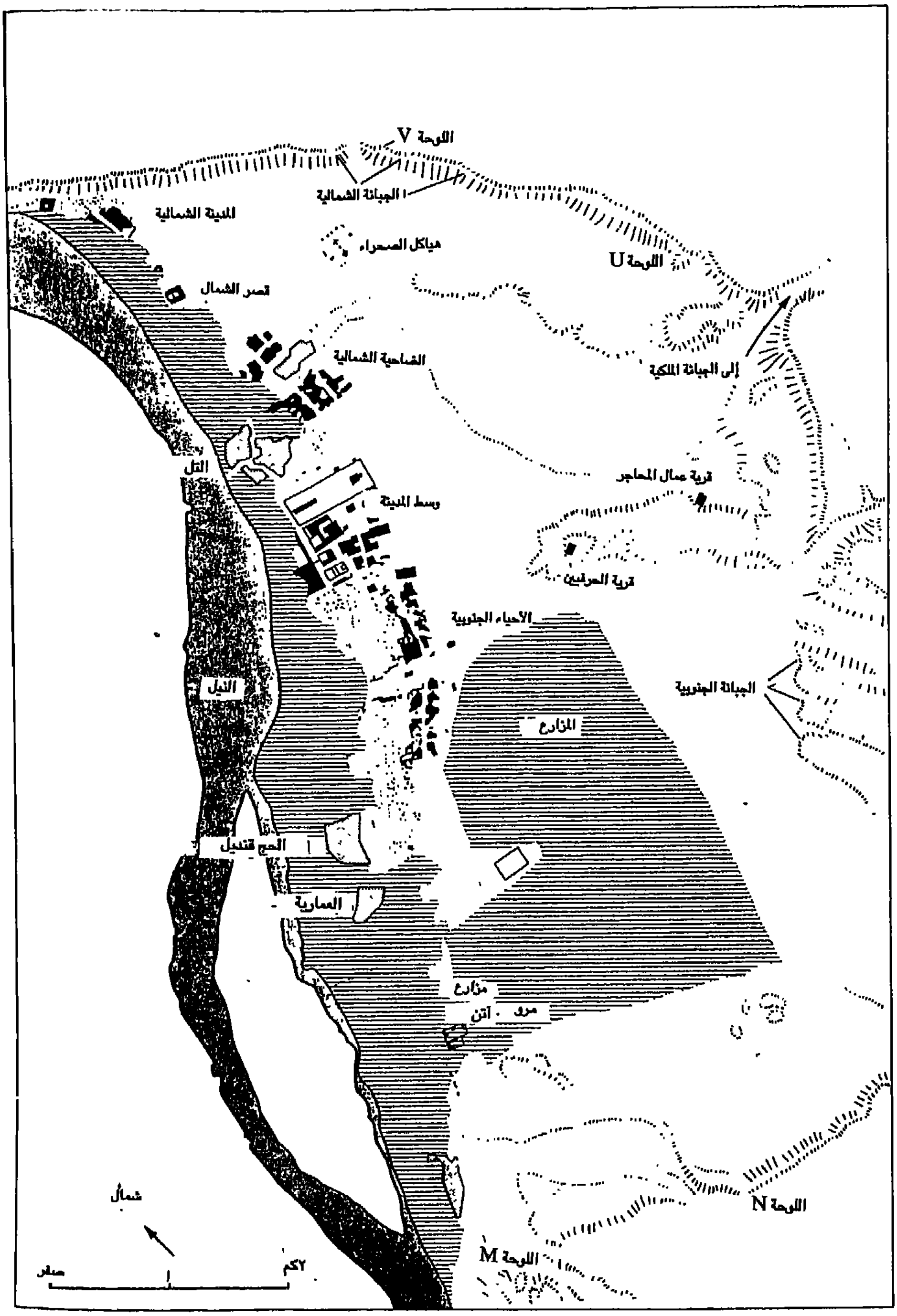


شكل (٩٩) - جذع أميرة من تل العمارنة حجر الكوارتزيت الارتفاع ٢٩سم. متحف اللوفر E 25409



شكل (١٠٠) - السيدة "توى" واقفة .
من الخشب الارتفاع ٣٤سم. بداية الأسرة ١٩ متحف اللوفر . E 10655

يتضمنه من تقديم الجزية الواردة من البلدان التابعة . وقد صورت هذه المناظر فى مقبرتى " مرى رع " الثانى و" حوى " فى جبانة تل العمارنة . وفى نفس السنة قامت الملكة " تى " وبصحبتها الأميرة " باكت آتون " بزيارة بلاط تل العمارنة ، حيث استقر مقامها . وكان تفسير البعض لهذه الاحتفالات واقامة الملكة الأم إلى جوار ابنها دليلاً على أن إخناتون لم يحكم بمفرده إلا اعتباراً من هذا التاريخ . ومن الصعب تقييم هذا البرهان .. وتوفيت فى نفس هذه السنة " مكت آتون " وهى إحدى بناته الست .. ومن المحتمل أن الدور الذى لعبته " نفرتيتى " أخذ يتراجع بعد العام الثانى عشر . بل يبدو أنها انفصلت عن زوجها استناداً إلى ظهور " مريت آتون " إحدى بناتها فى الاحتفالات الرسمية بجوار الملك بدلاً منها . ويظل هذا الانفصال الظاهر مثيراً للجدل . فهل كانت وراءه أسباب سياسية ؟ ولم تغادر " نفرتيتى " المدينة ، فقد خصص لها مدفن فى جبانة المدينة . ولكنها عاشت فى عزلة حتى وفاتها فى العام الرابع عشر على مايبدو . ويسود الغموض السنوات الثلاثة الأخيرة من حكم " أخناتون " . فقد



شكل (١٠١) – خريطة لتل العمارنة. البر الشرقى .

وقعت البلاد فريسة الاضطهادات المعادية " لآمون " التى تظهر فى المقام الأول فى حملة تهشيم وكشط أسماء الإله وإزالتها من على سطوح جميع المبانى والمنشآت . وسوف يلقى " إخناتون " وإلهه نفس المصير بعد عدة سنوات عندما أخذ القوم يحطمون أسماءهما .

واستند البعض إلى مشهد من مقبرة " مرى رع " ، يرجع إلى العام الثانى عشر من حكم " أخناتون " ويصوره وجهاً لوجه مع " سمنخ كارع " وزوجته " مريت آتون " ليخلصوا إلى وجود فترة مشاركة فى الحكم بين الملكين . ولم يقم الدليل على هذه المشاركة وإن ظلت أمراً محتملاً ، حيث من المؤكد أن " نفر نفروآتون سمنخ كارع " قد تبوأ عرش البلاد . وتتوسط فترة حكمه عهدى كل من إخناتون وتوت عنخ أتون . وربما استمر حكمه سنتين . فهل اقتصر حكمه للبلاد على مجرد مشاركة فى الحكم أم أنه حكم البلاد بمفرده لعدة شهور ؟ يصعب القطع برأى فى هذا الموضوع إذ نفتقر إلى المعلومات حول شخصيته ، ومانعرفه عنه متناقض . فهجر موقع العمارنة فى السنوات الأولى من حكم "توت عنخ أتون " الذى خلفه ، قد قلب الأمور رأساً على عقب . لقد دفن إخناتون على الأرجح فى تل العمارنة ولو صورياً . أما جثمان " سمنخ كارع " الذى توفى عن عمر يناهز العشرين فقد عثر عليه فى مقبرة بوادى الملوك مخصصة له VdR) (55 ولكن كل ما فى المقبرة من الأثاث الجنائزى حتى اللفائف التى تضم جثمانه يؤكد أنه قد أعيد دفنه فى هذه المقبرة وربما كان ذلك بعد نقله من تل العمارنة إلى طيبة. كما أنه ليس وحده فى هذه المقبرة إذ تضم رفات أخرى ربما كانت رفات " تى". ومن ثم يوجد اعتقاد عام بأن جميع أفراد الأسرة المالكة قد تم نقلهم فى عهد "توت عنخ آمون" ، ولم يبق فى جبانة "أخت آتون" سوى التوابيت الحجرية حتى دمرها عمال المحاجر فى عصر الرعامسة.

" أفق آتون "

لايوجد شيء مؤكد فى تعاقب الملوك الذين خلفوا إخناتون أو الروابط التى جمعته بهم على وجه الخصوص .(شكل ٩١) . ومن المرجح أن " سمنخ كارع " ثم " توت عنخ آتون " هما الوريثان الذكران الوحيدان الممكنان ، سواء كانا ابنى عم أو إبنى أخ إخناتون . وقد أكدا شرعيتهما فى التربع على عرش البلاد بإن تزوج كلاهما بإحدى بنات الملك .

وكان " توت عنخ آتون " فى التاسعة من عمره عندما خلف " سمنخ كارع " وتزوج من الأميرة " عنخ إس إن پاآتون " . وفى بداية الأمر أقام فى الحى الشمالى

من مدينة " أخت آتون " . وسرعان مانراه يغادر تل العمارنة لينقل مقره الرسمى إلى منف ويستخدم قصر ملقاطة مقراً ملكياً مؤقتاً فى طيبة . وكان وجود " أخت آتون " يعتمد فى المقام الأول والأخير على إقامة بلاط الملك فيها . وبعد وجود دام قرابةالثلاثين عاما تركها الجميع تقريبا ، ولم يخلف القوم وراءهم إلا ماهو عديم القيمة أو لايستحق أن ينقل . نذكر على سبيل المثال بقايا نشاط الحرفيين ومرسم الفنان " تحوتمس " وأعماله الأولية ونسخة من المراسلات الدبلوماسية أو مايعرف اصطلاحاً بألواح العمارنة إلخ ... ومع بداية عصر الرعامسة ترك الموقع مهجوراً تماماً لصالح هرموبوليس على البر الآخر من النهر . وإنكب عمال المحاجر على فك أحجار " التلاتات " التى شيدت بها المنشآت والمبانى لاستخدامها فى مبان جديدة .

وعاد الموقع إلى الصحراء التى ابتلعته ووقع فى طى النسيان الذى فرضه عليه خلفاء إخناتون . وتولى ولكنسون **Wilkinson** ولپسيوس استكشاف بعض المقابر المنحوتة فى الصخر . ثم جاء اكتشاف " رسائل العمارنة " عام ١٨٨٧ ليشد انتباه الباحثين إلى العاصمة المنسية . وتولى فلندرز پترى **FI . Petrie** أولى الحفائر فى هذه المنطقة عام ١٨٩١ . فاكتشف القصر الملكى ، وأعد مسحاً شاملاً للمنطقة بمساعدة هوارد كارتر **H . Carter** وكانت حصيلة هذه الحملة امتلاء ١٣٢صندوقاً وجدت طريقها إلى متحف الأشموليان(بمدينة أكسفورد البريطانية). وفى عام ١٨٩٣ قام بتنظيف المقابر الصخرية ، وفى عام ١٩٠٢ بدأت جمعية " الكشوف الأثرية " فى لندن **Egypt Exploration Fund** أعمالها فى الموقع . وفى الفترة من ١٩٠٤ إلى ١٩١٤ حصلت جمعية الإستشراق الألمانية **Deutshe Orient Gesellschaft** على امتياز التنقيب فى المنطقة تحت إشراف لودفيج بورخارت **L Borchardt** . وباشرت بالكشف عن الحى الشرقى فى المدينة.

وعثر على مرسم الفنان " تحوتمس " وبه عشرون قطعة تمثل الرؤوس الملكية والنماذج والأقنعة ، ومن بين هذه القطع رأس نفرتيتى الذى نقل على جناح السرعة إلى برلين. وبعد الحرب وفى الفترة من ١٩٢١ حتى ١٩٢٦ عكفت " جمعية الكشوف الأثرية " على تنظيف المدينة والكشف عنها . ودخل عملها فى سباق مع الزمن خوفاً من لصوص المقابر . فتم الكشف عن قرية الحرفيين مع دراسة الرسومات والمقابر ، وتم تنظيف الجزء الشمالى من المدينة . ومنذ عام ١٩٧٧ عادت جامعة كمبردج تدرس الموقع دراسة منهجية ،

فأجرت مسحا جديدا للمنطقة، وقامت بتنظيف قرية الحرفيين وتسجيلها ودراسة مختلف البـــقايا الأثرية .

تقع المنطقة الحضرية إلى الشمال من الموقع ، وتضم المعبد الكبير والمقر الرسمى للملك . وإلى الشمال والجنوب توجد ضاحية تفصل بين وسط المدينة والقصر الشمالى وحديقة " مارو آتون " المخصصة للترفيه والصلاة . وتقع قرية العمال فى منتصف الطريق المتجه إلى الجبانة المحفورة فى صخر الجرف .

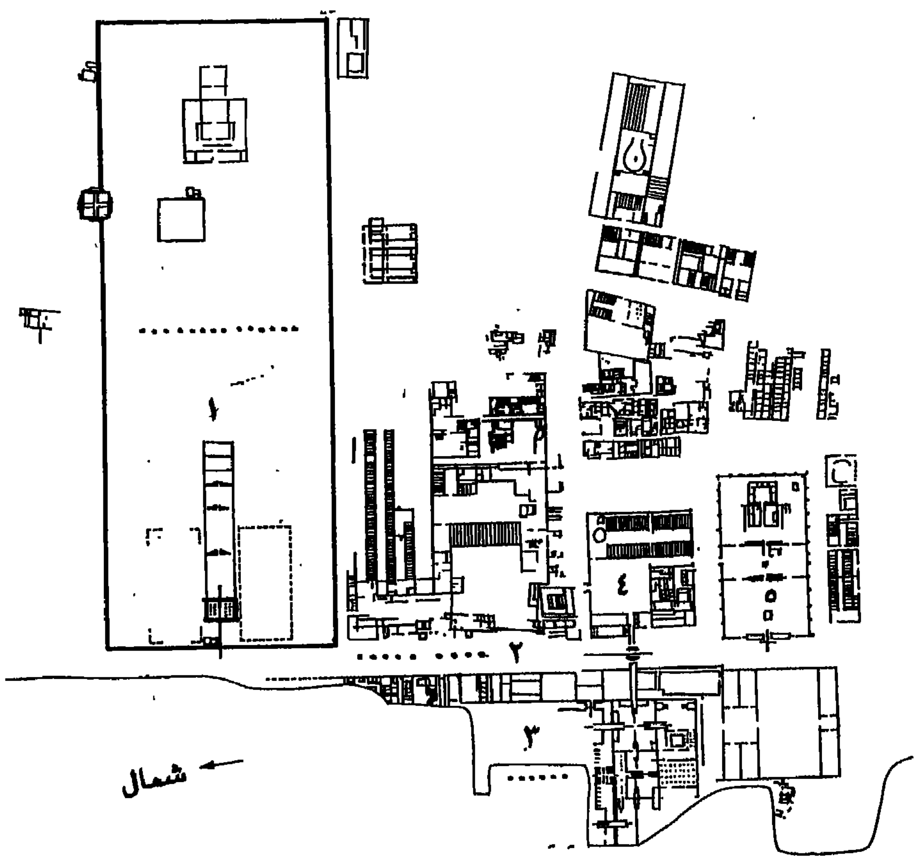
وتمتد المبانى لمسافة تسعة كيلو مترات ولايتجاوز عمقها أبداً الكيلو متر الواحد . والمعيار الحضرى الوحيد هو القرب من القصر الملكى فلا تفرقة اجتماعية بين أحياء الأثرياء وأحياء الفقراء حيث كانت الحاجة وحدها هى التى تحدد بكل بساطة المكان الذى يقيم فيه المرء . وتغطى المدينة شبكة من الطرق المتقاطعة عمودياً ، فتخترق ثلاث طرق المدينة من الشمال إلى الجنوب وتربطهامعهاً شوارع تجرى من الشرق إلى الغرب . ويخترق قلب المدينة طريق فسيح يفصل بين القصر والمعبدين القائمين على جانبى المقر الملكى الرسمى . ويربط القصر الملكى بالمعبدين قنطرة تمتد فوق الطريق وتسهل الانتقال بينهما .

ويمتد القصر على طول الطريق ، ويضم بالترتيب ، من الشمال إلى الجنوب (شكل ١٠٤) محل إقامة عامة الناس (أ) والحريم (ب) قبالة القنطرة التى تمتد فوق الطريق، والقصر فى حد ذاته (جـ) ثم المخازن (د) وقاعة التتويج (هـ) . ويضم محل إقامة عامة الناس بيوت الخدم وفناء المدخل والمخازن ويربط بينها ممر يفضى إلى بيتى الحريم القائمين على جانبى فناء يمكن الوصول إليه من الشارع مباشرة أو من خلال الفناء الكبير المحفوف بتماثيل ضخمة للملك والملكة ، والذى يطل مباشرة على القصر .

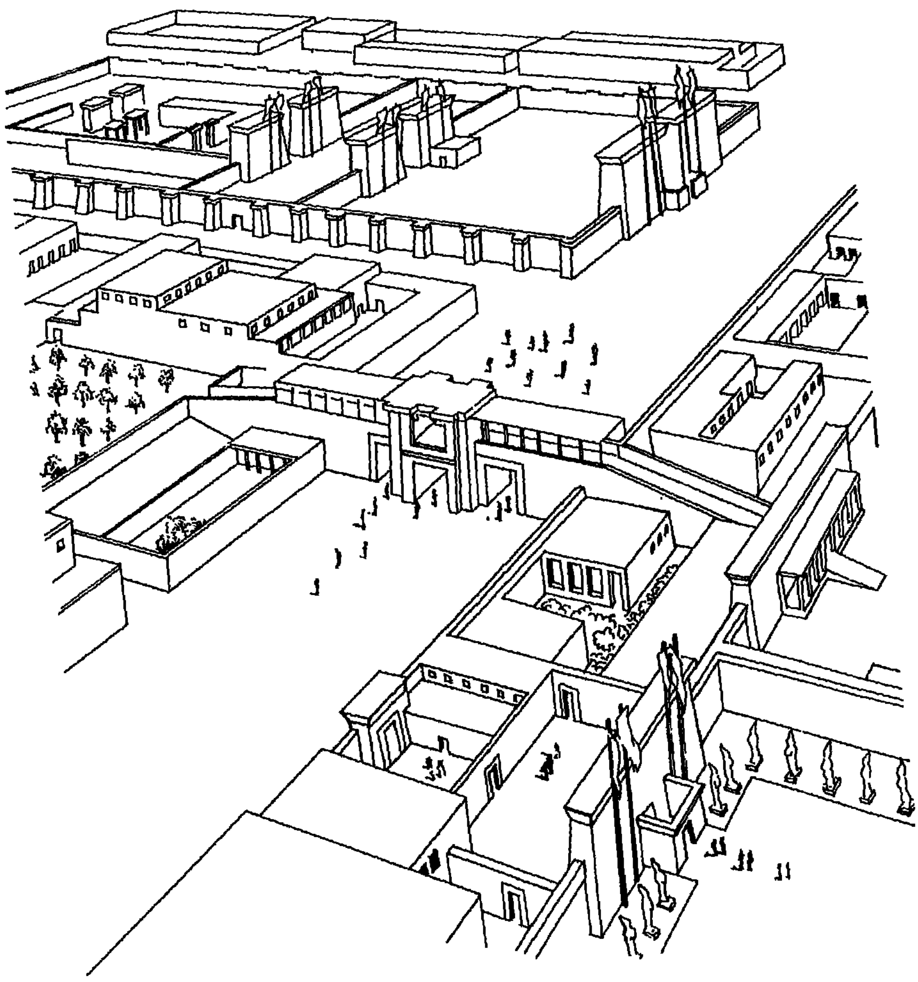
أما تنظيم حريم الشمال فهو على غرار البيوت التقليدية .حيث أقيم صفان من خمس عشرة حجرة على جانبى حديقة غناء تزدان بحوض ماء . وزخرفت الحجرات بمناظر نهر النيل التى تصور مناقع الدلتا بحيواناتها ونباتاتها . وكان هناك فـــناء يفصل بيـوت الحريم عن مساكن الخدم الشمالى . وأقيمت فى الجنوب أجنحة سكنية صغيرة تحيط ببهو يحتل وسطها ويمكن الوصول إليه من خلال الحديقة عبر بهو أساطين . وينهض حريم الجنوب على الجانب الآخر من المعبر وأقسامه موزعة على غرار بيت حريم الشمال ولكنه عمودى عليه . وتتميز هاتان المجموعتان السكنيتان بسمات المسكن الخاص بإنغلاقه وعزلته ، بعيداً عن المعابر وأعين المارة مراعاة لخصوصية المكان ونزلائه .

يضم الطرف الجنوبى من القصر عدداً من أبهاء الأساطين ويفضى أكبرها إلى قاعة العرش .أما مايمكن تسميته القصر بالمعنى الدقيق الضيق للكلمة فقد شيد عمودياً على سلسلة المبانى السابقة وعلى امتداد محور القنطرة التى تمتد فوق الطريق . إنه بمثابة نقطة عبور بين الفناء الكبير وقاعة العرش وبين النهر والمقر الرسمى للملك على الجانب الآخر من الشارع .

وفى الوسط يوجد فناء يفضى من ناحيته الشمالية إلى جوسق للاستقبال وإلى أحدورين على الجانبين الآخرين ينتهيان بفناءين متماثلين من جهة النهر .ويفضى الفناء ، ناحية المقر الملكى الرسمى ، إلى بهو مركزى فى الجهة الجنوبية. وكان البهو يفضى إلى قاعتين ذواتى صفات موازيتين للفناءين فى وسطهما إما تمثال للملك أو مذبح . كما كان



شكل (١٠٢) - خريطة وسط المدينة



شكل (١٠٣) - منظور لمركز المدينة

البهو يوصل إلى قاعة العرش القائمة فى الجنوب . وبعبور القنطرة كان الملك يصل إلى مقره الرسمى بعد أن يمر أمام مسكن البواب . صحيح أن ترتيب وتنظيم مختلف أقسام المقر الرسمى للملك يختلف بعض الشيء عن بيت الحريم ، إلا أن الفكرة التى حددت خطوطها العريضة واحدة . فيتوسط المبنى حديقة تفضى إلى المخازن فى الجهة الشرقية وإلى المجموعات السكنية فى الجهة الجنوبية . أما مساكن الخدم فهى منفصلة عن مساكن السادة ولاتتصل بها إلا من خلال باب الخدم . وأما الأجنحة الملكية (ب) فلا تتصل بقاعات الاستقبال (ا) . وتضم دهليزاً وقاعة كبيرة سقفها محمول على أساطين . وهذه القاعة متصلة بالهيكل العائلى (جـ) والأجنحة الخاصة (د) ، أما أجنحة الأميرات فمعزولة .

إن الأمثلة على هذا النوع من محال الإقامة كثيرة ومتعددة . نذكر منها قصر الشمال الذى تنتظم عناصره المعمارية حول حوض ماء يزدان بأقفاص الطيور والسياج . إنه" ترجمة معمارية حرفية لنشيد آتون " (**Michalowski : 1968 , 521**) . وتتوفر فيها جميعاً مظاهر الترف ووسائل الراحة بما يتعارض مع التنظيم الصارم لقرية الحرفيين (شكل ١٠٩) .

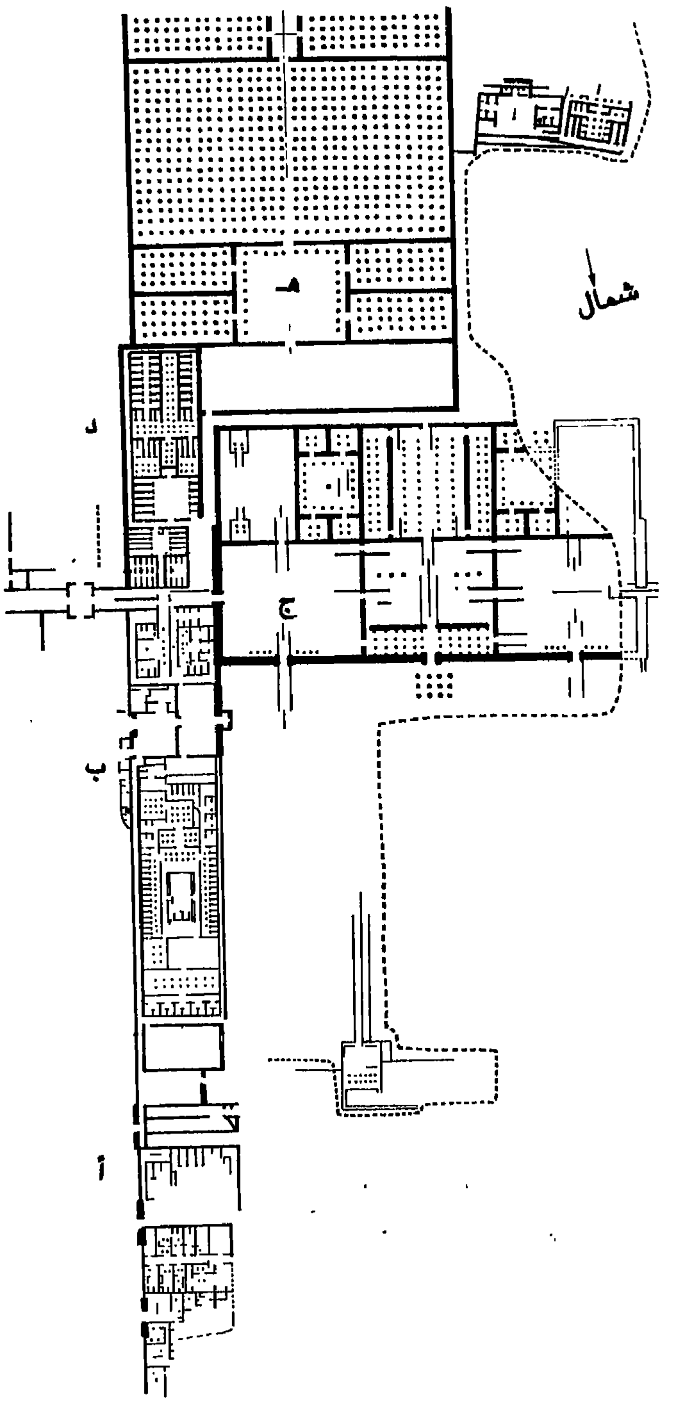
وتصطف المساكن فى نظام دقيق وتخترقها خمسة شوارع من الشمال إلى الجنوب . ويحيط بالقرية سور منيع به بوابة واحدة وضعت عليها الحراسة ، وإلى يمين المدخل شيد منزل أكبر من باقى المنازل ، وقد خصص على مايبدو للمشرف العام على المدينة . ويتكون المنزل النموذجى من أربع حجرات : الصالة ثم حجرة الاستقبال فالمطبخ فحجرة النوم . وفى بعض الأحوال يوجد سلم للصعود إلى سطح المنزل . أما المعبد (شكل ١١٠) فهو أقرب إلى معابد الشمس التى عرفتها الأسرة الخامسة منه إلى المعابد الكلاسيكية . ومع ذلك يتقدمه صرح منقول من المعابد الكلاسيكية ، يتكون من برجين مبنيين يمثلان الأفق الذى تشرق منه الشمس . ولكن العتب العلوى الذى يربط فى المعتاد بين البرجين مكوناً الباب هو عتب مفروق وفقاً لأسلوب العمارنة المعمارى . ومن ناحية أخرى حلت سلسلة متعاقبة من الأفنية المفتوحة محل التصميم الكلاسيكى الذى ينقل المرء تدريجياً من ضوء النهار إلى أسرار قدس الأقداس .

وقد هدم المعبد ودكت أسواره دكاً بعد أن هجر القوم الموقع . وتوصل العلماء إلى تخطيط المعبد بدراسة خنادق الأساس المغطاة بالجبس ورسم عليها باللون الأسود جميع

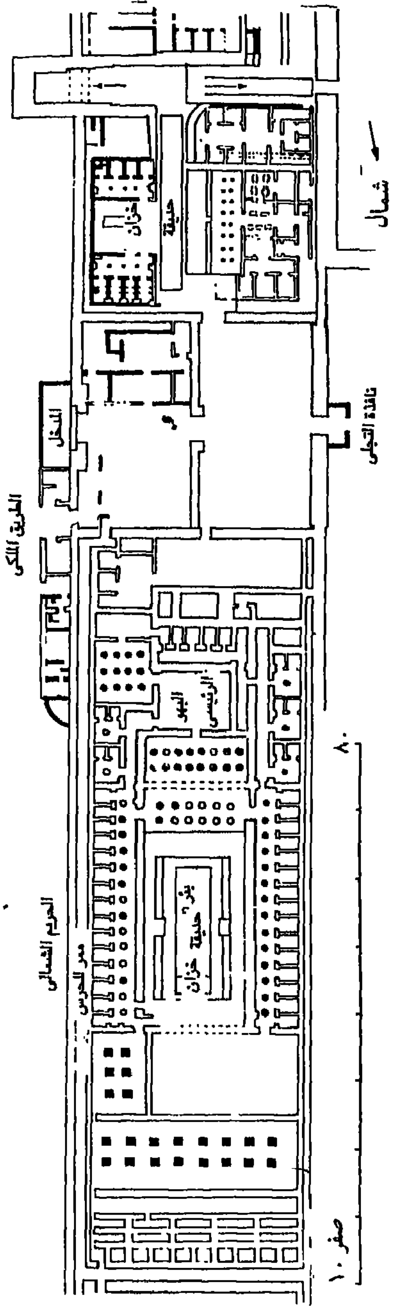
التفاصيل المعمارية للبناء . وبعد الخروج من الصرح نعبر صرحاً ثانياً يفضى إلى " پرحاى" وهى مقصورة؛ توصلنا إلى الفناء الأول من مجموع ستة أفنية . ويشكل الفناءان الأخيران قدس الأقداس الحقيقى أو " چم آتون " . وقد شيدت الأفنية الأربعة الأولى على نفس الأسس التخطيطية ، وفى مؤخرة كل فناء باكئتان بينهما احدور محورى يتجه صعوداً ناحية الشرق ، وأقيمت فيهما موائد القرابين . أما الفناء الخامس فتكتنفه الهياكل على امتداد محيطه . وأقيم فيه المذبح الرئيسى على مايعتقد .

انتقام آمون

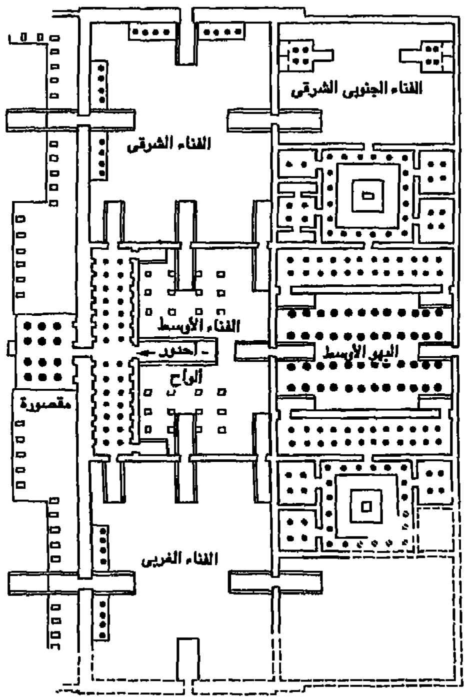
ويعتقد أن العودة إلى عقيدة " آمون " القويمة قد حدثت تحت تأثير الأب الإلهى " آى " الذى هدى وسدد خطى " توت عنخ آتون " صاحب مرسوم إحياء العبادات السابقة . ويسهب المرسوم فى الحديث عن الأوضاع المؤسفة التى تردت فيها البلاد بسبب ضلالات أمنحوتب الرابع . ووضع هذا المرسوم فى معبد أمون رع بالكرنك أسفل الصرح الثالث (Urk. IV 2025 - 2032) وبموجب الإجراءات التى أعلنها ، عادت الأوضاع إلى سابق عهدها ، كما كانت قبل اعتلاء أمنحوتب الرابع العرش . فقام أولاً بتغيير اسمه من " توت عنخ آتون " ويعنى " الصورة الحية لآتون " إلى " توت عنخ آمون " ويعنى " الصورة الحية لآمون " . وجهز لنفسه مقبرة على مقربة من مقبرة أمنحوتپ الثالث . وأمر بالبدء فى أعمال تشييد معبده الجنائزى فى مدينة هابوو لن يتبقى منه سوى تمثال ضخم للملك ... سوف يغتصبه " حور محب " لنفسه . كما أضاف المبانى إلى معبد الكرنك ، وأتم نحت أسد من حجر الجرانيت فى صولب وهو صنو أسد أمنحوتپ الثالث .وإن لم يسعفه الوقت ليقيمه فى مكانه حيث مات بعد تسع سنوات عن عمر يناهز التاسعة عشرة . وكشف فحص موميائه عن جرح فى منطقة الأذن اليسرى مما دفع البعض إلى الاعتقاد بأن وفاته كانت بسبب نزيف فى المخ . وأيا كان السبب وراء وفاته فقد مات فى شرخ الشباب دون أن ينجب ذرية من زوجته " عنخ إس إن آمون " . فهل يمكن اعتبار أن الجنينين الذين عثر عليهما داخل مقبرته هما مولودان ميتان صحبا أباهما إلى العالم الأخر ؟ لقد افترض الكثيرون تفسيرات جريئة لتسليط الضوء على هذا الملك الشاب . فحدت ظروف عصره المأساوية بالبعض ليقرروا له مصيراً رومنسيا ، ودعموا وجهة نظرهم بالحالة التى وجدوا عليها مقبرته VdR 62) فالوقائع المثيرة التى أحاطت باكتشاف " هوارد كارتر " مقبرة " توت عنخ آمون " ، ألهبت الخيال ، لاسيما بعد أن خرج علماء المصريات إلى الجماهير معلنين أن ما اعتبروه



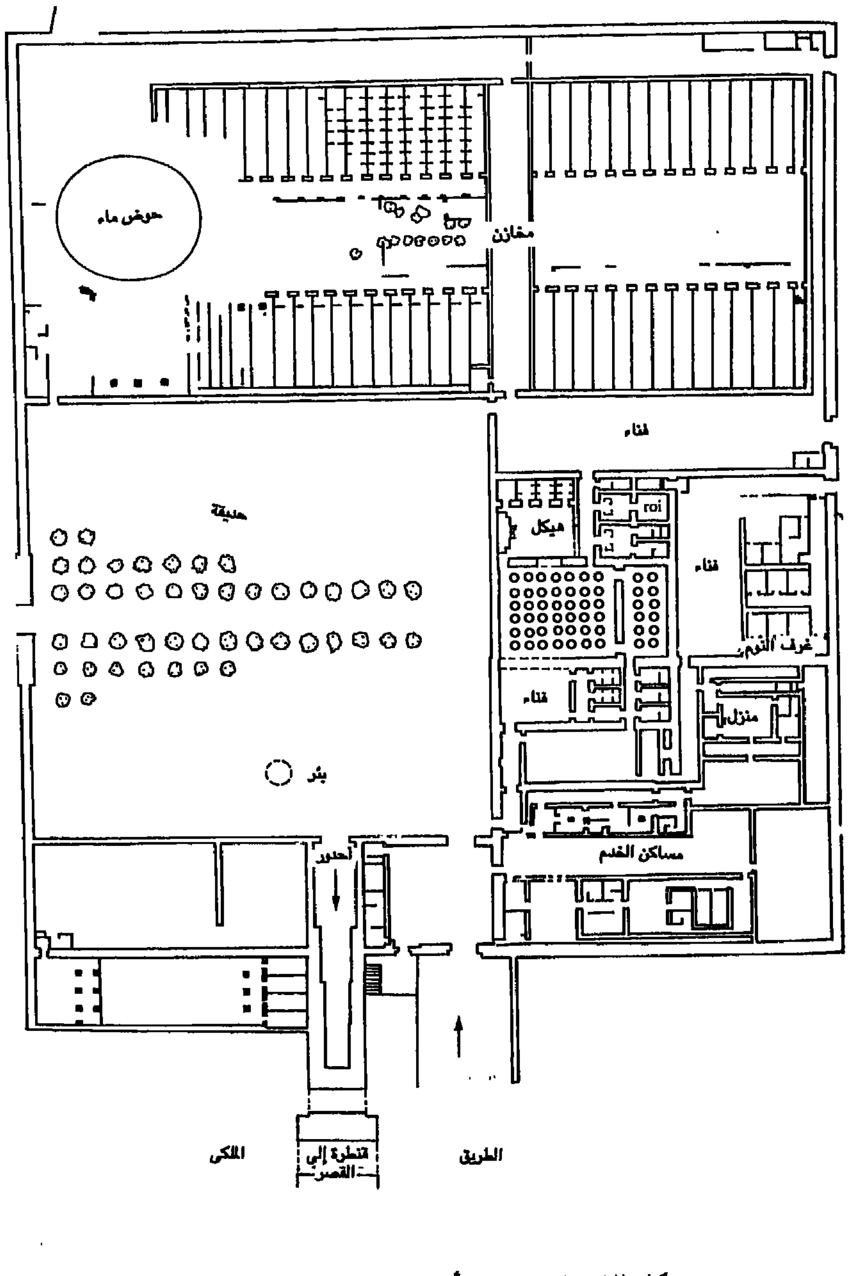
شكل (١٠٤) - مسقط افقى عام للقصر الكبير بتل العمارنة.



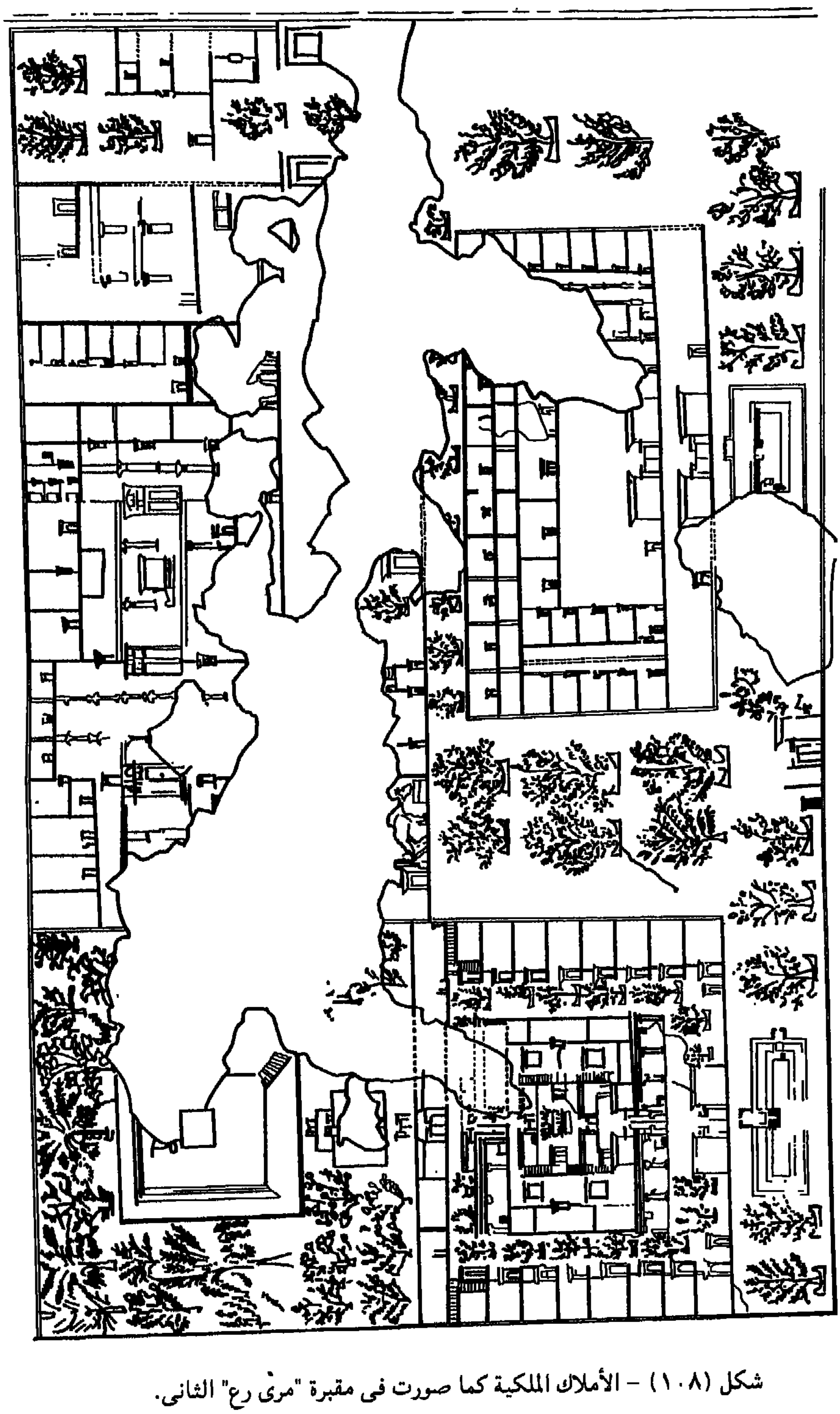
شكل (١٠٥) - مسقط أفقى للقصر



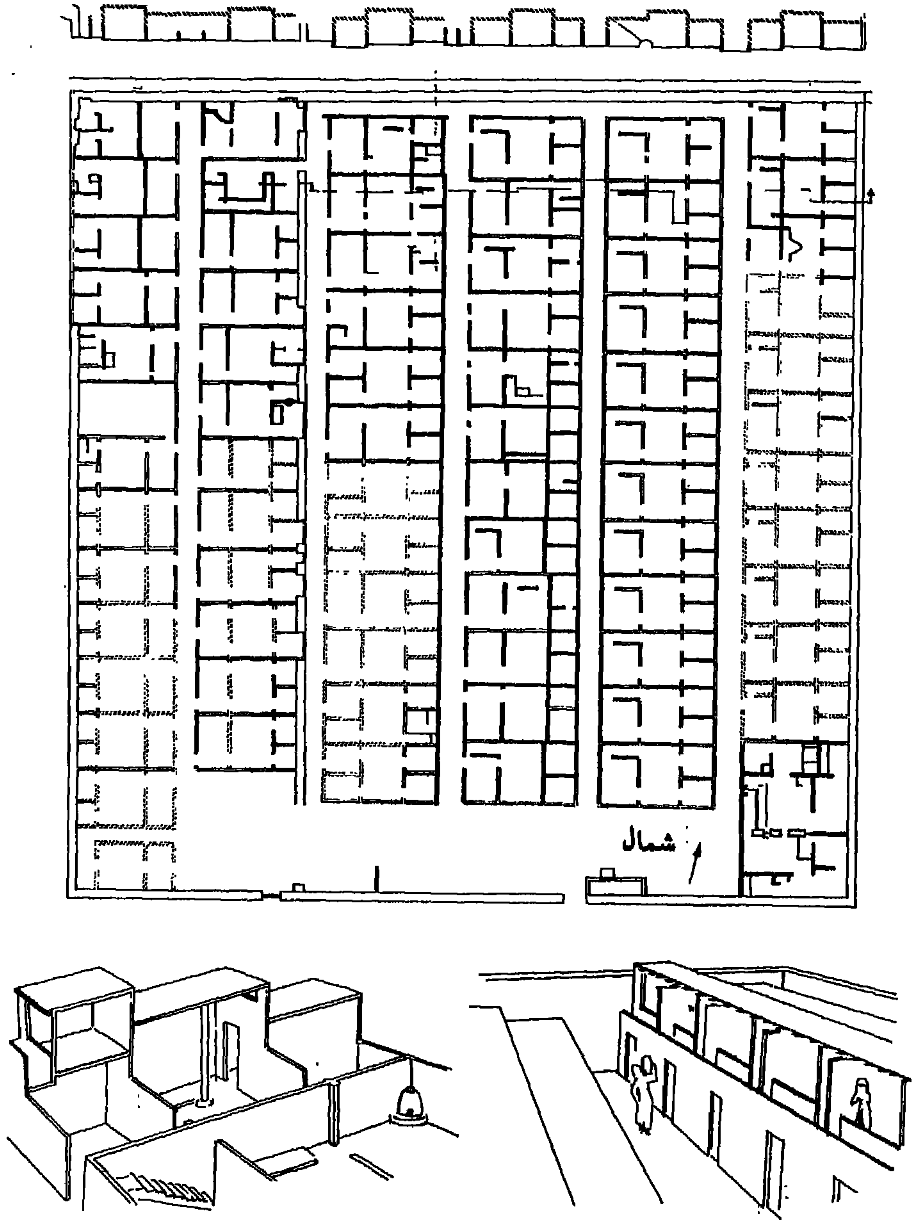
شكل (١٠٦) - تفصيل بيت الحريم.



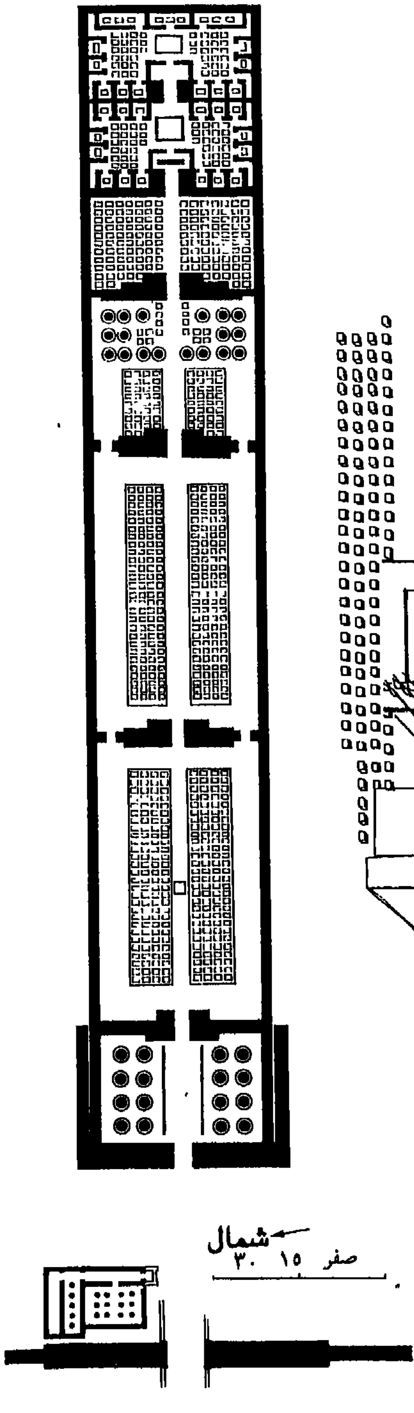
شكل (١٠٧) - مسقط أفقى للمقر الرسمى للملك.

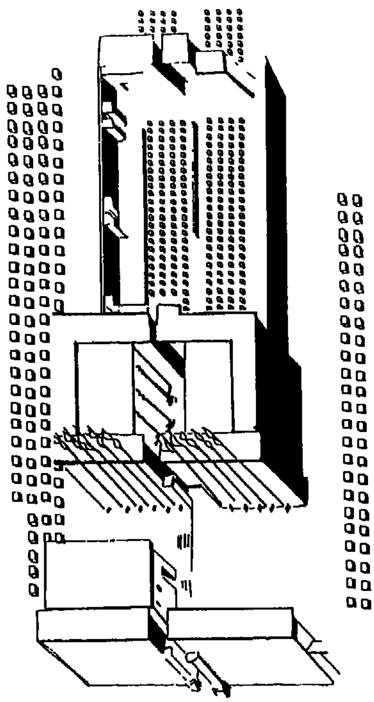


شكل (١٠٨) – الأملاك الملكية كما صورت فى مقبرة "مرى رع" الثانى.



شكل (١٠٩) - قرية الحرفيين شرقى المدينة.





شكل (١١١) - المعبد الكبير فى تل العمارنة - نقلا عن المقابر المجاورة.

شكل (١١٠) - مسقط أفقى ومنظور المعبد الكبير فى تل العمارنة.

فى الماضى كنزاً وبذخاً لم يعهد من قبل ، ليس سوى مخلفات جمعت على عجل ، بل وأخذ جانبها الأكبر من سقط متاع سلفى الملك لإعداد دفنة فرعون مغمور ، سلب كل سلطاته ، وقضى حياته كما تصوروه ينفق وقته هائماً فى بستان آية فى الإبداع فى صحبة زوجته الشابة .

وجاء موته ليضع نهاية لسلالة " أحمس " . ورفعت أرملة الملك المتوفى توسلاتها إلى " شوبيلوليوماش " ملك الحيثيين " ورجته أن يرسل أحد أبنائه ليكون زوجاً لها ويصبح فرعون مصر ، فقبل وأرسل الأمير " زنانزاخ " ... ولكنه لم يصل أبداً إلى مصر ! ولم تتحقق وحدة إمبراطورية الحيثيين والإمبراطورية المصرية . وفى مقبرة " توت عنخ آمون " نرى " آى " - وكان وزيراً للملك المتوفى - يقوم بأداء شعيرة فتح فم مومياء الملك . وهى الشعيرة التى كان يضطلع بها - حسب التقاليد المتوارثة - ابن المتوفى ، أى وريث العرش . وهناك سؤال يفرض نفسه : هل تزوجت " عنخ إس إن آمون " من " آى " بعد وفاة زوجها ؟ ولكن أمر هذا الزواج يظل من باب الافتراضات وذلك لضياع كل أثر لـ " عنخ إس إن آمون " بعد وفاة " توت عنخ آمون " ، كما صور " آى " نفسه فى مقبرته فى صحبة زوجته " تى " الثانية . أما عن مدة حكم هذا الأخير فلم تدم سوى أربع سنوات . وبذلك كان أمامه فسحة من الوقت لإضافة بعض المبانى فى الكرنك والأقصر وتخصيص معبد صخرى للإله " مين " بأخميم وأن يعد لنفسه معبداً جنائزياً وقصراً ملحقاً به فى مدينة هابو ، سوف يتولى " حور محب " فيما بعد توسيعه . وقد دفن آى فى وادى الملوك على مقربة من مقبرة "أمنحوتپ " الثالث فى مقبرة (VdR 23) ، لم تكن فى الأصل مخصصة له على ما يظن.

فإذا صح أن الحملة التى استعرت نيرانها لتكفير ذكرى الفرعون الضال قد ظلت متأججة منذ عودة العقيدة القويمة ، فلايمكن الجزم بأن وقائع أحداث العمارنة قد أسدل الستار عليها فى عهد " آى " . أجل فان المشرف السابق على خيالة الملك لم يكن ينتمى إلى السلالة الملكية المنحدرة من أحمس ، ولكن ارتباطات عائلته بالأسرة المالكة كانت من القوة بحيث غدا من الصعب اعتبار عهده قطيعة حاسمة بالماضى . لقد أملت الظروف أن يتقدم الصفوف رجل صفر اليدين ، ليتولى قلب صفحة الماضى دون رجعة . وكما يحدث فى المعتاد فى مثل هذه الظروف ، اضطلع بهذه المهمة رجل من رجالات الجيش هو " حور محب " القائد العام للقوات المسلحة . ولا ينبغى الخلط بينه وبين " پاآتون إم حب " القائد العام لقوات أمنحوتب الرابع . واستهل حورمحب حياته السياسية فى عهد " توت

عنخ آمون " فصور نفسه إلى جواره فى مقبرته التى أقامها فى منف ، بما يعنى أنه صار الناطق بلسان الملك فى الشئون الخارجية . وكان مسئولاً عن حملة المساعى باالدبلوماسية لدى حكام النوبة والتى كللت بالنجاح بالزيارة التى قام بها أمير " ميعام " (عنيبة) إلى بلاط " توت عنخ أمون " ، وسجلت وقائعها فى مقبرة نائب الملك " حوى " . كما كان إلى جانب " توت عنخ آمون " فى " المظاهرة " التى شنها فى فلسطين لإثبات وجود مصر فحسب . وتكشف لنا المصادر المسمارية أن الحيثيين قد أغاروا على " أمكا " فى سهل انطاكية شرقى لبنان انتهاكاً لحرمة أراضٍ تحت الهيمنة المصرية . وقد استولى المصريون على " قادش " كتدبير انتقامى . وحرضوا أهل " نوجس " على الثورة ، فاستعادوا سيطرتهم على المنطـقة لعدة سنــوات ، إلى أن قــام " الحيثـيون " باسترداد " قادش " و " أمكا " فى أعقاب إغتيال " زنانزاخ " . وخلال هذا الهجوم أسر " شوبيلوليوماش " المصريين المو جودين فى " أمكا " ، واصطحبهم معه . ولسوء حظه كان من بين الأسرى مرضى مصابون بالطاعون . فلم تمض إلا سنوات قليلة حتى صار الطاعون من الأمراض المستوطنة فى مملكة الحيثيين ... فلم يتردد بعضهم فى تفسير ماجرى على أنه علامة من علامات غضب الآلهة على الذين تجرأوا فنقضوا إتفاقية السلام . لذا فبعــد أن تــولى "مورشيليش" الثانى الحكم فى أعقاب الأحداث التى أشرنا اليها ، أعاد "أمكا " إلى المصريين تكفيراً عن انتهاك الحرمات فى وقت سابق . وطوال عهد حور محب ظلت الحدود ثابتة تقريباً عند الأراضى اللبنانية .

كان حور محب قبل كل شيء المصلح الذى أعاد النظام إلى نصابه . وتشير إلى ذلك مجموعة ألقابه التى تعتبر برنامج عمل . إنه حورس " الثور القوى صاحب القرارات الفطنة ". إن الفعل " سپد " المستخدم هنا هو لفظة متخصصة لوصف " إشاعة النظام " ، وسوف يستخدمه غيره من المشرعين من أمثال أحمس الثانى . ويسير لقب " حورس الذهبى " على هدى لقبه السابق : " الذى يجد رضاه فى ماعت يعمل على تنمية الأرضين " وهنا أيضاً نجد أن الفعل " هرو " الذى ترجمته بلفظة " يرضى " له دلالة قانونية محددة ارتبطت بتنفيذ القانون . والإصلاح يمر بالضرورة عبر إعادة بناء ماتهدم . ويشيــر اسمه " النبتى " إلى هذا المعنى الجديد : " معجزاته العديدة فى الكرنك " ، إذ شهد عصره فى الحقيقة حركة بناء واسعة . فقد أجرى توسعات لحسابه فى معبد " آى " الجنائزى بمدينة هابو ، ونقر فى الصخر معبداً على البر الغربى فى جبل السلسلة ، وآخر فى جبل عدة خصصه للإلهين آمون وتحوت . وتأكيداً على أهمية مدينة منف ، شيد بها

المنشأت داخل حرم معبد پتاح ومعبد هليوپوليس . ولكنه ركز جل اهتمامه على الكرنك ، وهو ماقصده من اختيار لقبه " النبتى " . فبدأ بتشييد بهو الأساطين وأقام ثلاثة صروح ، أولها الصرح الثانى الذى كان الغرض من إقامته رسم حدود بهو الأساطين من الناحية الغربية . وعلى المحور الشمالى الجنوبى شيد الصرحين التاسع والعاشر . وحشا هذه الصروح بأحجار " التلاتات " التى توفرت له عند هدم معبد آتون شرقى الكرنك . وأقام طريقاً يصل بين الصرح العاشر ومعبد " موت " على جانبيه تماثيل " أبو " الهول برأس كبش . كما أقام أمام الصرح العاشر لوحاً حجرياً سجل عليه المرسوم الذى أصدره لإعادة النظام إلى نصابه فى ربوع البلاد . وحدد فيها التدابير الضرورية لمواجهة التجاوزات التى نشأت بسبب نظام المركزية الذى أخذ به " أمنحوتپ " الرابع ، بعد أن اتضح أن المرسوم الذى صدر فى عهد " توت عنخ أمون " لم يكن من القوة بما يكفى للتصدى له ، إذ ظلت المحاكم تجمد نشاطها والفساد متفشياً حتى بعد انهيار النظم التى أقامتها ثورة العمارنة . وبموجب تلك التدابير عين القضاة ، وأقام المحاكم الإقليمية ، وأعاد للقضاء الدينى المحلى اختصاصاته . وتوزعت السلطة القضائية بين الوجه القبلى والوجه البحرى فتقاسمها وزير طيبة ووزير منف . كما انعكست ازدواجية البلاد فى الجيش أيضاً ، فأعيد تنظيم رتبه ووزعت على دائرتين عسكرتين : دائرة الشمال ودائرة الجنوب.

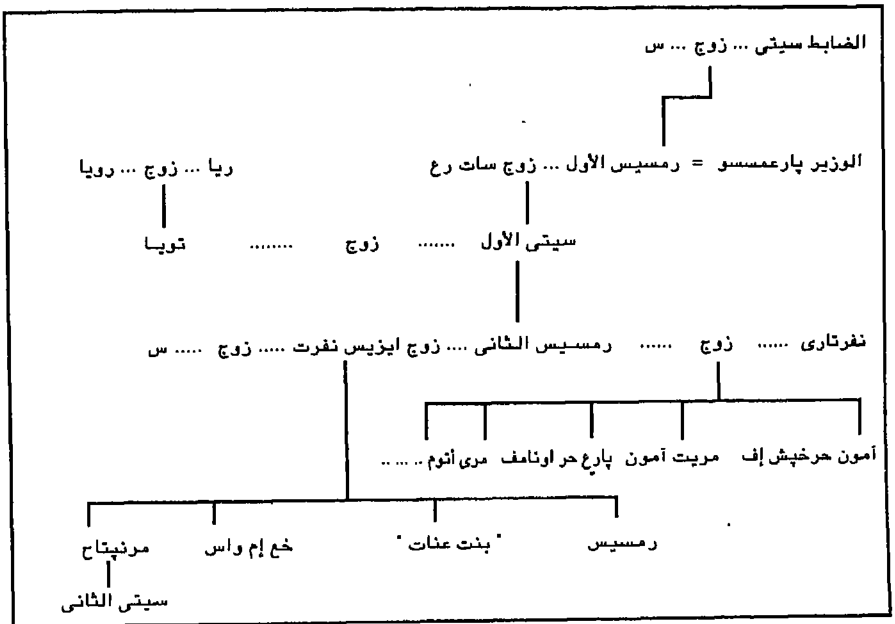
وعند وفاته بعد حكم دام سبعاً وعشرين سنة دفن فى المقبرة التى شيدها فى وادى الملوك وليس فى المقبرة التى شيدها لنفسه فى منف أيام إقامة بلاط " توت عنخ آمون " فيها. وتحتفظ مقبرته (VdR 57) ببصمات من عصر العمارنة تتجلى فى نمط الأزياء وأسلوبها المميز . كما جاءت بابتكار تقنى ، فأحلت النقش الغائر محل الرسم على الجص والطلاء كما أضيفت موضوعات جديدة ، فضمت المقبرة النسخة الأولى من " كتاب البوابات " وهو من أهم الكتب الملكية الجنائزية فى عصر الرعامسة . وقد بدأ العمل فى المقبرة متأخراً على الأرجح إذ أن نقوشها لم تكتمل .

ولم يترك " حورمحب " على الأرجح وريثاً ذكراً على قيد الحياة عند وفاته ، فنقل السلطة إلى قائد عسكرى ينحدر من الدلتا ، سوف يؤسس أسرة جديدة ، هى أسرة الرعامسة .

الفصل الحادى عشر
الرعامسة

نسب أسرة الرعامسة وموطنها الأصلى

لاتنتسب عائلة " رمسيس " الأول إلى العائلة المالكة ، بل هى من العسكريين وموطنها الأصلى شرق الدلتا ، وربما كانت منطقة قنطير مسقط رأسها . أما الملك فهو ضابط سابق ، شغل منصب وزير قبل أن يتـــوج ملـــكاً ، وكان إسـمه " پارعمسسو " أو



شكل (١١٢) – مختصر شجرة أنساب عائلة "رمسيس" الثانى.

"رعمسسو " . ويمكن الافتراض أن " حورمحب " قبل وفاته قد اختـــاره شريكاً له فى العرش لما كان له من نفـــوذ سياسى . كما تزوج " رمسيس " من ابنـــة أحد العسكريـيـــن هى " سات رع " ورزق منهـــا ولداً ســـوف يحمل اسم " سيتى " عند توليه العرش .

إن اسـم " حـورس الذهبي " الذى اختـاره ، هو تعبـير عن تصميمه على السير على نهج " حورمحب " ومواصلة مابدأه من أعمال : " فهو الذى يثبت "ماعت " فى ربوع الأرضين . " وفى ذات الوقت عمل مافى وسعه لتأكيد التوجه الجديد للبلاد باختياره

اسماً للعرش ، يبرز ماحظى به الإله رع من علاقة متميزة . فاسم العرش " من بحتى رع " يعنى " ثابتة هى قوة رع " . كما يعبر الاسم الذى عرف به منذ الولادة عن نفس المعنى وهو " رع مسسو " ويعنى " رع هو الذى أنجبه " ، بل إنه مضى قدماً إلى الأمام مؤكداً مقام الصدارة الذى يحتله لاهوت هليوبوليس ، منضوياً تحت شفاعة " آتوم " ، كما تجلى ذلك فى اسمه " النبتى " : " الذى توج ملكاً ، المختار من " آتوم " . ومن أهم النتائج التى ترتبت على ثورة العمارنة انقطاع الصلة بين السلطة وطيبة وارتباطها بمنف سعياً وراء المنابع الأصلية للثيوقراطية من ناحية ، وتجنباً لما يمكن أن يعتبر تدعيماً لمركز كهنة طيبة من ناحية أخرى ، مما قد يؤدى إلى صدام جديد . ولم يقف ذلك حائلاً دون إسهام رمسيس الأول فى برنامج زخرفة الكرنك خلال مدة حكمه القصيرة التى دامت سنتين فحسب . وإن ركز جل جهده فى أبيدوس ، فشيد هيكلاً ومعبداً صغيراً تكفل ابنه بإستكماله .

وبالنظر إلى قصر مدة حكمه فمن المتعذر تقييم النتائج المباشرة لهذه السياسة تقييماً سليماً . ولكن دراسة مقبرته التى شيدها فى وادى الملوك (وادى ١٦) تثير انطباعاً بحدوث ارتداد إلى الخلف . صحيح أن النقش الوحيد الذى يزخرف المقبرة هو "كتاب البوابات " الذى يقلد النموذج الوارد فى مقبرة " حور محب " ، لكن الأثاث الجنائزى أقرب إلى أسلوب بدايات الأسرة الثامنة عشرة ، منه إلى الأسلوب الذى اشتهر به ابنه .

ولما جلس " سيتى " الأول على عرش البلاد خلفاً لأبيه ، كانت فترة طويلة قد مضت على اشتراكه معه فى الحكم ، ربما ترجع إلى بداية حكمه . كما عينه " رمسيس " الأول فى منصب أشبه بمنصب الوزير والقائد العام المسئول عن السياسة الخارجية . وقد نشأ نظام المشاركة فى الحكم على مايبدو من اهتمام الرعامسة الشديد بتجنب الوقوع فى مشاكل وراثة العرش التى قضت على الأسرة الثامنة عشرة . ويركز " سيتى " الأول كثيراً على هذه المشاركة ، فتحتل ممارسة شعائر الإبن لوالده مكان الصدارة فى أبيدوس (KRI - 1 110, 11 - 114, 15). كما واصل أعمال الإصلاح الداخلية بعد وضعها فى إطارها التاريخى تبريراً لشرعية نسبه الخاص ، فصور نفسه فى معبده الجنائزى بأبيدوس واقفاً فى صحبة ابنه ، وخليفته" رمسيس " الثانى ، متعبداً أمام خراطيش (الأطر الملكية) من سبقوه من فراعين مصر . وتضم القائمة ٧٦ اسماً تبدأ

بالملك "مينا " لتنتهى عند " سيتى " الأول . كما وضع أسس كتابة التاريخ الرسمى للأسرة الثامنة عشرة وصدر الأسرة التاسعة عشرة . وجاء ترتيب الملوك على النحو التالى : أحمس وأمنحوتب الأول وتحوتمس الأول وتحوتمس الثانى وتحوتمس الثالث وأمنحوتب الثانى وتحوتمس الرابع وأمنحوتب الثالث وحور محب و " رمسيس " الأول . ويلاحظ استبعاد جميع ملوك عصر العمارنة ، تماماً كما تم إزالة أسمائهم من فـــوق سطـــوح جميع المنشآت والمبـــانى . ويظـــل غياب اسم " حتشبسوت " من الأمور البارزة إذ يعتبرها كاتب القائمة مغتصبة للعرش رغم كل مابذلته من جهود . وسوف يعاد استخدام هذه القائمة كما هى ، حتى عهد " رمسيس " الثالث ، ولكن بعد إضافة الملوك الجدد تباعاً .

وحافظ " سيتى " الأول على العلاقة المتميزة التى تربط عائلته بالشمال . فالمرسوم الذى أعلنه فى العام الأول من حكمه (KRI - 1 37, 7 - 39 , 16) لصالح معبد بوهن صادر عن منف . وامتلك أيضاً قصراً فى قنطير كما اهتم بطيبة التى ظلت عاصمة البلاد. ويظهر اتجاهه هذا من خلال مااختـاره من ألقاب . إنه حورس " الثور القـوى مُحى الأرضين بعد أن تم تتويجه فى طيبة " . ومع ذلك وسعياً وراء كسب ود المركزين الدينيين ، ذكر بالتناوب ضمن الصفات الملحقة باسمـه عند التتويج " من ماعت رع " عبارتى " ملك طيبة " و" ملك هيلوبوليس " . كما أضاف إلى " سيتى " وهو اسمه عند الولادة عبارة " محبوب آمون " أو " محبوب پتاح " .

كما تجلت سياسة التوازن هذه فى إعلاء شأن الإله ست فى أواريس وتشييد (أو إعادة تشييد) معبد رع فى هيلوبوليس . وقد وصلنا نموذج نذرى لهذا المعبد باسم سيتى الأول عثر عليه فى تل اليهودية . وفى الوقت نفسه بدأ تشييد جانب من بهو الأساطين فى الكرنك الذى سيتولى رمسيس الثانى استكماله . وشيد أيضاً بهو أساطين فى النوبة لمعبد جبل البركل ، ويرجع نقشه التذكارى إلى العام الحادى عشر من حكمه .

أما أهم منجزات عهده الذى لم يدم سوى أربع عشرة سنة ، فكانت فى مجال السياسة الخارجية . ألم يقع اختياره على كل حال على لقب " ذو الساعد القوى مجدد الولادات وطارد الأقواس التسعة " ليصبح اسمه النبتى ؟ وكانت تركة العمارنة مثقلة بالمشاكل ، رغم استئناف العمليات العسكرية فى آسيا فى عهد حور محب ورمسيس الأول . وقد تم الكشف عن بعض آثارها فى " بيت شان " (بيسان) على مقربة من نهر

الأردن فى ودائع أساسات المعبد الجنائزى الذى شيده سيتى الاول فى أعقاب حملته العسكرية الأولى . ويمكن القول بصفة عامة أن فلسطين بأسرها كانت تكن العداء لمصر التى لم تحتفظ سوى بقلاع " بيت شان " (بيسان) و"رحوب "و " مجدو " .

واتجه إلى آسيا منذ السنة الأولى من حكمه . فانطلق من " زالو" متجها إلى رفح . وأثناء تقدمه اضطر إلى خوض المعارك ضد " الشاسو " المتمركزين عند رفح على مايظن من أجل السيطرة على الآبار التسع على امتداد الطريق . فاستولى على رفح وغزة فى أرض كنعان . ثم أرسل قوات خاصة إلى " بيت شان " (بيسان) ورحوب بعد أن هاجم المدينتين تحالف من حماة و " پلاً " تسانده جماعات العاپيرو فى الجبل . وبينما اتجه فيلق رع إلى " بيت شان " (بيسان) تقدم فيلق آمون صوب حماة ، أما فيلق ست فقد سار صوب " ينوعم "، ثم سار المصريون شمالاً فدخلوا عكا وصور وتوغلوا فى لبنان ، وعند العودة استولوا على " پلاً " .

استغل سيتى الأول ماحققته هذه الحملة من إنجازات للقيام بحملة أخرى فى العام التالى ليصل إلى قادش . وإذ تم له إقرار السلام مؤقتاً فى بلاد " الأمورو " استطاع تنظيم حملة ثالثة ضد الليبيين فى هذه المرة . ولكن نجاح مصر فى إعادة مركزها فى الشرق الأدنى إلى سابق عهده كان يحتاج إلى القيام بحملة رابعة إلى آسيا . ونفتقر إلى التفاصيل حول هذه الحملة ضد الحيثيين . واستطاع المصريون تأمين سيطرتهم على سوريا فامتد نفوذهم إلى الجنوب من قادش التى عادت تلعب دورها كمدينة حدودية . وعقد الملك " مواتالى " اتفاق سلام مع منافسه . ولكن هذا الاتفاق لم يدم طويلاً وإن كان قد سمح لكل طرف بتدعيم قواته .

فلنقترب أكثر من مصر ، ففى شبه جزيرة سيناء عاد النشاط إلى مناجم الفيروز منذ أيام رمسيس الأول . وقد واصل سيتى الأول العمل فيها كما مهد الطرق الموصلة إلى مناجم الذهب فى صحراء إدفو . فقام فى العام التاسع من حكمه بتجهيز آبار وادى المياه ووادى عباد . أما فى النوبة فقد واصل استغلال مناجم وادى العلاقى ، دون أن يصادف أية مقاومة ، إذا استثنينا الحملة التى شنها لتحييد " إيريم " والتى سجلها نقش عثرعليه فى قصر إبريم .

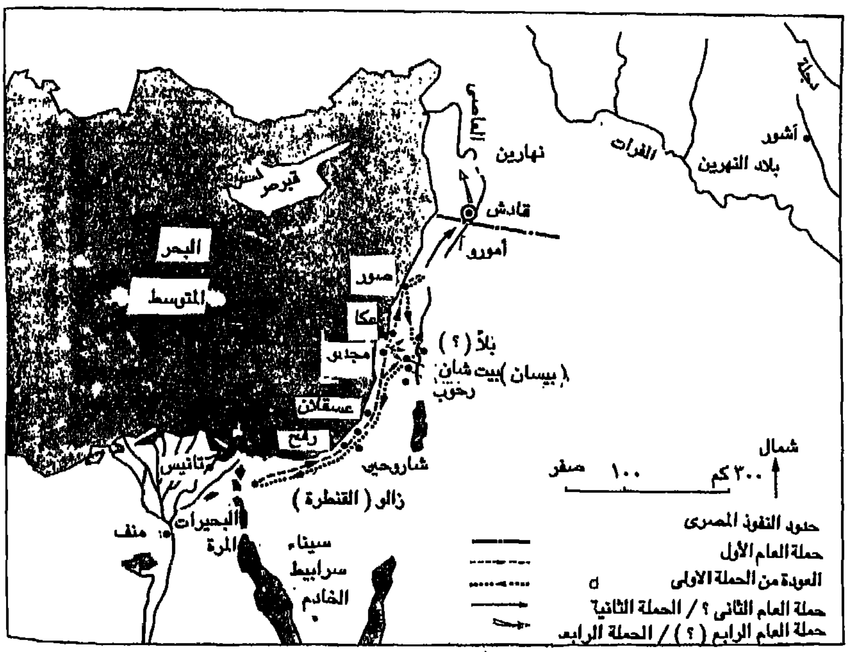
أما مقبرته المنحوتة فى صخر جبل وادى الملوك (وادى ١٧) فهى من أهم المقابر حيث تضم أكبر عدد من الكتب الجنائزية والزخارف . ومن أبرز ما فيها السقف المغطى

بالمناظر الفلكية الرائعة . ومازال أسلوبها المميز قريباً من فن العمارنة من حيث رشاقة ورقة التشكيل . وتبرز هاتان السمتان بوضوح فى المعبد الجنائزى الذى شيده الملك فى القرنة . ولكن فى استطاعة المرء أن يتذوق دقة ونعومة فن سيتى الأول فى أبيدوس أكثر من أى مكان أخر حيث شيد معبداً جنائزياً آخر وأقام على مقربة منه " الأوزيريون " أو قبر " أوزيريس " .

يرجع استخدام هذا الموقع إلى عصر نقادة على أقل تقدير . والشاهد أن أبيدوس ظلت على مر التاريخ من كبريات مدن مصر المقدسة .

وعلى حافة الأرض المنزرعة وإلى الجنوب الشرقى من المدينة جمع سيتى الأول داخل سياج واحد بين مايفترض أنه قبر أوزيريس الذى أعاد تشييده وبين معبده الجنائزى

جاء تخطيط المعبد الجنائزى على شكل حرف L الإفرنجى . بحيث تقع مقصورة قدس الأقداس الرئيسية عمودية على سلسلة الأفنية وأبهاء الأساطين المتعاقبة، وقد شيد من الحجر الجيرى الناعم فوق أساس من الحجر الرملى .وكان ينهض فى الواجهة صرح (١)

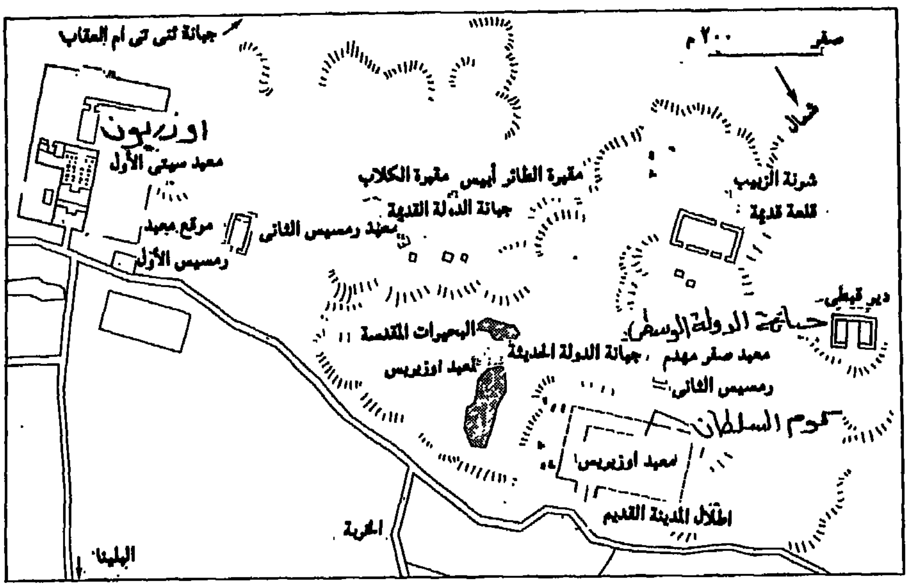


شكل (١١٣) – حملات "سيتى" الأول فى الشرق الأدنى.

شيده رمسيس الثانى من الحجر الرملى . وقد تهدم الآن هو والفناء الأول (٢) الذى كان يفضى إليه . ونرتقى درجاً محورياً يوصلنا عبر باكية إلى الفناء الثانى (٣) ، هى المدخل الراهن للمعبد . أما زخرفة الباكية الخلفية فهى من أعمال رمسيس الثانى ونشاهده وهو يقدم " ماعت " إلى أوزيريس وإيزيس " الإلهين المحليين ، ويشاركهما سيتى الأول.

وتروى لنا مدونة تذكارية بإسهاب) (**KRI II 323-336** كيف أن رمسيس الثانى قد أكمل معبد أبيه مع إشارة إلى الفترة التى أشرك فيها سيتى الأول ابنه الحكم.

وتفضى سبعة أروقة متوازية تخترق بهو أساطين أول (٤) وبهو أساطين ثان (٥) إلى سبع مقاصير متماثلة لقدس الأقداس ، شيد كل منها على هيئة قاعة مستطيلة يعلوها عقد كاذب على شكل سقف متدرج مفلطح . (راجع ماورد حول أسلوب بناء البهو الأكبر داخل هرم خوفو : الفصل الرابع : العقائد الجنائزية : مجموعة الجيزة) . وتنتهى جميع القاعات ماعدا القاعة الوسطى (هـ) بباب وهمى ولوح حجرى . وتنقسم القاعات إلى قسمين تفصلهما دعامتان جداريتان بارزتان ، وجدرانها مزخرفة بستة وثلاثين لوحاً لشرح شعائر الخدمة اليومية التى كانت تقام فيها على مايظن ، بالإضافة إلى المتاع اللازم لشعائر المعبد والذى يضم دائماً مركب الإله الذى سجل اسمه فوق باب مدخل كل مقصورة ، عدا المقصورة الأولى (ا) المخصصة لشعائر سيتى الأول التى يمارسها الكاهن " سم " .أما المقصورة الثانية (ب) فهى مخصصة للإله " پتاح " والثالثة للإله



شكل (١١٤) – خريطة عامة لابيدوس.

"رع حور أختى " والرابعة (د) للإله آمون والسادسة (و) للإلهة إيزيس والسابعة (ز) للإله حورس . أما مقصورة الوسط (هـ) فتطل على جناح مكون من ثلاثة هياكل مخصصة للإلهة إيزيس وللملك على هيئة أوزيريس وللإله حورس .

ويتصل القسم الجنوبى من بهو الأساطين الثانى بقاعـتين مخصصتين للإلهين "بتاح - سوكر" و" نفر توم " (٨) وممر الحوليات (٩) حيث مشهد سيتى الأول وابنه يتعبدان للخراطيش أو للأطر التى تحتوى أسماء ملوك مصر وهو المشهد الذى سبق أن أشرنا إليه . ومن خلال ممر عمودى (١٠) على الممر السابق يمكن الوصول إلى سلم يفضى إلى سطح المعبد . ومن أهم المنشأت المتبقية قاعة مكرسة لمراكب الشمس (١١) وقاعة للأضاحى (١٢) .

وإلى جانب قيمة هذه المناظر الجمالية الفريدة فى بابها ، يفصح هذا المعبد عن الفلسفة من إقامة المعبد الجنائزى . فالغرض منه مشاركة الملك المتوفى فى الشعائر التى تقدم للعائلة الإلهية المحلية والتوسع فى قاعدة تحويل التقدمات بفضل اندماج الملك المتوفى مع إله المدينة . ومما يزيد من دلالة اختيار أبيدوس لهذا الغرض أن أوزيريس هو إلهها المحلى . ومن ثم تصبح مشاركة سيتى الأول لشعائر أوزيريس خير ضامن لاستمرارية ذريته . فهو الأب الأكبر وصاحب الفضل فى غرس البذرة الأولى التى خرج منها من خلفوه من ملوك مصر ، تماماً كما أن ذرية حورس قد خرجت من صلب أوزيريس . لهذا السبب شيد " الأوزيريون " غربى معبده ، وإن كان من الأصوب القول أنه أعاد تشييده .

و " الأوزيريون " هومقبرة أوزيريس ، وتأسسياً على ذلك فهو الدفنة النموذجية المثلي التى جاءت غيرها من دفنات المصريين على صورتها . نبدأ ببئر عمقها عشرة أمتار تفضى إلى ممر طويل مبنى مـن الطوب اللبن والحجر الرملى (١٣) طوله ١١٢ متراً ويتجه من الغرب إلـى الشرق ، وتغطى الزخارف حوائط الممر .نشاهد فى قسمه الغربى " كتاب مايوجـد فى العـالم الأخر" و" كتاب البوابات"، وفى القسم الشرقى كتاب" الإمى دوات" . ويفضى الممر إلى صالة (١٤) مزينة بكتاب البوابات " و " كتاب الموتى " و " كتاب الكهوف " . ثم يخترق المرء ممراً صغيراً ينحدر انحداراً خفيفـاً ومزينا أيضاً " بكتاب الموتى " أيضاً ، يؤدى إلى صالة صغيرة تفضى إلى حجرة الدفن ، وهى قاعة مستطيلة الشكل سقفها مرفوع فوق عشرة أعمدة من الجرانيت الوردى وفى وسطها جزيرة محاطة

بالماء . وحفر تجويفان أحدهما لوضع التابوت والآخر لأوانى الأحشاء .ويلتف حول القاعة إفريز يفضى إلى سبع عشرة كوة موزعة على امتداد محيط القاعة . وتقع القاعة الأخيرة شرقاً (١٧) وسقفها من الحجر الرملى الأصفر المنحوت ، وتضم فى قسمها الجنوبى الشرقى نصاً درامياً ، وفى قسمها الشمالى الغربى تصويراً يمثل الإلهة " نوت " وقد رفعها الإله " شو " وأجرام السماء ومسار الشمس ليلاً وبناء المزولة الشمسية و . . . قيامة سيتى الأول .

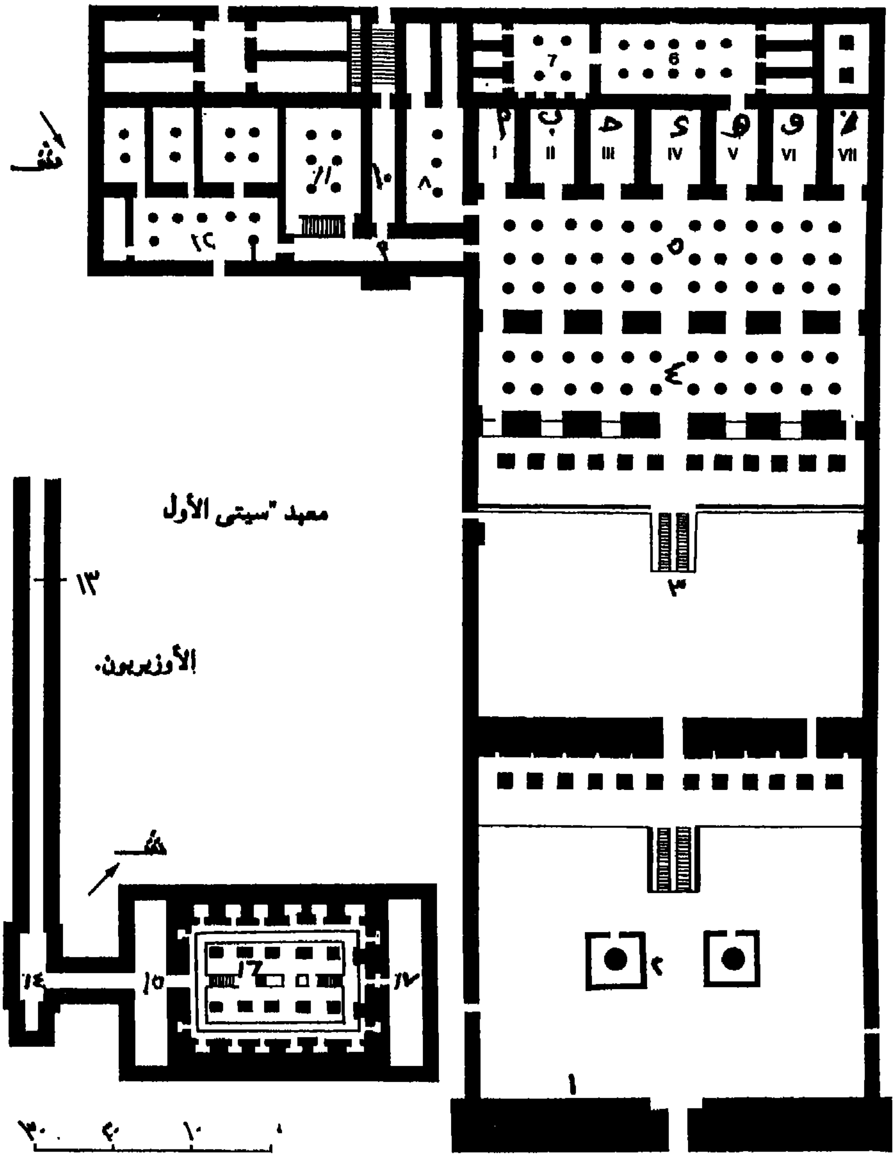
فالمقبرة تخليد لذكرى مصير أوزيريس الجنائزى بعد أن استعادت إيزيس من الأمواه الجسد المنتفخ بالسائل اللمفاوى . لقد انبعث هذا الميلاد الجديد نتيجة الاختمار الذى يعيد إلى الأذهان " أوزيريس رب الإنبات " ، فتوضع الحبوب فى وعاء على هيئة الجسد الإلهى لتنبت وتنمو . كما أن حجرة الدفن ، شأنها شأن المعبد ، هى أيضاً رمز مصغر للكون . إنها الأكمة المنبعثة من الخواء الأول .إنها الركيزة التى استخدمها الخالق لبث الحياة فى الكون .

" رمسيس الثانى " والصدام بين المصريين والحيثيين

خلف " رمسيس الثانى " أباه حوالى عام ١٣٠٤ أو عام ١٢٧٩ / ١٢٧٨. ويرجع هذا الاختلاف إلى اختلاف طريقة حساب تاريخ الشروق الاحتراقى للشعرى اليمانية كما ورد فى بردية إيبرز **Ebers** . ورمسيس الثانى هو بالتأكيد من أشهر فراعنة مصر ورمز حضارتها ، شأنه شأن الأهرامات . لقد بلغت أمجاده عنان السماء ، ففاقت أمجاد غيره من الفراعنة .... وما نعرفه عن عصره لاتضاهيه معارفنا عن غيره من عصور مصر القديمة . فعلى امتداد قرابة سبعة وستين عاماً حكم فيها البلاد ، زخرت مصر بالعمائر التى أقامها فى كل ربوع وادى النيل ، وترك بصمات واضحة فى تاريخ الشرق الأدنى يصعب محوها ، كما كانت شخصيته الفريدة الفذة مَعْلماً بارزاً فى عصر خرج على المألوف فاشتهر بالمواجهات العنيفة التى احتدمت بين كبرى إمبراطوريات الشرق .

وبحلول العام الثانى من حكمه ، وقبل أن يواجه الحيثيين ، اضطر رمسيس الثانى إلى التصدى لغارة القراصنة " الشردانا " فهزمهم فى معركة بحرية وضمهم إلى جيشه . ولم تبدأ المعارك الحربية إلا فى العام الرابع من حكمه ، فقام بحملته على سوريا .

وسارت هذه الحملة بالمصريين من ثارو (القنطرة) إلى أرض كنعان وصور ثم بيبلوس، ثم توغلوا شرقاً فى بلاد " الأمورو" وفاجأوا الأمير" بنتشينا "حليف "الحيثيين " ، فقدم لهم فروض الولاء والطاعة ثم عادوا أدراجهم إلى مصر عبر فينيقيا .



شكل (١١٥) – معبد "سيتى الأول الجنائزى والأوزيريون.

التواريخ	مصر	أمورو	قرقميش	الحيثيون	آشور	بابل
١٢٧٩	رمسيس الثانى	بنتشينا شابيلى		مواتالى	اداد نيرارى الأول	
١٢٧٥ – ١٢٧٤				مورشيليش الثالث		
١٢٧١ – ١٢٧٠				خاتوشالى الثالث		كاد شمان تورجو
١٢٦٨ – ١٢٦٧		بنتشينا				
١٢٦٤ – ١٢٦٣						
١٢٦٣ – ١٢٦٢					شالمناصر الأول	
١٢٥٠ – ١٢٤٩						كادشمان انليل الثانى
١٢٤٠ – ١٢٣٩			انى تشوب الأول			كودور أنليل
١٢٣٦ – ١٢٣٥				تود خالياش الرابع	توكلوتى ننورتا الأول	
١٢٣٤ – ١٢٣٣						
١٢٣٠ – ١٢٢٩		سوسجاموا				
١٢٢٦ – ١٢٢٥				ارنووانداش الثالث		شاجاراكتىشورياش
١٢١٥ – ١٢١٤						
	مرنبتاح					
١٢١٢	أمون مس					
١٢٠٢ – ١١٩٩	سيتى الثانى					
١٢٠٢ – ١١٩٦	سى بتاح					
١١٩٦ – ١١٩٠	تاوسرت					
١١٩٦ – ١١٨٨						

شكل رقم (١١٦) الأسرة التاسعة عشرة ومعاصروها البارزون

وفى العام الثانى انطلق المصريون من " بررمسيس " ، عاصمة البلاد الجديدة الواقعة شرقى الدلتا ، ومروا بأرض كنعان حتى بلغوا الجليل ثم واصلوا سيرهم حتى منابع نهر الأردن ، فيما وراء بحيرة الحولة ، واخترقوا وادى البقاع شرقى لبنان ليتجهوا صوب "كوميدو " . ثم وصلوا إلى قادش الـتى قدر لها من جديد أن تصبح الأرض التى احتدمت فوقها المواجهة بين الإمبراطوريتين حيث دارت رحى أشهر معارك تاريخ الشرق الأدنى القديم .

ومعركة قادش فى نظر رمسيس الثانى هى من أعظم المآثر الحربية التى وقعت فى عهده . وسجلت وقائع المعركة مراراً وتكراراً على جدران معابد ه المختلفة . فدونت على الجدار الخارجى من معبده فى أبيدوس ، وفى ثلاثة مواضع مختلفة من معبد أمون رع بالكرنك : فى الركن الشمالى الغربى من فناء الخبيئة ، والواجهة الغربية من الجدار الغربى من فناء الصرح التاسع ، والنسخة المعاد نقشها على السطح الخارجى من الجدار الجنوبى من بهو الأساطين . كما سجلت مرتين فى معبد الأقصر ، الأولى على سطح البرج الشمالى من صرح المعبد ، والأخرى على جدران الفناء الأمامى .كما دونت على برجى صرح الرامسيوم، وأخيراً فى معبد أبو سمبل على الجدار الشمالى من القاعة الكبرى . ويمكن أن نضيف إلى ماسبق النسخ المدونة على لفافات البردى ، وهى بردية " ريفات " **Raifé** وبردية ساليه الثانية **Sallier II** وظهر بردية شيستر بيتى الثالثة**Chester Beaty III** . وهكذا يمكن القول أن عدد ماوصلنا من روايات عن معركة قادش يبلغ حوالى ثلاث عشرة رواية . وقد تضافرت ثلاثة فنون أدبية فى عرض هذه الروايات ، هى فن الشعر والفن الوثائقى وفن التمثيل . وتأسيساً على ماسبق تعتبر معركة قادش الحدث الحربى المصرى الذى تجمع عنه أكبر قدر من الوثائق . لقد تضافرت التصاوير والمتون لسرد هذه الملحمة حتى صارت النموذج الأمثل لانتصار المصريين على البلدان الأجنبية ، وتأكيداً لفرض فرعون سيطرته على الكون بأسره . وتقدم هذه المجموعة شهادة تاريخية لامثيل لها. ويمكن التلطيف من غلواء الأساليب البلاغية الرسمية بالاعتماد على النسخة الأكادية الوحيدة التى وصلتنا . وإليكم بعض النصوص المختارة :

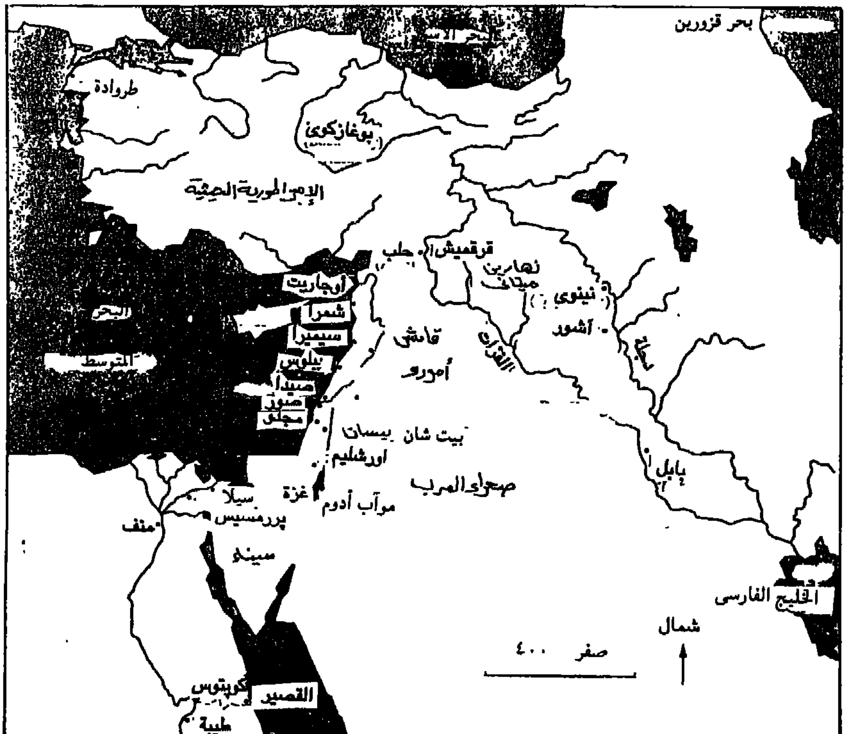
" عندئذ استنفر صاحب الجلالة قوات المشاة والمركبات الحربية و" الشردانا " الذين جلبهم صاحب الجلالة من حملاته المظفرة . لقد تسلموا كافة التجهيزات وتعليمات الحرب.

" واتجه جلالته شمالاً ، على رأس قوات المشاة والمركبات الحربية ، وبدأ مسيرته فى اليوم التاسع من الشهر الثانى من فصل الصيف من العام الخامس من حكمه دون أدنى معوقات . وتجاوز جلالته حصن " سيللا " وتقدم قوياً جسوراً وكأنه الإله مونتو . وارتعدت

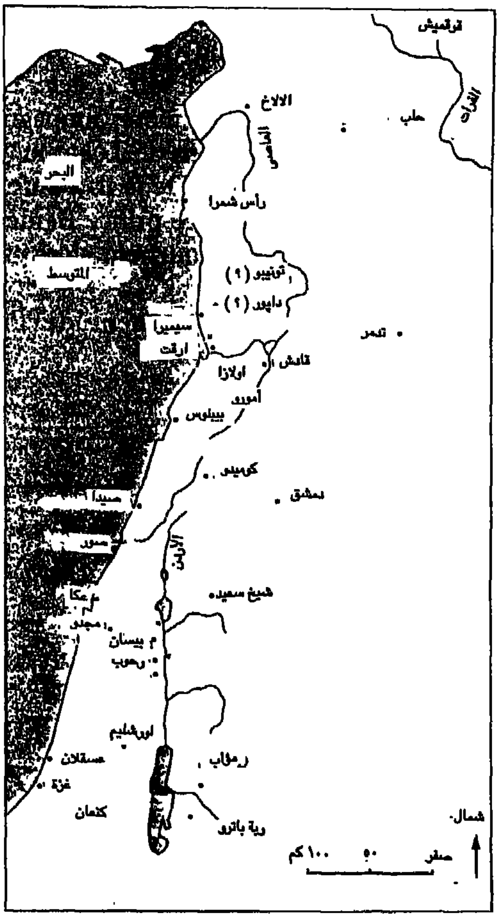
فرائص أهل البلدان التى مر بها وسعى إليه زعماؤها يقدمون له الجزية . وأحنى العصاة ظهورهم وهم يرتعدون خوفاً من سلطة صاحب الجلالة ! وتخترق قواته الدروب وكأنها تنتقل عبر طرق مصر (...) " (KRI - II - 11 , 1 - 13 , 15) .

ووصل المصريون إلى مشارف " قادش " :

" لقد وصل إليها الحيثيون الأخساء ، بعد أن عقدوا حلفاً مع سائر البلدان الممتدة حتى البحر .وصل إليها الحيثيون تصحبهم قوات من بلاد نهرين و" أورزاوا "و " دورني " و" كشكش " و " ماسا " و " بدسا " و" إيرونا " و " كريسكا " و "لوكيا " و " كيزوادنا " و" قرقميش " و " أوجاريت " و " قدى " و " نوجس " و " موشانيت " وقادش (...) وانتشروا فى التلال والوديان كأسراب الجراد. ولم يدخر "الحيثيون" أموالهم وتجردوا من كل نفيس لشراء أهل البلدان ليصبحوهم فى حروبهم " (KRI-II,16,1-20,10)



شكل (١١٧) - الشرق الأدنى فى عهد رمسيس الثانى.



شكل (١١٨) - حروب رمسيس الثانى فى سوريا.

وعندما ظهرت الفرقة المصرية الأولى ، كانت قوات الحيثيين لها بالمرصاد، خلف "قادش". وتركتها تمر ثم انقضت على الفرقة الثانية ، بينما كانت الفرقة الثالثة تعبر مخاضة "شبتونا " :

" واخترقوا الحصار المضروب حول المدينة واتجهوا الى الجنوب من قادش . وداهموا قوات فرقة رع وأوسعوها تقتيلا ، بعد أن باغتوها أثناء تقدمها ، ولم تكن على أهبة الاستعداد. وتراجع مشاة صاحب الجلالة مع مركباته الحربيه . أما صاحب الجلالة فــكان متوقفا شمالى مدينة قادش على البر الشرقى من نهر العاصى . وأحيط جلالته علما بما حدث . فهب جلالته مثل والده "مونتو ". وأخذ عدة الحرب وارتدى الزرد . وكان مثل

"بعل " فى أوج نشاطه . والفرس الذى حمل جلالته هو " المنتصر فى طيبة " من خيول الحظيرة الكبـرى لـ " اوسر مـــاعت رع " – الذى اصـــطفاه "رع" و محبـــوب " آمون " . (KR I - II 26 , 7 - 29 , 16)"وانطلق جلالته مسرعا . وانقضّ على صفوف "الحيثيين" وكان وحيدا لم يصحبه احد ! وتقدم صاحب الجلالة ليلقى نظرة على من حوله . ورأى ألفين وخمسمائة مركبة حربية تحاصره وتتجه اليه ومعها قوات استطلاع الحيثيين الأخساء والبلدان التى تؤازرهم (...).(KRI-II-30,1-31,15)¢

واتجه الملك إلى آمون بعد أن تخلى عنه رجاله :

" أستغيث بك أيا والدى آمون .

" اننى وسط قوم غرباء .

" لقد تحالفت كل البلدان الأجنبية ضدى

" ووجدت نفسى وحيدا بمفردى .

" لقد هجرتنى جيوشى الجرارة ،

" وانصرف عنى أفراد المركبات الحربية .

" وعبثا ناديت عليهم ،

" فلم يستجب أحد لندائى .

" وإنى على يقين من أن آمون خيز معين وأفضل

" من ملايين المشاة ،

" ومئات الآف المركبات الحربية ،

" وعشرة آلاف أخ وإبن ،

" اتحدوا جميعا فى حمية (...)

" كنت ارفع تضرعاتى وأنا فى أقاصى البلدان الأجنبية .

" وسُمع صوتى فى هليوبوليس الجنوب.

" واذا آمون يستجيب لندائى :

" ماداً لى يد العون ، فأثلج صدرى .

" ومن خلفى سمعت صوته محدثا ... وكأنه قاب قوسين منى :

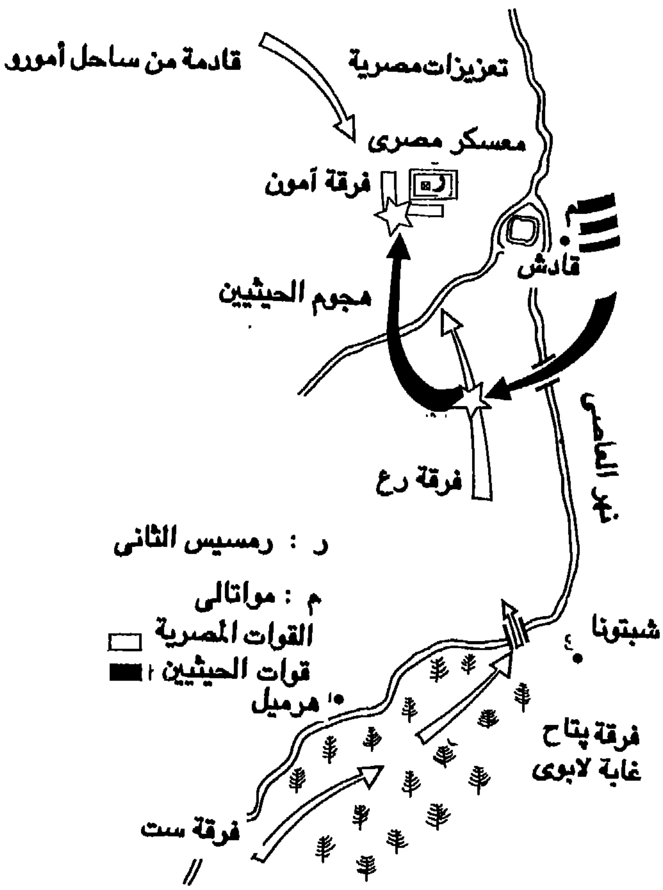
" تشجع ! إنى معك .

" إنى والدك وسندك القوى .

" إنى افضل من مائة رجل :

" فأنـــا سيـــد الانتـــصار وأحـــب كـــل باسـل مقـــدام

. (KR I - II 39 , 13 - 44 , 5)



شكل (١١٩) - معركة قادش. تحركات القوات.

فثارت حميته نتيجة وجود الرب الإله الى جواره .وأوسع أعداءه تقتيلا ومزقهم إربا إرباً. وندد بقواته على ما أبدته من جبن .

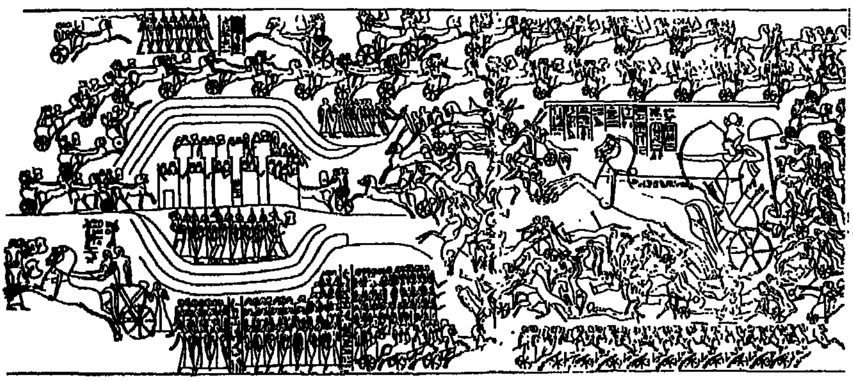
وفى اليوم التالى بعث مواتالى إلى رمسيس الثانى يطلب عقد هدنة قائلا :

" يعلن خادمك المتواضع على الملأ إنك ابن رع الذى ولدك من صلبه واستودعك مختلف البلدان المتحدة . أما القطر المصرى وبلاد الحيثيين فهم خدامك . لقد وهبهم إياك والدك الإله رع . لا تلجأ إلى استخدام ما أوتيت من سلطة ضدنا . أجل إن سلطاتك لعظيمة . وقوتك تثقل وطأتها على " الحيثيين " . ولكن هل من الصواب قتل خدامك، لتظل مرهوب الجانب منهم ، ودون رحمة ؟ انظر لما يحدث . بالأمس قضيت يومك فى ذبح مائة ألف رجل . وعدت اليوم ولم تُبق على حياة الورثة . فلا تتوسع فى الاستفادة من تفوقك ، أيها الملك الظافر! فالسلم أفضل من الحرب . امنحنا نسيم الحياة ! "
(KRI,II / 92,6-95,11)

وانسحب رمسيس الثانى بعد أن حقق نصرا لم يكن من النصر فى شىء . فكل مافعله أنه أنقذ جيشه . فبمجرد أن اعرض عن الحيثيين قام " مواتالى " بعزل " بنتشينا " امير " أمورو " ونصب مكانه " شابيلى " ليقضى بذلك على وجود إقليم " أبا " . فأقام فى سوريا سدا منيعا حقيقيا للتصدى لمصر . وفى غضون ذلك تطورت الأوضاع بين " الحيثيين " و " آشور ". وقام " ادادنيرارى " الأول بإخضاع " هانيكالبات " الواقعة بين دجلة والفرات ، وهى بمثابة قلب دولة " الميتانى " وكانت قد انحازت الى جانب " مواتالى " . وكما فتح " الحيثيون " جبهة ثانية ، واجه رمسيس الثانى بدوره المشاكل على الجبهة الغربية . فاضطر الى التصدى لإغارات الليبيين وأقام سلسلة من التحصينات بين قرية راقودة ومرسى مطروح لمراقبة تحركات البدو.

وعندما اتجه مرة أخرى إلى سوريا فى العام السابع من حكمه كان عليه أن يحسب حساب مملكتى " مؤاب " و " أدوم صير " الحديثتين الدائرتين فى فلك الحيثيين ،بالإضافة الى جماعة " الخاسو " التى أخذت تغير على أرض كنعان. وللإجهاز على هذه المقاومة قسم قواته إلى جيشين فى حركة كماشة بارعة . وقاد الجيش الأول " آمون حر خبش إف " فطارد " الخاسو " فى النقب وحتى البحر الميت واستولى على " أدوم صير "، واخترق أراضى " مؤاب " حتى وصل " ربة بترو " . وفى غضون ذلك زحف رمسيس الثانى على أورشليم وأريحا واجتاح مؤاب من ناحية الشمال واستولى على

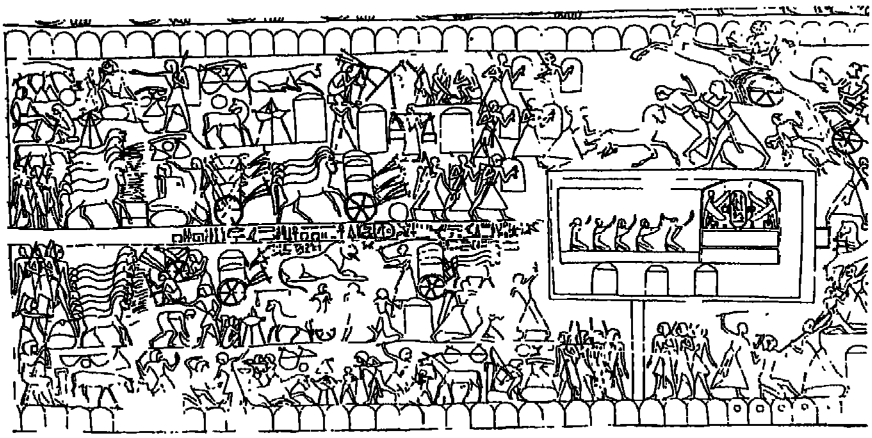
ديبون ثم التقى بقوات " آمون حر خبش إف " . وزحف الجيشان معا على حاصبيا ودمشق عبر أراضى " عمون " واستوليا على " كوميدو " . وهكذا سيطر المصريون من جديد على إقليم " أبا " .



شكل (١٢٠) - هجوم الحيثيين وهجوم رمسيس الثانى المضاد .

ثم أقاموا فى العام ٩/٨ بتدعيم مراكزهم فجردوا حملة جديدة إلى بلاد الشـــام فعبروا جبال الجليل واحتلوا عكا ثم زحفوا فى اتجاه الشمال بمحاذاة الساحل . واستولوا أثناء تقدمهم على صور وصيدا وبيبلوس و ارقت وسيميرا الى الشمال من نهر الكلب . وواصلوا السير حتى دابور حيث أقيم تمثال لرمسيس الثانى . ووصلوا أخيرا " تونيبو " التى لم تشاهد مصريا واحدا منذ نيف ومائة وعشرين سنة!

واستطاع " رمسيس " الثانى أن يعزل قادش وأمورو عن الشمال مستغلا المشكلات المتزايدة التى أحدقت بالحيثيين ودفعتهم إلى التقهقر فى سوريا حيث استعاد "بنتشينا " سلطاته بفضل التقدم الذى أحرزته القوات المصرية ، كما سجلوا تراجعا فى نهارين . وبالفعل فقد استطاع " شالمناصر " الأول بعد أن تبوأ عرش آشور أن يخضع "هانيكالبات " إخضاعا تاما ونهائيا.وحاصرت التهديدات الخارجية امبراطورية الحيثيين. أما التهديدات الداخلية فلا تقل عنها خطورة . حيث تفجرت أزمة داخل الأسرة المالكة عقب وفاة " مواتالى " فاغتصب ابنه غير الشرعى " أورهى تشوب " عرش البلاد من عمه " خاتوشالى " وقام بنفيه إلى " هاپكيس " وجلس على عرش البلاد واختار لنفسه لقب " مورشالى " الثالث ، وترك لملك قرقميش مهمة مواجهة المصريين والتصدى



شكل (١٢١) - النصر.

لهم . وحاول استرداد " هاپكيس " من عمه ولكنه هُزم ، وهكذا استعاد " خاتو شالى " ، الثالث عرشه ، و نفى ابن أخيه إلى شمال سوريا حيث حاول أن يوطد علاقاتة مع بابل التى خاضت صراعا علنيا مع " آشور " و" عيلام " . و قام " خاتو شالى " الثالث للمرة الثانية بإبعاد ابن أخيه المشاكس ، وربما إلى قبرص هذه المرة ، و حاول من جانبه تدعيم علاقاته مع بابل فسعى الى عقد اتفاقية مع " شالمناصر " . ونصل إلى منعطف هام فى علاقات مصر بالحيثيين " . فقد لجأ " أورهى تشوب " إلى مصر فى العام الثامن عشر من حكم " رمسيس الثانى ، وطالب " خاتو شالى " الثالث بتسليمه . فاستنفر "رمسيس " الثانى قواته و شن حملة على " أدوم " " و مؤاب " لسحق تمرد الأمراء المحليين ، ثم عاد ادراجه إلى مصر عبر أرض كنعان . وبعد مرور ثلاث سنوات وقع مع "خاتو شالى " الثالث ، أول معاهدة فى التاريخ بين دولتين ، واحتفظت كل من عاصمتى الامبراطوريتين بنسخة من المعاهدة مدونة بلغتها الخاصة . ونحن ندين للصدفة وحدها بأن الزمن قد حفظ لنا فى كل من البلدين نسخته الخاصة بهذه المعاهدة . والنسخة المصرية صورة من النص الأصلى الذى كان محفورا علـى لوح من الفضة ، وقد نقلت على لوحين من الحجر . الأول فى الكرنك و الثانى فى معبد " الرامسيوم " (KRI , II , 225 - 232) . وتضم المعاهدة بنودا خاصة بتسليم

المنشقين السياسيين ، كما وضعت الأسس الراسخة لسلام دائم . و الدليل على ذلك أنه لن تحدث مواجهات عسكرية بين البلدين طوال ماتبقى من حكم " رمسيس الثانى" . وتوطدت العلاقات الشخصية بين العائلتين المالكتين حتى يمكن تتبعها من خلال ستة وعشرين خطابا موجهة إلى خاتو شالى الثالث و ثلاثة عشر إلى زوجتة " بودوخيپا " . وتبادل أفراد العائلتين المراسلات و الهدايا . بل إن رمسيس الثانى قد تزوج من اميرتين "حيثيتين " . فتزوج الأولى فى العام الثالث والثلاثين من حكمه بعد أن احتفل للمرة الثانية بعيد " سد " . وخرج لاستقبالها فى موكب سلمى مهيب ، والتقى بموكب نظيره الحيثى عند دمشق حيث تآخى الجيشان . و خُلّد ذكرى هذا الحدث على سطح لوح حجرى بنص سجلت منه نسخ فى أبو سمبل، إلفنتين و الكرنك و عمارة غرب و عكشة و فى العام السادس والثلاثين من حكم " رمسيس الثانى " زار مصر ولى عهد الحيثيين الذى سيحمل لقب " تودخالياش " الرابع عندما يصبح ملكا . و من المحتمل أن والده " خاتوشالى " الثالث قد زار مصر فى العام الأربعين . وبعد انقضاء أربع سنوات تزوج " رمسيس " الثانى من إحدى أميرات الحيثيين . واستمرت العلاقات السلمية فى عهدى " تودخالياش " الرابع " وارنو وانداش " الثالث .وقد حافظت التقاليد بعد ذلك على ذكرى العلاقات الودية التى ربطت بين البلدين . و سجلها نص مدون فى وقت لاحق يرجع إلى العصر البطلمى ويسرد كيف أرسل ملك مصر إلى أمير بختسان تمثالا للإله " خنسو " يجلب الشفاء (**Louvre C 284**) .

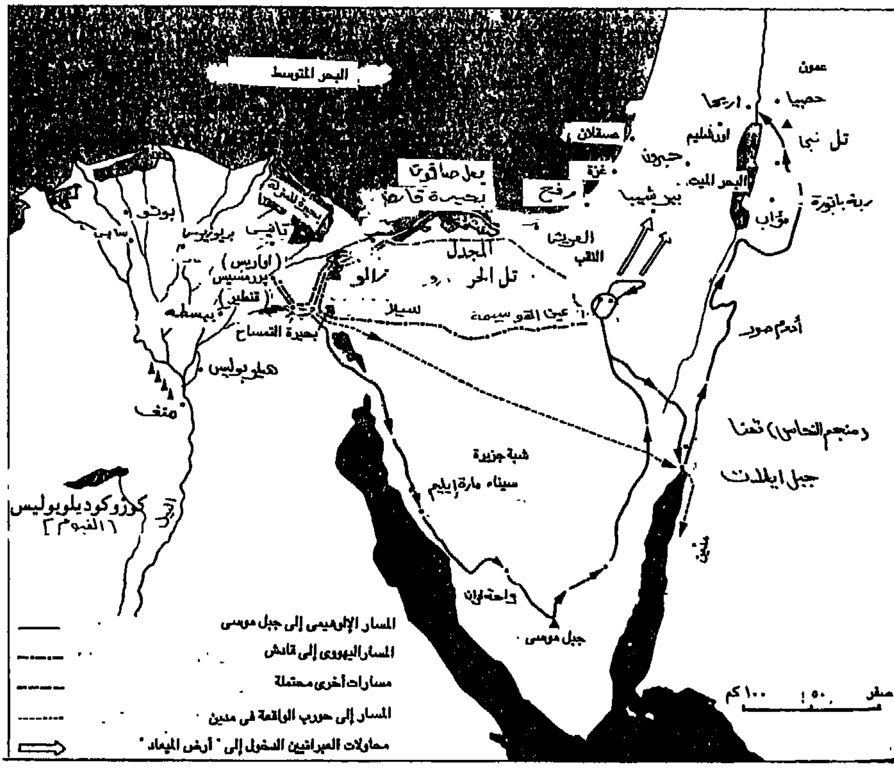
الخـــروج

من الممكن افتراض أن العبرانيين قد خرجوا من مصر خلال عهد رمسيس الثانى . لقد تحدثنا من قبل عن " العاپيرو " و ظهورهم فى الوثائق المصرية فى عصر" تحوتمس " الثالث . وقد ثبت وجودهم فى مصر فى ظل حكم رمسيس الثانى ، كما استخدموا فى نقل الاحجار إلى معبد ورد اسمه فى بردية " ليدن "**Leyde348**" وورد اسمهم أيضا فى بردية " هاريس " رقم ١ **Harris**. . كما نعلم أن عددا منهم يناهز الثمانمائة فرد حسبما ذكرته إحدى المدونات كانوا يعملون فى محاجر وادى الحمامات فى عهد " رمسيس " الرابع . وزاولوا فى عصر " رمسيس " الثانى صناعة الطوب . و ورد ذكر لجماعة من " العاپيرو " على مقربة من الحريم الملكى فى " مى ور " (مدينة الغراب) فى الفيوم .ولاتشير المعلومات التى وصلتنا إلى حدوث ثورات من أى نوع.

بل على العكس تشير المعلومات حول الجماعة الرئيسية التى بلغتنا أخبارها و هى مجتمع الحرفيين فى أرض مدين (أو إيلات حاليا) ، أنه كان مجتمعا حرا ارتبط بمصر بعلاقات تجارية و ثيقة . و كشفت حفائر إيلات عن وجود معبد محلى مكرس للالهة حتحور إلى جانب مابها من عبادات محلية .

ولاتتحدث المصادر المصرية عن " خروج " العبرانيين من مصر . ترى ما الذى كان يدعو المصريين أن يولوا الحدث نفس اهتمام العبرانيين به . و المرجع الوحيد عند الحديث عن مملكة اسرئيل الناشئة هو لوح يرجع إلى العام الخامس من حكم "مرنپتاح " نقرأ على سطحه اسم إسرائيل (KRI , IV , 12 , 7 - 19 , 11) . وللاستدلال على تاريخ الخروج توفر لنا الوقائع حدان : الأول ، هو إقامة " شعب الله المختار " فى الصحراء مدة أربعين سنة أو مايعادل جيلا كاملا على و جه التقريب . و الآخر هو الاستيلاء على مدينة أريحا عقب وفاة النبى موسى . واستنادا إلى هذا الحدث الأخير نصل إلى عام ١٢٥٠ كتاريخ أقصى ، وحد أخير للأحداث . ويعود بنا ذلك إلى بداية القرن الثالث عشر .

و يمكن إعادة ترتيب و قائع التاريخ على النحو التالى (Paris: 1976,X III Sq., d'aprés H. Gazelles): نشأ موسى على ما يعتقد نشأة مصرية حسبما ورد فى الكتاب المقدس (سفر أعمال الرسل : الاصحاح السابع : الآية ٢٢) ، ليمثل جماعته فى التعامل مع الإدارة المصرية . بل إن نشأته فى البلاط (سفر الخروج : الإصحاح الثانى : الآيتان ١٠ و ١١) ، لاتعنى بالضرورة أنه كان من المترددين على أفراد حاشية الملك - و هى حاشية " حور محب " على ما يفترض - او أنه كانت تربطه بهم علاقات ألفة . بل لايتعدى الأمر بكل بساطة أنه تمتع بالتعليم الذى يحصل عليه كل شخص مطلوب تأهيله للعمل فى سلك الوظائف العامة . و فى عهد سيتى عاد إلى ذويه ، واتفق ذلك مع بداية انشاء تحصينات شرقى الدلتا و بناء المدينة التى سيطلق عليها " پررمسيس " . ثم تعاقبت الأحداث : من اغتيال موسى (عليه السلام) الحارس المصرى ثم هروبه إلى " مدين " وزواجه ، فنزول الوحى عليه و العُلَّيْقة المتقدة نارا ، ثم عودته إلى مصر التى تتفق و السنوات الأولى من حكم "رمسيس " الثانى . ومن السهل إدراك الأسباب التى حدت بالملك إلى رفض رحيل العبرانيين للاعتكاف والأختلاء إلى أنفسهم فى الصحراء التى كانت من المناطق غير



شكل (١٢٢) - المسار المحتمل الذى سلكه العبرانيون عند خروجهم من مصر
نقلاً عن (Ramsès le Grand, Paris, 1976, pl.xLiv)

المأمونة على الإطلاق وبخاصة من السنة الثانية إلى السنة الثامنة من حكمه . و يزكى اختيار عهد " رمسيس " الثانى إطارا لهذه الأحداث عدد من العناصر نذكر منها على سبيل المثال تحديد موقع العاصمة ووفاة ورثة الملك الذى يعكس إلى حد ما واقعا تاريخيا حقيقيا الخ ... على أى حال فهناك شبه إجماع فى الوقت الراهن على توقيت خروج العبرانيين من مصر فى عهد "مرنپتاح"على أكثر تقدير، والذى يظن البعض نه مات أثناء مطاردته العبرانيين (Bucaille : 1987 , 147 - 151) .

الامبراطورية

أما فى الجنوب فلم يحدث ما يعكر صفو السلام السائد فيه ، اللهم إلا الثورة التى اندلعت فى " ايريم " فى العام العشرين من حكم رمسيس الثانى و التى سحقها دون رحمة أو شفقة . وعاد بعد قمعها و معه سبعة الآف أسير ، و ذلك إلى جانب الغزوة

الخاطفة التى اضطر نائب الملك " ستاو " أن يشنها ضد الليبيين القاطنين فى " مرمريكا" (مراقية) فى العام الرابع و الاربعين من حكمه . وبسط المصريون نفوذهم على أنحاء النوبة و مابها من مناجم الذهب التى غمرت خزينة الدولة . ووطد رمسيس الثانى سلطانه ، فطور المنشآت القائمة ، و شيد سبعة معابد في المنطقة الممتدة من الجندل الأول إلى الجندل الثانى . وقد تضافرت جهود الأسرة الدولية لإنقاذها من الغرق مع ارتفاع مستوى المياه فى بحيرة ناصر فى أعقاب الحرب العالمية الثانية . وفى " بيت الوالى " على بعد خمسين كيلو مترا جنوب أسوان أمر " رمسيس " الثانى بنقر معبد صخرى فى بداية حكمه . ويتكون المعبد من صالة أمامية و صالة ذات أسطونين و قدس أقداس مكرس لآمون والآلهة المحلية . و قد أعيد بناء المعبد فى الوقت الراهن بجوار معبد كلابشة ، وهو يضم العديد من المشاهد الحربية .

وفى العام الثلاثين من حكمه أقام الملك معبدا صخريا فى " الدر" على البر الشرقى من نهر النيل . و هذا المعبد هو " بيت رمسيس مرى آمون فى بيت رع " و مكرس للإله " رع " رب السماء " و لآمون رع فى الكرنك . و هو أضخم من معبد بيت الوالى . و يضم بهوى أساطين متعاقبين ، وربما كان يتقدمهما فناء و صرح. ويفضى البهوان إلى مقصورة قدس أقداس مثلثة ، تقام فيها الشعائر لتماثيل " رمسيس " الثانى بالاشتراك مع " رع حور اختى " و " پتاح ".

وبعد مرور خمس عشرة سنة أقام فى جرف حسين على البر الغربى معبدا أطلق عليه " بيت پتاح " و أشرف على تشييده نائب الملك " ستاو " . إنه نصف معبد صخرى وخصص لعبادة " پتاح " ،و " پتاح تاتنن " و " حتحور " بالاشتراك مع رمسيس " الإله العظيم " ، ويمتد طريق للكباش يؤدى الى صرح يفضى إلى فناء تكتنفه أروقة بتماثيل أوزيرية ضخمة . و تشكل و اجهة الفناء الغربية صرحا ثانيا منحوتا فى و جه الجبل . وبعد عبوره نصل إلى قدس الأقداس الذى تتقدمه قاعة تكتنفها تماثيل أوزيريه ضخمة . إنه نفس المسقط الأفقى الذى أقيم على أساسه معبدا "أبو" سمبل فيما بين العام الرابع و العشرين والعام الحادى والثلاثين من حكم رمسيس الثانى . و قد كرس أكبرهما للملك بالاشتراك مع " آمون رع " و" پتاح " و " حور اختى " . اما أصغرهما فقد كرس " لنفرتارى " بالاشتراك مع حتحور .

وتولى رمسيس الثانى ترميم المعبد الذى شيده " أمنحوتپ " الثالث فى وادى السبوع ولحق به الضرر فى فترة الاضطهادأت الآتونية .كما شيد معبداً كرسه للإله رع



شكل (١٢٣) - أهم المواقع فى النوبة فى عصر رمسيس الثانى.

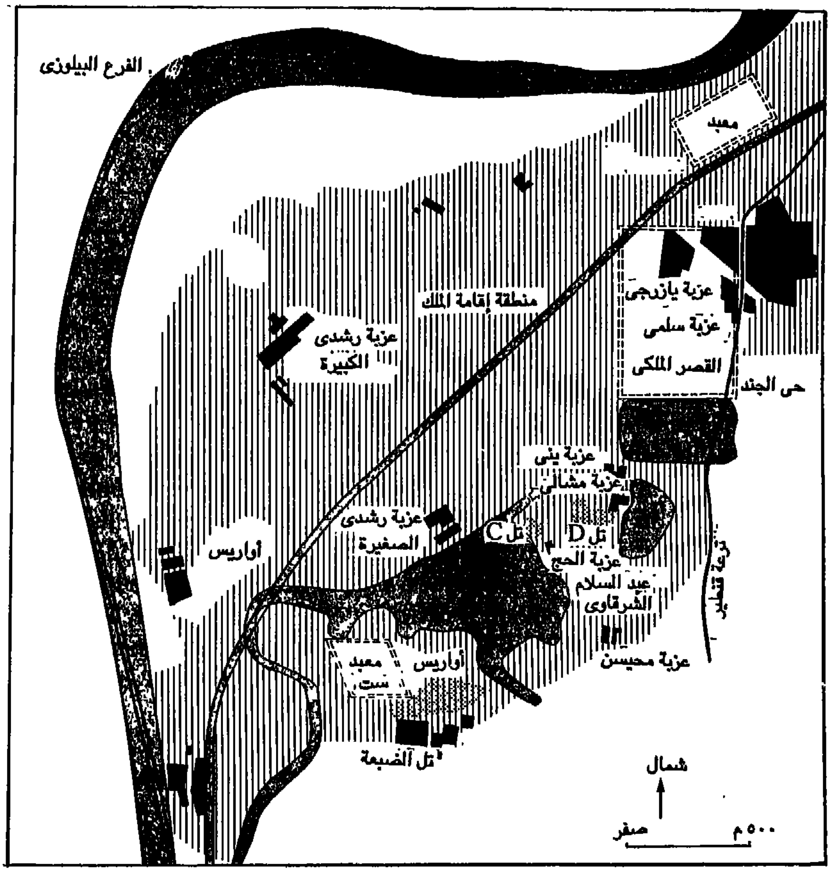
ولشخصه كإله ، والمقصود في واقع الأمر عبادة " صورته الحية في النوبة " وهو ما فعله ايضا في " عكاشة " ، جنبا إلى جنب مع عبادة الإلهين " آمون " و " رع " . وكان لهذه العبادة مايقابلها في مصر من خلال تماثيل الملك المقامة أمام المعابد . وتجرى هذه العبادة وفقا لشعائر محددة لها منشآتها الخاصة . اذ لايرتبط الامر بتأليه حقيقى للملك بل بعبادته كأقنوم الهى ، فلايعبد لشخصه بل كمظهر للإله الذى يمثله . و تنبع فلسفة هذه العبادة من نفس الفلسفة التى عرضنا لها عند الحديث عن " مسكن ملايين السنين " . فهى تخلق تعاونا متبادلا بين الإله والملك تدعيما لوضع كل منهما.

كما أقام " رمسيس " الثانى المنشآت فى " عمارة غرب " ، و هى موقع استراتيجى ينتهى عنده طريق " واحة سليمة " ، وملتقى السودان وواحة دنقل . وانتهى من تشييد مدينة " بيت رمسيس مرى آمون " التى أسسها " سيتى " الأول والتى أصبحت مقر محافظة " كوش " مع بداية الاسرة العشرين . و شمال شرق المدينة أمر باقامة معبد التزم الاتجاه الشمالى الجنوبى وكرس لآمون رع و آلهة الجندل و له شخصيا . وفى المعبد و على جدران بهو الأساطين و سط التصاوير التقليدية للبلدان الخاضعة لمصر ، نشاهد قائمة بالأمم التى هزمتها مصر و قد نقلت كما هى دون تغيير من معبد " أمنحوتپ " الثالث فى " صولب " ، وإن كان جانب كبير من القائمة قد غدا غير مطابق لحقائق العصر وواقعه . ومن الملاحظ فى هذا المعبد أن الملك يلجأ فى حقيقة الأمر إلى أساليب أشبه بأعمال السحر التى تحض على المقت و الكره التى عرضنا لها عند الحديث عن التماثيل الصغيرة التى شاعت خلال الدولة القديمة و الدولة الوسطى وكأنه يريد أن يفرض سلطانه و فقا لنموذج أولى ومثالى لا يتقيد بزمن أو عصر . وتأسيسا على ذلك من حقنا الأفتراض أن بلدة " عمارة غرب " كانت ترسم الحدود الجنوبية للإمبراطورية المصرية أو الأقاليم الحدودية ، إذا جاز التعبير .

اتسعت الإمبراطورية المصرية وأصبحت تمتد من الجندل الخامس وحتى شمال سوريا فكان ذلك سببا جوهريا و كافيا للتخلى عن طيبة كعاصمة للبلاد نظرا لموقعها القصى وماتفرضه مقتضيات السياسة الخارجية . و حل محلها موقع جديد شرقى الدلتا اقرب إلى الجيران الآسيويين وإلى مسقط رأس العائلة المالكة . ومن المفارقات أننا لم نتأكد من موقع هذه العاصمة إلا منذ اقل من عشرين سنة . لقد بحث عنها العلماء فى تانيس وبلوزيوم وسيلا إلخ .... إلى أن اكتشف محمود حمزه فى الثلاثينات قصرا من عصر

الرعامسة فى بلدة " قنتير " ورأى فيها لبيب حبشى عاصمة رمسيس الثانى . لقد أثبتت الأبحاث التى أجراها المعهد الألمانى للآثار بالقاهرة تحت إشراف منفريد بيتاك M. Bietak أن "بررمسيس " تقع فى حقيقة الأمر عند تل الضبعة بالقرب من فاقوس أى فوق موقع مدينة " أواريس " القديمة . كما أن لوح العام ٤٠٠ الذى سبق الحديث عنه قد خلد ذكرى إعادة الاستيلاء على الموقع فى أواخر حكم حور محب على الأرجح ، حيث عثر فى الموقع على عناصر معمارية تحمل اسمه .

كما شيد فيها سيتى الأول قصراً تم الكشف عن بعض بقاياه . ومع ذلك يعتبر " رمسيس " الثانى صاحب قرار اختيارها عاصمة للبلاد ، وبدأ يشيد المدينة فى حد ذاتها . واحتلت " بررمسيس " مكانة دولية بارزة عززها استقبالها



شكل (١٢٤) – موقع بررمسيس
(نقلاً عن M. Bietak, LÄ E´V 138)

لوفد الحيثيين من أجل السلام فى العام الحادى و العشرين من حكم " رمسيس " الثانى. ولم يكن الغرض من اختيار العاصمة الجديدة دبلوماسيا فحسب ، بل إنه أتاح للملك أن يقلص علاقاته بطيبة مع توطيد الروابط التى تجمع العائلة المالكة بمدينة هليوبوليس ومنف . وسوف تظل " بررمسيس " عاصمة مصر حتى آخر عصر الرعامسة . و حذا غالبية الفراعنة حذو رمسيس الثانى وأضافوا إليها المنشآت . وبحلول الاسرة الثانية والعشرين سوف يستبدل الموقع بمدينة " تانيس " ، بسبب تغيير مسار فرع النيل "البيلوزى" ،على الأرجح . وسوف تستخدم العاصمة القديمة كمحجر لبناء العاصمة الجديدة .

معابد مصر

أزال " رمسيس " الثانى كل أثر بقى من مرحلة العمارنة . فسمح بهدم مدينة " آخت آتون " بغرض إعادة بناء و توسيع مدينة هرموبوليس على البر المقابل من النيل . كما شيد لنفسه فى البر الغربى من طيبة معبدا جنائزيا هو " مسكن ملايين السنين المتحد مع طيبة " أو " مقبرة الملك أوسيمندياس " حسب رواية " ديودور "، وسوف يصبح هذا المعبد هو النموذخ الذى نقل عنه " رمسيس " الثالث عند تشييد معبده فى مدينة هابو (شكل ١٢٦) .

شيد " رمسيس الثانى معبده ملاصقا لمقصورة قدس أقداس " سيتى " الأول ، وعلى امتدادها ، وطور تخطيطها الذى يتكون من فناء يفضى عبر أحدور صاعد (٢) وباكية ، إلى فناء تكتنفه الصفات (٣) وينتهى ببهوى أساطين (٤) أقيمت من خلفهما القاعات المخصصة للشعائر (٥) . وللوصول إلى معبد " رمسيس " الثانى نعبر صرحا (٦) يؤدى إلى الفناء الأول (٧) الذى تطل عليه جهة الجنوب باكية (٩) من خلفها قصر يتكون من قاعة استقبالات (١٠) تفضى إلى قاعة العرش (١١) . وإلى الخلف من هذا القصر توجد أجنحة سكنية تحملنا على الاعتقاد بإمكانية إقامة الملك بها لفترات قصيرة . وينتهى الفناء الاول (٧) بأحدور يصل عبر صرح ثان شامخ إلى الفناء الثانى الذى تكتنفة الصفات (١٥) . ويحف بالأحدور تمثالان أوزيريان ملكيان ضخمان لم يبق منهما سوى تمثال واحد (١٤) ، وتنهض تماثيل أوزيرية ضخمة تمثل الملك على الجانبين الشرقى والغربى من الفناء الثانى . و ابتداء من هذه النقطة وعلى غرار معبد " سيتى " الأول فى أبيدوس ، يكتنف محور المعبد الرئيسى محوران ثانويان موازيان . وتخترق

المحاور الثلاثة بهو اساطين كبيرا تتعاقب وسطه ثلاثة أبهاء صغيرة على التوالى ، سقف الأول (٢٠) منها يحمل مناظر فلكية . و نصل أخيرا إلى مقاصير قدس الأقداس : فى الوسط المقصورة الرئيسية (٢٣) والى الشمال منها مقصورة المراكب (١٩) وإلى الجنوب معبد مصغر (١٨) يضم صالة و بهو أساطين و مقصورة قدس أقداس مثلثة لثالوت طيبة و سيتى الأول .وعلى خط مواز لهذا المعبد الصغير شيد معبد مكرس"لأوزيريس" (٢٥) . وتحيط بهذهِ المبانى منشآت الشعائر و المخازن و المبانى الإدارية ، ويلتف من حولها سور ضخم من الطوب اللبن .

يوجد قاسم مشترك يجمع بين هذه المجموعة المعمارية و معبدى " حتشبسوت " فى الدير البحرى " و سيتى " الأول فى أبيدوس . إنها الفلسفة التى أملت مشاركة الملك للآلهة المحليين فى نفس الشعائر . كما يجسد الرامسيوم المبدأ الذى أملى التخطيط التقليدى للمعبد المصرى ويتحكم فى اتجاهه مسار الشمس فى السماء : فأقيم مدخل المعبد فى الناحية الشرقية بحيث تخترق أشعة " رع " المشرقة الصرح الذى يمثل جبلا مزدوجا فتلامس تمثال الشعائر القائم على محور المعبد فى اقصى جهته الغربية . كما أن المعبد ليس بالمكان الذى يختلى فيه المؤمنون وتأملاتهم . بل إنه مسـكن الإله فحسب . ولذلك جاء تصميمه مشابها لخطة خلق الكون الذى يسهر الإله على استمراره و تجديده مع شروق الشمس عند مطلع كل نهار . وتنتظم المبانى بشكل عام على محور واحد يمتد فى المدخل وحتى قدس الأقداس . و يسمح المسار بالدنو من الأرباب بالتدريج ، عبر عدة مراحل تقابلها مستويات متعاقبة للطهارة اللازمة للاقتراب من الإله . ويتحقق ذلك بالانتقال المتدرج من النور إلى الظل الذى يتحول الى ظلمة فى قدس الأقداس حيث يقبع الإله . ويقترن ذلك بارتفاع تدريجى لأرضية المعبد حتى تبلغ أعلى مستوى لها ، أسفل الناووس الذى ينهض وكأنه اقيـم فوق التل الأزلى المنبثق من " نون " . وتخرج سيقان بردى الأساطين من المادة السائلة ، وترفع حواملها السماء التى صُورت على السطوح الداخلية لبلاطات السقف . ويحتاج المعبد إلى ثلاثة عناصر على الأقل لترجمة هذا الانتقال : فناء مفتوح كمدخل قد يخلو من أى عنصر معمارى ولكن من الضرورى أن يحد المدخل صرح يتكون من برجين على شكل شبه منحرف يمثلان الأفق . و كما أسلفنا فقد حُطم هذا الحاجز فى العمارنة رمزيا ، فأزيل من باب المدخل عتبه العلوى الذى يعتبر المكان المخصص لظهور الإله فى المعبد التقليدى . ويفضى الفناء الى بهو الأساطين . وقد ترتفع أرضية الباكية الوسطى بعض الشىء ، بحيث ينقسم البهو إلى ثلاثة اروقـة ارتفاع أسقفها غير متساوٍ ، و ترتبط الاسقف بواسطة شبابيك على شكل درابزيـن حجـرى

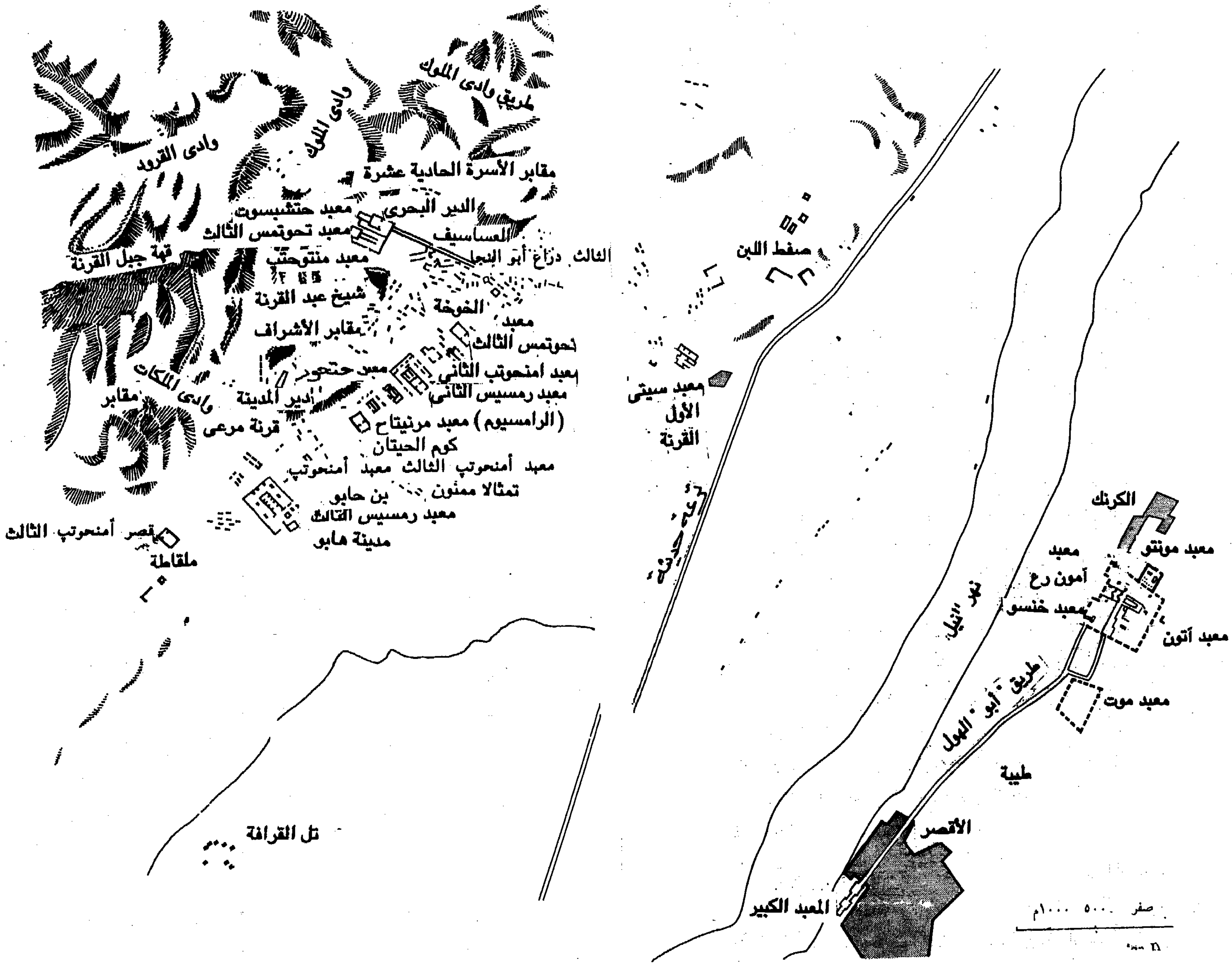
ينفذ منها ضـــوء خافت . و يعتبر هذا الغبش وهذا الضوء المحدود مكان تطهر كبـير الكهنة الذى يمـــلك و حده حق الاقتراب من الإله حيث ينتهى من تزيينه ويقدم مايلزمه من طعام وخدمة . ويحل الكاهن الاكبر عادة محل الملك فى الممارسة اليومية لشعائر المعبد . وبعد أن يتطهر الكاهن الأكبر فى ال " پر دوات " يدخل إلى " اديتون " أو " المكان الحريز المنيع " الذى تقع أمامه أحياناً حجرة للقرابين . وتكتمل هذه المجموعة المعمارية بإقامة مرساة أمام المعبد لاستقبال المركب الإلهى اثناء المواكب الدينية .

هذا النظام الذى يحدد توزيع أقسام المعبد هو الحد الأدنى الذى يلتزم به تخطيط مختلف المبانى المخصصة لأداء الشعائر .وليس هناك جمود فى تطبيق هذا النظام . فقد تفرض المتطلبات أو ثراء الإله إضافة زيادات : بدءا بإقامة الهياكل الملحقة أو إعداد الدروب المعدة لطوافِ المواكب ، علاوة على العمائر التى تضاف باستمرار على مر السنين. ونذكر على سبيل المثال معبد الأقصر (شكل ١٢٧) كمثال حى على الإضافات التى تلحق بالمعبد الأصلى فتضاعف من مساحته ، بل قد تحُوله إلى مدينة كما هو الحال بالنسبة للكرنك ، وهو ما سنوضحه فى الفصل التالى .

يرجع الإسم العربى لمعبد الأقصر إلى معسكرات القوات الرومانية**Castra** التى عسكرت فيه فى عهد " الامبراطورية " . وحفظ لنا الزمن المعبد - شأنه شأن العديد من المواقع الأثرية المصرية نظرا لتراكم طبقات المدينة فوقه ، ويشهد على ذلك مسجد أبى الحجاج . وقد اكتشف المعبد أثناء تنفيذ مشروع للصرف وتم تنظيفه بعد عام ١٨٨٣ .

بدأ أمنحوتپ الثالث تشييد المعبد مستخدما بعض العناصر المعمارية القديمة ، ومنها مايرجع إلى الأسرة الثالثة عشرة . التزم المعبد بصرامة بالمعايير الكلاسيكية فهو يبدأ بالصرح ثم يليه فناء مكشوف تكتنفه الصفات ، فبهو للأساطين يفضى إلى بهوين صغيرين جدا للأساطين . وتلاصق آخرهمامقصورة " الماميزى " فاستراحة المراكب التى كانت أصلا عبارة عن مظلة من الخشب .ثم شيد مكانها " الإسكندر " استراحة من الحجر. وأخيرا قاعة القرابين ، فقدس الأقداس .وتكون هذه الأجزاء فى مجموعها معبد "الحريم الجنوبى " التابع لمعبد آمون - رع بالكرنك.

كما أمر " توت عنخ آمون " أن تسجل على الجدران المحيطة بصفى أساطين رواق الطواف (٧) مناظر موكب عيد " أوپت " ورحلة آمون السنوية التى تنتهى عند الأقصر . أما باقى زخارف الجدران والأساطين فقد استكملها " آى " و " حور محب "

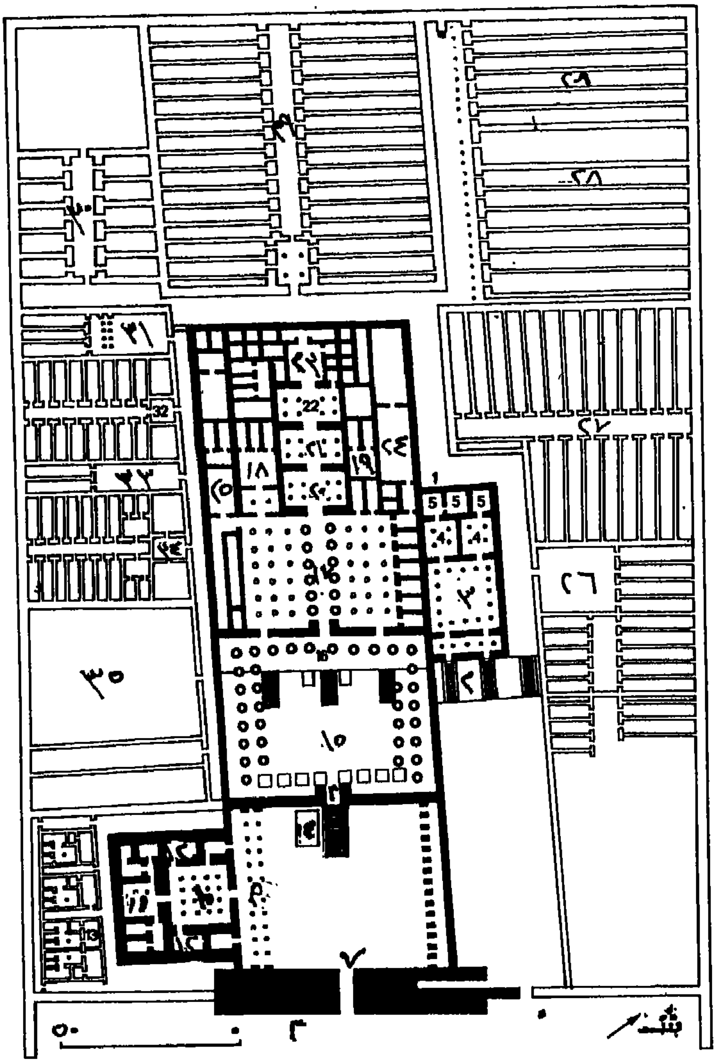


شكل(١٢٥) - خريطة عامة لطيبة.(نقلاً عن Leclant:1979-fig431)

و "سيتى الأول " وأجرى " رمسيس " الثانى التوسعات فى المعبد ، فأضاف الأجزاء الواقعه أمام معبد " أمنحوتپ " الثالث . أما صفا اساطين رواق الطواف (٧) التى كانت حسب تصميم " أمنحوتپ " الثالث نقطة وصول طريق تماثيل " أبو " الهول التى تربط معبد الأقصر بمعبد الكرنك ،فقد أعاد " رمسيس " الثانى استخدامها للربط بين فناء أمنحوتپ الثالث وفناء أمامي جديد تكتنفه الصفات (٨) . وشيد صرحا شامخا على جانبيه مسلتان وستة تماثيل ضخمة فى مواجهة طريق تماثيل " أبو " الهول المتجه إلى الكرنك .وقد نقلت المسلة الغربية إلى باريس حيث تزين ميدان " الكونكورد " La Concorde .

لقد تغير محور المعبد بسبب تغير تحديد الجهات الأصلية عندما قام " رمسيس " الثانى بتوسعاته . ويرجع الفارق بين المحور الجديد ومحور أمنحوتپ الثالث إلى فارق زاوية نقطة رصد شروق نجم الشعرى اليمانية التى حددت اتجاه المعبد ناحية الشرق ، فى كل من عهدى أمنحوتپ الثالث و " رمسيس " الثانى . وقد شهد المعبد أعمالا إنشائية اخرى ، حتى أنه استضاف فى عهد " دقلديانوس " قاعة خصصت لإقامة شعائر الإمبراطور (٤) وقد شغلت بهو الأساطين الصغير الأول .

توفى " رمسيس " الثانى بعد حكم مديد هو من اطول ما عرفته مصر . وخلّف وراءه بلدا بلغ أوج قوته وإشعاعه الثقافى ، الى جانب المشكلات المرتبطة بوراثة العرش . لقد قارب عدد أولاده المائة ، اذا صحت الروايات التقليدية المتواترة . فرمسيس الثانى الذى شارك فى الحقيقة فى أربعة عشر عيدا من أعياد " سد " ، فقد العديد من أولاده أثناء حياته ونذكر منهم " سات حور خبش إف " الذى أصبح وليا للعهد اعتبارا من العام التاسع عشر . ثم " رمسيس " الذى حل محله فى العام الخامس والعشرين . وأخيرا الأمير " خع إم واست " وكان عالما اثريا ، قام بترميم عمائر منف ، وكان على قدر كبير من الثقافة . وارتبط اسمه بشعائر عبادة پتاح من العام الخامس عشر ، باعتباره كاهن "سم " فى بداية الأمر ، ثم صار كبير الكهنة . وبصفته هذه أشرف على احتفالات اليوبيل التسعة الأولى التى أقيمت على شرف أبيه . وتوفى فى العام الخامس والخمسين ، تاركا مكانه لولى العهد "مرنپتاح " الذى اعتلى عرش البلاد عند وفاة أبيه . ودفنت مومياء " رمسيس" الثانى فى وادى الملوك (VdR 7) ثم انتهى بها المطاف فى خبيئة الدير البحرى.



٠ سور حرم المعبد

مقصورة قدس أقداس سيتي الأول

١ ودائع أساسات باسم سيتي الأول
٢ المدخل
٣ فناء تكتنفة الصفات
٤ بهو أساطين
٥ قاعات الشعائر

معبد رمسيس الثانى الجنائزى

٦ الصرح الأول
٧ الفناء الأول
٨ الصرح الثانى
٩ باكية
١٠ قاعة الاستقبالات
١١ قاعة العرش
١٢ عشر حجرات جانبية
١٣ أجنحة سكنية
١٤ تمثال ضخم
١٥ الفناء الثانى
١٦ الباكية الغربية
١٧ بهو أساطين
١٨ معبد مصغر لثالوث طيبة وسيتي الأول
١٩ مقصورة المراكب
بهو أساطين (سقف بمناظر فلكية)
٢١ بهو أساطين
٢٢ بهو أساطين
٢٣ مقصورة قدس الأقداس الرئيسية
٢٤ فناء مكشوف وقاعة أعمدة
٢٥ معبد أوزيريس

المخازن

٢٦ المربع الأول
٢٧ المربع الثانى
٢٨ المربع الثالث
٢٩ المربع الرابع
٣٠ المربع الخامس
٣١ مبنى إدارى
٣٢ المربع السادس
٣٣ مبنى إدارى
٣٤ المربع السابع
٣٥ فناء كبير مستطيل

شكل (١٢٦) - مسقط أفقى للرامسيوم (معبد رمسيس الثانى الجنائزى)

مصاعب وراثة العرش بعد رمسيس الثانى

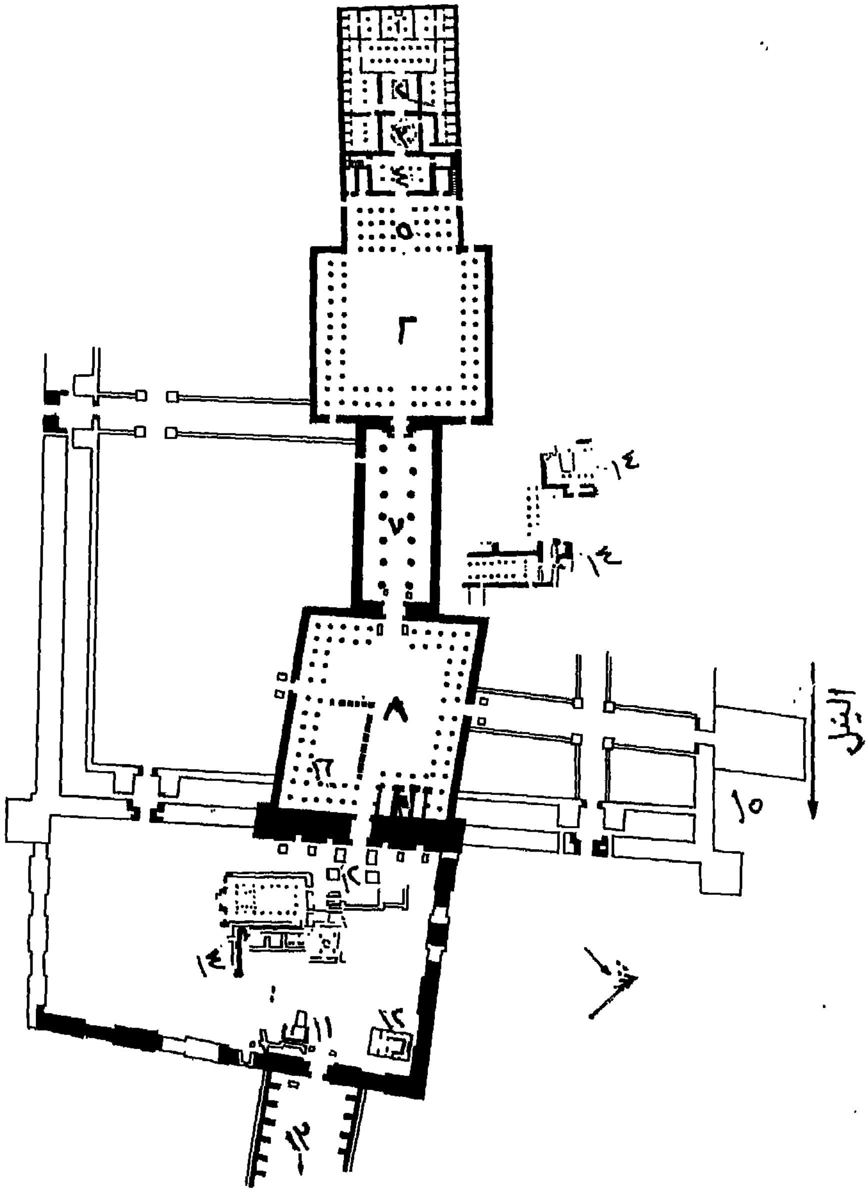
لم تستمر الأسرة التاسعة عشرة أكثر من جيل بعد وفاة " رمسيس " الثانى . ولم يثر اعتلاء " مرنپتاح " العرش أى مشاكل ، على مايبدو ، إذ تم اختياره من قبل أبيه وهو لايزال على قيد الحياة ولم يكن سوى ابنه الثالث عشر الذى رزق به من زوجته الملكة "إيزيس نفرت " التى أنجبت له ثلاثة أولاد من قبله .واستمر حكمه أقل من عشر سنوات، ورزق من زوجته التى كانت تحمل هى أيضا اسم " إيزيس نفرت " ابنا يدعى " سيتى مرنپتاح " سوف يصبح فيما بعد الملك " سيتى " الثانى .

وأبقى مرنپتاح على " پررمسيس " عاصمة لمصر ، ولكن مكانة مدينة منف تعاظمت فى عهده اذ شيد فيها قصرا ، ثم معبدا كرسه لإقامة شعائره الجنائزية ، وبدأ العمل فى معبد للإله پتاح . وعثر على آثار لنشاطه فى ميناء هليوبوليس وفى هرموپوليس حيث استكمل ، على الأرجح ، المعبد الذى بدأ رمسيس الثانى فى تشييده. وفى بلدة " السرايرية " الواقعة شمال المنيا أقام معبدا منحوتا فى الصخر وكرسه للإلهة حتحور " سيدة اللهبين المتأججين " . كما أقام معبدا صخريا فى جبل السلسلة . وربما شيد معبدا فى دير المدينة ؟ ولكنه اغتصب على كل حال " أوزيريون " أبيدوس والمعبد الذى خصصه " منتحوتب " " الثانى " " لحتحور " فى دندرة . كما شيد معبدا جنائزيا بمواد البناء المتخلفة عن هدم معبد أمنحوتپ الثالث فى طيبة وأخيرا ، وليس آخرا ، دفن فى وادى الملوك (VdR 8)

ترتبط أبرز أحداث عهده بالسياسة الخارجية. فقد ظل " مرنپتاح " يتمتع فى آسيا بنتائج المعاهدة التى عقدها " رمسيس " الثانى فى العام الحادى والعشرين من حكمه بين مصر و " الحيثيين " . بل إنه امد " الحيثيين " بالقمح عندما أصابتهم المجاعة . واستقرت الحدود بين الإمبراطوريتين عند خط يمتد من دمشق إلى بيبلوس ، واحتفظت مصر بحامياتها فى مناطق سوريا وفلسطين . ومع ذلك فقد اضطر " مرنپتاح " أن يجرد حملة ضد عسقلان وجزر وإسرائيل ، كما سحق تمردا فى كوش . ويبدو أن الليبيين القاطنين فى " مرماريكا " كانوا وراء هذا التمرد ، فقد بدأت ليبيا تلعب دورا متزايد التأثيرعلى الأحداث الجارية فى البحر المتوسط . وسبق أن اضطر رمسيس الثانى إلى التصدى لمحاولات الشرادنا ، فأقام غربا سلسلة من التحصينات .كانت هذه الشعوب قد وصلت قبل قرن من الزمن الى ارض " التحنو " مع غيرها مـن الشعوب القادمة عبر

البحر المتوسط بعد أن دفعتها إلــى الجنــوب الهجــرات الهندو - أوروبية ، ومنها شعب "الليبو " الذى اشتق منه اسم ليبيا الحالى ، وشعب " المشاوش " والتعزيزات البشرية التى زحفت وراءه من شعوب هندو - اوروبية سعيا وراء مناطق جديدة تستقر فيها ، كشعوب " الأكواش " و " الشاكالاش " و " التورشا " التى قدمت من شواطىء الأناضول ومن جزر بحر إيجه . وأطلق المصريون على هذه الجماعات البشريه اسما نوعيا واحدا شملها جميعا وهو " شعوب البحر " . وحاول تحالف من هذه الشعوب الإغارة على مصر فى أواخر السنة الخامسة من حكم " مرنپتاح " . وباغت هجومهم المصريين الذين تأخر ردهم شهرا من الزمن ، ولكنهم تمكنوا من صدهم ودحرهم وقتلوا منهم ستة الآف مقاتل وأسروا منهم ستة الاف جندى . وتدل ضخامة هذه الأرقام على أهمية هذا الصدام الذى كان مجرد محاولة أولى فحسب إذ سوف تزحف موجة الهجوم الثانية بعد عشرين سنة فى عهد رمسيس الثالث .

وساد الغموض السنوات الخمسة عشر الأخيرة من الأسرة التاسعة عشرة . أما الرواية التى سجلت فى وقت لاحق عن هذه الفترة فى عهدى " ست نخت " و " رمسيس" الرابع فلا تلقى الضوء على الموقف نظرا للصورة المظلمة التى تعمدت رسمها عن هذه السنوات . وبوفاة مرنپتاح تفجرت أزمة وراثة العرش ، وكان ذلك متوقعا بالنظر إلى طول مدة حكم "رمسيس " الثانى . فوفاة أولياء العهد تباعا واختيار " مرنپتاح " لتولى السلطة رغم ترتيبة الثالث عشر، كانا سببا فى ما احتدم من صراع بين أفراد الجيل اللاحق من العائلة المالكة الذين خرجوا من صلب رمسيس الثانى ، وتولى أحدهم السلطة ويدعى" آمون مس " الذى ربما كان ابن " تاخعييت " من بنات رمسيس الثانى التى لا نعرف عنها شيئا . أما هو فقد تزوج الملكة " تى عا "وأنجب منها ابنا سوف يخلف أباه ويدعى "سى پتاح " . ويبدو أن حكم " آمون مس " قد دام خمس سنوات، إذا اخذنا بما ورد فى بردية " سالت ١٢٤ Salt ومن الصعب تتبع ماتركه هذا الملك من أثر على المبانى لما عرف عنه فيما بعد من اغتصابه منشآت أسلافه . ولكن جاء خليفته ليمحو بدوره اسمه ! وظلت مقبرته فى وادى الملوك (VdR10) ناقصة لم تكتمل، وتم إتلافها عن عمد وقصد. وقد وصلنا مصدر هام للمعلومات عن هذا العصر جدير بالثقة إلى حد كبير ، هو محفوظات جماعة الحرفيين بدير المدينة التى نجح العلماء فى إعادة تصنيفها ، وتسجل المصاعب التى واجهتها الحكومة للوفاء بمسئولياتها ، والمواظبة على إمداد القرية بالمؤن ، وانفجار الاضطرابات فى منطقة طيبة .



١ مقصورة قدس أقداس امنحوتپ الثالث
٢ مقصورة الإسكندر لاستراحة المراكب
٣ الماليزى
٤ هيكل رومانى
٥ بهو أساطين

٦ فناء امنحوتپ الثالث الأمامى
٧ رواق الطواف (امنحوتپ الثالث)
٨ فناء رمسيس الثانى
٩ استراحة ثالوث طيبة
١٠ مسلة مازالت قائمة فى مكانها
١١ معبد حتحور

١٢ هيكل رومانى مكرس لزيوس - هليوس - سرابيس
١٣ الطريق المقدس
١٤ كنائس
١٥ المرسى ومقياس النيل
١٦ مسجد أبى الحجاج

شكل (١٢٧) - مسقط أفقى لمعبد الأقصر



شكل(١٢٨) - رمسيس الثانى جالساً ممسكاً بالصولجان"حقا"،بين"آمون حر خبش إف". من ناحية

وزوجته فى الناحية الأخرى. تمثال عثر عليه فى الكرنك. من الجرانيت الارتفاع ١٩٠سم

(Museo egizio1380 -متحف تورينو)



شكل (١٢٩) - "حعپى" يكتب .
تمثال الكوارتزيت . الارتفاع ٦٩سم (CGC 42184)

أعمال الأغتصاب والتعدى

بعد خمس سنوات حل " سيتى " الثانى محل " آمون مس " ، و " سيتى " الثانى هو الوريث الشرعى " لمرنپتاح " ، وقد ساد الهدوء النسبى على ما يبدو طيلة فترة حكمه الذى دام ست سنوات . وإذا لم يخلف لنا الزمن شيئا عن سياسته الخارجية ، فمن الملاحظ مع ذلك استمرار النشاط فى مناجم سرابيط الخادم . كما وضع برنامجاً للانشاءات كان تنفيذه أقل طموحا من ألفاظه الرنانة .ومع ذلك فقد خلف لنا آثاراً فى هرموپوليس حيث استكمل زخرفة معبد " رمسيس " الثانى ، كما شيد فى الكرنك معبد لاستراحة المركب المقدس فى الفناء الأول من معبد " آمون - رع " بالإضافة إلى عدد من الزيادات التى أضافها لمعبد " موت ".

وتزوج " سيتى " الثانى ثلاث ملكات مما ترتب عليه تعقيدات فى نظام وراثة العرش . فقد اتخذ من " تاخعيت " الثانية زوجة أولى إلا أنه لم ينجب منها على مايبدو وريثاً للعرش . ولكنه رزق من زوجته الثانية الملكة " تاوسرت " ابناً حمل إسم " سيتى- مرنتپاح " مثل أبيه ، إلا أنه توفى للأسف طفلا قبل و فاة أبيه ، فارتقى عرش البلاد الأمير"رمسيس سى پتاح " ابن الملكة الثالثة .وبالنظر إلى صغر سنه على ممارسة سلطاته ، فقد اضطلعت " تاوسرت " زوجة أبيه بدور الوصاية على عرش البلاد . ولم يشكك الجهاز الإدارى قط فى شرعية الملك الصغير ، فأعرب الضباط المصريون عن ولائهم لملك البلاد فى المخربشات التى خلفوها فى النوبة . لقد حكم البلاد فى ظل الوصاية الثنائية لكل من زوجة أبيه و " باى " حامل الأختام " الذى أقام الملك على عرش أبيه " . ولم يذكر المصريون هذا الشخص كما لم يذكروا " تاوسرت " بالخير . وشغل " باى " منصب الكاتب الملكى فى خدمة " سيتى " الثانى ، ويروى التقليد المتواتر أنه غرر بأرملة الملك المتوفى التى عينته مشرفاً على كل الخزانة . ومن الواضح أن مكانته فى البلاط الملكى بلغت مستوى رفيعاً حتى أنه استطاع أن يجهز لنفسه مقبرة فى وادى الملوك (VdR13) ومن المتفق عليه أنه أجنبى الأصل، وأنه الشخص الذى تشير إليه بردية" هاريس" (Harris) بعبارات أبعد ماتكون عن الزلفى والمداهنة عندما تتحدث عن الفوضى التى سادت عصره:

" سادت مصر الاضطرابات . وأصبح كل شخص يضع قانونه الخاص . وعلى امتداد عدة سنوات لم تعرف مصر حكومة ، قبل أن تنتقل إلى عصر " الآخرين " . وتحكم الأعيان وعمد القرى فى البلاد، وذبح الإنسان زميله ورفيقه ، غنياً كان أم فقيراً . وسيطرت على مصر خلال السنوات " الفارغة " عائلة غريبة كان " إرسو " السورى واحدا من أفرادها واعتبر نفسه من الأعيان . وبصفته الإدارية سيطر " إرسو " على البلاد بأسرها ، وتآمر هو وأعوانه للسطو على الناس ؛ وعوملت الألهة كما لو كانت من البشر، فلم تقدم لها القرابين فى معابدها » (بردية هاريس رقم ١ : ٧٥ : ٢ - ٦) .

ويمكن أن يعنى إسم " إرسو " بالمصرية القديمة " الشخص الذى كون نفسه بنفسه " أى " العصامى " . وربما كان أسلوباً تهكمياً للإشارة إلى " باى " لحرمانه من الوجود والمرور إلى العالم الآخر بعد الوفاة ، وهى الحالة التى يمكن أن يصل إليها المتوفى بمجرد النطق باسمه الحقيقى . كما أن عدم ذكر الإسم الحقيقى للمتوفى هو أسلوب شاع

فـى النصوص السياسية ، وسـوف نجد تطبيقاً له خلال المؤامرة التى تم تدبيرها ضـد رمسيس " الثالث . أمـا السـنوات " الفارغة " فتشير إلى الزمن الذى ظلت فيه السلطة شاغرة بعد أن شغلتها عائلة مغتصبة .

وبعد انقضاء ثلاث سنوات ، أحدث " سى پتاح " تغييراً فى الإسم الذى اتخذه عند اعتلائه العرش ، فاسـتبدل " رمسيس سـى پتاح " بـإسـم جديـد هـو " مرنپتاح سـى پـتاح " (Drenkhahn : 1980, 15) . وبعد ثلاث سنوات توفى ودفن هو أيضا فـى وادى الملوك (VdR 47) وقد أزيل خرطوشـه الملكى فـى بادىء الأمـر ثـم أعيد ثانية ، ولم يعثر على معبده الجنائزى الذى لم يكتمل بناؤه على الأغلب . أما " تاوسرت " فقد دام حكمها سنتين . وإذا كان عصرها هو فى حقيقة الأمرأقل ازدهـاراً مما يـوحى به الأديب الفرنسـى تيوفيل جوتييه (Théophile Gautier) ، فقد تركت أثرا فى سيناء وفلسطين . وسجلت هليوبوليس نشاطها الإنشائى بالإضافة إلى طيبة بالطبع حيث شيدت معبدها الجنائزى جنوب الرامسيوم . وأقامت مقبرتها فى وادى الملوك (VdR 14) .

١٢٩٥ - ١١٨٨	الأسرة التاسعة عشرة
١٢٩٥ - ١٢٩٤	رمسيس الأول
١٢٩٤ - ١٢٧٩	سيتى الأول
١٢٧٩ - ١٢١٢	رمسيس الثانى
١٢١٢ - ١٢٠٢	مرنپتاح
١٢٠٢ - ١١٩٩	آمون مس
١٢٠٢ - ١١٩٦	سيتى الثانى
١١٩٦ - ١١٩٠	سى پتاح
١١٩٦ - ١١٨٨	تاوسرت
١١٨٨ - ١٠٦٩	الأسرة العشرون
١١٨٨ - ١١٨٦	ست نخت
١١٨٦ - ١١٥٤	رمسيس الثالث
١١٥٤ - ١١٤٨	رمسيس الرابع
١١٤٨ - ١١٤٤	رمسيس الخامس
١١٤٤ - ١١٣٦	رمسيس السادس
١١٣٦ - ١١٢٨	رمسيس السابع
١١٢٨ - ١١٢٥	رمسيس الثامن
١١٢٥ - ١١٠٧	رمسيس التاسع
١١٠٧ - ١٠٩٨	رمسيس العاشر
١٠٩٨ - ١٠٦٩	رمسيس الحادى عشر

شكل (١٣٠) - جدول الترتيب الزمنى للأسرتين التاسعة عشرة والعشرين

وقد اغتصب " ست نخت " مقبرتها وأكملها ، نظراً لأن الحفر الذى أجراه فى المقبرة رقم ١١ ، والتى كان يزمع أن يخصصها لنفسه ، قادت العمال صدفة إلى المقبرة المجاورة رقم ١٠ ، وهى مقبرة " أمون مس " . و يعلن " ست نخت " طرد الغاصب (KRI 671,10 - 672,14) وتنعته بردية هاريس رقم ١ بأنه صاحب الفضل فى إعادة النظام إلى ربوع مصر . ومن الواضح أن الانتقال إلى أسرة جديدة لم يقترن بالعنف . فقد أبقى " ست نخت " نائب الملك فى كوش " حورى بن كاما " مع ملاحظة أنه يدين بتعيينه إلى " مرنپتاح سى پتاح " وليس إلى " تاوسرت " . كما أبقى سَمِيّه الوزير حورى فى منصبه . ولم يدم حكم " ست نخت " سوى عامين . وكان إبنه الذى رزق به من الملكة " تى مر إن إيزيس " والتى يعنى إسمها " تى حبيبة إيزيس " هو الذى خلفه على عرش مصر ويعتبر آخر ملوك الدولة الحديثة العظام .

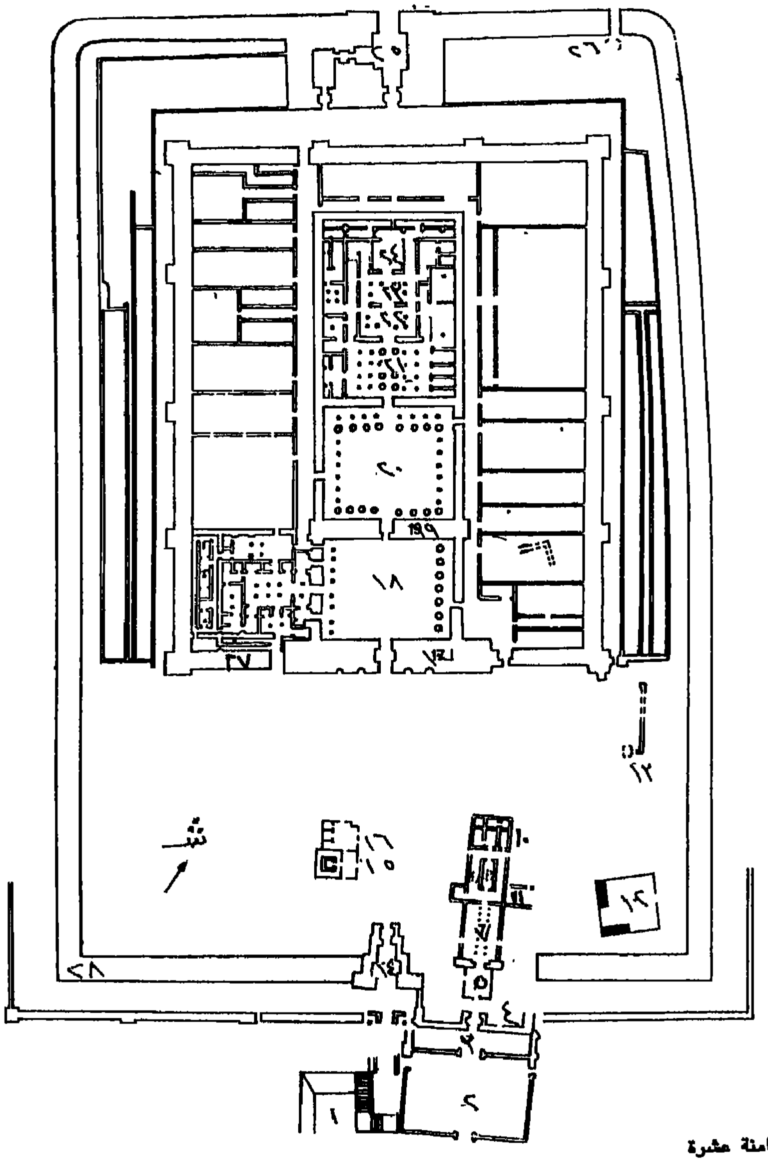
رمسيس الثالث

منذ البداية اتخذ رمسيس الثالث من " رمسيس " الثانى نموذجاً يقلده و يحاكيه . وحذا خلفاؤه حذوه ، ولكنه يظل أكثرهم تصميماً على التشبه به ، سواء بما اختاره من ألقاب ملكية أم بالمعبد الجنائزى الذى شاده على نموذج الرامسيوم . وإذا لم ينجح حقاً فى بلوغ عظمة سلفه المجيد ، فقد عادت مصر فى ظل حكمه تفرض للمرة الأخيرة نفوذها الأكيد على الشرق الأدنى . وتحرج موقفه فى الخارج على غرار الموقف الذى واجهه " رمسيس " الثانى . فالليبيون الذين تصدى لهم " مرنپتاح " وطردهم عاودوا الكرة وهاجموا غرب الدلتا ، فهزمهم " رمسيس " الثالث وأدمج قسماً من قواتهم فى الجيش المصرى . إلا أن انتصاره لم يكن ساحقا بل كان نسبيا بجميع المقاييس . ففى العام الحادى عشر من حكمه ، ولم يكن قد مر ست سنوات على المعركة الأولى ، اجتاحت مصر موجة جديدة من الليبيين ، ولكن المصريين حققوا نصراً جديداً ، وألحق الأسرى كمرتزقة فى الفيوم والدلتا . وتحمل أجساد هؤلاء القوم أثر وضعهم المستعبد الذليل إذ تم كيّهم بالحديد المحمّى . لقد فقدوا كافة ممتلكاتهم وعلى رأسها قطعانهم التى ألحقت بممتلكات "آمون " ، كما وقعوا أسرى هم ونساؤهم وأطفالهم . واستطاعوا أن يتكاثروا وينجبوا الذرية التى جددت الآليات التى كانت قد مهدت للغزوات التى شهدتها مصر فى أواخر الدولة الوسطى . وشيئا فشيئاً ، تألفت جماعات ليبية إلى هذا الحد أو ذاك ، جانب منها من أبناء المهزومين ، وجانبها الآخر من المستوطنين الذين نزحوا عبر

غرب الدلتا سلمياً ، وتركزت هذه الجماعات فى مناطق محددة ثم استولت على السلطة عندما غرقت الدولة فى بحار الفوضى .

وفى العام الثامن من حكمه وفى فترة مابين الحربين الليبيتين تصدى " رمسيس " الثالث لغزوة جديدة شنتها شعوب البحر والبلستى (أوالفلسطينيون) الذين انضموا إليهم . واستطاعت حاميات فلسطين أن توقف زحفهم البرى ، غير أنهم تسللوا إلى الدلتا عبر مصبات النيل الشرقية فالتقى بهم " رمسيس " الثالث فى معركة بحرية سرد وقائعها هى والحملتين الأخريين على جدران معبده الجنائزى فى مدينة هابو. وقد أحيطت بمشاهد مستمدة من الحوليات ونوادرها ، فنرى المصريين وهم يخوضون معارك وهمية ضد الحيثيين والسوريين والنوبيين ... نُسخت مناظرها من المشاهد المصورة على جدران الرامسيوم .

يقع المكان الذى اختاره " رمسيس " الثالث لإقامة معبده الجنائزى على بعد حوالى كيلو متر واحد إلى الجنوب من الرامسيوم . إن اسم مدينة هابو الذى يطلق حالياً على هذا الموقع يقصد به المدينة المسيحية التى استقرت خلف أسوار المعبد والتى انتقلت فيما بعد إلى إسنا مع الفتح العربى .كان الموقع تابعاً لمعبد الأقصر خلال الأسرة الثامنة عشرة ، فهو "الأكمة الغربية " للمعبد . وظلت هذه الذكريات حية حتى العصر المتأخر وتجسدت فى دفنة " آمون كاموتف " وموكب " إمن إم أپت " . وبحلول الأسرة الحادية والعشرين أصبح المكان مأوى لسكان المناطق المجـــاورة الذين أسـسوا فيه مدينة تحولت إلى مطرانية فى العصر المسيحى ، وقــد أطلق عليها " يات چامت " واختصارها " چيمة " التى اصبحت باليونانية " طيبَى " (Thebai) . وتهيئ لنا هذه المدنية ، استراتيجرافياً ، تشكيلا من طبقات أرض متراصة ومتعاقبة بدءاً من الأسرة الحادية والعشرين وحتى الفتح العربى ولكنها للأسف لم تجد الاهتمام الذى يليق بها . لقد هجرها القوم مع الفتح العربى ، وكانت على حالها تقريبا عندما اكتشفها أوجست ماريبت عام ١٨٦٠ وقــام بأعمـال التنظيف الأوليـة التى واصلهـــا جريبـو E. Grébaut وجـورج دارسـى G. Daressy. واقتصر عملهما على إخلاء المكان بأســرع مايمكن من المبـــانى المشيدة بالطـــوب النئ للوصــــول إلى الطبقات القديمة . وقام تيودور ديفيز Th. Davies عام ١٩١٢ بالتنقيب عن معبد "رمسيس " الثالث .وفى عام ١٩١٣ نهب "جامعو السباخ" المنشآت المشيدة بالطوب اللبن لاستخدامها سماداً للأرض الزراعية . وقام المعهد الشرقى

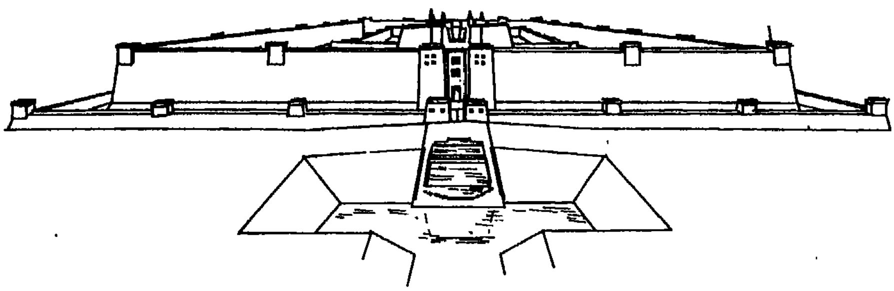


١ المرسى
معبد الأسرة الثامنة عشرة
٢ فناء من العصر الروماني
٣ رواق من العصر البطلمي
٤ الصرح الأول (بطلمى)
٥ الفناء الأول (نختنبو الأول)
٦ الصرح الثانى شباكا
٧ فناء ذو أعمدة من العصر الصاوى
٨ مقصورة المركب
٩ فناء ذو صفات
١٠ القاعات الغربية
١١ قاعة هكر (أكوريس)
١٢ البحيرة المقدسة

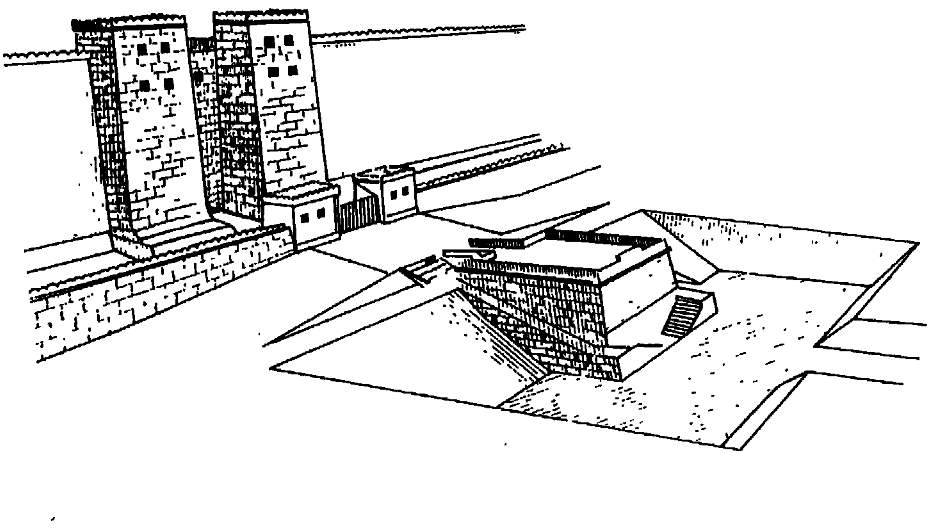
١٣ مقياس النيل
١٤ بوابة
هياكل عابدات الإله
١٥ هيكل امنرديس
١٦ هياكل نيتوكريس
وشبن أوبت الثانية
والملكة محتى إن وسخت
المعبد الجنائزى لرمسيس الثالث
١٧ الصرح الأول
١٨ الفناء الأول

١٩ الصرح الثانى
٢٠ الفناء الثانى
٢١ بهو الأساطين الأول
٢٢ بهو الأساطين الثانى
٢٣ بهو الأساطين الثالث
٢٤ مقصورة المركب
٢٥ باب غربى محصن
٢٦ باب رمسيس الثالث
٢٧ القصر
٢٨ سور الحرم

شكل (١٣١) – معابد مدينة هابو



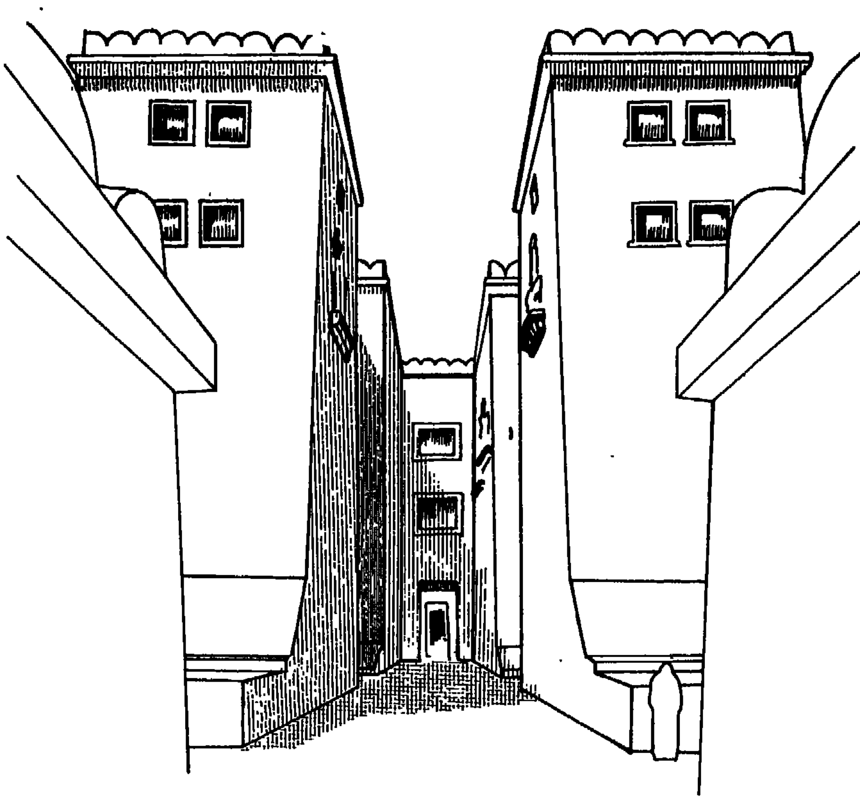
شكل (١٣٢) - منظور رسم تخيلى لأسوار مدينة هابو: من ناحية الشرق



شكل (١٣٣) - تفصيل المرسى والبوابة

Oriental Institute بشيكاغو بإعداد تقرير عن المعابد على امتداد ست مواسم من ١٩٢٧ وحتى ١٩٣٣ .

وعندما استقر رأى " رمسيس " الثالث على إقامة معبد جنائزى فى هذا المكان كان الموقع يضم مجموعة مبان (شكل ١٣١ / ٩ - ١١) بدأ تشييدها " أمنحوتب " الأول وأكملتها " حتشبسوت " و " تحوتمس " الثالث . وأضيفت إليها تباعاً سلسلة من الزيادات آخرها فى العصر الرومانى (٧ -٢) . وأحاط " رمسيس " الثالث هذه المجموعة المعمارية بسور يشكل محيطا متراميا يفسح المكان لرحبة تفصل الصرح الأول عن المدخل الشامخ الذى يفضى إلى رصيف المرسى (١) . ومازالت هذه المبانى تحتفظ بالخطوط العامة للشكل الخارجي للمعبد المصرى .

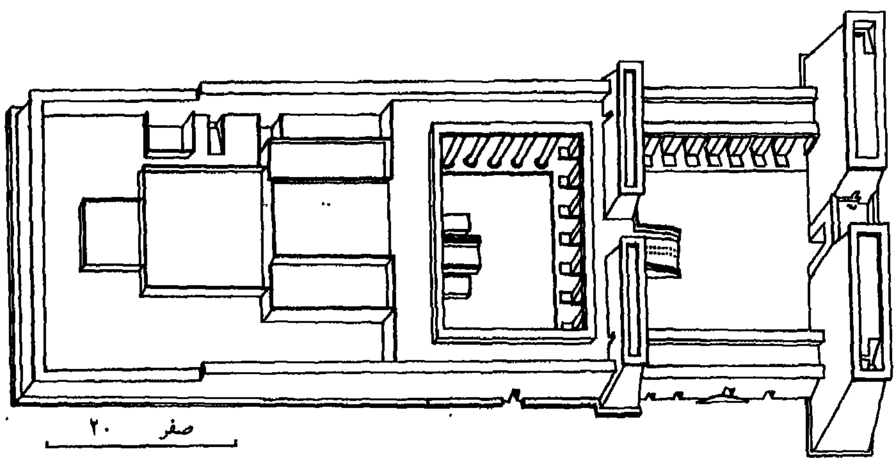


شكل (١٣٤) - مسقط رأسى. منظور واجهة :مجدل" (القلاع السورية)

أما المعبد فى حد ذاته فله سوره الخاص ، وقد أخذ عند تشييده بالنموذج التخطيطى للرامسيوم . وتتوسط المعبد منشأت الشعائر . أما المخازن والمبانى الملحقة فتنتشر على طول محيط المعبد . وينهض صرحان (١٧ - ١٩) على التوالى يفضى كل منهما إلى فناء ، ثم نعبر ثلاثة أبهاء أساطين متعاقبة لنصل تدريجياً إلى قدس الأقداس. ويفضى الفناء الأول (١٨) إلى القصر (٢٧) الذى يتكون -بالإضافة إلى قاعات الإحتفالات - من الأجنحة الخاصة ، المجهزة بحمام .

وصورت معارك " رمسيس " الثالث على السطوح الداخلية للمعبد والسطوح الخارجية لسور حرم المعبد . ونشاهد على الواجهة الخارجية للصرح الأول (١٧) شعائر تقديم المغانم " لآمون " وتكريسها له . ودوّن على البرج الشمالى وقائع الحرب الليبية الثانية . ويحمل جدار سور حرم المعبد مسرداً للحملات العسكرية التى قادها الملك، وفى المقام الأول المعركة البحرية التى خاضها ضد شعوب البحر .

كان الغرض من هذه المناظر أن يشاهدها جمهور المؤمنين الذين حُرّم عليهم دخول المعبد الذى أصبحت له وظيفة إعلامية ، كما أنه أيضا كان مكانا يمارس فيه الملك مختلف أوجه نشاطه لصالح الإله . فالمعبد يمثل الكون المتمركز حول الإله الذى يسهر الملك على إقامة شعائره . والنصوص والمناظر العسكرية هى آثار بمعنى الكلمة ، تنقل إلى الأجيال القادمة أشهر الأحداث وقيمتها كنموذج أولى يتعدى مفهوم الزمن:



شكل (١٣٥) - مسقط رأسى للمعبد الجنائزى لرمسيس الثالث

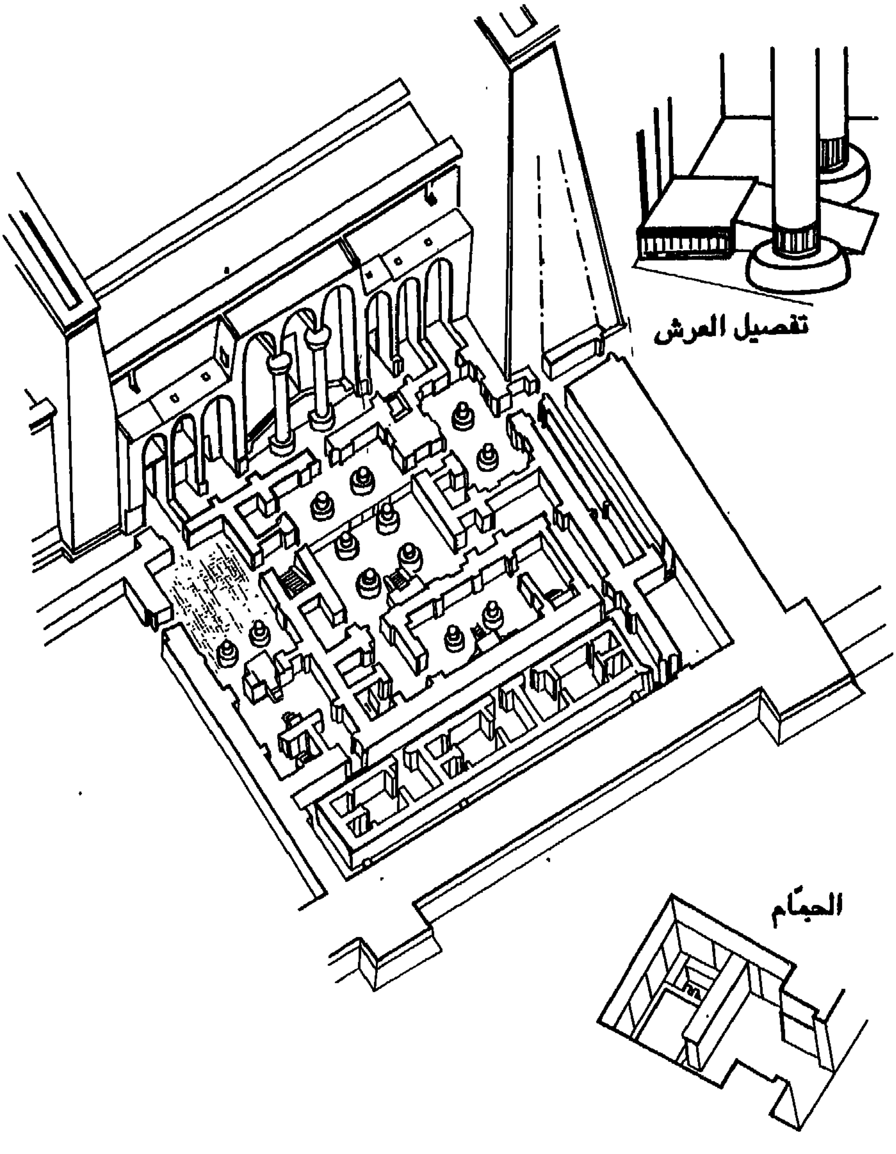
" فرمسيس " الثالث يهزم تحالف الليبيين وشعوب البحر شر هزيمة ، وينضم إليهم الأعداء الذين هزمهم "رمسيس " الثانى . وهكذا يلتقى التاريخ بالأسطورة بفضل عملية استبدال تحيل التاريخ إلى مادة للطقوس الدينية . ولهذا السبب صورت حروب "رمسيس" الثالث داخل المعبد فى الفناءين الأول والثانى جنبا إلى جنب مع إحياء مناسبات دينية محض ، كموكب الإله " مين " ، أو تصورات لها طابعها السياسى القاطع كقائمة أبناء " "رمسيس " الثالث المدونة فى الرواق الغربى من الفناء الثانى على غرار قائمة أبناء " رمسيس " الثانى فى الرامسيوم .

واكتمل بناء معبد مدينة هابو فى العام الثانى عشر من حكم " رمسيس " الثالث الذى لم يشيد قدر ماشيد " رمسيس " الثانى ، المثل الأعلى الذى حذا حذوه . ومع ذلك فقد شيد الكثير .حيث العديد من الأعمال فى معبد الأقصر وفى الكرنك بخاصة . فبدأ العمل فى معبد " خنسو " وهو الإله الإبن فى ثالوث طيبة . وأقام معبداً لاستراحة المركب المقدس فى المكان الذى أصبح فيما بعد الفناء الأول . واستناداً إلى رواية بردية " هاريس " رقم ١ التى تقدم فى قسمها التاريخى أخبار عهده ، فقد أقام العمائر فى " پررمسيس " وهليوپوليس ومنف وأتريب وهرموبوليس وأسيوط وثنى وأبيدوس وأومبوس وكوپتوس والكاب وفى النوبة وفى سوريا ...كما جرد الحملات إلى عتكا (" تمنا ") لإحضار النحاس وكذلك إلى بلاد بونت . ولكن حكمه لم يسلم مما يكدر صفوه . فابتداءً من العام الثانى عشر واجه المتاعب سواء على الصعيد السياسى أو على الصعيد الاقتصادى . فعزل وزيره المقيم فى أتريب ، واضطر إلى مراقبة تسليم المؤن المخصصة للمعابد بانتظام . وقد ثارت نفس المشكلة عند نهاية عهده وتأخر صرف أجور جماعة دير المدينة لمدة شهرين مما تسبب فى وقوع أول إضراب تتوفر عنه المعلومات.لقد توقف العمال عن العمل وتوجهوا إلى الوزير "تا " المقيم فى الرامسيوم ورفعوا إليه شكواهم . ولاشك أن أسباب هذه المشاكل اقتصادية فى المقام الأول ، وإن أفصحت أيضا عما أصاب سلطة الدولة من وهن فى مواجهة سلطة الكنهة الذين اتسعت أملاكهم وتعزز سلطانهم أكثر مما ينبغى . كما لم تهدأ شدة الصراعات داخل الأسرة الحاكمة وهى تلك الصراعات التى أدت إلى سقوط الأسرة التاسعة عشرة . لقد تزوج " رمسيس " من المدعوة " إيزيس " إبنة " حابا جيلات "، وكانت من أصل سورى ، وهو أمر غير مستهجن فى حد ذاته . وحذا " رمسيس " الثالث حذو " رمسيس " الثانى فأطلق على أبنائه أسماء الملك العظيم . ولم يكتف القدَر بهذا الحد من المحاكاة . فقد وافت المنية أيضاً العديد من أبنائه أثناء حياته وهم " پارع

حر أونا مف " (المقبرة VdQ 42) و " ست حر خبش إف " (المقبرة VdQ 43) "خع إم واست ¢(المقبرة . VdQ 44 و " رمسيس " و " أمون حر خبش إف" (المقبرة VdQ 55) وإضافة إلى ماسبق فقد انتهى عهده بمؤامرة دبرتها فى الحريم الزوجة الثانوية " تيى " بالنظر إلى عدم وجود زوجة ملكية عظمى معترف بها من قبل الملك، فتآمرت ليعتلى ابنها " بنتاؤور " عرش البلاد . ووصلنا العديد من النسخ الأصلية من البرديات التى تحكى وقائع محاكمة المتآمرين فى عهد " رمسيس " الرابع وأهمها البردية المحفوظة حالياً فى متحف تورين .

وضمت " تيى " إلى جانبها نساء الحريم وكبير الخدم وكبير السقاة بل اتصلت إحدى سيدات الحريم بأخيها قائد قوات كوش . كما كان قائد بالجيش ضالعاً فى المؤامرة ، وبلغ مجموع المتآمرين ثمانية وعشرين . وتشير إليهم النصوص بأسماء مستعارة شائنة أمثال " الشر فى طيبة " و " رع يمقته " إلخ ... وكان الغرض منها وصم جريمتهم الشنعاء إلى الأبد . ووضع المتآمرون خطة غاية فى البساطة بقدر ما هى شيطانية . فقد عقدوا العزم على تنفيذ مخططهم أثناء الإحتفال بعيد الوادى فى مدينة هابو . ومن الأساليب التى لجأوا إليها الشعوذة بواسطة تماثيل سحرية صغيرة . وفشلت خططهم وقدموا للمحاكمة أمام محكمة مكونة من اثنى عشر من كبار الموظفين من المدنيين والعسكريين . وتم إعدام الجانب الأكبر من المتآمرين (سبعة عشر متآمراً) ، وسُمح لسبعة منهم بالانتحار ومن بينهم " بنتاؤور " . وتشعبت القضية حتى أن القضاة أنفسهم لم يكونوا بمنأى عن توجيه الاتهامات إليهم ، فألقى القبض على خمسة منهم بتهمة التواطؤ ، أو لمجرد قرابتهم بالنساء المتورطات فى المؤامرة ، وحكم على أحدهم بالأنتحار وقُطعت أنوف ثلاثة آخرين وصُلمت آذانهم . أما الخامس فقد أكتفى بتوجيه اللوم له .

وانتهت حياة " رمسيس " الثالث إذن بعد أن حكم مدة إثنين وثلاثين سنة دون أن يحقق المجد الذى حققه النموذج الذى اهتدى به .كما واجه فى حفر مقبرته مصاعب عديدة ، إذ أوقف العمال حفرها (VdR 3) وواصلوا العمل فى مقبرة أخرى هى مقبرة " ست نخت " التى كان العمال قد بدأوا العمل فيها ، وتعرف اصطلاحاً بمقبرة العازفين على القيثارة . (VdR 11) وبينما كانت أعمال الحفر تسير على قدم وساق



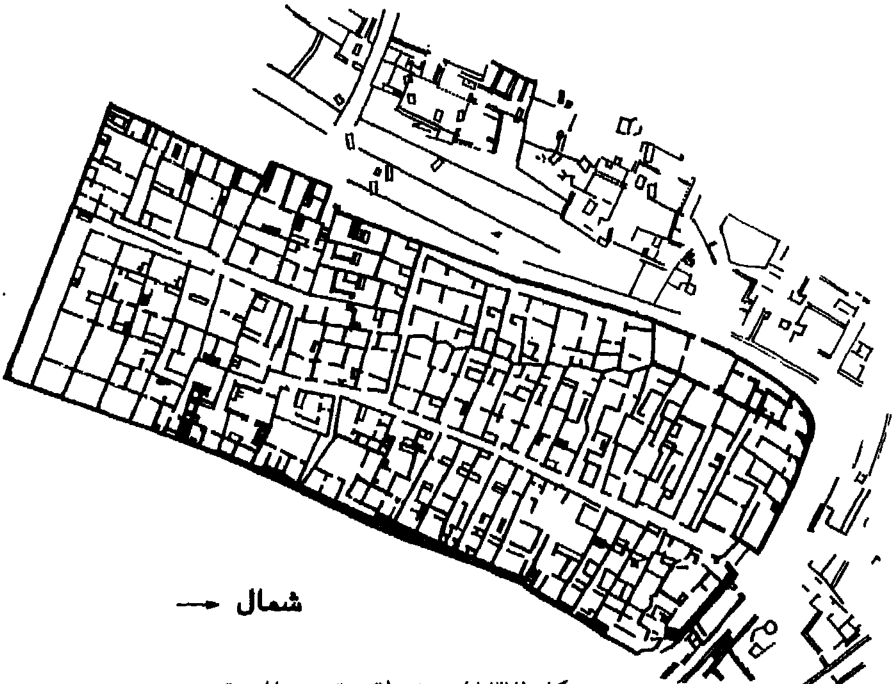
شكل (١٣٦) - منظور رسم تخيلى للقصر. تفصيل العرش والحمام

وبعد أن فرغ العمال من نقر الممر الثالث وجدوا أنفسهم فى مقبرة " آمون مس " (رقم ١٠ من مقابر وادى الملوك) ، فتم تعديل محور المقبرة ليصبح موازياً للمقبرة المجاورة . وقد عثر على مومياء الملك فى خبيئة الدير البحرى وملامحها هى ملامح رجل فى الخامسة والستين من عمره مات ميتة طبيعية على ما يبدو .

وخلفه ثمانية ملوك فى أقل من قرن من الزمن ، حملوا جميعا اسم " رمسيس "، كما انتسبوا إلى " رمسيس " الثانى الذى أصبح إلى هذا الحد أو ذاك رمزاً ونموذجاً لأمجاد ماضى البلاد التليد . وخلف " رمسيس " الرابع والده وواصل ملاحقة المتآمرين . وكان قد بلغ الأربعين من عمره عندما اعتلى عرش البلاد وأكد تصميمه على حبس الهبات على البلاد وسجلها فى بردية (هاريس) رقم ١ . وكان يطمع أن تمنحه الآلهة العمر المديد بما يتجاوز عمر " رمسيس " الثانى مقابل ماخصهم من منشأت فى سنوات حكمه الخمسة الأولى حتى اعتبر نفسه بنّاء عظيماً . ولكن الآلهة لم تستجب لصلواته وابتهالاته ، فتوفى بعد سنتين من ذلك ، ودون أن يحقق برنامجاً يتفق وطموحاته المعلنة . واضطر إلى التخلى عن تشييد معبد جنائزى قرب الطريق الصاعد لمعبد الدير البحرى بعد أن كان مخططاً له أن يكون شامخاً واكتفى بأن شيد منشأة صغيرة بين المعبد الجنائزى لأمنحوتب بن جابو ودير المدينة . ومع ذلك فقد أنجز بعض الأعمال فى أبيدوس وهليوبوليس وفى الكرنك ، حيث أقام التماثيل وزخرف جانباً من معبد " خنسو " . كما ترك اسمه فى بهو الأساطين بالكرنك وفى الأقصر والدير البحرى وفى الرامسيوم وفى منف وقفط والمدامود وأرمنت وإسنا والطود وإدفو والكاب وبوهن وجرف حسين وعنيبة . وعثر على جعارين تحمل ألقابه فى فلسطين نفسها . وقاد الحملات إلى محاجر وادى الحمامات وإلى سيناء . وفى عهد " رمسيس " الرابع كان لمجتمع دير المدينة شأن عظيم لم تعرفه طوال حكم الأسرة العشرين ، فقد ضاعفت الدولة الفرق ليصل عدد العاملين بها إلى مائة وعشرين فرداً .

مجتمع الحرفيين بدير المدينة

يبقى مجتمع الحرفيين بدير المدينة مصدراً وثائقياً على جانب كبير من الأهمية لعصر الرعامسة . انه مجتمع منغلق على نفسه ومحدود على كل حال ، حيث يضم مائة وعشرين من العاملين إلى جانب أفراد عائلاتهم . وبالرغم من ذلك تحتل اسهاماته مكان الصدارة فيما أمدنا به من معارف سواء فيما يتعلق بتخطيط المدن والعادات الاجتماعية والجنائزية والأدب ، أو فيمايخص حياة الناس فى أرجاء البلاد عامة .بحيث متابعة تطور المجتمع من جيل إلى آخر على امتداد فترة زمنية تصل إلى ثلاثة قرون . إن الكشف عن الآف النصوص المدونة على الأوستراكا (أواللخاف) وزهاء مائتى بردية قد أماط اللثام عن هذه الذخيرة من المعارف .



شكل (١٣٧) - خريطة موقع دير المدينة
(نقلاً عن Micha lows ki : 1958, 533)

تقبع القرية فى مجرى وادى قديم وتمتد من الشمال إلى الجنوب بين جبل قرنة مرعى والجرف الغربى لطيبة . و " ديرالمدينة " اسم حديث مشتق من إسم الدير الذى أقامه الرهبان المرتبطون بمدينة " چيمة " فى القرن الخامس الميلادى داخل معبد المدينة القديمة . بل إن الدير ذاته - وكان شفيعه هو القديس " إيزيدور" - قد استعار اسمه من الإسم القديم " پاحب إمن " بعد تصحيفه إلى" فيبامون " . وفى عصر الرعامسة أطلقوا " ست ماعت " أى " مكان الحق " على المدينة وجبانتها الواقعتين على امتداد التل الغربى .

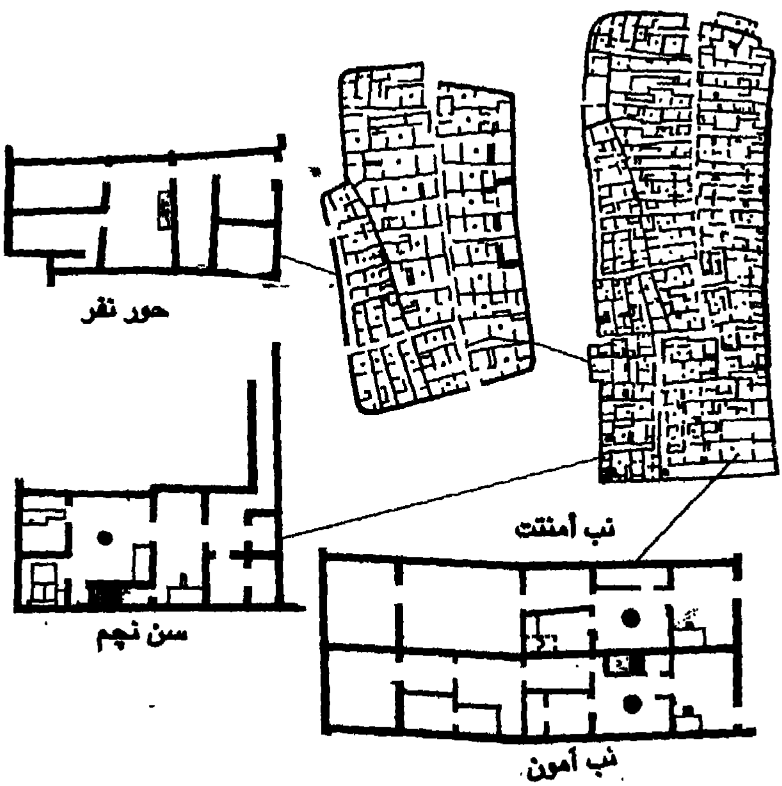
وترجع بداية الموقع إلى الأسرة الحادية عشرة فلقد كان امتدادا لجبانتى دراع أبو النجا والدير البحرى . ولا تظهر قرية الحرفيين إلا مع بدء العمل فى وادى الملوك حيث أسسها " تحوتمس الأول " .كانت تتكون فى البداية من حوالى ستين منزلاً أقيمت فى أعماق وهدة الوادى ويحيط بها سور ، وتظهر بعض الهياكل فوق منحدر التل ، خصصها أهل القرية لإقامة شعائرهم . ولم يعثر المنقبون على مخلفات تدل على استمرار عمال دير المدينة فى مزاولة نشاطهم خلال عصر العمارنة .. فهل اصطحب امنحوتب الرابع معه الحرفيين إلى " آخت آتون " ؟ من الصعب إبداء رأى قاطع ، إذ لا يعقل أن نجد من يجاهر

فى المستقبل بانتمائه إلى هذا التراث. والمعلومات المتوافرة حول الحرفيين فى تل العمارنة لم تتناول هذه النقطة بوضوح وصراحة ، إذ كل مايمكن الجزم به هو أن النشاط قد عاد ليدب من جديد فى دير المدينة فى ظل حكم " حور محب " فتوسعت القرية وفقاً لتخطيط حضرى محدد ، واستبدلت المقابر الفردية التى أقيمت فى أول عهد المدينة بمدافن عائلية فى التل الغربى الذى خصص لها من الآن فصاعداً .

والأسرتان التاسعة عشرة والعشرون هما عصر ازدهار دير المدينة . إذ بلغ عدد العمال مائة وعشرين عاملاً ، وعندئذ قارب عدد سكان القرية الألف ومائتى نسمة . وهذا الحد الأقصى يناظر عدد سكان القرية فى ظل كبار ملوك الأسرة التاسعة عشرة عندما بلغ نشاط الجبانة الملكية التى يعمل فيها العمال أوجه . وبحلول نهاية الأسرة التاسعة عشرة نشبت الاضطرابات التى سبق الإشارة اليها والتى تمخضت عن المشاكل الاقتصادية ، بقدر ماأثارها انعدام أمانة الموظفين المسئولين عن إمداد القرية بما يلزمها من مؤن وتموين . وفى صدر الأسرة العشرين عاد النشاط إلــى سابـق عهده ، وأخذ يزداد ويتسع ، إلى أن عمّت الإضرابــات وانتشرت فــى أواخـر حكم " رمسيس " الثالث . وبعد المحاولات التى بذلها " رمسيس " الرابـع مـن أجـل تطويـر إمكانيات المجتمع ، انخفض عدد العاملين من جديد إلى ستين فرداً فى عهد " رمسيس " السادس . واعتبارا من هذا التاريخ أخذ نجم المجتمع فى الأفول . ومع تصاعد الاضطرابات فى ظل حكم " رمسيس " التاسع انتشرت أعمال السلب والنهب فى منطقة طيبة . وخلال الأسرة الحادية والعشرين تشتت مجتمع الحرفيين بعد أن استقر فى دير المدينة مايناهز الخمسة قرون ، وانسحب العديـد مـن أفراده ليحتموا خلف أسوار مدينة هابـو،شأنهم فى ذلك شأن الفلاحين المقيمين فـى المنطقة .

ومع ذلك لم تكن هذه نهاية الموقع . ففى الأسرة الخامسة والعشرين قام " طهرقا " بتشييد هيكل مكرس " لأوزيريس " ، أعيد استخدام قوالبه فـى عصر لاحق مباشرة عندمـا شُيد مدفـن " عابدة الإله : عنخ نس نفر إيب رع " ، فى العصر الصاوى . ولهذا السبب أقامت الفرق المكلفة بهذا العمل بصفة مؤقتة فى القرية . وفى العصر البطلمى أصبحت " بطلمية هرميو " (المنشأة ، حالياً) غرب سوهاج عاصمة لجنوب الصعيد بدلاً من طيبة . ولكن " چيمة " شهدت توسعاً منقطع النظير ، حيث امتدت المنشآت حتــى ديـر المدينة . وأعيد تشييد معبد حتحور وماعت وتجميله . واستغرقت جميع هذه الأعمال

مائة وخمسين سنة . وفى غضون ذلك سكن القوم فى المساكن القريبة ، وعاد البعض إلى استخدام الجبانة لحسابهم الخاص فأفرغوها من محتوياتها وباعوا الأثاث والأماكن بعد أن صارت خاوية . وكانت هذه هى أولى أعمال النهب والسلب . وجاء النساك ليكملوا ما بدأه غيرهم ، فاتخذوا من المقابر المفتوحة سكناً لهم إلى أن جاء الفتح العربى ليطرد من كانوا يشغلون الموقع . وقس على هذا ، إلى أن دبت الحياة فى الموقع من جديد مع حلول القرن التاسع عشر عندما زاره جان فرانسوا شامپوليون ونسخ زخارف بعض هذه المقابر . وكانت قيمة أولى المكتشفات لا مثيل لها . فلم يتردد " سالت " و " دروڤيتى" فى الانطلاق بحثاً عن الآثار بشتى الوسائل . وعندما تم الكشف عن مقبرة " سن نجم " عام ١٨٨٥ كان قد مضى نصف قرن على تعرض الموقع لأعمال السلب والنهب . وغذّت هذه القطع الثمينة كبريات متاحف العالم ، فنذكر متحف تورين وحضور " اسكيابرلّى " خصيصا إلى مصر بغرض استكمال مجموعته القيمة . ونشير أيضاً إلى متاحف لندن



شكل (١٣٨) - رسم تخطيطى للقرية وبعض المنازل .

وباريـــس ومتحف بـرلين الــذى نــقــل إليـــه " ريتشارد لپسيوس " جدراناً كاملة من بعض المقابر .... ومع مطلع القرن العشرين ، وفى أعقاب اقتحام جامعى الآثار للموقع تحول إلى لقمة سائغة لأطماعهم . وأصبحت الحاجة ماسة إلى الأساليب العلميه لاستكشاف الموقع ! فقام " جاستون ماسپرو " بترميم المعبد البطلمى . وأجرت بعثـة ألمانـية بـعض الجسـات قبـل الحرب العالمية الأولى . وعـام ١٩١٤ حصل المعهد الفرنسى للدراسات الشـرقيـة IFAO على هذا الامتياز . وقـام " بـروييـر " B. Bruyère بتنظيف القرية والجبانة فى الفترة من ١٩٢٢ إلى ١٩٤٠ ثم من ١٩٥٤ إلى ١٩٥١.

وزادت معارفنا عن العمارة الجنائزية وأساليبها الفنية نتيجة لهذه الحفائر . فمقابر الحرفيين التى شادوها فى غير أوقات عملهم هى آية فى البراعة والمهارة ، حتى أن المرء يستطيع أن يقارن بسهولة بين المظهر الخارجى لهذه المقابر التى اعتمدت فى تنفيذها على مواد بسيطة وأولية وبين مقابر الأشراف . إنــه فـن " التقليد والمحاكاة " : فيصبح اللبن بعد تلوينه وزخرفته شبيها بالحجر . وجرت العادة على حشو الصروح الواقعة أمام الهياكل بما تخلف عن أعمال الهدم الخ .. وقد أضفى فن الاقتباس هذا طابعه على أسلوب تشييد المنازل باستخدام كتل الصخر الضالة التى تمتزج بالطوب المقام عند الضرورة فوق أوتار كمرات من خشب . وتشبه هذه الأساليب الفنية تلك التى لاتزال مستخدمة فى المساكن المنتشرة فى ريف مصر فى الوقت الراهن . وتقدم مقابر الحرفيين صورة للحياة اليومية أكثر صدقاً من تلك التى تصورها مقابر الأشراف ، وفى نفس الوقت يمكن متابعة كثافة الجماعة واستمراريتها فى الدفنات العائلية ، فنلم إلماماً أفضل بنسيجها الاجتماعـى .

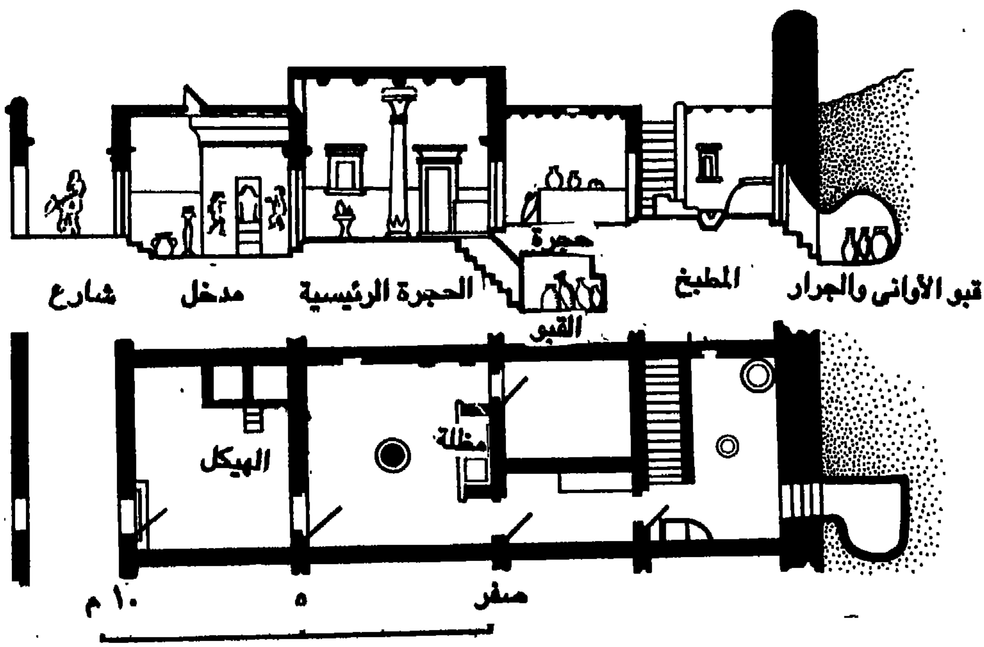
تعتبر قرية دير المدينة حتى الوقت الراهن أفضل مثال للتخطيط الحضرى المنظم الذى تم الكشف عنه . ومساحة القرية محدودة لا تتعدى مائة وواحد وثلاثين متراً فى خمسين متراً ، وتضم سبعين منزلاً بالإضافة الى خمسين منزلاً شيدت خارج سور القرية . كان القسر والإكراه هما اللحمة التى تُوحّد افراد هذا المجتمع الذى استقر فى هذه القرية ، فهم عمال مكلفون بحفر المقابر الملكيه وتجهيزها وزخرفتها مقابل مايتقاضون من أجر . لقد فرضت عليهم طبيعة عملهم العزلة ولو لمجرد أنهم يعرفون الكثير عن أماكن توزيع المقابر الصخرية وما تحتويه . ومما هو جدير بالملاحظه أنه لم يتورط أى عامل منهم فى

أعمال السلب والنهب التى وقعت الجبانة الملكية فريسة لها فى ظل حكم " رمسيس " التاسع . وللأسف لا ينسحب هذا الحكم على ماحدث من سلب ونهب فى الأيام الأخيرة من حياة هذا المجتمع ... ولا يعرف عن أهل القرية أنهم عاشوا فى وضع مستعبد ، ماعدا الأجانب الذين جلبوا للاستفادة بتخصصهم النادر، إلا أن وضعهم من الناحية العملية كان أشبه ما يكون بشكل من أشكال العبودية ، ومن ثم يستحيل أن نستنتج من أوضاع هذه القرية قوانين للتخطيط يمكن تطبيقها على السكن فى الريف أو فى الحضر بشكل عام . ويعكس تخطيطها تنظيماً اجتماعياً شديد الخصوصية كان معمولاً به فى الحملات التى اعتاد الملوك إرسالها إلى المناجم أو المحاجر ، وهو تخطيط مقتبس على كل حال من الأنظمة السائدة فى البحرية . فتخطيط القرية أشبه بتخطيط السفينة ، إذ يخترقها من الشمال إلى الجنوب محور يرسم حدود حى شرقى وآخر غربى (هما ميمنة السفينة وميسرتها) ، ويقطن كل حى فريق من العمال : الفريق الأيمن والفريق الأيسر ، ويعملان بالتناوب . وعند طرفى الشارع بابان يقف عندهما حارس ويغلقان ليلاً . وأزيل الباب الجنوبى فى أعقاب التوسعات التى طرأت على القرية (فى دورها الثالث) وفُتح باب جديد فى الجهة الغربية وأضيفت شوارع عرضية للوصول إلى الحى الجديد .

وأغلب الظن أن المنازل لم تختلف عن مثيلتها فى أى مكان آخر ، وهى تطل على أزقة ربما كانت مغطاة لحماية الناس من أشعة الشمس كما هوالحال فى قرى واحات صحراء ليبيا . والجدران مطلية باللون الأبيض ، أما الأبواب الحمراء فقد دون فوقها اسم شاغل المنزل . وقد شيدت المنازل دون أساسات وبنيت بالحجر الغفل إلى ارتفاع ١٥٠سم فوق مستوى سطح الأرض ثم استكمل البناء بالطوب اللبن . اما الأسطح فهى من اللبن المقوى بدعامات من الخشب .

وتفتقر المنازل إلى الأفنية والحدائق ... أما حيوانات النقل الضرورية للأعمال الشاقة وأبسط الأشغال فقد وضعت فى زرائب خارج القرية . ومن الشارع ندخل إلى الحجرة الأولى حيث المذبح الموجود داخل مايشبه الصوان وفوقه مظلة وقد زينت حوائطه بمناظر الخدور والأحرام وتصاوير الإله " بس " الخ ... وتنخفض الحجرة عن مستوى أرضية الشارع بدرجتين أوثلاث ، وتؤدى فيها النسوة فروض الشعائر المنزلية لربات الحياة اليومية وللأجداد وهى وتزخر بمختلف الأدوات من موائد قرابين ومسارج وأوانى وما يلزم لأداء هذه الشعائر . إنه مكان للاستقبال والتطهر العائلى . ثم ننتقل إلى الحجرة الثانية

وهى أكبر حجرات المنزل وأجملها زخرفا ، وسقفها أعلى من باقى أسقف المنزل . وتتوفر الإضاءة للحجرة بواسطة شباك داخل طاقة له فتحات حجريـة . والسقف مرفوع فى المعتاد فوق أسطون أو أسطونين ، ويمكن أن يدون إسم صاحب المنزل على قاعدتها . والأثاث الرئيسى بالحجرة هو الأريكة المخصصة ، كما فى الوقت الراهن ، لاستقبال الضيوف . ويهبط من الحجرة سلم يفضى إلى مستودع تحت الأرض لحفظ كل نفيس تمتلكه الأسرة ، وتقع مخازن المؤن فى مؤخرة المنزل . وظل المكان الفاصل بين حجرات الاستقبال وحجرات الحياة الخاصة قائماً ومماثلاً لجناح الحريم فى تل العمارنه . ويوجد المطبخ فى مؤخرة المنزل ومنـــه نصل الى قبو الأوانى والجرار ، وقد يكون هذا القبو مقبرة سابقة أعيد استخدامها لهذا الغرض . ومن المطبخ يمكن أيضا الوصول إلى سطح المنزل وهو مكان يستريح فيه القوم ويتبادلون أطراف الحديث فى جو المساء المنعش ونسيم الليل العليل ، كما يستخدم أيضاً كمكان لوضع مختلف المهملات تماماً كما يحدث فى أيامنا هذه ! ويضم المطبخ أدوات الخبز وطهى الطعام من رُحى وأجران ومعاجن وجرار ماء وأفران . وهو مغطى فى جانب منه بشباك من فروع الشجر للحماية من أشعة الشمس .



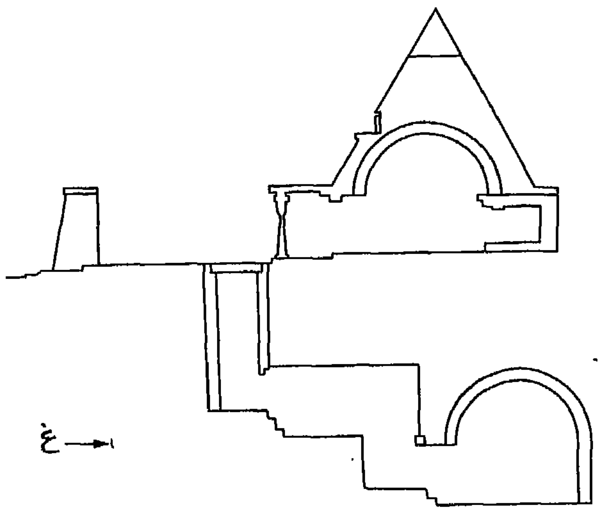
شكل (١٣٩) - نموذج غطى لمنزل

وعثر فى القرية على الأدوات الحضرية المعتادة الضرورية للاستعمال اليومى والفخاريات ومعظمها مستعمل ومهشم وكلها أشياء لم يحملها القوم معهم عندما هجروا المكان ، أو استردوها كالأعتاب المصنوعة من الخشب . وكالمعتاد كانت المخلفات من بين أهم المكتشفات . فعثر على أولى مجموعات الأوستراكا (أواللخاف) وسط نفايات المنازل خلال الموسم ١٩٣٤/١٩٣٥ . أما البئر التى حفرت شمالى الموقع للحصول على الماء فجاءت على رأس الاكتشافات وكانت قد طمرت فى العصر البطلمى أثناء تنظيف منطقة المعبد ، واستخرج منها حتى عام ١٩٤٨ خمسة آلاف أوستراكا أوشقفة فخار تحمل سطوحها المدونات والزخارف وبدأ نشرها منذ عام ١٩٣٤ ولم تنته عملية النشر بعد . إن دراستها ، ودراسة زهاء مائتى بردية مابين أدبية ووثائقية خاصة بدير المدينة ، تعطينا صورة على قدر كبير من الدقة عن الحياة الذهنية لهذا المجتمع وأسلوب انتقال الثقافة الكلاسيكية فى داخله .

كان أهم ما يشغل بال الحرفيين هوإمداد القرية بالماء . وللحصول عليه كان من الضرورى انتقال العمال المكلفين مع حميرهم إلى الرامسيوم أو مدينة هابو لاغتراف الماء بالشواديف فى حركة مكوكية ذهابا وإيابا ، فيعبرون تحت أنظار رجال الشرطة النوبيين المكلفين بحراسة القرية . كما يبدأ من القرية مدق يخترق الجبل لينتهى إلى وادى الملوك حيث يعمل العمال . ويوجد فى الطريق محطة يتوقف عندها العمال لينالوا قسطا من الراحة وهى عبارة عن أكواخ بنيت بالحجر ، دون مادة رابطة إلى جانب الهيكل .

وتجمعت الأماكن المخصصة للشعائر إلى الشمال من الموقع . وهى مصليات أو هياكل إقليمية صغيرة تتكون من حجرة مغطاة أو مفتوحة تجتمع فيها الجمعيات الدينية . وعلى امتداد الجدارين الجانبيين مصطبتان تم الكشف عن مواضع ارتكازهما على الجدار وأسماء أصحاب المقاعد المبنية بالحجر ، وهى خمسة مقاعد على اليسار وسبعة على اليمين . ووضعت فى الحجرة الجرار المملوءة بالماء اللازم للتطهر ، وعلى الجدران ألواح حجرية ونذرية . ويتقدم فناء أمامى تفصله جدران منخفضة عن الحجرة تحيط بالباب بحيث تسمح للمشاهدين بمتابعة الاحتفالات الدينية . ويفضى الفناء إلى ناووس على شكل مظلة بداخلها تمثال الإله . وتكتمل أقسام المصلى بحجرة حفظ الأدوات اللازمة للشعائر . ومن أفضل الأمثلة على ذلك هو المعبد نفسه والهياكل المنتشرة شمال سور القرية ، ومن أحسنها حفظا هى الهياكل التى كرس " رمسيس " الثانى أحدها لآمون وكرس " سيتى "

الأول ثـانـيها " لحتحور " وثالثها لعبـادة " أمنحوتب " الأول و " احمس نفرتارى " . ولم يحفظ لنـا الزمن تماثيل الشعائر ، وإن بقى تمثال مـــن الحجر يمثل " امنحوتب الأول و" مرت سجر " الإلهة المحلية وهى على شكل حية ، وتمثال آخر من الخشب يمثل " احمس نفرتارى " . كما كان العمال يقيمون الشعائر للإلة آمون فى الأقصر والكرنك ، وللآلهة مين وپتاح و" سوبك " و " حورس فى الأفق " الأرمنتى و " تاورت " - وهى إلهة على هيئة فرس النهر - و"موت " و " رنوتت " وملوك الدولة الحديثة المدفونين فى وادى الملوك . وكانت الجمعيات الدينية تسهر على إقامة هذه الشعائر فتتناوب عليها كل بدورها . وإضافة الى ماسبق واستكمالا لما عرضنا له ، نشير إلى المعبد الصغير المنقور فى الصخر والمكرس للإله " پتاح فى وادى الملكات " ومرت سجر ، والقائم علــى الطريق إلـــى وادى الملكات علـــى بعد بضعة امتار مـــن ديـــر المدينة .



شكل (١٤٠) - دير المدينة
قطاع فى مقبرة نمطية من الأسرة التاسعة عشرة .

وخصت الجمعيات الدينية هيكل " حتحور " بتكريمها وأحاطته بجل احترامها ، فكان أفخمها وأضخمها . وفى البداية كان المعبد مجرد مصلى شيده " تحوتمس " الأول واستمرت أعمال الصيانه فيه حتى عهد " أمنحوتب " الثالث أقيم من حوله العديد من المعابد الصغيرة الأكثر بساطة وطوقه " سيتى " الأول من الناحية الشمالية بمعبد صغير يضم رحبة ودرجا وفناء مبلطا وصرحاً وبهو أساطين وناووساً . وأعاد " رمسيس " الثانى

تشييد معبد على أنقاض معبد الأسرة الثامنة عشرة وهجر هذا المعبد مع نهاية الأسرة العشرين . وفى العصر البطلمى هدم " بطليموس " الرابع " فيلو پاتور " المعبد القديم الذى شيده " رمسيس الثانى " وأقام مكانه معبدا من الحجر الرملى وبدأ يعمل فى زخارفه التى استكملها " بطليموس نيوس ديونيزوس " . وكان قيصر هو آخر من أضاف إليه عندما شيد " الإيزيون " .

أما الجبانة فقد مرت بمرحلتين شأنها شأن القرية . فى المرحلة الأولى أخذ سكان القرية يقيمون مقابرهم دون الالتزام بتخطيط عام . واعتبارا من الأسرة التاسعة عشرة أخذوا يقيمونها على السفح الشمالى الغربى للجبل ووزعوها أحياءً حسب القرابة أو الجماعة التاريخية . واعتمدت المقابر نمطا معماريا مركبا . فجمعت بين هرم هليوپوليس كبناء علوى والمقبرة الصخرية النوبية التى جلبها معهم .العمال المهاجرون . كما تأثرت أيضا بالمقابر الصخرية فى وادى الملوك . وسرعان ما اضطر الحرفيون تحت الضغط السكانى إلى إقامة دفنة واحدة للعائلة الواحدة . وتختلف سمات كل مقبرة باختلاف الوضع الاجتماعى لصاحبها وعصره ، وإن ظلت البنية ثابتة . وتتكون المقبرة من فناء وهيكل وبئر وحجرات دفن غير منفصلة . وتتجمع العائلة حول أحد الحرفيين المشهود لهم بالكفاءة ، وقد يكون رئيس فريق عمل ، وتتجه المقبرة قدر المستطاع ناحية المعبد الجنائزى للملك الذى عاش هذا الرئيس فى خدمته .

كانت المقبرة تشبه فى بداية عهدها ما يطلق عليه اصطلاحا " النمط النوبى " . إنه عبارة عن قبو من الطوب يرتفع على هيئة حنايا مائلة . ولا يتيح هذا الأسلوب المعمارى ، وهو من أقدم الأساليب المعروفة ، إقامة قبو حقيقى . يبدأ البناء من قمة جدارين رأسيين متوازيين ويستند على جدار ثالث عمودى عليهما . وتميل مراقد الطوب بأسلوب تجريبى لتشكل حنايا تتماسك بفعل ثقلها . وسرعان ماظهر بناء علوى جديد للمقبرة أخذ يزاحم شكله السابق ، إذ جاء بالهرم كعنصر زخرفى ، وكآخر مرحلة من مراحل إشاعة الديمقراطية التى وضعت فى متناول الأفراد رمز هليوپوليس الملكى كما عرفته الدولة القديمة . وهذا الهرم صغير الحجم ، ويوضع فوق الهيكل أويضمه . إنه هرم أجوف ، مبنى من الطوب اذا كان الهيكل المقبى جزءاً منه . أما اذا كان يعلو ظلة الواجهة فإنه يُشيد بالطوب أو الحجر ويُحشى بالأنقاض . ويواجه الهرم الشمس المشرقة ويمكن أن يبلغ ارتفاعه من ثلاثة إلى ثمانية أمتار .. أما طول ضلع القاعدة فمن مترين إلى خمسة أمتار . ثم يبطن الهرم ويبيض ويعلوه هريم من الحجر مزخرف بالنقوش .

ونصل إلى المقبرة من خلال درج فخم فى وسطه مزلقة لصعود التابوت . ويمر المدخل عبر صرح يفضى إلى فناء تكتنفه جدران عالية طليت باللون الأبيض . وتوجد فى المؤخرة واجهة الهيكل ، تتقدمها ساحة تكتنفها الصفات ، ويرتفع الهرم فوق الهيكل . وفى هذا المكان كانت تجرى مراسم الدفن وأعياد الموتى . وبهذه المناسبة يُعد القوم حوانيت غطوها بالخيام وحوض ماء وكل ما يلزم لإقامة وليمة . ويقومون بتجديد " الأوشابتى " أو "الشاويتى " كما كانت تسمى فى ذلك العصر ، وهى تماثيل صغيرة تتولى نيابة عن المتوفى القيام بالأعمال المطلوبة منه من أجل أوزيريس . وتقدم القرابين ويحرق البخور أمام الألواح الحجرية المعلقة على الجدران وتحت الظلة القائمة فى مؤخرة الفناء للحفاظ على الألواح الحجرية الكبيرة وتماثيل صاحب المقبرة . وإلى الخلف يوجد الهيكل المزين بمجموعة من الصور الشخصية ومشاهد تصور العائلة والأقارب . وقبالة المدخل فى المؤخرة يوجد الناووس المحفور فى صخر الجبل ، ويضم تمثالا للمتوفى أو حتحور على هيئة بقرة وتمثالا لأمنحوتب الأول أو أى إله حامٍ آخر .

أما البئر فقد حفرت فى الفناء أو فى الهيكل . وبعد رفع بلاطة ، يمكن النزول مباشرة حتى نصل إلى باب خشبى توضع عليه الأختام بعد كل دفنة . أما المدفن فهو عبارة عن منزل حقيقى تحت الأرض ، ويضم الممرات والسلالم والحجرات . والحجرات مقباة بشكل عام وطليت باللون الأبيض ومزخرفة ، وهى مكدسة بالأثاث المزيف إلى جانب بعض ما كان يمتلكه المتوفى . وكان المدفن الواحد يضم بضع عشرات من الدفنات ، فقد ضم مدفن " سن نجم " مثلا عشرين تابوتاً .

وظلت زخارف حجرات الدفن تقليدية جدا حتى الأسرة التاسعة عشرة ثم جنحت نحو المزيد من الروحانية تحت تأثير المقابر الملكية ، فانتشرت مجموعات من الصور الورعة المأخوذة عن كتاب الموتى وقريبة الشبه بالمواضيع الميثولوجية التى تزخرف جدران منازل القرية . ويعتمد أسلوب الرسم على الألوان المائية المبسوطة فوق طبقة من طلاء الصلصال أو الجير . ويتكون طلاء الصلصال من الرمل المخلوط بالصلصال والمضاف إليه الجير ويوضع على الطوب اللبن مباشرة ، ومن ثم ينبغى التمييز بينه وبين المونة التقليدية . ثم يوضع التصميم العام للرسم بخطوط حمراء مع تعديله باللون الأسود بعد تصحيحه باللون الأبيض ، وهو ما يمكن أن نستشفه من طلاء المغرة الصفراء الذى يوضع فوق الرسومات الأولية . وتستخدم الألوان على وتيرة واحدة لا تباين فيها . فبشرة الرجال بالمغرة

الحمراء ، وبشرة النساء بالمغرة الصفراء ، وحواف الثياب البيضاء باللون الأسود أو الأحمر ، ويستخدم اللونان الأخضر والأزرق لاستكمال التفاصيل . وشاعت الألوان المتعددة على خلفية باللون الأصفر فى الأسرة التاسعة عشرة .وغدت من سمات بعض المقابر مثل مقبرة " سن نجم " (TT 1) وپاشد(TT 3) . وفيما بعد وربما ، بسبب انتشار الفقر فى الموقع ، انتقل التصوير إلى الزخرف الأحادى اللون على خلفية بيضاء، ومثال ذلك مقبرة " نب إن واعت "(TT 219) أو" إيرى نفر"(TT 290) وتصور المشاهد رسوم " كتاب الموتى " التوضيحية وعلى جانبيها المتون التفسيرية . وقد رتبت فى صفوف رأسية أو على شكل بردية مفتوحة حسب تعاقب المشاهد الجنائزية المتوالية (TT 290) فحجرة الدفن هى إذن تطور للتابوت، ويزدان سقفها بموضوعات هندسية فى معظم الأحوال . ولئن اختفت معظم مقابر الأسرة الثامنة عشرة إلا أن مقابر عصر الرعامسة ظلت فى حالة جيدة جدا من الحفظ فى أغلب الأحوال . ونذكر على سبيل المثال مقبرة " سن نجم " (TT 1) التى وصلتنا سالمة ، ومقبرة " پاشد(TT 3) الذى كان هو أيضا خادما فى مكان الحق، والنحات " إپوى" (TT 217) وكان معاصرا " لرمسيس " الثانى" و " أمن نخت " (TT 218) وعائلته -TT 219) 220) و" إن حرخع " مدير الأعمال فى عهد "رمسيس" الثالث و"رمسيس" الرابع الخ ......

ويضم هذا المجتمع الصغير طوائف الصناع بدءا من البنائين إلى الفنانين التطبيقيين . ولم يعثر إلا على كمية بسيطة من الحلى فى هذه المقابر فالمواد الأولية اللازمة لصناعتها لا تتفق وإمكانيات الحرفيين المتواضعة . وفى المقابل استخدموا المينا وعجينة الزجاج على نطاق واسع . ويزودنا الفخار بنماذج كاملة لأشهر المواضيع المصرية ، إلى جانب العديد من القطع التى صنعت بأساليب تقنية مستوردة ، أو تمثل موضوعات شاعت فى حوض البحر المتوسط . ونضيف إلى ماسبق العديد من الأشياء الصغيرة المتنوعة ، ومختلف التماثيل الصغيرة والنجارة الدقيقة وصناعة السلال والحبال والحصر الخ .... وجميعها عناصر تساعدنا على تقييم حياة هذا المجتمع الذى كان يضم ١٢٠٠ نسمة وفقا للتعداد الذى جرى فى أيام الأسرة العشرين لسكان دير المدينة . كما ضم المجتمع نماذج من مختلف الأعراق والأجناس من نوبيين وسوريين وليبيين ... أما المصريون فكانت لهم الغلبة . ووضع هذا المجتمع تحت الإشراف المباشر لوزير طيبة الغربية تراقبه قوات حفظ النظام الساهرة - التى لا تغفل عنه لحظة . وكان المجتمع مكونا من

فريقى عمل وصل كلاهما إلى ستين فردا فى أزهى الفترات ، ويرأس كل منهما مهندس أو مقاول ، كما يضم كاتبا أو أكثر ورسامين ومصورين وحفارين ونحاتين ونقاشين وعمال جص وبنائين وعمال محاجر وعمال مناجم وعمالا غير مهرة ومساعدين ومختلف الصبية . ويقوم كاتب ملكى بدور الوسيط مع الإدارة ويسجل فى دفتر اليومية ما تم تنفيذه من أعمال والأدوات المستخدمة والأجور اليومية والعمال الغائبين وكل ما يجدّ من أحداث . ويرأس الكاتب المحكمة الخاصة بالورش يعاونه فى ذلك أحد عشر عضوا من فريق العمل . وكان العمل موزعا على فترات زمنية كل منها عشرة أيام لا يبارح العمال اثناءها مواقع العمل حيث يقيمون فى الملاجىء المؤقتة المقامة على المدق المؤدى الى وادى الملوك . وبعد الانتهاء من عملهم يحصلون على يوم أجازة يستغلونه فـــى قضاء حاجـــياتـهم الشخصيـة .

وتؤمن الإدارة تزويد القرية بما يلزمها من المواد التموينية المخزونة فى مستودعات المعابد المجاورة ، وكما لاحظنا لم تكن الإمدادات منتظمة على الدوام .كانت هذه العائلات تعيش فى انطواء وعزلة . وترتب على تعدد الزوجات والزواج بين أقرباء العصب أن ظهـر نـظام الأسـرة الكبيـرة – بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة – التى يعمل افرادها فى مهنة أو حرفة واحدة . وتأسيسا على ذلك تبلور سلم هرمى للمراتب الاجتماعية . وكانت حياة هذا المجتمع مضطربة جدا حيث أخذت حوادث السرقة والزنا والثأر والجرائم والسلب والنهب تتلاحق فـى الجو الخانق لهذا العالم الصغير . وقد حدث فى عهد " رمسيس " الثانى على سبيل المثال أن أحد العناصر السيئة السمعة ويدعى " پانب" اختار تسلية يقضى بها وقته أقل ما توصف به أنها مزعجة للآخرين . فقد وجد متعته فى رجم المارة بالحجارة ! ولم يقف عند هذا الحد ، بل استولى على أحجار منحوته من معبد سيتى الأول القريب جدا ليزين بها مقبرته. وبعد ما اقترفه من سرقات اغتال ذات يوم " نفرحوتپ" **(TT216)** رئيس فـريق عمـله ، فـى أعقـاب مناقشـة حـادة . كـان غرضـه مـن فعلتـه هــذه أن يحل محله فأعتقلته السلطات ، ولكنه أُفرج عنه عندما تدخل بعض أصحاب النفوذ لصالحـه .. وشغل وظيفة رئيسـه وأقام لنفسه مقبرة جميلة (**TT 211**) ومـن ثـم اصبحت الجريمة مفيدة فى دير المدينة . ونسوق مثالا آخر على صحة قولنا . فقد اتهم شـخص يـدعـى "أمن ويـا " بسرقة مقبرة " رمسيس " الثالث ولم تثبت عليه التهمة لعدم وجود دليل فلم يقدم للمحاكمة . ولكنه كان السارق بالفعل ، فعند تنظيف مقبرتـه اكتشف المنقبون ما سرقه مخفيا فى حجرة الدفن ...

وقد عرفت القرية أنواعا اخرى من الترفيه أرقى وأسمى كالأعياد الدينية ، وعلى رأسها عيد الوادى وأيام العطلات بمناسبة دفن الملوك واللقاءات التى تنظمها الجماعات الدينيه . وكان العمال يتولون بالتناوب منصب الكاهن " وعب " أى الكاهن المتطهر للقيام بمواكب الطواف . وإذا حلّ الدور على أحد العمال انسحب إلى الصحراء معتكفاً فى خلوة فترة من الزمن يصوم خلالها متطهراً . كما شاركت النساء أيضاً فى المواكب الدينية . ومن المناسبات الهامة أيضاً دفن أحد سكان القرية ، الأمر الذى يعنى انتقاله إلى داره الأخيرة التى أقامها رويداً رويداً على مر السنين .

ومن المفارقات حقاً ان الصورة التى تنبعث من هذا المجتمع الصغير المنصرف تماماً وكلية نحو أمور الموت بحكم تكوينه ذاتة ، قد خلّفت أيضاً انطباعاً بوجود حياة صاخبة تزخر بالاسى والأفراح الأبدية لشعب بأسره .

ملوك وكهنة

خلف " رمسيس " الخامس " أمون حرخپش إف " أباه عام ١١٤٨ . وتوفى بعد أربع سنوات بمرض الجدرى ، على ما يفترض ، دون أن يجد أمامه متسعاً من الوقت لاستكمال برنامج طموح دفعه إلى فتح محاجر جبل السلسلة ومناجم سيناء . وفضلاً عن مقبرته التى أقامها فى وادى الملوك (VdR 9) فقد شيد معبداً جنائزياً على مثال معبد "رمسيس " الرابع ، وانشاءات فى هليوبوليس وبوهن . وإلى عهده ترجع بردية ولبور **Wilbour** الموجودة حاليا فى متحف بروكلن وهى عبارة عن نص ضريبى طويل . ومن عهده أيضاً وصلتنا بدايات مجموعة من الأناشيد الملكية التى ترجع أحدث نسخها إلى أيام " رمسيس" السابع **(Condon: 1978)** كما وصلتنا وثيقة أخرى من طراز آخر هى بردية تورين ١٨٨٧ التى تروى لنا وقائع فضيحة مالية تورط فيها كهنة إلفنتين **(Sauneron : 1962 , 13 , Sq.)** . وتكشف الكثير عن حقيقة الفساد المستشرى فى الجهاز الإدارى .

وعلى عكس سلفه لم تنصلح الأمور فى عهد " رمسيس " السادس " أمون حرخپش إف " الثانى وهو من أبناء " رمسيس " الثالث . وحتى نهاية الأسرة العشرين سوف يحتدم الصراع بين الفرعين : فرع الذرية المباشرة من ناحية ، وفرع إخوة "رمسيس" الثالث وأبناء إخوته من ناحية أخرى . وفى عهده نقص عدد العاملين فى فريق العمل بدير المدينة ليعود إلى ستين فرداً . صحيح أن البلاد لم تكن فى حالة حرب أهلية فعلية

ومع ذلك فقد صارت ساحة للعديد من أعمال قُطّاع الطرق التى تكشف عن مدى ضعف الحكومة .

وسجل رمسيس السادس خرطوشه فى الكرنك وفى العديد من المعابد الأخرى، ولكن اهتمامه انصب بخاصة على إضافة اسمه إلى قائمة أبناء " رمسيس " الثالث فى مدينة هابو التى كانت قد أغفلته فى الأصل هو ووالده . فهل تشير فعلته إلى حرب الخلافة التى استعرت بين أفراد العائلة المالكة ؟ أما المقبرة التى بدأها " رمسيس " الخامس فى وادى الملوك (VdR 9) ليدفن فيها فقد أدخل عليها "رمسيس " السادس التوسعات لتصبح مثواه الأخير . ومن ثم انتظر صاحب المقبرة الأصلى سنتين بعد وفاته قبل أن يرقد رقدته الأخيرة .

تعددت مظاهر الانحطاط ، وأخذ نفوذ مصر وسلطانها ينحصران تدريجياً داخل حدود الوادى ، فكان " رمسيس " السادس آخر ملوك الدولة الحديثة الذين عثر على اسمهم مسجلاً فى سيناء . وظلت سلطة كبار كهنة " آمون " فى الصعود فى سائر انحاء المملكة ، وإن حافظت " إيزيس " ابنة " رمسيس " السادس على الروابط مع الكهنة بصفتها الزوجة الإلهية " لآمون " .

وخلفه رمسيس السابع عام ١١٣٦ ، وازدادت مصر بؤساً على بؤس . ويمكننا متابعة ارتفاع الأسعار فى مصادر دير المدينة . ودام حكم رمسيس السابع سبع سنوات ولم يخلف اسمه إلا فى القليل من المواقع فى تل اليهودية ومنف والكرنك والكاب . وخلفه " رمسيس " الثامن " ست حر خپش إف " عام ١١٢٨ ، فلم يدم حكمه سوى سنة واحدة ، وهو أحد أبناء " رمسيس " الثالث الذين كانوا لايزالون على قيد الحياة .

أما " رمسيس " التاسع فقد دام حكمه ثمانى عشرة سنة واتسعت دائرة نشاطه وفاقت من خلفوه . وقد عثرنا فى بلده عمارة غرب على ألقابه مسجلة فى العام السادس من حكمه وعلى اسمه فى مدينة جزر فى فلسطين وفى الواحات الداخلة وفى انطنوه . وأقام المنشآت فى هليوپوليس حيث تركزت معظم أعماله ليؤكد عزم العائلة المالكة المتزايد على السعى الحثيث صوب الشمال . ولم يمنعه كل ذلك من زخرفة الجدار الشمالى من الصرح السابع فى معبد آمون - رع فى الكرنك حيث تعاقب على التوالى فى منصب كبير الكهنة " رمسيس نخت " ثم ابنه " نس آمون " و " أمنحوتب " فى العام العاشر من حكمه . ونجح " رمسيس نخت " بفضل سلسلة من المصاهرات والزيجات العائلية فى إقامة

شبكة متشعبة ضمت كهنة " آمون " الثانى والثالث والرابع وعمدة مدينة طيبة والعديد من الأعيان . وإذ نجح فى التحكم فى مصالح كهنة طيبة الأساسيين استطاع أن يدعم سلطان كبار كهنة آمون بشكل قاطع .

ولكن الفترة الأخيرة من حكم " رمسيس " التاسع تلطخت بفضيحة كبرى تكررت أيضاً فى عهد " رمسيس " الحادى عشر " وحريحور " . فقد انتشرت سرقات الجبانة الملكية التى دفن فيها " رمسيس" التاسع (VdR 5) هو وإبنه " مونتو حر خپش إف " (VdR19) . كما نهبت أيضاً العديد من الجبانات المدنية . ووقعت أعمال السلب



شكل (١٤١) - رمسيس التاسع يقدم الأسرى لآمون
رسم تخطيطى على الحجر الجيرى من وادى الملوك (وادى ٦) الارتفاع ٢٩٫٥ سم متحف القاهرة (CGC 23721)

والنهب فى العام السادس عشر من حكمه ، وتم تسجيلها فى " دفتر يوميات " دير المدينة " (Valbelle:1985,42) ونقلها عن الدفتر أربعة عشر مصدراً دونت جميعها على ورق البردى (Peet : 1930) . وتأسيساً على ذلك أمكن ترتيب وقائع ماحدث على النحو التالى :

كان الوزير " خع إم واست " ممثل السلطة وحاكم طيبة ، فكان بالتالى رأس الموظفين الإداريين المدنيين .وكان "پاسر" الثالث عمدة مدينة طيبة الشرقية ، وكان "پاورعا " عمدة طيبة الغربية يعمل تحت رئاسته والمسئول المباشر عن الجبانة .

وفى العام التاسع من حكم " رمسيس " التاسع تسللت عصابة من النهابين والسلابيـن إلى داخل مقبرة " رمسيس " السادس الذى دفن قبل خمس عشرة سنة فحسب، كما تسللوا إلى مقبرة أخرى . ولكنهم اختلفوا حول تقسيم الغنائم فهدد أحدهم زملاءه بإفشاء سرهم . كانوا خمسة ظلوا يحفرون المقبرة طيلة أربعة أيام ثم استولوا على النفيس والثمين من محتويات المقبرة . ولا تحدد مصادرنا مصيرهم ، ولكن يفترض أن عقابهم كان رادعاً نظراً لوصول لجنة للتفتيش على المقبرة . وقد وضعت اللجنة الأختام عليها من جـــديد .

وفى أعقاب ذلك طفقت العصابات تهاجم مقابر ملوك الأسرة السابعة عشرة التى أضحت بعيدة عن المسالك المطروقة فسقطت فى طى النسيان وخفت الحراسة المفروضة عليها . كما هاجمت هذه العصابات مقابر وادى الملكات . ولا غرو أن هؤلاء النهابين والسلابين كانوا قطاع طرق عاثوا فـى المنطقة فساداً ، وكانوا على ما يعتقد من الليبييـن فى معظمهم وكانت العناصر المحلية متواطئة معهم . وربما كان على رأسهم عمدة طيبة الغربية ذاته الذى غض النظر عما يحدث تحت سمعه وبصره على حد قول عمال دير المدينة . وأحيط " پاسر " علماً بأعمال النهب والسلب والشبهات التى تشير بأصبع الإتهام إلـــى " پاورعا " . فأعد تقريراً رفعه إلـــى " خع إم واست " الذى دعا إلى تشكيل لجنة تحقيق فى العام السادس عشر مـن حكم " رمسيس " التاسع . وفحصت اللجنة عشر مقابر فوجدتها سليمة ، مثل مقبرة " امنحوتب " الأول ، كما اكتشفت حدوث محاولات لسرقة بعض المقابر الأخرى ، مثل مقبرتى " إنتف " الخامس و" إنتف" السادس . أما مقبرة " سوبك إم ساف " الثانية فقد دخلها اللصوص عن طريق إحدى المقابر المدنيـة المجاورة وتعرضت جميعها للنهـب . وفى أعقاب ذلك جرت عدة اعتقالات ، واعترف أحد المشتبـه فيهم أنه اعتدى على المقبرة الصخرية التـى دفنت فيهـا الملكة " إيزيس " زوجة " رمسيس " الثالث ! وانتقلت هيئة العدالة إلى موقع الأحداث ، ولكن المشتبه فيه لم يتمكن من التعرف على الأماكن التى أشار إليها واختلط عليه الأمر ... وأُقفل باب التحقيق القضائى وسط صيحات الاستنكار من جانب أهـل دير المدينة الذيـن أخذوا يندودن بالفساد . وقدمت الدعوى إلـى الوزيـر كقضية اكتملت أركانها القانونية . ومثل المتهمون أمام محكمة انعقدت جلساتها على البر الشرقى فى الكرنك فى معبد " ماعت " فى حرم مونتـو . واعـترف " أمـون پانفر " قـاطـع الأحـجـار بـأنـه شارك أخريـن فـــى نهب مقبـرة " سوبك إم ساف " الثانية وسرد تفاصيل ما حدث . قال أنهم

كانوا سبعة عندما تسللوا إلى داخل المقبرة عبر نفق حفروه ، ثم شرح كيف اعتدوا على التابوت ونهبوا الحلى بأن أشعلوا النار فى المومياء كسبا للوقت وتصرفوا على هذا النحو أيضاً مع الملكة " نوب خاس " .... ومما زاد من قبح الفضيحة الشنعاء أن جميع اللصوص كانوا من العاملين فى المعابد المجاورة . وتنفس عمال دير المدينة الصعداء بعد أن أطمأنت نفوسهم إلى عدم وجود رفقاء السوء بينهم ! وحكم على معظم السبعة عشر مذنباً بأن يرفعوا على الخازوق .

وفيما بعد عادت أعمال النهب والسلب إلى وادى الملكات ووادى الملوك ولكنها وقعت هذه المرة بالتواطؤ مع بعض أفراد دير المدينـــة . فقد سطا اللصـــوص على مقبرة " رمسيس " السادس الصخرية فى عهد " رمسيس " الحادى عشر ... وحاولت السلطات جاهدة على أثر ذلك أن تحافظ على جسد الملك فأخذت تنقله تباعاً من مكان إلى آخر حسب مقتضيات الظروف . وعلى سبيل المثال يمكن متابعة مختلف الأماكن التى نقلت إليها مومياء رمسيس الثانى بفضل المحضر المسجل على سطح غطاء آخر تابوت وسدت فيه . ففى البدء وضعها الكاهن الأكبر " حريحور " فى مقبرة " سيتى الأول " ، فى العام السادس من عصر " تجديد الولادة " المقابل للعام الخامس والعشرين من حكم "رمسيس " الحادى عشر ... وفى وقت لاحق ، فى أيام الأسرة الحادية والعشرين ، وفى عهد " سى آمون " قام الكاهن الأكبر " پى نجم " بنقل المومياء إلى خبيئة الدير البحرى ومعها مومياء " سيتى " الأول .

قام " پى نجم " الثانى بإعداد هذه الخبيئة فى مقبرة " إن حعپى" زوجة " أحمس" ، بعد أن أدخل عليها التوسعات تمشياً مع الظروف الجديدة . كما وضع فيها أيضاً أربعين تابوتاً لملوك مصر وكبار كهنتها من الأسرة السابعة عشرة وحتى الأسرة الحادية والعشرين وهم " تاعا " الثانى " وأمنحوتب " الأول " وأحمس " " وتحوتمس " الأول والثانى والثالث و " سيتى " الأول ورمسيس الأول والثانى والتاسع ووالدة " پى نجم " الأول ابنة كبير الكهنة " من خپر رع " إلخ ... كما دفن هو وزوجته فى نفس المقبرة . ونجح جاستون ماسپرو فى حماية هذه الخبيئة عام ١٨٨١ . وفى عام ١٨٩٨ اكتشف فكتور لوريه خبيئة أخرى تقف شاهدا على أعمال السلب والنهب التى اجتاحت جبانة طيبة فى زمن سابق على حكم " پى نجم " الثانى وفى ظل حكم " پى نجم " الأول . وقد استخدم هذا الملك مقبرة " أمنحوتب " الثانى ، فأمر بأن يوضع فيها " تحوتمس " الرابع "

وأمنحوتب " الثالث " ومرنتپاح " " وسى پتاح " و " سيتى " الثانى و " رمسيس " الرابع والخامس والسادس ، والذى ذلك بالإضافة إلى " أمنحوتب " الثانى صاحب المقبرة وكان يشغلها أصلاً . وكان " مونييه " M. Maunie قد عثر قبل ذلك بوقت طويل ، وفى عام ١٨٥٠على وجه التحديد ، على خبيئة فى العساسيف تضم ستين مومياء . كما تم العثور فى الدير البحرى على خبيئتين أخريين ، اكتشف ماربيت أولاهما عند قيامه بتنظيف معبد الدير البحرى عام ١٨٥٨ وكانت تضم واحداً وسبعين تابوتاً لكهنة "مونتو" ، أما ثانيتهما فقد اكتشفها " دارسى " عام ١٨٩١ عند مدخل باب الجاسوس وتضم ١٥٣ تابوتاً ومائتى تمثال لكبار كهنة " آمون " فى عصر لاحق للأسرة الحادية والعشرين .

تشهد أعمال السلب والنهب هذه على افتقار مصر العليا إلى الأمان ابتداء من عهد " رمسيس " التاسع وتفاقم الأوضاع فى ظل حكم الملكين الأخيرين من ملوك الأسرة العشرين ، حتى أن الشك يدور حول عدد سنوات حكم " رمسيس " العاشر " أمون حرخپش إف " الثالث الذى يميل البعض إلى تحديدها بثلاث أوتسع سنوات ، وهو آخر ملك ثبت سيطرته على النوبة وحتى عنيبة على أقل تقدير . وكانت النوبة آخر البلدان الخارجية التى بقيت تابعة لمصر فنفوذ مصر فى سوريا وفلسطين كان قد أصبح أثراً بعد عين منذ زمن طويل .

وبعد وفاته دفن فى وادى الملوك(VdR 18) وخلفه " رمسيس" الحادى عشر الذى دام حكمه سبعة وعشرين سنة ، كانت التسع عشرة سنة الأولى منها فقط على هذا القدر أو ذاك من الفاعلية . وتفاقمت الاضطرابات فى منطقة طيبة حيث بالإضافة إلى ما لاحظناه من انتشار أعمال السلب والنهب فى المنطقة وانعدام الأمن فيها يبدو أن المجاعة قد تفشت فى الوجه القبلى مما تسبب فى تلك الاضطرابات . كما احتدمت صراعات عميقة بين الكهنة الذين أخذوا يستأثرون بالامتيازات حتى كادوا يصبحون أندادا للملوك . فصّور الكاهن الأكبر " أمنحوتب " نفسه فى الكرنك بقامة تماثل مليكه، تعبيراً عن مدى استخفافه بسلطته . ولكن يبدو أنه تعدى حدوده أكثر مما ينبغى طرده " رمسيس " الحادى عشر فى السنوات الأولى من حكمه .واندلع مايشبه الحرب الأهلية مما أضطر " پانحسى " نائب الملك فى كوش إلى التدخل فى طيبة ذاتها ، بل إنه وصل إلى هارادای شمالاً . وخلف " رمسيس نخت " الثانى على مايبدو الكاهن الأكبر " أمنحوتب " .

وقبل العام التاسع عشر من حكم " رمسيس " الحادى عشر بقليل برز على مسرح الأحداث " حريحور " كبير الكهنة الجديد الذى كان ذا شخصية قوية . وإذ نجهل أصوله الحقيقية فإنه ينحدر على الأرجح من عائله ليبية . وتقدم لنا نقوش معبد " خنسو" فى الكرنك الذى استكمله عرضاً متتابعاً لتزايد سلطاته تدريجيا إلى أن حصل على مايشبه الألقاب الملكية ، فترسخت سلطته المطلقة على الوجه القبلى قاطبة دون أن يصبح فرعوناً . إنه بداية عصر " تجديد الولادة " الذى استعار عبارة " وحم ميسوت " التى سبق أن استخدمها مؤسسو الأسرات الجديدة .

لقد أقام العصر الجديد نوعاً من التوازن بين رجال ثلاثة : أولهم الملك الذى ظل من الناحية الرسمية سيد اللعبة وإن سُلبت كل سلطاته حتى أن " رمسيس " الحادى عشر لم يجد بعد وفاته حوالى عام ١٠٦٩ من يتولى استكمال المقبرة التى أعدت له فى وادى الملوك (VdR 4) أما الشخص الثانى فكان " سمندس " المسئول عن إدارة شمال المملكة انطلاقاً من المقر الملكى فى " پر رمسيس " ، وكان يأتمر من الناحية المبدئية بأمر كهنة " آمون " ، وكانت " پر رمسيس " تعيش آخر أيامها قبل تفكيك أحجارها لتستخدم فى تشييد مدينة تانيس . أما الشخص الثالث فى هذه الزعامة الثلاثية غير المتعادلة الأطراف فهو" حريحور " الذى جمع بين يديه مختلف المناصب الدنيوية والدينية كما كان قائد الجيوش فى مصر العليا والنوبة ، مما دفع " نحيسى " إلى الانفصال ، فانحصرت حدود مصر من الآن فصاعداً فى وادى النيل فيما بين أسوان والبحر المتوسط .

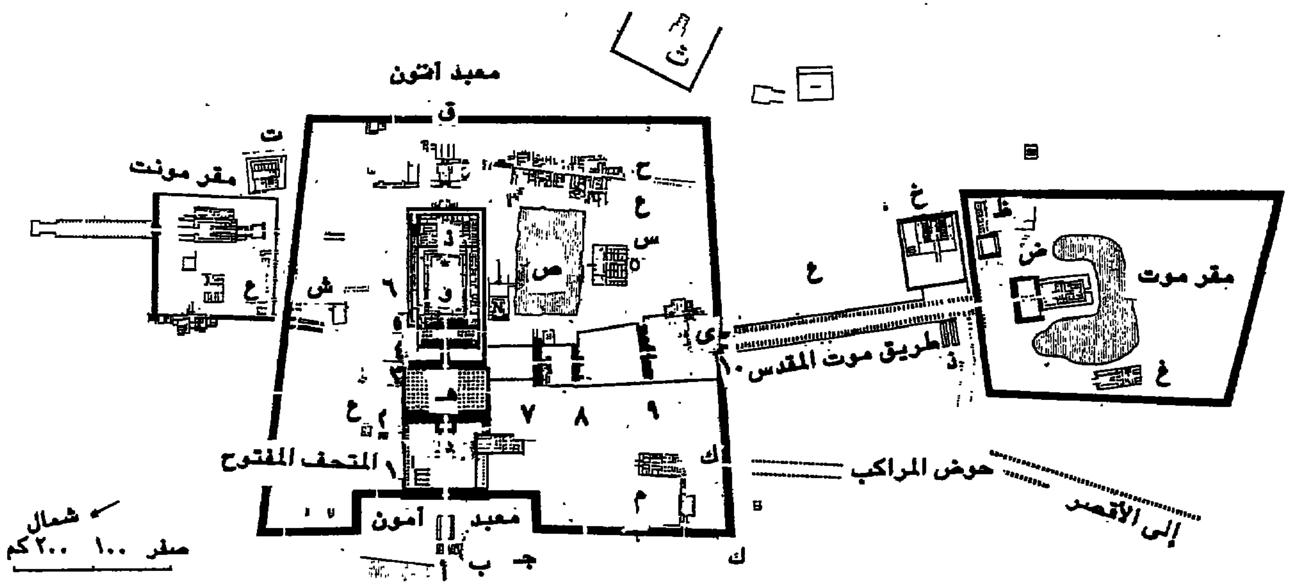
ولم تستمر هذه المشاركة فى الحكم بعد وفاة رمسيس الحادى عشر . حيث تقاسم الوجه القبلى والوجه البحرى السلطة ، وعادت كل مملكة إلى حدودها الطبيعية كما حدث فى كل أزمة واجهتها البلاد . فأسس " سمندس " فى الشمال أسرة ملكية جديدة إدعت انتسابها إلى العائلة المالكة واتخذ من تانيس عاصمة جديدة للبلاد . أما فى الجنوب فقد عاد كبار الكهنة إلى جذور الثيوقراطية ، فعملوا جاهدين وبتصميم أكبر من الأزمنة الغابرة على تطابق الأسطورة والتاريخ ، مستندين فى سعيهم لتحقيق سياستهم إلى أملاك إلههم الذى كان أول المستفيدين من إمبراطورية الرعامسة الشاسعة حتى أضحى هذا الإله أكثر ثراء من فرعون وأقوى منه .

الفصل الثانى عشر
مــقر آمــون وأملاكـــه

معبد الكرنك

لقد دون جميع فراعنة الدولة الحديثة دون استثناء دونوا على الأقل أسماءهم فى معبد " آمون - رع " بالكرنك . و يستحيل على الزائر فى العصر الحديث ألا يُأخذ بتشعب الموقع وتعقيداته وما يزخر به من ثروة أثرية . فاعمال التشـييد لم تتوقف فى المعبد على مدى ثلاثة آلاف سنة .

أعاد اكتشاف الموقع فى مطلع القرن الثامن عشر الكابتن " نوردن " (Norden) الذى أعد عنه أولى الرسومات ، و القس" بوكوكيه " (Pococke) الذى وضع أول مسقط أفقى له . وجاءت الحملة الفرنسية لتبدأ المرحلة الأولى لدراسة الموقع دراسة علمية. و اتخذت عدة خطوات للتعرف عليه ، بدءاً من كتاب " وصف مصر " ثم زيارة چان فرانسوا شامپوليـــون عام ١٨٢٨ والتــقارير التى كتــبها كل من " كرونستـــراند " (B. Cronstrand) " وديڤــــيد روبــرتــس " (D . Roberts) و " لــــوت " (N. L' Hôte) و " هورو "(H . Horeau) . ومع انفتاح محمد على على أوروبا حضر علماء الآثار إلى مصر ، ولكنهم لم يأتوا وحدهم للأسف . ففى أعقاب عملية تحديث الاقتصاد المصرى وخاصة تشييد مصانع السكر أعيد فتح " محاجر المنشآت " المتمثلة فى المعابد المصرية نظراً لسهولة استغلالها . و هو ماتكرر حدوثه منذ العصر الرومانى عندما اختفى تماماً معبد " آمون " الذى يرجع إلى الدولة الوسطى . ومن ناحية أخرى اقتحم الفلاحون المكان ونقلوا منه " السباخ " بغرض تسميد أراضيهم فواصلوا تخريب الآثار والشواهد الأثرية . استغاث " شامپوليون " " وريفو "(Rifaud) ثم لوت ، ودقوا ناقوس الخطر محذرين مما شاهدوه من سلب ونهب شارك فيه العديد من الأدعياء الذين نصبوا أنفسهم منقبين ، والتنقيب منهم براء . ولكن با ءت جهودهم بالفشل فى مواجهة المصالح الاقتصادية الملحة . لقد أصدر محمد على عام ١٨٣٥ مرسوماً لحماية الآثار القديمة . و لكن بعد مرور خمس سنوات كانت صروح طريق موكب الطواف مازالت تستخدم كمحاجر .... و فى أعقاب انتقال مسلة الأقصر إلى باريـــس و جــدت " حجــرة الأجــداد " طريقها إلـى باريـــس حيث نــقلها " پريس داڤين " (Prisse d' Avennes)



أ : منصة تشرف على المجرى المائى المرتبط بالنيل . الساحة الأمامية مزدانة بطريق كباش .
ب مقصورة إستراحة " هكر " حيث توضع مركب الموكب الإلهى قبل إبحارها على متن سفينة
ج : أحدور المدخل من المجرى المائى.
د : فناء كبير . فى الوسط جوسق طهرقا . على اليسار إستراحة سيتى الثالث المثلثة .
على اليمين معبد إستراحة رمسيس الثالث .
هـ ـ بهو الأساطين العظيم . فى الفناء الواقع بين الصرحين الثالث والرابع مسلتان بقيت واحدة (تحوتمس الثالث) .
و : القسم الأوسط لمعبد آمون . معبد الدولة الوسطى كان مقاما فى المنطقة الخالية . وقد هدمه العمال لصنع الحجر الجيرى . فى الجانب الغربى . مقصورة فيليب اريدايوس من الجرانيت . وكانت تضم مركب الإله .
ز : " آخ منو " . معبد اليوبيل تحوتمس الثالث .

ح : حرم تحوتمس الثالث وأجنحة الكهنة المشرفة على البحيرة المقدسة
ط : صقالة من العصر الرومانى . استخدمت عند نقل المسلة إلى اسطنبول .
ى : فناء الصرح العاشر ومبنى امنحوتپ الثانى وهو عبارة عن إستراحة للمركب .
ك : بوابة بوارجيتوس
ل : هيكل نختنبو .
م : قطاع معبد خنسو . إله القمر وابن آمون ومعبد أوپت – مكان ولادة أوزيريس الأسطورية
ن : مبنى طهرقا . معبد التجديد الإلهى .
س : المخازن
ع : هياكل أوزيريس فى العصر المتأخر
ن : معبد أوزيريس
ص : البحيرة المقدسة . إطار الملاحة المقدسة

ق : معبد الشرق " آمون السميع " موقع مسلة اللاتران .
ر : البوابة الشرقية العظمى
ش : معبد بتاح . إله منف العظيم .
ت : " كنز " تحوتمس " الأول
ث : معبد خنسو " الذى اكمل خططه فى طيبة "
خ : معبد " آمون كاموتف " من مظاهر آمون المنجب
ذ .إستراحة آمون التى شيدتها الملكة حتشبسوت
ض : معبد " موت " زوجة " آمون "
ظ : معبد خنسو الطفل
غ : معبد إستراحة رمسيس الثالث

١ – ١٠ الصروح

شكل (١٤٢) – خريطة عامة لمعابد الكرنك
(نقلاً عن Traunecker et Golvin, 1984, 20-21)

إلى متحف اللوفر عام ١٨٣٤ . وكان لابد من الانتظار حتى عام ١٨٥٨ عندما أنشئت مصلحة الآثار ليبدأ " مارييت " أعمال تنظيف المعابد .

انكب " مارييت " على أعمال التنظيف الأولى فى الفترة من ١٨٥٨ إلى ١٨٦٠ ثم ، نشر عام ١٨٧٥ مجلدين تحت عنوان " الكرنك : دراسة طوبوغرافية وأركيولوجية " (Karnak, étude Topographique et archéologique) ثم باشر " جورج ليجران " (G . Legrain) هذه الأعمال فى الأعوام من ١٨٩٥ وحتى ١٩١٧ . وأنجز على خير وجه أعمال ترميم بهو الأساطين ومحاولة إعادته إلى حالته الأولى مستخدماً أسلوب " الأنستيلوز " anastylose . وقام بتنظيف فناء الصرح الأول و معبدى استراحة المركب اللذين شيدهما " سيتى " الأول " ورمسيس " الثالث . واكتشف خبيئة فناء الصرح السابع . ونشر تقاريره العلمية فى مجلة مصلحة الآثار : " حوليات مصلحة الآثار المصرية " Annales du service) (des Antiquités de L'Égypte) وفى " مجموعة الدراسات(Recueils de travaux) وهى إحدى المجلتين الفرنسيتين الكبيرتين المتخصصتين فى تلك الفترة . وفى عام ١٩٢٩ صدر كتاب " الكرنك " Karnak الذى ظل مؤلفه - العالم "كابار " (Capart) - يعمل فيه حتى وفاته عام ١٩١٧ . وخلفه " پييه " M. Pil-let من ١٩٢١ وحتى ١٩٢٦ فافرغ مابداخل الصرح الثالث الذى شيده " أمنحوتب " الثالث ليكتشف بقايا ستة عشر أثرا من عهود سابقة استخدمت كحشو للصرح . و قام بتنظيف ممر موكب الطواف الجنوبى وهياكل الكرنك الشمالية و معبد موت ودعم الصرح العاشر واكتشف تماثيل " إخناتون " الأوزيرية الشامخة شرقى سور " معبد آمون - رع " .ونشر نتائج أعماله فى كتاب صدر له عام ١٩٢٨ تحت عنوان : "طيبة Thèbes " . " وكان هنرى شيڤرييه " (H. Chevrier) هو ثالث المهندسين الذين تولوا مسئولية الكرنك فأشرف على أعمال التنقيب فى الفترة من ١٩٢٦ إلى ١٩٥٤ مع توقف أثناء الحرب العالمية الثانية . وانتهى من تفريغ حشوة الصرح الثالث ، وبدأ أعمال التنقيب فى الصرح الثانى وأعاد بناءه . وأجرى المجسات فى منشآت الدولة الوسطى ثم انصرف إلى إعادة بناء المبانى التى أعيد استخدامها خلال الدولة الحديثة وهى هيكل الاستراحة الذى شيده " أمنحوتب " الأول من الألبستر و " المقصورة البيضاء " ومقصورة " حتشبسوت " وأعدها للنشر . واعتباراً من عام ١٩٣١ أقام أعضاء " المعهد

الفرنسى للآثار الشرقيـة " (IFAO) شمالـى الكرنك فى معبد " مونتو " حيث بدأ "روبيشون " (C . Robichon) " وڤـاريل " (A . Varille) أعمال التنقيب التى واصلها من بعدهما منقبو المعهد و لايزالون مستمرين فى أعمالهم إلى يومنا هذا . وانتهت أعمال تنظيف معبد " آمون - رع كاموتف " ومدخل معبد " موت " عام ١٩٣٦ . و قام "ڤاريل " عام ١٩٥٠ بتنظيف هيكل " تحوتمس " الثالث الشرقى ونشر نتائج أبحاثه حوله، وباشر " پول بارجيه " (P. Barguet) تنظيف المسلة الوحيدة " لتحـوتمس " الثـالـث ... ثـم نشـر بعد ثلاث سنـوات دراسـة عنوانـها " معبد آمون رع بالكرنك " Le Temple d'Amon-Rê á Karnak لاتزال المرجع الذى يعتد به فى هذا المجال . وأخيراً وليس آخراً اتفقت مصر وفرنسا عام ١٩٦٧ علـى التعاون لحماية معابد الكرنك ودراستها دراسة علمية من خلال مركز فرنسى مصرى Centre Franco-Égyptien Æ وعلى امتداد عشرين سنة انتهى المركز من تفريغ مابداخل الصـرح التـاسـع وأعد دراسـات مستفيضة حول التلف الـذى يصيب المبانـى الأثرية . كما اكتشف مساكن الكهنة حول البحيرة المقدسة ، و أعـاد بنـاء حجرة الأجـداد وهيكـل " هكـر " (أكوريس) الواقع أمام الصرح الأول وواصل دراسة أحجار معبد " إخنـاتون " التى أعيد أستخدامها الـخ ... كما اهتم بصيانة وعرض وحماية هذا الموقع الذى يعدّ من أهم مزارات مصر . وفى غضون ذلك تولت بعثة كندية دراسة مبانى العمارنة الواقعة شرقى المعبد . كما قامت بعثة أمريكية بدراسة معبد " موت " .

و إذا صحّ ماورد فى قائمة " حجرَة الأجداد " فإن تأسيس المعبد يرجع إلـى الأسرة الثالثة . و لكن الفرص تبدو ضئيلة جداً فى الوصول إلى اكتشاف مباشر يؤكد هذا الزعم نظراً لشدة الدمار والتخريب اللذين لحقا بأكثر أجزاء المعبد قدماً . وقد أقيمت فى المعبد منذ الدولة القديمة علـى الأرجح شعائر عبادة " مونتو " الإله المحلـى . و كان وجود المعبد أمـراً مؤكداً فـى عهد " أنتف " الثانى وقد أطلق عليه " مسكن آمـون " و كـان اسمه الكلاسيـكى " إپت سوت " الذى يعنى " الذى يُعـدّ الأماكن ويحصيها " يطلق أصلاً على هذا القسم من المعبد الواقع بين الصرح الرابع وبهو احتفالات " تحوتمس " الثالث. وقـد وجد هـذا الاسـم مسجلاً علـى " المقصورة البيضاء " لسنوسرت الأول .

وتغطى مجموعة معابد الكرنك مساحة تاريخية ممتدة تبدأ بالأسرة الحادية عشرة وتنتهى بالعصـر الرومانـى ، بل ويمكن القول أننا نكاد نكتب تاريخ مصر اعتماداً على

تاريخ معابد الكرنك . و ينقسم الموقع إلى ثلاث مجموعات : مجموعة معبد آمون - رع- مونتو (الكرنك الشمالى) ، ثم مجموعة " آمون - رع " ، فمجوعة " موت " (الكرنك الجنوبى) . ولاننسى أن نضيف معبد الأقصر وهو " حريمه الجنوبى " .

شُيد سور " مونتو " قبل سور معبد آمون - رع من الطوب اللبن . ويضم مقصورة قدس أقداس مكرسة لـ " مونتو - رع " ، ثم مرسى خاصاً بها فى الناحية الشمالية ، يربط بينهما طريق مقدس ، وأخيراً البحيرة المقدسة . والمقصورة من أعمال أمنحوتب الثالث الذى أعاد استخدام بناية سابقة " لأمنحوتب " الثانى .وقد أدخلت عليها التعديلات والتوسعات فى عصر الرعامسة شأنها فى ذلك شأن معظم منشآت الكرنك . و فى وقت لاحق أضاف إليها طهرقا بوابة شامخة تكتنفها الأعمدة التى أعيد بناؤها فى العصر البطلمى . ويلاصقها من الناحية الجنوبية معبد للإلهة " ماعت " يرجع إلى الأسرة الثامنة عشرة على أقل تقدير . و فى الناحية الشرقية معبد " حرپارع " وهـو مـن العصر الأثـيوبى . و علـى مقربة مـن سور معبد " مونتو " الجنوبى أقامت " عابدات الإله " ستة هياكل أوزيرية (ع) .

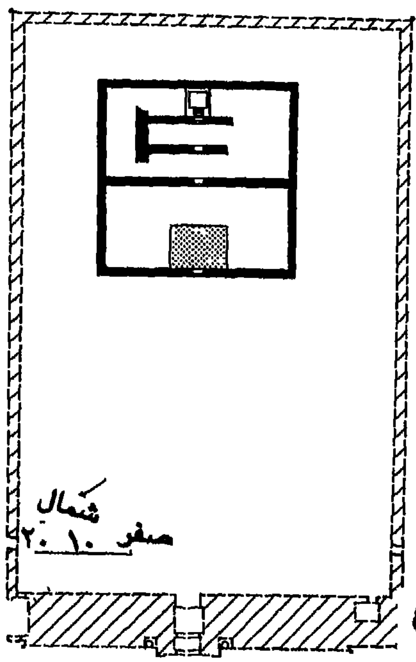
وإذا واصلنا السير ملتفين حول سور معبد " آمون - رع " متجهين إلى الناحية الشرقية ، فسنجد على امتداد محور المعبد الرئيسى موقع ال " چم پا آتون " الذى شيده "إخناتون " . و قد دمرّ عن آخره ، وإن احتفظ " معبد بن - بن " فى ال " چم پا آتون " بآثار حريق . ثم نصل بعد ذلك عند الناحية الجنوبية إلى معبد " خنسو " : " الحاكم فى طيبة " و الذى يصعب تحديد تاريخ تأسيسه . ويقتنى متحف برلين قوالب حجرية "لتحوتمس " الثالث نـقلت من هذا المعبد الذى جـرى ترميمه فى العصر البطلمـى . كما عثـر فيه شامپوليون على لوحة " بختــان") (**Louvre C 284** التى سبق الإشارة إليها . ومن ثم يمكن القول أن " تحوتمس " الثالث هو الذى أقام هذا المعبد بما أنه يعتبر النموذج والمثل الأعلى المؤسس للعلاقات التى تربط مصر بملوك آسيا الصغرى وعلى هذا النحو صورت لوحة " بختـان " " رمسيس " الثانى .

ويلتف سور حرم " موت " حول مساحة تناهز العشــرة هكــتارات . وقد أعـيد بناء هذا السور فى عهد الإمبراطور الرومانى " تيبريوس " ، ويربطه بالسور الجنوبى لآمون رع طريق مقدس ينتهى عند الصرح العاشر . والمبنى الرئيسى فى الحرم هو المعبد المكرس للإلهة موت العنصر الثانى المكون لثالوث طيبة . و معبد موت هو المبنى الرئيسى فى حرم " موت " ويحيط به من ثلاث جهات بحيرة " آشر " ذات الشكل المميز . وقد جاءت

التماثيل التى كرسها " أمنحوتب " الثالث للإلهة " سخمت " من الفناء الأمامى . كما يفترض أنه أقام هذا المعبد أيضاً مكان بناية " حتشبسوت " . وحفظ لنا الزمن من هذا المعبد هيكلاً لـ " آمون - رع كاموت إف " أى " آمون - رع ثور أمه " واستراحة المركب المقدس . وشملت التوسعات الاستراحة وتم زخرفتها فى عهد سيتى الثانى وأيام طهرقا الذى برز كواحد من أهم من اهتموا بإعادة بناء الكرنك أخيراً فى العصر البطلمى . وأقيمت فيها شعائر خاصة بعبادة موت بصفتها أم خنسو الذى خصص له أيضا معبد فى حرم "آمون رع". كما شيد له "تحوتمس" الرابع معبداً فى حرم موت لم يكتمل إلا فى العصر الإثيوبى. إنه معبد "خنسو الطفل" ويلعب دوراً شبيهاً بالـ. ماميزى" (بيت الولادة) كما توضحه مشاهد الولادة الملكية المصورة فى فناء المعبد .

أما الامتدادات الوحيدة الموجودة فى الناحية الغربية فهى لمعبدى استراحة المركب . ويرجع الأول إلى العصر اليونانى الرومانى ، ويرجع الثانى إلى " هكر " وإن بدأ " نفريتس " الأول تشييده .

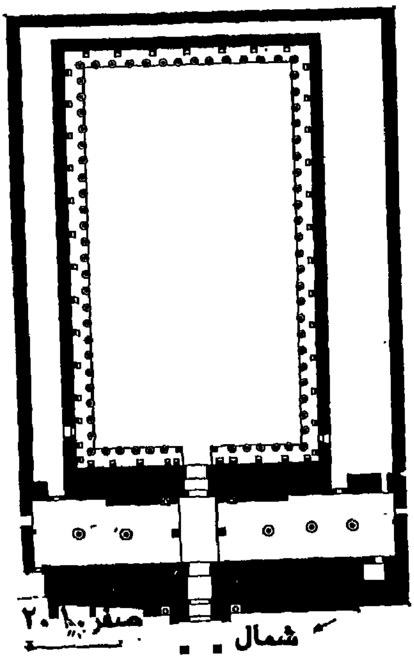
تزودنا هذه الإطلالة السريعة على أحرام معابد الكرنك بالفلسفة التى أملت على المعبد تطوره ونموه على مرّ السنين و العصور . فكاد كل ملك من ملوك مصر يُقدم على تعديل أو إضافة إلى ماشيده أسلافه من منشآت لتترك فى مجملها انطباعاً لمبانٍ تكدست وتزاحمت فى فوضى تامة . فالزائر فى العصر الحديث القادم من المرسى ليعبر الصرح الأول يرجع فى واقع الأمر بالزمن القهقرى . فيبدأ من المبانى الأحدث ليصل إلى أقدمها تبعاً للتسميات التقليدية التى أطلقت اصطلاحاً على العمائر من الصرح الأول و حتى الصرح السادس على امتداد المحور الغربى الشرقى ، ومن السابع إلى العاشر على المحور الشمالى الجنوبى . وقد أخذ المعبد يتوسع انطلاقاً من المعبد الواقع عند" فناء الدولة الوسطى" (الشكل ١٤٢) و فى اتجاه الغرب أى فى اتجاه منفذ الخروج . كما توسع المعبد فى الاتجاه المقابل ناحية الشرق بتأسيس معبد مقابل والتوسع فى منشآته وهو معبد للشمس يواجه الشمس المشرقة . وفى الوقت نفسه استطال ممر موكب الطواف الممتد من الشمال إلى الجنوب و الذى يربط أسوار أحرام مونتو وآمون رع وموت . واعتباراً من عهد " أمنحوتب " الثالث كان الممر يشكل الحدود الغربية للمعبد فى حد ذاته ، ويفصل بينه وبين المنشآت الجديدة التى لم تكن سوى امتدادات للطريق الذى يدخل منه المركب المقدس .



شكل (١٤٣) - المعبد القديم

كان المعبد قائما فى الأصل فى المساحة المحصورة بين ماسيعرف فى وقت لاحق ببهو الاحتفالات لتحوتمس الثالث وقدس أقداس المركب المقدس. و كان يضم ، كما يعتقد، قاعتين متتاليتين إلى جانب قدس الأقداس وهو الحد الأدنى الضرورى لتشكيل معبد . وظل هذا التخطيط كما هو دون تغيير إلى ان أدخل عليه "تحوتمس" الأول بعض التعديلات بمساعدة المعمارى "إنينى" . ولانعرف كيف كان شكل هذه المنشآت قبل عصر " تحوتمس " الأول فهياكل الاستراحات التى أعيد استخدام كتلها فى وقت لاحق تفترض وجود طريق طويل يمتد من المرسى إلى المعبد وزع عليه عدد من المحطات لاستراحة المركب المقدس .

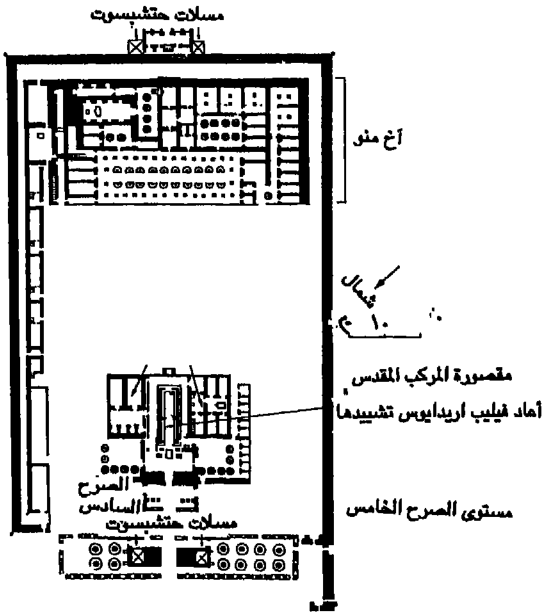
صور المعمارى " إنينى " فى مقبرته فى الشيخ عبد القرنة(TT 81) المنشآت التى شيدها لحساب مليكه . لقد أقام حول المعبد سوراً ، يسد منفذه صرح (الخامس) . وبعد رسم حدود الفناء أحيط بصفات تكتنفها تماثيل " أوزيرية " شامخة فى الأغلب . وكان الصرح المشيد من الحجر الرملى المزدان بالحجر الجيرى يفضى إلى بهو أساطين من خلال باب تكتنفه ساريتان رفعت عليهما البيارق وقد أطلق عليه " بهو الأساطين الفخم ذو الأساطين البرديه " .كان سقفه من الخشب ، وتنهض على امتـــداد جدران البهو تماثيل



شكل (١٤٤) - منشآت تحوتمس الأول

ملكية شامخة ترتدى تاج الوجه القبلى أو تاج الوجه البحرى على التوالى . ويحيط بهذه المجموعة سور ثانٍ له مدخل على شكل صرح ثانٍ (الرابع) وقاعدته على الأقل مبنية من الحجر الرملى . وكانت الواجهة الغربية للمعبد تشكل مدخله وتزدان بأربع سوارٍ ووضع أمامها " تحوتمس " الأول مسلتين لم يبق منهما فى الوقت الراهن سوى المسلة الجنوبية . وتؤلف مجموع هذه العمائر ال " إيت سوت " على وجه التحديد ، ويمكن اعتبارها النموذج الذى استوحاه " أمنحوتب" الرابع عند تشييد معبد" آتون" فى العمارنة .أما المرحلة الرئيسية الثانية فى تطور عمارة المعبد فتتفق وعهد " حتشبسوت " " وتحوتمس" الثالث إذ أخذ الأخير يخرب ماشيدته الأولى أو يدخل عليه التعديلات .

أقامت " حتشبسوت " قرب واجهة قدس الأقداس الغربية مقصورات للقرابين وأمامها إستراحة للمركب يطلق عليها اصطلاحاً " المقصورة الحمراء " . وأقامت فى العام السادس عشر من حكمها مسلتين من جرانيت أسوان الوردى غلفتهما بسبيكة الإلكتروم، ولم يبق منهما سوى المسلة الشمالية أمام الصرح الخامس والواقعة إذن فى قلب بهو الأساطين الذى شيده " تحوتمس " الأول. وشيدت قدس أقداس كرسته للشمس



شكل (١٤٥) - منشآت حتشبسوت وتحوتمس الثالث

المشرقة ملاصقاً للسور الشرقى لتحوتمس الأول وأقامت أمامه مسلتين. وسوف يحل محل قدس الأقداس فى وقت لاحق بهو الاحتفالات الذى أقامه "حوتمس" الثالث. ويغلب على الظن أن حتشبسوت قامت بتشييد معبد " موت سيدة آشر " ، كما أشرنا إلى ذلك فى وقت سابق . واستبدلت بالصرح الثامن المبنى من الطوب وسط ممر الموكب الطواف صرحاً أخر مبنياً من الحجر .

وأدخل " تحوتمس " الثالث على الـ " إيبت سوت " تعديلات جذرية ، فأخفى عن الأنظار مسلتى " حتشبسوت " داخل حجرة صندوقية صماء فلم يظهر منهما سوى رأسيهما المدببين ، وربط هذه البناية بالصرح الخامس فأنشأ أمامه قاعة أمامية . كما أضاف صفين من الأساطين إلى الأساطين التى أقامها " تحوتمس " الأول واستبدل بالسقف الخشبى الذى يغطى بهو الأساطين هذا سقفاً آخر من الحجر .

وقسّم " تحوتمس " الثالث الفناء الواقع شرقى الصرح الخامس والفاصل بينه وبين المقصورات التى أقامتها " حتشبسوت " ليقيم فى وسطه صرحا جديداً (السادس) . وصور على سطوحه النصر الذى أحرزه فى " مجدو " . وشيد وسط مقصورات " حتشبسوت " استراحة للمركب من الجرانيت الوردى .ولكن هذه الاستراحة تهدمت وأقام فيليب

أريدايوس مكانها استراحة جديدة لاتزال قائمة حيث هى ، وهى نسخة طبق الأصل من استراحة "تحوتمس " الثالث . وصورت على الجدار الجنوبى الخارجى لقدس الأقداس مشاهد التأسيس وموكب المركب المقدس .

وأعاد " تحوتمس " الثالث تقسيم الفناء شرقى الصرح السادس إلى ثلاثة أقسام: الأول عبارة عن قاعة وسطى سقفها مرفوع على عامودين من الجرانيت الوردى .وتمثل زخارف العامود الجنوبى النبات الشعارى للوجه القبلى أما العامود الشمالى فتمثل زخارفه النبات الشعارى للوجه البحرى . أما القسمان الآخران فيشكلان فناءين جانبيين أمام هياكل " حتشبسوت " . وهذا الجزء من المعبد له دلالة استراتيجية ، فهو المكان الذى يقف فيه الملك فى حضرة الإله بعد أن تطهر للمرة الأخيرة . وقد أمر أن ينقش على جدرانه النص الذى يعرف اصطلاحاً بنص " الشباب " إلى جانب " حولياته " .

وبدلاً من قدس الأقداس للشمس المشرقه الذى أقامته حتشبسوت شيد تحوتمس الثالث معبداً للتجديد وهو المكان الذى تحلّ فيه على الملك القدرة الإلهية أثناء عيد"سد " وقد أطلق على هذا المعبد إسم " آخ منو " ويتكون من أربعة أقسام رئيسية . يشكل القسم الأول المدخل وهو ممر طويل يخترق سورَىْ تحوتمس الأول ويفضى إلى ردهة تطل عليها تسعة مخازن عبر ممر يمتد من الشرق إلى الغرب . وخصصت المخازن لحفظ مايلزم الاحتفالات من ملابس ومنتجات . ويمتد عبر إفريز المخازن الستة الأولى نص تذكارى طويل حول تأسيس المعبد ، يبلغ فيه " تحوت " الآلهة المجتمعين بالمرسوم الذى أصدره " آمون - رع " بتتويج تحوتمس الثالث ملكاً على مصر . أما باب الردهة الغربى فيفضى إلى بهو الاحتفالات فى حدّ ذاته ، وهو بهو أساطين يلتف من حوله اثنان وثلاثون عاموداً مربعاً . ويرفع حمالات الرواق الأوسط صفان من عشرة أساطين تيجانها من الطراز المعروف اصطلاحاً بتيجان " عيد سد " . وطلى سقف الرواق باللون الأزرق ورصِّع بنجوم ذهبية . ودونت ألقاب تحوتمس الثالث على حمالات السقف كما صور الملك على الأعمدة مرتدياً على التوالى تاج الجنوب وتاج الشمال حسب وضع الأعمدة واتجاهها . ويصور الحائط الجنوبى من الجدار الشرقى مراسم اعتلاء الملك عرش البلاد . و عند مدخل بهو الاحتفالات يقف "تحوتمس " الثالث ليقدم القرابين لأسلافه الذين فارقوا الحياة مثل "سيتى " الأول فى معبده فى أبيدوس وهو المكان المعروف بـ " حجرة الأجداد " الموجودة حالياً فى متحف اللوفر وإن أعيد إقامة نموذج لها فى نفس المكان . و القسم الثالث فى الجنوب الشرقى وهو مكرس لعبادة الاله "سوكر " ، ويضم قدس الأقداس وهيكل المركب

المقدس "وناووس " الأقنوم الإلهى على شكل صقر محنط وتمثال الشعائر و المخازن . و توجد إلى الشمال الشرقى مقصورتا قدس الأقداس ،اعاد الإسكندر بناء إحداهما.كما توجد حجرات "آمون " الخاصة وتعرف احداهما " بحديقة النباتات " . وقد سبق الإشارة إلى دلالتها .

أحاط" تحوتمس " الثالث كل هذه المبانى بسور ، هو امتداد لسور تحوتمس الاول شرقاً ويلتف من حولها شمالاً وحتى مستوى الصرح الخامس .كما ضَمن هذه المجموعة سوراً ثانياً يبدأ من الصرح الرابع جنوباً ليلتقى بالصرح الخامس شمالاً تاركاً مسارا للعابرين . وشيد "تحوتمس " الثالث إلى الشرق من هذا السور الأخير معبداً ملاصقاً يكتنفه صف من الأساطين .ونشاهد فى ناووس المعبد " آمون " جالساً بجوار الملك وقد وضع يده على كتفه - كما شيّـد هذا المعبد بمناسبة الاحتفال بيوبيل الملك .

وأعدت البحيرة المقدسة ، وعلى المحور الشمالى الجنوبى شُـيد الصرح السابع المرتبط أيضاً باليوبيل ، ونُقشت على واجهتى الصرح المشاهد التقليدية لذبح أعداء مصر فى الجنوب وفى الشرق . كما يتقدم الصرح تماثيل شامخة على جانبى المدخل . ان التمثالين الشامخين القائمين أمام واجهة الصرح الجنوبية كانت تتقدمهما مسلتان ، لم يبق منهما سوى قاعدة المسلة الشرقية . وقدنقلت المسلة الغربية فى عهد "ثيودوسيوس " الأول إلى القسطنطينية حيث أقامها "بروكلوســيوس " فى مضـــمار سباق الخيل عام ٣٩٠ م .

كذلك نشط " أمنحوتب " الثانى فى الكرنك . ولكن الإضافات الرئيسية لم تأت إلا على أيدى "تحوتمس " الرابع " وأمنحوتب " الثالث على وجه الخصوص إذأضاف كل منهما هذا القدر أو ذاك من الإنشاءات . ولكن الخطوط العريضة لـ " إيث سوت " بقيت مع ذلك كما هى دون مساس . وانصبت الأعمال الإنشائية من الآن فصاعداً على الأقسام الواقعة أمام المعبد أى طريق موكب الطــواف غرباً أو الإنــشاءات الخـارجة عن نطاق قدس الأقداس فى حد ذاته .

نجح "تحوتمــس " الرابع فى رفـع مسـلة المعبـد الشرقى لتحوتمس الثالث المعروفة بإسم " تخن وعتى " أى " المسلة الوحيدة " والتى لم تصبح فى قلب هذا المعبد إلا بعد التوسعات التى أجراها رمسيس الثانى بفترة طويلة ، وبالتحديد فى عهد " بطليموس " الثانى " يوارجيتس " الثانى ، وهى اكبر المسلات المعروفة ، إذ يزيد ارتفاعها على ثلاثة

وثلاثين متراً وربما نقلت لهذا السبب إلى روما فى عهد " قسطنطيوس" الثانى عام ٣٥٧ م ليزدان بها سيرك " مكسيموس " . وقد اكتشفت محطمة تحت أنقاض هذا السيرك . وترتفع شامخة اليوم فى ميدان القديس " يوحنا لاتران " فى روما .

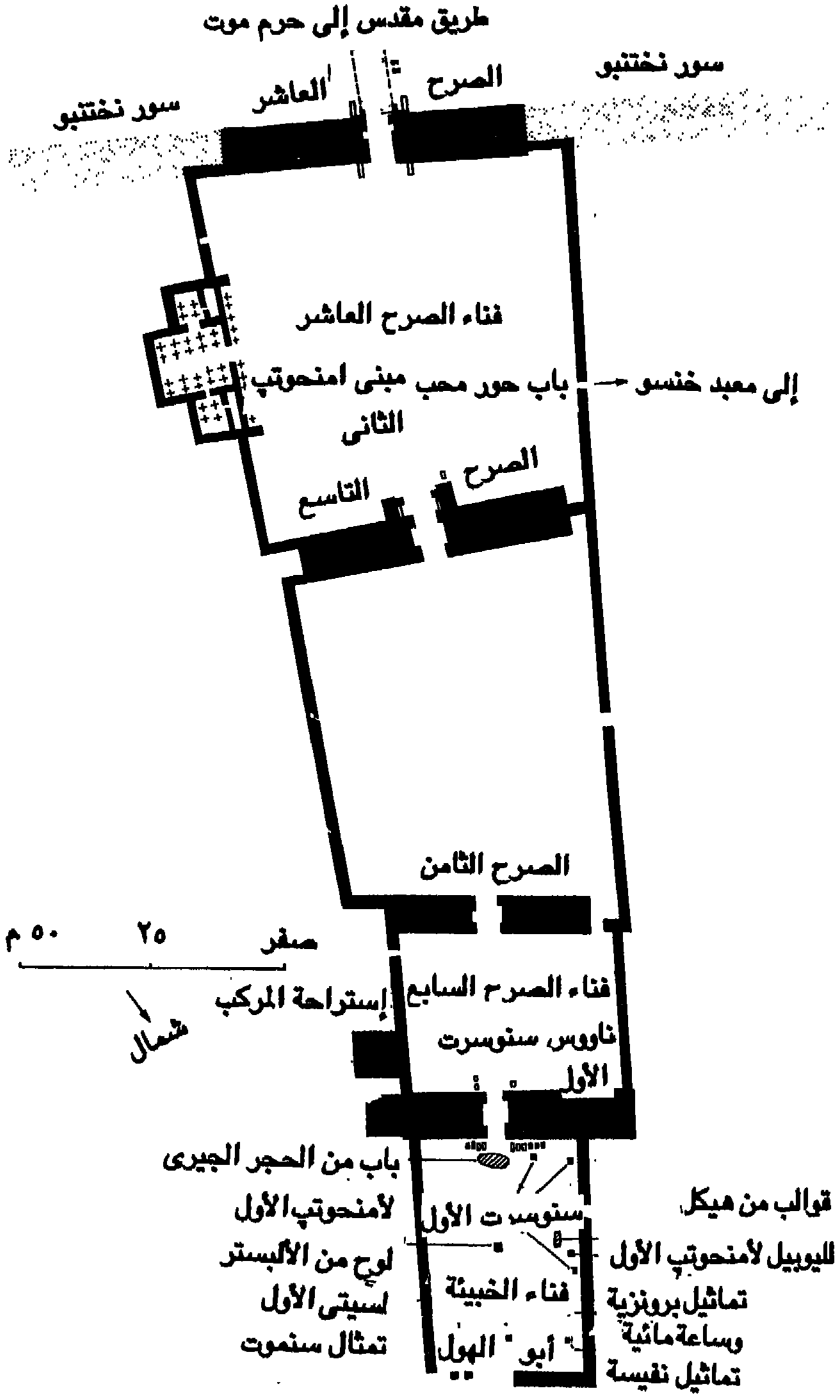
وكان" تحوتمس " الرابع أول من استهل أعمال التشييد غرب الصرح الرابع وأقام فى الساحة الممتدة أمام الصرح مبنى ذا أعمدة . ثم جاء امنحوتب الثالث ليستخدم جانباً منه لتشييد الصرح الثالث إلى جانب مواد البناء التى حصل عليها من العديد من المبانى التى تقارب الاثنى عشر مبنىً . وكان هذا الصرح هو مدخل المعبد كما تشهد على ذلك مناظر المركب المقدس التي يزدان بها الصرح ، وظل على هذا النحو حتى عصر العمارنة . وأغلق "امنحوتب " الثالث ممر موكب الطواف المتجه إلى معبد " موت " وكلف " أمنحوتب بن حابو " بإقامة صرح من الطوب . ثم جاء " حور محب " واستبدل به صرحاً آخر من الحجر .

وفى أثناء ثورة العمارنة لم يشهد المعبد أعمالاً إنشائية الاتلك المتعلقة بمعبد "آتون" الذى شيده " أمنحوتب " الرابع شرقاً . ودب النشاط فى الموقع على استحياء فى عهد توت عنخ آمون الذى أقام تمثالين " لآمون " وآمونت " فى فناء الصرح السادس ، إلى جانب بعض تماثيل " أبو " الهول برأس كبش التى يحتمل أنه أقامها على جانبى الطريق المؤدى إلى المعبد . وقد أدخل " حور محب " على المعبد تعديلات جوهرية إذ شيد ثلاثة من صروح المعبد العشرة . وأدخل لمسة جمال على الممر الذى يربط الصرح العاشر بمعبد موت . فأقام على جانبيه تماثيل " لأبو " الهول برأس كبش .

وسُدّ فناء الصرح الثامن على المحور الشمالى الجنوبى بجدارين من الحجر الرملى وصرح جديد هو الصرح التاسع . واستبدل حور محب بالصرح الجنوبى الصرح العاشر . ونقش أمامه لوح المرسوم الذى أصدره من أجل إعادة النظام إلى ربوع البلاد .

واستهل بناء الصرح الثانى الذى أكمله " رمسيس " الأول . ولم يفزع من زخرفة بابه إلا فى عهد " بطليموس" بوار جتيس" الثانى ، وأقامه " حور محب " فى نهاية صف مزدوج من سبعة أساطين بردية يافعة يبلغ ارتفاع الأسطون الواحد ٢٢ متراً وسوف يصبح الإثنا عشر إسطوناً الأولى جزءاً من بهو الأساطين . ونؤكد اثنى عشر أسطونا فقط حيث أنه ضم الأسطونين القائمين فى الطرف الغربى إلى الصرح الثانى .

وبفضل هذه الصروح أخذ المعبد يقترب اكثر فأكثرمن شكله الراهن كما أتاحت هذه الصروح على وجه الخصوص مواراة الجانب الأكبر من منشآت " أمنحوتب" الرابع فأعيد استخدام قوالب " التلاتات " لحشو الصرحين الثانى والتاسع . لقد اختفت منشآت

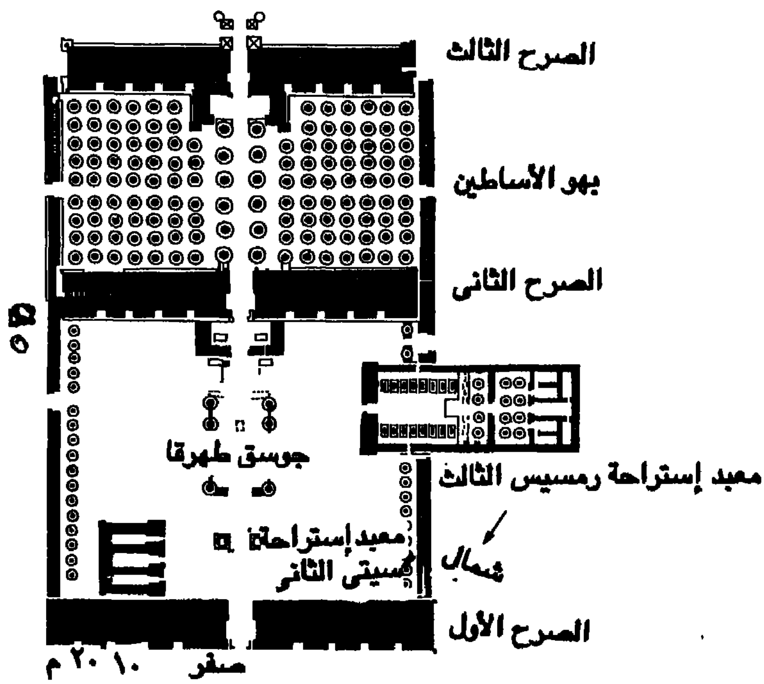


شكل (١٤٦) - تفصيل المحور الشمالى الجنوبى

الفرعون صاحب البدعة الآتونية من الكرنك غير أنها لم تندثر تماماً كغيرها من المنشآت التى أعيد استخدامها كمواد بناء فحفظ لنا الزمن القوالب بنقوشها وزخارفها وإن حُرِّم على القوم مشاهدتها . إن اللعنات التى انهالت على ذكرى الملك الذى أدين بما ارتكبه من آثام فى حق " آمون " ، امتدت إلى ماشيده من مبانٍ ولكنها لم تتعرض للإله " آتون " نفسه .

وأضاف " سيتى " الأول إلى المعبد عنصراً معمارياً جديداً هو بهو الأساطين المهيب (أ) وهو من أفخم ماشيد من مبان ، وكان يطلق عليه " معبد سيتى مرنپتاح مضئ فى مسكن آمون " ، والذى أكمل " رمسيس " الثانى زخرفته .

وعرض البهو ضعف عمقه . ويتكون من إيوانين عدد أساطين كل إيوان ٦٦



شكل (١٤٧) - من الصرح الأول إلى الصرح الثالث

أسطونا أحادية الطراز تصطف فى سبعة صفوف موزعة على جانبى صفين من الأساطين فى الإيوان الأوسط تيجانها على شكل زهرة بردى يانعة . ويوجد فارق كبير فى الارتفاع بين أساطين الوسط وأساطين الجانبين يصل إلى ستة أمتار . واستغل هذا الفارق لوضع نوافذ حجرية تسمح بسقوط ضوء خافت على جانبى الإيوان الأوسط . ويتكون البهو من محورين : الأول هو محور المعبد ، والثانى عمودى على الأول ، ويربط بين بابين أحدهما

فى الشمال والآخر فى الجنوب . وقد أقيم البهو فوق رديم من عهد " أمنحوتب " الثالث . وشيدت أساطين الإيوانين الجانبيين فوق أوتار مرتبة أسفل بلاط قليل السمك ومكونة من تكدّسّ بارتفاع مترين من قوالب " التلاتات " يفصل بينها ترصيف من تربة دكّاء وزلط .

قام " رمسيس " الثانى بزخرفة القسم الجنوبى من البهو بالنقش الغائر . وهو فناء يعبر منه الملك متجها إلى مكان التطهر القائم فى القسم الشمالى من البهو المعروف بإسم " پر دوات " حيث يرتدى الملابس الكهنوتية ويتطهر للمرة الأخيرة قبل الولوج إلى المعبد علـى وجه التحديد - وتسجل النقوش على سطوح البهو الداخلية هذا الإنتقال ، من مشـاهد تأسيس ومواكـب الطـواف ودخول الملك فى القسم الأول وتقديم القرابين فى القسم الثانى . أما السطوح الخارجية لجدران البهو والتى يشاهدها المؤمنون فقد سُجل عليها على غرار معبد مدينة هابو الحملات العسكرية التى شنها " سيتى " الأول فـى القسم الشمالى (حملات سوريا وفلسطين فى الجانب الشرقـى والحملات ضد الليبيين و الحيثيين فى الجانب الغربى) وحملات "رمسيس " الثانى فى القسم الجنوبى (معارك فلسطين فى الجانب الغربى ومعركة " قادش " فى الجانب الشرقى) . وتنتهى كل حملة من الحملات السابقة بتقديم الغنائم قرباناً إلى ثالوث طيبة على مقربة من كل باب من البابين اللذين أصبحا بمثابة الصرح .

كان تشييد بهو الأساطين تطويراً للمعبد . فانتقلت نقطة الاتصال بالخارج إلى جهة الغرب بحيث تتحكم فـى المجموعة المعمارية الواقعة داخل حرم " تحوتمس " الثالث أى ال " إپت سوت " - بعد اتساع حدوده - إذا صحّ ، القول ، أيضا فى العمائر الواقعة خلف الصرح الثالث بما فى ذلك ممر موكب الطواف ومقاصير قدس الأقداس الشرقية . واقتصرت المرحلة التالية من تطوير المعبد على تعبيد طريق المدخل أمام الصرح الثانى إذ كان فى عهد " رمسيس " الثانى عبارة عـن " طريق مقـدس " علـى جانبيه تماثيل " أبو " الهـول برأس كبش أو مايعرف إصطلاحاً " بطريق الكباش " الذى ينتهى عند المرسى حيث يرسو المركب المقدس مبحراً عبر قناة متفرعة من النيل.وأقام "سيتى" الثانى أمام المرسى(شكل ١٤٢ أ) مسلتين وشيد استراحة للمركب أمام الصرح الثانى (شكل ١٤٧) لمراكب أعضاء ثالوث طيبة . أما " رمسيس " الثالث فقد أقـام استـراحة خاصة به فـى الناحيـة الأخرى مـن محور المعبد وإلـى الشـرق قليلاً (شكل ١٤٧) . إنه نموذج معبد مصغر ، يتكون من صرح ثم فناء تكتنفه صفة ثم بهو أساطين فقدس الأقداس ، وقد زخرفت سطوح الجدران الخارجية بمشاهد من موكب الطواف للمراكب المقدسة خلال رحلتها إلى الأقصر فى عيد " أوپت " .

وأحـاط " شاشانق " الأول الساحة التى ستصبح فى وقت لاحق فناء الصرح الأول برواقين ، وتحكم فى المدخل بإقامة بوابة سيحـل محـلها فيما بـعد الصرح الأول . وأزاح تماثيل " أبو " الهول برأس كبش بعيداً عن الممر الأوسط ناحية الجانبين الشمالى والجنوبى لهذا الفناء الجديد . ثم جاء " طهرقا " وهو من ملوك الأسرة الخامسة والعشرين فشيد جوسقاً أمام ردهة الصرح الثانى يشبه صف أساطين " أمنحوتب " الثالث . ثم جمع "بطليموس " الرابع "فيلوباتور " بين الأساطين بجدار جانبى .

وفى عهد " طهرقا " قام " مونتو إمحات " بترميم جدران أسوار المعبد ، أما الأسوار الحالية فترجع إلى الأسرة الثلاثين ، وكذلك الصرح الأول على مايبدو والذى ظل دون أن يكتمل .إن المساحة الحالية التى تضمها أسوار المعبد تبلغ ٤٨٠ مترا فى ٥٥٠ مترا وسمك جدرانها حوالى ١٢ مترا بارتفاع ٥٢ متراً . لقد شيدت هذه الأسوار بحيث تتعاقب مراقد الطوب اللبن ، مقعرة ثم محدبة على التوالى ، لتصور تماوج أمواه " نون " راسمة حدود الكون الذى يجسده المعبد كمكان للخلق . وتخترق الأسوار خمسة أبواب تمثل كل منها نقطة تتجمع عندها هذه الأمواج .فتتوقف للسماح بمرور الشمس المشرقة فى اتجاه معبدها شرقاً ، ومونتو ، شمالاً ، وموت فى اتجاه معبده ، وآمون - رع فى اتجاه معبد الأقصر جنوباً .

ولم يقتصر تطور المعبد فى الخطوط العريضة على المحور الممتد من الشرق إلى الغرب كما عرضنا لها ، بـل أضيفـت العديـد مـن الزيادات نذكر منها عند السور الشمالى المعبد الذى شيده " تحوتمس " الثالـث للإله پـتاح " جنـوبى سـوره " ليحـل محـل معبـد قديـم مــن الطوب ، واستمرت أعمال ترميمه حتى عصر البطالمة . أما المقاصير الشرقية المكرسة " لآمون رع حور أختى " والواقعة شرقاً ، فقد قام " رمسيس " الثانى بوضع اللمسات الأخيرة للمظهر الذى ظلت عليه . وعند البحيرة المقدسة الواقعة عند تقاطع المحورين ، أقام طهرقا أثرا كرسه لعبادة الجعران " خپرى " على مقربة من التمثال الشامخ لهذا الإله . وأعاد " رمسيس " الثالث تشييد معبد " خنسو " الذى تحدثنا عنه من قبل ليحل محل المعبد الذى شيده " أمنحوتب " الثالث . واستمرت الأعمال الإنشائية طوال عهد الرعامسة من " رمسيس " الرابع وحتى " رمسيس " الحادى عشر . وتولى " حريحور " زخرفة سطوح المبنى كلما ارتفعت جدرانه . كما تم تطوير معبد " خنسو " فى الألف الأولى قبل الميلاد فأقام طهرقا مقصورة أخرى امام الصرح الذى زخرفه " پى نچم " وشيدت بوابــة ضخمة تعرف اصطلاحاً بباب العمرة ترجـع زخارفها إلــى عهـد " بطليموس "يوار جتيس " الأول ، وأقيم هيكل كـرس للإلـهة " أپت " غـرب معبـد ،

خنسو". وتحول الهيكل إلى معبد فى العصر الأثيوبى ولكن لم تكتمل زخارفه إلا فى عهد الإمبراطور الرومانى أغسطس . وإذ خصص المعبد أصلاً لعبادة " أيت " دون سواها فقد أخذ يتحول بالتدريج ليصبح قصر أوزيـريس . أما التغيير الذى طرأ على الفـرض من إنشـائه فظـاهرة اقتـرنت بصعود نـجم أوزيريـس وعبادتـه اعتبـاراً مـن الأسـرة الثانيـة والعشريـن . حيث انتشرت هياكل " أوزيريـس " وكبـار كهنـته شمـال حـرم " آمـون " منـذ ذلـك الحيـن وحـتى عصـر الإمبـراطـور تيبريوس ...

ونلحظ أن الأعمال الضخمة قد توقفت من الناحية العملية فى المعبد مع ملوك الأسرة الثلاثين ، وإن لم يبخل كل من جلس على عرش مصر فيما بعد بتقديم إسهامه إلى المعبد بإضافـة لمسة جمال أو ترميم هذا المبنى أو ذاك . ويبدو أن المعبـد قد ازدحم من شدة ما تكدس فيه ، حتى عانى من الاختناقات فى بعض أقسامه لاسيما مداخله ومسالكه فعقد أولو الأمر عزمهم فى عصر البطالمة على إخفاء كل ما تراكم داخل المعبد ، مما لم تعد هناك حاجة ماسة إليه وأصبح فى ذات الوقت لقمة سائغة يسيل لها لعاب اللصوص ، وقرروا دفنه فى فناء الصرح الثامن .ومن محاسن الصدف أن سعيد الحظ " جورج ليجران " قد اكتشف هذه الخبيئة عندما عثر فى السنوات ١٩٠٣ - ١٩٠٥ على ثمانمائة تمثال وسبعة عشر ألف قطعة برونزية مبعثرة فى معظم انحاء الفناء . ومن الأشياء النفيسة التى عثر عليها نذكر على سبيل المثال تماثيل لـ "أبو " الهول أحدهـا " لأمنحوتب " الاول ، وساعة مائية " لأمنحوتب " الثالث وأعمدة " لسنوسرت " الأول وكتلاً حجرية أخذت من هيكل أقيم بمناسبة عيد اليوبيل " لأمنحوتب " الأول ، إلى جانب باب من الحجر الجيرى نقش اسمه عليها وأجزاء من هياكل وتماثيل لسنموت ، الخ ... إن المكان الذى عثر فيه على هذه الأشياء يدفعنا إلى استنباط أماكن وجودها قبل إخفائها ..

إن وجود كل هذه القطع الأثرية ، ربما حفز علماء الآثار إلى القيام بجولة أخرى من أعمال التنظيف قد تقودهم إلى مزيد من الإكتشافات ، كما تعطينا فكرة عن مدى ثراء مقر آمون وأملاكه ، وما كان يتمتع به كهنته من نفوذ ، حتى تسنى لهم أن يستولوا على مقاليد الحكم فى عهد رمسيس الحادى عشر . وبالقياس إلى الفراعنة فان ماشيده الكهنة وما زخرفوه من مبانٍ قليل نسبياً . ومع كل ذلك ، فلا يمكن إغفال حضورهم البارز. وكفانا فى هذا الصدد أن نذكر المساكن التى أقاموا فيها إلى الشرق من البحيرة المقدسة (شكل ١٤٢ : ح) . إن تنظيف هذه المساكن سيساعدنا بالتأكيد يوما ما على ان نفهم بشكل افضل هذه الفترة التى لاتزال شديدة الغموض والاضطراب.

الباب الرابع

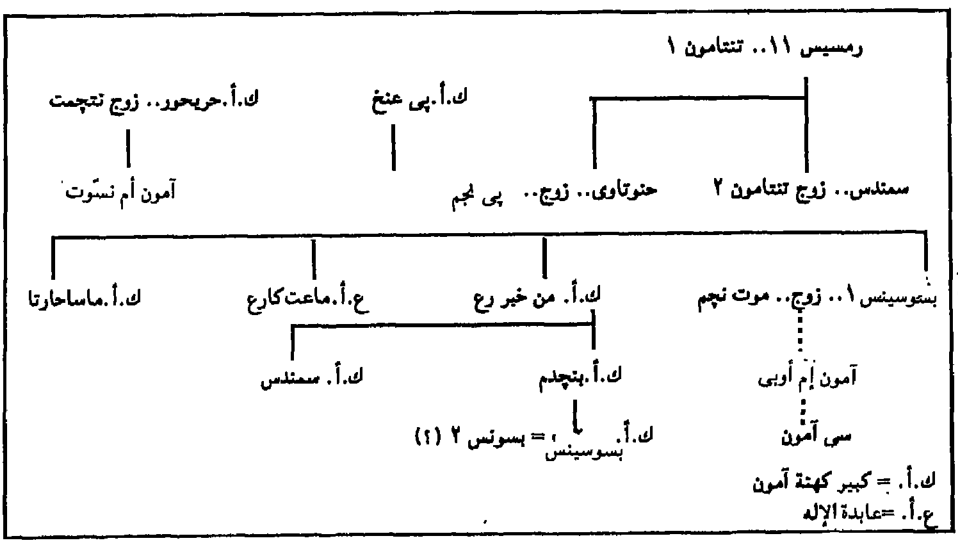
خاتمـــة المـــطاف

الفصل الثالث عشر
عصـر الانتـقال الثالث

سمندس وپى نچم

أعلن " سمندس " نفسه ملكاً عند وفاة " رمسيس " الحادى عشر ، مؤكداً انتماءه إلى سلالة الرعامسة بما اختاره لنفسه من ألقاب . إنه حورس " الثور القوى محبوب رع ، الذى يستمد قوة ساعده من آمون ، ليعلى من شأن ماعت . ونجهل كل شيء عن أصوله ، وكل ماقيل عن القرابة التى تربطه " بحريحور " بعيد عن الحقيقة . وعلى العكس ، فالأقرب إلى الصواب أن نفترض أنه قد استمد شرعيته فى الحكم من زواجه من إحدى بنات " رمسيس " الحادى عشر .

وجاء تتويجه ليصبح نهاية " لعصر تجديد الولادة " . وأعترفت طيبة بسلطته رغم مافى الأمر من غرابة حيث من المؤكد أنه لا يجرى فى عروقه الدم الملكى . وإليه يرجع الفضل فى ترميم جانب من سور معبد الكرنك الذى جرفه فيضان النيل ذات مرة ونقل العاصمة " پر رمسيس " إلى تانيس . واستناداً إلى بعض الإكتشافات الحديثة يرجع حدوث أول استيطان فى تانيس فى عصر الرعامسة فى أعقاب تحرك الفرع البيلوزى للنيل (Yoyotte : 1987, 56) . كما اتخذ " سمندس " من منف مقراً له وباشر منها



شكل (١٤٨) - جدول انساب الأسرة الحادية والعشرين

الأعمال الجارية فى معبد الأقصر ، الأمر الذى يدفعنا إلى الاعتقاد باستعادة العاصمة القديمة مكانتها السياسية وأنها أصبحت المقر الرسمى الملكى أو أن تانيس كانت ماتزال تحت التأسيس و التجهيز وهو مايعتبر أقرب إلى الصواب ، إذ دفن فى تانيس عند وفاته بعد حكم دام بضعاً وخمساً وعشرين سنة .

عندما أعلن "سمندس" نفسه ملكا كان قد تغيرّ لتوه شاغل منصب كاهن "آمون" الأكبر فى الكرنك للمرة الثانية . فقد سبق أن خلف " پى عنخ " سلفه "حريحور" فى أواخر حكم "رمسيس" الحادى عشر حوالى عام ١٠٧٤، وأصوله مجهولة كأصول سلفه . وقد أسند إليه الكاهن الأكبر - وهو حموه على مايظن - القيادة العسكرية للوجه القبلى فحاول دون جدوى أن يفرض سيطرته على النوبة ، وظل يقاتل متمردى "پانحسى" حتى العام الثامن و العشرين من حكم "رمسيس" الحادى عشر . وعلى العكس فقد ترك " پى

	الأسرة العشرون	كبار كهنة طيبة
١٠٩٨ - ١٠٦٩	رمسيس الحادى عشر	أمنحوتپ
١٠٨٠		حريحور
١٠٧٤ - ١٠٧٠	عصر تجديد الولادة	پى عنخ
	الأسرة الحادية والعشرون	
١٠٧٠ - ١٠٥٥		پى نجم الأول كبير الكهنة
١٠٦٩ - ١٠٤٣	سمندس	
١٠٥٤ - ١٠٣٢		پى نجم الأول ملكا
١٠٥٤ - ١٠٤٦		ماساحرتا . كبير الكهنة
١٠٤٥ - ٩٩٢		من خپرع رع
١٠٤٣ - ١٠٣٩	أمن إم نسوت	
١٠٤٠ - ٩٩٣	بسوسينس الأول	
٩٩٣ - ٩٨٤	أمن إم أوپى	
٩٩٢ - ٩٩٠		سمندس
٩٩٠ - ٩٦٩	أوسركون القديم	پى نجم الثانى
٩٨٤ - ٩٧٨	سى آمون	
٩٧٨ - ٩٥٩		
٩٦٩ - ٩٤٥	بسوسينس الثانى	بسوسينس
٩٥٩ - ٩٤٥		

شكل (١٤٩) - جدول الترتيب الزمنى للأسرة الحادية والعشرين.

عنخ " وراءه ذرية . فخلفه إبنه " پى نچم " كبيراً للكهنة وقائداً أعلى لقوات الوجه القبلى عام ١٠٧٠ ، واحتفظ بهاتين الوظيفتين طوال مدة حكم " سمندس " واعتـرف بسلطته نظراً لأنه لم يستأثر لنفسه بحق الملوك السيادى المترتب على حمل الألقاب الملكية ، شأنه شأن " حريحور " . فقضية المومياوات الملكية مثلاً التى عرضنا لها من قبل والتى بتّ فيها بمفرده وصولاً إلى حلّ لها قد وقعت فيما بين العام السادس والعام الخامس عشر من حكم " سمندس " . وقد زاول " پى نچم " نشاطه خلال هذه الفترة ككاهن أكبر فى مدينة هابو والكرنك و الأقصر وحتى مدينتى الحيبة وأسوان اللتين رسمتا حدود سلطاته.

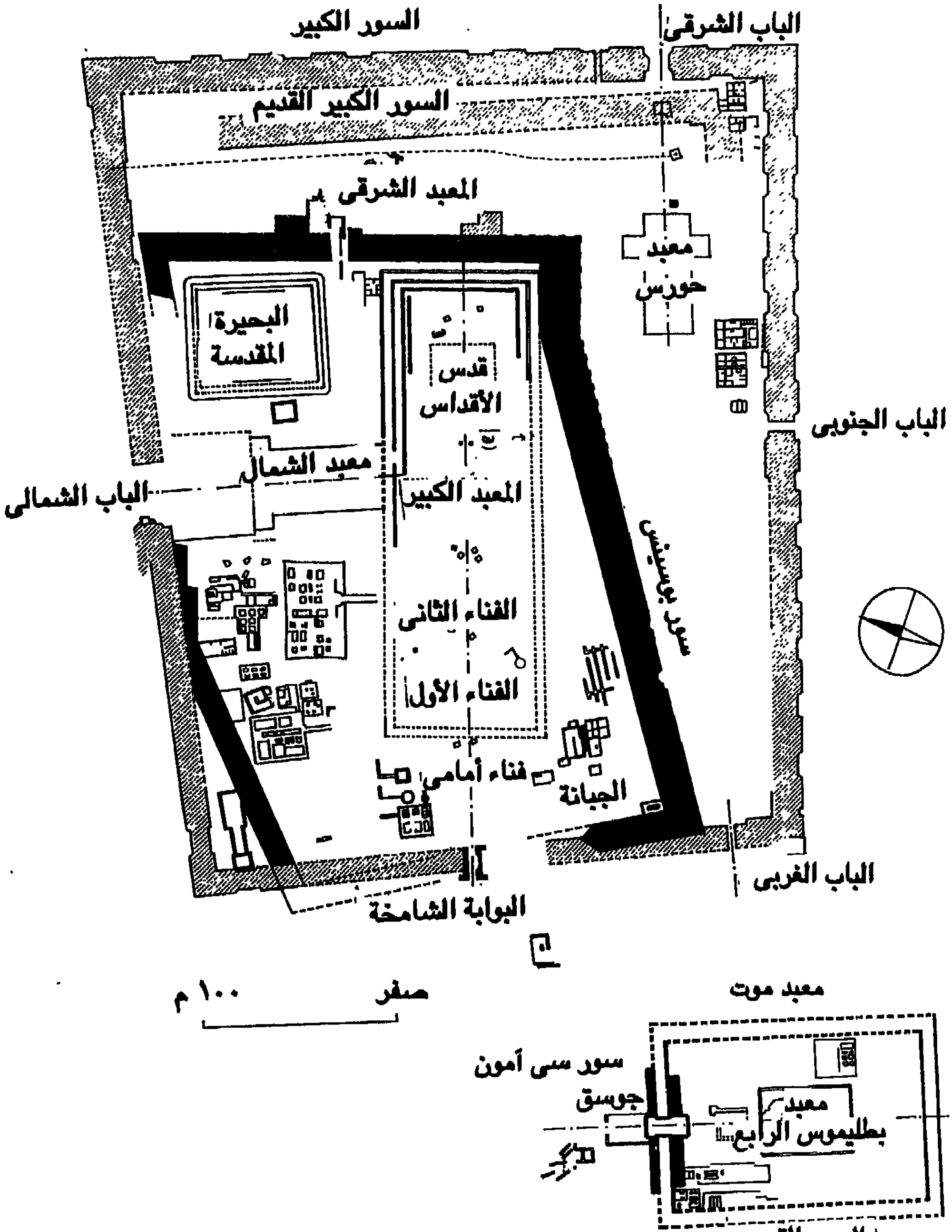
وفى العام السادس عشر من حكم " سمندس " اتخذ " پى نچم " لنفسه ألقاباً ملكية تكشف بوضوح عن أصول سلطاته .فهو حورس " الثور القوى الذى تُوّج فى طيبة ، وهو محبوب آمون " ، ومن الآن فصاعداً وضع إسمه داخل الإطار الملكى (الخرطوش) . ونجد اسمه مسجلاً فى طيبة وقفط وأبيدوس ... وتانيس . غير أنه لم يستحوذ على الحق السيادى المترتب على حمل الألقاب الملكيـة ، وإن تخلى عـن منصب كبير الكهنة وفوّض لشغله ابنه " ماساحرتا " ومن بعده ابنه الآخر " من خپر رع " عام ١٠٤٥ . ماهى إذن طبيعة هذه السلطة التى استأثرت بإختصاصات فرعون ولكنها اعترفت فـى نفس الوقت بمركز الصدارة له ؟ إن تـتبع تـاريخ العلاقـات بين السلطة الزمنية والسلطة الروحية يوضح ببساطة الأسباب التى أدت إلى اغتصاب الامتيازات الملكية . لقد لاحظنا تصاعد قوة كهنة طيبة خلال الأسرة الثامنة عشرة ، فكانوا أول المستفيدين مادياً من فتوحات الإمبراطورية و السند الضرورى لهذا السياسة . إن " حتشبسوت " شأنها شأن " تحوتمس " الثالث أو "تحوتمس" الرابع قد استمدت شرعية ارتقاء عرش البلاد من ظهور الإله شخصياً. أو من التبليغ الربانى الذى يؤكد هذه الشرعية . لقد ناضل أمنحوتب الرابع ضد هذه السطوة ، ولكنه مع ذلك لم يغير شيئاً من الأسس الثيوقراطية لنظام الحكم فاكتفى بأن هجر آمون . ولكن خطواته قادته إلى تأسيس فلسفة لاهوتية ظلت تنمو وتتطور طوال عصر الرعامسة فتمخضت عن إنشاء منصب الزوجة الإلهية لآمون خاصة .كان هذا المنصب من نصيب إحدى أميرات البيت المالك منذ أن تلقبت به " أحمس نفرتارى " ، فكانت أشبه بالمدد الذى يغذى الروابط التى توحد بين الملك والإله الذى فوضه سلطانه ، فكانت زوجة الإله دون أن ترث شيئاً من طبيعته ، وأيضا زوجة الملك فى بعض الأحيان ، وهى صنو الملك عند ممارسة الشعائر الدينية . لقد تتبعنا هـذه الشركة بين الزوجين الملكيين أبتداء مـن " أمنحوتب " الثـالث ومـع " إختاتون " الذى أوجد تناظراً دقيقاً بين العائلة الإلهية

والعائلة الملكية . ومافتئ " رمسيس " الثانى يقيم هذا النهج على نسق ثابت حتى استقرت لزوجته عبادة موازية لعبادته فى " أبو سمبل " . ومن ثم صار شغل " حريحور " الشاغل منذ أن بدأ " عصر تجديد الولادة " هو التعرف على كفُو العائلة الإلهية على الأرض . فهل ترى من وريث شرعى للإله غير العائلة الحاكمة ؟ لا بالطبع . فمن الضرورى إذن الفصل بين السلطة الزمنية التى يتحمل كبير الكهنة مسئولياتها ، وسلطة فرعون التى منحها إياه آمون ، ومن الأهمية بمكان التمييز بينهما . ويقف هذا التمييز وراء الواقع الذى دفع كهنة آمون إلى مدّ سيطرتهم على الوجه القبلى بعد أن خرج عن سيطرة فرعون . ومن ثم تمحورت سياسة كهنة آمون حول تأييد سلطة فرعون ، ولكن بعد إخضاعها لإرادة " آمون " المبلغة عن طريق الوحى . فقد شيدت تانيس على مثال مدينة طيبة كنموذج نقلت عنه ليصبح التناظر بين " آمون " طيبة " وآمون " تانيس " تاماً . وحسبنا أن نلاحظ من جديد هذه الموازنة بين " آمون " طيبة و " آمون " نپاتا فى العصر الأثيوبى . فظهور " پى نجم " فى تانيس هو إذن أمر منطقى. ومن ناحية أخرى ، وحفاظاً على واقع السلطة تزوج " پى نجم " من " حنوت تاوى " من الأسرة المالكة (شكل ١٤٨)، وأنجب منها أربعة أولاد : الفرعون " بسوسينس " الأول " ، و " ماساحرتا " و " من خپر رع " اللذين توليا منصب كبير الكهنة على التوالى ، وبنتاً واحدة هى " ماعت كارع " التى جمعت بين الزوجة الإلهية ورئيسة اللواتى اعتزلن الدنيا وعشن فى خلوة مع آمون فى منصب واحد هو منصب " عابدة الإله " وزوجة الإله التى حرّمت على سواه . وتبنت الفتاة التى اختارتها لتخلفها تجنباً للمشاكل التى قد تنشأ عند انتقال سلطات منصبها .(Gitton: 1984, 113-114) ومن ثم تتجسد الأم الإلهية مرتين : مرة فى شخص " عابدة الإله " ، وهى أم الإله الطفل التى لاترث عن الإله شيئاً ، ومرة ثانية كزوجة الملك وهى الأم الجسدية لخليفته .

ولن يستقر النظام الجديد إلا بوفاة " سمندس " ومع تتويج " بسوسنيس " الأول . وفى غضون ذلك انقسمت البلاد بالفعل لتصبح موزعة بين كبير الكهنة وفرعون . فالأول تجسيد لإرادة آمون الذى أعطى تفويضة للثانى ، وهو مايعرب عنه نص يحتفظ به فى الوقت الراهن متحف بوشكن فى موسكو عبارة عن تقرير لـ " ون آمون " السفير الموفد إلى فينقيا لإحضار الأخشاب اللازمة لمركب آمون المقدس فى طيبة فى أواخر عهد " رمسيس " الحادى عشر على مايظن ولا يرد فيه ذكر " لسمندس " إلا بصفته حاكماً للشمال . فما أبعدنا عن الأمس عندما كان لمصر الكلمة العليا فى الشرق الأدنى . إذ أن " ون آمون " لم

يضطر إلى دفع ثمن ماحصل عليه من أخشاب فحسب بل سلبه اللصوص مايملك أثناء سفره ، ولم يوافق أمير بيبلوس على تسليم طلبية الخشب إلاّ بعد مساومات خسيسة وبأسعار مجحفة (Leclant : 1987, 77 sq) . وحتى عهد " سى آمون " انحسر تأثير مصر على مايظن عن مناطق نفوذها التقليدية فيما سبق من عهود . تصدرت دولة إسرائيل مسرح الأحداث السياسية .كان " شاوول " أول ملوكها ثم تبوأ العرش داوود الملك من ١٠١٠ وحتى ٩٧٠ ق . م واختار أورشليم عاصمة له . ويمكن الاقتراض أن مهام مصر قد أنحصرت فى عهد " بسوسينس " الأول فى قيام قوات الأمن الداخلى بمجرد تأمين حدودها الشرقية (Kitchen: 1986, 287) .

بوفاة " سمندس " تقاسم وصيان السلطة . أولهما ابن حريحور على مايظن (Kitchen : 1986, 540) ويدعى " نفركارع – آمن إم نسوت " أى "آمون ملكاً " . والثانى " بسوسينس " الذى جلس بمفرده على عرش البلاد بعد وفاة الوصى الآخر وحتى عام ٩٩٣ ق . م . وكان " آمن إم نسوت " معاصراً للأيام الأولى من ولاية " من خپر رع " كبير الكهنة الذى تصدّى لآثار الحرب الأهلية التى احتدمت فى طيبة ضد سلطة الكهنة الصاعدة ، فأبعد المعارضين إلى واحات الصحراء الغربية الخاضعة ، إلى هذا الحدّ أو ذاك ، لإشراف الزعماء الليبيين . ثم أصدر مرسوماً بالعفو عنهم استناداً إلى الوحى الذى أعلنه أمون (لوح اللوڤر C ٢٥٦) . ويشكل صدور هذا العفو بداية سلسلة التنازلات التى قدمها العرش لكبريات عائلات رجال الدين فى طيبة الذين أصابهم الضرر من جراء قيام من خلفوا حريحور بتجريدهم من كل امتيازاتهم ، وما كان هؤلاء سوى مهاجرين ليبيين ! إن عزوف عائلة كبيرَ الكهنة عن الاستحواذ على المناصب الكهنوتية فى أيام ولاية كبير الكهنة " پى نچم " الثانى خلافاً لما جرت عليه العادة فى عهد " پى نچم " الأول ، قد جاء دليلاً على تصميم قاطع على تهدئة الأوضاع . ومع ذلك فقد تراكمت حقوق الانتفاع بين أيدى نساء القبيلةُ إضافة إلى مايمتلكه ذووهم من حقوق ، حتى قارب إجمالى مايمتلكون ثلث أراضى مصر العليا (Kitchen : 1986 : 275 - 277) . وبفضل التدابير التى لجأ إليها " من خپر رع " عاد شىء من الهدوء إلى ربوع البلاد ، والدليل على ذلك المتاع الجنائزى الذى ظل بعيداً عن أعمال السلب والنهب التى وقعت ضحيتها المقابر الملكية فى طيبة ، فأمكن إرساله إلى تانيس ليستخدمه من جديد ملوك الأسرة الحادية والعشرين .



شكل (١٥٠) - خريطة عامة لمدينة تانيس.
(نقلاً عن الخريطة التى أعدها A. Lézine. 1951)

طيبة وتانيس

فى العام ١٠٤٠ /١٠٣٩ تحققت الوحدة المركبة للبلاد دينياً وسياسياً من خلال شخصية " بسوسينس " الأول ، " النجم يشرق فى المدينة " . وأكد بكل وضوح انتسابه الى طيبة، فهو حورس " الثور الذى توج فى طيبة " ولقبه " النبتى : " البنّاء (بتشديد النون) العظيم فى الكرنك " فكان اسما على مسمى . وفى العام الأربعين من حكمه قام كبير الكهنة " من خپر رع " بجولة تفقدية فى معابد الكرنك . ، وبعد انقضاء ثمان سنوات بُدىء فى تشييد سور لتحديد الحرم الشمالى لمعبد " آمون" ، حماية له - منذ ذلك الوقت المبكر - من زحف المبانى السكنية القريبة منه ، كما اتخذت تدابير مماثلة فى معبد الأقصر . وعلى كل حال فقد توطدت روابط " بسوسينس " الأول بكهنة " آمون " فزف ابنته " أستمخب " إلى كبير الكهنة " من خپررع " كما تولى هو نفسه وخلفاؤه من بعده منصب كبير كهنة " آمون " فى تانيس ، وأعلن حقه فى خلافة "رمسيس " الحادى عشر ، واتخذ لنفسه ايضا لقب " رمسيس بسوسينس " . وهو من اعظم المشاركين فى بناء المعبد الذى كرس فى تانيس لثالوث " آمون " و " موت " و " خنسو " حيث قام بتشييد سور المعبد .

ومن المحتمل أن مشاركته لم تقف عند هذا الحد إذا صحت المعلومات التى نقلتها آثار المبانى التى أعيد استخدامها فى زمن لاحق . ولكن الوضع الراهن للموقع لايساعد على إضافة شىء إلى حصيلة معارفنا . ونظرا لأنه لم يتم الكشف بعد عن المدينة فإننا لجهل مدى إسهامه فى تشييدها .

فى نهاية القرن التاسع عشر استطاع " فلندرز پترى " أن يحدد موقع تانيس . ومنذ الاكتشافات الأولى تم الربط بينه وبين عاصمة الهكسوس بالنظر إلى ماعثر فيه من آثار عديدة ترجع إلى هذا العصر . كما أمكن الربط بين هذا الموقع و " پررمسيس " بعد أن عثر فيه على آثار " لرمسيس " الثانى بكميات كبيرة . ويتصدر " پيير مونتيه " (Pierre Montet) المنقبين الذين أجروا حفائرهم فى هذا الموقع فى الأعوام من ١٩٢٩ وحتى ١٩٤٠ ثم واصلها من ١٩٤٦ وحتى ١٩٥١ . ودافع طويلاً عن الرأى القائل بأن "أواريس " و " تانيس " و " پررمسيس " - مدينة واحدة بالرغم من الاكتشافات التى ترجع أساساً إلى عصور لاحقة . أما الأبحاث الراهنة التى يشرف عليها چان يويوت (J.Yoyotte) وفيليب بريسو (Ph.Brissaud) منذ نيف وعشرين سنة فقد

	مصر	فلسطين		فينيقيا	سوريا	مملكة آشور	مملكة بابل	الأناضول
١٠٩٨ - ١٠٦٩	رمسيس الحادى عشر	جدعون			المملكة الحيثية الحديثة	تيجلات پيلاسر الأول	أنليل نادين أپلى ماردوك نادينا هى ماردوك شابيك زيرى أداد أپاليد ينا	بداية الأستعمار الأيونى والدورى والأيوليونى
١٠٦٩ - ١٠٤٣	سمندس	يفتيا شمشون				أشاريد أپاليكور أشور بلكالا شماشى اداد الرابع أشور ناصير پال الأول	ماردوك زر	
١٠٤٣ - ١٠٣٩	أمن إم نسوت بسوسينس الأول	صموئيل			الأراميون	شلمناصر الثانى أشور نيرارى الرابع اشور رابى الثانى	نابو شوسليپور سيمبار شياك	
		شاول داوود		أحيرام			أولما شاكينشومى	
٩٩٣ - ٩٨٤	آمن إم أوبى			أتبعل	حداد زار			
٩٨٤ - ٩٧٨	أوسركون القديم							
٩٧٨ - ٩٥٩	سى أمون	سليمان			حيرام	أشور ريشيشى الثانى تيجلات پيلاسر الثانى اشور دان الثانى	ماربيتا بالوسور نابوموكين- أبلى نينورتاكو دو روسور ماربيتا يدين	
		يهوذا	إسرائيل					
٩٥٩ - ٩٤٥	بسوسينس الثانى			أبى بعل				
٩٤٥ - ٩٢٤	شاشانق الأول	رحبعام	يربعام الأول					
		أبيّا أسا	ناداب بعشا	يحيماك				
٩٢٤ - ٨٨٩	أوسركون الأول			إيليى بعل		اداد نيرارى الثانى توكولتى نينورتا الثانى اشور ناصير پال الثانى	شماش موداميق نابو شو ميشكون نابوا بلا- إدينا	
	شاشانق الثانى			شيبتتبعل				
٨٨٩ - ٨٧٤	تكلوت الأول	يهو شافاط	أيله زمرى عمرى أخزيا يهورام ياهو	معركة قرقر	بن حداد الأول	شالمناصر الثالث	ماردوك زاكير شومى الأول	أورارتو آرام
٨٧٤ - ٨٥٠	أوسركون الثانى	يهورام أخزيا عثليا يهواش						صاردور الأول إشيبونى
٨٥٠ - ٨٢٥	تكلوت الثانى		يهو آحاز		حزاقيل	شماش اداد الخامس	ماردوك بالاتسواقبى بابا هيادين ننورتا اپلا	منوا ارجشتى الأول سردور الثانى
٨٢٥ - ٧٧٣	شاشانق الثالث پدى باست	امصيا عزريا	يهواش يربعام الثانى		بن حداد الثانى	اداد نيرارى الثالث		
	أوسركون الثالث رود أمون					شالمناصر الرابع اشور دان الثالث اشور نيرارى الخامس	ماردوك پلزرى اريا ماردوك نابو شو ميشكون	

شكل (١٥١) - مختصر الترتيب الزمنى لأهم دول الشرق الأدنى القديم حتى الغزو الأثيوبى

تركزت حول التحليل الاستراتجرافى لدراسة طبقات التل الذى شيّد فوقه الموقع . وانتهت هذه الدراســات إلــى لفت الأنظار إلــى أن الموقــع قـد شغله السكان فــى عصر الرعامــسة (Yoyotte : 1987 - 25 - 49) .

ويصعب تقديم تفسير تاريخى لمدينة تانيس . فبالإضافة إلى المبانى المتهدمة التى ترجع إلى عصرى الهكسوس والرعامسة ، فقد دُمرت جميع المبانى المشيدة من الحجر الجيرى لاستخدامها فى صناعة الجير الحى . ومع ذلك يمكن أن ننسب الى"بسوسينس" الأول تشييد سور المعبد الكبير ونواته الداخلية بالاستناد الى ودائع الأساسات . أما الباب الشامخ الشرقى ومبانى آمون الأساسية فترجع الى الأسرة الثانية والعشرين . وينسحب نفس الشيء على معبد خنسو الواقع شمالى معبد " آمون " والمتعامد عليه . أما مبانى "بسوسينس" الأول فقد صارت أثرا بعد عين ، ولم يتبق منها سوى قوالب الحجر التى أعاد "شاشانق" الخامس استخدامها فى وقت لاحق فى أعمال التجميل وإقامة البحيرة المقدسة المجاورة . وأقيم معبد "موت" إلى الجنوب من الموقع استكمالا للتوازى القائم بينه وبين معابد الكرنك، وقد شيده " بسوسينس " الأول علـى الأرجح . واختفى ايضا كل أثر للمعبد فى وضعه الأول .ولم يتبق منه سوى ما أدخل عليه من تعديلات . وأسهمت إنشاءات ملوك الأسرة الثلاثين الذين شيدوا الكثير سواء فى تانيس أو فى الكرنك وكذلك ما شاده البطالمة فى طمس ما بناه مؤسسو المعبد . إن التعديلات التى أدخلها " سى آمون " على المعابد الثلاثة ومعبد " حورس ميسن " غيرت من معالم الموقع تماماً .

وأمر " بسو سينس " الأول بأن تشيد مقبرته جنوب غرب حرم المعبد حيث اكتشف " پيير مونتيه " مومياءه ومتاعه بالإضافة إلى مومياء زوجته " موت نجمت " . كما أعدت حجرة دفن للأمير" عنخف ان موت " وريث العرش ولعين الأعيان " اونوچبا ونجد " الذى جمع بين يديه عددا من أرفع المناصب الدينيه والقيادة العليا للقوات المسلحة . ولأسباب غامضة لم يدفن " آمــن إم أوية " خليفة بسوسينس " الأول فى المدفن الذى أعده لنفسه . وانما فى مدفن " موت نجمت " الذى أمر " أوسركون " الأول بان يدفن فيه أيضا " حقا خپر رع " " شاشانق " الثانى . وعلى مقربة من هـذا المكان اكتشـف " پيير مونتيه" مقـبرة " أوسـركون " الثانى وابنه " حور نخت " ومقبرة " شاشانق " الثالث التى ضمت أيضا رفات " شاشانق " الأول . وقد نهب الجانب الأكبر من محتويات هذه الدفنات التى تلقى ضوءاجديدا على تاريخ ملوك تانيس .

تزامن انتقال السلطة فى كل من طيبة وتانيس . فخلف "سمندس الثانى " أباه " من خپر رع " قبل وفاة " بسوسينس " الأول ، اذ عثر " پيير مونتيه " ضمن المتاع الجنائزى للملك المتوفى على الأساور التى أرسلها " سمندس " الثانى بهذه المناسبة . ومن المرجح أنه كان طاعنا فى السن عندما تولى منصب كبير الكهنة اذ تخلى عن منصبه لأخيه الأصغر " پى نجم " الثانى بعد مرور سنتين . أما فى تانيس فنجد أن " أمن إم أوبة " قد خلف " بسوسينس " الأول الذى يعتقد أنه والده ، ولم يستمر حكمه أكثر من عشر سنوات . ولا يضارع تواضع مقبرته ثراء مقبرة سلفه . مما يكشف عن تضاؤل فى سلطته وإن ظلت طيبة تعترف بها . ولا نعرف سوى القليل عن خلفه " عا خپر رع ستپ ان رع " . والأغلب أنه الملك المعروف باسم " أوسركون " الأول (أوسوخور) . ولكن الأمر مختلف بالنسبة لـ " سى آمون " فهو من أبرز شخصيات الأسرة الحادية والعشرين وأشهرها وإن وقعت في أيامه آخر كبرى السرقات فى جبانة طيبة مما حدا بكبير كهنة " آمون" إلى إعادة دفن المومياوات الملكيه فى مقبرة " إن حعپى " فى الدير البحرى . وأقام المنشآت فى تانيس حيث أجرى التوسعات فى معبد " آمون " وقام بأعمال إنشائية فى معبد " حورس ميسن " ونقل رفات " آمن إم أوبة " الى حجرة دفن " موت نچمت " . ونسجل له نشاطا معماريا فى هليوپوليس وربما فى " پررمسيس " (الختاعنة) حيث نقرأ اسمه مدونا على كتلة حجرية . وحرى بالملاحظه انه شيد فى منف معبدا مخصصا لأحد أشكال "آمون" الثانوية ، ويغلب على هذا المعبد الطابع الكلاسيكى الذى يبرز فى تمثال " ابو " الهول الصغير المطعم بالذهب والذى يحمل خرطوش الملك والموجود حاليا فى متحف اللوڤر (E3914 = Paris : 1987, 164 - 165) . كما انحاز الى جانب كهنة الإله "پتاح" . ان انحصر نشاطه فى نطاق مصر السفلى . واكتفت بعض آثار طيبة بتسجيل حقه السيادى فى حمل الألقاب الملكية .

وفى عهده أخذت مصر بسياسة خارجية أكثر ديناميكية عن ذى قبل . أما السياسة الخارجيه لملوك الأسرة الحادية والعشرين الأوائل فلم يصلنا عنها أى وثائق مصرية ، ولأسباب عديدة لها وجاهتها ! فلا يوجد ما يبررالاعتقاد بأن أوضاع البلاد كما وصفها تقرير " ون آمون " قد طرأ عليها أى تحسن . و " الكتاب المقدس " هو المصدر الوحيد غير المصرى لمعلوماتنا . وتتزامن الفترة الممتدة من نهاية عهد : بسوسينس " الأول حتى منتصف عهد " سى آمون " مع تحالف القبائل بزعامة داوود والتفافها حول أورشليم والمعارك التى دارت ضد " الپلستى " (أو الفلسطينين) . فى بداية الأمر لم تتدخل

مصر فى هذه الصراعات إلا بطريقة غير مباشرة ، فاستضافت " حداد "وريث عرش " أدوم " عندما تقدم داوود واحتل مملكته ، وتزوج " حداد " من أميرة مصرية ، ونشأ ابنه "جنوبث" فى بلاط فرعون . ثم عاد " حداد " الى مملكته بعد وفاة داوود . نخلص من كل ذلك إلى أن مصر ظلت تحتفظ ببعض الراويط التاريخية مع البلدان التى كانت تدور فى فلكها فى عهود سابقة .

وعندما اعتلى سليمان العرش خلفا لداوود الملك ، تدخلت مصر بدورها ضد البلستى فاجتاحت مدينة جزر ودمرتها . ويقدم لنا " سفر الملوك " " (الملوك الأول : الإصحاح التاسع : الأية ١٦) وصفا لهذه الحملة . ويمكن أن نفسر النقش الذى عثر عليه فى تانيس ويصور مشهد شعيرة ذبح الأعداء على أنه صدىً " لقصة " سفر " الكتاب المقدس . (Kitchen . 1986 , 281) وربما كانت الغاية من هذا التدخل محض تجارية فحيث شكل البلستى تهديدا للتجارة مع فينقيا . ومن الواضح أن " سى آمون " قد استغل ما حل بهم من ضعف فى أعقاب الحروب التى شنها ضدهم داوود من ناحية ، وفترة التردد وعدم وضوح الرؤية التى سادت إسرائيل من جراء المشاكل التى ثارت حول وراثة العرش من ناحية اخرى ، فبادرت مصر إلى التدخل قبل أن تتحرك القوات الرهيبة التى جهزها داوود فتسحق البلستى ، ثم تفرض شروطها على التجار المصريين . جاء هذا التحالف الجديد لمصلحة الطرفين .. فحقق لمصر منفذا مضمونا لتجارتها ، وأمن الحدود الجنوبيه لاسرائيل . وتكريسا لهذا التحالف تم تدعيمه بعقد زواج يجمع بين الطرفين . ولكل زواج دلالته حسب العصر . فقد اتخذ هذه المرة مساراً جديداً بالنسبة للمصريين . حيث تزوج سليمان من أميرة مصرية مستهلاً تقليداً جديداً تتزوج بموجبه أميرات وادى النيل أزواجا غير ملكيين .

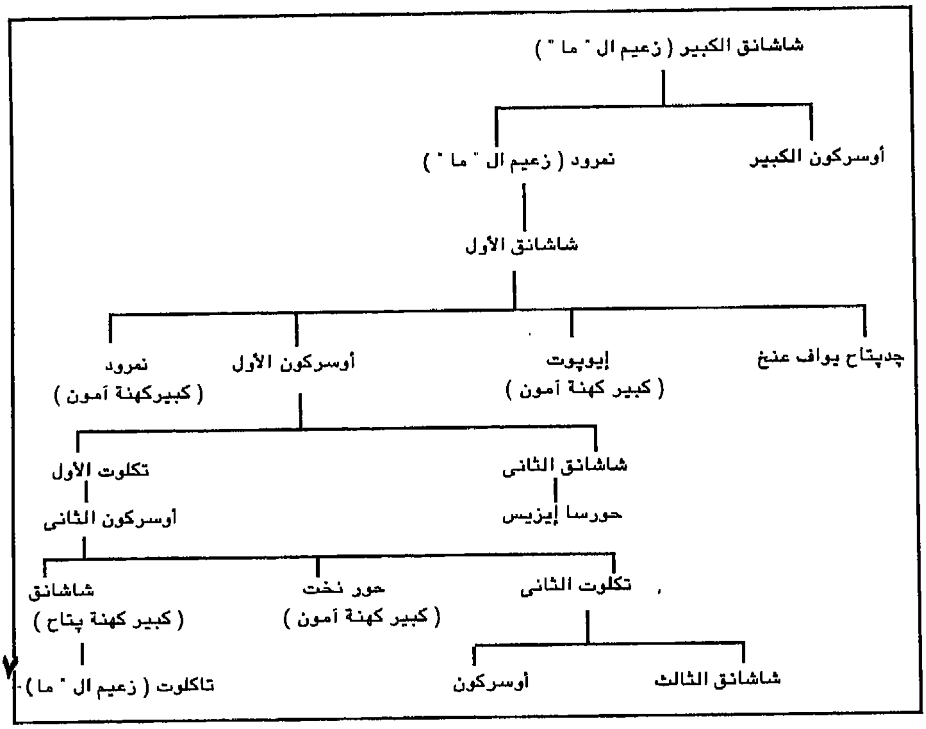
لم يتأكد وجود روابط عائلية تجمع بين " سى آمون " و " آمن إم اوبة " وأوسركون القديم ، أو تجمع بينه وبين خليفته " بسوسينس " الثانى . بل يستحيل علينا تأكيد إن كان " بسوسينس " الثانى والكاهن الأكبر " بسوسينس " ، الذى خلف " پى نجم " الثانى ، هما شخص واحد أم لا . وفى هذه الحالة لا مفر من الإقرار بأن " سى آمون " قد توفى دون أن يترك وريثا يخلفه . ومن المرجح ان " بسوسينس " الثانى قد ارتبط برباط الزواج بالعائلة المالكة ، ليختم قائمة ملوك الأسرة الحادية والعشرين التى انطفأت فى تانيس فى عوز وضيق نسبى (Yoyotte : 1987,

(64. وقـد تشكـك دودسون فـى الأمر (A. Dodson : Rde38,(1988) 54)
وعند وفاته آلت السلطـة إلى سلالة كبار زعماء " الماشواش " كان حكم " شاشانق " الكبير مبشرا بصعود نجمهم . هكذا بدأت السيطرة الليبيـة .

الـلـيـبـيــون

عندما ارتقى "شاشانق " الأول عرش البلاد كان قد اصبح بالفعل رجلها القوى صاحب اليد العليا فى شئونها ، فهو القائد العام للقوات المسلحة ومستشار الملك وصهره بعد أن تزوج ابنته " ماعت كارع " . ويعتبر حكمه فاتحة عصر جديد لمصر ، استعاد فيه الزعماء الليبيون لأجيال عديدة قادمة قوة البلاد التليدة بعد أن وقعت فى طى النسيان منذ نهاية عهد " رمسيس " الثالث . وسوف تندثر هذه القوة وتضيع فى خضم الصراعات الداخلية التى مزقت البلاد ابتداء من عهد " شاشانق " الثالث . انتسب " شاشانق " الأول على الفور الى الأسرة الملكيه السابقة متبعا فى هذا الصدد الخطة التقليدية الشائعة . حيث اتخذ لنفسه ألقابا نقلها عن ألقاب سمندس الأول . أما أصوله هو شخصيا فترجع إلى مُستوطنة الليبيين الذين استقروا فى بوباستس . وتركز حوليات كبـار كهنة طيبة علـى هذه النقطة ، وتـصر على الإشارة إليه بإسم : كبير زعماء " الماشواش" إبرازا لرفضها القاطع الاعتراف بسلطانه . وسار شاشانق الأول على النهج الذى اتبعه " پينچم" من قبل ، فأسند الى ابنه "إيو پوت" مناصب كبير كهنة آمون والقائد العام للقوات المسلحة وحاكم الوجه القبلى فى آن واحد. وضمن بفضـل الجمع بيـن هذه المناصب الثلاثـة الربـط بيـن

شكل (١٥٢) - جدول انساب الأسرة الثانية والعشرين



السلطة الزمنية والسلطة الروحية . وعين " جدپتاح يواف عنخ " أحد ابنائه (؟) مساعدا له فى منصب كاهن " آمون " الثالث ، كما عين " نيسى " ، وهو زعيم إحدى القبائل المتحالفة ، فى منصب كاهن آمون الرابع . واصل " شاشانق " الأول سياسة عقد التحالفات القائمة على المصاهرة ، فعقد قران ابنته على " چد چحوتى يواف عنخ " وهو من خلفاء " چد بتاح يواف عنخ " . ووطد هذا الزواج وغيره من المصاهرات أواصر الصلة بين السلطتين . ولكن ذلك لن يثنى شاشانق الأول عن إقامة سلطة مضادة فى مصر الوسطى بدافع من الحذر والفطنة. فأسند قيادة هيركليوبوليس العسكرية إلى " نمرود " أحد أبنائه، وأصبحت هذه المدينة نقطة استراتيجية تتحكم فى التبادل التجارى بين المملكتين.

بعد عودة الملك من حملته المظفرة فى فلسطين عام ٩٢٥ ق.م نفذ برنامجا طموحا من المشاريع الإنشائية فى معبد " آمون رع " بالكرنك ، سرد تفاصيله على سطح لوح أقامه بمناسبة إعادة فتح محاجر جبل السلسلة عام ٩٢٤ وباشر ابنه "ايوپوت " الأعمال التنفيذية . وقام بإعداد الفناء الواقع أمام الصرح الثانى ليصل به إلى الصورة التى وصفناها من قبل . وعلى سطح الجدار الخارجى للبوابة الواقعة جنوبى هذا الفناء صور انتصار مصر على المملكتين اليهوديتين يهوذا وإسرائيل . كما أشار إلى هذا النصر على

	الأسرة ٢٢	الأسرة ٢٣	كبار كهنة آمون
٩٤٥ - ٩٢٤	شاشانق الأول		إيوت پوت
٩٢٤ - ٨٨٩	أوسركون الأول		شاشانق
٨٩٠ - ٨٨٩	شاشانق الثانى		سمندس
٨٨٩ - ٨٧٤	تكلوت الأول		إيو ولوت
			حورسا إيزيس
٨٧٠ - ٨٦٠	حورسا إيزيس		
٨٧٤ - ٨٥٠	أوسركون الثانى		نمرود
٨٥٠ - ٨٢٥	تكلوت الثانى		أوسركون
٨٢٥ - ٧٧٣	شاشانق الثالث		
٨١٨ - ٧٩٣		بدى باست الأول	
٧٨٧ - ٧٥٧		أوسركون الثالث	
٧٧٣ - ٧٦٧	پامى		
٧٦٤ - ٧٥٧		تكلوت الثالث	
٧٦٧ - ٧٣٠	شاشانق الخامس		
٧٥٧ - ٧٥٤			
		رود آمون	

شكل (١٥٣) - مختصر جدول الترتيب الزمنى
للأسرتين الثانية والعشرين والثالثة والعشرين

" لوح النصر " الذى أقامه فى الـ " إيت سوت " ، على مقربة من " حوليات " " تحوتمس " الثالث . والمقارنه هنـا لن تكون نـوعا مـن المديح الأجوف . " فبهو الاحتفالات " الذى شيده شاشانق الأول من أجل آمون شاهد على النهضة الجبارة التى سادت الشرق الأدنى القديم . وقد استفاد " شاشانق " الأول إلى أبعد الحدود من سياسة "سى آمون " الخارجية. فأحيا الروابط مع بيبلوس المنفذ التقليدى لتجارة مصر . وربما كان تمثال " شاشانق " الأول الذى قدمه الملك " أبى بعل " إلى معبد " بعلت جبال " إشارة إلى وجود معاهدة ذات طابع اقتصادى أكثر منه عسكرى . ومن ناحية أخرى تدهورت العلاقات مع مملـكة أورشليم ، واشتد التنافس بين الدولتين ، بينما اهتزت شرعية سلطة سليمان فـى أعقاب ثورة " يربعام " الذى وعده النبى " أخيا " بالتربع علـى عرش إسرائيل . واستضاف " شاشانق " الأول " يربعام " طـوال حياة الملك سليمان . (الملوك الأول : الإصحاح :١٤. الآية ٢٥). فلما مات عام ٩٣٠ انضم " يربعام " إلى أنصاره وأسس مملكة إسرائيل التى انفصلت عن مملكة يهوذا التى كان على رأسها "رحبعام " خليفة سليمان . فانقسم العبرانيون وتوزعت قواهم بين السامرة وأورشليم . وتذرع شاششانق الأول بقيام البدو بالإغارة على منطقة البحيرات المرة وقرر الزحف على أورشليم فانطلق من غزة متوغلا فى أعماق صحراء النقب وسقطت بين يديه النقاط المحصنة فى يهوذا . وعسكر امام أورشليم التى خضعت له وسلمت كنوز سـليمان (ماعدا التابوت :Yoyotte: 1987, 66) . ثـم توجـه إلـى إسـرائيـل فاضـطـر " يربعام " إلى الفرار عبر الأردن بعد أن أدرك الهدف من سياسة " شاشانق " الأول عندما ظلله بحمايته ، ولكن بعد فوات الأوان . ولحقت بـه قوة عسكريـة ثم واصلـت تقدمهـا حتى " بيت شان " (بيسان) . وتوقف زحف المصريين عند " مجدو " حيث أقام شاشانق الأول لوحا تذكاريا . ثم عبر جبل الكرمل متجها إلى الجنوب ، وعاد أدراجه إلى غزة عن طريق عسقلان . وهكذا عادت مصر تفرض سيادتها لفترة من الزمن على مناطق سوريا وفلسطين . وبالفعل فقد جرّد قائـد كوشـى يدعـى "زارح " حملة ضـد مملكة يهوذا فى العام الثامن والعشرين مـن حكم " أوسركون " الأول (اخبار الأيام الثانى . الإصحاح : ٤ . الآيات : ٨-١٥). وقد توصلنا إلى تاريخ العام الثامن والعشرين هذا (٨٩٧) ، على اعتباره المقابل للعام الرابع عشر مـن حكم الملك "آسا " الذى ألحق الهزيمة بالغزاة وطاردهم . ولـم يرد ذكر لـ " زارح " هذا فـى أى مصدر آخر . وإذا اتفقنا على أن " أوسركون " الأول قد ارسل هذا القائد على رأس هذه الحملة البائسة ، استطعنا اعتبار هذا التـاريخ نهاية للسياسة الخارجية التى رسمتها مصر لنفسها والتى لن تعود اليها إلا فى عهد " أوسركون " الثانى . وفى الأغلب لم يتعد الوضع

الجديد ضياع السيادة المصرية علـى مملكة يهوذا اذ أقام " إيلى بعل " أمير بيبلوس هـو أيـضا تمثـالا " لأوسركون " الأول فى " بعلت جبال " . (Paris : 1987 , 166) .

واصل " اوسركون " الأول فى السنوات الأولى من حكمه نفس سياسة والده تجاه الأملاك الإلهية ، فأغدق على كبار كهنة المملكة فى منف وهليوبوليس وهرموبوليس والكرنك كانت بوباستس كل مايحتاجون . وبوباستس هى مسقط رأسه وقد شيـد فيها أو أعـاد تشييـد معبـد " آتوم " ومعبد " باستت " الإلهة التى أعطت اسمها للمدينة . كما دعم الأوضاع التى أوجدها أبوه حول هيراكليوبوليس فواصل ما بدأه من أعمال فى معبد الحيبة ومعبد "إيزيس" فى اطفيح . وأقام معسكراً حربياً لتأمين الوصول الى الفيوم كماكان له وجود ملحوظ فى كوپتوس و أبيدوس .

وفى الكرنك اختار " شاشانق " أحد أبنائه ليحل محل أخيه " إيوپوت " فى منصب كبير كهنة " آمون " كما أشركه فى الحكم حوالى عام ٨٩٠ . وطدت هذه التدابير شرعية السلالة الجديدة ، فالملك الذى سـوف يحمل عنـد ارتقائـه العـرش لقب "شاشانق " الثانـى هـو حفيـد " بسوسينس " من خلال والدته " ماعت كارع " . ولسوء حظه لم يسعفه الوقت ليتربع على عرش البلاد رغم كل ماحققه من نجاحات فى منصب كبير الكهنة .إذ توفى وهو لايزال شريكا فى الحكم ووالده على قيد الحياة عن عمر يناهز الخمسين . وأشرف والده الملك " أوسركون " الأول على دفنه فى تانيس ثم وافته المنيةبعد ذلك بأشهر قليلة . وورث " تكلوت " الأول الذى أنجبه من زوجة ثانويـة عرش أبيه ، وامتد حكمه من ٨٨٩ إلى ٨٧٤ . ولا يسعنا أن ننسب إليه عن يقين أية آثار . ويبدو أن أخيه " ايوولوت " شاغل منصب كبير الكهنة لم يعترف بسلطانه . والملفت حقا للنظر أن اسمه لا يظهر على أى من وثائق طيبة بل يبدو أن وجود الحامية التى عسكرت على مقربة من هيراكليوبوليس بناء علـى أوامر " أوسركون " الأول قـد حالـت دون امتداد سلطان " ايوولوت " صـوب الشمـال . أمـا التوازن النسـبى الذى قام بفضـل مجهـودات تانيـس ثم واصله ملوك " بوباستس " فقد اخذ يختل ويتقوض بالتدريج . وتفتت نظام منح حق استغلال أملاك التاج مدى الحياة ، والتحالفات القائمة على المصاهرة التى كانت تهدف إلى التوفيق بين سلطة شمال البلاد وجنوبها . وساعد دخل الأفراد الناتج من شغل المناصب الرسمية على إنشاء الإقطاعات التى ازداد استقلالها على مر الأيام لتبعث إلى الوجود النزعات الانفصالية القديمة . ويشهد الحكم المزدوج المتوازى لحفيدى " أوسركون " الأول ، وهما ابنا العم أوسركون الثانى و "حورسا إيزيس " ، على مدى صعوبة استمرار هذه اللعبة وصعوبة استمرار إدارة دفة الأمور على هذا النحو .

كان " أوسركون " مخطئاً عندما سمح لـ "حورسا إيزيس" أن يخلف أباه "شاشانق" الثانى فى منصب كبير كهنة آمون ولو بشكل غير مباشر . فموافقته على توريث هذا المنصب أصبحت سابقة خطيرة هددت سياسة التوازن التى روعيت حتى الآن . وبفضله استطاع " حورسا إيزيس" أن يتطلع الى حياة حافلة شبيهة بما حققه أبوه " شاشانق " الثانى . ووجه الخلاف بينهما أن " حورساإيزيس " قد نصب نفسه بنفسه ملكا على عرش البلاد فى العام الرابع من حكم ابن عمه . واختار ألقابا جعلت منه صورة جديدة من "پى نچم" الأول ، فهو مثله حورس " الثور القوى الذى توج فى طيبة ". أما أوسركون الثانى فقد اتخذ مجموعة ألقاب ترجع إلى شاشانق الأول . فاختار مثله أحد نعوت رمسيس الثانى اسما حورياً . فهو حورس " الذى توجه رع ملكا على الأرضين " . (Grimal : 1986 , 600 - 601)...

ولم تتمخض حرب الألقاب هذه عن نتيجة لصالح زيادة سلطة " حور سا إيزيس " بالمقارنة مع سلطته ككبير للكهنة . ولكنها حدّت فى المقابل من سلطة أوسركون الثانى الذى عين " نمرود " أحد أبنائه فى منصب كبير الكهنة فى أعقاب وفاة حورسا ايزيس . وكان " نمرود " قائداً لحامية هيراكليوپوليس وكبير كهنة الإلهة "حرشف " . ونهج نفس السياسة فى منف ففرض ابنا آخر هو الأمير "شاشانق " كبيراً لكهنة " پتاح " متجاهلاً السلالة المحلية . وعين فى تانيس ذاتها " حور نخت " ابنه الصغير كبيرا لكهنة آمون ولكنه توفى ولما يبلغ العاشرة من عمره . إن مغزى اختيار " حورنخت " لشغل هذا المنصب رغم حداثة سنه لأمر واضح ويؤكد على الطابع السياسى المحض لهذا التعيين .الذى لم يكن له من هدف سوى تجميع الإقطاعيات المنتشرة فى طول البلاد وعرضها حول البيت المالك .

وشهد عهده آخر ومضات ازدهار الأسرة الثانية والعشرين إذ قام الملك بتجميل معبد الإلهة " باستت " فى مدينتها " بوباستس " ، فزخرف بهو الأساطين وأضاف فناء الأعياد وصور على جدران الرواق مناظر اليوبيل التى احتفل به فى العام الثانى والعشرين من حكمه (٨٥٣) . إن الإحتفاء بهذه المناسبة يستلفت الانتباه لأنه كان من الأمور النادرة فى هذا العصر الملىء بالاضطرابات . ويكشف المتن المصاحب لتصوير اليوبيل أن تفاصيل الحفل منقولة عن نموذج يرجع إلى الأسرة الثامنة عشرة ومثاله المتجسد فى معبد " أمنحوتب " الثالث فى صولب. وذهبت حرفية النقل الى حد الإشارة الى الإعفاء الضريبى الذى أعلن فى هذه المناسبة لصالح جميع معابد البلاد. وسواء كان

هذا التدبير انعكاسا لحقيقة واقعة أم لا ، إلا أنـه يشهد على اعتماد الملك على نموذج طيبى كلاسيكى عند احتفاله بعيد " سد " (Kitchen : 1982 , 320 - 322). وهذه الشواهد دليل أكيد على الروابط الوثيقة التى جمعت بين طيبة وتانيس ، ولكنها تشهد علـى أكثر مـن ذلك ، وفـى المقام الأول، على استمرارية المؤسسات الأمر الذى لا توحى به لأول وهلة المواجهات والمصادمات التى ظلت تمزق مصر منذ أكثر من قرنين من الزمن .

كما سجل " أوسركون " الثانى وجودا نشطا فى ليونتوبوليس ومنف على أقل تقدير ، وفى تانيس حيث شيد فناء أمام معبد " آمون " عثر فيه على تمثال يمثل الملك حاملا لوحا دُوِّن عليه نص صلاة يرفعها إلـى "آمون" طالبـا منـه أن يـعلن وحيـه تعضيدا لمـا تبناه مـن سـياسـات (Paris : 1987 , 108) . كما شيد هيكلا فـى طيبة . وثبت ما يتمتع بـه كهنة آمون من امتيازات .

أما خارج مصر فقد شهدت المنطقة تغيرا فى ميزان القوى حيث واصل "أوسر كون" الثانى سياسة التحالف مع بيبلوس التى سار عليها أسلافه ، ولكنه اضطر أن يأخذ بعين الاعتبار قـوة آشور المتعاظمة . فقد تربع على عرش آشور الملك " أشور ناصيربال " الثانى عام ٨٨٣ ويعنى اسمه " الإله آشور هو حارس الإبن البكر " وكان نموذجا للفاتح المغوار . واخذ يوسع حدود امبراطوريته دون كلل ، وامتلأ قصره فى مدينة نمرود – على مقربة من مدينة الموصل الحالية بالغنائم التى عاد بها من المعارك التى انتصر فيها على أعدائه ومنافسيه . وكان يحلو له أن يستعرض ما ارتكبه من أعمال على قدر من الشراسة والوحشية .

فلنستمع الـى مـايـقولـه :

« لقد أقمت عامودا أمام باب المدينة . وسلخت جميع الزعماء الثائرين . ونشرت جلودهم على سطح العامود . ودفنت البعض داخل العامود . ورفعت البعض على الخازوق فوق العامود وآخرين من حوله . وسلخت العديد منهم فى طول البلاد وعرضها . وكسوت الجدران بجلودهم (...) وأحرقت العديد مـن الأسرى . وأسـرت العديد مـن الجند . وقطعت يـدى وقدمـى بعضهم . وجدعت أنف وأذنى أو أطراف البعض الآخر . واقتلعت عينـى العديد مـن الجنود . وأقمت كـومة مـن الأحياء وأخـرى سـن الرؤوس . وعلقت رؤوسهم فـوق الأشـجار حـول المديـنة. . » (Roux : 1985 , 257) .

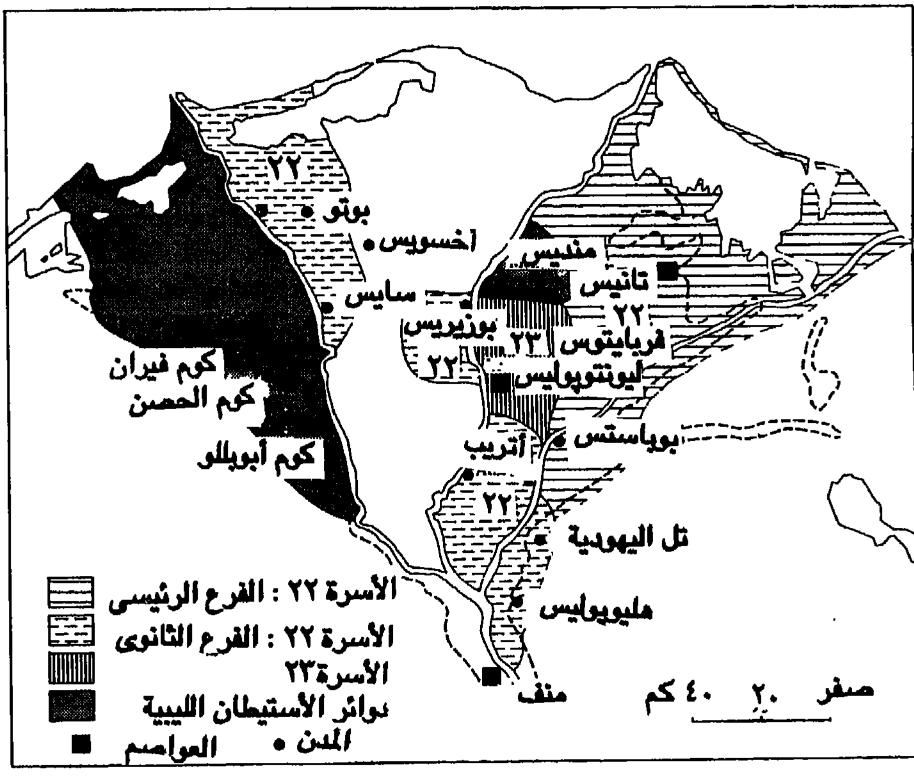
وهكذا استولى على شمال بلاد النهرين وعلى الفرات الأوسط . ثم استمر فى زحفه حتى وصل سوريا ونهر العاصى وساحل أمورو . وفى عام ٨٥٨ خلفه ابنه " شالمناصر " الثالث الذى يعنى " إلاله " شولمانو " هو المتفوق " . واستمر حكمه حتى عام ٨٢٤ . فهو معاصر لكل من أوسركون الثانى وتكلوت الثانى . وواصل حروب أبيه طوال واحد وثلاثين سنة فى محاولات يائسة للاستيلاء نهائيا على شمال سوريا ولكن دون جدوى . وواقع الحال أن سياسته العدوانية قد نجحت فى تحقيق مافشلت فيه الدبلوماسية المصرية . فقد تحالفت ممالك حماة ودمشق وإسرائيل عام ٨٥٣ لتقف صفاً واحداً فى وجه المعتدى ، وأسهمت كل من بيبلوس ومصر بقوة عسكرية تتناسب وإمكانيات كل منهما ، فارسلت الأولى خمسمائه مقاتل والأخرى ألف مقاتل . ودارت رحى المعركة عند مدينة " قرقر " على نهر العاصى . وربما خرج " شالمناصر " الثالث منتصراً من المعركة ولكن القوات المتحالفة نجحت فى صدّ تقدمه وأوقفته . وبدأت مصر مرحلة جديدة فى سياستها الخارجية قائمة على مساندة الممالك السورية والفلسطينية لتشكل منها السدّ الحصين الأخير الذى يحمى وادى النيل من أطماع آشور المتزايدة . ودامت هذه المرحلة قرابة عشرين سنة ، خضعت أثناءها هذه الممالك " لشالمناصر " الثالث ، ودفع " ياهو " الجزية " لآشور " منذ أن تربع على عرش إسرائيل عام ٨٤١ . وادعت " أشور " أن مصر قدمت لها فروض الولاء . وفى الحقيقة فإن " شالمناصر " فشل فى ترجمة ماأحرزه من تقدم إلى واقع ملموس . وقرب نهاية عهده تفجرت الاضطرابات والقلاقل لتتحول إلى حرب أهلية حقيقية، مما اضطر آشور إلى رفع يدها عن مناطق سوريا وفلسطين والابتعاد عنها زهاء قرن من الزمن .

الفوضى الليبية

ومن ناحية أخرى لم تتم وراثة عرش " أوسركون " الثانى وخلافته دون عقبات. فقد وافت المنية ولى العهد "شاشاق " قبل وفاة أبيه ، فارتقى أخوه الثانى الملقب " تكلوت " الثانى عرش تانيس خلفاً " لأوسركون " الثانى بعد وفاته ، وكانت مدة حكمه هى نفس مدة حكم أبيه تقريباً ولم يخلف فى أنحاء البلاد سوى القليل من الآثار . وكان الوضع مختلفاً بالنسبة لكبار كهنة آمون . فقد أحرز " نمرود " - أخو " تكلوت " الثانى غير الشقيق تقدماً ملحوظا منذ أن عينه " أوسركون " الثانى كبيراً لكهنة " آمون". ووضع تحت سلطانه وحده - طيبة وهيراكليوبوليس بشكل خاص ، وأسند منصب الحاكم فيها لابنه " پتاح وج عنخ إف " وزوج ابنته " كاروعاما مريت موت " من " تكلوت " الثانى . وهكذا صار حمًا أخيه غير الشقيق ووالد وريث العرش الذى أطلق عليه إسم

"أوسركون " تخليداً لذكرى جده . وساد سلام نسبى بين تانيس وطيبة علـى امتداد السنوات العشر الأولـى من حكم " تكلوت " الثانى . وتوصل فرعون إلـى عقد قران العديد مـن أميرات البيت المالك علـى شاغلـى أعلى المناصب فـى طيبة مـن ذوى الأصول العريقة الذين سادت بينهم نزعة قويـة ترفض أن يـكون لعائـلة تانيس اليـد العليا علـى أعيان طيبة .

وتفجرت الأعمال العدائية فى أعقاب وفاة صاحب لقب كبير كهنة آمون فى العام الحادى عشر من حـكم " تكلـوت " الثانى . فعلى من يقع الخيار إذن ؟ وعلى أى من نَجْلَى نمرود ؟ أهو " پتاح وچ عنخ إف" الذى هو من هيراكليوبوليس أو المدعو " تكلوت " ؟ أم يتم اختيار المرشح المحلى المدعو " حور سايزيس " حفيد الملك والكاهن الأكبر " حورسا إيزيس " ؟ ولما حدد " تكلوت " الثانـى اختياره كان من الصعـب عليه إقناع أهل طيبـة

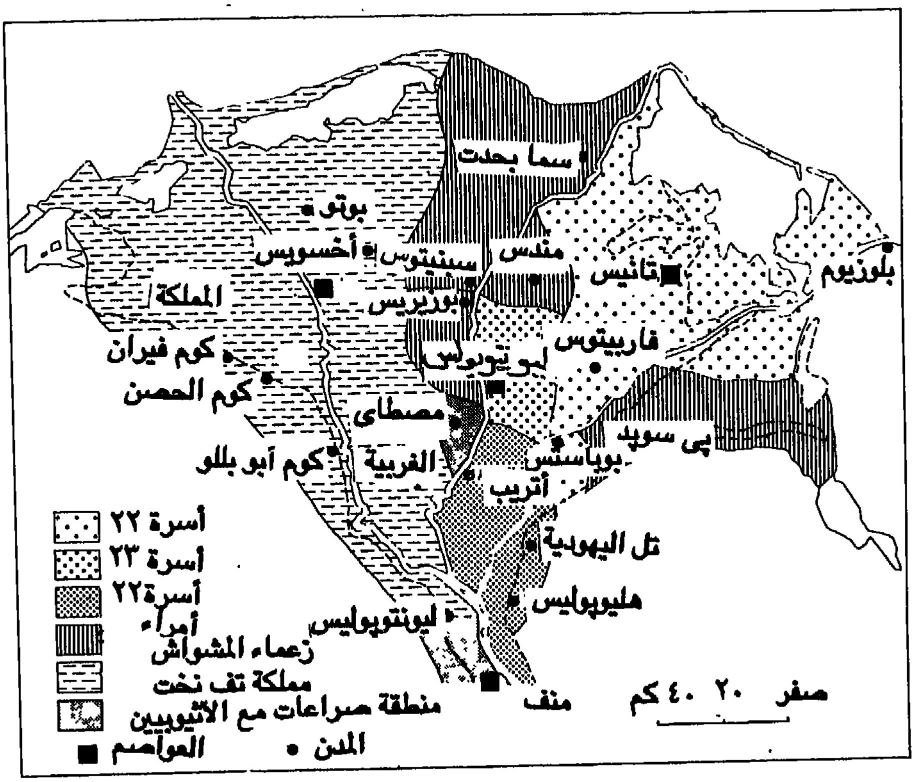


شكل (١٥٤) - خريطة الدلتا السياسية حوالى عام ٨٠٠ ق.م
(نقلاً عن Kitchen : 1986, 346)

بتعيين وريث العرش أوسركون في هذا المنصب والحصول على تأييدهم ، لاسيما بعد ماأصابهم من خيبة أمل في زمن سابق عند تعيين " چد پتاح بوإف عنخ " أحد أبناء الملك "شاشانق" الأول في منصب كاهن " آمون " الثاني . وحرّض " حورسا إيزيس " طيبة على الثورة . ووافق " پتاح وچ عنخ إف " على من وقع عليه إختيار تانيس . فثبته الأمير " أوسركون " في قيادة مدينة " هيراكليوبوليس " ثم ترك قلعته في الحيبة وأبحر جنوباً صوب طيبة .فسيطر في طريقه على منطقة هرموبوليس ، ووصل إلى الكرنك حيث أستجاب إلى " شكوى " الكهنة ضد الثوار . ولم يقف انتقامه عند حدّ إعدام المتمردين بل أحرق جثثهم كحرمان مبين من الحياة الأبدية . وهكذا تم له سحق التمرد . وخلال السنوات الأربع التي أعقبت هذه الأحداث حاول بشتى الطرق أن يستميل كهنة طيبة إلى جانبه ، فأغدق عليهم الهبات وثبت ما كانوا يتمتعون به من امتيازات . وبدا أن الأمور أخذت تعود إلى مجراها الطبيعي . إلا أن الحرب الأهلية اندلعت بشراسة في العام الخامس من حكم " تكلوت " الثاني . ووصف " أوسركون " هذه الحرب بعبارات سجلها في ثنايا "الحوليات " التي خلفها في الكرنك (Caminos : 1958) : وتذكرنا بأحلك أيام عصر الانتقال الأول وتثير العديد من التساؤلات حول تأريخ هذه الفترة التي لم نجد إجابة شافية لها حتى هذه اللحظة (Kitchen : 1958, 542 sq.) ومع ذلك فقد استمر هذا النزاع زهاء العشر سنوات وانتهى بمصالحة عامة في طيبة في العام الرابع والعشرين . ولم يتجاوز الأمر مجرد هدنة ، فبعد أقل من سنتين أستأنف أهل طيبة كفاحهم وفقد "أوسركون " سيطرته على الوجه القبلي . ثم عاد إلى تانيس على جناح السرعة ، فقد توفي " تكلوت " الثاني وسجي في تابوت أعيد استخدامه ، ودفن في صالة مقبرة "أوسركون " الثاني . وشغل مكانه أخوه الأصغر " شاشانق " الثالث .

أثار الاستيلاء على السلطة الصراعات الأسرية من جديد بسبب اندلاع النزاعات حول وراثة العرش . ويبدو أن " شاشانق " الثالث قد لقي قبولاً من جانب أهل طيبة في سنوات حكمه الأولى نظراً لاغتصابه العرش من " أوسركون " صاحب الحق فيه . فحال بذلك دون تقوية شوكته ، أو لأنه ترك لكهنة طيبة مطلق الحرية في البت في اختيار كاهن " آمون " الأكبر ، فعاد " حورسا إيزيس " إلى الظهور ككاهن أكبر من العام السادس من حكم شاشانق الثالث . ومع ذلك فقد حدث شقاق جديد لم يكن مصدره طيبة في هذه المرة ، وإنما البيت المالك ذاته . ففي العام الثامن قام الأمير " پدى باست " ونصب نفسه ملكاً وأسس أسرة ملكية جديدة في " ليونتوبوليس " بالدلتا ، هي الأسرة

الثالثة والعشرون حسب " مانتون " . ولكنه ظل ينتسب من خلال ألقابه لملوك الأسرة الثانية والعشرين . وحكم الفرعونان سوياً واحتفظ كل منهما بألقابه . ولم يحدث الانقسام هذه المرة بين الشمال والجنوب ولكن فى الدلتا نفسها . وسرعان مااعترف كهنة



شكل (١٥٥) - الخريطة السياسية للدلتا عام ٧٣٠ ق.م
(نقلاً عن Kitchen : 1986, 367)

" آمون " بالفرعون الجديد قبل العام الثانى عشر من حكم " شاشانق " الثالث واستقبلوا إثنين من أبنائه وسط جماعتهم . وظل الأمير " أوسركون " وحده يذكر اسم أخيه "شاشانق " الثالث بالرغم من أنه مغتصب عرشه . إلا أنه لم يتخذ موقفاً قاطعاً ، فقد تصالح فى الظاهر مع " شاشانق " الثالث واسترد منصب كبير كهنة " آمون " فى نفس العام الذى عين " پدى باست " إبنه (؟) " إيوپوت " الأول شريكاً له فى الحكم . ولم تدم هذه المشاركة لأكثر من عامين ، إذ تزامنت وفاة " إيوپوت " مع وفاة أبيه : فى العام الثانى والعشرين من حكم " شاشانق " الثالث أو الخامس عشر من حكم

"پدى باست " ، أى عام ٨٠٤ ق . م . واستعاد منه " حورسا إيزيس " المنصب فى العام الخامس والعشرين من حكم " شاشانق " الثالث قبل أن يختفى نهائياً فى العام التاسع والعشرين . وهكذا أصبح " لأوسركون " اليد العليا لمدة تناهز العشر سنوات . وفى غضون ذلك طرأت نفس المشاكل فى هيراكليوبوليس حيث تغير حاكم المدينة فى أعقاب وفاة "پتاح وچ عنخ إف " ، فى العام التاسع والثلاثين الأغلب . وأصبح القائد " باكن پتاح " الأخ الأصغر للأمير " أوسركون " الذى لاتلين له قناة حاكماً على هيراكليوپوليس . أما فى الدلتا فقد ظل " شاشانق " الثالث أقوى من غريمه فى ليونتوپوليس " بفضل مؤازرة ذريته . والشاهد على ذلك هو ماخلفه من أعمال فى تانيس ، نذكر منها البوابة الفخمة فى معبد " آمون " التى شيدت على مايظن تخليداً لذكرى احتفاله بعيد " سد " ، وإن لم يؤيد أي نص هذا الفرض . وكذا المقبرة التى جهزها لنفسه فى الجبانة الملكية . كما شيد المنشآت فى مندس ومصطاى بل وفى منف أيضاً .

ويبدو مع ذلك أنه لم يبسط سلطانه إلى أبعد من فرع دمياط بما فى ذلك إقطاعية إتريب الموالية له . وفى وسط الدلتا كانت إقطاعيات بوزيريس وسايس وبوتو تقدم له فروض الطاعة والولاء . أما المناطق الواقعة غرب فرع رشيد فكانت تحت سيطرة الليبيين . وعند وفاته عام٧٧٣ بعد حكم دام ٥٣ سنة ، كان الموقف فى الدلتا مضطرباً جداً . فقد خلف " شاشانق " الرابع " پدى باست " عام ٧٩٣ فى ليونتويوليس ، ولكن حكمه كان قصيراً . وخلفه " أوسركون " الثالث عام ٧٨٧ ، ودام حكمه حتى ٧٥٩ ، فكان معاصراً للسنوات الثلاث عشرة الأخيرة من حكم "شاشانق " الثالث . وخضعت لسلطاته دائرة مندس التى استوطن فيها الـ " ما " وكانت مجاورة له مباشرة .

كما ظهر " أوسركون " الثالث فى منف ، وكان له وجود أكثر فاعلية من "شاشانق " الثالث فى مصر الوسطى . وكانت السلالة الحليفة لأسرة تانيس لاتزال مسيطرة على ناصية الأمور فى هيراكليوپوليس فى السنوات الأولى من حكم " شاشانق " الخامس أى حوالى عام ٧٦٦ ق . م . ولكن " أوسركون " الثالث نجح فى إزاحته من على مسرح الأحداث وأقام ابنه تكلوت مكانه . ومن المحتمل أنه استطاع أن ينصب " ملكاً " مواليا له على هرموپوليس ، ربما كان " نمرود " الذى سيتغلب عليه " پى (عنخ) ى " فى وقت لاحق وبعد أكثر من ثلاثين سنة .

وانحسر بالتدريج تأثير الأسرة الثانية والعشرين عن منطقة طيبة حيث توصل " أوسركون " الثالث إلى معاونة ابنه " تكلوت " على الجمع بين منصب كبير الكهنة وقيادة هيراكليوپوليس ، فأحيت الأسرة الثالثة والعشرين تحالف طيبة مع العاصمة

السياسية ولو فى الظاهر . ومن الواضح أن أهل طيبة ظلوا يشغلون وحدهم دون منازع مناصب كهنة آمون باستثناء منصب كبير الكهنة .

واعتباراً من العام ٧٦٥ / ٧٦٤ أشرك " أوسركون " الثالث فى العرش ابنه كبير الكهنة " تكلوت " ، ثم توفى ولما يمر على ذلك ست سنوات . وتربع " تكلوت " الثالث بمفرده على عرش البلاد لفترة قصيرة لم تتجاوز السنه أو السنتين . إذ يتفق العام الثامن من حكمه وعام ٧٥٧ ق . م . فى حين أصبح "شاشانق " الخامس هو منافسه فى تانيس اعتباراً من عام ٧٦٧ عندما خلف أباه " پى مى " الذى كان حكمه قصيراً وظل متربعاً على عرش البلاد حتى عام ٧٣٠ . ولم يمتد سلطانه إلى أبعد من تل اليهودية . وشيّد فى تانيس معبداً لثالوث " آمون " شمال حرم آمون فى المكان الذى أقيمت فيه على الأغلب البحيرة المقدسة فى زمن لاحق . كما شيد مقصورة لليوبيل ترجع على مايظن إلى العام الثلاثين من حكمه .

وتطورت الأوضاع فى غربى الدلتا فى عهده . فتأسست فى سايس حوالى عام ٧٦٧ دائرة استيطانية تضُم " الما " بزعامة شخص يدعى " أوسركون " ، أخذ يبسط نفوذه شمالاً ليشمل " بوتو " وجنوباً صوب منف . ومع نهاية حكمه وبدايات حكم خلفه "أوسركون " الرابع - أى حوالى عام ٧٣٠ - كان " تف نخت " يحكم فى سايس بعد أن أعلن نفسه " كبير زعماء الليبو وأمير الغرب العظيم " . وامتد سلطانه ليشمل غرب الدلتا ونصف مناطق وسط الدلتا . وتوفى " شاشانق " الخامس ليخلفه ابنه " أوسركون " الرابع آخر ملوك الأسرة الثانية والعشرين الذى لم يمتد سلطانه إلى أبعد من مدينة تانيس بوباستس . وليت الأمر اقتصر على ذلك ، فدائرة " فاربيتوس " الموالية له من الناحية النظرية والتى استوطن فيها " الما " قد شطرت مملكته شطرين ...

ولكن فلنعد إلى الأسرة الثالثة والعشرين . لقد ارتقى " تكلوت " الثالث عرش البلاد وأصبحت أخته " شپن أوپت " الأولى " عابدة الإله " آمون فاقتسمت معه الحقوق السيادية الملكية فى منطقة طيبة ، بل واضطلعت إلى حدّ ما بدور " كبير الكهنة " الذى تخلى عنه تكلوت الثالث ليتفرغ لأمور الحكم . وهو مايمكن أن نخلص إليه من اشتراكهما (مع آوسركون الثالث) فى بناء وزخرفة هيكل أوزيريس " حقاچت " (" سيد الأبدية ") فى الكرنك . وكانت آخر عابدات الإله من أصل ليبى ، فعابدة الإله التالية كانت إثيوبية . وفى مصر الوسطى وهيراكليوبوليس بالتحديد حلّ شخص يدعى " پف تاو عاوى باستت " محلّ تكلوت وتزوج إحدى بنات " رود آمون " أخى " تكلوت " الثالث ثم خلفه

عام ٧٥٧ لفترة عابرة ، ليخلفه " إيوپوت " الثانى . وفى ظل حكمه اتخذ " پف تاو عاوى باستت " ألقاباً ملكية على غرار مافعله نظيره نمرود فى هرموپوليس . وسيقف هؤلاء الملوك الثلاثة إلى جانب آخرين فى وجه " پى (عنخ) ى " قائد قوات الغزو الأثيوبية الذى وضع حداً " للفوضى الليبية " . ومن ٧٥٧ وحتى ٧٢٩ لم يسيطر كل من "رود آمون " و " أيوپوت " ، سوى على مملكته الخاصة فى " ليونتوپوليس " وطيبة . ونفذ " رود آمون " بعض الأعمال فى هيكل أوزيريس " حقاچت " فى الكرنك وفى معبد مدينة هابو .

وعندما شرع ملك نپاتا فى غزو وادى النيل كان الوضع السياسى على النحو التالى تقريبا :

كانت القوة الضاربة لقوات الدلتا تحت إمرة " تف نخت " فى سايس الذى جمع من حوله أربع دوائر من زعماء " الما " : دائرتى غرب فرع دمياط فى سبنيتوس وبوزيريس ، ودائرة منديس شرقى فرع دمياط ، والدائرة الأخيرة فى " پى سوپد " جنوب شرق الفرع البيلوزى . وانضمت إليه مملكتا أتريب وتانيس بقيادة أوسركون الرابع ومملكة " ليونتوبوليس " بزعامة " أيوپوت " الثانى الذى تبعته طيبة وهيراكليوپوليس وهرموپوليس . ولم تكن هذه الوحدة السياسية سوى وحدة ظاهرية فى مواجهة الخطر القادم من أقصى الجنوب ، ولكنها دعمت السلطة الصاوية فى سايس التى ستقف من الآن فصاعداً بمفردها فى وجه الأثيوبيين .

التقاليد الفنية

وضع غزو " پى (عنخ) ى " حداً لأكثر عصور التاريخ المصرى غموضاً . ولم يصل المؤرخون بعد إلى نتائج حقيقية من واقع دراستهم لكميات كبيرة من الوثائق الجزئية والمتفرقة بسبب التجزئة السياسية التى عانت منها البلاد . إن احتدام الصراع على الحق السيادى المترتب على حمل الألقاب الملكية بين مختلف الملوك قد زاد من صعوبة تحديد تأريخ زمنى متصل . فكان من الضرورى الأخذ بطريقة غير مباشرة من خلال تحديد المراحل التى مرّ بها كبار رجالات الدولة استناداً إلى الوثائق الجنائزية والقانونية . ولكن هذه الوثائق مازالت غير كاملة . ولذلك تترك هذه الفترة التى دامت ثلاثمائة سنة انطباعاً بالفوضى والبلبلة يتحدى كل وصف ، وهو ليس على كل حال سوى انعكاس للفوضى السياسية التى عمت البلاد . أما الحضارة ذاتها فقد ظلت رفيعة المستوى فى شتى

المجالات وإن فقدت السمو والبهاء اللذين تمتعت بهما فى عصر الرعامسة . وازدهرت فى الألف الأولى قبل الميلاد الفنون القائمة على الأشغال المعدنية فى الشرق الأدنى بعامة ، وفى مصر بخاصة . إن تمثال عابدة الإلـه " كاروما . " حفيدة " أوسركون " الأول وحلىّ "أوسركون " الثانى التى تمثل الملك على شكل " أوزيريس " فى حماية " حورس " و " إيزيس " ، يقفان إلى جانب أعظم روائع الفن المصرى وأبرزها . وصحيح أن الملوك قد ظلوا من كبار البنائين فى حدود ماتسمح به سلطتهم وإمكانياتهم ، إلا أن المسافة الفاصلة بينهم وبين الأفراد قد تقلصت بشكل ملحوظ ، فقد رأينا أفراداً يغتصبون بعض الحقوق الملكية السيادية . وحدث نفس الشىء فى مجال الفن . فقد اعتمد كبار كهنة آمون فى الكرنك أسلوباً اقتبسوه من قوالب الرعامسة الفنية .

وعلى العكس من ذلك هجرت الأسرات المالكة النموذج الذى ساد خلال الأسرة التاسعة عشرة ولم يتمسك به سوى ملوك تانيس الذين سعوا أولاً وراء مايدعمون به شرعيتهم ، وقد لاحظنا ذلك من دراسة بعض ألقابهم . ثم أملت عليهم الضرورة التخلى عن ذلك مع تضاءل إمكانياتهم ، فكان أسهل عليهم بالفعل استغلال مدينة " پررمسيس " كمحاجر ، من أن يعدّوا بأنفسهم مايحتاجون إليه من كتل حجرية . وسوف يتخلى زعماء سايس والأثيوبيون عن أسلوب الاعتماد على الغير . ولما لم يكن فى وسع الأوائل إدعاء انتسابهم إلى أسلافهم فى تانيس وليونتوبوليس ، فقد ساروا على هدى من سبقوهم من مؤسسى الأسرة التاسعة عشرة باحثين عن أسس شرعيتهم فى المنابع الأولى للسلطة وفى تقاليد مدينة هليوپوليس ، فعادوا إلى أسلوب سلس بسيط ، وابتعدوا عن المبالغة والتكلف اللذين اشتهر بهما الرعامسة . ومن ناحية أخرى اعتبر الأثيوبيون أنفسهم الأمناء على هذه التقاليد الرشيدة والحافظين لها ، وإن كان من رأيهم أن دلالتها قد انحرفت وشوهت .

إن هذه " العودة إلى الوراء " التى وسمت نهاية عصر الانتقال الثالث جاءت مقترنة بظاهرة صعود الورع الشعبى لأول مرة . ويمكن تلمس إرهاصاته الأولى منذ عصر الرعامسة بعد أن تحددت العلاقة الجديدة بين الإله والملك فى أعقاب عصر العمارنة . وتم تطوير هذا النسق من العلاقات على امتداد ثلاثة قرون من نظم الحكم القائمة على التبليغ الإلهى المنزل . وتجسدت هذه النزعة فى العديد من النذور التى تمثل المؤمنين – سواء كانوا

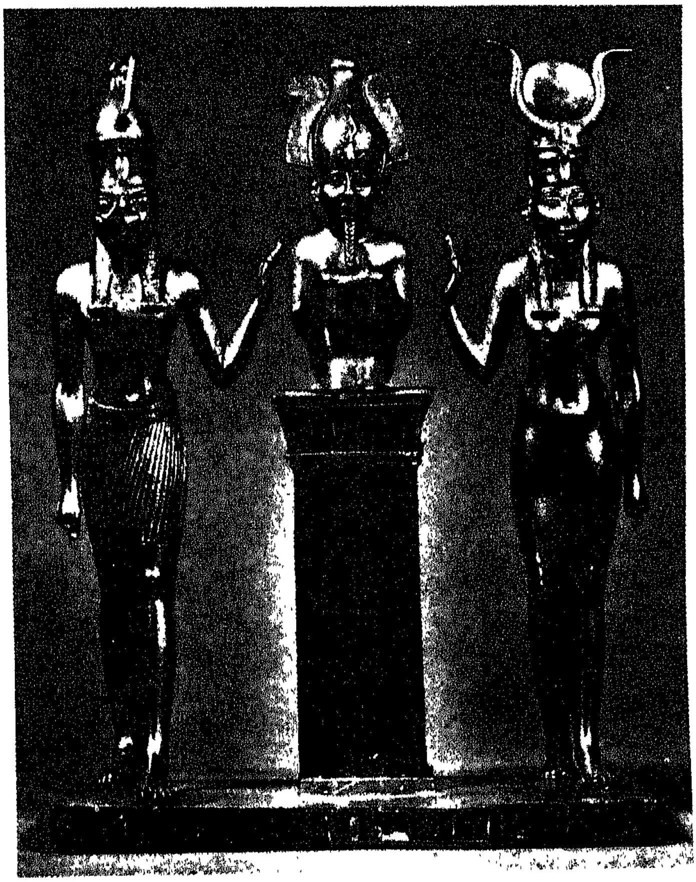


شكل(١٥٦) - كاروما ": : عابدة الإله.

تمثال مصنوع من البرونز والذهب والفضة والإلكتروم والنحاس

الإرتفاع ٥ر٥٩ سم الوفر.N500

ملوكاً أم أفراداً - فى نفس أوضاع التعبد . واقتربت السير الذاتية من أسلوب الأناشيد أكثر من ذى قبل ، وأصبح الملوك يروون مآثر حكوماتهم فى أسلوب لايختلف قط عن أسلوب السير الذاتية .



شكل (١٥٧) - ثالوث أوسركون٢،٥٢١

من الذهب واللازورد وعجينة الزجاج الارتفاع ٩٠سم اللوفر E 6204

الفصل الرابع عشر

الأسرات الإثيوبية والصاوية

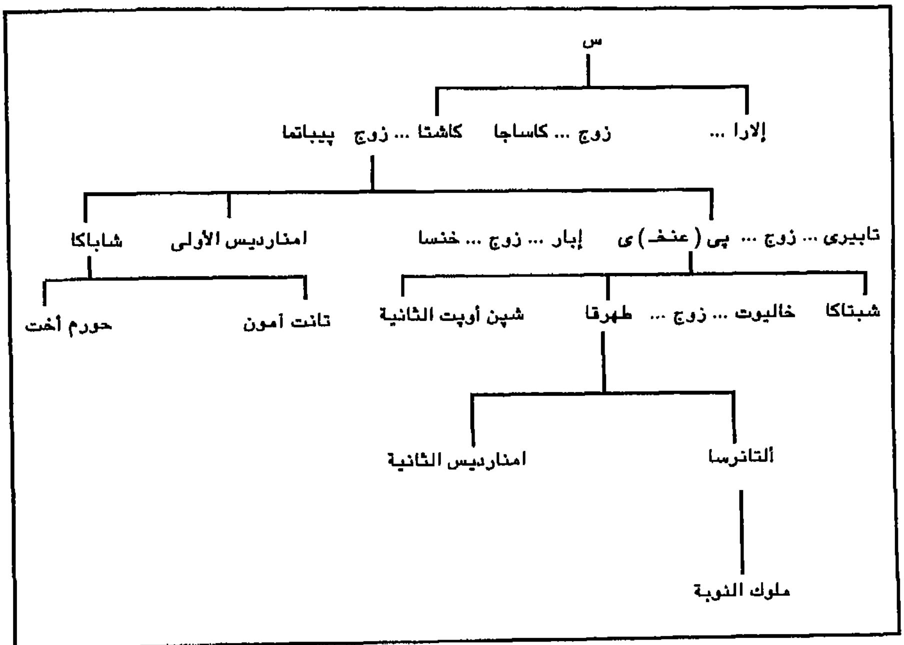
الغزو الإثيوبي

عند اقتسام تركة الرعامسة انفصلت النوبة عن مصر لتصبح مملكة مستقلة على مقربة من الجندل الرابع . ولكننا لانستطيع القطع بوجودها قبل بداية القرن الثانى قبل الميلاد ، فمعلوماتنا عن أوضاع النوبة قبل هذا التاريخ شحيحة جداً . ومن المرجح أن الحملة التى قادها " شاشانق " الأول إلى الجنوب من أسوان ، بعد مرور قرن من الزمن تقريباً على التمرد الذى تزعمه نائب الملك " پانحسى " (Kitchen : 1985 , 293) ، كانت هى المرة الأخيرة التى يمارس فيها المصريون أعمال السيادة فى النوبة السفلى أو يحاولون إعادة فتحها . وأياً كان الأمر فقد أخذت النوبة تنحو فى تطورها منحىً مستقلا بعيداً عن تبعيتها السابقة لمصر بعد أن كان فراعنة الدولة الحديثة قد تولوا تمصيرها حتى الأعماق . وأصبح معبد آمون فى جبل البركل مركزاً دينياً نشأت حوله سلالة محيلة دفن زعماؤها فى جبانة " الكرو " المجاورة . وعلى مرّ الأجيال أتسع نفوذ كهنة " آمون " عليها، ويمكن قياس هذا النفوذ من خلال عملية تمصيرها التدريجى . وعندما أسسوا أسرة ملكيــة ، اختــاروا شتــى مــظاهر السلطة الفرعونيــة كما استخلصوهـــا من التراث الذى خلّفــه " تحوتمس " الثالث ، بل وذهبوا إلى الأخذ بعقيدة آمون الأصلية الصارمة .

" إلارا " هو أول من نعرفهم من ملوك الأسرة الأثيوبية ، وكان سابعهم على الأرجح . وأخوه " كاشتا " هو أول من تأكد وجوده بشكل مباشر . وإذا اتفقنا أن حكم " إلارا " الذى بدأ عام ٧٨٠ ق . م . قد دام عشرين سنة ، فيمكن تحديد تاريخ نشأة هذه السلاله عند نهاية القرن العاشر وبداية القرن التاسع ، أى بعد حملة شاشانق الأول . ولانعلم شيئاً عن " إلارا " . وعلى العكس فان معلوماتنا عن " كاشتا " " الكوشى " أكثر وفرة . فقد تربع على العرش عام ٧٦٠ ، وأستكمل فتح النوبة السفلى ، على مايعتقد ، إذا لم يكن سلفه " إلاراً " قد قام بهذه المهمة . وامتد سلطان " كاشتا " ليصل إلى أسوان على أقل تقدير ، حيث كرس لوحاً للإله خنوم فى إلفنتين ، وقد دوّن إسمه على سطحه

مقترناً بالألقاب الملكية واختار " ماعت رع " إسماً للتتويج . وربما واصل زحفه حتى منطقة طيـــبة (Kendall 1982 , 9)، اللهـــم إلا إذا فضـــلنا تأجيل هذا الوصـــول إلى الجـــيل التالى .

رزق " كاشـتا "عـدة أولاد .سـوف يتولى إثنان منهم الحكم ،وهما" پى(عنخـ)ى " و " شاباكاً " . وقد تزوج " پى (عنخـ) ى " إبنة " إلارا " تأكيداً لانتقال السلطة من جيل إلى جيل . وتولى " پى (عنخـ) ى " السلطة عام ٧٤٧ وواصل زحفه صوب الشمال طوال السنوات العشر الأولى من حكمه ، وفرض الحماية على طيبة . واتخذ مايلزم من تدابير لتتبنى " شپن أوپت " الأولى أخته " أمنارديس " بصفتها عابدة الإله . وفتحت " أمنارديس " الباب أمام الإثيوبيين لكى يستولوا على الكرنك ويستحوذوا على ميراث "أوسركون " الثالث . ووفقاً لمدونة عثر عليها فى وادى الجاســوس فإنه يبـدو أن انتقـال



شكل رقم (١٥٨) سلسلة أنساب الملوك الأثيوبيين

السلطة كان أمراً واقعاً فى العام التاسع عشر من حكم الملك صاحب الحق فى أن يذكر اسمه فى طيبة . وقد يتفق هذا التاريخ مع العام الثانى عشر من ولاية " پى (عنخـ)ى"، فالتاريخ المشار إليه هو إذن العام التاسع عشر من حكم " إيوپوت " الثانى أى عـام ٧٣٦ ق . م . ويمكن الأقتراض أن الأثيوبيين كانوا قد سيطروا فى هذا التاريخ على معظم الصعيد وحتى طيبة على أقـل تقديـر وربما وصلوا إلى أبـعد مـن ذلـك جنوباً ، .فقد أخذ " پى (عنخـ) ى " على ملكى هرموپوليس وهيراكليوپوليس خيانتهما له أثناء تقدم قواته .

ولمواجهة السلطة الإثيوبية الزاحفة فى منطقة طيبة ، شرع " تف نخت " ملك سايس المقدام يلمّ شمل ممالك الشمال وضّم إلى صفوفه هيراكليوپوليس وهرموبوليس . وإذ قويت شوكته بماناله من تأييد وتعضيد بدأ يستولى على الجنوب ولـكن ســرعان ماتدخل

	الأسرة الرابعة والعشرون	الأسرة الخامسة والعشرون
٧١٦ - ٧٤٧		پى (عنخ) ى
٧٢٠ - ٧٢٧	تف نخت	
٧١٥ - ٧٢٠	باك إن رنف (بكوريس)	
٧٠٢ - ٧١٦		شاباكا
	الأسرة السادسة والعشرون	
٦٩٠ - ٧٠٢		شبتاكا
٦٦٤ - ٦٩٠		طهرقا
٦٦٤ - ٦٧٢	نكاو الأول	
٦٦٤	پسمتك الأول	تانت آمون
٦٥٦		نهاية السيطرة الأثيوبية
٥٩٥ - ٦١٠	نكاو الثانى	
٥٨٩ - ٥٩٥	پسمتك الثانى	
٥٧٠ - ٥٨٩	وح أيب رع (إپريس)	
٥٢٦ - ٥٧٠	أحمس الثانى	
٥٢٥ - ٥٢٦	پسمتك الثالث	

شكل رقم (١٥٩) جدول التسلسل الزمنى للأسرات ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ .

"پى (عنخ) ى " وهزم القوات المتحالفة . وسرد هذه المعارك على سطح لوح شامخ وضعه فى معبد " آمون " ، بجبل البركل حيث اكتشفه أحد ضباط سعيد باشا عام ١٨٦٢ . لم يكن هذا النص تقريراً عسكرياً بمعنى الكلمة ، ولكنه مرسوم يؤكد سلطته على الوجه القبلى و الوجه البحرى بعد أن غزاهما بقواته . وقد صُوِّر الأمر وكأن " پى (عنخ) ى " هو الفرعون المصرى الحاكم دون منازع . الذى شن حربا ضد المتمردين الخارجين على النظام الذى أقامه " آمون " . فالنص إذن ليس شهادة تاريخية ، إنما هو أقرب إلى " المسرد الملكى " كما تناقلته التقاليد الكلاسيكية بما يزخر به من عبارات فخمة وقوالب جاهـزة مستوحـاة مـن المصـادر الأدبـية فـى مكتـبة معـبد جبـل البركل . ومـن المؤكـد أن "پـى (عنخ) ى " قد أذاع نسخاً منه فى كبريات المعابد المصرية كمعبد الكرنك ومعبد منف ولكنها فقدت ولم تصل إلينا .

وفى العام الحادى والعشرين علم " پى (عنخ) ى " بتصرفات " تف نخت " . بل ربما عُرض عليه منذ عام ٧٣٦ تقرير حول تمركز قواته والتحالف الذى جمع ملوك وأمراء الشمال تحت قيادة " تف نخت " . ولم يصدر عن " پى (عنخ) ى " أى رد فعل ، بل تركهم يزحفون صوب الجنوب إلى أن أستولوا على هيراكليوبوليس . عندئذ أمر الفيلق الأثيوبى المرابط فى منطقة طيبة بالتصدى لهم عند الإقليم الخامس عشر كما أرسل له التعزيزات العسكرية :

« فاستدعى جلالته القادة العسكريين والضباط الموجودين فى مصر ، وهم "پاورما " و" لامرسكينى " وسائر ضباط جلالته القائمين فى مصر . وقال لهم : " اتخذوا وضع الاستعداد ، وخوضوا المعركة . والتفوا حول العدو وحاصروه ! وأسروا رجاله ومواشيه وسفنه النهرية ! وامنعوا المزارعين من التوجه إلى الحقول ، والفلاحين من حرث الأرض ! اضربوا الحصار حول إقليم الأرنب وقاتلوا العدو كل يوم دون هوادة ! "

« وهذا مافعلوه : وأرسل جلالته جيشاً إلى مصر . وأوصاهم مشددا بالتعليمات التالية : " لاتنقضوا على العدو ليلاً وكأنكم تلعبون وتلهون . ولاتحاربوا إلاوأنتم مبصرون . وخوضوا ضده المعركة دون الاقتراب منه ! وإذا قال لكم : " انتظروا المشاة وسلاح المركبات القادمة من مدينة أخرى ! " فتريثوا لحين وصول جيشه . ولاتبدأوا المعركة إلا عندما يطلب ذلك . وإذا كان حلفاؤه فى مدينة أخرى فاصدروا الأوامر بالانتظار حتى يصلوا . وحاربوا فى المقام الأول القادة العسكريين المصاحبين له كحلفاء وحرسه الخاص من الليبيين . وعند استعراض الجيش لاندرى لمن نوجه الحديث . فنقول " أيا أنت أسرج أفضل مافى أسطبلك من جياد وهيىء نفسك للمعركة ! عندئذ سوف تعرف أننا رسل آمون!"

" وإذا بلغتم طيبة ووقفتم أمام " إپت سوت " انغمروا فى الماء وتطهروا فى النهر وارتدوا الكتان النقى . وحطوا الأقواس والقوا السهام جانباً . لاتتباهوا بأنكم أصحاب سلطة فى حضرة الذى بدون رضاه ليس للشجاع قدرة . فيجعل الضعيف قوياً . والجموع تتراجع أمام القلة وتعود أدراجها ويتغلب الفرد على ألف ! وتبللوا بماء هياكله . وقبلوا الأرض بين يديه وقولوا له : أرشدنا إلى الطريق . فلنحارب فى ظل قوتك !. ولتكن معارك المجندين الذين بعثت بهم مظفرة . وليستولِ الرعب على الجموع عندما تواجههم ! "
. (**Stèle de la Victoire 8 - 14**)

حاصرت الفصائل الإثيوبية القوات المتحالفة وأجبرتها على خوض المعركة . وبعد هزيمتهم لجأ رجال " تف نخت " إلى هرموپوليس التى ضرب الإثيوبيون حولها الحصار وعندئذ رأى " پى (عنخ) ى " أن الوقت قد حان ليتوجه بنفسه إلى مسرح العمليات . لم يكن فى عجلة من أمره ، فتوقف لبعض الوقت للاحتفال بالعام الجديد وبعيد " أوپت " فى الكرنك . كان غرضه من هذه الزيارة مزدوجا : أراد أن يعلن على الملأ اعتراف آمون به ملكاً ، كما استهدف إضعاف القوات المحاصرة بإطالة أجل الحصار المضروب حولها . وأثناء ذلك اجتاحت قواته مصر الوسطى ، ووصل إلى هرموپوليس فأخضع ملكها " نمرود " واستسلمت المدينة للملك الظافر . واستسلم أيضا " پف تاو عاوى باستت " مع هيراكليوپوليس دون أن ينتظر استيلاء " پى (عنخ) ى " على المدينة ، واعترف بولاية الملك عليه فى خطاب زاخر بالزخرف والإقتباسات الأدبية :

" تحية لك أيا حورس ، أيها الملك القوى . إنك الثور الذى يقاتل الثيران ! لقد استحوذت ال " دات " (العالم السفلى) علىّ وغمرتنى الظلمات . فهل لى أن أمنح وجهاً كوجهك المشرق ! لم أجد من يناصرنى وقت الشدة . ولكن بفضلك أنت وحدك أيها الملك القوى انقشعت الظلمات مـن حولـى ! فأنا وجميع ممتلكاتى فى خدمتك . وتدفع مدينة " ننى نسوت " الضرائب لجهازك الإدارى . فانت بالتأكيد " حورأختى " (حور الأفقين) الواقف على رأس الخالدين . وبقدر بقائه تبقى أنت ملكاً . وكما أنه خالد لايموت فأنت أيضاً خالد لاتموت . أيا " پى (عنخ) ى " ياملك الوجهين القبلى والبحرى ! لك الحياة إلى الأبد ! " (**Stèle de la Victoire, 71 - 76**)

ثم تقدم " پى (عنخ) ى " صوب الشمال فاستولى دون مقاومة على القلعة التى شيدها أوسركون الأول لمراقبة مدخل الفيوم ، واستسلمت ميدوم واللشت . ووصل أمام منف حيث تحصنت القوات المتحالفة ، فضرب الحصار حول المدينة واستولى عليها بواسطة آلات الحرب ، واستسلم له باقى الحلفاء عند سماعهم نبأ سقوط المدينه .واتجه " پى (عنخ)ى " إلى هيليوبوليس لأداء الشعائر التقليدية التى تقام لرع . وهكذا أعاد مراسم تتويجه .

" واتجه جلالته إلى المقصورة الواقعة غربى " إيتى " ، للتطهر . فتطهر جلالته فى بحيرة "قبح " . واغتسل وجهه فى نهر " نون " حيث يغسل " رع " وجهه " .

" واتجه جلالته إلى تل الرمال فى هليوبوليس ليقدم القرابين فوق تل رمل

هليوبوليس الواقع أمام رع عند شروقه . وتشمل القرابين الأبقار البيضاء واللبن والمر والبخور ومختلف أنواع العطور الطيبة . "

" واتجه صاحب الجلالة إلى مقر رع فى موكب مهيب . فدخل المعبد وسط تهليل الحاضرين والكاهن المرتل يتعبد للإله لإبعاد أعداء الملك . ثم أقيمت شعائر ال " پردوات " وربط العصابة الملكية . وتطهر جلالته بالبخور والماء . وقدمت أكاليل قصر " بن بن " ، وأدهان " العنـــخو " . وصعد درجات سلم الشرفـــة الكبـــرى ليشاهد " رع فى قصـــر الـ " بن بن " .

" ووقف الملك بمفرده ، وكسر ختم المزلاج وفتح مصراعى الباب وشاهد والده رع فى قصر البن بن المقدس ومركب النهار المخصصة لرع ومركب المساء المخصصة لآتوم . ثم أغلق مصراعى الباب ووضع الطين وختم الملك بخاتمه الخاص . وأصدر تعليماته للكهنة قائلا : "لقد قمت أنا شخصيا بوضع الختم . لن يدخل المكان أحد سوى ممن يدعون أنهم ملوك ! "

" وانبطحـوا علـى بطونـهم فـوق الأرض قائـليـن : " ثـابت أنت ودائم : فليحى حورس محبوب رع ، إلـى الأبد ! دخولا إلـى مسكن آتـوم ، وتقديـما لأبـيـه آتوم خپرى ، زعيـم هليـوبـوليـس " (Stèle de la Victoire, 101 - 106) .

وحتى تكتمل صورة الاحتفال الذى اتخذ مظهر اليوبيل حضر" أوسر كون" الرابع ملك تانيس ليتعبد للملك الجديد . جاء " پادى إيزيس" أميـر أتريب ليضع أملاكه تحت تصرف "بـى(عنخ) ى" إقرارا بتبعيته له . وحذا حذوه الزعماء المتحالفون الذين يقدم لوح جبل البركل قائمة مستفيضة بهم . ولم يتخلف سوى " تف نخت " الذى فر من منف قبل الاستيلاء عليها ولجأ إلى أقاليم شمال الدلتا حيث حاول أن يعيد تنظيم قواته . وأرسل إلى الفاتح الجديد رسولا ماهرا فاوضه فى لغة اصطبغت بالعبارات التقليدية. وأفضت هذه المفاوضات إلى الإعتراف بالأمر الواقع القائم بين الملكين : .

" ألم يهدأ قلب جلالتك بعد كل ما ألم بى بسببك ؟ أجل إنى بائس . ولكن لا تعاقبنى بقدر الجرم الذى ارتكبته . أنت تزن بالميزان . وتحكم طبقا للوزنات ! وفى مقدورك مضاعفة جرمى أضعافا مضاعفة . ولكن ابق على هذه الحبة ، وسوف تعطيك حصادا وفيرا فى الوقت المناسب . لا تقتلع الشجرة من جذورها ! إن " كا "ءك يثير الرعب فى أحشائى وترتعد أوصالى من شدة الخوف ! ومنذ أن علمت باسمى لم أجلس فى بيت

الجعة ، ولم استمع إلى عزف الجنك . لقد أكلت وشربت مايكفى فقط لرد جوعى وإطفاء ظمئى . الألم وصل إلى عظامى . وأسير عارى الرأس مرتديا الأسمال حتى تعفو الإلهة "نيت "عنى . لقد فرضت علىّ السير مسيرات طويلة . أنت تلاحقنى وتطاردنى على الدوام . فهل استرد حريتى ذات يوم ؟ طهر خادمك من ذنوبه ولتنتقل ممتلكاتى إلى الخزينة العامة ، وكافة ما أملك أيضا من ذهب وأحجار كريمة وأفضل جيادى وكافة تجهيزاتها . أرسل برسولك ليطرد الخوف من قلبى واذهب فى صحبته إلى المعبد ليطهرنى القَسَم الإلهى".

" وأرسل جلالته " پيتى آمون (نب) نيسوت تاوى " كبير الكهنةالمرتلين وفى صحبته " پاورما" القائد العسكرى ، فقدم له هدايا من الفضة والذهب والمنسوجات ومختلف الأحجار الكريمة . وتوجه إلى المعبد ، وتعبد إلى الإله وتطهر عندما أقسم القسم الإلهى التالى : " لن أنتهك المرسوم الملكى ولن أتهاون فى أوامر صاحب الجلالة . ولن أسلك سلوكا مذموما فى حق قائد عسكرى فى غيابه . وسوف أتصرف فى حدود الأوامر الصادرة من الملك دون أن اخرق ما أصدره من مراسيم. عندئذ أعلن صاحب الجلالة موافقته". (Stéle de la Victoire, 130 - 140) .

ولما ازداد موقف " پى (عنخ) ى " رسوخاً فى أعقاب هذا الخضوع المبدئى ، ثبّت الملوك الأربعة كلا فى مدينته :" إيوپوت " الثانى فى ليونتوبوليس . و " پف تاوعاوى باستت " فى هيراكليوبوليس . و" أوسركون" - الرابع فى تانيس . و " نمرود " فى هرموبوليس . ولكنه لم يحبذ اعطاء الكثير للذرية الليبية لفراعنة مصر القدماء ، فاعترف بأحدهم فقط وهو نمرود كمتحدث معتمد :

" لما أضاء الأرض نهار جديد ، حضر عاهلا الجنوب وعاهلا الشمال والصل على جبينهم وقبّلوا تراب الأرض أمام قوة صاحب الجلالة . وهكذا جاء ملوك وقادة الشمال ليشاهدوا بهاء جلالته . وكانت سيقانهم ترتعش وكأنها سيقان نسوة . ولكنهم لم يدخلوا إلى مسكن الملك حتى لا يدنسوه بالنظر إلى أنهم لم يختتنوا ولأنهم يأكلون السمك . أما الملك نمرود فقد دخل مسكن الملك ، إذ كان طاهرا ولا يأكل السمك . فانتظر ثلاثة فى الخارج ، ولم يسمح بالدخول إلا لواحد ."

" وحُمّلت السفن بالفضة والذهب والنحاس والأقمشة وسائر خيرات الشمال وكل ثمين وسائر كنوز سوريا وعطور بلاد العرب . وأقلعت سفن صاحب الجلالة صوب

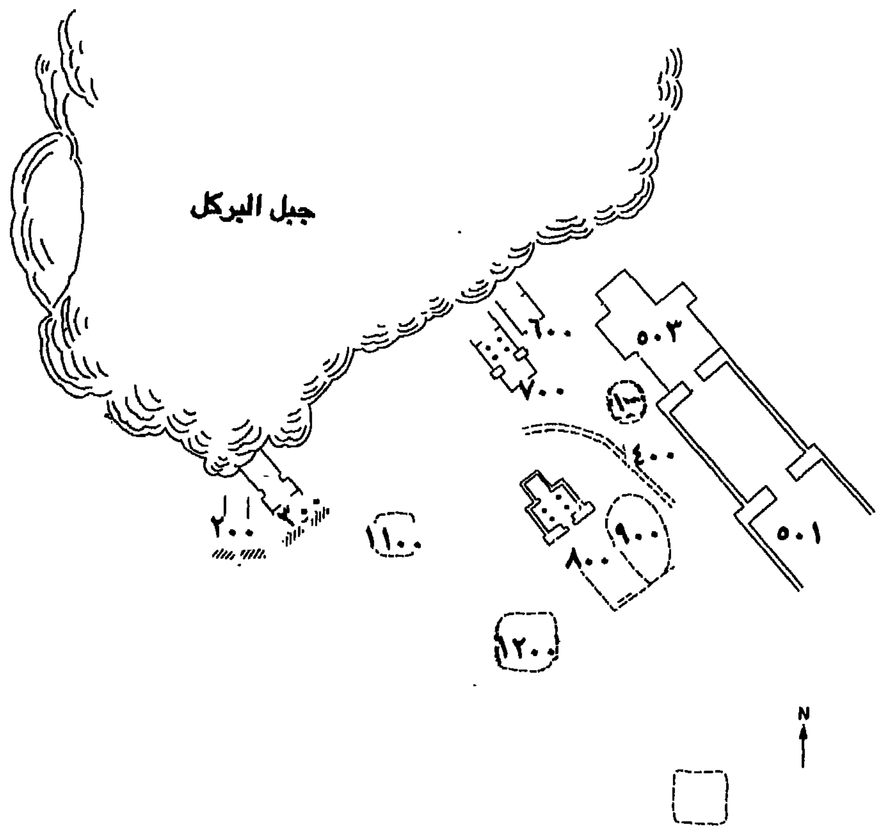
الجنوب . وكان جلالته منشرح القلب . وعلى الجانبين كان الأهالى على شاطىء النهر يهللون من نشوة الفرح . وأخذ الجميع - شرقا وغربا - كلما بلغهم النبأ ينشدون عند عبور صاحب الجلالة أنشودة فرح وابتهاج . تقول الأنشودة : " أيها الأمير القوى ، أيها الأمير القوى ، أيا " پى (عنخ) ى " ، أيها الأمير القوى ! ها أنت تتقدم بعد أن فرضت سيطرتك على الشمال . إنك تحول الثيران إلى إناث ! طوبى لقلب المرأة التى أنجبتك ! وطوبى لقلب الرجل الذى من صلبك ! وأهل الوادى يحيونه . فلتحى إلى الأبد . فقوتك خالدة أيها الأمير المحبوب من طيبة" (Stèle de la Victoire, 147- 159) .

وعند عودته إلى نپاتا قام بتطوير عاصمته وأجرى توسعات فى المعبد الذى كرسه "تحوتمس " الثالث " لآمون" فوق " الجبل الطاهر" ، وهو جبل البركل . وترجع آخر مراحل بنائه الى عصر رمسيس الثانى (B 500) .

وقد رمم مقصورة قدس الأقداس وأعاد بناء سور حرمها . وأقام أمامها بهو أساطين يحده صرح . ثم أضاف فناء جديدا له صفات يحده صرح جديد . وأقام أمامه تماثيل " أبو " الهول برأس كبش نقلها من معبد " أمنحوتب " الثالث فى صولب .

وجاء تشييد معبد جبل البركل نسخة تحاكى معبد الكرنك . وبذل ملوك كوش ما فى وسعهم لتوسيع وتجميل هذين المعبدين . وأقام " پى (عنخ) ى " لنفسه هرما فى جبانة " الكرو " ، وعلى مقربة منه دفنت خمس من ملكاته واثنتان من بناته . إن العودة إلى الهرم كدفنة ملكية يتفق والاختيار الأيديولوجى الأصولى ، وإن ظل الشكل المعمارى لأهرام نپاتا بعيدا إلى حد كبير عن نماذجه الأصلية فى منف .

ولكن ما الذى دفع " پى (عنخ) ى " إلى العودة إلى نپاتا ؟ إذا صحت رواية "لوح النصر " فقد توصل إلى فرض سيطرته الشاملة والتامة على مصر ، وفضل ألا يحكم البلاد شخصيا ، إما لأنه اعتبر نپاتا عاصمته الحقيقية ، أو لأنه أدرك فائدة التقسيم السياسى للبلاد الذى حافظ عليه بكل عناية ، وهو ما نرجحه ، ففضل أن يحكم من خلال التقسيم ويكتفى بالإشراف إشرافا فعالا على منطقة طيبة والدروب الغربية حتى الواحة الداخلة على الأقل ، حيث ترك أثرا لوجوده فى العام الرابع والعشرين . ويبدو أن هذه الاستراتيجية قدنجحت فى مصر الوسطى ، فى هرموپوليس وكذلك فى هيراكليوپوليس . وحدد " پى (عنخ) ى " شخصيا الخطوط العريضة لسياسته على سطح لوح عثر عليه أيضا فى جبل البركل :



شكل (١٦٠) - موقع جبل البركل .
(نقلاً عن Dunhan : 1970, Plan I)

" وهبنـى آمون المقيم فى نپاتا حق حكم جميع البلدان . فمن أقل له :" كن ملكا "! يكن ملكا ، ومـن أقل لـه " لا تكن ملكا " لا يـكون . " ووهبنى آمون فـى طيبه حكم مصر. فمن اقل لـه " فلتُتوج " ! يتوج . ومن أقل له "لا تُتـــوج " . لا يتوج . وكـــل من منحته حمايتى لا يخشى من احتلال مدينته . وعلـى كل حال فلـن أقـوم باحتلالها . فـى استطاعة الآلهــة إقــامـــة ملك . والبـــشر ايضا فــى إمكانهم إقامــة ملك . أما أنــا فآمــون هـو الذى اقامنى ملكا " ! (Grimal : 1986 , 217 - 218) .

إلا أنه لم يتردد فى تأكيد دوره كموحد مصر على سطوح المنشآت التى شيدها أو زخرفها ، فهو حورس "سماتاوى " " الذى وحد الأرضين " و " الذى تم تتويجه فى طيبة " وكان يعلن انتسابه إلى الملكين العظيمين الذين أوحيا له عمائر النوبة : " تحوتمس"

الثالث الذى اختار اسم تتويجه لقبا له : "من خپر رع " و "رمسيس" الثانى "أوسرماعت رع". ويبدو أن طيبه قد امتثلت لسيطرته ، فتولت " شپن أوپت" الأولى و"امنارديس" الأولى معا قيادة كهنة آمون .

ومن ناحية أخرى ظلت فاعلية هذه السياسة فى شمال البلاد محـــدودة بشكل واضح ، إذ لم يفقد " تف نخت " من الناحية العملية شيئا من سلطته التى أخذت تمتد الى مناطق غرب الدلتا وحتى منف ، بل أعلن نفسه ملكا حوالى عام ٧٢٠/٧١٩ مؤسسا الأسرة الرابعة والعشرين طبقا " لمانتون " ومقرها سايس . ولم يستمر حكمه أكثر من ثمانى سنوات ، استطاع خلالها أن يدعـم مركـزه فـى مواجهـة جاريـه فى ليونتوبوليـس وتانيـس . وخلفه ابنه " باك ان رنف" أو "بكوريس " طبقا لرواية"مانتون" ، وفرض سلطته على شمال البلاد بأسرها . ولا نستطيع ان نحكم حكما موضوعيا على هذه المملكة القصيرة العمر التى استسلمت الى "شباكا" عام ٧١٥ بالنظر الى قلة المعلومات المتوفرة عنها . ولكن يبدو أن ملوك تانيس وبوباستس وليونتوبوليس ودوائر" الما " قد أقروا بتبعيتهم لها - وهى تبعية لم تكلف شيئا على كل حال . وقد عثر على شواهد تؤكد وجود "باك إن رنف " فى منف . وربما كانت مقر حكم مملكته .

صعود نجم آشور

ومن المفارقات حقا أن يقع على كاهل أوسركون الرابع ، آخر ممثلى الأسرة الثانية والعشرين ، أن ينوب عن مصر فى الأحداث الخطيرة التى بدأ التحضير لها فـى سوريا وفلسطين ، فكان من نصيبه ، بعد أن فقد السيطرة على ربوع مصر منذ وقت بعيد ، أن يضطلع بهذه المهمة الشاقة . كانت آشور قد تخلصت منذ فترة طويلة من الصراعات الداخلية المريرة عندما قام " تيجلات بسيلا صر " الثالث بانتزاع السلطة من يدى " آشور نيرارى " الخامس ، عام ٧٤٥ . واشتد التنافس بين آشور وبين مملكة "أورارتو" المجاورة الممتدة فى المنطقة التى سوف تعرف مستقبلا بأرمنيا ، وكانت دولة فتية واسعة النشاط والتأثير إلى حد كبير . ودخلت القوتان فى سباق مع الزمن من أجل وضع اليد على شمال سوريا . وضم " تيجلات بيلا صر" الثالث شمال غرب سوريا وأخضع فينقيا عام ٧٤٢ . وتحقيقا لهدفه سار على نفس النهج الذى أخذ به عندما أعاد تنظيم بلاده ، فحظر علـى فينيقيا بنـوع خاص إقامـة أى علاقات تجـارية مـع البلستى (الفلسطنيين) ومع مصر . وعندما أيقن صغار ملوك الهلال الخصيب أنه أصبح لآشور اليد العليا فى شئون المنطقة

توصلوا إلى ترتيبات ترضى جميع الأطراف ، فأقرت قرقميش ودمشق وإسرائيل بتبعيتها لآشور . ودفعت لها الجزية مع شعوب أخرى من بينها العرب الذين ظهروا لأول مرة على مسرح الأحداث .

وظن تيجلات بيلاصر الثالث أنه أمّن ظهره من جهة البحر المتوسط فتفرغ لمملكة"اورارتو" متصديا لها فى أعقاب إغارة سريعة حاسمة على إيران . وتحركت صور وصيدا بعد أن حرمتا من منافذهما التجاريه مع مصـــر . ولنفس الأسبـــاب ، على ما يعتقد ، أقامت غزة وعسقلان تحالفا ضم فلسطين والأردن ولكن الأشوريين سحقوه عام ٧٣٤ .كما تدخلوا من جديد عام ٧٣٢ متخذين من استمرار المواجهة بين يهوذا وإسرائيل، حليفة دمشق ، ذريعة لهذا التدخل فضم تيجلات بيلاصر الثالث دمشق ، وغزا اسرئيل واجتاح أراضيها وخضع له هوشع الذى اعتلى عرش السامرة قبل وقت قصير. ولكن خضوعه كان ظاهريا فقط فقد أجرى اتصالات مع "سو ـ ملك مصـر " (الملوك الثانى : ١٧ : ٤) . وذهب المتخصصون مذهبين فى تفسير هذه الجملة القصيرة . فرأى البعض أن النص العبرى قد وقع فى خطأ وصححوا كلمة "سو" إلى سايس . ويفترض هذا التفسير أن المقصود هو أن "هوشع" قد استنجد بـ " تف نخت " ملك سايس التى أطلق عليها مصرعلى سبيل المجاز المرسل . ويمكن ترتيب أهم الأحداث على النحو التالى : وقعت ثورة هوشع ضد آشور فى تاريخ تقريبى يدور حول ٧٢٧ / ٧٢٦ بالنظر إلى أن ملك آشور قد أسره بعد تسع سنوات من حكمه واستولى على السامرة بعد حصار دام ثلاث سنوات . وقد وقع " هوشع " فــى الأسـر فى تــاريخ أقصاه عــام ٧٢٤ ، وتـم الاستيلاء علـى السامرة فــى العام ٧٢٢/ ٧٢١ . وفى هذا التاريخ كان شالمناصر الخامس ملكا على آشور بعد أن خلف أباه عام ٧٢٦ . وإذا صح الترتيب الزمنــى لهذه التواريخ واتفقت فيما بينها ، فـمن المستبعد أن يــكون " تف نخت " هو الفرعون الذى استنجد به " هوشع " ، ولا يوجد ما يؤهله ليمثل مصر فى أى اتصالات مع بلاط إسرائيل .حيث أن تانيس هى المحاور التقليدى الذى يتردد اسمه فى سائر أسفار العهد القديم ، كما أن موقعها الجغرافى سهل عليها الاتصال بسوريا وفلسطين . ومن ناحية أخرى يعتمد هذا التفسير على تصويب غير ضرورى لكلمة "سو" التى يمكن ترجمـــتها بكل بساطة كاختـــصار لإســــم "أوسركون " (Kitchen : 1986 , 551) .

وجاء الاستيلاء على السامرة ليحقق انقلابا فى ترتيب تحالفات الأردن . وفى السنوات التاليه وثق المصريون روابطهم مع " البلستى" بعد أن كان هؤلاء أعداء الأمس. اذ كانوا على ما يبدو هم أفضل من يتصدى للتهديد الآشورى الذى أخذ يقترب أكثر

فأكثر من مصر . كانت آشور من ناحيتها غارقة فى الاضطرابات الداخلية . فقد اطاح أحد ابناء فرع آخر داخل العائلة المالكة بشالمناصر الخامس واختار لقب "سرجون" ويعنى " الملك الشرعى" . واضطر سرجون الثانى إلى التصدى لتحالف آخر جمع عند حدوده الجنوبية بين عيلام وبابل، وهما عدوان دام عداؤهما ثلاثة آلاف سنة من الكراهية المتبادلة التى كادت تتحول إلى صفة وراثية ثابتة ، ونجحا معا فى زعزعة النير الآشورى عام ٧٢٠ . ومن المؤكد أن هذه السنة كانت سيئة الطالع على "سرجون" الثانى : ففى هذه السنة حرض ملك حماة سكان دمشق على التمرد ، وثار " حنونا " ملك غزة بمساعدة فرقة عسكرية مصرية بقيادة الضابط " رايا " ، ولكن الآشوريين ظلوا سادة الموقف فضموا حماة إلى امبراطوريتهم بصفة نهائية واجتاحوا غزة ورفح وسُلخ " حنونا " حيا .

وتدخلت " آشور " فى الأردن من جديد عام ٧١٦، واستطاعت الوصول إلى العريش فى هذه المرة بحيث لم يعد يفصلها عن حدود مصر الشرقية سوى " سيللا " . واختار أوسركون الرابع أن ينهج نهجا دبلوماسياً فقدم إلى سرجون الثانى هدية "اثنا عشر جوادا من خيرة جياد مصر التى لا يوجد مثيل لها فى أرجاء البلاد " .

وكان عام ٧١٦ أيضا عاما انتقالياً فى سياسة مصر الخارجية . فقد تـوفى"پى (عنخ) ى " فى هذه السنة بعد حكم مديد دام احدى وثلاثين سنة ، ودفن فى "نپاتا" وبصحبته جوادان من جياد مصر المطهمة التى طالما جذبت انتباه " سرجون " الثانى. واعتلى أخوه "شباكا " عرش البلاد وقرر أن يباشر شخصيا شئون الحكم فى وادى النيل ، فوصل الى منف عام ٧١٥ أى فى السنة الثانية من حكمه ، وقام بترميم مقبرة العجل "أبيس" ، وأنهى حكم " باك إن رنف " وأمن سيطرته على الواحات والصحراء الغربية ، وربما أقام حاكماً أثيوبياً فى سايس وفرض هيمنته الكاملة على شئون الشمال . ووصلتنا شهادة مباشرة عن هذه الأوضاع من خلال رواية جديدة حول الشئون الأردنية . واستولى " إمعنى" على السلطة فى مدينة أشدود الفلسطينية الواقعة شمالى عسقلان وثار على أشور. فأرسل "سرجون " الثانى قواته لاستعادة المدينة . ونجح "إمعنى" فى الهروب ولجأ عند حلفائه المصريين ، أو هكذا كان يتصورهم على الأقل . وتروى المصادر الأشورية أن "فرعون مصر التى أصبحت تابعة لكوش " - قد سلم المتمرد " مكبّلا فى السلاسل والأصفاد والأربطة الحديدية " . ومن المؤكد أن الفرعون المقصود هو شباكا الذى كان يسعى إلى تجنب المجازفة بالدخول فى مواجهة مع " سرجون " الثانى .

وإن ظل غير راضٍ عن سقوط آخر مدينة تشكل حاجزا بينهما . بـل وربـمـا تـوصـل شباكا إلـى إبـرام اتـفاق دبلوماسـى مـع " آشـنور" . ولربـمـا عـقـد معـهـا مـعاهـدة (Kitchen : 1986, 380) .

وسار " شباكا " على هدى الخط السياسى الذى استهله " پى (عنخ) ى " الساعى إلى العودة إلى القيم التقليدية . فلم يقف عند حد إختيار " نفر كارع " لقباً له عند التتويج ، بل أخذ بالفعل ينهـل بصدق مـن مصادر لاهـوت الدولـة القديمة . فإلى عهده يرجع " تدوين " المسرحية " المنفية " أو " وثيقة لاهوت منف ". وهـى نسخة نقشت علـى الحجر نقلا عـن بـردية " قرضتها الديدان " سبق أن اشرنا اليها . وهذا النص مع غيره من النصوص التى رأت النور خلال العصر الإثيوبى وعثر عليها فى معابد جبل البركل ومدينة كوة هو نموذج حى لعمق الفكر الذى تناوله بالبحث المثقفون الذين عاشوا فى خدمة هؤلاء الملوك ، فلم يترددوا فى العودة إلى عصر أوناس سعيا وراء موضوعات زخرفية ينقشونها على سطوح جدران معابدهم على أمل الوصول إلى أسس حقيقية لسلطة النظام الذى ساندوه وآزروه . وهنا أيضا نجد أن عمائر الخلود هى التى ظلت تحتفظ بآثار هذه السياسة. وقد عبر "شباكا" عن اهتمام نشط بالآلهة فى أتريب ومنف وأبيدوس ودندرة وإسنا وإدفو ، وكانت طيبة بالطبع فى قلب اهتمامه ، فشيد المنشآت على ضفتى النهر وهو ما لم يعهده الناس منذ زمن بعيد ، وأجرى التوسعات فى معبد الأسرة الثامنة عشرة فى مدينة هابو ، بينما شيـدت أخته عابدة الإله "امنارديس " الأولى هيكلاً ومقبـرة فـى حرم المعبد .وكان له نشاط واسع فى الأقصر وفى الكرنك على وجه التحديد، حيث أقام مايعرف اصطلاحا" بكنز شباكا " الواقع بين الـ " آخ مينو " والسور الشمالى لحرم الـ " إيپت سوت " (شكل ١٤٢) . ووسع مدخل معبد پتاح جنوبى سوره . وباشر أعماله ايضا على مقربة من المكان الذى أقيم فيه فيما بعد مبنى " طهرقا " عند البحيرة وفى حرم معبد مونتو. ولم يكتف العاهل الأثيوبى بنشاطه الإنشائى فى طيبة بل رد الإعتبار إلى منصب كبير كهنة " آمون " بعد أن طواه النسيان وعين ابنه " حور إم أخت " فى هذا المنصب الذى احتفظ بالسلطة الروحية فقط ، فى حين احتفظت عابدة الإلهة بالسلطة الدنيوية .

تـوفى " شباكا " عـام ٧٠٢ بعد أن حكم البلاد خمس عشرة سنة . ودفن مثل أخيه فى " الكرو " ومعه جياده أيضا . وهكذا انتقلت السلطة ثانية إلى ابنى " پى

التواريخ	مصر	يهوذا	اسرائيل	فينيقيا	سوريا	آشـــور
٧١٦ - ٧١٤	پى (عنخ) ى	يوتام	منحيم		رازين	تيجلات فيلاصر الثالث
		آخاز	فقح			
			هوشع	.	سقوط	
	تف نخت		احتلال		دمشق	شالمناصر الخامس
	بكوريس	حزقيا	السامرة		(٧٣٢)	سرجون الثانى
٧١٦ - ٦٩٠	شباكا		(٧٢٢)	لوللى		سنجاريب
٦٩٠ - ٦٦٤	شبتاكا					
٦٦٤ - ٦٥٦	طهرقا	منسّى				
				عبدى ملكوتى		
						اسرحدون
	نكاو الأول					اشوربانيبال
	پسمتك الأول					
	تانوت آمون					
		آمون				
	نكاو الثانى	يوشيا				آشور اتبليلانى
				معركة قرقميش (٦٠٥)		شين شوم ليشير
٦١٠ - ٥٩٥		يهو أخاز				نبوخذ نصر الثانى
	پسمتك الثانى	يهو ياقيم				
		يهو ياكين				
				سقوط صدر		
٥٩٥ - ٥٨٩		صدقيا				
٥٨٩ - ٥٧٠	إپريس(واح إب رع)	سقوط				
	أحمس الثانى					
٥٧٠ - ٥٢٦		اورشليم				افيل ماردوك
	پسمتك الثالث					نرى جليصر
٥٢٦ - ٥٢٥		(٥٨٧)				نبو نيدوس
						سقوط بابل ٥٣٩

شكل (١٦١) - جدول مختصر لأهم القوى فى الشرق الأدنى

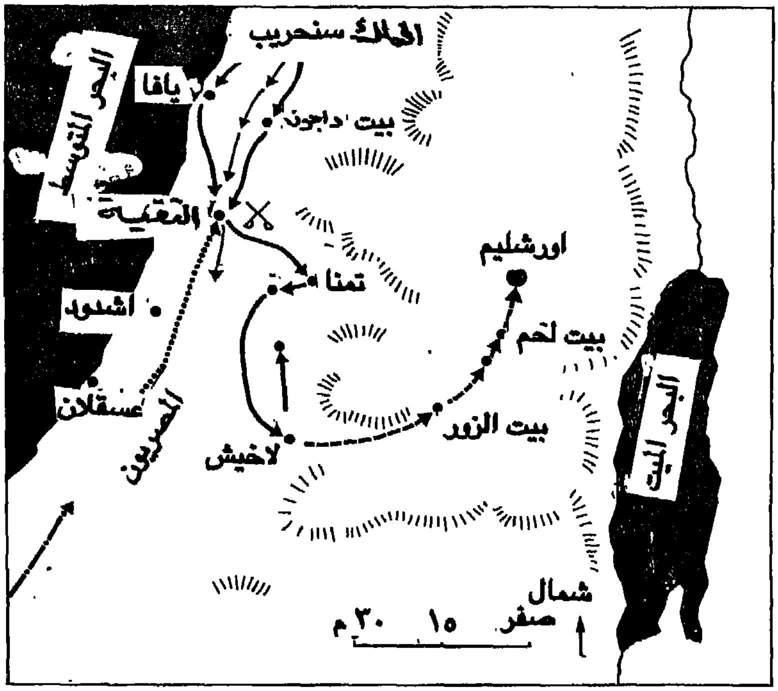
من الغزو الأثيوبى إلى نهاية العصر الصاوى

بابل	ميديا	فارس	عيلام	اورارتو	فيرجيا
نبو ناصر			حمباش تهرة	شاردوور الثاني	
نبو موكن زيرى			حمباش نيكاش الأول		ميداس
	ديوس			روشا الأول	
ماردوك بالبدين الثاني				ارجشتي	
			شوترك نهرنته الثاني		
آشور نادينشوم			حالوتش ا نشوشيناك		
			حمبان نيميما		
			حمبان حلتاش الأول		جيجس
	فراورتس	تپس	اورتاكى	روشا الثاني	
شماش شوموكين			تامپت حمبان انشوشيناك		
	سيكاساريس		تاماريتو الأول		
			حمباش حلتاش الثالث		أرديس
		قورش الأول		شادورالثالث	
			سقوط سوسة		
نابو پولاصر					ساديات
					اليات
					كريسوس
	استياج				

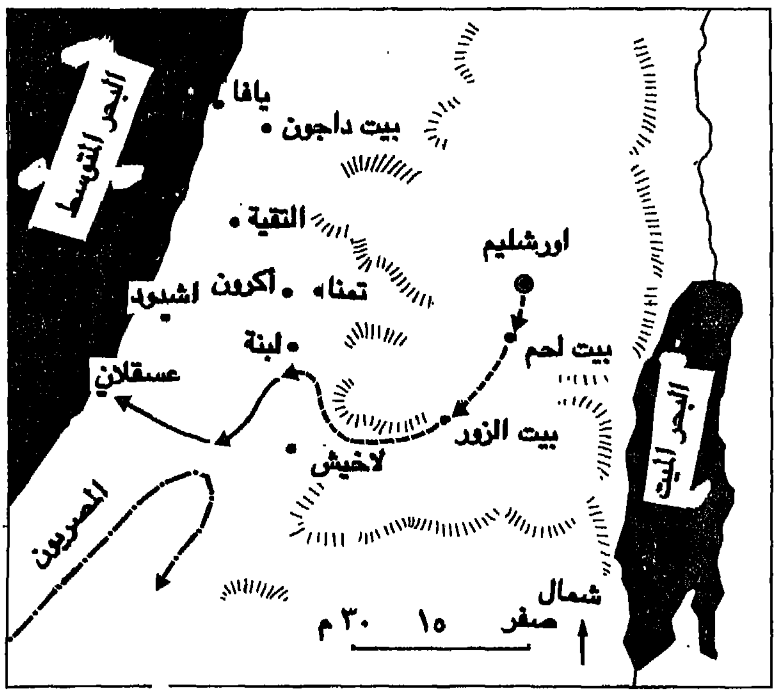
(عنخ)ى " : "شبتاكا" ثم طهرقا من بعـــده . فجلس " چدكاورع - شبتاكا " أولا علـــى الـــعرش بعد أن شـــارك شباكا الحكـــم مدة سنـــتين علـــى مايظن (Kitchen: 1986, 554 - 557) فيصبح مجموع مدة حكمه اثنتى عشرة سنة. وواصل الأعمال التى بدأها عمه فى منف والأقصر والكرنك حيث شيد هيكلا ، يوجد حاليا فى برلين كان مقاما إلى الجنوب الشرقى من البحيرة المقدسة . كما أدخل بعض التوسعات على هيكل " أوزيريس " " حقاچت " بصحبة زوجته عابدة الإله " امنارديس" الأولى . وفى عهده على ما يعتقد تبنت امنارديس الأولى ابنتهما " شپن أوپت " الثانية فى أعقاب وفاة " شپن أوپت " الأولى .

أما البرنامج السياسى الذى تبناه شبتاكا من خلال مجموعة ألقابه فيختلف عن برنامج عمه . فقد عاد إلى موضوعات الرعامسة الكبرى ، باسمه " النبتى " " ذو السلطة العظيمة فى انحاء البلاد " واسمه الحورس الذهبى : " ذو الساعد القوى عندما يضرب الأقواس التسعة " . إن العودة إلى قيم الإمبراطورية فى عصر الرعامسة هوأمر غريب فى حد ذاته . وربما كان تفسيره الوحيد هو التصميم على تأكيد السلطة الملكية فى داخل البلاد وفى خارجها على حد سواء. فقد تطورت الأوضاع فى سايس . إذتوفى"أميرس" الحاكم الذى عينه الأثيوبيون حوالى ٦٩٥ وخلفه "ستفناتيس" المعروف باسم " تف نخت "، من ٦٩٥الى ٦٨٨. وقد حافظ على التقليد الذى وضعه " باك إن رنف " فاتحا الطريق أمام الأسرة الصاوية القادمة .

واختار شبتاكا خطا متشدداً فى سياسته الخارجية واتخذ مواقف أكثر عدوانية من مواقف أسلافه . فالتنازلات التى قدمها " شباكا " إلى " سرجون " الثانى ، إلى جانب ما ساد من أوضاع داخل فلسطين أفقدتها القدرة على التمرد ، وانشغال ملك " آشور" فى المعارك التى خاضها فى وسط زاجروس ضد اورارتو - كل ذلك ترك لمصر فسحة من الوقت دامت خمس عشرة سنة لتسترد فيها أنفاسها . وفى عام ٧٠٤ جلس " سنحريب" علـى عرش آشـور خلفـا " لسرجون " الثانـى ، واغتنم ملوك فينقيا وفلسطين الفرصة لإعلان تمردهم . كانت صيدا بقيادة " لوللى " وعسقلان بقيادة صدقيا ومملكة يهوذا تحت حكم حزقيا ، واستجاب " شبتاكا " لطلب المساعدة الذى تقدم بـه حزقيـا . فأرسل حملة عسكريـة بقيـادة أخيـه " طهرقـا " ، بينمـا كان " سنحريب " يزحف على عسقلان بعد أن طرد لوللى من صيدا .



١ - انتصار القوات الأشورية في موقعة التقية والزحف على أورشليم .



٢ - الهجوم المضاد وانسحاب المصريين .

شكل (١٦٢) - تحركات قوات سنحريب عام ٧٠١ ق.م

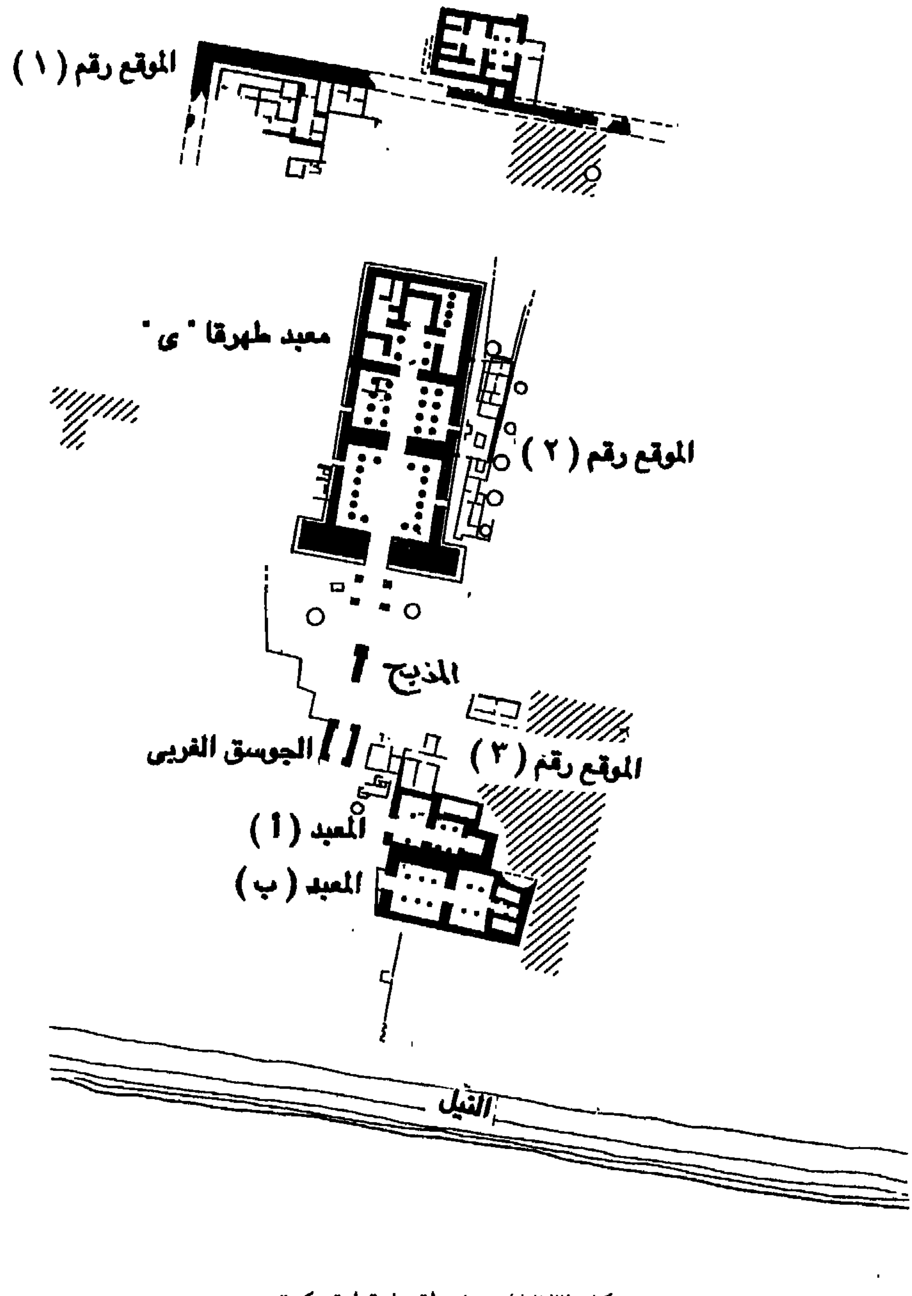
(نقلاً عن Kitchen:1986,384)

وسقطت عسقلان وأُرسل صدقيا أسيرا إلى آشور . وتقابل الحلفاء مع القوات الآشورية شمالى أشدود عند بلدة " التقيه" حيث هزموا ، فتحرك سنحريب صوب لاخش وأرسل القسم الأكبر من قواته لضرب الحصار حول أورشليم . فاستسلم حزقيا حفاظا على المدينة . أما الصورة التى يقدمها "سنحريب" عن مصر فى الخطاب الذى وجهه إلى حزقيا طالبا استسلامه فهى حقاً بعيدة كل البعد عن لغة الإطراء والمديح ، ولكنها تعطينا على الأرجح فكرة واقعية عن قوة الحليف المصرى . يقول سنحريب :

" ما الاتكال الذى اتكّلت . قلت إنما كلام الشفتين مشورة وبأس الحرب . والآن على من اتكلت حتى عصيت على . فالآن هو ذا قد اتكلت على عكاز هذه القصبة المرضوضة ، على مصر التى إذا توكأ أحد عليها دخلت فى كفه وثقبتها . هكذا هو فرعون ملك مصر لجميع المتكلين عليه "(الملوك الثانى: الإصحاح ١٨ الآيات ١٩-٢١).

وخلال هذه العمليات تحركت " القصبة المرضوضة " فى اتجاه لاخش . فزحف الأشوريون على الفرق المصرية ، ففضل "طهرقا " الانسحاب إلى مصر وانسحب "سنحريب" بدوره دون أن يتمكن من الوصول إلى مصر ، وعاد أدراجه إلى بابل ليواجه مابها من مشاكل . وفى السنوات الأخيرة من حكمه انصب شغله الشاغل على المشكلة العيلاميه مع تراجع المشكلة السورية الفلسطينية . واستشاط غضباً من الثورة المشتركة التى دبرتها عيلام ومملكة بابل عام ٦٨٩ق .م فأغرق مدينة بابل فى مياه الفرات انتقاما منها . وقرر أن يتجه باهتمامه إلى البحر المتوسط من جديد ولكنه اغتيل فى نينوى عام ٦٨١. وانتزع "اسرحدون" السلطة من اخوته وقبل أن يعيد تشييد مدينة بابل . ولم تسأنف العمليات الحربية بين الأشوريين والمصريين إلا عام ٦٧٧-٦٧٦.

كان " طهرقا " قد تولى العرش فى أعقاب وفاة "شبتاكا " عام ٦٩٠. وخلافا لما كان عليه سلفه لم يشارك هو فى الحكم قبل وفاته . ودام حكمه ستا وعشرين سنة بلغت مصر خلالها أزهى ماعرفته من ازدهار طوال العصر الإثيوبى . واحتفظت الحوليات التى دونت فى عصره بأخبار فيضان النيل الذى حدث فى العام السادس من حكمه ، وبلغ ارتفاعه مستوى خطيرا كاد ينقلب إلى كارثة لولا العناية الإلهية التى حولت الفيضان لفائدة العباد . واحتفالا بهذه المناسبة نصب المدونات المتماثلة فى قفط والمطاعنه وتانيس ومعبد كوة فى النوبة .



شكل (١٦٣) - خريطة عامة لموقع كوة
(نقلاً عن Macadam : 1949 Pl I)

" أيا آمون ياأبى ، يارب عرشَى القطرين . لقد أنعمت على بأربع معجزات فى غضون سنة واحدة . وهو العام السادس من تتويجى ملكا (.....) عندما فاض النيل ليبلغ مستوى يمكن أن يسبب انجراف المواشى وإغراق سائر البلاد (.....) ولكن ظلت المناطق الريفيه جميلة على امتداد البصر . ولم يسمح لرياح الجنوب بأن تقضى عليها . وماتت القوارض والزواحف وطردت أسراب الجراد . وهكذا استطعت أن احصد حصادا وفـــيرا بكمـــيات لا تقـــدر من أجـــل بيت الغـــلال المـــزدوج "

(Yoyotte & Leclant: BIFAO 51,1952,22-23)

وفى نفس العام نفذ بعض الأعمال فى معبد كـــوة وهو معـــبد نوبى آخر أسسه " أمنحوتب " الثالث فى الأسرة الثامنة عشرة قبالة " دنقلة " فى قلب بلاد كرما. وأهمل الموقع اعتبارا من حكم " رمسيس " السابع ولكن عاد إليه " شباكا " و" شبتاكا". ثم بلغ أوج ازدهاره فى عهد " طهرقا " الذى انتهز هذه الفرصة على مايبدو لتنفيذ عملية نقل مقنعة للمعارضين الشماليين الذين أضحوا أكثر حدة منذ أن خلف "نى كاوبا " (نخبسوس) سلفه " تف نخت " الثانى فى سايس . وبالفعل فقد نقل حرفيين من منف إلى معبد " آمون چم أتون " بعد ترميمه لإعادة تسجيل النقوش المأخوذة عن كبرى المعابد الجنائزية فى الدولة القديمة وعلى رأسها معابد "ساحورع " و" نى أوسررع " و" پيپى " الثانى سعيا وراء كل ماهو قديم ، وهى النزعة التى سادت هذا العصر كما أوضحنا من قبل .

وأقام فى نفس الموقع لوحا مؤرخا بالعام السادس أيضا تخليدا لذكرى إعادة بناء معبد كوة ثانى أكبر معابد ملوك نپاتا الذين اعتبروه من المواقع الأساسية لتثبيت سلطانهم . وأقام "طهرقا" العمائر فوق أرض معظم المواقع النوبية ، فشيد فى البدء معبداً جديداً (B 300) فى نپاتا ، وأضاف توسعات فى معبد " آمون رع " (B 500) . وفى " صنم أبو دوم " ، قرب نپاتا ، أقام معبداً يشبه فى تخطيطه معبد كوة . وله منشآت فى مروى وسمنة وقصر ابريم وبوهن .... بل وله نشاط إنشائى فى طيبة . فقد انجز بعض الأعمال فى مدينة هابو وفى الكرنك ، فى المقام الأول ، حيث أعاد بناء العديد من المنشآت . وقد أشرنا من قبل إلى بناء البحيرة المقدسة والمقصورة التى شيدها فى الفناء الأول . واستكمل الشكل الخارجى لمداخل المعبد فشيد صفوفا من الأساطين شبيهة لتلك التى أقامها فى الفناء الأول وذلك أمام بوابة " مونتو " شمالا والبوابة الشرقيـة

وبوابة معبد " خنسو " . كما خصص بالاشتراك مع "شپن أوپت" الثانية هيكلا "لأوزيريس " .... وأشرف على هذه الأعمال ابنه الأمير " مونتوإمحات " ،"أمير المدينة" وكاهن " آمون " الرابع وكان شخصية جذابة ذات تأثير ساحر ، وقد عينه طهرقا هو وإخوته فى أهم المناصب الكهنوتية . فاقتسموا كافة السلطات فى منطقة طيبة مع الأشراف المحليين الذين استمالهم الإثيوبيون وتصالحوا معهم .

وجاءت أحداث فلسطين لتطرح كافة المشاكل من جديد على بساط البحث . فقد ثارت صيدا على الآشوريين . وتدخل " أسرحدون" عام ٦٧٧/٦٧٦ واعتقل " عبدى ملكوتى " ملك صيدا وسبى السكان إلى " آشور " وحول المملكة الى مقاطعة آشورية وانشأ لها عاصمة جديدة أطلق عليها اسم " كاعرا أسرحدون " . واضطر ملك آشور إلى البقاء جنوب جبل طوروس فى الفترة من ٦٧٦ إلى ٦٧٤ ، لمواجهة غزوات "الإسكيتيين" و"الكيماريين " ، وأتخذ جانب الحذر من الميديين ، ومن جيرانه الجنوبيين الذين حاولوا إزاحة النير الآشورى . وبعد أن توصل إلى توازن نسبى على جميع هذه الجبهات استطاع أن يتفرغ لمصر من جديد ، اذ كان يدرك أنها المحرض على المواقف العدائية التى تتبناها الموانئ الواقعة على الساحل بعد أن حرمتها السلطات الآشورية من منافذ التجارة مع مصر . وقام بمحاولة هجوم أولى على وادى العريش عام ٦٧٧ ليضمن حياد القبائل العربية المنتشرة عند البحر الميت . ووقعت المجابهة حوالى عام ٦٧٤ الموافق العام السابع عشر من حكم " طهرقا " ، عندما زحف ملك آشور على عسقلان الثائرة ولكن الآشوريين اضطروا إلى التقهقر أمام ضغط المصريين . وقبل أن تمر ثلاث سنوات ، وفى عام ٦٧١ بالتحديد ، اشتبك الطرفان من جديد ودارت الدائرة لصالح "اسرحدون " هذه المرة الذى هزم " طهرقا " واستولى على منف وأسر ولى العهد والعديد من افراد البيت المالك :

" ضربت الحصار حول مدينة "ممبى" المقر الملكى . واستوليت عليها قبل مرور نصف يوم بواسطة الأنفاق الأرضية والثغرات التى فتحت فى أسوار المدينة وسلالم الاقتحام . ونقلت المغانم إلى آشور ، ومن بينها الملكة وحريم القصر و"أورشا ناحورو" الوريث الرسمى وأبناؤه الآخرون وممتلكاته والعديد من جياده ودواب الحمل والماشية والقطعان . وأبعدت جميع الكوشيين إلى خارج البلاد ولم أبق على واحد منهم ليقدم لى فروض الطاعة والولاء . وحل محلهم فى ربوع مصر ملوك وحكام وضباط ومراقبو موانىء وموظفون وإداريون جدد. .. (ANET,293)"

وانسحب طهرقا إلى الجنوب الذى ظل مسيطرا عليه على مايبدو ، بينما قدم الآشوريون كل تعضيد لمنافسيه الشماليين وعلى رأسهم " الصاويون " من أهل مدينة "سايس" . وبعد رحيل الغزاة بدأ الإثيوبيون يثيرون القلاقل فى الشمال مما اضطر أسحردون إلى التدخل ثانية عام ٦٦٩ . ولكنه توفى وهو فى طريقه إلى مصر . وخلفه على عرش مملكة " نينوى " ابنه " آشور بانيبال " ، ومعنى اسمه " الإله آشور خلق الإبن " ، وعلى عرش مملكة بابل ابنه الثانى " شمش شوم أوكين" ومعنى اسمه " الإله شمس أقام سلاله شرعية " . ورغم التفاهم القائم بين المملكتين لم يقرر " آشور بانيببال " الزحف شخصياً على مصر فى ذلك الوقت على الأقل لاستكمال مابدأه أبوه بل فضل البقاء فى عاصمته وأرسل حملة عسكرية هزمت " طهرقا " عند منف وفر الفرعون إلى طيبة . واستقر رأى " اشور بانيبال " على ضرورة مطاردته ، فعزز قواته بفرق عسكرية من فينقيا وقبرص وسوريا بالإضافة إلى الوحدات التى ارسلتها ممالك الدلتا التى قررت أن تتعاون معه ضد الملك الكوشى. وتوغل الآشوريون فى أقاصى صعيد مصر دون أن ينجحوا فى إلقاء القبض على طهرقا الذى فر هاربا إلى مملكته القصية فى نپاتا . وسيطروا على الوجه القبلى ، ودان لهم الموظفون الإثيوبيون بالولاء من أمثال " مونتو امحات " . وامتد سلطانهم إلى أسوان على الأرجح .

واستحال على " الآشوريين " الإقامة فى بلد لايستطيعون إدارته إدارة مباشرة بل يضطرون إلى الاعتماد على تعاون عملائهم من أبناء الوطن المحتل . فما إن عادوا أدراجهم إلى بلادهم حتى غير ملوك الشمال من موقفهم وبدأوا يفاوضون طهرقا. وجاء رد فعل " آشوربانيبال " حاسماً وفورياً ، فاعتقل وأعدم زعماء سايس ومنديس وپلوزيوم ، وسبى البعض الآخر إلى نينوى حيث كان ينتظرهم نفس المصير . ولم يُبْقِ إلا على حياة واحد منهم وهو " نكاو " الأول ملك سايس الذى خلف " نكاو با " عام ٦٧٢ ، فثبته فى مملكته ، وأقام على رأس مملكة أتريب القديمة ابنه " پسمتك " – الذى سيعرف فيما بعد بإسم " پسمتك " الأول . وهكذا استولى الصاويون على الحكم بمساندة الغزاة المحتلين وبرضاهم .

نصل الآن إلى عام ٦٦٥ . وفى العام التالى توفى " طهرقا " فى نپاتا بعد أن أشرك معه فى الحكم خلال السنة الأخيرة ابن عمه " تانوت آمون " الذى قرر أن يسترد مصر بعد أن ثبت شرعيته على عرش نپاتا . وسرد وقائع إعادة فتح مصر على لوح أقامه

فى معبد جبل البركل على غرار مافعله فى الماضى جده " پى (عنخ) ى " الذى اعتبره نموذجاً يُحتذى به . ويكرر هذا النص رواية الحلم التنبُؤى التقليدية التى أشرنا إليها من قبل عند الحديث عن تحوتمس الرابع :

" وفى عام تتويج جلالته رأى فى المنام أثناء الليل حيتين ، واحدة عن يمينه والأخرى عن يساره . فاستيقظ جلالته وبحث عنهما دون جدوى . وتساءل جلالته : ماذا حدث؟ فقدم له البعض هذا التفسير: إن جنوب البلاد فى قبضتك ، ويبقى أن تفتح شمالها إنهما السيدتان اللتان ظهرتا فوق رأسك لتمنحاك البلاد دون منازع ." (Stèle du Songe, 3 - 6).

تحقق الحلم . وتوج " تانت آمون " فى نپاتا باعتراف أمون وموافقته . وشن حملة هى صورة من حملة " پى (عنخ) ى " : فهبط إلى إلفنيتن وقدم القرابين للإله خنوم . ثم اتجه إلى طيبة فقدم القرابين " لآمون – رع " . وسار فى النهر حتى وصل منف فاستولى عليها عنوةً وسحق " متمردى " الشمال ، وأقام الشعائر للآلهة " پتاح " و"پتاح سوكر " و " سخمت " . واحتفى بهذا النصر فى نپاتا ، فأدخل مجموعة من أعمال التجميل على معبد جبل البركل.وقدم له الهبات (Stèle du Songe, 18 - 24). ولم يواصل " هبوطه لشن حملته ضد زعماء الشمال " إلا فى وقت لاحق . وحققت حملته نجاحاً فوق نجاح بالنظر إلى مقتل " نكاو " الأول أثناء المعارك . وتوافد زعماء الدلتا يعلنون استسلامهم وأنابوا عنهم " باخرورى " أمير " پى سوپد " (صفط الحنة) لتقديم فروض الولاء والطاعة :

" نهض قائد مسكن سوپد الأمير" باخرورى "قائلاً : يمكن أن تقتل من تريد . وتبقى على حياة من تريد دون أن يشكك أحد فى عدالتك ! عندئذ رد الجميع فى صوت واحد : امنحنا الحياة ياسيد الحياة ، فلا حياة بدونك . سنخضع لك صاغرين وكما قررته منذ اليوم الأول ، يوم توجت ملكاً . " (Stèle du Songe 36 - 38) .

وكان نصر " تانت آمون " قصير الأجل . فمرة أخرى ، أرسل " آشور بانيبال " جيوشه إلى مصر عام ٦٦٤/ ٦٦٣ وأعاد الاستيلاء على منف . وأضطر " تانت آمون " فى وجه مطاردة الآشوريين وملاحقتهم له إلى الانسحاب إلى طيبة ثم إلى نپاتا بعد أن اجتاح الآشوريون عاصمة " آمون " . عندئذ حدث مايفوق كل تصور ومابدا مستحيلاً بعد انقضاء أكثر من خمسة عشر قرناً دون هجمات أجنبية على المدينة : سلب الغزاه طيبة

ونهبوها وأشعلوا النار فيها وعاثوا فيها فساداً ، وسطوا على الكنوز التى تراكمت فى المعابد على امتداد قرون طويلة بدافع من الورع والتقوى . وجاء سلب ونهب طيبة ليضع حداً للسيطرة الإثيوبية التى أضحت سيطرة نظرية فحسب . فمنذ الغزوة الآشورية السابقة كان من الواضح أن " مونتو إمحات " و " شپن أوپت " يحكمان منطقة طيبة لحسابهما الخاص . وأن شعورهما بالتضامن مع نپاتا كان ضعيفاً للغاية . كما كان نهب طيبة وسلبها نذيراً بانتهاء عالم بأسره ، فقد انهارت أسطورة حرمة معابد فرعون تحت ضربات معاول " عالم شرقى " همجى شرع يبث الرعب والخوف فى قلوب سائر الشعوب الساكنة فى المنطقة الممتدة من آسيا الصغرى حتى ضفاف نهر النيل .

وبقى الموقف دون حسم منذ سلب طيبه ونهبها وحتى نهاية حكم " تانت آمون " ، أى من عام ٦٦٤وحتى عام ٦٥٦ ، وظل انعكاساً للفوضى السياسية ، والتى كانت مختفية وراء السلطة الإثيوبية الوهمية التى تمحورت فى واقع أمرها حول مراكز ثلاثة فى نپاتا وطيبة ومنف . وانسحب " تانت آمون " إلى نپاتا حيث لايتحدى أحد سلطاته . ولم يتجاسر الآشوريون على المخاطرة بالتقدم إلى الجنوب من أسوان فى مناطق يجهلونها أكثر مما يجهلون أرض مصر بلغتها وتقاليدها الغريبة عليهم . ولم يخلف " تانت آمون " أثراً يذكر فى النوبة ، ولكن ظلت تواريخ الوثائق الرسمية ووثائق الأفراد تؤرخ بسنوات حكمه. وبقيت السلطة فى طيبة ذاتها بين يدى " مونتو إمحات " الذى بسط سلطانه حتى أسوان جنوباً وهرموبوليس شمالاً التي حكمها شخص يدعى " نمرود " وهو من أحفاد " نمرود " الذى كان قد ثبته " بى (عنخ) ى " فى سلطانه . وعلى كل حال فقد استعاد الآشوريون التقسيمات السياسية السابقة على الغزو الإثيوبى واكتفوا أحياناً بتغيير الحكومات القائمة ، وهو مافعلوه فى هيراكليوبوليس حيث تعترف المصادر الآشورية بوجود ملك آخر خلاف " بادى إيزيس " وهو من أحفاد " پف تاو عاوى باستت " الشرعيين .

وتصدرت سايس ممالك الدلتا ، وكانت تشمل الأملاك التى ضمتها المملكة فى عهد " تف نخت " وأضيفت إليها مملكة أتريب التى أسندها آشوربانيبال إلى من سيدعى فيما بعد " پسمتك " الأول فى أعقاب الثورة التى أندلعت فى عام ٦٦٦ - ٦٦٥ . وظلت دوائر الاستيطان الليبية القديمة فى أيدى أحفاد أعداء " پى (عنخ) ى " القدامى من "سبنيتوس " إلى " پى سوپد " . واستمرت مملكة تانيس فى الوجود تحت زعامة " پدى باست " الثانى الذى صار فيما بعد شخصية أسطورية ، والذى كان على الأرجح من بين

الملوك الذين أعدمهم " آشوريا نيبال " ، وأصبح فى العصر اليونانى الرومانى بطل مجموعة ملحمية تضم " قصائد پدى باست الملحمية " - وقد وصل منها العديد من البرديات الديموطيقية . وتضم هذه المجموعة خليطاً غريباً لعدد من الفنون الأدبية .ينتظم حول موضوع شبيه بالإلياذة - موضوع خوض المعارك من أجل استرجاع رفات البطل ، او استعراض بعض الأحداث التاريخية من عصر الفوضى الليبية والاحتلال الفارسى . ونستشف منها بوضوح تام شخصية كل من لعب دوراً فى الأحداث وأضفى عليها طابعها الأسطورى ، ويمتزج كل ذلك بالموضوعات التقليدية المنقولة عن القصة الإغريقية .

ويظهر " إيناروس " فى بداية المجموعة الملحمية . إنه البطل الأسطورى للمقاومة ضد سيطرة " أرتاكسركسس " الأول . وقد استطاع أن يقتل " الستراپا " - حاكم الإقليم - " أخايمينس " قبل إعدامه عام ٤٥٤ ق . م . وتصوره القصة الأولى وهو يخوض المعارك ضد طائر العنقاء الخرافى القادم من البحر الأحمر . وتسرد القصة الثانية صراعه ضد ابن " پدى باست " وكبير كهنة آمون لامتلاك حق الاستفادة من أملاك آمون .

أما القصة الثالثة فهى أقربها جميعاً إلى الصراعات السياسية فى أواخر العصر الإثيوبى . يموت " إيناروس " . أما إبنه " بيمو " الذى هو من هليوپوليس فيتصدى لخصم من مدينة منديس للاستحواذ على درع والده . وتقع هذه المعركة فى ظل حكم " پدى باست " وتصور كبار شخصيات هذا العصر من أمثال " باخرورى " من " پى - سوپد". وتنتهى هذه المجموعة بقصص أخرى أشهرها القصة التى تروى الصراع الذى خاضه " پادى خنسو " أحد أبناء " إيناروس " ضد ملكة أهل الأمازون فى آشور والذى انتهى إلى عقد تحالف بينهما للاستيلاء على بلاد الهند قبل أن يعود إلى مصر ....

پسمتك الأول و " تجديد الولادة " فى العصر الصاوى

عند وفاة " نكاو " الأول اعترف الآشوريون بـ " پسمتك " الأول ، بصفته الملك الوحيد المتربع على عرش مصر وعهدوا إليه بادارة البلاد شريطة أن يحول دون حدوث أى ثورة داخلية . ولم تكن مهمته سهلة يسيرة . فقد استطاع أن يسيطر على غرب الدلتا بأكمله وعلى مملكتى أتريب وهليوبوليس . إلا أن دائرتين فقط من دوائر زعامات الـ " ما" القديمة الواقعة فى شرق الدلتا اعترفتا بحكمه الذى تحددت بدايته بعام ٦٦٤ . وهاتان الدائرتان هما " سبنيتوس " و " بوزيريس " ، وقد عجزتا عن الصمود طويلاً بالنظر

إلى شدة التصاقهما بمملكتـه . ولم تتم السيطرة التامة " لپسمتك " الأول على ملوك الشمال قبل حلول عام ٦٥٧ الموافق العام الثامن من حكمه ، وكان قد ضم إلى جانبه "سمتاوى تف نخت" أمير هيراكليوبوليس الذى خلفه " بادى إيزيس " فى العام الرابع. وكانت هذه المساندة عظيمة الفائدة إذ وفرت للملك سايس الإشراف على طرق التجارة النهرية عبر وادى النيل ومرور تجارة القوافل مع واحات الصحراء الغربية ومع النوبة وليبيا. كما ساعده " سمتاوى تف نخت " على السيطرة بلا عناء على منطقة طيبة . وأبحر"سمتاوى" فى مارس ٦٥٦ فى صحبة الأميرة "نيت إقرت" التى أنجبها پسمتك الأول من" محيت إم أوسخت" إبنة كاهن هليوبوليس الأكبر. يحيط بها أسطول قوى. وطلب " پسمتك " من عابدتى الإله " شپن أوپت" الثانية و " أمنارديس" الثانية أن تتبنيا " نيت إقرت" وتحبسا عليها حق الإفادة من بعض أملاك مصر العليا ، فكان ذلك اعترافاً منهما بسيطرة الشمال من الناحية القانونية. أما" مونتوإمحات" فقد اعترف بتبعيته "لبسمتك" الأول ، وكان لايشغل سوى منصب كاهن " آمون " الرابع ولكنه كان يقبض على أقوى السلطات فى طيبة. وهكذا زال تماماً احتلال الإثيوبيين للبلاد بعد أن عجزوا عن التصدى للغزاة الآشوريين. ومن المفارقات الغريبة حقاً أن "پسمتك" الأول الذى كان يدين بعرشة للآشوريين وتعتمد قوته على المرتزقة الإغريق الذين اختارهم ليصبحوا صفوة قواته اشتهر كبطل قومى وموحد البلاد.

وإذا كانت الاحتفالات المهيبة التى نظمتها طيبة لتصاحب مراسم تبنى"نيت إقرت" قد رسخت توحيد البلاد ، فلايعنى ذلك بالضرورة أن " پسمتك " الأول قد سحق كل مقاومة لسلطته . فقد رفض بعض صغار الملوك وأمراء الدلتا الاعتراف بالسلطة الجديدة . واختاروا السير فى الطريق الذى يعرفه جيداً المنشقون المعارضون من أهل الشمال منذ عصر الدولة الوسطى وهو طريق ليبيا . وجمع " پسمتك " الأول جيشاً عن طريق تجنيد أفراده من بين سكان الأقاليم الموحدة ، وهو حدث بارز يستحق التسجيل وزحف بجيشه غرباً . وتحتفظ الصُّوَى التى أقيمت على امتداد طريق دهشور بذكرى حملته المظفرة التى فى أعقابها وضع الفرعون الجديد الحاميات عند الحدود الغربية والشرقية وفى الجنوب أيضاً عند إلفنيتن التى أصبحت خط الحدود الفاصل بين مصر ومملكة نپاتا .كانت العناصر المكونة لهذه الحاميات تجمعها سمة مشتركة مع الركيزة التى قامت عليها سلطته ، وتتفق فى الوقت نفسه مع تطور العلاقات الدولية فى عالم البحر المتوسط الزاخر بتحركات شعوب المنطقة . فكانت قوات هذه الحاميات تضم المرتزقة التقليديين من نوبيين وليبيين ،

ثم أضيف إليهم الإغريق والكاريون الذين أخذوا يعرضون مهاراتهم العسكرية فى سوق الشرق الأدنى الذى تمزقه الحروب الداخلية والذى يزخر بالفرص التى لاتعوض ، وبكل من قذفت بهم الفتوحات الآشورية إلى عرض الطريق من فينقيين وسوريين ، بل واليهود الذين أسسوا فى إلفنتين مستعمرة ذات شأن . ولكن ضباط " أما " المحيطين بالملك ظلوا يحتلون المناصب القيادية . وبالاعتماد على هذه القوات الجديدة أمكن إزاحة القوات القديمة ذات الأصول الليبية التى لاهمّ لها سوى اقتسام السلطة . كما استطاع "پسمتك" أن يحطّ من شأن دوائر الشمال الليبية بفتحه الباب أمام إنشاء مستعمرات للإغريق والكاريين الذين كانوا خير معين له فى بسط نفوذه على مصر .

وهكذا انفتحت مصر على العالم الخارجى ، وظل هذا الانفتاح فى تزايد مستمر طوال مدة حكمه المديد الذى دام أربعاً وخمسين سنة . ووصل التجار فى أعقاب العسكريين ، وقامت العلاقات الدبلوماسية بين مصر واليونان على أسس إقتصادية راسخة فصدرت مصر الغلال وورق البردى إلخ ... ودخلت إليها فى المقابل أولى الوكالات التجارية مع قدوم المليتيين الذين استقروا عند مصب الفرع البولبيتى للنيل. وأخذ نجم جماعة " التراجمة " المصريين فى الصعود ، وهم الذينكانوا يصطحبون المثقفين الإغريق عند زيارتهم كبرى معابد مصر وفى مقدمتهامعابد الدلتا ومعبد الإلاهة " نيت " فى سايس على وجه الخصوص . ويزودونهم ببعض المعلومات الأولية المشوهة ،بدرجة أو أخرى ، والتى اعتمد عليها هؤلاء المثقفون عند إعادة كتابه التاريخ شبه الأسطورى لحضارة مصر الضاربة بجذورها فى الماضى السحيق والتى شدتهم بما لها من سحر أخاذ... وبالتدريج دخلت مصر شبكة المبادلات التى ربطت آسيا الصغرى بجزر بحر إيجه - والتى كان من الصعوبة بمكان أن تظل بمنأى عنها على كل حال .

انفتحت مصر على المؤثرات الخارجية فى مجال الفن والتكنولوچيا ، دون أن تتخلى مع ذلك عن قيمها القومية . بل على العكس من ذلك ، فقد سار " پسمتك " الأول قدماً فى الطريق الذى بدأه الاثيوبيون بتأكيدهم الشكل " القومى " لنزعة العودة إلى ينابيع الدولة القديمة والدولة الوسطى ، إبرازاً للتصميم الرافض للاحتلال الآشورى وتزايد وجود العناصر الأجنبية التى لم تعش دائما فى صفاء ودّ مع المصريين خلال العصر الصاوى. واتخذ موقفاً متشدداً فى المسائل الدينية سعياً منه بإلحاح وإصرار إلى العودة دائماً إلى صفاء الأصول الأولى ونقائها ، أو على أقل تقدير تلك التى سبقت تغلغل المؤثرات

الآسيوية ، وهو مايمكن أن نستخلصه من النواهى والمحظورات التى ظهرت فى ظل حكمه ضد الشعائر غير المصرية ،كانت عبادة " ست " من بين هذه الشعائر المحظورة فلم يعد هذا الإله ، كما كان من قبل ، حامى حمى ملوك الأسرة التاسعة عشرة الفاتحين ، بل أصبح إله الهكسوس فحسب . وصحبت هذه النواهى طقوس متزمتة نجد لها صدى فى الكتاب المقدس (سفر التكوين ٤٢ : ٣٢) .

وفى العصرين الصاوى والفارسى لقيت شعائر الأقانيم الحيوانية رواجاً وانتشاراً . وتوسع " پسمتك " الأول فى سرابيوم منف ، فى العام الثانى والخمسين من حكمه . ومن المعتقد أن هذه الجبانة التى خصصت للعجل أبيس الذى يعتبر تجسيداً لـ " رع " قد أنشأها " أمنحوتب " الثالث ، ومع ذلك تحيط الشكوك باسم منشىء هذه الجبانة . وكل مافى الأمر هو أن المنقبين لم يعثروا على دفنات سابقة على عهد أمنحوتب الثالث . ولكن المؤكد أن سراديب سقارة وأنفاقها لم تكشف النقاب عن كل أسرارها . وهو مايؤكده اكتشاف " السراديب الصغرى " التى نحتها الأمير " خع إم واست " فى عهد " رمسيس " الثانى ... وعندما نفذ " پسمتك " الأول توسعاته فى هذه الجبانة أضاف مايعرف اصطلاحاً " بالسراديب الكبرى " لتصبح واحدة من أعظم منشآت مصر وأجلها شأناً .

وفى هذه السراديب دفن كل عجل فى حجرة مستقلة نصل إليها عبر سرداب يبلغ عرضه ثلاثة أمتار وارتفاعه خمسة أمتار ونصف المتر ويصل طوله إلى ٣٥٠ متراً . والحجرات منحوتة فى الصخر ، وتنخفض أرضيتها عن مستوى أرضية السرداب ، ويصل ارتفاع الحجرة إلى ثمانية أمتار فيما بين مستوى أرضيتها وسقفها ويتوسطها تابوت ضخم بسعة العجل المتوفى وقد صنع من حجر السيانيت ويزن الواحد منها فى المتوسط ستون طناً . وبعد إتمام مراسم الدفن يسدّ مدخل الحجرة ويوضع عليها الأختام ، ويقام لوح يسجل عليه بعض البيانات الخاصة بالإله قبل وفاته . ولم تكن شعائر العجل أبيس هى المثال الوحيد على عبادة الحيوانات ، فاكتشاف جبانات القطط وطائر الإبيس (أبى منجل المقدس) المجاورة يشهد على انتشار هذا التيار الدينى فى العصر المتأخر .

توفر لنا عبادة العجل أبيس شهادة عظيمة الشأن حول تطور الديانة المصرية التى أدهشت الرحالة الإغريق المعاصرين ، كما تقدم العناصر اللازمة لتحديد تسلسل زمنى دقيق . كان العجل أبيس أقنوماً إلهيّاً له ألقابه الخاصة الموازية لألقاب الفرعون الجالس على عرش البلاد . وتسجّل الألواح الحجرية التى أشرنا إليها جدولاً زمنياً لتاريخ تتويج ووفاة العجل أبيس ومايناظرها من تواريخ فى حياة الفرعون الحاكم لفترة بعينها . وهكذا

أمكن التحقق من صحة مدد حكم الملوك وترديد سير الأشخاص سواء أخذت بتأريخ العجل أبيس أو بتأريخ الفرعون - بنقاط انطلاق لتحديد أهم التواريخ . وحفظ لنا الزمن جبانة العجل أبيس وحدها من الفناء . وزالت من الوجود المنشآت المخصصة لممارسة الشعائر التى كانت تحتل مساحة شاسعة فوق السراديب وقد دفن فى وسطها الأمير " خع إم واست". كما زالت أيضا منشآت جبانة أنوبيس وجبانة طائر أبى منجل المقدس . إن مصدر معلوماتنا الوحيد هى الوثائق المعاصرة التى ترسم لنا صورة عن أهمية الكهنة الذين تفرغوا لإقامة الشعائر وضخامة الثروات التى امتلكوها .

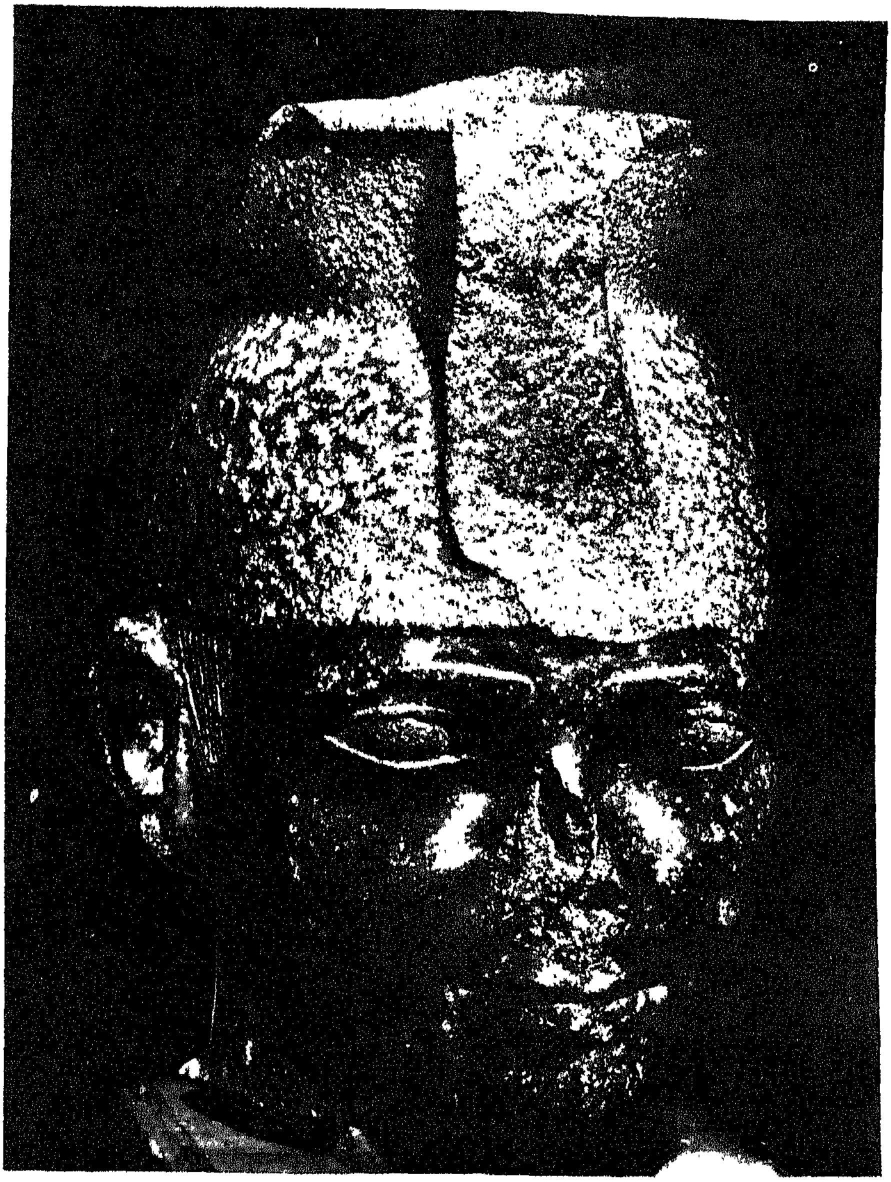
وفى ظل التأثير الواضح للصاويين لم تعد النبرة العليا لطيبة فى الفن واللاهوت هى السائدة فى المجتمع ، بل سادت التقاليد المنفية بعد العودة إليها وإحيائها . وتمخض عن هذا التأثير تجديد لقيم ضربت جذورها فى القدم وبلغت أوجها فى مقابر بعض



شكل (١٦٤) - "مونتوإمحات" . أمير "المدينة" .

جرانيت رمادى. الارتفاع ١٣٥سم نهاية الأسرة ٢٥. القاهرة : المتحف المصرى

أعيان المجتمع مثل " إبى" (TT 36) الرئيس الأول لخدم عابدة الإله " نيت إقرت ". كما نلمس هذا التغيير فى الأدب ، بما حدث من تنظيم لنمط السرد الملكى على غرار الأسلوب الغالب على " لوح النصر " ل " پى (عنخ) ى " والإبقاء على اللغة



شكل (١٦٥) - رأس تمثال لطهرقا
من حجر الجرانيت الارتفاع ٣٥سم القاهرة: المتحف المصرى

الكلاسيكية فى النصوص الرسمية . أما الديموطيقية التى شاعت كخط شعبى وحلت محل الهيراطيقية " غير النظامية " فقد انحسر استخدامها فى مصر العليا واقتصرت على الكتابات غير الأدبية . ولن تُقبل الديموطيقية رسمياً كلغة أدب إلا مع حلول العصر الفارسى وتطور المضمون اللغوى للخط الديموطيقى .

إن إشاعة النظام فى المجالين السياسى والاقتصادى فى ربوع البلاد هو أيضاً نتيجة غير مباشرة لإعادة تنظيم الجهاز الإدارى . وفى سنوات حكم " پسمتك " الأولى فإنه لم يتدخل من الناحية العملية فى شئون حكومة الوجه القبلى وإنما لجأ بالتدريج إلى تدابير تكفل له تعيين موظفين ترتبط مصالحهم مع سايس ، مثل " إبى " الذى عينته " نيت إقرت " رئيساً للخدم ، أى مديـراً على أملاكها فى طيبة ، وكذلك من خلفـوه فى منصبه ،

والحاكم الجديد لإدفو والكاب ، إذكانوا جميعاً من أهل الشمال . وأبقى الملوك الصاويون على العائلات الإقطاعية العريقة كعائلات هيراكليوبوليس التى ظلت فى مكانها إلى العصر الإغريقى واعتمدوا عليها فى الحفاظ على النظام العام . وأبقى " پسمتك " الأول المقر الملكى وجبانة البيت المالك فى مدينة سايس ، إلا أنه نقل العاصمة إلى منف فاستردت بذلك دورها كمركز سياسى وإدارى . ولن ننسى أنها احتفظت إلى حدّ ما على مر الزمان بمركز الصدارة فى شئون اللاهوت .

والعصر الصاوى هو دون جدال عصر ازدهار ورخاء . ونلمس ذلك فى مدى ثراء المقابر التى شيدها الأشراف فى طيبة أو فى جبانات منف القديمة . وظلت مصر فى نظر بلدان البحر المتوسط الدولة القوية التى يُعتد بها ، إلا أنها لم تعتمد فى قوتها وازدهارها على مواردها الخاصة بقدر ما استغلت أفول نجم آشور لإثبات وجودها بين بلدان الشرق الأدنى لحين ظهور قوة جديدة تبدد ما استردته من طموحات . ففى أعقاب عودة قوات آشوربانيبال إلى بلادها بعد أن استسلمت لها مصر ، واجهت تلك القوات المشكلات الخطيرة التى تراكمت على مرّ السنين . فالعيلاميون والمانيون يهددون الحدود الشرقية ، أما الحدود الشمالية فقد هددها الكيماريون الذين دارت بينهم وبين " چيچس " ، ملك ليديا وحليف " پسمتك " الأول ، معركة يائسة . أنتهز " پسمتك " الأول الصدام الذى وقع عام ٦٥٣ بين عيلام وآشور لإزاحة نير آشوربانيبال وطرد الحاميات الآشورية إلى أشدود فى فلسطين . وتحمل آشوربانيبال عواقب سياسة " أسرحدون " فى وراثة العرش ،

فاستولى الملك " تى أمّان " على عرش سوسة بعد طرد ورثة العرش واحتضنهم الآشوريون عندما لجأوا إليهم . وهاجم " تى أمّان " " آكد " ، ولكن آشوربانيبال هزمه وسلم ممتلكاته إلى الأمراء المنفيين الذين كانوا قد تخلوا عن " آشوربانيبال " وخانوه لصالح أخيه " شمش شوم أوكين " الذى كان مازال غير راض عن تقسيم المملكة بينه وبين آشوربانيبال ، كما أعلنه أسرحدون فى الماضى . وقد وقف جانب كبير من السوريين والعرب إلى جانب "شمش شوم أوكين " وحاصر " آشوربانيبال " أخاه فى بابل ووزع قواته على جبهتين : الجبهة الأولى فى عيلام حيث استغل الانقسامات بين الأمراء الذين عجزوا عن اقتسام سلطة والدهم فيما بينهم . وواجه على الجبهة الثانية ثورات المناطق الغربية الكامنة بدرجة أو بأخرى . وأثمر هذا المخطط وأتى أكله . فقد لقى " شمس شوم أوكين " ، حتفه فى الحريق الذى شب فى بابل عام ٦٤٨ ، وبعد سنتين سقطت مدينة سوسة . وبلغ "آشوربانيبال " أوج مجده بعد أن هزم الأنباط وأسترق سكان فينقيا . ومع ذلك فما كاد يمر جيل واحد حتى كانت نينوى تحترق . لم يبق من هذه الإمبراطورية التى كانت أضعف مما أظهرت من قوة سوى أثر بعد عين ، واستردت مصر استقلالها . وبعد أن حرم الإغريق فينقيا من تجارتها خسرت مركزها العريق كمنفذ على البحر المتوسط لأعظم الثروات . وصار الأنباط هم أيضاً لا أمان لهم إلى حد كبير شأنهم شأن الصحراء التى يعيشون فيها ، وأصبحت عيلام بعد احتلالها لافائدة ترجى منها . ولهذا السبب سعد قورش الأول عند سماعه نبأ سقوط سوسة . وظلت الرغبة فى الإنتقام تراود بابل ، وخلف جبال زاجروس وقف الإسكيتيون والميديون ينتظرون أول علامة ضعف صادرة عن نينوى لينقضوا عليها .

وجاءت وفاة " آشور بانيبال " عام ٦٢٧ إيذاناً ببدء تصدع الإمبراطورية الآشورية مع استمرار صراع أبنائه على السلطة حتى عام ٦١٢ . فاستغل " نابوپولاصر " ملك الكلدان هذه الصراعات الداخلية التى أنهكت آشور ليستولى على الوركاء (أوروك) عام ٦٢٦، ثم سيپار وبابل ، وأعلن نفسه ملكاً على مملكة بابل التى أحكم السيطرة عليها عام ٦١٦ . وأثناء ذلك ، وفيما بين عامى ٦٢٩ و ٦٢٧ ، انقض الإسكيتيون على آشور وزحفوا على آسيا الصغرى حتى وصلوا إلى فلسطين حيث أوقف پسمتك الأول زحفهم قرب أشدود إذا صحت رواية هيرودوت . ومن المحتمل أن الأمر لم يتعد تسلل بعض الوحدات المتقدمةوأنه لم يكن غزواً بكل معنى الكلمة . ومع ذلك فقد أدرك پسمتك الأول الخطر الجسيم الذي يمكن أن يتهدده إذا ما انهارت آشور تماماً تحت تهديد

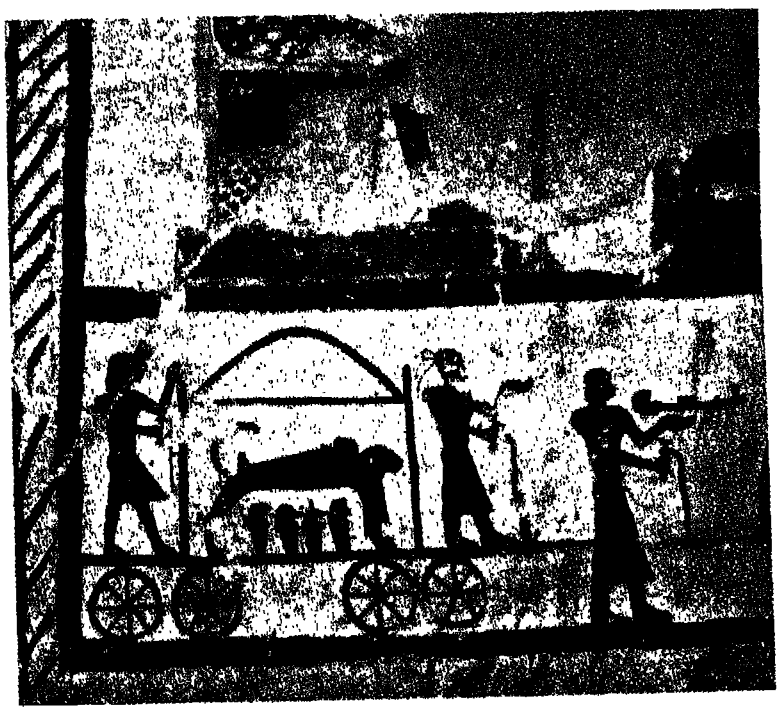
الكلدانيين والميديين سواء بسواء ومن ثم قرر أن يتدخل إلى جانب " نابوپولاصر " للمرة الأولى عام ٦١٦.ولم تحل المساعدة التى قدمتها مصر دون هزيمة الآشـوريين التى حدثت على فـترتين ، وبدأ " سيكاساريس " يوحد قبائل الإسكيتيين والفرس عام ٦٢٥ ثم اندفع يغزو مملكة آشور فاخترقها عام ٦١٥ .وحاول فى العام التالى احتلال نينوى دون جدوى ، ولكنه نجح فى الاستيلاء على مدينة آشور . ولحق به " نابوپولاصر " لاقتسام المغانم ، واتفق الملكان على حساب المهزوم . وبعد أن زادت قوتهما من جراء هذا التحالف الجديد عادا عام ٦١٢ ليضربا حول نينوى حصـاراً دام ثـلاثة شـهور . وتـم الإستـيلاء على المدينة وتدميرها وقتـل ولـى الـعـهد . وتـمكن أحـد الضبـاط مـن الفرار فاستـولى على السلطة وتـلقب باسـم " أشـور أوبـاليـت " الثانى ، ولجأ إلـى الحـدود القصية فى غـرب الـمملكة ، فـى حران قـرب الحدود السـوريـة التـركيـة الحاليـة ، حيث لحقت بـه قوات مصـر لـمسانـدتـه .

الشرق الأدنى والبحر المتوسط .

وهكذا نصل إلى عام ٦١٠ قبل الميلاد . مات " پسمتك " الأول تاركاً لابنه " نكاو الثانى" مهمة استكمال مابدأه من أعمال . وحافظ " نكاو " الثانى على التزامات مصر تجاه ماتبقى من مملكة آشور الشرعية . واستولى أهل ميديا وأهل بابل على حران . ونجح المصريون فى العام التالى فى عبور الفرات مرة أخرى بعد أن كانوا قد تحصنوا خلفه ، ولكنهم فشلوا فى الاستيلاء على حران ، وظلت هذه المدينة فى أيدى الميديين الذين بدأوا يخططون لتحويلها إلى قاعدة لفتوحات جديدة غرباً . واستفاد " نكاو " الثانى من الفراغ الذى خلفه اختفاء الآشوريين فى سوريا وفلسطين ، فاستغل الفرصة التى أتاحتها حملة ٦٠٩ / ٦٠٨ على حران للاستيلاء على فلسطين والحق الهزيمة بيوشيـا الذى حـاول قطـع طـريق مجدو أمامه ، وتدخل فى شئون مملكة إسرائيل وعزل " يهو آخاز " الذى تربع على العرش بعد وفاة والده " يوشيا " واختار بدلاً منه ابنه " إلياقيم " الذى صار لقبه " يهو أقيم " بعد أن تولى العرش (ملوك الثانى٢٣ : ٢٩ - ٣٥) . ودفعت أورشليم الجزية لمصر واحتفظ " نكاو " الثانى بحق الإشراف على سوريا حتى قرقميش على الأقل لمدة أربع سنوات . وهو الوقت الذى كان يلزم للكلدان لإعادة تنظيم صفوفهم حيث ظلوا هم والميديون سادة الموقف بعـد سـقوط نينـوى . واكتفـى الـميـديون بمرتفعـات عـيلام كغنيمة حـرب وتـركوا منطـقـتى " سوسيانا " ومملكة آشور لأهل بابل .لم يستقر "

نابوپولا صر " فى آشور بعد اجتياحها وتخريبها ، وكرس السنوات الأخيرة من حكمه لإعادة تشكيل قواته . ومن ناحية أخرى أوفد إبنه " نبو خذ نصر " لاستعادة السيطرة على سوريا حيث لم يتوصل " نكاو " الثانى إلى نصر حاسم يسمح له بالسيطرة الكاملة على شئونها وإن حقق بعض النجاحات عندما أجبر الكلدانيين على التحصن شرق نهر الفرات وبسـط نفوذه حتى صيدا . ومع ذلك ظلت السيطرة المصرية على سوريـا هشة حيث اعتمدت على أحلاف عقدت قسراً كالحلف الذى فرض على أورشليم فرضاً . واستولى " نبوخذنصر " على قرقميش فى ربيع ٦٠٥ حيث أمضت القوات المصرية فصل الشتاء ، وطارد القوات الفارة حتى حماة حيث سحقها وأبادها .

واستغل المصريون وفاة " نابوبولاصر " لالتقاط الأنفاس .فقد أضطر " نبوخذ نصر " أن يعود إلى مدينة بابل لتأمين سلطته ، وارتقى عرش بلاده فى سبتمبر من عام ٦٠٥ . ثم عاد فى العام التالى لتحصيل الجزية التى دفعتها دمشق وصور وصيدا وأورشليم على مضض . وثار ملك عسقلان وظل يستغيث دون جدوى بفرعون مصر الذى اسـتطاع بعد



شكل (١٦٦) – مقبرة "پدى باست" فى "المزوقة" (الواحات الداخلة).
تفصيل الجدار الشمالى ورسم فوق طبقة من الطلاء .

جهد أن يصدّ هجوماً شنته القوات البابلية على حدوده الشرقية عام ٦٠١ . ونجح فى الاستيلاء على غزة . ولن يتجاوز المصريون هذه الحدود حتى نهاية حكم " نكاو " الثانى الذى بدأ يتطلع إلى آفاق أخرى .

واصل " نكاو " الثانى سياسة الانفتاح على العالم الإغريقى ، فشجع إنشاء المستوطنات لإقامة المتسوطنين الذين اصطحبوا المرتزقة الإيونيين . والجديد فى الأمر أنه حاول بناء أسطول مصرى يمكن أن ينافس به خصومه فى البحر المتوسط وفى البحر الأحمر على حدّ سواء . واستهل أعمالاً إنشائية ضخمة فى وادى الطميلات جمع لها إثنى عشر ألف عامل ، وكان الغرض منها حفر قناة تربط البحر المتوسط بالبحر الأحمر . وتطلب إنشاء هذه الطريق التجارية الجديدة تأسيس مركز لعبور القوافل ، فأسس نكاو الثانى مدينة جديدة أطلق عليها إسم " مسكن آتوم فى تشيكو " ، و " تشيكو " هو الإسم الذى كان يطلق على منطقة وادى الطميلات . واسم المدينة " پرتمو " (تشيكو) وهى تل المسخوطة حالياً وتقع على مسافة خمسة عشر كيلو متراً غرب الإسماعيلية .

إن تحديد المخارج الصوتية للكلمة قد قاد التقليد المتواتر إلى اعتبارها هى ومدينة "پيتوم " الواردة فى الكتاب المقدس شيئا واحداً ، وهو خطأ أثبتته الحفائر الحديثة . صحيح أن إنشاء الموقع يرجع إلى نكاو الثانى ، بيد أن تاريخه اللاحق غير واضح ويكتنفه الغموض والتشويه . وعاشت المدينة أيام السعد والنحس التى شهدتها القناة التى ارتبطت بها ، فكان يعاد ترميمها وتخطيطها كلما عاد المصريون إلى استخدام القناة كما حدث فى عهد " داريوس " الأول " ونختنبو " الأول والثانى " وبطليموس " الثانى و"هادريان " .... وأسهم نختنبو الأول والثانى بصفة خاصة فى تجميل المدينة بالاعتماد على منشآت " لرمسيس " الثانى نقلوها من پررمسيس ، وهو ما ساعد على انتشار الزعم القائل بأن تل المسخوطة هى " پيتوم " .

وهكذا أقا م " أوحم إيپ رع نكاو " الثانى ببناء أسطول لم يتمكن من منافسة أساطيل خصومه منافسة حقيقية ، بيد أنه كان من أهم نتائجه الطيبة أن فتح الطريق أمام الملاحين الفينقيين الذين حضروا بناء على طلبه للقيام برحلاتهم الإفريقية التى ظلت من أهم منجزات حكمه ، وربما كانت مأثرته الوحيدة . حيث أنه كان ملكاً سيئ الذكر لدى معاصريه والأجيال اللاحقة على حدّ سواء ، رغم ماعرفته البلاد من رخاء حقيقى أحسن خلفاؤه استثماره . وخلف عند وفاته عام ٥٩٥ ابناً ذكراً وثلاث بنات . تربع هذا الأبن

على عرش البلاد وتلقب باسم " نفر إيب رع - پسمتك " الثانى ، ولم يدم حكمه طويلاً إذا توفى عام ٥٨٩ . ومع ذلك فقد كان ذا نشاط موفور يبرر حبه لمقارنة نفسه بجده العظيم . ونظرا لقصر مدة حكمه يصعب القول بأن نشاطه فى الداخل كان يعادل نشاط " پسمتك " الأول . وطلب من عابدة الإله " نيت إقرت " أن تتبنى ابنته التى أنجبها من الملكة " تاخوت " واسمها " عنخ نس نفر إيب رع " ومعناه " نفر إيب رع تحيا من أجلها . " وقد حلت محل " نيت إقرت " فى عام ٥٨٤ وسوف تشغل هذا المنصب حتى الغزو الفارسى عام ٥٢٥ . وأقامت فى طيبة جهازاً إدارياً صاوياً أظهر ترفاً وبذخاً يمكن أن نتصوره من إبداع المقبرتين الفخمتين اللتين أقامهما فى العساسيف " شاشانق بن حرسا إيزيس " (TT 27)" وپادى نيت " (TT 197) وكانا يشغلان منصب رئيس استقبال آمون.

كان البحث عن العظمة على رأس اهتمامات پسمتك الثانى . ووجدت العظمة أفضل تعبيراتها خارج البلاد .حيث أولى فرعون مصر جلّ اهتمامه على مايبدو لتعويض النتائج السلبية لسياسة أبيه الخارجية . صحيح أنه لم يحسن استغلال الأسطول الذى بناه أبوه ، إلا أنه حاول أن يتدخل من جديد فى شئون مملكة يهوذا . وكان فشل الكلدانيين الجزئى فى صراعهم مع مصر عام ٦٠١ مصدر أفكار جديدة لـ " يهوياقيم " الذى قطع روابطه ببابل فى العام الثانى . ثم خلفه ابنه " يهوياكيم " عام ٥٩٨ ولكن حكمه لم يدم طويلاً . ففى مارس ٥٩٧ استولى " نبوخذنصر " الثانى على أورشليم وسلب ونهب " المعبد " وأبعد الملك إلى بابل مع أهم رجال بلاطه ، وتوج مكانه عمه " صدقيا " . وبقى " يهوياكيم " أكثر من ٣٧ سنه فى بلاط بابل . وسوف يغذى غياب الملك الانقسامات التى احتدمت بين أنصاره وأنصار " صدقيا " فى كلا العاصمتين . وحرضت مصر أورشليم على الثورة منذ السنوات الأولى من حكم " صدقيا " . وكانت مصر الغائب الحاضر فى المؤتمر المناهض لبابل الذى أنعقد فى أورشليم عام ٥٩٤ . وفى عام ٥٩١ قام پسمتك الثانى بجولة سلمية وصل فيها إلى بيبلوس . وخلد بعد عودته ذكرى هذه الجولة ، باعتبارها حملة تقليدية . وشجعت مظاهرة القوة هذه " صدقيا " على الثورة التى باءت بعاقبة وخيمة على أورشليم .

وفى العام السابق كان " پسمتك " الثانى قد بدأ الأعمال الحربية ضد كوش حيث أسس " أنلمانى " مملكة نپاتا الثانية ، فانهى بذلك حالة السلم المستقرة منذ عهد " تانت

آمون " . وصل الجيش المصرى إلى " بنبس " عند الشلال الثالث ، وربما استمر فى تقدمه حتى نپاتا . ومن الغريب حقاً أن پسمتك الثانى لم يستفد من النصر الذى أحرزه فانسحبت قواته إلى الشلال الأول، وكانت تضم العديد من المرتزقة الكاريين الذين تركوا أسماءهم محفورة فى " أبو " سمبل . ظلت إلفنتين ترسم الحدود الجنوبية لمصر ، أما المنطقة الواقعة بين إلفنتين وتاكومبسو - والتى أطلق عليها الإغريق الـ " دوديكاخوينوس" فكانت أشبه بأرض محايدة فاصلة بين القوتين فى النوبة ومصر . إن الأسباب التى دفعت " پسمتك " الثانى إلى هذه الحملة غامضة لدينا ، وتكتفى النصوص الرسمية بالإشارة إليها كحملة ضرورية ذات أهداف سلمية لإخماد ثورة أهل كوش . ولكن يبدو أن هذه المعلومات ليست سوى جزء من الأسلوب الفخم التقليدى الذى درجت الوثائق على استخدامه دون التقيد بالحقائق . وبعد هذه الحملة سادت مصر موجة إزالة أسماء الملوك الإثيوبيين من على سطوح العمائر والمنشآت ، وكأن پسمتك الثانى قد أراد بفعلته هذا أن يلغى ذكرى هؤلاء الملوك و يمحو أى أثر لخصوم أسرته القدامى الذين ناصبوها العداء . كما أساء إلى ذكرى نكاو الثانى ، و تظل الأسباب الحقيقية وراء حملته هذه على سلفه غير واضحة . و لكنها ترجع على ما يعتقد إلى أسباب أهم من الهزائم العسكرية التى تكبدها المصريـون فـى مواجهة الكلدانيين - و إن كانت علـى كل حال هزائم نسبيـة .

الإغريق فى مصر

تـوفى " پسمتـك " الثانى فى فبراير ٥٨٩ قبل أن تؤتى سياسته فى الشرق الأدنى أكلها ، و اضطر ابنه "حعع إيب رع - وح إيب رع " (إپريس عند الاغريق) أن يواجه فى الحال الموقف الناشئ عن ثورة " صدقيا " وكانت مصر و فينقيا مشاركتين فيها . زحف "نبو خذنصر " الثانى على أورشليم و ضرب الحصار حولها لمدة سنتين ، و استولى على صيدا ليضمن سيطرته على فينقيا ولكنه فشل فى الإستيلاء على مدينة صور التى ظل "إپريس " يمدها بالمؤن عن طريق البحر ليثبت جدوى و أهمية اسطوله الجديد الذى سمح لصور أن تصمد حتـى عام ٥٧٣ ! كان المصريون أقل توفيقاً فى المعارك البرية ، فقد حاولوا أن يقدموا يد العون لصدقيا و لكنهم اضطروا إلى الانسحاب . و فى عام ٥٨٧ سقطت اورشليم وفر " صدقيا " وألقـى القبض علـيه قـرب أريحا . و جاء انتـقام "نبـو خذ نصر " غايــة فى القسوة ، حيث أجبر "صدقيا " على مشاهدة تنفيذ الإعدام

فى ابنه ثم أرسله إلى الأسر بعد أن فُقئت عيناه . ولم يقنع حزب الحرب بالهزيمة فقام أنصار إرميا باغتيال الحاكم البابلى الذى عينه الملك الظافر ثم ولوا هاربين مع زعيمهم إلى مصر قبل أن تجهز أعمال القمع و التنكيل عام ٥٨٢ .

ولم يكد " إپريس " ينتهى من هذه الحرب حتى ثارت حامية إلفنتين عندما بلغها نبأ هزيمة المصريين أمام " نبو خذ نصر " الثانى ، واستطاع القائد " نسى حور " أن يسحق التمرد . ولكن هذا التمرد كان نذيراً بالاضطرابات التى عمت البلاد قرب نهايه حكمه . ففى عام ٥٧٠ استنجد به حليفه الليبى " أديكران " أمير " قورينة " الذى كان يخوض معارك ضارية ضد إغارات الدوريين فأرسل " إپريس " قواته الخاصة من المرتزقة ولكنها هزمت شر هزيمة . وبعد أن ولت حملته الأدبار و عادت إلى البلاد وقعت بين المرتزقة وإغريق مصر مصادمات عنيفة انقلبت إلى حرب أهلية حقيقية بين القوات الوطنية والمرتزقة الإغريق و الكاريين و نصّب المصريون أحمس الثانى ملكا على مصر وهو القائد الذى اشتهر بمآثره المجيدة فى الحملة ضد الكوشيين . و دارت رحى الحرب عند مدينة " موممفيس " فى أواخر عام ٥٧٠ بين أحمس الثانى وإپريس الذى لم يقف إلى جانبه سوى جنوده المرتزقة فلقى حتفه أثناء المعركة ، ونقل أحمس رفاته إلى سايس حيث أقام له المراسم الجنائزية الواجبة . و انتهز " نبوخذنصر " الثانى قيام هذه الاضطرابات لمحاولة غزو مصر عام ٥٦٨ ولكن " أحمس " استطاع أن يوقف تقدمه .

تولى أحمس الثانى السلطة بتعضيد من القوى الوطنية ومؤازرتها ، ولذا لم يكن فى استطاعته أن يقف بمنأى عن الشئون الإغريقية سواء فى داخل البلاد أم فى خارجها . وتوصل إلى حل مشكلة الإغريق و الكاريين فى الداخل فتبنى سياسة ألغى بمقتضاها العديد من مراكز تجمع الأجانب المنتشرة فى شمال البلاد . و يروى هيرودوت أنه جمع هؤلاء الأجانب فى مدينة نوقراتيس جنوب شرق الموقع الذى ستقام عليه مدينة الأسكندرية فيما بعد . وأثبتت الحفائر الحديثة وجود تجمعات سكانية فى هذا الموقع و أن المستوطنين قد حطوا رحالهم فى نوقراتيس منذ عهد " پسمتك " الأول . ومنح " أحمس " الثانى المستوطنين مزايا اقتصادية و تجارية ذات شأن فأقر للمدينة بحق إقامة وكالاتها التجارية المستقلة وأماكن للعبادة يمارس فيها السكان شعائرهم الخاصة . وفى ظل اقتصاد "الوكالات التجارية " التى تفرعت و تشعبت عبر البلاد حتى وقتنا الحاضر ازدهرت منطقة نوقراتيس بأسرها و أسهمت فى رخاء البلاد بأكملها . و قد بلغ هذا الازدهار شأواً

عظيماً فـى أيـام حكمـه . ومن المتفق عليه أن عدد سكان مصر كان آنذاك سبعة ملايين و نصف المليون نسمة ، وهو رقم ضخم بقياس عالم البحر المتوسط .،لا سيما إذا أخذنا بعين الاعتبار أن مصر المعاصرة لـم يتخط عدد سكانها رقـم الثمانيه ملايين نسمة إلا فـى القرن التاسع عشر ! وترك أحمس الثانى ذكرى عطرة تناقلها التقليد المتواتر . فهو دمث الخلق لين العريكة ، مرح محب للحياة ، كما كان مشرعاً فطناً . وللأسف فقد محا الغزاة الفرس كل أثر له من على سطوح ما شيده من منشآت .كما ظهرت خصاله الحميدة فى العلاقات الوطيدة التى ظلت تربطه بالعالم الإغريقى ، وفى أعقاب الإنتصارات العسكرية التى أحرزها على بعض مدن قبرص أصبح أسطول الجزيرة القوى تحت تصرفه فاستخدمه فى تجارته مع البحر المتوسط واكتساب الحلفاء للتصدى لقوة الفرس المتعاظمة التى أضحت مصدر قلق له ولشركائه الإغريق . وعقد حلفاً مع " كريسوس " ملك ليديا الأسطورى " وبوليكراتس " حاكم " ساموس " المطلق . كما أمكنه التفاهم مع مملكة بابل عدوة الأمس والتى ساندت " كريسوس " أيضاً . ولكن لـيديا استسـلمت لقورش الثـانى عام ٥٤٦ ثم جـاء الدور علـى بابل بعد سبع سنوات . وظل " أحمس " الثانى يعتبر - خطأ - أن المدن الإغريقية حلفاء مأمونين . فوطد علاقاته معها واتخذ من التدابير ماجعله أعظم الفراعنة حباً لحضارة الإغريق وإعجاباً بها ، وذهب إلى حدّ تمويل إعادة بناء معبد أبوللو فى دلفى بعد أن أتى عليه الحريق الذى شب فيه عام ٥٤٨ .

ولكن كل هذه التدابير لم تحل دون وقوع ما كان يبدو محتوماً لا مناص منه . فبعد أن أصبح الفرس سادة آسيا الصغرى صار فى مقدورهم إعادة تأسيس امبراطورية أقوى وأعظم من تلك التى أسسها الآشوريون من قبلهم . وكان فى مقدور الإغريق وحدهم التصدى لهم بفضل ماتوفر لهم من حماية ، فالبحر يحميهم من ناحية ، كما تحميهم ، من ناحية أخرى ، تكنولوجيا عسكرية أثبتت فاعليتها فيما خاضوه من معارك . وأصبح موقف مصر مجرد رد فعل سلبى لما يدور حولها من أحداث متسارعة الإيقاع . وتأجل غزو مصر لحظة بسبب وفاة " قورش " الثانى عام ٥٢٩ . ولما توفى " أحمس " الثانى فى عام ٥٢٦ ، تبوأ " پسمتك " الثالث عرشاً بدأ يهتز من تحته . وفى سوسة ارتقى قمبيز الثانى العرش خلفاً لقورش الثانى ، ثم زحف على مصر فى ربيع ٥٢٥ وسحق جيش " پسمتك " الثالث عند پلوزيوم . ولجأ الملك إلى منف التى تحولت من جديد إلى آخر قلاع المقاومة . ولكنها سقطت . وولى " پسمتك " الأدبار . واستطاع أن يجمع ماتبقى له من قوات قبل أن يقع فى الأسر ويرسل إلى سوسة مكبلاً بالأغلال . وتحولت مصر إلى إقليم تابع

للإمبراطورية الأكْمنية . وسوف تنتفض مصر مرات عديدة سعياً وراء الاستقلال خلال القرنين التاليين ، ولكن هذه الانتفاضات لن تعدو أن تكون فسحة من الوقت بين تسلط قوة غازية وأخرى .

الانفتاح على العالم الخارجي

استمر حكم الإثيوبيين والصاويين لمصر قرابة القرنين ، مع فارق كبير بين مدة حكم كل منهما مقارنة بالأخرى . واستطاعت مصر تحت حكم الإثيوبيين أن تصل إلى شكل من أشكال الوحدة الوطنية وإن كانت هشة ، ولكنها تكيفت مع توزيع السلطة على الخصوم الذين كان يحق لكل منهم أن يدعى لنفسه قدراً من الشرعية . كان الليبيون يعتبرون أنفسهم إلى حدّ ما ورثة العرش الذى أفلت من أيدى خلف الرعامسة . كما كان يحق للإثيوبيين أن يبحثوا عن منابع النظام الملكى فى زمن يضرب بجذوره فى الماضى السحيق فهم أبناء الإمبراطورية التى أرادها " آمون " . وبين هؤلاء وأولئك فقدت طيبة كل مبادرة على الصعيدين السياسى والدينى سواء بسواء ، كما اتفق الصاويون والإثيوبيون على الإبقاء على مؤسسة عابدة الإله الكفيلة دون غيرها بنزع فتيل نزاع ظل كامناً على الدوام .

واستفادت منف دون غيرها من هذه المصادمات التى زاد الآشوريون من حدتها عندما أقاموا سلطة الصاويين . والدليل على ذلك هو تلك التحذيرات التى ظل يوجهها بسمتك الثانى ضد الإثيوبيين بعد مرور قرن من الزمن تقريباً على سقوط الملكية الكوشية . وهكذا عادت منف عاصمة البلاد إلى وضعها فى بدايات التاريخ . وهذه العودة إلى الماضى هى عودة إلى النموذج المثالى الأول الذى يصاحبه تأسيس نظام ملكى قائم على القيم العريقة والمقترن بالمباحث الدينية والأدبية والفنية التى تتعارض جذرياً والعالم الجديد الذى انفتحت عليه البلاد عندما أستقبلت على أرضها سادة البحر المتوسط الجدد . لقد لاحظنا أن المصريين قبلوا بداية ، كرد فعل طبيعى وتلقائى ، الإسهامات الواردة من الخارج ، فحاولوا استيعاب القيم الجديدة كما استوعبوا القيم التى أتتهم من آسيا فى وقت سابق . وهذه السمة هى على كل حال ظاهرة طبيعية لازمت المصريين حتى الوقت الراهن . ومن ثم وضع المصريون الأسس الضرورية لإقامة مجتمع جديد سيظل طوال القرنين التاليين يعمل على دمج عناصر الحضارتين التى لاتعارض بينهما . ونذكر على سبيل المثال مقبرة " پتوزيريس " فى تونة الجبل ورسومات " قصر المزوقة " فى الواحات

الداخلة القصية والحضارات القزمية التى استقرت عند تخوم الإمبراطورية الرومانية في " دوش " فى الواحات الخارجة ، وتصور مزيجاً غريباً من الموضوعات المصرية والإغريقية واليهودية والشرقية ... أما القيم التى أعيد اكتشافها فقد أمدتهم بالزاد الذى ساعدهم على التصدى للقيم التى تذكرهم فى بعض جوانبها بذكريات الاحتلال الآشورى المريرة ، وعلى ما يعتقد فإن هذا هو أحد الأسباب التى جعلت من العصر الصاوى مثالاً حياً على أمجاد مصر التليدة وملاذاً للقيم التقليدية يمكن الرجوع إليه إذا ما اشتد نير كل محتل جديد .

الفصـــل الخـــامس عشـــر

الفـــرس والإغريـــق

الفُرس فى مصر

جاءت هزيمة " پسمتك " الثالث لتضع نهاية لخط سياسى بأكمله .لقد انتهى إلى غير رجعة زمن عزلة مصر ، وعندما وقعت الواقعة تخلي الإغريق عن حلفائهم المصريين وتخلفوا عن المعركة . وفى غزة انضم " فانيس الهاليكارناسى " إلى صفوف العدو ، وكان "بوليكراتس" الساموزى قد خان فرعون من قبل ، أما البدو " السائرون على الرمال " وهم معارضون تقليديون ، فقد أرشدوا القوات الفارسية عند اختراقها شبه جزيرة سيناء . وإلى جانب المساعدات العسكرية التى حصل عليها قمبيز الثانى فقد استقبلته بعض الأقليات- كأفراد الجالية اليهودية فى إلفنتين - استقبالاً حاراً ، كما رحبت به بعض العناصر من الأرستقراطية المصرية . بل يمكن القول أن ماذكرته المصادر الإغريقية عن سلب ونهب المدن المصرية وطيبة على وجه الخصوص عارٍ عن الصحة ، وأنه لم يذهب على كل حال إلى المدى التى أشارت إليها هذه النصوص التى كتبت تحت تأثير الدعاية المعادية للفرس . وعلى العكس فقد اتفقت مصالح سادة البلاد الجدد مع مصالح الفئات الميسورة فى المجتمع المصرى ، وهو على مايبدو تقليد قومى نما وترعرع وسط هذه الفئات . حتى أصبح من ثوابت السياسة المصرية . فقبل انقضاء قرنين من الزمن وجد داريوس الثالث كودومان ، والإسكندر الأكبر من بعده ، أن شريحة من نخبة المجتمع على أتم الاستعداد لتولى إدارة البلاد لحساب المحتل الأجنبى فى ظل الإيهام بأن الإدارة مازالت وطنية وهو وهم كان يغذيه ثبات بعض المظاهر الاجتماعية . ومن بين هؤلاء الموظفين الذين انحازوا إلى جانب الفُرس نذكر " أوچا. حور. رس . نيت " النموذج الحىّ لكبار الموظفين المثقفين ثقافة رفيعة. كان كاهناً فى سايس وطبيباً وقائد الأسطول فى عهد كل من پسمتك " الثالث وأحمس الثانى، وقد دوّن سيرته الذاتية على سطح تمثال على هيئة ناووس هو من مقتنيات متحف الفاتيكان فى الوقت الراهن . ويوضح " أوچا . حور . رس . نيت ". كيف عاون قمبيز على الإلمام بحضارة مصر وثقافتها كى يمكنه من الظهور بمظهر الفرعون المصرى ، وهو ماسيفعله سادة مصر من الآن فصاعداً :

" وصل إلى مصر " قمبيز " ملك سائر البلاد الأجنبية ، ووقف إلى جانبه جميع الأجانب فى سائر البلاد الأجنبية . وعندما استولى على أرض مصر نزلوا بها . وأصبح ملكاً عظيماً وملكاً على سائر البلاد الأجنيبة . وعيننى صاحب الجلالة فى منصب كبير الأطباء . وسمح لى جلالته بالإقامة إلى جانبه كرفيق وصديق . وأناط بى مسئولية الإشراف على القصر واختيار ألقابه وعلى الأخص اسمه كملك الوجهين القبلى والبحرى وهو " مستيورع " (Posener:1936,7)

لم يطبق الفُرس على مصر النظم التى كانت سائدة فى بلادهم . أجل لقد أصبحت مصر " ستراپية " أو إقليماً تابعاً ، وقام قمبيز عام ٥٢٢ بتعيين " أرياندس " حاكما على مصر ، قبل أن يهمّ بالعودة إلى بلاده للقضاء على الثورة التى قادها " جوماتا " المطالب بعرش البلاد . ولكن ملوك سوسة حكموا مصر بصفتهم فراعنة وساروا على هدى " قمبيز" الثانى فاختاروا لأنفسهم مجموعة ألقاب كاملة . وواصلوا مابدأه " أسلافهم " المصريون.

ومن الواضح الجلىّ أن " أوجا . حور . رس . نيت " قد أهتمّ فى المقام الأول بالدفاع عن قضية مدينته سايس التى لم يخص السادة الجدد معبدها الجليل بما يستحقه من رعاية وتبجيل : " وأخبرت جلالته عن أمجاد سايس .فهى المقر الرسمى للإلهة "نيت" العظيمة . إنها الأم التى أنجبت " رع " وأول من أنجبت فى زمن لم يكن الإنجاب

٥٢٥ - ٥٢٢	**الأسرة السابعة والعشرون**
٥٢٢ - ٤٨٦	قمبيز الثانى
٤٨٦ - ٤٦٥	داريوس الأول
٤٦٥ - ٤٢٤	كسركسيس
٤٢٤ - ٤٠٥	ارتكسركسيس
٤٠٥ - ٣٥٩	داريوس الثانى
	ارتكسركسيس الثانى
٤٠٤ - ٣٩٩	**الأسرة الثامنة والعشرون**
	أميرتايوس
٣٩٩ - ٣٩٣	**الأسرة التاسعة والعشرون**
٣٩٣	نفريتس الأول
٣٩٣ - ٣٨٠	بساموتيس
٣٨٠	اكوريس
	نفريتس الثانى
٣٨٠ - ٣٦٢	**الأسرة الثلاثون**
٣٦٢ - ٣٦٠	نختنبو الأول
٣٦٠ - ٣٤٣	تاخوس
	نختنبو الثانى

شكل رقم (١٦٧) جدول التسلسل الزمنى من الأسرة السابعة والعشرين الى الأسرة الثلاثين .

موجودا (...) ورفعت شكواى إلى صاحب الجلالة قمبيز ملك الوجهين القبلى والبحرى حول جميع الأجانب المقيمين فى معبد " نيت " لطردهم منه وعودة المعبد إلى سابق عهده من الأبهة والجلال . وأمر جلالته بطرد كافة الأجانب المقمين فى معبد " نيت " وهدم منازلهم وإزالة ماخلفوه فيه من قاذورات . وبعد أن حملوا أمتعتهم بأنفسهم إلى خارج حرم المعبد ، أمر جلالته بتطهير معبد " نيت " وإعادة كافة العاملين به (...) ومعهم كهنة المعبد الميقاتيون . وأمر جلالته برد عوائد " الأوقاف " إلى الإلهة " نيت " الكبيرة والدة الإله رع وإلى الآلهة بسايس ، وإعادة الأوضاع إلى سابق عهدها . وأمر جلالته بأن تقام كافة أعيادهم وتسير كافة مواكبهم كما كان فى السابق . لقد تصرف جلالته على النحو الذى فعله لأننى أحطت جلالته علماً بأمجاد سايس ، مدينة كافة الآلهة المتربعيين على عروشهم خالدين "(Posener: 1936, 7 - 16)

وتعتبر الأعمال التى أنجزها قمبيز فى وادى الحمامات وفى مختلف معابد مصر خير شاهد على نهجه السياسى فى احترام المعابد والشعائر القديمة . كما يتعارض دفن العجل أبيس فى العام السادس من حكمه مع ماتواتر إلينا عن كفر العاهل الأكمينى كما شاع فى المصادر اللاحقة . وإذا صحت المصادر الرئيسية التى أرخت لهذا العصر ، واستناداً لما رواه هيرودوت وكتيزياس ، وما ورد خاصة فى " قصة قمبيز " أو " حوليات چان نكيو "(Schwartz:1948) فإن سلوك " قمبيز " كان شديد الهمجية وغاية فى الوحشية ، إذ اغتال العجل أبيس فى منف ، كما أضاف إلى فعلته المنكرة هذه النفى الجماعى لمعارضيه ، إلخ ... ولكن من الواضح أن هذه النصوص قد اكتفت بنقل جوهر الدعاية الوطنية التى لم تعرفها أدبيات العصر الفارسى ، بل شاعت فى وقت لاحق بتعضيد من الإغريق فى أعقاب انتصارهم على الفُرس. فأخذوا يؤججون بعناية فائقة نار كل ما يسىء إلى ذكرى خصومهم القدامى .

وحاول قمبيز الثانى الاستيلاء على النوبة والواحات ولكن محاولته ذهبت أدراج الرياح . وربما كان الهدف من حملته إلى سيوة هو السعى وراء وحى آمون تثبيتاً له فى زعامة مصر وهو مافعله الإسكندر الأكبر فى وقت لاحق . وانتهت حملة قمبيز إلى سيوة بكارثة حيث فقد على مايبدو جيشاً جراراً يخيل لعلماء الآثار بين الفينه والفينة أنهم كشفوا عن بعض ماخلفه من أثر تحت رمال الصحراء ... وربما تدين الإدارة الفارسية فى

مصر بسوء سمعتها إلى " الستراپا " أو الحاكم " أرياندیس " الذى استمرت ولايته من ٥٢٢ إلى ٥١٧ . وبعد أن ارتقى " داريوس " العرش عام ٥٢٢ ، اضطر أن يتوجه بنفسه إلى مصر لخلع حاكمها قبل أن تشمل الثورة البلاد . ويبدو واضحاً أن السياسة التى انتهجها " أرياندیس " كانت من بنات أفكاره ، فقد سكّ النقود ووضع عليها صورته ، وبادر من تلقاء نفسه إلى الاستيلاء على قورينة فى أعقاب تمرد الليبيين ضد سادتهم الدوريين . كما لم يعط للعادات المصرية نفس مشاعر الاحترام التى أظهرها ملكه .

أمر داريوس الأول بإعدام " أرياندیس " وأحل " فيراندداش " محله ، واتخذ التدابير المناسبة لتهدئة النفوس . واستكمل حفر قناة نكاو الثانى لربط البحر الأحمر بالبحر المتوسط ليجنى أعظم فائدة من استغلاله لمصر وهى " الستراپية " (أى الولاية) الأكثر ثراء من بين الولايات التابعة له . كما كشف عن قيمة مختلف مدارس الفكر المصرى وهو ما ينبئنا به " أوجا. حور . رس . نيت " الذى اصطحب الملك إلى سوسة :

" أمرنى صاحب الجلالة داريوس ملك الوجهين القبلى والبحرى - فليحيا إلى الأبد - بالعودة إلى مصر لإعادة مؤسسة بيت الحياة (...) إلى سابق عهدها بعد أن خربت . وكان صاحب الجلالة فى غضون ذلك فى عيلام . وهو الملك الأعظم على البلدان الأجنبية والعاهل الكبير على مصر . وكان البرابرة قد نقلونى من بلد ليحطوا بى فى بلد آخر . وأنتهوا بى فى آخر المطاف إلى مصر كما أمر به سيد القطرين . ونفذت كل ما أمرنى به صاحب الجلالة . ودبرت مايلزم بيت الحياة من طلبة وكلهم أبناء علية القوم . ولم يكن بينهم أحد من أبناء عامة الناس . ووضعتهم تحت إشراف العلماء . (...) وأمر جلالته أن نوفر لهم كل ماهو طيب تيسيراً عليهم فى أداء أعمالهم . ومن ثم أمددتهم بكل مفيد وبمختلف المستلزمات الإضافية كما حددتها الأسفار فيما مضى من زمن . لقد صنع جلالته ماصنع قناعة منه بفائدة هذا الفن لحياة كل مريض وحفاظاً على بقاء اسم مختلف الآلهة ومعابدهم وماتغله الأوقاف من إيرادات والاحتفال بأعيادهم إلى الأبد **(Posener:1936,22)**

وأعاد داريوس إلى الأملاك الإلهية ماكانت تتمتع به من امتيازات ، وأمر بتشييد معبد " هيبس " فى الواحات الخارجة وإجراء الترميمات فى بوزيريس والكاب . وأعاد فتح محاجر وادى الحمامات بل وعُثر فى سوسة على تمثال نحت فى هذه المحاجر . كما شرع ينفذ إصلاحاً إدارياً وتشريعياً بعد إعداد مجموعة قوانين وضرب النقود

محلـياً . وخلف وراءه ذكرى ملك أجنبى ، ولكنه قريب كل القرب مما يشغل بال كل مصرى . ويمكن القول أن مصر فى ظل حكمه قد وضعت قدميها على أول الطريق إلى الرخاء . ولكن السياسة الخارجية تدخلت مرة أخرى لتغير مصير وادى النيل . فقد هزم الإغريقُ الفُرسَ فى معركة مارتون عام ٤٩٠ ودفعوا داريوس إلى تركيز اهتمامه على جبهة أخرى غير مصر . فانتهزت الدلتا الفرصة لتثور عام ٤٨٦ . وتوفى داريوس قبل أن يتدخل فـى مصر ، وخلفه " كسركسيس " علـى عرش مصـر وسـحق التمرد ، وعين أخـاه " أكمينس " على رأس " ستراپية " مصر فمارس فيها سياسة متشددة تخطت كل الحدود حتى أنه فى العصر البطلمى ، وبعد مرور زمن طويل ، ظل يشار إلى اسمه فى النصوص المصرية مقروناً بالمخصص الذى اقتصر استخدامه على الأعداء المهزومين . ولكن الأحداث تلاحقت . فخرج " أكمينس " عام ٤٨٠ على رأس السفن المصرية المائتين لمساندة الأسطول الفارسى ضد الإغريق وتعضيداً لأخيه . ولكن كسركسيس هُزم فى معركة سلاميس وتم اغتياله مما شجع المصريين على الثورة ، فانتشرت أعمالهم الثورية فى عهد خلفه " أرتكسركسيس " الذى ارتقى عرش فارس عام ٤٦٥ .

عندئذ شرع " إيناروس " (إرت إن حر إرو) فى خوض الصراع الذى أشرنا إليه من قبل . وينحدر " إيناروس " من الأسرة الملكية الليبية وهو ابن " پسمتك " الثالث . وجمع من حوله القوى الوطنية المبعثرة فى الدلتا وأعلن نفسه ملـكاً ، وأنـضم إليه الأمـير " أميرتايوس " ، وهو من ذرية ملوك سايس . واستطاعا سوياً أن يبسطا نفوذهما على كافة مناطق الدلتا ، وحتى منف . وأرسلت أثينا أسطولاً لدعم موقفهما فى مواجهة الفُرس ، ودارت رحى المعركة عند " پابريميس " . وقتل " أكيمينس " وزحف المتمردون على منف مع حلفائهم الإغريق . وظلت الحرب سجالاً إلى أن انتصر الفُرس وفرّ الإغريق واعتقل "أيناروس " فى جزيرة پروسوپيس ، وأعدم فى فارس عام ٤٥٤ .وحل "أرساميس" محل " أكيمينس " واليا على الستراپية مصر . وعقدت اليونان وفارس اتفاقية سلام فيما بينهما . وساد الهدوء مصر طوال جيل كامل . وفى هذه الآونة زار هيرودوت مصر فشاهد بلاداً بدا عليها البشر والرخاء . وثبت " أرساميس " أبناء " أيناروس " فى سلطتهم وامتنع عن أى تدبير قد يثير ثائرة المصريين فيجددوا ثورتهم . أما الموظفون المقيمون فـى مصر فـقد تأقلمـوا أكثـر فأكثر مع أسلوب حياة المصريين . بل ذهبوا إلى حد تمصير أسـمائهم .

خمدت نار الثورة ، ولكنها تأججت من جديد فى أعقاب القلاقل التى رافقت وراثة عرش " أرتكسركسيس " فى سوسة . وبعد أن تولى " داريوس " الثانى السلطة عام ٤٢٤ أحيى سياسة الوفاق التى سار عليها داريوس الأول . وكان من أهم منجزاته استكمال زخزفة معبد هيبس ، وقد أيدته الطائفة اليهودية فى جزيرة إلفنتين مما استفز التيارات الوطنية التى دمرت معبد الطائفة فى الجزيرة فى العام السابع عشر من حكمه . وأخذ الإغريق ، ولاسيما إسبرطة ، يشجعون مركز التمرد وقلبه فى سايس . أما حفيد " أميرتايوس " واسمه " أميرتايوس " أيضا كجده ،فقد واصل بدرجة أو أخرى مقاومته للفرس فى الخفاء ، ثم جاهر بثورته عام ٤٠٤ وتوج نفسه فرعوناً فى نفس عام وفاة " داريوس " الثانى ليؤسس الأسرة الثامنة والعشرين التى كان هو ملكها الوحيد. ولم تمرّ أربع سنوات إلاوكانت البلاد كلها حتى أسوان قد اعترفت بسلطانه ، وكان أفراد الطائفة اليهودية فى إلفتين هم آخر من اعترفوا به . ولم يحفظ لنا الزمن أيا من منشآته ، ولانعرف من الناحية العملية شيئاً عن حكمه الذى دام حتى عام ٣٩٨ . إن نجاح ثورته بسهولة وغياب أى رد فعل تقريباً من جانب سوسة يرجعان إلى المشاكل حول وراثة العرش التى مزقت الفرس فى أعقاب وفاة داريوس الثانى . ويروى لنا " كسينوفون " وقائع الصراع المرير الذى احتدم بين الأخوين أرتاكسركسيس وقورش الثانى . فيخبرنا أن تاموس زعيم المرتزقة الإغريق قد لجأ إلى مصر بعد أن مُنى قورش بالهزيمة ، ولكن فرعون مصر (الذى يدعوه خطأ پسمتك) أمر بإعدامه . وربما استعصى هذا المسلك على الفهم بالنظر إلى التحالف الطبيعى القائم بين المصريين والإغريق ضد الفُرس . فهل كان هذا مجرد دليل على حسن النية يقدمه لملك سوسة الجديد الذى كان يفتقر آنذاك إلى الوسائل العملية لإعادة احتلال مصر ، مما دعاه إلى ابداء استعداده لقبول حياد حذر ؟

مصر تسترد استقلالها

ومهما يكن من أمر فقد كان " أميرتايوس " الثانى فاتحة لآخر مراحل الاستقلال الوطنى الذى دام أقل من قرن من الزمن من ٤٠٤ وحتى ٣٤٣ . وتعاقبت خلال هذه الفترة أسرتان على عرش مصر : الأسرة التاسعة والعشرون التى دام حكمها عشرين سنة ، والأسرة الثلاثون التى دام حكمها ضعف مدة الأسرة السابقة . ولا نعرف الكثير عن ارتقاء " نفرتيس " الأول خلفاً " لأميرتاس " عندما تولى السلطة فى خريف ٣٩٩ . كما نجهل

المناصب التى شغلها من قبل ، وربما كان من القادة العسكريين . كانت منديس مسقط رأسه ولهذا السبب فهو يعتبر أن أجداده من الليبيين . ولا نعرف على وجه التحديد الظروف التى لازمت الانتقال إلى« أسرة جديدة ، ولا يوجد دليل على انتشار العنف عبر البلاد . وقد عثر على وثيقة واحدة هى بردية باللغة الآرامية محفوظة فى الوقت الراهن فى متحف بروكلن ، ويفهم من هذه البردية أن صراعاً مكشوفاً اندلع بين مؤسس الأسرة التاسعة والعشرين وسلفه . ويبدو أن نفرتيس قد اعتقل " أميرتايوس " وأعدمه فى منف وأقام عاصمة البلاد فى مسقط رأسه منديس . ويبدو اختيار منديس مقبولاً ومعقولاً لا سيما وأن الحفائر الحديثة التى يجريها متحف بروكلن بالاشتراك مع جامعة نيويورك قد أثبتت وجود نشاط معمارى " لنفرتيس " الأول فى هذا الموقع ، إلا أنه لم يتم العثور على الجبانة الملكية التى يفترض وجودها فى هذا المكان

وربما جرت مراسم تتويجه فى منف أو سايس لأسباب سياسية محض كما حدث بالنسبة لـ " نختنبو " الأول فى زمن لاحق (Traunecker : 1979, 420)

وقد أعلن من خلال ما اختاره من ألقاب عن تصميمه ، شأنه شأن " أميرتايوس " ، على خطة من العمل الوطنى تستند إلى نشاط ملوك الأسرة السادسة والعشرين . وكان الاسم الحورى الذى اختاره مماثلاً لاسم " پسمتك " الأول ولكن مدة حكمه كانت أقصر ، وأمجاده كانت أقل من أمجاد النموذج الذى سار على هدية . وقد حكم طبقاً لرواية مانتون ست سنوات ، وإن لم تصلنا أى وثيقة مؤرخة بعد العام الرابع من حكمه ، وكان له نشاط يصعب إهماله ، وتنتشر آثاره فى الشمال : فى تل تمىّ وتل الربع وتل الفراعين وفى منف وسقارة حيث دفن العجل " أبيس " فى العام الثانى من حكمه كما عثر فى أخميم على أثر للشعائر التى أقيمت لأحد تماثيله . ومن المفترض أن الفضل يرجع إليه فى البدء فى تشيد مخازن القرابين الواقعة إلى الجنوب من البحيرة المقدسة فى معبد آمون ــ رع بالكرنك ، وأيضاً الاستراحة أمام الصرح الأول والتى انتهى " أكوريس " من تشييدها .(Traunecker : 1979 , 423)

وعند وفاته فى شتاء ٣٩٤ / ٣٩٣ تصارعت فئتان متنافستان حول السلطة . وحسب رواية " الحولية الديموطيقية " انتصر الحزب الشرعى فى المرحلة الأولى. فتولى الحكم ابن "نفريتس" لعدة أشهر وهو المدعو "موتيس" طبقا لقائمة مانتون . وعارض سلطته "پساموتيس" أو "پاشيرى إن موت" ويعنى "إبن الإلهة موت"، فاستولى

على عرشه ووضع على رأسه تاج البلاد واختار لقبا للتتويج " أوسر " أى " قوى هو رع " و " صفى پتاح " . ولم يدم حكم المغتصب الذى لعنته " الحولية " على كفره سوى عام واحد ، تاركا العرش لـ " أكوريس " الذى محا فترة حكم سلفه بأن ضمها لمدة حكمه إذ بدأه بوفاة نفريتس الأول . ورغم قصر حكمه فقد خلف وراءه آثاراً فى الكرنك فى المقام الأول مواصلاً الأعمال التى بدأها نفريتس خلافاً لما كان منتظرا منه . كما سجل وجوده فى أخميم وإن لم تقم له الشعائر . وبناء على ذلك يفترض أن التقليد المتواتر قد اعتبره مغتصباً بالفعل ، أو أن خلفه قد استطاع أن يمحو مدة حكمه تماماً .

وعندما أصبحت لـ " أكوريس " اليد العليا فى البلاد أصبح شغله الشاغل تثبيت شرعيته مؤكدا على روابطه بنفريتس الأول ، سواء على سطوح المنشآت أو بما اختاره من ألقاب اندرج من خلالها فى إطار الخط السياسى للبيت المالك . إن إنجازاته هى إلى حدّ كبير برهان على نواياه . فهل يعتبر ماأبداه من همة بالغة فى إثبات شرعيته دليلاً على أصول غير موثوق فيها ، خلافاً لتأكيدات الفرعون الجديد عندما أطلق على نفسه لقب "وحم مسوت" أى " مجدد الولادات " ، على غرار مافعله أمنمحات " الأول " و "سيتى" الأول فى أزمنة سابقة ؟ وسيصفه " نختنبو " الأول بدوره بالمغتصب الذى أنتسب إلى " نفريتس " الأول . ونفتقر إلى الوثائق الدقيقة لفك الخيوط المتداخلة لوراثة العرش .وإذا أردنا توخى الحذر فالأحوط هو اعتبار أن " أكوريس" و "نختنبو" ينتسبان إلى فرعين ثانويين متخاصمين من البيت المالك يتنافسان على السلطة **(Traunecker: 1979, 432 sq)**

وأيا كان الأمر فإن سنوات حكمه الأربع عشرة قد شهدت تجديداً على المستوى القومى ظهرت آثاره فى استئناف أعمال الإنشاء الكبرى فى المعابد ، فأنهى برنامج التشييد الذى شرع فيه نفريتس الأول فى الأقصر والكرنك . وله أنجازاته فى معابد مدينة هابو والكاب والطود والميدامود فى مصر الوسطى وفى السرابيوم وأيضاً فى معبد"هيبس" فى الواحات الخارجة إلخ . ويترسخ هذا الانطباع بما عثر عليه من تماثيل وغيرها من أشياء تحمل اسمه بأعداد أوفر نسبياً من تلك التى خلفها أسلافه من ورائهم . كما أن اكتشاف بعضها فى فينيقيا ذاتها لخير دليل على انطلاقة جديدة على الصعيد الدولى ... ولكن ما أبعدنا الآن عن " تجديد الولادة " فى العصر الصاوى . أجل لقد عاد النشاط يدب فى المحاجر المنتشرة فى البلاد وازدهرت التجارة وعاد الوجود المصرى فى الشرق الأدنى . بيد

أنه لم يعد فى وسع مصر أن تتصدر شئون المنطقة ، واقتصر دورها على المشاركة غير المباشرة فى الصراع ضد الفُرس ، العدو الذى أشاع الرعب فـى عالم البحر المتوسط بمجمل شعوبه ، فاكتفت مصر بالوقوف إلى جانب المدن الإغريقية . ومـن ناحـية أخـرى رفـض الفُرس أن يتعامـلوا مع مصـر كـدولة ذات سيادة ، بل اعتبروها"ستراپية " أو ولاية متمردة . ومن ثم قرر نفريتس الأول عام ٣٩٦ أن يمدّ اسبرطة بالمؤن الغذائية ومختلف المواد مساهمة منه فى المجهود الحربى ضد العدو المشترك . وللأسف فقد سقطت الشحنة فى أيدى أهل رودس الذين كانوا قد أعلنوا انحيازهم إلى جانب الفُرس . وكانت هذه الشحنة هى الإسهام الأخير الذى شاركت به مصر فى المعـارك ولو بطريقة غير مبـاشرة.

تغير ميزان القوى فى البحر المتوسط فى أعقاب انسحاب اسبرطة من آسيا الصغرى تدريجيا فى أعقاب معركة كنيدا البحرية عام ٣٩٤ وخاصة بعد هزيمة عام ٣٩١ ودخول أثينا معترك الصراع إلى جانب قبرص عام ٣٩٠ / ٣٨٩ . ولم يطرأ أى تغيير بالنسبة لمصر اللهم سوى استبدال شريك بآخر . بل كان هذا التغيير لصالح مصر ، إذا أخذنا بعين الاعتبار أن ثورة أفاجوراس ملك قبرص ضد " الملك العظيم " قد أدت إلى تمركز قواته بعيداً عن ضفاف النيل . وعقد أكوريس معاهدة مع أثينا عام ٣٨٩ .وبذلك استطاع أن يتفرغ لتنظيم قواته . ودامت الفسحة من الوقت حتى عام ٣٨٦ عندما عقد صلح "أنتالقيداس" الذى أتفقت المدن الإغريقية بمقتضاه على أن تضع حداً لحروبها مع "ارتكسركسيس " الثانى فخفت عن كاهله مسئوليات الجبهة الأوروبية ، ومن ثم اسطاع الستراپا" فرنباز " أن يتجه إلى مصر التى ظلت هى وقبرص تقفان فى وجه بسط السيادة الفارسية .

تحمل " أكوريس " وحده عبء الصدام مع القوات الفارسية التى حاولت طوال ثلاث سنوات من ٣٨٥ وحتى ٣٨٣ أن تكسر شوكة مصر . ولكن مصر كانت أفضل تنظيما مما كانت عليه فى الجيل السابق . كانت قواتها من قبل منقسمة على نفسها ، أما الآن فإنها تلتف حول سلطة واحدة ، وأصبح الأسطول المصرى أقوى أساطيل عصره . وكان الجيش المصرى يتمتع بمساندة أفضـل القوات الإغريقـية بتشجـيع من زعـماء الجمـاعات المعـادية للفرس ، كما كانت تحت قيادة " خبرياس " القائد الأثينى الذى أقام التحصينات الدائمة على مقربة من الفرع البلوزى للنيل . ولم تُمن جميع المحاولات الفارسية بالفشل فحسب ، بل نجح المصريون فى العودة إلى الشرق الأدنى . وبينما اشتبكت فارس مع مصر استغل "إيفاجوراس " هذا الوضع ليبسط سيطرته على البحر المتوسط ويصل إلى صور .

وإذ نصل إلى عام ٣٨١ يقرر الفُرس أن يركزوا جل جهودهم على قبرص .كانت قوات تريبازيوس وأورونتوس متفوقة عدداً عندما وقع الصدام بينها وبين أيفاجوراس، ولكنها لم تحقق مع ذلك نجاحا يذكر . لقد استطاع إيفاجوراس أن يمنع تموينها عن طريق البر بهدف تجويع الجيش الفارسى لدفعه إلى التمرد . ولكنه كان أقل حظاً فى البحر ، فقد وقعت المعركة بينه وبين الأسطول الفارسى تجاه شاطىء كيتيون فأحرز بعض النجاح فى بداية الأمر ، ولكنه اضطر إلى الانسحاب إلى سلاميس بعد أن فقد القسم الأكبر من قواته . وطارده أورنتوس وحاصر المدينة ، واستطاع " إيفاجوراس " الفرار واتجه إلى بلاط ملك مصر طمعاً فى المساعدة . وكان " أكوريس " قد سبق له أن زوده بمساعدات ضخمة من سفن وقوات ومؤن ،إلا أنه رأى أن قضيته خاسرة هذه المرة .فعاد "إيفاجوراس" إلى سلاميس بخفى حنين وكان كل ماحصل عليه هو مبلغ صغيرمن المال فاضطر إلى الدخول فى مفاوضات مع المنتصر واستغل النزاعات التى نشأت بين " أورونتوس " و"تريبازيوس " ليتوصل إلى معاهدة سلام لا استسلام ، واضعاً حداً لعشر سنوات من الحروب .

ونصل إلى صيف ٣٨٠ ، حيث الفُرس يخططون بالفعل لإعادة السيطرة على مصر بعد أن حصلوا على كل مايمكن الحصول عليه من المدن الإغريقية والجبهة الغربية . وجاءت وفاة " أكوريس " لتهىء الظروف لذلك لاسيما بعد ظهور مشكلات وراثة العرش . فسرعان ماخلع " نختنبو بن تاخوس " الملك نفريتس الثانى بن أكوريس وهو ماأشرنا إليه من قبل . وكان " نختنبو " الأول قد أعلن نفسه ملكاً منذ أشهر قليلة ، مؤسساً أسرة ملكية جديدة فى سبنيتوس (سمنود حاليا) . صحيح أن هذه الأزمة كانت قصيرة الأجل فى حقيقتها ، إذ سرعان ماتمكن نختنبو الأول من بسط سيطرته على طول البلاد وعرضها مع حلول نوفمبر ٣٨٠ . ولكن إذا اضفنا إلى هذه الأزمة عزلة فرعون السياسية ، فإن الظروف تصبح مهيئة لحدوث ثغرة خطيرة فى دفاعات مصر . وبقى الخطر الأخير متمثلا فى القائد العسكرى "خبرياس" الذى عاون نختبو فى تدعيم عرشه إلى أن توصلت سوسة الى استدعائه من جانب أثينا خلال شتاء ٣٧٩/٣٨٠. ولم تقف الأمور عند هذا الحد بل أرسلت الحكومة الأثينيه الى " الملك العظيم " الاستراتيجوس " ايفيكراتوس " وهو من أعظم قوادها للإشراف على القوات الإغريقيه المعاونة فى الجيش الذى جمعه "الملك العظيم" للزحف على مصر . واستغرقت هذه الاستعدادات ست سنوات بالنظر الى تعطلها من جديد بسبب الخلافات التى دبت فى القيادة العليا بين الإغريق والفُرس وفى

صفوف الفُرس انفسهم . ولم تغادر قوات " الملك العظيم" شمال فلسطين إلا فى ربيع عام ٣٧٣ بحرا وبرا بمحاذاة الشاطئ .

وصل الأسطول الذى كان يشكل أساس القوات الإغريقية أولا ، وعدّل من خطته الأصلية القاضيه بالوصول الى مصر عبر الفرع البيلوزى للنيل بعد ان تمكن نختنبو الأول من تدعيم دفاعاتــه الطبيعيــة بدفاعــات صناعيه حيث شيــد سلسلة مــن الحصون والأشراك . واختــار " ايفيكراتوس " و " فرنباز" أن يجربا حظهما عند الفرع المنديسى بالنظر الى ضعف دفاعاته. ونجحت الفكرة ، ووقعت بعض المناوشات واصبح الطريق الى منف مفتوحا. ولم ينقذ المصريين من هزيمة مؤكدة سوى مشاعرالارتياب المتبادلة التى تفشت بين الإغريق والفُرس . كان "ايفيكراتوس" يود الاستفادة مما حققه من مكاسب للزحف على الفور ودون تأخير على منف التى يعلم ان دفاعاتها ضعيفة . بينما خشى فرنباز ان يستغل الإغريق الظروف للاستيلاء على مصر لحسابهم الخاص وفضل الانتظار لحين وصول الجانب الأكبر من القوات الفارسيه . وسمحت هذه المهلة لفرعون ان يستنفر قواته وان ينقض على الغزاة . ومما ساعده على إنزال هزيمة محققه بقوات " الملك العظيم" حسن درايته بالمكان ، وما قدمه النهر من عون كبير عندما حول فيضان النهر أراضى الدلتا الى مناقع ومستنقعات شاسعة ، اذ كان الوقت هو الأيام الأخيرة من شهر يوليو .

الأسرة الوطنية الأخيرة

تخلصت مصر من محاولة جديدة لغزوها ، وضمنت ان تعيش فى سلام لفترة زمنيه طويلة نسبيا ، إذ لن يعاود الفُرس محاولتهم غزو مصر قبل مرور ثلاثين سنة ، وفى عام ٣٤٣ على وجه التحديد. كماأدت هزيمة فرنباز الى القطيعة التامة مع " افيكراتوس" الذى عاد الى أثينا خوفــا من التــدابير الانتقامــية وعيــن قائدا على الأســطول عام ٣٧٣ ... فكانت خسارة كبيرة لحلفائه القدامى . وحتى عام ٣٦٦ عاشت مصر فى عزلة فى وجه بلاد فارس . فقد غلّ "الملك العظيم" أيدى المدن الإغريقية فى حين أخذت خيوط الأحداث تتجمع لتفضى إلى محاولة جديدة لغزو وادى النيل . وكانت الأمبراطورية الأكمينية تعانى من اتساع رقعتها . وساعد نظام الستراپيات أو الولايات السائد فى الإمبراطورية على مضاعفة شدة تيارات قوى الطرد المركزية. وكلما تقدم "أرتكسركسيس" الثاني فى السن ، ظهر عجزه عن لم شمل أقاليم الإمبراطورية وأخذت الروابط التى

توحد بينها تتراخى . وجنحت كبادوكيا ثم كاريا وأقاليم الامبراطورية الحدودية نحو وضع أشبه بالحكم الذاتى مع حلول عام ٣٧٠ قبل الميلاد . كما كان إقليم كبادوكيا أول من تمرد بشكل سافر عام ٣٦٨، ثم تبعه إقليم فريجيا وحل الدور أخيرا على اسبرطة وأثينا. وهكذا بدا وكأن الأقسام الغربيه من الامبراطورية من أرمينيا وحتى فينقيا على وشك الانفصال . وفى أقل من خمس سنوات كانت ثورة " الستراپيات الكبرى " - قد بلغت أوجها . ولكن الوقت كان لا يزال مبكرا للحديث عن انهيار الامبراطورية . واستغلت مصر هذه المهلة التى اتيحت لها للتفاوض مع الستراپيات الثائرة وأمدت بعضها بالمال بعد أن أعادت اتصالاتها منذ عام ٣٦٦ بكل من اسبرطة وأثينا .

ومنذ عام ٣٦٥ اشرك " نختنبو " الأول معه فى الحكم إبنه "تاخوس" (تايوس) الذى شارك بنصيب كبير ونشط فى الثورة ضد "الملك العظيم " ، باسم والده أولا ، ثم لحسابه الخاص عندما انفرد بالحكم من ٣٦٢/٣٦٣ الى ٣٦١/٣٦٢ . بل وقام بغزو سوريا وفلسطين بمساعدة اثنين من المحاربين القدماء الميديين ، أولهما " اجيسيلاوس" ملك اسبرطة العجوز الذى قدم إلى مصر فى اواخر عام ٣٦٢ رغمم بلوغه الثمانين من عمره ولكنه أصبح على رأس فرقة من ألف من المشاة الأشداء المسلحين تسليحا ثقيلا . والثانى هو "خبرياس" شيخ المحاربين وقد حضر لقيادة الأسطول . إن مجهودا حربيا كهذا كان من المحال تصوره قبل جيل من الزمن . فأصبح ممكنا من جديد بفضل سياسة نختنبو الأول السديدة الذى استطاع أن يعيد إلى البلاد شيئا من رونقها الذى أراده صورة مستعارة من العصر الصاوى . ونلحظ أثر ذلك فى الإنتاج الفنى والأدبى لهذا العصر وهو انتاج غزير رفيع المستوى . كما قام فرعون مصر بأعمال التشييد أو الترميم أو التجميل فى معظم معابد مصر . ونذكر له على وجه التحديد ترميم أسوار معابد الكرنك وتشييد الصرح الأول لمعبد " آمون " . كما أسس معبد " ايزيس" فى جزيرة فيلة فى وضعه الأول . وأنجز بعض الأعمال فى الكاب وهرموبوليس ومنف ، وفى الدلتا: فى صفط الحنة وتانيس . ولم تقتصر سياسته الدينيه على أعمال التشييد ولكنه منح الإعفاءات الضريبيه للمعابد وحبس عليها الأملاك ، ونذكر على سبيل المثال معبد ادفو ومعبد الإلهة" نيت" فى سايس .

بدأ " تاخوس" استعداداته العسكريه تحسبا للحرب فى الأشهر الأولى من عام ٣٦٠ ، فشكل قواته الخاصه من المرتزقه ،واتخذ تدابير صارمة لجمع الضرائب حتى تمتلىء

خزائنه بما يكفى لضرب النقود اللازمة لدفع أجورالمرتزقة الإغريق الأمر الذى اثار استياء الجماهير واستغله خصومه ليوجهوا له نقداً مريراً . وفى عام ٣٦٠ توجه الجيش المصرى براً وبحراً بمحاذاة الساحل إلى فينيقيا وتولى تاخوس قيادة جيوشه مصطحبا معه إبن أخيه "چاهيبيمو" الذى تولى السلطة نيابة عنه أثناء غيابه . وعهد تاخوس إلى ابن أخيه هذا - الذى سوف يعرف فيما بعد بالملك نختنبو الثانى - بقيادة مرتزقة جيشه . وكادت الحملة تنجح عندما أعلن " چاهيبيمو " ابنه نختنبو ملكا ، مستغلا الاستياء العام الذى عم البلاد ضد تاخوس ، وتحول ولاء الجيش فى الحال إلى جانب قائده الشاب الذى نال تأييد ومساندة " اجيسيلاوس " بعد أن استشار اسبرطة. وفر تاخوس هاربا ... واحتمى " بالملك العظيم " . وعاد خبرياس إلى أثينا وتصدى أمير منديس وحده للمغتصب ، ربما دفاعا عن مصالح الأسرة التاسعة والعشرين الذى كان ينتسب اليها على مايبدو . وأيا كان الأمر فقد اضطر " نختنبو " الثانى الى أن يتخلى عما أصبح يعرف فى التاريخ بآخر محاولة غزو يقوم بها فرعون مصرى فى الشرق الأدنى ، وعاد إلى مصر ليواجه التمرد الذى اخذ يهدد سلطانه . وتغلب على خصمه فى خريف عام ٣٦٠ بفضل مهارات "أجيسيلاوس " العسكريه . وبعد أن جمع ملك إسبرطة العجوز الأموال اللازمه لمدينته ، رحل عن مصر تاركاً نختنبو سيد البلاد دون منازع .

وخلال حكم " نختنبو " الثانى الذى دام ثمانى عشرة سنه شيد ورمم الكثير من المعابد ، ففاقت أعماله منجزات نختنبو الأول المعمارية. وواصل أيضا المزايدة على أسلافه إرضاء للكهنة الوطنيين الذين أصبحوا أكثر من أى وقت مضى أكبر المستفيدين من نظام يمثلون قيمه الوطنية الوحيدة فى مواجهة عالم من الأجانب أخذت أعدادهم تتزايد بشكل مستمر ، ويتولون فيه رسم سياسة البلاد . واستهل حكمه بإقامة مراسم دفن العجل أبيس فى منف كما حث على انتشار شعبية العجل "بوخيس" كأقنوم حيوانى آخر - خارج مدينته أرمنت . وشأنه شأن نختنبو الأول ، قام بتشجيع مختلف العبادات . وحفظ لنا الزمن اكثر من مائة شهادة على أنشطته المتعددة المتصلة بمعابد مصر فى مجموعها . ومع ارتقاء نختنبو الثانى العرش أخذت أوضاع الامبراطورية الفارسية الداخلية تتطور تطورا حثيثا . وقبيل وفاة " ارتكسركسيس " الثانى ، أى فى الشهور الأولى من عام ٣٥٩ ، بدأ "اوخوس " الذى سيحمل لقب " ارتكسركسيس " الثالث عند ارتقائه العرش يعد العدة لحملة عسكرية كان الغرض منها إعادة السيطرة الفارسية على سوريا وفلسطين ، وكانت آثار الحملة المصرية مازالت ماثلة فى الأذهان . فهل كان ينوى

مواصلة زحفه حتى يدخل مصر ؟ أيا كان الأمر فإن الظروف لم تسمح له بتحقيق ما انتواه . حيث اضطرته وفاة " الملك العظيم " إلى أن يعود إلى العاصمة . وفيما بعد واجه مهمة إعادة ترتيب أوضاع الامبراطورية ومواجهة الاضطرابات التى اندلعت فى اقاليم آسيا الصغرى ، مما دفعه إلى البقاء فى العاصمة حتى عام ٣٥٢ . وهكذا كاد ينجح فى إعادة قوة فارس إلى سابق عهدها . وعلى الرغم من تأثير مقدونيا المتزايد فقد استطاع أن يفرض سيطرته من جديد على آسيا الصغرى ، ولم ينقصه سوى إعادة فتح مصر وضمها إلى إمبراطوريته بعد أن زالت عنها حماية الأحلاف . وتفرغ لهذه المهمة فى شتاء ٣٥١ / ٣٥٠ ، فخرج شخصياً على رأس جيشه لغزو مصر ولكن حملته منيت بالفشل .

وتجاوزت نتائج هذه الهزيمة الصعيد العسكرى إلى حد بعيد . فقد استخلصت المدن الإغريقية وعلى رأسها مقدونيا من هذه الأحداث ضرورة إحياء الحلف المقدس ضد " الملك العظيم "بعد أن تقوضت صورته كقائد لا يقهر. وحدث التصدع الأول فى فينيقيا فثارت صيدا وأخذت تتسلح وتحالفت مع مصر ، وامتدت حركة التمرد إلى قبرص وسادت القلاقل كيليكيا. وبدأ اليهود يعدون العدة للثورة.... وكان فى مقدور مصر أن تتزعم اتحادا يوحد بين الأقاليم الثائرة ، ولكن نختنبو اكتفى بإمداد صيدا بأربعة آلاف من المرتزقة الإغريق فى عام ٣٤٦ عندما انطلقت قوات " ارتكسر كسيس " من سوريا وكيلكيا صوب المدينة . وحقق الثوار انتصارهم الأوحد واستسلمت قبرص عام ٣٤٤ ، وصمدت سلاميس بزعامة "بنيثاجورس" وظلت محاصرة . واعتبارا من نفس هذه السنة بدأ أرتكسركسيس الثالث يجند المرتزقة من المدن الإغريقية ليضمهم إلى جيشه فى حربه على مصر ، ولم يجد عناء يذكر أثناء زحفه على صيدا. كان أهالى صيدا قد تسلحوا تسليحا جيدا ووقفواعلى أهبة الاستعداد لخوض المعركة ، ولكن الخيانة كانت لهم بالمرصاد فجاءتهم من الجالس على عرش المدينة ، حيث قام تيناس ملك صيدا بتسليم أهم زعماء المدينه إلى ارتكسركسيس الثالث الذى تحول ضده وأعدمه . وكان أهل صيدا قد أعدوا العدة لخوض حرب مقاومة بطولية ضد المعتدى ، فلم يترددوا فى إشعال النار فى أسطولهم لقطع خط الرجعة أمام المدافعين عن المدينة ، مفضلين الموت وسط الحرائق التى اشتعلت فيها وأحرقت منازلهم . وبلغ عدد ضحايا تدمير صيدا وتخريبها ونهب ممتلكاتها أربعين ألف قتيل ، مما دفع المدن الفينقية الأخرى إلى الاستسلام ، كما استسلم " بنيثا جورس " أيضا عام ٣٤٣ . واستطاع " ارتكسركسيس " الزحف على مصر فى فصل الخريف من نفس العام ، وكان على رأس جيش تولى قيادته أعظم قواد هذا العصر ومن بينهم الاستراتيجيان " باجواس " و " منتور " من رودس .

كان " نختـنبو" الثانى من جانبه قد أعد العدة للمقاومة بالاعتماد على المنشآت الدفاعية المقامة على الفرع البلوزى للنيل ، وبلغت قواته مائة ألف مقاتل منهم أربعون ألفا من المرتزقة موزعين مناصفة بين الليبيين والإغريق . ولكن الفُرس كانوا على دراية بتفصيلات هذه التحصينات بواسطة قدامى المحاربين الذين شاركوا فى حرب ٣٥٠ . كما أحسن الفرس اختيار أنسب فصول السنة لهم حتى لايتكرر ماحدث عام ٣٧٣ عندما فاض النيل وقدم يد العون للمصريين. وكان الجيش الفارسي موزعا فى عدد من الفرق تحركت معا وفى آن واحد للاستيلاء على بلوزيوم والزحف على الدلتا وأسر الفلاحين واستخدامهم مرشدين أثناء تقدمه . ولم يتفتق ذهن " نختنبو" الثانى عن عبقرية عسكرية تماثل ماعرف عن جنرالات الإغريق . ولسوء حظه لم يسعفه إلهامه ويرشده إلى إسناد قيادة العمليات العسكريه إليهم ، فاضطر إلى التقهقر والانسحاب إلى منف . واستغل الفرس النزاعات التى تفجرت بين الحاميات الإغريقية والمصرية بعد الهزيمة التى نزلت بالمصريين ليستولوا على بوباستس . وفى أعقاب استسلام المدينة استسلمت غيرهامن المواقع المحصنة . وفى منف أيقن نختنبو الثانى بعدم جدوى المقاومة وقرر أن يترك المدينة ويفر هارباً صوب الجنوب بعيداً عن متناول القائد المنتصر . ومن الواضح أنه تمكن من الإفلات منه ليحتفظ لمدة عامين على الأقل بقدر من السلطة ، اذ وصلتنا وثيقة من إدفو مؤرخة بالعام الثامن عشر من حكمه. ومن المتفق عليه بين جمهور المتخصصين أنه لجأ عند أحد أمراء النوبة السفلى الذين عاصروا "نيستاسن " من ملوك نپاتا. ويحتفظ متحف برلين بلوح حجرى لهذا الملك ، اتفق البعض على قراءة إسم " خباباش " مدونا على سطحه ، وهو، على مايعتقد ، الفرعون الذى خلف نختنبو لمدة قصيرة فيما بين ٣٣٨ و٣٣٦ . ولا نعرف الكثير عن هذا الفرعون الذى اقتصرت سلطته على مايبدو فى الحق السيادى المترتب على حمل الألقاب الملكيه . ونلحظ ذلك بمناسبة دفن العجل أبيس فى منف وهى المناسبة التى كانت تتفق مع العام الثانى من حكمه بالإضافة إلى بعض الوثائق القانونية . وإذا صح أن خباباش والمدعو " كامباسوتن " الذى كان "نيستاسن " على خلاف معه ، هما شخص واحد ، فمن المحتمل أن خباباش هو أمير من أمراء النوبة السفلى نصب نفسه مسئولا على مصالح نختنبو الثانى بعد وفاته على الأرجح ،استنادا إلى أنه أعلن نفسه فرعونا. ويروى التقليد البطلمى المتواتر أنه تزعم نشاطا معاديا للفرس فى الدلتا وان هذه المقاومة استمرت حتى شتاء ٣٣٦ / ٣٣٥ .

ونفتقر الى الوثائق الموثوق بها كى نصدر حكماً إيجابياً . فكل ما يمكن قوله أن هزيمة "نختنبو" وفراره قد وضعا نهاية لاستقلال مصر ، ولا يغير من الأمر شيئاً استمرار

المقاومة الوطنية حتى ٣٣٦ / ٣٣٥ تقريباً . أما المنتصر فقد دك حصون المدن الرئيسية فصارت أثرا بعد عين ، ونهب المعابد وأجبر الكهنة على إعادة شراء أدوات الشعائر بأسعار مرتفعة ... ولكن من المستبعد أنه ارتكب التجاوزات التى تدّعيها التقاليد اليونانيه المتواترة ، فالتلفيق واضح حيث نُسخت التجاوزات المختلفة على أساس تلك التى نسبت فى وقت سابق إلى " قمبيز " . ونذكر منها قـتل العـجل أبيس وكبش منديس السخ ... بل نعتقد أنه اكتفى بتعيين الستراپا "فيرانداش" واليا على مصر وهو سميّ الستراپا السابق الذى عين فى عهد " داريوس " الأول ، وأنه قفل بعد ذلك عائدا إلى عاصمة ملكه التى عادت لتصبح دون جدال مركز إشعاع الأكمينيين . وفقدت مصر ارادتها الحرة وارتبط مصيرها من الآن فصاعدا بمصير الإمبراطورية .

سيد العالم الجديد

استرد الفُرس هيمنتهم ، إلا أنها لم تدم إلا أقل من عشر سنوات فى حين كان من المتوقع لها أن تدوم طويلا . ودس " باجواس " السم " لأرتكسركسيس " ولجميع افراد عائلته خلال صيف عام ٣٣٨ ، وأعلن " أرسيس "ملكاً خلفا له وهو مازال شابا فى مقتبل العمر . ولم تمض بضع أسابيع إلا وكان فيليب الثانى المقدونى قد انتصر فى معركة "خيرونيا " ليوحد من حوله كافة القوات اليونانية فارتبكت أوضاع الإمبراطورية وسادها الغموض حتى عام ٣٣٦/٣٣٥ ، ومن المحتمل أن خباباش قد قام بثورته فى هذه الفترة . وفى صيف ٣٣٦ لقى أرسيس نفس مصير سلفه وتولى السلطة من بعده " داريوس " الثالث كودومان . وحكم مصر كفرعون مصرى طوال السنتين المتبقيتين فى حياة الإمبراطورية الأكمينية. ففى ربيع ٣٣٤ عبر الأسكندر مضيق الهيليسبونت (الدرنيل حاليا)والحق الهزيمة بعدد من الستراپا وهزم "داريوس" نفسه فى موقعة إسوس فى فصل الخريف من نفس السنة . وفى غضون ذلك أصبح "مازاكيس" ستراپا على مصر بعد أن انقذ البلاد من قبضة " امينتاس " . وفى خريف عام ٣٣٣ سلم "مازاكيس" مصر " للإسكندر" دون معارك ، واعترف به وحى آمون سيدا جديدا على العالم .

خاتمـــة

كان فتح " الإسكندر " لمصر هو الحد الذى رسمته لنفسى كنهاية لهذه الإطلالة على التاريخ الفرعونى. فعندما حطّ أهل مقدونيا الرحال على ضفاف وادى النيل زالت مصر كدولة ذات سيادة من الناحية السياسية وان استمرت تلعب دوراً فى الساحة الدولية . ولكن عالم الشرق الأدنى والبحر المتوسط الذى بدأت تتحرك فيه مصر أصبح عالماً فقد حريته واستقلاله . فمع ظهور الإسكندر وقادته العسكريين وقياصرة روما - سادة العالم الجدد - انتقل مركز ثقل العالم صوب الغرب . إنهم الغزاة الجدد لبلد ظل مفتوحاً منذ بداية الألف الأولى قبل الميلاد ليتعاقب عليه الليبيون والإثيوبيون والفُرس . ولم يعد ضياع المبادرة السياسية شيئاً جديداً على سكان وادى النيل ، ولكن الفُرس وحدهم هم الذين حرموا الفراعنة استقلالهم ، واكتفى الأخرون بتسخير الهوية الوطنية لما فيه مصلحتهم . هذا مافعله أيضاً البطالمة و الرومان وإن يكن فى الظاهر فقط . فقد أبقوا على بنية المجتمع كما هى ، فى حين نقلوا قواعد اللعبة عن حضارتهم الخاصة وظلوا ينظرون إلى أنفسهم باعتبارهم الضامنين لاستمرارية خليفة رع ، وضاعفوا من بناء المعابد والمؤسسات الدينية . وهكذا ظلوا طوال ثمانية قرون يتسترون وراء قناع الفراعنة .

هل يكفى ضياع الاستقلال والسيادة للقول بحدوث انقطاع من الناحية التاريخية ؟ فى الواقع يمكن الأخذ بالرأى المضاد : فالقول بأن تاريخ مصر منذ وفاة " الإسكندر " هو تاريخ العالم الإغريقى شى ، والقول بضياع هوية البلاد شيء آخر . فهل فقدت مصر هويتها حقاً ؟ عندما فتح " الإسكندر " مصر واجه نفس المشكلة التى واجهها الفُرس من قبله ، إذ وجد نفسه يحكم إمبراطورية مترامية الأطراف يستحيل توحيد قوانينها ، فكان لابد من تحوير سلطته فى كل بلد حسب البُنى الوطنية المحلية . لتتخذ فى مصر شكل الحكومة الثيوقراطية . وهكذا لجأ إلى المؤسسة الوحيدة الكفيلة بمساندة سلطته كما ساندت سلطة الفراعنة من قبل : وهي مؤسسة الكهنة .

لقد سجلنا صعود نجم سلطة الكهنة على امتداد الألف الأولى قبل الميلاد . واقترن ذلك بتوطيد التنظيم القومى للكهنة المحليين ، فواجه الغزاة الجدد عند فتح مصر مؤسسة حقيقية خاضعة لمراتب هرمية صارمة فلم يكتفوا بالتعامل معها ، بل قاموا بتدعيمها ونظموا لها المجامع السنوية حيث يلتقى الملك وكبار الموظفين مع الكهنة يتبادلون الرأى حول التوجهات السياسية الأساسية فى البلاد . وتنعكس أصداء هذا المجمع على المجامع

الفرعية الإقليمية فتكفل للملك أن يسوس الجماهير الشعبية فى يسر وهى الجماهير التى اعتادت أن تخضع على الدوام للسلطة الدينية . ومن الأدلة غير المباشرة على حسن سير هذه التسوية التى أجمعوا عليها أن الكهنة لم ينجحوا فى الحفاظ على نفوذهم وسط الناس فحسب ، بل استطاعوا أيضاً أن يستردوا عام ١١٨ ق. م. حق الانتفاع بالأملاك الإلهية التى صادرها المحتل فى أعقاب الفتح . وظلوا يحتفظون بهذه الامتيازات إلى أن سلبهم الرومان استقلاليتهم ووضعوهم تحت إشراف " الإيديولوجوس " كمشرف عام عليهم، فكان له اليد الطولى على أداء مختلف شعائر وادى النيل . ومعنى ذلك أن الكهنة تمكنوا من استرداد نفوذهم الغابر قرناً من الزمن . يشهد على ذلك ضخامة برنامج إنشاءات البطالمة الدينى ، فقد أعيد تشييد أكبر المعابد فى ظل حكمهم أو أدخلت عليها التوسعات فى طول البلاد وعرضها ابتداء من فيلة وحتى الدلتا . وعندما يتجول الزائر بين هذه العمائر أو فى كبريات المدن التى يشاهدها على امتداد الوادى والمناطق شبه الصحراوية والجارى الكشف عنها ، يخرج بانطباع عن وجود فيض من الإنشاءات مساوٍ لما شيد فى العصور السابقة على أقل تقدير .

واذا اتفقنا على أن المعابد هى الأمينة على الثقافة ، والحافظة لها ، وأنها مراكز إشعاعها ، حق لنا أن نعتبر العصر اليونانى الرومانى بكل تأكيد استمرارا للعصور السابقة . ويكفينا فى هذا الصدد أن نشاهد معبد "حتحور" فى دندرة . وتغوص الأصول الأولى لإنشاء المعبد فى غياهب الماضى ، وتختلط مع أصول الحضارة ذاتها . أما المعبد فى وضعه الحالى فقد بدىء فى إعادة تشييده فى عهد بطليموس الثانى عشر " الزمار" ولم يفرغ منه إلا فى عهد الإمبراطور الرومانى "انطونينوس- بيوس" (الورع) . ويبلغ تنظيمه المعمارى وزخرفته حد الكمال من حيث التزامه بالمعايير المقدسة . ويمكن اعتباره هو وغيره من المعابد التى شيدت فى العصر اليونانى والرومانى نماذج للمعبد المصرى . ان الثقافة التى شاعت فى أحرام هذه المعابد كانت مطابقة لنموذجها الكلاسيكى شأنها شأن العمارة. فاللغة التى دونت بها نصوص الطقوس الدينيه أقرب إلى لغة الدولة الوسطى منها إلى لغة الحديث فى عصر تدوينها . ولكن هذا التصميم على الوصول إلى نقاء الأصول وصفائها قد تحول إلى جمود وتحجر. وتشبث الكهنة بأبحاث عقيمة عن الفرائض الشعائرية أدت إلى التعلق بتفصيلات وتعقيدات كادت تصل إلى حد السفسطة البيزنطية . وجاء الإنتاج الفنى أيضا ترجمة لهذا الفارق العميق بين خيال الفراعنة والحياة اليومية . لقد تحجر الفن الدينى فى جمود تعبيرات الماضى ، فى حين تأثر

التصوير الرسمي بالنموذج الإغريقي . اما الفن الشعبي فقد قطع شوطا أكبر في عملية المزج والخلط ، فطور الإيقونغرافيا المركبة لأكبر العبادات انتشارا والتي سوف تسود العالم الروماني ، ونذكر منها عبادة "ايزيس" و " سرابيس" . وهكذا ظهرت بالتدريج حضارة أخذت تنهل اكثر فأكثر من التراث المشترك لعالم البحرالمتوسط وتبتعد في نفس الوقت عن حضارة الفراعنة . وقد فرضت هذه الحضارة الجديدة نفسها على مر القرون على المنطقة من بابل إلى روما .

وقد سبق لمثل هذا المجتمع المتعدد الأجناس أن ظهر وترعرع في مراكز تجمعات الإغريق التي نشأت في مصر منذ القرن السادس قبل الميلاد . وجاء تأسيس الإسكندرية للإسراع في هذه النزعة إذ أراد لها الفاتح المقدوني أن تصبح القطب الثاني في امبراطوريته الشاسعة ، واستفادت العاصمة الجديدة من دورها السياسي والتجاري لتتصدر أهم المراكزالثقافية في عالم البحر المتوسط وفي نقطة التقاء الشرق والغرب . وأصبحت الإسكندرية محط القوافل التي تنقل منتجات الهند الواردة عبر الخليج الفارسي من "جرجا" القصية مرورأ بپترا ، وأيضا المنتجات التي تربط مصر بآسيا الصغرى وطرق تجارة الحرير من خلال "دورا اوروبوس " والمدن الفينقيه المطلة على البحر . كما أصبح وادي النيل أكثر من أي وقت مضى معبرا للقوافل إلى افريقيا عن طريق " سويني " (أسوان) والواحات ، وإلى البحر الأحمر عبر الدروب التقليدية والوصلة الجديدة بين ميناء برنيكي وكوپتوس وبطلمية في مصر الوسطى . وكلها إنشاءات يغلب عليها الطابع الإغريقي رغم أسمائها المصرية . فالإسكندرية هي البوتقة التي انصهرت فيها إسهامات الشرق هذه مع تلك التي قدمها الغرب من خلال كبرى الطرق البحرية من رودس وقرطاجنه وروما . ونشأت في الإسكندرية حضارة لها أصالتها التي نلمسها في بعض الأعمال التي نذكر منها على سبيل المثال مؤلفة " نساءسراقوسة " للأديب "ثيوكريتوس" التي يعرض فيها بأسلوب فكاهي ساخر الفاتنات الساحرات وإختلاط الشعوب بلا حدود. إنها حضارة "بر مصر" كما أطلق عليها القدماء ، وسوف نلتقي بها ثانية في " إسكندرية " الأديب البريطاني المعاصر " لورانس داريل " ...

صحيح أن مصر لم ينظر اليها كبلد له سحر ماهو أجنبي إلا في عيون أهل روما ، إلا أنها اضحت منذ الأن جزءا من الماضي . ومع ذلك تم الحفاظ على المظاهر ، وأصبح ممكنا كتابة تاريخ لمصر . لن يكون هذا التاريخ سوى تاريخ تشييد المعابد وتعاقب هؤلاء

الفراعنة الذين لايتحدثون سوى اللغة اليونانية ، ولكنه لن يكون تاريخ الشعب الذى يمكن تدوينه من خلال مصادر أخرى هى مزيج من حقوق المحتلين وحقوق أهل البلاد الأصليين ..... ولكن من يكون هذا الشعب ؟ إنه جمهور متجانس من الفلاحين والمستوطنين الذين تزوجوا من أهل البلد وإن ظلوا يحتفظون بأصولهم اليونانية ويعيشون فى فقر مدقع لم يسمح لهم بتجاوز الأساليب التقنية التى توارثوها عن اجدادهم ، ويعيش إلى جانبهم الإغريق الذين تفرغوا للتجارة وأساليب التبادل الحديثة من مصارف وتمويل . انهم فلاحون أميون أو سكان حضر هلينيون .

ولم يتطور أسلوب حياة الفلاحين إلا بقدرضئيل . ويتفق اى وصف يقدم عن حياتهم فى خطوطه الرئيسية مع الصورة التى رسمت عنهم أيام الدولة الحديثه والتى ظلت كما هى طوال الألف الأولى قبل الميلاد . وربما احتفظت ملامح هذه الصورة بمصداقيتها حتى عصر الثورة الصناعيةالتى عاشها الغرب فى القرن التاسع عشر بل وبعد هذا التاريخ . فقد ظلت حياة الفلاحين كما كانت فى العصور القديمة وحتى صدر القرن العشرين كما هى لم يتغير إيقاعها ، وظلت خاضعة لنفس القيود . إن تنظيم مجرى النهر وتوقف الفيضان احدثا تغييرا فى دورة طبيعية كانت تبدو من قبل خالدة إلى الأبد.ولايزال الفخاريون ينتجون نفس الأشكال التى ينبهر عالم الآثار عند اكتشاف أمثالها من خلال حفائره .... وطالما أن المادة الأولية اللازمة لصناعتها لم تفرض حضارة تختلف اختلافا جذريا ! .

أما الحضارة الأخرى والمعروفة بالحضارة " الهلينية " فهى دخيلة على مصر . ولا يمكن فهمها أو وصفها إلا فى إطار بيئتها. وهى تعتمد – شأنها شأن الحضارة الرومانية– على عدد ضخم من المصادر والمداخل تغطى العديد من الحضارات وتتطلب مباحث خاصة. زد على ذلك إحدى المعطيات التى يختص بها علم المصريات وهو تجميع المصادر الوثائقية . وحتى الآن لم نقدر مصادر العصر المتأخر فى الألف الأولى قبل الميلاد حق قدرها ، ولم يفرغ المتخصصون بعد من إعداد حصر بهذه الوثائق ، ولايزالون بحاجة إلى مزيد من الوقت للتوصل إلى استنباط رؤية حقيقية وشاملة للتطور الاجتماعى والاقتصادى لهذه المرحلة . وإلى أن تتحقق هذه الرؤية فسوف يقتصر تاريخ هذه المرحلة على سرد الوقائع السياسية والأحداث العسكرية من واقع الوثائق الرسمية أو الأسفار التى دونها المؤرخون الإغريق . اما الأبحاث التى تمت على الطبيعة فلم تفض سوى إلى نتائج

متواضعة نسبيا بالنظر إلى ضخامة الوثائق التى توصل اليها العلماء بالنسبه للعصور السابقة والتى تعتبر حتى الآن وثائق " رفيعة المستوى " فى نظر علماء المصريات. ولكن هناك سبب آخر ، إذ أن مواقع العصر المتأخر قائمة فى مصر الوسطى ومصر السفلى ، وهى مناطق يصعب الوصول إليها من زاوية التقاليد الأركيولوجيه أو المتطلبات والاعتبارات الاقتصادية . إن الحفائر التى تمت فى الآونة الأخيرة فى إطار إنقاذ الآثار القديمة قد تقدم عناصر قيمة جداً فى هذا المضمار .

لم تكن مصر فى عصر الإسكندرية والعصر الرومانى المركز الوحيد الذى بقيت فيه الحضارة المصريــة حية . فقد استمرت مملكة نپاتـا القصية حتــى بـعد انـدحار قواتــها أمـام " پسمتك " الثانى عند مدينة " بنبس " ، ولكنها تراجعت أكثر إلى الجنوب عند "مروى " التى كانت مركزاً مزدهراً منذ القرن السابع قبل الميلاد وأصبحت فى القرن الثالث قبل الميلاد عاصمة البلاد التى عرفها الإغريق باسم أثيوبيا . إن معرفتنا بتاريخ " مروى " وحضارتها مليئة بالفجوات . وقد لعبت مملكة مروى دوراً تاريخياً يُعتد به امتد تأثيره حتى النوبة السفلى وحتى أسوان خلال الفترة الأولى من سيطرة البطالمة . ويشير ديودور الصقلى إلى ملك يدعى " أرجمينس " يعتبره البعض الملك " أرنج أمانى " وهو الذى شيد المعبد المخصص للأسد " أبدماك " فى بلدة " المصورات الصفرا " . ويرجع الفضل لهذا العاهل المحب للحضارة الهلينية على ما يعتقد فى إدخال الفن السكندرى إلى مروى ، وقد كشفت الحفائر عما خلفه من آثار. ومن المرجح أيضا أن " مروى" قد تدخلت إلى جانب الثورات التى نشبت فى مصر العليا ضد " بطليموس " الخامس .

وتشير الآداب الكلاسيكية إلى " جزيرة مروى" الأسطورية كمكان منيع استطاعت فيه الحضارة المصرية أن تحافظ على نقائها الأصلى ... غير أن علم الآثار قد قدم الدليل على غلبة الملامح الوطنية المحلية منذ منتصف القرن الثانى قبل الميلاد . فتخلى المرويون عن اللغة المصرية واحلوا محلها لغتهم المحلية التى ظلت تكتب بعلامات هيروغليفيه مشتقة من الديموطيقية . واختاروا نظاماً سياسيا أموميا على النمط الإفريقى فنصبوا "الكنداكة " ملكة عليهم . وقد تصدت إحدى هؤلاء الملكات لوالى مصر " بتوزيريس " فى عهد " اغسطس " ، ونجحت فى الحفاظ على مملكتها من الغزو الرومانى . وبقيت المعلومات حول هذه المملكة غامضة رغم بلوغها أوج ازدهارها ورغم الحملة التى أرسلها نيرون. صحيح أن علاقاتها بروما لم تكن علاقات ثابتة ولكنها دامت حتى القرن الرابع الميلادى . إلا أنها لم تقض على الخلط القائم بين إثيوبيا والهند والذى استغلته القصة

اليونانية إلى أبعد الحدود فمزجت الحضارتين معا تلبية لشغف قرائها بكل ماهو أجنبى وغريب ......

ويبقى مع ذلك أن طول عمر مملكة "مروى" كان مساويا لعمر مملكة مصر . فقد تداعت عام ٣٥٠ ميلادية تحت وطأة ضربات الأكسوميين الذين فرضوا على بلاد النوبايين الديانة المسيحية . ولاتزال معلوماتنا حول الحضارة التى استقرت مكان المملكة القديمة قاصرة وغير واضحة ، وتعود جذورها إلى ثقافة " البجا " وهم "البلميون" الشرسون الذين ظلوا آخر المؤمنين تشبثا بمعبد إيزيس فى جزيرة فيلة وإلى عهد الإمبراطور الرومانى "يوستينيانوس" . وجمعت هذه الحضارة بين ذكريات مصرية و"مروية" . فاستطاعت هذه التركيبة الغريبة أن تصمد فى وجه المسيحية لمدة أطول من الحضارة المصرية اذ لم تستسلم نهائيا الا فى منتصف القرن السادس الميلادى .

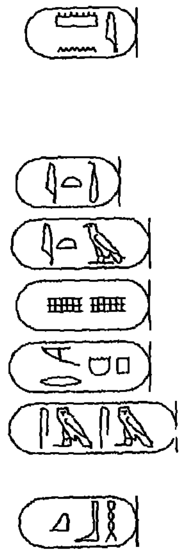
ظل " المرويون " شأنهم شأن البطالمه يؤمنون أنهم ورثة الفراعنة وحملة رسالتهم . ولكن اذا نظرنا إلى الإنتاج الفنى لهاتين الحضارتين لاحظنا أن كلتا الحضارتين أضافت عناصر أصيلة من عندها - جعلت أقل نماذجها الفنية شأنا مختلفة عن النموذج الذى تعتبر أنها وريثة لحضارته . فعندما فتح " پى (عنخ) ى " مصر كان يشعر أنه مصرى وليس نوبيا . وكان على حق ، فالحضارة التى كان يمثلها ليست سوى نتاج عملية تكيف مع الواقع الإجتماعى بلغت أقصى الحدود . وأخذ خلفاء الإسكندر وورثته الرومانيون من باب أولى يدمجون مصر فى نسقهم الحضارى . اكتفوا فى البداية بانتقاء الملامح الثقافية التى تتفق وما يسعون إليه من أهداف ، وانكبوا فيما بعد يؤولون التراث الذى نهلوا منه بغرض إعادة تشكيل رؤيتهم الذهنية من خلال تشويه النموذج الأصلى الذى نقلوا عــــنه، وكلما ابتعدوا عنه ازدادت هذه التشويهات ضخامة . وعندما شيد الإمبراطور الرومانى هدريان نموذجا لسرابيوم كانوب فى الدارة التى أقامها لسكناه فى منتجع "تيفولى " كان يعتبر نفسه فرعونا على مصر ولم ير فيما شيده مجرد نزوة فنية ، انما كان أسلوبا اختاره لدمج سلطانه فى رؤية كونية للعالم وفقت بين رافدين : الرافد الشرقى والرافد الغربى . وفيما بعد ، وبعد أن ضاعت دلالة الحضارة المصرية ، لم يتبق منها سوى الرموز التى أعيد تأويلها من خلال الثقافات التى قامت عليها ثقافات أوروبا . فسواء نظرنا إلى المسلات التى اصطبغت بالصبغة المسيحية أو إلى أوبرا " النايالسحرى " للموسيقار موتسارت ، نجد دائماً ان طريق الحكمة يمر بالضرورة عبر مصر.

ملحق

ملوك مصر البارزين الذين بسطوا سلطانهم على مجمل تراب مصر أو جانباً منه .

الأسرة الأولى (٣١٥٠ - ٢٩٢٥ تقريباً)





العقرب

نعرمر - مينا (٣١٥٠)

عحا (٣١٢٥)

چر (٣١٠٠)

واچى (٣٠٥٥)

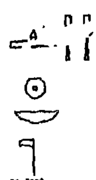
دن (٣٠٥٠)

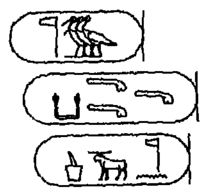
عچ إيب (٢٩٩٥)

سمرخنت

قاعا (٢٩٦٠)

الأسرة الثانية (٢٩٢٥ - ٢٧٠٠ تقريباً)

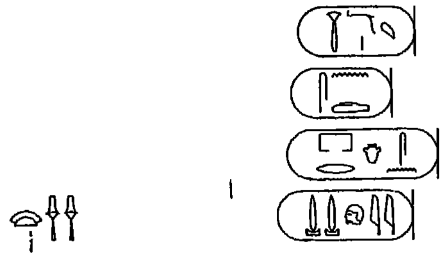




حوتب سخموى

نب رع

نى نتر



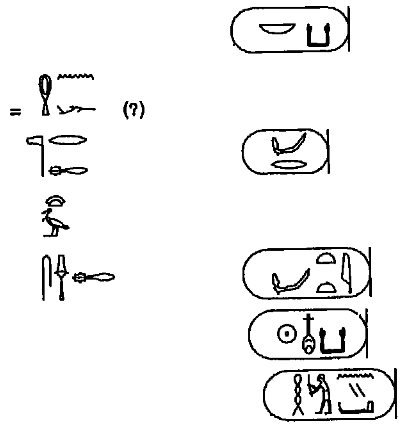
ونج

سندج

پر إيب سن

خع سخموى

الأسرة الثالثة (٢٧٠٠ - ٢٦٢٥)



نبكا

چسر

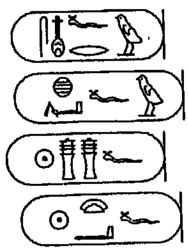
خع با

سخم خت

نفر كارع

حونى

الأسرة الرابعة (٢٦٢٥ - ٢٥١٠)

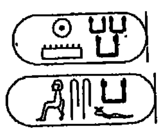


سنفرو

خوفو

چدفرع

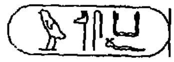
خعفرع



منكاورع

شپسسكاف

الأسرة الخامسة (٢٥١٠ - ٢٤٦٠)

اوسركاف 

ساحورع 

نفر إير كارع - كاكاى 

شپسسكارع 

رع نفر إف 

نى أوسر رع 

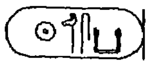
منكاوحور 

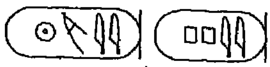
چد كارع إسيسى 

أوناس 

الأسرة السادسة (٢٤٦٠ - ٢٢٠٠)

تيتى 

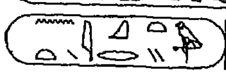
اوسر كارع 

پيپى الأول 

مرنرع الأول 

پيپى الثانى 

مرنرع الثانى 

نيت إقرت 

الأسرتان السابعة والثامنة (٢٢٠٠ - ٢١٦٠ تقريباً)

قاكارع إيبى 

الأسرتان التاسعة والعاشرة (٢١٦٠ - ٢٠٤٠ تقريباً)

أهم الملوك الذين أمكن التحقق من شخصيتهم

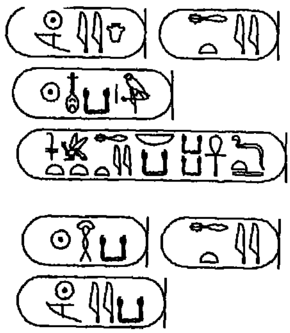
مرى إيب رع خيتى الأول

نفر كارع

نب كاو رع خيتى

واح كارع خيتى

مرى كارع



الأسرة الحادية عشرة (٢١٦٠ - ١٩٩١)

منتوحوتپ الأول

أنتف الأول

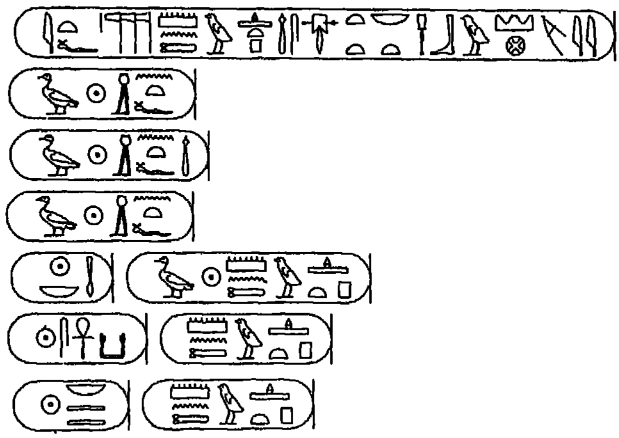
أنتف الثانى

أنتف الثالث

منتوحوتپ الثانى

منتوحوتپ الثالث

منتوحوتپ الرابع



الأسرة الثانية عشرة (١٩٩١ - ١٧٨٥)

أمنمحات الأول (١٩٩١)

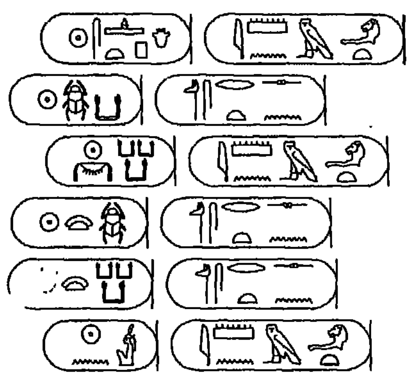
سنوسرت الأول (١٩٦٢)

أمنمحات الثانى (١٩٢٨)

سنوسرت الثانى (١٨٩٥)

سنوسرت الثالث (١٨٧٨)

امنمحات الثالث (١٨٤٢)



أمنمحات الرابع (١٧٩٧)


نفرو سوبك (١٧٩٠)


الأسرتان الثالثة عشرة والرابعة عشرة (١٧٨٥ - ١٦٣٣)

أهم الملوك حسب ترتيب تعاقبهم على عرش البلاد .

سخم رع خوتاوى


أمنمحات الخامس


سحوتپ إيب رع (الثانى)


أمنمحات السادس

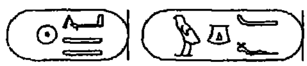

حور نچ حر إيتف


سوبك حوتپ الأول


رينى سنب


حر الأول


أمنمحات السابع


وچاف


سنوسرت الرابع

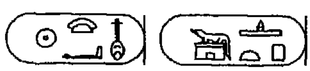

خنچر


سمنخ كارع


سوبك حوتپ الثالث


نفرحوتپ


ساحتحور


سوبك حوتپ الرابع


سوبك حوتپ الخامس


نفر حوتپ الثانى


نفر حوتپ الثالث


يع إيب


إينى


إيبى

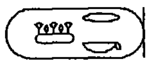

ديدومسيو


سنب ميو

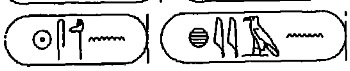

مونتو إم ساف


الأسرتان الخامسة عشرة والسادسة عشرة (١٧٣٠ - ١٥٣٠ تقريباً)

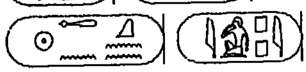
أهم ملوك الهكسوس

ساليتس


يعقوب حار


خيان


أپيپى الأول


أپيپى الثانى


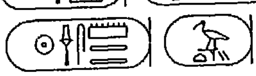
الأسرة السابعة عشرة (١٦٥٠ - ١٥٥٢ تقريباً)

أهم ملوك طيبة

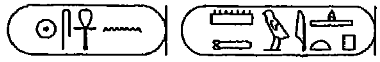
رع حوتپ


إنتف الخامس


سوبك إم ساف الثانى


چحوتى


منتوحوتپ السابع



نب إرى أو الأول



إنتف السابع



تاعا الأول



تاعا الثانى



كامس



الأسرة الثامنة عشرة (١٥٥٢ - ١٣١٤ أو ١٢٩٥)

أحمس (١٥٥٢)



امنحوتپ الأول (١٥٢٦)



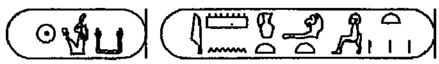
تحوتمس الأول (١٥٠٦)



تحوتمس الثانى (١٤٩٣)



حتشبسوت (١٤٧٨)



تحوتمس الثالث (١٣٥٨)



امنحوتپ الثانى (١٤٢٥)



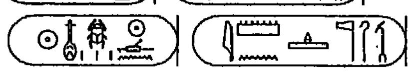
تحوتمس الرابع (١٤٠١)



امنحوتب الثالث (١٣٩٠)



امنحوتب الرابع (١٣٥٢)



ثم إخناتون



سمنخ كارع (١٣٣٨)



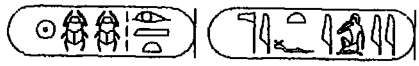
توت عنخ آتون (١٣٣٦)



ثم " توت عنخ آمون "



آى (١٣٢٧)



حورمحب (١٣٢٣)

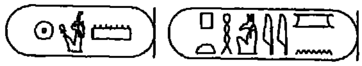


الأسرة التاسعة عشرة (١٢٩٥ - ١١٨٨)

رمسيس الأول (١٢٩٥)



سيتى الأول (١٢٩٤)



رمسيس الثانى (١٢٧٩)



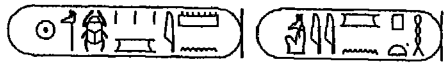
مرنبتاح (١٢١٣)



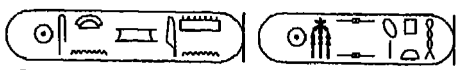
آمون مس (١٢٠٢)



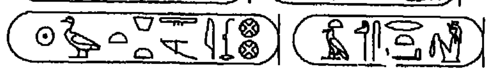
سيتى الثانى (١٢٠٢)



سى پتاح (١١٩٦)

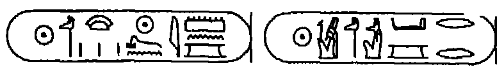


تاوسرت (١١٩٦)



الأسرة العشرون (١١٨٨ - ١٠٦٩)

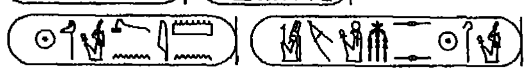
ست نخت (١١٨٨)



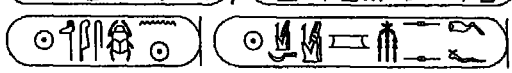
رمسيس الثالث (١١٨٦)



رمسيس الرابع (١١٥٤)



رمسيس الخامس (١١٤٨)



رمسيس السادس (١١٤٤)



رمسيس السابع (١١٣٦)



رمسيس الثامن (١١٢٨)



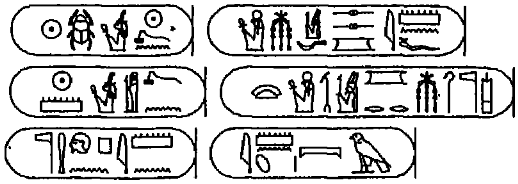
رمسيس التاسع (١١٢٥)



رمسيس العاشر (١١٠٧)

رمسيس الحادى عشر (١٠٩٨)

حريحور (١٠٦٠)



الأسرة الحادية والعشرون (١٠٦٩ - ٩٤٥)

ملوك تانيس

سمندس (١٠٦٩)

آمن إم نسوت (١٠٤٣)

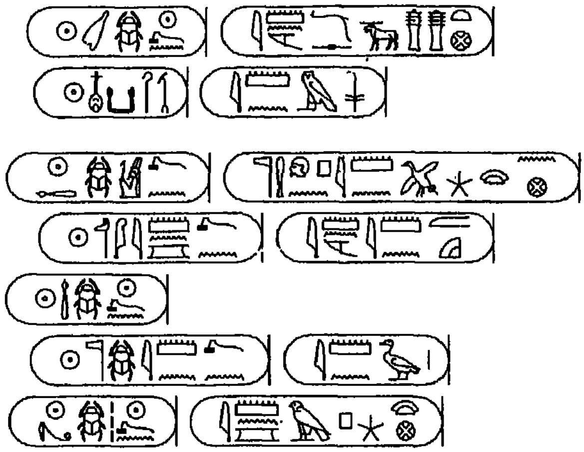
بسوسينس الأول (١٠٤٠)

آمن إم أوبة (٩٩٣)

أوسركون القديم (٩٨٤)

سى آمون (٩٧٨)

بسوسينس الثانى (٩٥٩)

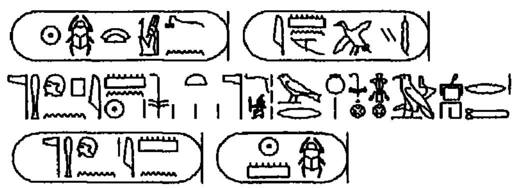


ثم كبار كهنة طيبة

پى نچم الأول

ماسا هرتا

منخبر رع



سمندس

پى نچم الثانى

سبوسينس



الأسرة الثانية والعشرون (٩٤٥ - ٧١٥)

شاشانق الأول (٩٤٥)

أوسركون الأول (٩٢٤)

شاشانق الثانى (٨٩٠)

تكلوت الأول (٨٦٩)

حورسا إيزيس (٨٧٠)

أوسركون الثانى (٨٧٤)

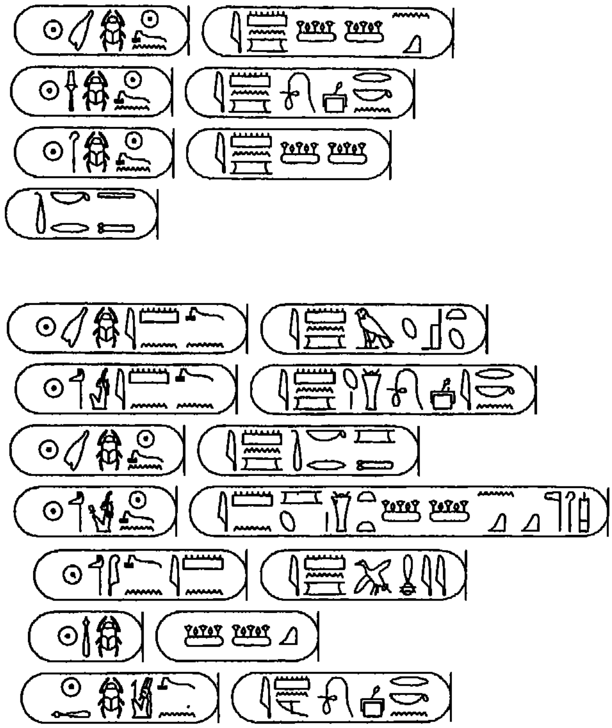
تكلوت الثانى (٨٥٠)

شاشانق الثالث (٨٢٥)

پامى (٧٧٣)

شاشانق الخامس (٧٦٧)

أوسركون الرابع (٧٣٠)



كبار كهنة طيبة

إيوپوت

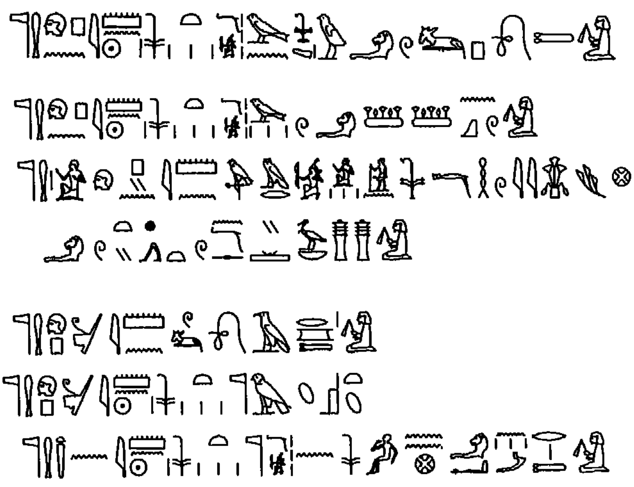
شاشانق

سمندس

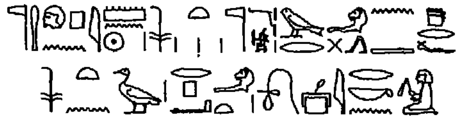
إيوولوت

حورسا إيزيس

نمرود



أوسركون



الأسرة الثالثة والعشرون (٨١٨ - ٧١٥)

بدى باست (٨١٨)



أوسركون الثالث (٧٨٧)



تكلوت الثالث (٧٦٤)



رود آمون (٧٥٧)



إيوبوت الثانى (٧٥٤)



الزوجة الإلهية لآمون :

شبن آويت الأولى



الأسرة الرابعة والعشرون (٧٢٧ - ٧١٥) .

تف نخت (٧٢٧)



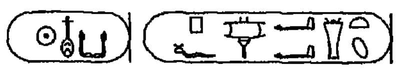
باك إن رنف (٧١٦)



الحكام المحليون التابعون لتف نخت

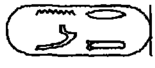
ملك هير كليوبوليس

پف تاوعاوى باستت



ملك هرموبوليس

نمرود



الأسرة الخامسة والعشرون (٧٤٧ تقريبا - ٦٥٦)

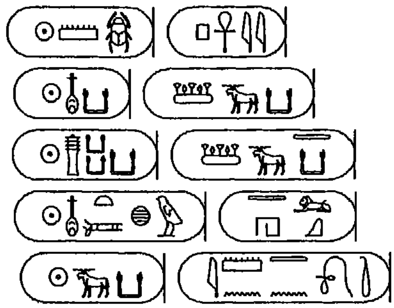
ألارا



كاشتا

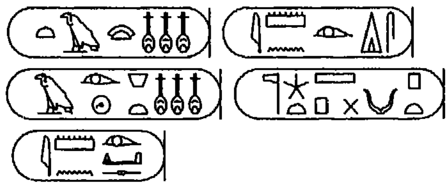


پى (عنخـ) ى (٧٤٧)
شاباكا (٧١٦)
شبتاكا (٧٠٢)
طهرقا (٦٩٠)
تانت آمون (٦٦٤)



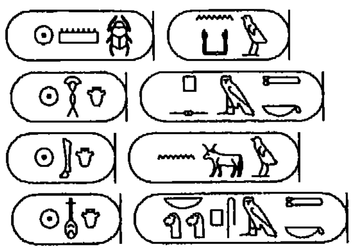
الزوجات الإلهية لآمون

أمنارديس الأولى
شپن أو پت الثانية
أمنارديس الثانية

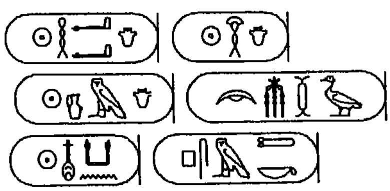


الأسرة السادسة والعشرون (٦٧٢ - ٥٢٥)

نكاو الأول (٦٧٢)
پسمتك الأول (٦٦٤)
نكاو الثانى (٦١٠)
پسمتك الثانى (٥٩٥)

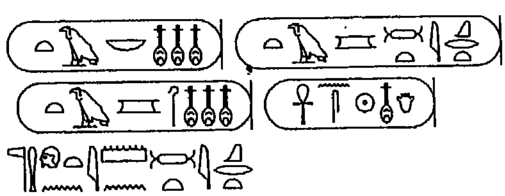


وح إيب رع (٥٨٩)
أحمس الثانى
پسمتك الثالث (٥٢٦)

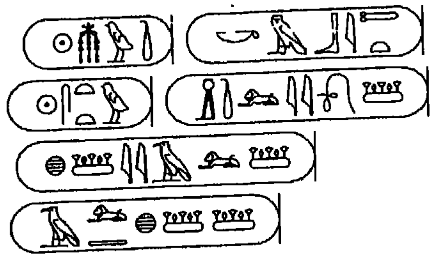


الزوجات الإلهية لآمون D

نيت إقرت الأولى
عنخ نس نفر إيب رع
نيت إقرت الثانية



الأسرة السابعة والعشرون (٥٢٥ - ٤٠٤)



قمبيز (٥٢٥)

داريوس الأول (٥٢٢)

كسركسيس (٤٨٦)

ارتكسركسيس (٤٦٥)

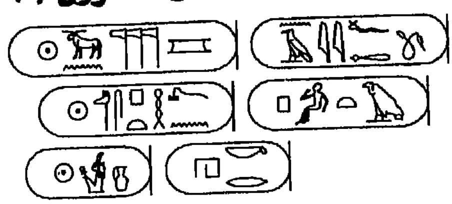
داريوس الثانى (٤٢٤)

أرتكسركسيس الثانى (٤٠٥)

الأسرة الثامنة والعشرون (٤٠٤ - ٣٩٩)

أميرتايوس (٤٠٤)

الأسرة التاسعة والعشرون (٣٩٩ - ٣٨٠)



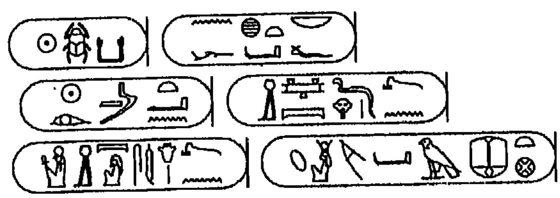
نفريتس الأول (٣٩٩)

پسامو تيس (٣٩٤)

أكوريس (٣٩٣)

نفريتس الثانى (٣٨٠)

الأسرة الثلاثون (٣٨٠ - ٣٤٣)



نختنبو الأول (٣٨٠)

تاخوس (٣٦٢)

نختنبو الثانى (٣٦٠)

الغزو الفارسى الثانى (٣٤٣ - ٣٣٢)

أرتكسركسيس الثانى (٣٤٣)

ارسيس (٣٣٨)



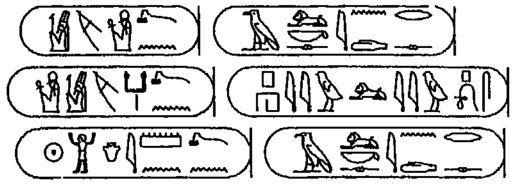
داريوس الثالث (٣٣٦)

آخر ملوك مصر الوطنيين

خبـاباش (٣٣٣)



ملوك مقدونيا (٣٣٢ - ٣٠٥)

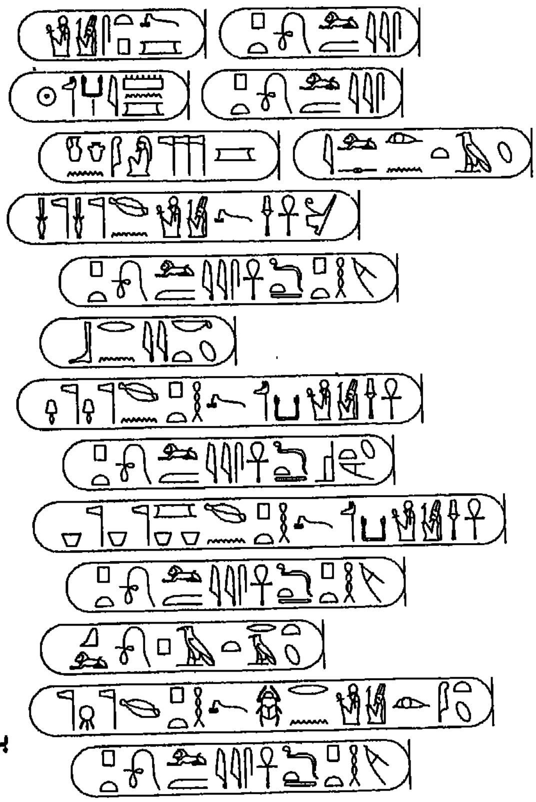


الأسكندر (٣٣٢)

فليب اريدايوس (٣٢٣)

الإسكندر الرابع (٣١٧)

البطالمة (٣٠٥ - ٣٠ ق . م)



بطليموس الأول سوتير (٣٠٥)

بطليموس الثانى فيلدلفيا (٢٨٤)

ارسينوى الثانية

بطليموس الثالث يوارجيتى (٢٤٦)

برينكى الثانية

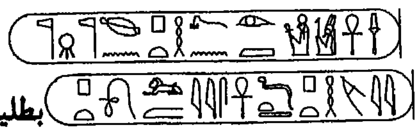
بطليموس الرابع فيلوپاتور (٢٢٢)

بطليموس الخامس ابيفانس (٢٠٥)

كليوباترا الأولى

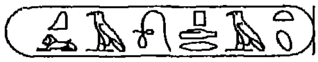
بطليموس السادس فليوميتور (١٨٠)

بطليموس السابع نيوس فيلوباتور (١٤٥)



بطليموس الثامن يوارجيتس الثانى (١٧٠)

كليوباترا الثانية



كليوباترا الثالثة



بطليموس التاسع



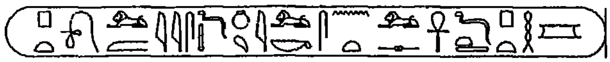
سوتير الثانى (١١٦)



بطليموس العاشر



الإسكندر الأول (١٠٧)

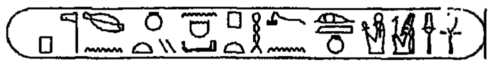


برنيكى الثالثة



بطليموس الحادى عشر

الإسكندر الثانى (٨٠)

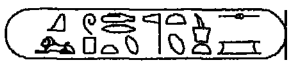


بطليموس الثانى عشر



نيوس ديونيسوس (٨٠)

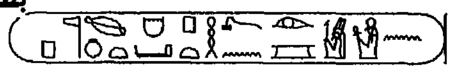
برينكى الرابعة



كليوباترا السابعة فيلوباتور (٥٠)

بطليموس الثالث عشر (٤٧)

بطليموس الرابع عشر فيلوباتور (٤٧)



بطليموس الخامس عشر



قيصرون (٤٤)

تم تصنيف هذه القائمة بواسطة الحاسب الإلكترونى
بالإعتماد على البرنامـــج GLYPH22 الذى
أعده يان بورمان Jan Burman ودى مويل
. Ed . de Moel

المراجـــــع

لا تعتبر هذه المراجع حصراً مستفيضاً، وتستبعد هذه القائمة تقارير ونشرات الحفائر ومجموعات الوثائق . كما ان الغرض منها فى المقام الأول هو إمداد القارىء بقراءات سهلة حول علم المصريات مع نخبة منتقاة من أهم الدراسات التى اعتمد عليها هذا المؤلف ، كيما يستطيع القارئ أن يتعمق فى أى نقطة تسترعى إهتمامه أو تشده إليها اكثر من غيرها . ويركز هذا الإختيار على الأعمال التى رأت النور خلال الثلاثين سنة الأخيرة .

AAWLM = *Abhandlungen der Akademie der Wissenschaften in Leiden*, Leyde.

Mahmoud Abd el-Razik

1974, « The Dedicatory and Building Texts of Ramesses II in Luxor Temple, I : the Texts », *JEA* 60, 142-160.

Friedrich Abitz

1984, *König und Gott. Die Götterszenen in den ägyptischen Königsgräbern von Thutmosis IV. bis Ramses III.*, *ÄA* 40.

1986, *Ramses III. in den Gräbern seiner Söhne*, *OBO* 72.

Dia Abou-Ghazi

1968, « Bewailing the King in the Pyramid Texts », *BIFAO* 66, 157-164.

A. El-M. Y. Aboubakr

1980, « L'Égypte pharaonique », in *Histoire Générale de l'Afrique*, II, UNESCO, 73-106.

AcOr = *Acta Orientalia*, Leyde, puis Copenhague.

ADAIK = *Abhandlungen des Deutschen Archäologischen Instituts Kairo*, Ägyptologische Reihe, Glückstadt.

Shehata Adam & Jean Vercoutter

1980, « La Nubie : trait d'union entre l'Afrique centrale et la Méditerranée, facteur géographique de civilisation », in *Histoire Générale de l'Afrique*, II, UNESCO, 239-258.

Barbara Adams

1974, *Ancient Hierakonpolis*, with an introduction by H.S. Smith (and) *Supplement*, Warminster.

1984, *Egyptian Mummies*, Pr. Risborough.

William Y. Adams

1968, « Invasion, Diffusion, Evolution ? », *Antiquity* 42, 194-215.

1980, « Du royaume de Kouch à l'avènement de l'Islam », *Courrier UNESCO*, 25-29.
1983, « Primis and the " Aethiopian " Frontier », *JARCE* 20, 93-104.
1984, *Nubia. Corridor to Africa*. Reprinted with a new preface, Londres.
1985, « Doubts About the " Lost Pharaohs " », *JNES* 44, 185-192.
ADAW = *Abhandlungen der Deutschen Akademie der Wissenschaften zu Berlin*, Berlin.
Admonitions = *Lamentations d'Ipouer*, citées d'après l'édition de A. H. Gardiner, *The Admonitions of an Egyptian Sage (from Pap. Leiden 344)*, Leipzig, 1909.
ÄA = *Ägyptologische Abhandlungen*, Wiesbaden.
ÄAT = *Ägypten und Altes Testament*, Wiesbaden.
ÄF = *Ägyptologische Forschungen*, Glückstadt, Hambourg, New York.
Aegyptiaca Treverensia, Trèves.
Aegyptus = *Aegyptus. Rivista Italiana di Egittologia e di Papirologia*, Milan.
ÄMA = *Ägyptologische Microfiche Archive*, Wiesbaden.
AH = *Ægyptiaca Helvetica*, Bâle-Genève.
AHAW = *Abhandlungen der Heidelberger Akademie der Wissenschaften, Phil.-hist. Klasse*, Heidelberg.
G. W. Ahlstrom & D. Edelmann
1985, « Merneptah's Israel », *JNES* 44, 59-62.
AHS Alexandrie = *Archaeogical & Historical Studies*, Diamond Jubilee Publications of the Archaeological Society of Alexandria, Alexandrie.
AJA = *American Journal of Archaeology*, Baltimore, puis Norwood.
AKAW = *Abhandlungen der königlichen Akademie der Wissenschaften*, Berlin.
S. Akhavi
1982, « Socialization of Egyptian Workers », *NARCE* 119, 42-46.
W. Albright
1952, « The Smaller Beth Shan Stela of Sethos I (1309-1280) B.C. », *BASOR* 125, 24-32.
Cyril Aldred
1968, *Akhenaton*, Londres, traduit par L. Frederic sous le titre *Akhenaton. Le pharaon mystique*, Paris, 1973.
1969, « The " New Year " Gifts to the Pharaoh », *JEA* 55, 73-81.
1970, « The Foreign Gifts Offered to the Pharaoh », *JEA* 56, 105-116.
1979a, *Le trésor des pharaons. La joaillerie égyptienne de la période dynastique*, Paris.
1979b, « More Light on the Ramesside Tomb Robberies », in *Glimpses of Ancient Egypt*, 92-99.
1980, *Egyptian Art in the Days of the Pharaohs, 3100-320 B.C.*, Londres.
1984, *The Egyptians*, revised and enlarged edition, Londres.
M. Alex
1985, *Klimadaten ausgewählter Stationen des vorderen Orients*, TAVO A/14.
Shafik Allam
1963, *Beiträge zum Hathorkult (bis zum Ende des Mittleren Reiches)*, *MÄS* 4.
1973a, *Das Verfahrensrecht in der altägyptischen Arbeitersiedlung von Deir el-Medinah*, Tübingen.
1973b, Hieratische Ostraka und Papyri aus der Ramessidenzeit, Tübingen.
1973c, « De la divinité dans le droit pharaonique », *BSFE* 68, 17-30.
1978, « Un droit pénal existait-il stricto sensu en Égypte pharaonique ? », *JEA* 64, 65-68.
1981, « Quelques aspects du mariage dans l'Égypte ancienne », *JEA* 67, 116-135.
1983, *Quelques pages de la vie quotidienne en Égypte ancienne*, collection « Prisme », Série Archéologique, 1, Le Caire.
1984, « La problématique des quarante rouleaux de lois », dans *Studien zu Sprache und Religion Ägyptens*, I, Göttingen, 447-452.
1986, « Réflexions sur le " Code légal " d'Hermopolis dans l'Égypte ancienne », *CdE* 61, 50-75.

Léone Allard-Huard & Paul Huard
1985, *Le cheval, le fer et le chameau sur le Nil et au Sahara*, Le Caire.
Prosper Alpin
1581-1584, *Histoire Naturelle de l'Égypte, La médecine des Égyptiens, Plantes d'Égypte*, trad. et comm. par R. de Fenoyl et S. Sauneron, 5 vol., Le Caire, IFAO, 1979-1980.
Hartwig Altenmüller
1976, *Grad und Totenreich der alten Ägypter*, Hambourg.
1981, « Amenophis I. als Mittler », *MDAIK* 37, 1-7.
1982, « Tausret und Sethnacht », *JEA* 68, 107-115.
1983a, « Bemerkungen zu den Königsgräbern des Neuen Reiches », *SAK* 10, 25-62.
1983b, « Rolle und Bedeutung des Grabes des Königin Tausret im Königsgräbertal von Theben », *BSEG* 8, 3-11.
1984, « Der Begräbnistag Sethos' II. », *SAK* 11, 37-47.
1985, « Das Grab der Königin Tausret (KV 14). Bericht über eine archäologische Unternehmung », *GM* 84, 7-18.
Hartwig Altenmüller & Hellmut Brunner
1970, *Ägyptologie : Literatur*, 2^e^ éd., *HdO* I/1.2.
1972, « Die Texte zum Begräbnisritual in den Pyramiden des Alten Reiches », *ÄA* 24.
Hartwig Altenmüller & Ahmed M. Moussa
1982, « Die Inschriften der Taharkastele von der Dahschurstrasse », *SAK* 9, 57-84.
H. Amborn
1976, *Die Bedeutung der Kulturen des Niltals für die Eisenproduktion im subsaharischen Afrika*, Wiesbaden.
E. Amelineau
1899, *Le tombeau d'Osiris. Monographie de la découverte faite en 1887-1898*, Paris.
Amin A. A. Amer
1985, « Reflexions on the Reign of Ramesses VI », *JEA* 71, 66-70.
M. A. Amin
1970, « Ancient Trade Routes Between Egypt and the Sudan, 4000 to 700 BC », *SNR* 51, 23-30.
AnAe = *Analecta Ægyptiaca*, Copenhague.
Ancient World, Chicago.
J. Andreau & Roland Étienne
1984, « Vingt ans de recherches sur l'archaïsme et la modernité des sociétés antiques », *REA* 86, 55-69.
Carol Andrews
1987, *Egyptian Mummies*, Londres.
ANET v. **Pritchard**
Annales d'Éthiopie, Khartoum.
Ann. IPHOS = *Annuaire de l'Institut de Philologie et d'Histoire Orientales et Slaves*, Bruxelles.
AnOr = *Analecta Orientalia*, Rome.
Rudoph Anthes
1968, *Die Büste der Königin Nofretete*, 4^e^ éd., Berlin.
Pierre Anus, & Ramadan Saad
1971, « Habitations de prêtres dans le temple d'Amon de Karnak », *Kêmi* 21, 217-238.
AoF = *Altorientalische Forschungen*, Berlin.
APAW = *Abhandlungen der Preussischen Akademie der Wissenschaften*, Berlin [*ADAW* depuis 1945].
H. Apel
1982, *Verwandschaft, Gott und Geld. Zur Organisation archaischer, ägyptischer und antiker Gesellschaft*, Francfort-sur-le-Main.

ARCE = American Research Center in Egypt, Le Caire.
A. J. ARKELL
1975, *The Prehistory of the Nile Valley, HdO* VII/1.2.
O. K. ARMAYOR
1985, *Herodotus' Autopsy of the Fayoum. Lac Moeris and the Labyrinth of Egypt*, Amsterdam.
Dieter ARNOLD
1974a-b, *Der Tempel des Königs Mentuhotep von Deir el-Bahari*, I, *A V* 8 (a) et II, *A V* 11 (b).
1981, « Überlegungen zum Problem des Pyramidenbaues », *MDAIK* 37, 15-28.
1987, *Der Pyramidenbezirk des Königs Amenemhet III. in Dahschur*, I, *Die Pyramide*, *A V* 53, Mayence.
Y. ARTIN Pacha
1909, *Contes populaires du Soudan égyptien recueillis en 1908 sur le Nil Blanc et le Nil Bleu*, Leroux.
Jan ASSMANN
1970, *Der König als Sonnenpriester. Ein kosmographischer Begleittext zur kultischen Sonnenhymnik in thebanischen Tempeln und Gräbern, ADAIK, Äg.Reihe* 7.
1975, *Ägyptische Hymnen und Gebete. Eingeleitet, übersetzt und erläutert*, Zurich.
1975, *Zeit und Ewigkeit im alten Ägypten, AHAW* 1.
1977, « Die Verborgenheit des Mythos in Ägypten », *GM* 25, 7-44.
1979, « Weisheit, Loyalismus und Frömmigkeit », in *Studien zu altägyptischen Lebenslehren, OBO* 28, 11-72.
1980, « Die " loyalistische Lehre " Echnatons », *SAK* 8, 1-32.
1983a, « Das Dekorationsprogramm der königlichen Sonnenheiligtümer des Neuen Reiches nach einer Fassung der Spätzeit », *ZÄS* 110, 91-98.
1983b, *Re und Amun. Die Krise des polytheistischen Weltbilds im Ägypten der 18.-20. Dynastie, OBO* 51.
1983c, *Sonnenhymnen in thebanischen Gräbern, Theben* 1, Mayence.
1984, *Ägypten. Theologie und Frömmigkeit einer frühen Hochkultur*, Stuttgart.
Michael ATZLER
1981, *Untersuchungen zur Herausbildung von Herrschaftsformen in Ägypten, HÄB* 16.
Pierre AUFFRET
1981, *Hymnes d'Égypte et d'Israël. Études de structures littéraires, OBO* 34.
Sydney AUFRÈRE
1982, « Contribution à l'étude de la morphologie du protocole " classique " », *BIFAO* 82, 19-74.
M. M. AUSTIN
1970, *Greece and Egypt in the Archaic Age*, Cambridge.
AV = *Archäologische Veröffentlichungen des Deutschen Archäologischen Instituts, Abteilung Kairo.*
Michel AZIM
1978-1980a, « Découverte de dépôts de fondation d'Horemheb au IX[e] pylône de Karnak », *Karnak* 7, 93-120.
1978-1980b, « La structure des pylônes d'Horemheb à Karnak », *Karnak* 7, 127-166.
1985, « Le grand pylône de Louqsor : un essai d'analyse architecturale et technique », *Mélanges offerts à Jean Vercoutter*, Paris, 19-42.
Alexandre BADAWI
1948, *Le dessin architectural chez les anciens Égyptiens, Étude comparative des représentations égyptiennes de construction*, Le Caire.
1954, *A History of Egyptian Architecture, 1, From the Eearliest Times to the End of the Old Kingdom*, Giza.
1958, « Politique et architecture dans l'Égypte pharaonique », *CdE* 33, 171-181.
1966, *A History of Egyptian Architecture, 2, The First Intermediate Period, the Middle Kingdom and the Second Intermediate Period*, Berkeley.

1968, *A History of Egyptian Architecture, 3, The Empire (the New Kingdom)*, Berkeley.
BAE = *Bibliotheca Ægyptiaca*, Bruxelles.
K. Baedecker
1929, *Egypt and the Sudan. Handbook for Travellers*, 8e édition, réimpression, Leipzig, 1974.
Klaus Baer
1960, *Rank and Title in the Old Kingdom, the Structure of the Egyptian Administration in the Fifth and Sixth Dynasties*, réédition, Chicago, 1974.
1973, « The Libyan and Nubian Kings of Egypt : Notes on the Chronology of Dynasties XXI to XXVI », *JNES* 32, 4-25.
J. Baikie
1929, *A History of Egypt from the Earliest Times to the End of the XVIIIth Dynasty*, réédition, Londres, 1971.
J. Baillet
1912, *Le régime pharaonique dans ses rapports avec l'évolution de la morale en Égypte*, Blois.
John Baines
1974, « The Inundation Stela of Sebekhotpe VIII », *AcOr* 36, 39-58.
1976, « The Sebekhotpe VIII Inundation Stela : an Additional Fragment », *AcOr* 37, 39-58.
1984, « Interpretation of Religion : Logic, Discourse, Rationality », *GM* 76, 25-54.
1986, *Fecundity Figures. Egyptian Personification and the Iconology of a Genre*, Warminster.
John Baines & Jaromir Malek
1981, *Atlas de l'Égypte ancienne*, traduit de l'anglais par M. Vergnies et J.-L. Parmentier, F. Nathan.
Abd El-Monem Bakir
1952, *Slavery in Pharaonic Egypt*, *CASAE* 18, réédition, 1978.
John Ball
1942, *Egypt in the Classical Geographers*, Le Caire.
BAR = **Breasted** : 1906.
Paul Barguet
1953a, *La Stèle de la Famine à Séhel*, *BdE* 24.
1953b, « La structure du temple Ipet-sout d'Amon à Karnak, du Moyen Empire à Aménophis II », *BIFAO* 52, 145-155.
1962, *Le temple d'Amon-Rê à Karnak. Essai d'exégèse*, *RAPH* 21.
1967, *Le Livre des Morts des anciens Égyptiens*, *LAPO*.
1975, « Le *Livre des Portes* et la transmission du pouvoir royal », *RdE* 27, 30-36.
1976, « Note sur le grand temple d'Aton à el-Amarna », *RdE* 28, 148-151.
1986a, « Note sur la sortie du roi hors du palais », *Hommages à François Daumas*, 1, Montpellier, 51-54.
1986b, *Textes des sarcophages égyptiens du Moyen Empire*, *LAPO*.
Wolfgang Barta
1969a, *Das Gespräch eines Mannes mir seinem BA (Papyrus Berlin 3024)*, *MÄS* 18.
1969b, « Falke des Palastes » als ältester Königstitel », *MDAIK* 24, 51-57.
1973, *Untersuchungen zum Götterkreis der Neunheit*, *MÄS* 28.
1975, *Untersuchungen zur Göttlichkeit des regierenden Königs. Ritus und Sakralkönigtum in Altägypten nach Zeugnissen der Frühzeit und des Alten Reiches*, *MÄS* 32.
1978, « Die Sedfest-Darstellung Osorkons II. im Tempel von Bubastis », *SAK* 6, 25-42.
1980a, « Die Mondfinsternis im 15. Regierungsjahr Takelots II. », *RdE* 32, 3-17.
1980b, « Thronbesteigung und Krönungsfeier als unterschiedliche Zeugnisse königlicher Herrschaftsübername », *SAK* 8, 33-53.
1981a, « Bemerkungen zur Chronologie der 6. bis 11. Dynastie », *ZÄS* 108, 23-33.
1981b, « Bemerkungen zur Chronologie der 21. Dynastie », *MDAIK* 37, 35-40.

1981c, « Die Chronologie der 1. bis 5. Dynastie nach den Angaben des rekonstruirten Annalensteins », *ZÄS* 108, 11-23.
1983a, « Bemerkungen zur Rekonstruktion der Vorlage des Turiner Königspapyrus », *GM* 64, 11-13.
1983b, « Zur Entwicklung des ägyptischen Kalenderwesens », *ZÄS* 110, 16-26.
1984, « Anmerkungen zur Chronologie der Dritten Zwischenzeit », *GM* 70, 7-12.
1987a, Zur Konstruktion der ägyptischen Königsnamen », *ZÄS* 114, 3-10.
1987b, « Zur Konstruktion der ägyptischen Königsnamen, II, Die Horus-, Herrinnen-und Goldnamen von der Frühzeit bis zum Ende des Alten Reiches », *ZÄS* 114, 105-113.

André Barucq
1962, *L'expression de la louange divine et de la prière dans la Bible et en Égypte, BdE* 33.

André Barucq & François Daumas
1980, *Hymnes et prières de l'Égypte ancienne, LAPO.*
BASOR = Bulletin of the American School of Oriental Research, New Haven.

G. Bastianini
1975, *Lista dei prefetti d'Egitto dal 30a al 299p,* Bonn.

E. Batta
1986, *Obelisken und ihre Geschichte in Rom,* Francfort-sur-le-Main.

Marcelle Baud
1978, *Le caractère du dessin en Égypte ancienne,* Paris.

E. J. Baumgartel
1955, *The Cultures of Prehistoric Egypt,* réédition, 1981, Londres.
BdE = Bibliothèque d'Études, IFAO, Le Caire.

Jürgen von Beckerath
1964, *Untersuchungen zur politischen Geschichte der zweiten Zwischenzeit in Ägypten, ÄF* 23.
1968, « Die " Stele der Verbannten " im Museum des Louvre », *RdE* 20, 7-36.
1971a, *Abriss der Geschichte des alten Ägyptens,* Munich.
1971b, « Ein Denkmal zur Genealogie der XX. Dynastie », *ZÄS* 97, 7-12.
1984a, *Handbuch der ägyptischen Königsnamen, MÄS* 20.
1984b, « Bemerkungen zum Turiner Königspapyrus und zu den Dynastien der ägyptischen Geschichte », *SAK* 11, 49-57.
1984c, « Bemerkungen zum Problem der Thronfolge in der Mitte der XX. Dynastie », *MDAIK* 40, 1-6.
1984d, « Drei Thronbesteigungsdaten der XX. Dynastie », *GM* 79, 7-10.

Armenag K. Bedevian
1936, *Illustrated Polyglottic Dictionary of Plant Names,* Le Caire.

B. L. Begelsbacher-Fischer
1981, *Untersuchungen zur Götterwelt des Alten Reiches im Spiegel der Privatgräber der IV. und V. Dynastie, OBO* 37.
1985, *Ägypten,* Zurich.

H. Behrens
1963, « Neolitisch-frühmetallzeitliche Tierskelettfunde aus dem Nilgebiet und ihre religionsgeschichtliche Bedeutung », *ZÄS* 88, 75-83.

Horst Beinlich
1976, *Studien zu den « geographischen Inschriften » (10-14. o.äg.Gau), TÄB* 2.
1979, « Die Nilquellen nach Herodot », *ZÄS* 106, 11-14.
1984, *Die « Osirisreliquien ». Zum Motiv der Körpergliederung in der altägyptischen Religion, ÄA* 42.
1987, « Der Moeris-See nach Herodot », *GM* 100, 15-18.

Barbara Bell
1971, « The Dark Ages in Ancient History, I, The First Dark Age in Egypt », *AJA* 75, 1-26.

Lanny Bell
1985, « Luxor Temple and the Cult of the Royal Ka », *JNES* 44, 251-294.
Lanny Bell, Janet Johnson & alii
1984, « The Eastern Desert of Upper Egypt : Routes and Inscriptions », *JNES* 43, 27-46.
Martha Bell
1985 « Gurob Tomb 605 and Mycenaean Chronology », *BdE* 97/1, 61-86.
Alain Bellod, Jean-Claude Golvin & Claude Traunecker
1983, *Du ciel de Thèbes*, Paris.
Madeleine Bellion
1987, *Égypte ancienne. Catalogue des manuscrits hiéroglyphiques et hiératiques et des dessins, sur papyrus, cuir ou tissu, publiés ou signalés*, Paris.
P. Belon du Mans
1547, *Le voyage en Égypte de P. Belon du Mans*, présentation et notes de S. Sauneron, IFAO, Le Caire, 1970.
Jocelyne Berlandini
1976, « Le protocole de Toutankhamon sur les socles du dromos du Xe pylône à Karnak », *GM* 22, 13-20.
1978, « Une stèle de donation du dynaste libyen Roudamon », *BIFAO* 78, 147-164.
1979, « La pyramide " ruinée " de Sakkara-Nord et le roi Ikaouhor-Menkaouhör », *RdE* 31, 3-28.
1982, « Les tombes amarniennes et d'époque Toutankhamon à Sakkara. Critères stylistiques », in *l'Égyptologie en 1979*, 2, CNRS, 195-212.
BES = *Bulletin of the Egyptological Seminar*, New York.
La Sainte Bible, traduite en français sous la direction de l'École Biblique de Jérusalem, Le Cerf, 1974.
BIE = *Bulletin de l'Institut d'Égypte*, Le Caire.
Morris L. Bierbrier
1972, « The Length of the Reign of Sethos I », *JEA* 58, 303.
1975a, « The Length of the Reign of Ramesses X », *JEA* 61, 251.
1975b, *The Late New Kingdom in Egypt (c. 1300-664 B.C.). A Genealogical and Chronological Investigation*, Warminster.
1982, *The Tomb-Builders of the Pharaohs*, British Museum, Londres. Traduit en français sous le titre *Les bâtisseurs de pharaon. La confrérie de Deir el-Médineh*, Paris, 1986.
Manfred Bietak
1968, *Studien zur Chronologie der nubischen C-Gruppe. Ein Beitrag zur Frühgeschichte Unternubiens, DÖAW* 97.
1975, *Der Fundort im Rahmen der archäologischen-geographischen Untersuchungen über das ägyptische Ostdelta, Tell el-Dab'a*, 2, *DÖAW* 1.
1979, « Urban Archaeology and the " Town Problem " in Ancient Egypt », in **K. Weeks**, *Egyptology and the Social Sciences*, Le Caire, 97-144.
1981, *Avaris and Piramesse, Archaeological Exploration in the Eastern Nile Delta*, Londres.
1984a, *Eine Palastanlage aus der Zeit der späten Mittleren Reiches und andere Forschungsergebnisse aus dem östlichen Nildelta*, Vienne.
1984b, « Zum Königsreich des " *3-zḥ-R*ʿ " Nehesi », *SAK* 11, 59-75.
M. Bietak & R. Engelmayer
1963, *Eine frühdynastische Abri-Siedlung mit Felsbildern aus Sayala-Nubien, DÖAW* 82.
M. Bietak & C. Mlinar
1987, *Ein Friedhof der syrisch-palästinischen mittleren Bronzezeit-Kultur mit einem Totentempel, Tell el-Dab'a*, 5, *DÖAW* 8.
BIFAO = *Bulletin de l'IFAO*, Le Caire.
BiOr = *Bibliotheca Orientalis*, Leyde.

F. BISSON DE LA ROQUE
1950, *Trésor de Tôd*, *CGC* 70501-70754.
F. BISSON DE LA ROQUE, G. CONTENAU & F. CHAPOUTHIER
1953, *Le trésor de Tôd*, *Doc FIFAO* 11.
G. BJÖRKMANN
1971, *Kings at Karnak*, Uppsala.
C. BLACKER & M. LOEWE
1975, *Ancient Cosmologies*, Londres.
Nicole BLANC
1978, « Peuplement de la vallée du Nil au sud du 23e parallèle », in *Histoire Générale de l'Afrique*, UNESCO, *Études & Documents* 1, 37-64.
C. BLANKENBERG-VAN DELDEN
1969, *The Large Commemorative Scarabs of Amenhotep III*, Leyde.
1976, « More Large Commemorative Scarabs of Amenhotep III », *JEA* 62, 74-80.
1982a, « A Genealogical Reconstruction of the Kings and Queens of the Late 17th and early 18th Dynasties », *GM* 54, 31-46.
1982b, « Kamosis », *GM* 60, 7-8.
1982c, « Queen Ahmes Merytamon », *GM* 61, 13-16.
C. J. BLEEKER
1967, *Egyptian Festivals, Enactements of Religious Renewal, Studies in the History of Religions, Supplement to Numen*, 13, Leyde.
Edward BLEIBERG
1985-1986, « Historical Texts as Political Propaganda During the New Kingdom », *BES* 7, 5-14.
Elke BLUMENTHAL
1970, *Untersuchungen zum ägyptischen Königtum des Mittleren Reiches*, I, *Die Phraseologie*, Berlin.
1980, « Die Lehre für König Merikare », *ZÄS* 107, 5-41.
1982, « Die Prophezeiung des Neferti », *ZÄS* 109, 1-27.
1983, « Die erste Koregenz der 12. Dynastie », *ZÄS* 110, 104-121.
1984, « Die Lehre des Königs Amenemhets I. », I, *ZÄS* 111, 85-107.
1985, « Die Lehre des Königs Amenemhets I. », II, *ZÄS* 112, 104-115.
E. BLUMENTHAL, I. MÜLLER & alii
1984, *Urkunden der 18. Dynastie. Übersetzung zu den Heften 5-16*, Berlin.
H. BLUNT, J. ALBERT, S. SEGUEZZI & G. VON NEITZSCHITZ
1634-1636, *Voyages en Égypte des années 1634-1635 et 1636, Henry Blunt, Jacques Albert, Santo Seguezzi, George von Neitzschitz*, Voyageurs IFAO 13, 1974.
J. BOARDMAN & N. HAMMOND
1982, « The Expansion of the Greek World, 8th to 6th Century BC », *CAH* 3/3.
Joachim BOESSNECK
1981, *Gemeinsame Anliegen von Ägyptologie und Zoologie aus der Sicht des Zooarchäologen*, *SBAW* 1981.5.
J. BOESSNECK & A. VON DEN DRIESCH
1982, *Studien an subfossilien Tierknochen aus Ägypten*, *MÄS* 40.
Eugeni S. BOGOSLOWSKI
1983, « J. J. PEREPELKIN, *Die Revolution Amen-hotep IV*, I. Band, Moskau, 1967 », *GM* 61, 53-64.
S. VON BOLLA-KOTEK
1969, *Untersuchungen zur Tiermiete und Viehpacht im Altertum*, 2e édition, Munich.
L. BONGRANI-FANFONI
1987, « Un nuovo documento di Scepenupet Ia e Amenardis Ia », *OrAnt* 26, 65-71.
Marie-Ange BONHÈME
1978, « Les désignations de la " titulature " royale au Nouvel Empire », *BIFAO* 78, 347-388.
1979, « Hérihor fut-il effectivement roi ? », *BIFAO* 79, 267-284.

1987a, *Le Livre des Rois de la troisième période intermédiaire*, I, *Hérihor. XXI^e dynastie*, Le Caire.
1987b, *Les noms royaux dans l'Égypte de la troisième période intermédiaire. BdÉ* 98, Le Caire.
Marie-Ange Bonhème & Annie Forgeau
1988, *Pharaon. Les secrets du pouvoir*, A. Colin.
Danielle Bonneau
1971a, *Le fisc et le Nil. Incidences des irrégularités de la crue du Nil sur la fiscalité foncière...*, Paris.
1971b, « Les fêtes de la crue du Nil. Problèmes de lieux, de dates et d'organisation », *RdE* 23, 49-65.
R. G. Bonnel & V. A. Tobin
1985, « Christ and Osiris. A Comparative Study », in S. Groll, *Pharaonic Egypt*, Jérusalem, 1-29.
Hans Bonnet
1971, *Reallexikon der ägyptischen Religionsgeschichte*, 2^e édition, Berlin.
BOREAS = *BOREAS*, *Uppsala Studies in Ancient Mediterranean and Near Eastern Civilizations*, Uppsala.
Charles Boreux
1924-1925, *Études de nautique égyptienne, l'art de la navigation en Égypte jusqu'à la fin de l'Ancien Empire, MIFAO* 50.
1926, *L'art égyptien*, Bruxelles.
1932, *Musée du Louvre : antiquités égyptiennes, Catalogue-guide*, Paris.
J. F. Borghouts
1978, *Ancient Egyptian Magical Texts. Translated*, Leyde.
1986, *Nieuwjaar in het oude Egypte*, Leyde.
Giuseppe Botti
1967, *L'archivio demotico da Deir el-Medineh, Catalogo Museo Egizio di Torino*, I, 1, Florence.
Pierre du Bourguet
1964, *L'art copte, Petit Palais, Paris, 17 juin-15 septembre 1964*, Paris.
1968a, *Histoires et Légendes de l'Égypte mystérieuse*, Tchou.
1968b, *L'art copte*, A. Michel.
1973, *L'art égyptien*, Desclée de Brouwer.
R. P. Bovier-Lapierre H. Gauthier & P. Jouguet
1932, *Précis de l'histoire d'Égypte, 1, Égypte préhistorique pharaonique et gréco-romaine*, IFAO.
Louise Bradbury
1985, « Nefer's Inscription : On the Death Date of Queen Ahmose-Nefertary and the Deed Found Pleasing to the King », *JARCE* 22, 73-95.
Bruce Brander
1977, *Le Nil*, traduit par H. Seyrès, National Geographic Society.
Fred Gladstone Bratton
1972, *A History of Egyptian Archaeology*, New York.
BM = British Museum, Londres.
James Henry Breasted
1906, *Ancient Rec[illegible] Egypt*, Chicago.
I, *The First to S[illegible]eenth Dynasties.*
II, *The Eighteenth [illegible]asty.*
III, *The Nineteenth [illegible]asty.*
IV, *The Twentieth [illegible]e Twenty-Sixth Dynasties.*
Gabriel Brémond
1643-1646, *Voyage [illegible] Égypte de Gabriel Brémond, texte établi, présenté et annoté par G. Sanguin*, Voy[illegible]urs IFAO 12, 1974.

Edda Bresciani
1969, *Letteratura e poesia dell'antico Egitto. Introduzione, traduzione originali e note,* Turin.
1978, *J.-F. Champollion, Lettres à Zelmire, Champollion et son temps* 1.
1981, « La morte di Cambise ovvero dell'empietà punita : a proposito della " Cronica Demotica ", verso, col. C, 7-8 », *EVO* 4, 217-222.
1985, « Ugiahorresnet a Menfi », *EVO* 8, 1-6.
D. J. Brewer
1985, « The Fayum Zooarcheological Survey : A Preliminary Report », *NARCE* 128, 5-15.
Jürgen Brinks
1979, *Die Entwicklung der königlichen Grabanlagen des Alten Reiches. Eine strukturelle und historische Analyse altägyptischen Architektur, HÄB* 10.
1980, *Mastaba und Pyramidentempel — ein struktureller Vergleich.*
1981, « Die Sedfestanlagen der Pyramidentempel » *CdE* 56, 5-14.
1984, « Einiges zum Bau der Pyramiden des Alten Reiches », *GM* 78, 33-48.
Philippe Brissaud
1982, *Les ateliers de potiers de la région de Louqsor, BdE* 78.
Edward J. Brovarski
1985, « Akhmim in the Old Kingdom and First Intermediate Period », *BdE* 97/1, 117-153.
Hellmut Brunner
1957, *Altägyptische Erziehung,* Wiesbaden.
1964, *Die Geburt des Gottkönigs. Studien zur Überlieferung eines altägyptischen Mythos, ÄA 10.*
1974, « Djedefhor in der römischen Kaiserzeit », *Stud. Aeg.* 1, 55-64.
1983, *Grundzüge der altägyptischen Religion,* Darmstadt.
1986, *Grundzüge einer Geschichte der altägyptischen Literatur,* 4[e] éd., Darmstadt.
Emma Brunner-Traut
1977, *Altägyptische Tiergeschichte und Fabel, Gestalt und Strahlkraft,* Darmstadt.
1982, *Ägypten. Ein Kunst-und Reiseführer mit Landeskunde,* Stuttgart.
1985, *Lebensweisheit der alten Ägypter,* Fribourg.
1986, *Altägyptische Märchen,* 7[e] éd., Cologne.
Bruxelles
1975, *Le règne du soleil. Akhnaton et Néfertiti. Exposition organisée par le Ministère de la Culture aux Musées Royaux d'Art et d'Histoire.*
1986, *La femme aux temps des pharaons. Catalogue de l'exposition aux Musées Royaux d'Art et d'Histoire.*
BSEA = *British School of Egyptian Archaeology,* Londres.
BSEG = *Bulletin de la Société d'Égyptologie de Genève,* Genève.
BSFE = *Bulletin de la Société Française d'Égyptologie,* Paris.
BSGE = *Bulletin de la Société Géographique d'Égypte,* Le Caire.
Maurice Bucaille
1987, *Les momies des pharaons et la médecine. Ramsès II à Paris. Le pharaon et Moïse,* Séguier.
E. A. Wallis Budge
1912, *Annals of Nubian Kings with a Sketch of the History of the Nubian Kingdom of Napata,* Londres.
P. Bureth
1964, *Les titulatures impériales dans les papyrus, les ostraca et les inscriptions d'Égypte,* Bruxelles.
Adelheid Burkhardt
1985, *Ägypter und Meroiten im Dodekaschœnos. Untersuchungen zur Typologie und Bedeutung der demotischen Graffiti, Meroitica* 8.

J. Bury, S. Cook & alii
1969, *The Persian Empire and the West, CAH* 4.
A. Buttery
1974, *Armies and Ennemies of Ancient Egypt and Assyria, 3200 BC to 612 BC*, Goring by Sea.
Karl W. Butzer
1976, *Early Hydraulic Civilization in Egypt : A Study in Cultural Ecology*, Chicago.
K. W. Butzer & C. Hansen
1968, *Desert and River in Nubia. Geomorphologic and Prehistoric Environment at the Aswan Reservoir*, Madison.
BIFAO = *Bulletin* de l'IFAO.
CAH = *The Cambridge Ancient History*, Cambridge.
Cahiers d'Histoire Égyptienne, Le Caire.
Cahiers de la Société Asiatique, Paris.
Frédéric Caillaud
1827, *Voyage à Méroé, au fleuve blanc au delta de Fazoql dans le midi du royaume de Sennar, à Syouah et dans cinq autres oasis*, Paris.
Ricardo A. Caminos
1958, *The Chronicle of Prince Osorkon, AnOr* 37.
1977, *A Tale of Woé. From a Hieratic Papyrus in the A. S. Pushkin Museum of Fine Arts in Moscow (P. Pushkin 127)*, Oxford.
R. A. Caminos & H. G. Fischer
1976, *Ancient Egyptian Epigraphy and Paleography. The Recording of Inscriptions and Scenes in Tombs and Temples*, New York.
Christian Cannuyer
1985, « Notules à propos de la stèle du sphinx », *VA* 1, 83-90.
L. Cantarelli
1968, *La serie dei prefetti di Egitto*, Rome.
Jean Capart
1931, *Propos sur l'art égyptien*, Bruxelles.
E. Carlton
1977, *Ideology and Social Order*, Londres.
D. K. et J. T. Carmody
1985, *Shamans, Prophets and Sages*, Belmont, Californie.
Jean-Marie Carré
1956, *Voyageurs et écrivains français en Égypte*, seconde édition, Le Caire, IFAO.
Howard Carter
1952, *La tombe de Toutankhamon*, trad. française de M. Wiznitzer, Pygmalion, Paris, 1978.
CASAE = *Cahiers Supplémentaires des Annales du Service des Antiquités de l'Égypte*, Le Caire.
E. Cassin, J. Bottéro & J. Vercoutter
1967, *Die altorientalischen Reiche, III, Die erste Hälfte des 1. Jahrtausends, Fischer Weltgeschichte*, 4, Francfort-sur-le-Main.
Lionel Casson
1984, *Ancient Trade and Society*, Detroit.
1986, *Ships and Seamanship in the Ancient World*, Detroit.
1988, *Die Pharaonen*, Munich.
U. Castel, N. et S. Sauneron
1587-1588, *Voyages en Égypte pendant les années 1587-1588, Lichtenstein, Kiechel, Teufel, Fernberger, Lunebau, Miloïti*, Voyageurs IFAO 6, 1972.
G. Rosati Castellucci
1980, « L'onomastica del Medio Regno come mezzo di datazione », *Aegyptus* 70, 3-72.

Juan J. Castillos
1982, *A Reappraisal of the Published Evidence on Egyptian Predynastic and Early Dynastic Cemeteries*, Toronto.
Sylvie Cauville
1983, *La théologie d'Osiris à Edfou*, *BdE* 91.
1984, *Edfou*, IFAO, Le Caire.
CdE = *Chronique d'Égypte*, Bruxelles.
Françoise de Cenival
1972, *Les associations religieuses en Égypte d'après les documents démotiques*, *BdE* 46.
Jean-Louis de Cenival
1964, *Architecture universelle : Égypte, époque pharaonique*, Fribourg.
1965, « Un nouveau fragment de la Pierre de Palerme », *BSFE* 44, 13-17.
Jaroslav Černý
1952, *Ancient Egyptian Religion*, réédition, Londres, 1979.
1958a, « Stela of Ramesses II from Beisan », *Eretz Israel* 5, 75*-81*.
1958b, « Name of the King of the Unfinished Pyramid at Zawiyet el-Aryân », *MDAIK* 16, 25-29.
1961, « Note on the Supposed Beginning of a Sothic Period under Sethos I », *JEA* 47, 150-152.
1973a, *A Community of Workmen at Thebes in the Ramesside Period*, *BdE* 50.
1973b, *The Valley of the Kings. Fragments d'un manuscrit inachevé*, *BdE* 61.
J. Černý, J.-J., Clère & B. Bruyère
1949, *Répertoire onomastique de Deir el-Médineh*, 1, *DocFIFAO* 12.
P. Červiček
1975, « Notes on the Chronology of the Nubian Rock Art to the End of the Bronze Age (mid 11th cent. B. C.), *Études Nubiennes. Colloque de Chantilly*, *BdE* 77, 35-56.
CGC = *Catalogue Général du Caire*, Le Caire.
Jean-François Champollion
1835-1845, *Monuments de l'Égypte et de la Nubie*, 4 vol., Paris.
1972, *Textes et langages de l'Égypte pharaonique. Cent cinquante années de recherches, 1822-1972*, I-III, *BdE* 64, Le Caire.
Jean-Luc Chappaz
1983, « Le premier édifice d'Aménophis IV à Karnak », *BSEG* 8, 13-45.
Nial Charlton
1974, « Some Reflections on the History of Pharaonic Egypt », *JEA* 60, 200-205.
G. Charpentier
1986, *Recueil de matériaux épigraphiques relatifs à la botanique de l'Égypte antique*, Paris.
Nadine Cherpion
1987, « Quelques jalons pour une histoire de la peinture thébaine », *BSFE* 110, 27-47.
J. Chesneau, A. Thevet
1549-1552, *Voyages des années 1549-1552*, Voyageurs IFAO 14, 1984.
Pierre-Marie Chevereau
1985, *Prosopographie des cadres militaires égyptiens de la Basse Époque. Carrières militaires et carrières sacerdotales en Égypte du XI^e^ au II^e^ siècle avant J.-C.*, Antony.
1987, « Contribution à la prosopographie des cadres militaires de l'Ancien Empire et de la Première Période Intermédiaire », *RdE* 38, 13-48.
Henri Chevrier
1956, « Chronologie des constructions de la salle hypostyle », *ASAE* 54, 35-38.
1964, « Technique de la construction dans l'ancienne Égypte, I, Murs en briques crues », *RdE* 16, 11-17.
1970, « Technique de la construction dans l'ancienne Égypte, II, Problèmes posés par les obélisques », *RdE* 22, 15-39.

1971, « Technique de la construction dans l'ancienne Égypte, III, Gros-œuvre et maçonnerie », *RdE* 23, 67-111.

Chonsou

1979, *The Temple of Khonsu*, 1, Plates 1-110. *Scenes of King Herihor in the Court, with Translations of Texts*, *OIP* 100.

1981, *The Temple of Khonsu*, 2, Plates 111-207. *Scenes and Inscriptions in the Court and the First Hypostyle Hall...*, *OIP* 103.

Agatha Christie

1973, *Akhnaton. A Play in Three Acts*, Collins.

Louis-A. Christophe

1950, « Ramsès IV et le Musée du Caire », *Cahiers d'Histoire Égyptienne* 3, 47-67.

1951a, « La carrière du prince Mérenptah et les trois régences ramessides », *ASAE* 51, 335-372.

1951b, « Notes géographiques. À propos des campagnes de Thoutmosis III », *RdE* 6, 89-114.

1953, « Les fondations de Ramsès III entre Memphis et Thèbes », *Cahiers d'Histoire Égyptienne* 5, 227-249.

1955, « Les quatre plus illustres fils de Chéops », *Cahiers d'Histoire Égyptienne* 7, 213-222.

1956a, « Trois monuments inédits mentionnant le grand majordome de Nitocris, Padihorresnet », *BIFAO* 55, 65-84.

1956b, « Les trois derniers grands majordomes de la XXVI^e^ dynastie », *ASAE* 54, 83-100.

1956c, « Gérard de Nerval au Caire », *La Revue du Caire* 189, 171-197.

1956d, « Les reliques égyptiennes de Gérard de Nerval », *La Revue du Caire* 191 et 192 (31 p.).

1956-1957, « Les temples d'Abou Simbel et la famille de Ramsès II », *BIE* 37, 107-129.

1957a, « Deux voyageurs suisses dans l'Égypte d'il y a cent ans », *La Revue du Caire* 199, 231-252.

1957b, « L'organisation de l'armée égyptienne à l'époque ramesside », *La Revue du Caire* 207, 387-405.

1957c, « Les divinités du papyrus Harris I et leurs épithètes », *ASAE* 54, 345-389.

1958, « Le pylône " ramesside " d'Edfou », *ASAE* 55, 1-23.

1960-1961, « Les monuments de Nubie », *La Revue du Caire* 244, 397-415 (« le temple de Debod »); 246, 87-108 (« De Dehmit à Kalabcha »); 348, 257-275 (« Kalabcha »); 250, 429-448 (« De Kalabcha à Gerf-Hussein »); 252, 125-142 (« Forteresses de Basse-Nubie »).

1961a, « Le vocabulaire d'architecture monumentale d'après le papyrus Harris I », *MIFAO* 66, *Mélanges Maspero*, I, 6, 17-29.

1961b, « L'Institut d'Égypte et l'archéologie », *La Revue du Caire* 249, 345-354.

1964, « L'alun égyptien. Introduction historique », *BSGE* 37, 75-91.

1965-1966, « Qui, le premier, entra dans le grand temple d'Abou Simbel? », *BIE* 47, 37-46.

1967a, « Le voyage nubien du colonel Straton (fin octobre-début novembre 1817) », *BIFAO* 65, 169-176.

1967b, « Le ravitaillement en poissons des artisans de la nécropole thébaine à la fin du règne de Ramsès III », *BIFAO* 65, 177-200.

1977, *Campagne internationale de l'UNESCO pour la sauvegarde des sites et monuments de la Nubie, Bibliographie*, Paris.

C. S. Churcher

1972, *Late Pleistocene Vertebrates from Archaeological Sites in the Plain of Kom Ombo, Upper Egypt*, Toronto.

R. Clément

1960, *Les Français d'Égypte aux* XVII^e^ *et* XVIII^e^ *siècles*, *RAPH* 15.

Jacques-Jean Clère
1951, « Une statuette du fils aîné du roi Nectanebô », *RdE* 6, 135-156.
1957, « Notes sur la chapelle funéraire de Ramsès I à Abydos et sur son inscription dédicatoire », *RdE* 11, 1-38.
1958, « Fragments d'une nouvelle représentation égyptienne du monde », *MDAIK* 16, 30-46.
1968, « Nouveaux fragments de scènes du jubilé d'Aménophis IV », *RdE* 20, 51-54.
1970, « Notes sur l'inscription biographique de Sarenpout Ier à Assouan », *RdE* 22, 41-49.
1975, « Un monument de la religion populaire de l'époque ramesside », *RdE* 27, 70-77.
1977, « Sur l'existence d'un temple du Nouvel Empire à Dêbôd en Basse-Nubie », *Ägypten und Kusch, Schr. Or.* 13, 10-14.
1985, « Un dépôt de fondation du temple memphite de Sethos Ier », *Mélanges offerts à Jean Vercoutter*, Paris, 51-57.

J.-J. Clère & J. Vandier
1948, *Textes de la première période intermédiaire et de la 11e dynastie*, 1, *BAE*, 10.

E. Cline
1987, « Amenhotep III and the Aegean : A Reassessment of Egypto-Aegean Relations in the 14th Century B.C. », *Or* 56, 1-35.

J. Clutton-Brock
1981, *Domesticated Animals from Early Times*, Londres.

A. & E. Cockburn
1980, *Mummies, Diseases, and Ancient Cultures*, Cambridge.

Lydia Collins
1976, « The Private Tombs of Thebes : Excavations by Sir Robert Mond 1905 and 1906 », *JEA* 62, 18-40.

E. Combe, J. Bainville & E. Driault
1933, *Précis de l'histoire d'Égypte, 3, l'Égypte ottomane, l'expédition française en Égypte et le règne de Mohamed-Aly (1517-1849)*, IFAO.

Virginia Condon
1978, *Seven Royal Hymns. Papyrus Turin CG 54031*, *MÄS* 37.

R. C. Connoly, R. G. Harrison & S. Ahmed
1976, « Serological Evidences for the Parentage of Tut'ankhamun and Smenkhkare », *JEA* 62, 184-186.

Conte du Paysan, cité d'après Suys : 1933, texte, p.1*-31*.

John D. Cooney
1965, *Amarna Reliefs from Hermopolis in American Collections*, New York.

Jean Coppin
1638-1646, *Les voyages en Égypte de Jean Coppin*, présentation et notes de S. Sauneron, Voyageurs IFAO 4, 1971.

René-Georges Coquin
1972, « La christianisation des temples de Karnak », *BIFAO* 72, 169-178.

CT = *Coffin Texts*, cités en traduction d'après Barguet : 1986.

Jean-Pierre Corteggiani
1979a, *L'Égypte des pharaons au musée du Caire*, A. Somogy, Paris.
1979b, « Une stèle héliopolitaine d'époque saïte », dans *Hommages Sauneron*, I, *BdE* 81, 115-154.

Pedro Costa
1978, « The Frontal Sinuses of the Remains Purported to be Akhenaton », *JEA* 64, 76-79.

CRAIBL = *Comptes Rendus de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres*, Paris.
CRIPEL = *Cahiers de Recherches de l'Institut de Papyrologie et Égyptologie de Lille*, Lille.

Eugene Cruz-Uribe
1977, « On the Wife of Merneptah », *GM* 24, 23-32.
1978, « The Father of Ramses I : OI 11456 », *JNES* 37, 237-244.
1980, « On the Existence of Psammetichus IV », *Serapis* 5, 35-39.
Barbara Cumming
1982-1984, *Egyptian Historical Records of the Later Eighteenth Dynasty*, Warminster.
J. S. Curl
1982, *The Egyptian Revival. An Introductory Study of a Recurring Theme in the History of Taste*, Londres.
Silvio Curto
1970, *Medicina e medici nell'antico Egitto*, Turin.
1979, *Storia delle Museo Egizio di Torino*, 2e éd., Turin.
1981, *L'antico Egitto*, Turin.
1984, « Some Notes Concerning the Religion and Statues of Divinities of Ancient Egypt », dans *Studien zu Sprache und Religion Ägyptens, Festschrift W. Westendorf*, 717-734.
Wilhelm Czermak
1948, « Akten in Keilschrift und das auswärtige Amt des Pharaos », *WZKM* 51, 1-13.
B. A. Da Gallipoli, A. Rocchetta, H. Castela
1597-1601, *Voyages en Égypte des années 1597-1601. Traduit de l'italien par C. Burri et N. Sauneron*, Voyageurs IFAO 11, 1974.
Eva Danelius & Heinz Steinitz
1967, « The Fishes and Other Aquatic Animals on the Punt-Reliefs at Deir el-Bahri », *JEA* 53, 15-24.
W. Darby & P. Ghalioungui
1977, *Food. The Gift of Osiris*, Londres.
Georges Daressy
1888, « Les carrières de Gebelein et le roi Smendès », *RT* 10, 133-138.
1895, « Inscriptions du tombeau de Psametik à Saqqarah », *RT* 17, 17-25.
1896a, « Inscriptions inédites de la XXIIe dynastie », *RT* 18, 46-53.
1896b, « Une inondation à Thèbes sous le règne d'Osorkon II *(sic)* », *RT* 18, 181-186.
1899, « Les rois Psusennès », *RT* 21, 9-12.
1900, « Stèle de l'an III d'Amasis », *RT* 22, 1-9.
1901, « Inscriptions de la chapelle d'Amenirtis à Médinet-Habou », *RT* 23, 4-18.
1908, « Le roi Auput et son domaine », *RT* 30, 202-208.
1910, « Le décret d'Amon en faveur du grand prêtre Pinozem », *RT* 32, 175-186.
1912, « Ramsès-Si-Ptah », *RT* 34, 39-52.
1913a, « Inscriptions historiques mendésiennes », *RT* 35, 124-129.
1913b, « Notes sur les XXIIe, XXIIIe et XXIVe dynasties », *RT* 35, 129-150.
1916, « Le classement des rois de la famille des Bubastites », *RT* 38, 9-20.
1923, « La crue du Nil de l'an XXIX d'Amasis », *ASAE* 23, 47-48.
François Daumas
1953, « Le trône d'une statuette de Pépi Ier trouvé à Dendera », *BIFAO* 52, 163-172, repris sous le même titre dans *BSFE* 12, 36-39.
1958, *Les mammisis des temples égyptiens*, Paris.
1960, « La scène de la résurrection au tombeau de Pétosiris », *BIFAO* 59, 63-80.
1965a, *La civilisation de l'Égypte pharaonique*, Arthaud.
1965b, *Les dieux de l'Égypte*, coll. « Que sais-je ? » n° 1194, P.U.F.
1967, « L'origine d'Amon de Karnak », *BIFAO* 65, 201-214.
1968, *La vie dans l'Égypte ancienne*, coll. « Que sais-je ? » n° 1302, P.U.F.
1969, « Une table d'offrandes de Montouhotep Nebhepetre à Dendara », *MDAIK* 24, 96-99.

1972, « Les textes bilingues ou trilingues », dans *Textes et langages de l'Égypte pharaonique*, III, *BdE* 64/3, 41-45.
1973, « Derechef Pépi Ier à Dendara », *RdE* 25, 7-20.
1980, « L'interprétation des temples égyptiens anciens à la lumière des temples gréco-romains », dans *Karnak* 6, 261-284.
Sue D'AURIA
1983, « The Princess Baketamun », *JEA* 69, 161-162.
N. DAUTZENBERG
1983, « Zum König Ityi der 1. Dynastie », *GM* 69, 33-36.
1984, « Menes im Sothisbuch », *GM* 76, 11-16.
1986a, « Zu den Regierungszeiten in Manethos 1. Dynastie », *GM* 92, 23-28.
1986b, « Zu den Königen Chaires und Cheneres bei Manetho », *GM* 94, 25-29.
1987a, « Die Darstellung der 23. Dynastie bei Manetho », *GM* 96, 22-44.
1987b, « Iun-Re : der erste Kronprinz des Chephren ? », *GM* 99, 13-17.
1988, « Ägyptologische Bemerkungen zu Platons Atlantis-Erzählung », *GM* 102, 19-29.
Christopher J. DAVEY
1976, « The Structural Failure of the Meidum Pyramid », *JEA* 62, 178-179.
Ann Rosalie DAVID
1981, *A Guide to Religious Ritual at Abydos*, Warminster.
1982, *Ancient Egyptian. Religious Beliefs and Practices*, Londres.
1987, *The Pyramid Builders of Ancient Egypt*, Londres.
Whitney M. DAVIS
1979a, « Sources for the Study of Rock Art in the Nile Valley », *GM* 32, 59-74.
1979b, « Plato on Egyptian Art », *JEA* 65, 121-127.
1979c, « Ancient Naukratis and the Cypriotes in Egypt », *GM* 35, 13-24.
1980, « The Cypriotes at Naukratis », *GM* 41, 7-20.
1981, « Egypt, Samos, and the Archaic Style in Greek Sculpture », *JEA* 67, 61-81.
DE = *Discussion in Egyptology*, Oxford.
Fernand DEBONO & Bodil MORTENSEN
1978-1980, « Rapport préliminaire sur les résultats de l'étude des objets de la fouille des installations du Moyen Empire et " Hyksôs " à l'est du lac sacré de Karnak », *Karnak* 7, 377-384.
1980, « Préhistoire de la vallée du Nil », dans *Histoire Générale de l'Afrique* I, UNESCO, 669-692.
1988, *The Predynastic Cemetery at Heliopolis*, *AV* 63.
Wolfgang DECKER
1971, *Die physische Leistung Pharaos, Untersuchungen zu Heldentum, Jagd und Leibesübungen der ägyptischen Könige*, Cologne.
1975, *Quellentexte zum Sport und Körperkultur im alten Ägypten*, St. Augustin.
1978, *Annotierte Bibliographie zum Sport im alten Ägypten*, St. Augustin.
Élisabeth DELANGE
1987, *Catalogue des statues égyptiennes du Moyen Empire*, Musée du Louvre.
L. DELAPORTE, E. DRIOTON et alii
1948, *Atlas historique*, I, *l'Antiquité*, coll. « Clio », P.U.F.
Robert D. DELIA
1979, « A New Look at Some Old Dates : A Reexamination of Twelfth Dynasty Double Dated Inscriptions », *BES* 1, 15-28.
1982, « Doubts about Double Dates and Coregencies », *BES* 4, 55-70.
A. DEMAN
1985, « Présence des Égyptiens dans la seconde guerre médique (480-479 av. J.-C.) », *CdE* 60, 56-75.
Herman DE MEULENAERE
1958a, *Herodotos over de 26ste dynastie*, Louvain.
1958b, « Le vizir Harsiêsis de la 30e dynastie », *MDAIK* 16, 230-236.

1985, « Les grands prêtres de Ptah à l'époque saïto-perse », *Mélanges offerts à Jean Vercoutter*, Paris, 263-266.
1986, « Un général du Delta, gouverneur de la Haute Égypte », *CdE* 61, 203-210.
Vivant Denon
1801, *Voyage dans la Basse et la Haute Égypte*, Paris.
Philippe Derchain
1953, « La visite de Vespasien au Sérapeum d'Alexandrie », *CdE* 56, 261-279.
1959, « Le papyrus Salt 825 (BM 10051) et la cosmologie égyptienne », *BIFAO* 58, 73-80.
1962, « Le rôle du roi d'Égypte dans le maintien de l'ordre cosmique », dans *Le pouvoir et le Sacré*, Université Libre de Bruxelles, 61-73.
1965, *Le papyrus Salt 825 (BM 10051), rituel pour la conservation de la vie en Égypte*, Académie Royale de Belgique, Cl. Lettres, *Mémoires* 58/1a.
1966, « Ménès, le roi " Quelqu'un " », *RdE* 18, 31-36.
1970, « La réception de Sinouhé à la Cour de Sésostris Ier », *RdE* 22, 79-83.
1977, « Geburt und Tod eines Gottes », *GM* 24, 33-34.
1979a, « En l'an 363 de Sa Majesté le Roi de Haute et Basse Égypte Râ-Harakhty vivant par-delà le temps et l'espace », *CdE* 53, 48-56.
1979b, « Der ägyptische Gott als Person und Funktion », dans **W. Westendorf**, *Aspekte der spätägyptischen Religion*, Wiesbaden, 43-45.
1980, « Comment les Égyptiens écrivaient un traité de la royauté », *BSFE* 87-88, 14-17.
1987, « Magie et politique. À propos de l'hymne à Sésostris III », *CdE* 62, 21-29.
Peter der Manuelian
1983, « Prolegomena zur Untersuchung saïtischer " Kopien " », *SAK* 10, 221-246.
1987, *Studies in the Reign of Amenophis II*, *HÄB* 26.
Jehan E. Desanges
1968, « Vues grecques sur quelques aspects de la monarchie méroïtique » *BIFAO* 66, 89-104.
Jean Deshayes
1969, *Les civilisations de l'Orient ancien*, « Les grandes civilisations », Arthaud.
J. Desmond Clark (éd.)
1982, *The Cambridge History of Africa*, I, *From the Earliest Times to c. 500 BC*.
Christiane Desroches-Noblecourt
1946, *Le style égyptien*, coll. « Arts, styles et techniques », Larousse.
1962, *L'art égyptien*. Avec la collaboration de P. du Bourguet, Paris.
1964, *Peintures des tombeaux et des temples égyptiens*, UNESCO, Milan.
1965, *Toutankhamon. Vie et mort d'un pharaon*, Paris.
1972, « Un buste monumental d'Aménophis IV, don prestigieux de l'Égypte à la France », *Revue du Louvre* 1972/4-5, 239-250.
1979, « Touy, mère de Ramsès II, la reine Tanadjmy et les reliques de l'expérience amarnienne », dans *l'égyptologie en 1979*, II, 227-244.
1984, « Le " bestiaire " symbolique du libérateur Ahmosis », dans *Studien zu Sprache und Religion Ägyptens, Festschrift W. Westendorf*, 883-892.
C. Desroches-Noblecourt & G. Gerster
1968, *The World Saves Abu Simbel*, Vienne.
Didier Devauchelle & M. I. Aly
1986, « Présentation des stèles nouvellement découvertes au Sérapéum », *BSFE* 106, 31-44.
Michel Dewachter
1971a, « Graffiti des voyageurs du xixe siècle relevés dans le temps d'Amada en Basse-Nubie », *BIFAO* 69, 131-170.
1971b, « Le voyage nubien du comte Carlo Vidua (fin février-fin avril 1820) », *BIFAO* 69, 171-190.

1975, « Contribution à l'histoire de la cachette royale de Deir el-Bahari », *BSFE* 74, 19-32.
1976, « Le roi Sahathor et la famille de Néferhotep I[er] », *RdE* 28, 66-73.
1979, « Le percement de l'isthme de Suez et l'exploration archéologique », dans *L'égyptologie en 1979*, I, 221-228.
1984, « Le roi Sahathor, compléments », *RdE* 35, 195-199.
1986, « Le scarabée funéraire de Néchao II et deux amulettes inédites du Musée Jacquemart-André » *RdE* 37, 53-62.

Igor M. Diakonoff
1982, « The Structure of Near Eastern Society Before the Middle of the 2nd Millenium B.C. », *Oikumene* 3, 7-100.

Bernd J. Diebner
1984, « Erwägungen zum Thema " Exodus " », *SAK* 11, 595-630.

D. M. Dixon
1964, « The Origin of the Kingdom of Kush (Napata-Meroë) », *JEA* 50, 121-132.

Doc FIFAO = *Documents de Fouilles de l'Institut Français d'Archéologie Orientale*, Le Caire.

DÖAW = *Denkschrift der Österreichischen Akademie der Wissenschaften*, Vienne.

Aidan Dodson
1981, « Nefertiti's Regality : a Comment », *JEA* 67, 179-180.
1985, « On the Date of the Unfinished Pyramid of Zawyet El-Aryan », *DE* 3, 21-24.
1986, « Was the Sarcophagus of Ramesses III Begun for Sethos II ? », *JEA* 72, 196-198.
1987a, « The Tombs of the Kings of the Thirteenth Dynasty in the Memphite Necropolis », *ZÄS* 114, 36-45.
1987b, « Two Thirteens Dynasty Pyramids at Abusir ? », *VA* 3, 231-232.
1987c, « The Takhats and Some Other Royal Ladies of the Ramesside Period », *JEA* 73, 224-229.
1987d, « Psusennes II », *RdE* 38, 49-54.

Sergio Donadoni
1957, « Per la data della " Stele di Bentresh " », *MDAIK* 15, 47-50.
1963, *Fonti indirette della storia egiziana* (éd.), *Stud. Semitici* 7.
1977, « Sulla situazione giuridica della Nubia nell'impero egiziano », dans *Ägypten und Kush*, *Schr. Or.* 13, 133-138.
1981, *L'Egitto*, Turin.

Herbert Donner
1969, « Elemente ägyptischen Totenglauben bei den Aramäern Ägyptens », dans *Religions en Égypte hellénistique et romaine*, CESS Université de Strasbourg, P.U.F., 35-44.

Jean Doresse
1960, *Des hiéroglyphes à la croix. Christianisme et religion pharaonique*, PIHAN Stamboul 7.

Marianne Doresse
1971-1979, « Le dieu voilé dans sa châsse et la fête du début de la décade », *RdE* 23 (1971), 113-136 ; 25 (1973), 92-135 ; 31 (1979), 36-65.
1981, « Observations sur la publication des blocs des temples atoniens de Karnak : The Akhenaten Temple Project », *GM* 46, 45-79.

G. Dormion & J.-P. Goidin
1986, *Khéops. Nouvelle enquête. Propositions préliminaires*, Paris.

Rosemarie Drenkhahn
1976, *Die Handwerker und ihre Tätigkeit im alten Ägypten*, *ÄA* 31.
1980, *Die Elephantine-Stele des Sethnacht und ihr historischer Hintergrund*, *ÄA* 36.
1981, « Ein Nachtrag zu Tausret », *GM* 43, 19-22.

M. Drew-Bear
1979, *Le nome hermopolite. Toponymes et sites*, Missoula.

Étienne Drioton
1939, « Une statue prophylactique de Ramsès III », *ASAE* 39, 57-89.
1953, « Un document sur la vie chère à Thèbes au début de la XVIII^e^ dynastie », *BSFE* 12, 11-25.
1954, « Une liste de rois de la IV^e^ dynastie dans l'ouâdi Hammâmât », *BSFE* 16, 41-49.
1957, « Le nationalisme au temps des pharaons », *La Revue du Caire* 198, 81-92.
1958, « Amon avant la fondation de Thèbes », *BSFE* 26, 33-41
1969, *L'Égypte pharaonique*, Coll. « U 2 », A. Colin, Paris.
E. Drioton & P.du Bourguet
1965, *Les pharaons à la conquête de l'art*, Paris.
E. Drioton & J. Vandier
1962, *L'Égypte. Des origines à la conquête d'Alexandre*, 4^e^ éd., coll. « Clio », P.U.F., Paris.
Bernardino Drovetti
1800-1851, *Bernardino Drovetti epistolario 1800-1851*. Pubblicato da S. Curto in collaborazione con L. Donatelli, Milan, 1985.
Margaret S. Drower
1982, « Gaston Maspero and the Birth of the Egypt Exploration Fund (1881-3) », *JEA* 68, 299-317.
1985, *Flinders Petrie. A Life in Archaeology*, Londres.
Comte du Mesnil du Buisson
1969, « Le décor asiatique du couteau de Gebel el-Arak », *BIFAO* 68, 63-84.
Françoise Dunand
1980, « Fête, tradition, propagande : les cérémonies en l'honneur de Bérénice, fille de Ptolémée III, en 238 a.C. », dans *Livre du Centenaire, MIFAO* 104, 287-301.
1983, « Culte royal et culte impérial en Égypte. Continuités et ruptures », *Aegyptiaca Treverensia* 2, 47-56.
Dows Dunham
1970, *The Barkal Temples*, Boston.
André Dupont-Sommer
1978, « Les dieux et les hommes en l'île d'Éléphantine, près d'Assouan, au temps de l'Empire des Perses », *CRAIBL 1978*, 756-772.
D. P. Dymond
1974, *Archaelogy and History, a Plea for Reconciliation*, Londres.
Marianne Eaton-Krauss
1981a, « Seti-Merenptah als Kronprinz Merenptahs » *GM* 50, 15-22.
1981b, « The Dating of the " Hierakonpolis-Falcon " », *GM* 42, 15-18.
1981c, « Miscellanea Amarniensia », *CdE* 56, 245-264.
1987, « The Titulary of Tutankhamun », in *Form und Mass, ÄAT* 12, 110-123.
J. Ebach & M. Görg
1987, *Beziehung zwischen Israel und Ägypten*, Darmstadt.
Elmar Edel
1944, « Untersuchungen zur Phraseologie der ägyptischen Inschriften des Alten Reiches », *MDAIK* 13, 1-90.
1961-1963, *Zu den Inschriften aus den Jahreszeitenreliefs der « Weltkammer » aus dem Sonnenheiligtum des Niuserre*, *NAWG*.
1972, « *Nj-rmṯw-nswt* " ein Besitzer von Menschen ist der König " », *GM* 2, 15-18.
1974, « Neue Identifikationen topographischer Namen in den konventionellen Namenzusammenstellungen des Neuen Reiches », *GM* 11, 19-22.
1978, « Amasis und Nabukadrezar II », *GM* 29, 13-20.
1981, *Hieroglyphische Inschriften des alten Reiches*, Wiesbaden.
1984, « Zur Stele Sesostris' I. aus dem Wadi el-Hudi (*ASAE* 39, 197 ff.) », *GM* 78, 51-54.

1985, « Der Seevölkerbericht aus dem 8. Jahre Ramses' III. (*MH* II, pl. 46, 15-18). Übersetzung und Struktur », *BdE* 97/1, 223-237.

William F. EDGERTON

1947, « The Nauri Decree of Seti I, a Translation and Analysis of the Legal Portion », *JNES* 6, 219-230.

W. F. EDGERTON & J. A. WILSON

1936, *Historical Records of Ramses III. The Texts in MEDINET HABU Volumes I and II, Translated with Explanatory Notes, SAOC* 12.

Iorweth E. S. EDWARDS

1960, *Oracular Amuletic Decrees of the Late New Kingdom*, 2 vol., *HPBM* 4.

1967, *Les pyramides d'Égypte*, trad. D. Meunier, Livre de Poche, Paris.

1974, « The Collapse of the Meidum Pyramid », *JEA* 60, 251-252.

1975, « Something Which Herodotus May Have Seen », *RdE* 27, 117-124.

I. E. S. EDWARDS, C. J. GADD, N. G. L. HAMMOND

1971, *Cambridge Ancient History*, I, 2, *The Early History of the Middle East*. 3e éd., Cambridge University Press.

1973a, *Cambridge Ancient History*, II, 1, *History of the Middle East and the Aegean Region c.1800-1380*, 3e éd., Cambridge University Press.

1973b, *Cambridge Ancient History*, II, 2, *History of the Middle East and the Aegean Region c.1380-1000*, 3e éd., Cambridge University Press.

1974, *Cambridge Ancient History*, I, 1, *Prolegomena and Prehistory*, 3e éd., Cambridge University Press.

1977, *Plates to Volumes 1 and 2*, Cambridge University Press.

Arne EGGEBRECHT

1980, *Geschichte der Arbeit, 1, Die frühen Hochkulturen : das alte Ägypten*, Cologne.

1982, *Ägypten : Faszination und Abenteuer*, Mayence.

L'égyptologie en 1979 = L'égyptologie en 1979. Axes prioritaires de recherche, Colloques internationaux du CNRS, Paris, 1982.

Egyptology Today, Londres.

Josef EIWANGER

1984, *Merimde-Benisalame*, 1, *Die Funde der Uhrschicht*, *AV* 47.

1988, *Merimde-Benisalame*, 2, *Die Funde der mittleren Merimdekultur*, *AV* 51.

Mustafa EL-AMIR

1964, « Monogamy, Polygamy, Endogamy and Consanguinity in Ancient Egyptian Marriage », *BIFAO* 62, 103-108.

F. EL-BAZ

1984, *The Geology of Egypt. An Annotated Bibliography*, Leyde.

F. A. EL-BEDEWI

1968-1969, « Search for Presently Unknown Chambers in Chefren Pyramid », *BIE* 50, 65-74.

Zeinab EL-DAWAKHLY

1966-1968, « New Lights on the Role of Women in Ancient Egypt », *BIE* 48-49, 79-86.

K. T. EL-DISSOURY

1969, *Elephantine in the Old Kingdom*, Chicago.

R. A. EL-FARAG

1980, « A Stela of Khasekhemui from Abydos », *MDAIK* 36, 77-80.

Rashid EL-NADOURY

1968a, « Human Sacrifices in the Ancient Near East », *AHS Alexandrie* 2, 1-10.

1968b, « The Origin of the Fortified Enclosures of the Early Egyptian Dynastic Period », *AHS Alexandrie* 2, 11-19.

R. EL-NADOURY & J. VERCOUTTER

1980, « Le leg de l'Égypte pharaonique », dans *Histoire Générale de l'Afrique*, II, UNESCO, 153-190.

W. EL-SADEEK
1984, « Twenty-sixth Dynasty Necropolis at Gizeh », *VIAÄ Wien* 29.
Ahmed EL-SAWI
1983, « Ramesses II Completing a Shrine in the Temple of Sety I at Abydos », *SAK* 10, 307-310.
Ramadan EL-SAYED
1974, « Quelques éclaircissements sur l'histoire de la XXVIe dynastie, d'après la statue du Caire *CG* 658 », *BIFAO* 74, 29-44.
1978, « Piankhi, fils de Hérihor. Documents sur sa vie et sur son rôle », *BIFAO* 78, 197-218.
1979a, « Stèles de particuliers relatives au culte rendu aux statues royales de la XVIIIe à la XXe dynastie », *BIFAO* 79, 155-166.
1979b, « Quelques précisions sur l'histoire de la province d'Edfou à la Deuxième Période Intermédiaire (Étude des stèles *JE* 38917 et 46988 du Musée du Caire), *BIFAO* 79, 167-208.
E. M. EL-SHAZLY
1987, « The Ostracinic Branch, A Proposed Old Branch of the River Nile », *DE* 7, 69-78.
Farid EL-YAHKY
1984, « The Origin and Development of Sanctuaries in Predynastic Egypt », *JSSEA* 14, 70-73.
1985a, « The Sahara and Predynastic Egypt : an Overview », *JSSEA* 15, 81-85.
1985b, « Clarifications on the Gerzean Boat Scenes », *BIFAO* 85, 187-195.
Enchoria, Zeitschrift für Demotistik und Koptologie, Wiesbaden.
Erika ENDESFELDER
1977, « Über die ökonomischen und sozialen Verhältnisse der Reiche von Napata und Meroe », dans *Ägypten und Kush*, *Schr. Or.* 13, 143-164.
1979, « Zur Frage der Bewässerung im pharaonischen Ägypten », *ZÄS* 106, 37-51.
H. ENGEL
1979, *Die Vorfahren Israels in Ägypten*, Francfort.
R. ENGELBACH
1940, « Material for a Revision of the History of the Heresy Period of the XVIIIth Dynasty », *ASAE* 40, 133-165.
Enseignement d'Amenemhat Ier, cité d'après l'édition de Helck : 1969.
Eranos Rudbergianus, Uppsala.
Eretz Israel, Tel Aviv.
W. ERICHSEN
1933, *Papyrus Harris I. Hieroglyphische Transkripgtion*, *BAE* 5.
Adolphe ERMAN
1900, « Die Naukratisstele », *ZÄS* 38, 127-133.
1952a, *La religion des Égyptiens*, traduction française par Henri Wild, Payot.
1952b, *L'Égypte des pharaons*, traduction française par Henri Wild, Payot.
Earl L. ERTMAN
1979, « Some Probable Representations of Ay », dans *L'égyptologie en 1979*, II, 245-248, — repris sous le même titre dans *GM* 51 (1981), 51-56.
ET = *Études et Travaux*, Varsovie.
EVO = *Egitto e Vicino Oriente*, Rivista della sezione orientalistica dell'Istituto di Storia Antica, Universita degli Studi di Pisa, Pise.
Christopher J. EYRE
1980, « The Reign-length of Ramesses VII », *JEA* 66, 168-170.
1984, « Crime and Adultery in Ancient Egypt », *JEA* 70, 92-105.
1987, « The Use of Data from Deir el-Medina », *BiOr* 44, 21-36.
Félix FABRI
1483, *Le voyage en Égypte de Félix Fabri*, traduit, présenté et annoté par le R. P. J. MASSON, s.j., IFAO, Le Caire, 1975.

Brian M. Fagan
1977, *The Rape of the Nile. Tomb Robbers, Tourists, and Archaeologists in Egypt*, Macdonald & Jane's, Londres. Traduit en français sous le titre *L'aventure archéologique en Égypte*, Paris, 1981.
H. W. Fairman
1958, « The Kingship Rituals of Egypt », dans **S. H. Hooke**, *Myth, Ritual and Kingship*, 74-104.
W. A. Fairservis Jr.
1983, *Hierakonpolis — The Graffiti and the Origins of Egyptian Hieroglyphic Writing*, Poughkeepsie NY.
Ahmed Fakhry
1973, *The Oases of Egypt*, I, *Siwa Oasis*, Le Caire.
1974, *The Oases of Egypt*, II, *Bahriya and Farafra Oases*, Le Caire.
1975, *The Pyramids*, 4e éd., Chicago.
M. von Falck, S. Klie & A. Schulz
1985, « Neufunde ergänzen Königsnamen eines Herrschers der 2. Zwischenzeit », *GM* 87, 15-24.
Raymond O. Faulkner
1958, « The Battle of Kadesh », *MDAIK* 16, 93-111.
1959, « *Wpwtyw* " Bystanders " », *JEA* 45, 102.
1969, *The Ancient Egyptian Pyramid Texts*, 2 vol., Oxford.
1985, *The Ancient Egyptian Book of the Dead*, Londres.
Richard A. Fazzini
1988, *Egypt, Dynasty XXII-XXV*, Leyde.
H. Fechheimer
1922, *Die Plastik der Ägypter*, Berlin.
Gerhard Fecht
1958, « Zu den Namen ägyptischer Fürsten und Städte in den *Annalen* des Assurbanipal und der *Chronik* des Asarhaddon », *MDAIK* 16, 112-119.
1979, « Die Berichte des Hrw = ḫwi.f über seine drei Reisen nach J3m », *ÄAT* 1, 105-134.
1983, « Die Israelstele, Gestalt und Aussage », *ÄAT* 5, 106-138.
1984a, « Das " Poème " über die Qadesh-Schlacht », *SAK* 11, 281-333.
1984b, « Nachträge zu meinem " Das 'Poème' über die Qadesch-Schlacht », *GM* 80, 55-58.
1984c, « Ramses II. und die Schlacht bei Qadesh (Qidsha) », *GM* 80, 23-54.
Walter Federn
1935, « Zur Familiengeschichte der IV. Dynastie Ägyptens », *WZKM* 42, 165-192.
Erika Feucht
1978, « Zwei Reliefs Scheschonqs I. aus El Hibeh », *SAK* 6, 69-77.
1981, « Relief Scheschonq I. beim Erschlagen der Feinde aus El-Hibe », *SAK* 9, 105-118.
Elizabeth Finkenstaedt
1976, « The Chronology of Egyptian Predynastic Black-Topped Ware », *ZÄS* 103, 5-8.
1981, « Regional Painting Style in Prehistoric Egypt », *ZÄS* 107, 116-120.
1984, « Violence and Kingship : the Evidence of the Palettes », *ZÄS* 111, 107-110.
1985, « Cognitive vs. Ecological Niches in Prehistoric Egypt », *JARCE* 32, 143-147.
Otto Firchow
1957, « Königsschiff und Sonnenbarke », *WZKM* 54, 34-42.
Henry G. Fischer
1964, *Inscriptions from the Coptite Nome. Dynasties VI-XI*, *AnOr* 40.
1968, *Dendera in the Third Millenium B.C. Down to the Theban Domination of Upper Egypt*, New York.
1974, « *Nbty* in Old-Kingdom Titles and Names », *JEA* 60, 94-99.

1975, « Two Tantalizing Biographical Fragments of Historical Interest », *JEA* 61, 33-37.
Hans-Werner Fischer-Elfert
1983a, « The Sufferings of an Army Officer », *GM* 63, 43-46.
1983b, « Morphologie, Rhetorik und Genese der Soldatencharakteristik », *GM* 66, 45-66.
1986, *Literarische Ostraka der Ramessidenzeit in Übersetzung, KÄT.*
1987a, *Die satirische Streitschrift des Papyrus Anastasi I,2, Übersetzung und Kommentierung, ÄA* 44.
1987b, « Der Pharao, die Magier und der General — Die Erzählung des Papyrus Vandier », *BiOr* 44, 5-21.
Gustave Flaubert
1849-1850, *Voyage en Égypte*, Paris, 1986.
Marie-Pierre Foissy-Aufrère
1985, *Égypte & Provence. Civilisation, survivances et « cabinetz de curiositez »*, Avignon, Musée Calvet.
Annie Forgeau
1984, « Prêtres isiaques : essai d'anthropologie religieuse », *BIFAO* 84, 155-187.
L. Foti
1978, « Menes in Diodorus I. 89 », *Oikumene* 2, 113-126.
Michael V. Fox
1988, *The Song of Songs and the Ancient Egyptian Love Songs*, Madison, Wi.
Fragen an die altägyptische Literatur, Studien zum Gedenken an Eberhard Otto, Wiesbaden.
P. J. Frandsen
1976, « Heqareshu and the Family of Tuthmosis IV », *AcOr* 37, 5-10.
1979, « Egyptian Imperialism », dans *Power and Propaganda, Mesopotamia* 7, 167-192.
Detlef Franke
1973, « Ein Beitrag zur Diskussion über die asiatische Produktionsweise », *GM* 5, 63-72.
Henri Frankfort
1951, *La royauté et les dieux*, traduction française par J. Marty et P. Kriéger, Payot.
Sigmund Freud
1986, *L'homme Moïse et la religion monothéiste. Trois essais.* Traduction C. Heim, Gallimard.
E. Friedell
1982, *Kulturgeschichte Ägyptens und des Alten Orients*, Munich.
Florence Friedman
1975, « On the Meaning of *W3ḏ-wr* in Selected Literary Texts », *GM* 17, 15-22.
Christian Froidefond
1971, *Le mirage égyptien dans la littérature grecque, d'Homère à Aristote*, Ophrys.
FuB = Forschungen und Berichte, Berlin.
P. Fuscaldo
1982, « La medicina en el antiguo Egipto », *RIHAO* 6, 35-60.
Gaballa Aly Gaballa
1969, « Minor War Scenes of Ramesses II at Karnak », *JEA* 55, 82-88.
Marc Gabolde
1987, « Ay, Toutankhamon et les martelages de la stèle de la restauration de Karnak (CG 34183) », *BSEG* 11, 37-62.
Gawdat Gabra
1981, « A Lifesize Statue of Nepherites I from Buto », *SAK* 9, 119-124.
N. H. Gale & Z. A. Stos-Gale
1981, « Ancient Egyptian Silver », *JEA* 67, 103-115.

Sir Alan H. Gardiner
1904, « The Installation of a Vizier », *RT* 26, 1-19.
1916, « The Defeat of the Hyksos by Kamose : the Carnarvon Tablet, N° I », *JEA* 3, 95-110.
1938, « The House of Life », *JEA* 24, 157-179.
1948, *Ramesside Administrative Documents*, Oxford.
1952, « Some Reflections on the Nauri Decree », *JEA* 38, 24-33.
1955, « The Problem of the Month-names », *RdE* 10, 9-31.
1956, « The First King Menthotpe of the Eleventh dynasty », *MDAIK* 14, 42-51.
1959, *The Royal Canon of Turin*, Oxford.
1960, *The Kadesh Inscriptions of Ramesses II*, Oxford.
1961, *Egypt of the Pharaohs. An Introduction*, Oxford University Press.
1974, *Egypt of the Pharaohs*, réédition, Oxford.
Paul Garelli
1969, *Le Proche-Orient asiatique. Des origines aux invasions des Peuples de la Mer*, « Nouvele Clio », P.U.F., Paris, 2e édition, 1982.
P. Garelli & V. Nikiprowetzky
1974, *Le Proche-Orient asiatique. Les empires mésopotamiens. Israël*, « Nouvelle Clio », P.U.F., Paris.
Jean Sainte Fare Garnot
1942, « L'*imakh* et les *imakhous* d'après les *Textes des Pyramides* », *Annuaire de l'École Pratique des Hautes Études*, Ve Section, 1-32.
1948, *La vie religieuse dans l'ancienne Égypte*, coll. « Mythes et Religions », P.U.F.
1952, « Études sur la nécropole de Gîza sous la IVe dynastie », *RdE* 9, 69-79.
1958, « Sur le nom de " l'Horus cobra " », *MDAIK* 16, 138-146.
A. A. Gasm el-Seed
1985, « La tombe de Tanoutamon à El Kurru (Ku. 16) », *RdE* 36, 67-72.
Henri Gauthier
1906, « Quelques remarques sur la XIe dynastie », *BIFAO* 5, 23-40.
1907-1917, *Le Livre des Rois d'Égypte. Recueil de titres et protocoles royaux, noms propres des rois, reines et princesses...*, *MIFAO* 17-21.
1921, « Les " fils royaux de Kouch " et le personnel administratif de l'Éthiopie », *RT* 39, 179-238.
1923, « Quelques additions au *Livre des Rois d'Égypte* (Ancien et Moyen Empire) », *RT* 40, 177-204.
1925-1931, *Dictionnaire des noms géographiques contenus dans les textes hiéroglyphiques*, 7 vol., IFAO.
1932, « Les deux rois Kamose (XVIIe dynastie) », dans *Studies Griffith*, Oxford, 3-8.
1934, « Un monument nouveau du roi Psamtik II », *ASAE* 34, 129-134.
J.-E. Gautier & G. Jequier
1902, *Mémoire sur les fouilles de Licht*, *MIFAO* 6.
Marguerite Gavillet
1981, « L'évocation du roi dans la littérature royale égyptienne comparée à celle des *Psaumes* royaux et le rapport roi-Dieu », *BSEG* 5, 3-14 et 6, 3-17.
Beate George & B. Peterson
1979, *Die Karnak-Zeichnungen von Baltzar Cronstrand 1836-1837*, Stockholm.
H. Gericke
1984, *Mathematik in Antike und Orient*, Berlin.
Renate Germer
1979, *Untersuchungen über Arzneipflanzen im alten Ägypten*, Hambourg.
1981, « Einige Bemerkungen zum angeblichen Opiumexport von Zypern nach Ägypten », *SAK* 9, 125-130.
Philippe Germond
1979, « Le roi et le retour de l'inondation », *BSEG* 1, 5-12.

Louise Gestermann
1984, « Hathor, Harsomtus und Mntw-htp.w II. », dans *Studien zu Sprache und Religion Ägyptens, Festschrift W. Westendorf*, 763-776.
1987, *Kontinuität und Wandel in Politik und Verwaltung des frühen mittleren Reiches in Ägypten, GOF* IV/18.
Francis Geus
1982, « Du V[e] millénaire av. J.-C. à l'époque méroïtique : les dernières fouilles au Soudan nilotique », *BSFE* 94, 20-30.
I. A. Ghali
1969, *L'Égypte et les Juifs dans l'antiquité*, Paris.
Paul Ghalioungui
1973, *The House of Life. Magic and Medical Science in Ancient Egypt*, éd. révisée, Amsterdam.
1983, *The Physicians of Pharaonic Egypt, Sond. DAIK* 10.
Monir G. Ghobrial
1967, *The Structural Geology of the Kharga Oasis, Geological Survey Papers* 43, Le Caire.
W. Ghoneim
1977, *Die ökonomische Bedeutung des Rindes im alten Ägypten*, Bonn.
Antonio Giammarusti & Alessandro Roccati
1980, *File. Storia e vita di un santuario egizio*, Novara.
Lisa L. Giddy
1980, « Some Exports From the Oases of the Libyan Desert Into the Nile Valley — Tomb 131 at Thebes », dans le *Livre du Centenaire, MIFAO* 104, 119-125.
1987, *Egyptian Oases. Bahariya, Dakhla, Farafra and Kharga During Pharaonic Times*, Warminster.
S. Giedion
1966, *La naissance de l'architecture*, « L'éternel présent », traduction par E. Bille-de-Mot, Bruxelles.
André Gil-Artagnan
1975, « Projet *Pount*. Essai de reconstitution d'un navire et d'une navigation antiques », *BSFE* 73, 28-43.
Pierre Gilbert
1949a, *La poésie égyptienne*, 2[e] éd., Bruxelles.
1949b, *Esquisse d'une histoire de l'Égypte ancienne et de sa culture*, Bruxelles.
Boleslav Ginter & J. K. Koslowski
1979, *Silexindustrien in el-Tarif. AV* 26.
1986, « Kulturelle und Paläoklimatische Sequenz in der Fayum-Depression — eine zusammenfassende Darstellung der Forschungsarbeit... 1979-1981 », *MDAIK* 42, 9-24.
B. Ginter, J. K. Kozlowski, M. Pawlikowski
1985, « Field Report from the Survey Conducted in Upper Egypt in 1983 », *MDAIK* 41 (1985), 15-42.
Michel Gitton
1967, « Un monument de la reine Keñsa à Karnak », *RdE* 19, 161-163.
1974, « Le palais de Karnak », *BIFAO* 74, 63-74.
1975a, « Les premiers obélisques monolithes, à propos d'un texte de Pline l'Ancien », *BIFAO* 75, 97-102.
1975b, *L'épouse du dieu Ahmès Néfertary*, Les Belles-Lettres, Paris.
1976, « Le rôle des femmes dans le clergé d'Amon à la 18[e] dynastie », *BSFE* 75, 31-46.
1978, « Variation sur le thème de la titulature des reines », *BIFAO* 78, 389-404.
1984, *Les divines épouses de la 18[e] dynastie*, Les Belles-Lettres, Paris.

Raphael Giveon
1965, « A Sealing of Khyan From the Shephela of Southern Palestine », *JEA* 51, 202-204.
1967, « Royal Seals of the XIIth Dynasty From Western Asia », *RdE* 19, 29-37.
1971, *Les bédouins Shosou des documents égyptiens*, Leyde.
1974, « Amenophis III in Athribis », *GM* 9, 25-26.
1977, « Remarks on the Transmission of Egyptian Lists of Asiatic Toponyms », dans *Fragen an die altägyptische Literatur, Studien Otto*, Wiesbaden, 171-184.
1978, *The Impact of Egypt in Canaan. Iconographical and Related Studies, OBO* 20.
1979a, « The XIIIth Dynasty in Asia », *RdE* 30, 163-167.
1979b, « Remarks on Some Egyptian Toponym Lists Concerning Canaan », *ÄAT* 1, 135-141.
1979c, « Western Asiatic Aspects of the Amarna-period : the Monotheism-problem », dans *L'égyptologie en 1979*, II, 249-252.
1980, « Resheph in Egypt », *JEA* 66, 144-150.
1981, « Ya'qob-har », *GM* 44, 17-20.
1983, « A Date Corrected : if it is Hebrew to you », *GM* 69, 95.
1984, « Amenmesse in Canaan ? », *GM* 83, 27-30.
1986, « Cattle — Administration in Middle Kingdom Egypt and Canaan », *Hommages à François Daumas*, 1, Montpellier, 279-284.
Glimpses of Ancient Egypt, Studies in Honour of H. W. Fairman, Warminster.
Gérard Godron
1958, « Études sur l'époque archaïque », *BIFAO* 57, 143-156.
Gleanings from Deir el-Medîna, éd. **R. J. Demarée & J. J. Janssen**, Leyde.
Hans Goedicke
1957, « Das Verhältnis zwischen königlichen und privaten Darstellungen im Alten Reich », *MDAIK* 15, 57-67.
1960, *Die Stellung des Königs im Alten Reich, ÄA* 2.
1961, « Die Siegelzylinder von Pepi I. », *MDAIK* 17, 69-90.
1962, « Psammetik I. (und) die Libyer », *MDAIK* 18, 26-49.
1966a, « Some Remarks on the 400-Year Stela », *CdE* 41, 23-39.
1966b, « An Additional Note on " ʿ3 'Foreigner' " », *JEA* 52, 172-174.
1967, *Königliche Dokumente aus dem Alten Reich, ÄA* 14.
1969a, « Probleme der Herakleopolitenzeit », *MDAIK* 24, 136-143.
1969b, « Ägäische Namen in ägyptischen Inschriften », *WZKM* 62, 7-10.
1974, « The Inverted Water », *GM* 10, 13-18.
1977, « 727 vor Christus », *WZKM 69*, 1-19.
1979a, « " Irsu the Kharu " in Papyrus Harris », *WZKM* 71, 1-17.
1979b, « The Origin of the Royal Administration », dans *L'égyptologie en 1979*, II, 123-130.
1981a, « Harkhuf's Travels », *JNES* 40, 1-20.
1981b, « The " 400-Year Stela " Reconsidered », *BES* 3, 25-43.
1981c, « The Campaign of Psammetik II Against Nubia », *MDAIK* 37, 187-198.
1981d, Compte rendu de Patrick F. O'MARA, *The Chronology of the Palermo and the Turin Canons, JARCE* 18, 89-90.
1981e, Compte rendu de Patrick F. O'MARA, *The Palermo Stone and the Archaic Kings of Egypt, JARCE 18*, 88-89.
1984, *Studies in the Hekanakhte Papers*, Baltimore.
1985a, *Perspectives on the Battle of Kadesh*, Baltimore.
1985b, « Rudjedet's Delivery », *VA* 1, 19-26.
1987, « Ramesses II and the Wadi Tumilat », *VA* 3, 13-24.
1988, « Yam — More », *GM* 101, 35-42.
O. Goelet Jr.
1986, « The Therm *Stp-s3* in the Old Kingdom and Its Later Development », *JARCE* 23, 85-98.

Manfred GORG
1975, « Ninive in Ägypten », *GM* 17, 31-34.
1976, « Die Phryger in Hieroglyphen », *GM* 22, 37-38.
1977a, « *Zimiu* und *lamassu* », *GM* 23, 35-36.
1977b, « Komparatistische Untersuchungen an ägyptischer und israelitischer Literatur », dans *Fragen and die altägyptische Literatur, Stud. Otto,* 197-216.
1978, « Eine Variante von Mitanni », *GM* 29, 25-26.
1979a, « Mitanni in Gruppenschreibung », *GM* 32, 17-20.
1979b, « Das Ratespiel um *Mw-qd* », *GM* 32, 21-22.
1979c, « Identifikation von Fremdnamen », *ÄAT* 1, 152-173.
1979d, « Tuthmosis III. und die Shasou-region », *JNES* 38, 199-202.
1982a, « Weitere Belege für Ibirta », *GM* 59, 13-14.
1982b, « Ein Siegelamulett Amenophis III. aus Palästina », *GM* 60, 41-42.
1983, « Die afrikanischen Namen der Kaimauer von Elephantine », *GM* 67, 39-42.
1984, « Weitere Bemerkungen zur Geschenkliste Amenophis III. (EA 14) », *GM* 71, 15-16.
GOF = *Göttinger Orientsforschungen,* Wiesbaden.
B. L. GOFF
1979, *Symbols of Ancient Egypt in the Late Period. Twenty-first Dynasty,* La Haye.
J. O. GOHARY
1979, « Nefertiti at Karnak », dans *Glimpses of Ancient Egypt, Studies in Honour of H. W. Fairman,* 30-31.
Jean-Claude GOLVIN et Jean LARRONDE
1982, « Étude des procédés de construction dans l'Égypte ancienne, 1, L'édification des murs de grès en grand appareil à l'époque romaine », *ASAE* 68, 165-190.
Jean-Claude GOLVIN & Robert VERGNIEUX
1986, « Étude des procédés de construction dans l'Égypte ancienne, 4, Le ravalement des parois, la taille des volumes et des moulures », *Hommages à François Daumas,* 1, Montpellier, 299-321.
Farouk GOMAA
1973, *Chaemwese. Sohn Ramses II. und Hoherpriester von Memphis, ÄA* 27.
1975, *Die libyschen Fürstentümer des Deltas vom Tode Osorkons II. bis zur Wiedervereinigung Ägyptens durch Psammetik I.,* Wiesbaden.
1980, *Ägypten während der Ersten Zwischenzeit TAVO* B/27.
1986-1987, *Die Besiedlung Ägyptens während des mittleren Reiches,* 1, *Oberägypten,* 2, *Unterägypten und die angrenzenden Gebiete, TAVO* B 66/1-2.
Zakaria GONEIM
1957, *Excavations at Saqqara : Horus Sekhem-Khet. The Unfinished Step Pyramid at Saqqara,* I, IFAO, Le Caire.
1959, « La pyramide ensevelie », *La Revue du Caire* 232, 450-471.
Antonius GONZALES
1665-1666, *Le voyage en Égypte du Père Antonius Gonzales, 1665-1666. Traduit du néerlandais, présenté et annoté par Ch. Libois s.j.,* Voyageurs IFAO 19/1-2, 1977.
G. GOTTSCHALK
1979, *Die grossen Pharaonen. Ihr Leben, ihre Zeit, ihre Kunstwerke...,* Munich.
Jean-Claude GOYON
1972, *Rituels funéraires de l'ancienne Égypte..., LAPO* 4.
1978-1980, « Une dalle aux noms de Menkheperrê, fils de Pinedjem I^{er}, d'Isetemkheb et de Smendès (CSX 1305) », *Karnak* 7, 275-280.
1983, « Inscriptions tardives du temple de Mout à Karnak », *JARCE* 20, 47-64.
Georges GOYON
1970, « Nouvelles observations relatives à l'orientation de la pyramide de Khéops », *RdE* 22, 85-98.
1971a, « Les navires de transport de la chaussée monumentale d'Ounas », *BIFAO* 69, 11-42.

1971b, « Les ports des pyramides et le grand canal de Memphis », *RdE* 23, 137-153.
1974, « Kerkasôre et l'ancien observatoire d'Eudoxe », *BIFAO* 74, 135-148.
1976, « Un procédé de travail du granit par l'action thermique chez les anciens Égyptiens », *RdE* 28, 74-86.
1979, « Est-ce enfin Sakhebou ? », dans *Hommages Sauneron*, I, *BdE* 81, 43-50.
Erhart Graefe
1979a, « Zu Pjj, der angeblichen Nebenfrau des Achanjati », *GM* 33, 17-18.
1979b, « La structure administrative de l'institution de l'Épouse Divine d'Amon », dans *L'égyptologie en 1979*, II, 131-134.
1981, *Untersuchungen zur Verwaltung und Geschichte der Institution der Gottesgemahlin des Amun vom Begin des Neuen Reiches bis zur Spätzeit, ÄA* 37.
1984, « Der Pyramidenbesuch des Guilielmus de Boldensele im Jahre 1335 », *SAK* 11, 569-584.
Hermann Grapow
1949, *Studien zu den Annalen Thutmosis des Dritten und zu ihnen verwandten historischen Berichten des Neuen Reiches, ADAW*, 1947/2.
Brigitte Gratien
1978, *Les cultures Kerma. Essai de classification*, Publication de l'Université de Lille.
Bernhard Grdseloff
1942, *Les débuts du culte de Rechef en Égypte*, Le Caire.
Michael Green
1983, « The Syrian and Lebanese Topographical Data in the *Story of Sinuhe* », *CdE* 58, 38-59.
1987, « Compte rendu de A. Nibbi, *Wenamun and Alashiya Reconsidered*, Cowley, 1985, *BiOr* 44, 99-103.
P. Grelot
1972, *Documents araméens d'Égypte, Introduction, présentation*, LAPO 5.
Jean-Claude Grenier
1979, « Djédem dans les textes du temple de Tôd », dans *Hommages Sauneron*, I, *BdE* 81, 381-390.
1983, « La stèle funéraire du dernier taureau Bouchis », *BIFAO* 83, 197-208.
1987, « Le protocole pharaonique des Empereurs romains (Analyse formelle et signification historique) », *RdE* 38, 81-104.
L. Greven
1985, *Der Ka in Theologie und Königskult der Ägypter des Alten Reiches, ÄF* 17.
Marcel Griaule
1966, *Dieu d'eau*, Paris, Fayard.
Reinhard Grieshammer
1979, « Gott und dans Negative nach Quellen der ägyptischen Spätzeit », dans W. Westendorf, *Aspekte der spätägyptischen Religion*, Wiesbaden, 79-92.
1982, « Maat und Sädäq. Zum Kulturzusammenhang zwischen Ägypten und Kanaan », *GM* 55, 35-42.
F.Ll.Griffith
1900, *Stories of the High Priest of Memphis. The Seton of Herodotus and the Demotic Tales of Khamuas*, Oxford, réédition, 1985.
1927, « The Abydos Decree of Seti I at Nauri », *JEA* 13, 193-208.
John Gwyn Griffiths
1960, *The Conflict of Horus and Seth, from Egyptian and Classical Sources. A Study in Ancient Mythology*, Liverpool.
1980, *The Origins of Osiris and His Cult*, Leyde.
Nicolas Grimal
1980, « Bibliothèques et propagande royale à l'époque éthiopienne », dans le *Livre du Centenaire*, *MIFAO* 104, 37-48.
1981a, *La stèle triomphale de Pi('ankh)y au Musée du Caire. JE 48862 et 47086-47089*, *MIFAO* 105.

1981b, *Quatre stèles napatéennes au Musée du Caire. JE 48863-48866, Textes et Indices, MIFAO* 106.
1985, « Les " noyés " de Balat », dans *Mélanges offerts à Jean Vercoutter*, 111-121, éd. « Recherche sur les civilisations », Paris.
1986, *Les termes de la propagande royale égyptienne. De la XIX^e^ dynastie à la conquête d'Alexandre*, Institut de France, Mémoires de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres, NS, t. VI, Paris.

Alfred Grimm

1983a, « Ein Porträt der Hatschepsut als Gottesfrau und Königin », *GM* 65, 33-38.
1983b, « Zu einer getilgten Darstellung der Hatschepsut im Tempel von Deir el-Bahari », *GM* 68, 93-94.
1984, « Ein Statuentorso des Hakoris aus Ahnas el-Medineh im ägyptischen Museum zu Kairo », *GM* 77, 14-18.
1984-1985, « König Hakoris als Sonnenpriester. Ein Porträt aus El-Tôd im ägyptischen Museum zu Kairo », *BSEG* 9-10, 109-112.
1985a, « Das Fragment einer Liste fremdländischer Tiere, Pflanzen und Städte aus dem Totentempel des Königs Djedkare-Asosi », *SAK* 12, 29-42.
1985b, « Ein zweites Sedfest des Königs Adjib », *VA* 1, 91-98.

William Groff

1899, « Moïse et les magiciens à la Cour du pharaon d'après la tradition chrétienne et les textes démotiques », *RT* 21, 219-222.
1902, « Études sur certains rapports entre l'Égypte et la Bible », *RT* 24, 121-134.

K.A. Grzymski

1982, « *Medewi*/Bedewi and *Mḏs*/Bedja », GM 58, 27-30.

Rolf Gundlach

1977, « Der Denkstein des Königs Ahmose. Zur Inhaltsstruktur der Königsnovelle », dans *Fragen an die altägyptische Literatur, Stud. Otto*, Wiesbaden, 217-240.
1979, « Der Obelisk Thutmosis'I. », *ÄAT* 1, 192-226.
1981, « Mentuhotep IV. und Min — Analyse der Inschriften M 110, M 191 und M 192a aus dem Wâdi Hammâmât », *SAK* 8, 89-114.
1982, « Zur Relevanz geschichtswissenschaftlicher Theorien für die Ägyptologie », *GM* 55, 43-58.
1987, « Die Felsstelen Amenophis'III. am 1. Katarakt (Zur Aussagenstruktur königlicher historischer Texte), in *Form und Mass, ÄAT* 12, 180-217.

Battiscombe Gunn

1943, « Notes on the Naucratis Stela », *JEA* 29, 55-59.

B. Gunn & A.H. Gardiner

1918, « New Renderings of Egyptian Texts, II, The Expulsion of the Hyksos », *JEA* 5, 36-56.

Manfred Gutgesell

1982, « Die Struktur der pharaonischen Wirtschaft — Eine Erwiderung », *GM* 56, 95-109.
1983, « Die Entstehung des Pirvateigentums an Produktionsmitteln im alten Ägypten », *GM* 66, 67-80.

M. Haag

1984, *Guide to Cairo Including the Pyramids and Saqqara*, Londres.

Labib Habachi

1954a, « Khatâ'na-Qantîr : importance », *ASAE* 52, 443-562.
1954b, « La libération de l'Égypte de l'occupation hyksôs. À propos de la découverte de la stèle de Kamosé à Karnak », *La Revue du Caire, Les grandes découvertes archéologiques de 1954*, 52-58.
1957a, « The Graffiti and Work of the Viceroys of Kush in the Region of Aswan », *Kush* 5, 13-36 [repris dans *Sixteen Studies on Lower Nubia, CASAE* 23, 1981, 29-63].

1957b, « A Statue of Bakennifi, Nomarch of Athribis During the Invasion of Egypt by Assurbanipal », *MDAIK* 15, 68-77.
1959, « The First Two Viceroys of Kush and Their Family », *Kush* 7, 45-63 [repris dans *Sexteen Studies on Lower Nubia, CASAE* 23, 1981, 65-89].
1963, « King Nebhepetre Menthuhotp : his Monuments, Place in History, Deification and Unusual Representations in the Form of Gods », *MDAIK* 19, 16-52.
1966, « The Qantir Stela of the Vizier Rahotep and the Statue Ruler-of-Rulers », dans *Festgabe für Dr. Walter Will, Ehrensenator der Universität München, zum 70. Geburtstag am 12. November 1966*, 67-77.
1967, « Setau, the Famous Viceroy of Ramesses II and his Career », *Cahiers d'Histoire Égyptienne* 10, 51-68 [repris dans *Sixteen Studies on Lower Nubia, CASAE* 23, 1981, 121-138].
1969a, *Features of the Deification of Ramesses II, ADAIK* 5 [repris dans *Sixteen Studies on Lower Nubia, CASAE* 23, 1981, 219-246].
1969b, « La reine Touy, femme de Séthi I, et ses proches parents inconnus », *RdE* 21, 27-47.
1969c, « The Administration of Nubia During the New Kingdom with Special Reference to Discoveries Made During the Last Few Years », *MIE* 59, 65-78 [repris dans *Sexteen Studies on Lower Nubia, CASAE* 23, 1981, 169-183].
1971, « The Jubilee of Ramesses'II and Amenophis'III with Reference to Certain Aspects of Their Celebration », *ZÄS* 97, 64-72.
1972, *The Second Stela of Kamose and his Struggle Against the Hyksos Ruler and his Capital, ADAIK* 8.
1974a, « Sethos I's Devotion to Seth and Avaris », *ZÄS* 100, 95-102.
1974b, « Aménophis III et Amenhotep, fils de Hapou, à Athribis », *RdE* 26, 21-33.
1974c, « Psammétique II dans la région de la Première Cataracte » *OrAnt* 13, 317-326 [repris dans *Sixteen Studies on Lower Nubia, CASAE* 23, 1981, 259-269].
1977, « Mentuhotp, the Vizier and Son-in-law of Taharqa », dans *Ägypten und Kush, Schr. Or.* 13, 165-170 [repris dans *Sixteen Studies on Lower Nubia, CASAE* 23, 1981, 247-257].
1979, « Unknown or Little-known Monuments of Tutankhamun and of His Viziers », dans *Glimpses of ancient Egypt, Studies in Honour of H.W. Fairman*, 32-41.
1980, « The Military Posts of Ramesses II on the Coastal Road and the Western Part of the Delta », *BIFAO* 80, 13-30.
1981a, « Identification of Heqaib and Sabni With Owners of Tombs in Qubbet el-Hawa and Their Relationship with Nubia », dans *Sixteen Studies on Lower Nubia, CASAE* 23, 1981, 11-27.
1981b, « Viceroys of Kush During the Reigns of Sethos I and Ramesses II and the Order in which They Assumed Their Function », dans *Sixteen Studies on Lower Nubia, CASAE* 23, 1981, 139-154.
1981c, « Viceroys of Kush during the New Kingdom », dans *Sixteen Studies on Lower Nubia, CASAE* 23, 1981, 155-168.
1982a, *Die unsterblichen Obelisken Ägypten.*
1982b, « Athribis in the XXVIth Dynasty », *BIFAO* 82, 213-235.
1985, *The Sanctuary of Heqaib*, AV 33.
HÄB = *Hisldesheimer ägyptologische Beiträge*, Hildesheim.
Gerhardt Haeny
1979a, « New Kingdom Architecture », dans **Kent Weeks,** *Egyptology and the Social Sciences*, The American University in Cairo Press, 85-94.
1979b, « La fonction religieuse des " Châteaux de millions d'années " », dans *L'égyptologie en 1979*, I, 111-116.
1985, « A Short Architectural History of Philae », *BIFAO* 85, 197-233.

I. Hahn
1978, « Representation of Society in the Old Testament and the Asiatic Mode of Production », *Oikumene* 2, 27-41.
P.W. Haider
1984, « Die hethitische Stadt Arushna in ägyptischen Ortsnamenlisten des Neuen Reiches », *GM* 72, 9-14.
A.M.Ali Hakem, I. Hrbek & J. Vercoutter
1980, « La civilisation de Napata et de Meroé », dans *Histoire Générale de l'Afrique*, II, UNESCO, 315-346.
E. S. Hall
1986, *The Pharaoh Smites his Enemies*, *MÄS*.
Mahmoud Hamza
1937, « The Statue of Meneptah I Found at Athar en-Nabi and the Route of Pi'ankhy from Memphis to Heliopolis », *ASAE* 37, 233-242.
Jean Hani
1972, *La religion égyptienne dans la pensée de Plutarque*, Lille.
R. Hanke
1978, *Amarna-Reliefs aus Hermopolis. Neue Veröffentlichungen und Studien*, *HÄB* 2.
Christopher Harant
1598, *Le voyage en Égypte de Christopher Harant*, trad. et comm. de C. et A. Brejnik, Le Caire, IFAO, 1972.
Ibram Harari
1974, « Le principe juridique de l'organisation sociale dans le décret de Séti Ier à Nauri », dans *Le Droit égyptien ancien*, Institut des Hautes Études de Belgique, Bruxelles, 57-73.
1979, « Les administrateurs itinérants en Égypte ancienne », dans *L'égyptologie en 1979*, II, 135-140.
Robert Hari
1976a, « La reine d'Horemheb était-elle la sœur de Néfertiti ? », *CdE* 51, 39-46.
1976b, « Un nouvel élément de la corégence Aménophis III-Akhenaton », *CdE* 51, 252-260.
1978, « La succession de Toutankhamon », *BSFE* 82, 8-21.
1979, « La persécution des hérétiques », dans *L'égyptologie en 1979*, II, 259-262.
1981, « Sésostris et les historiens antiques », *BSEG* 5, 15-21.
1984-1985, « Quelques remarques sur l'abandon d'Akhetaton », *BSEG* 9-10, 113-117.
1984a, « La " Damnatio memoriae " amarnienne », *Mélanges Adolphe Gutbub*, Montpellier, 95-102.
1984b, « La religion amarnienne et la tradition polythéiste », dans *Studien zu Sprache und Religion Ägyptens, Festschrift W. Westendorf*, 1039-1055.
J. R. Harris
1971, *The Legacy of Egypt*, 2e éd., Londres.
1973a, « Nefernefruaten », *GM* 4, 15-18.
1973b, « The Date of the " Restauration " Stela of Tutankhamun », *GM* 5, 9-12.
1974, « Nefernefruaten Regnans », *AcOr* 36, 11-21.
1977, « Akhenaten or Nefertiti ? », *AcOr* 38, 5-10.
J.R. Harris & E. F. Wente
1980, *An X-ray Atlas of the Royal Mummies*, Chicago-Londres.
H. Hartleben
1983, *Champollion. Sa vie et son œuvre*, trad. D. Meunier, Pygmalion, Paris.
François Hartog
1980, *Le miroir d'Hérodote. Essai sur la représentation de l'autre*, NRF, Gallimard.
M. Hasitzka & H. Satzinger
1988, *Urkunden der 18. Dynastie, Indices zu den Heften 1-22. Corrigenda zu den Heften 5-16*, Berlin.

Fekri A. Hassan
1980, « Radiocarbon Chronology of Archaic Egypt », *JNES* 39, 203-208.
Sélim Hassan
s. d., *Le sphinx, son histoire à la lumière des fouilles récentes*, s.l.
B. Haycock
1965, « The Kingship of Kush in the Sudan », *in Comparative Studies in Society and History* 7, 461-480.
1968, « Towards a Better Understanding of the Kingdom of Kush (Napata-Meroe) », *SNR* 49, 1-16.
H. Hayen
1986, « Die Sahara — Eine vergessene Wagenprovinz », in W. Treue, *Achse, Rad und Wagen Fünftausend Jahre Kultur-und Technikgeschichte*, Göttingen.
W. C. Hayes
1942, *Ostraka and Name Stones from the Tomb of Sen-Mut (N° 71) at Thebes*,MMA, New York.
HdO = *Handbuch der Orientalistik*, Leyde.
M. Heerma van Voss
1982, *Ägypten, die 21. Dynastie*, Iconography of Religions 16/9.
D. Hegyi
1983, « Athen und die Achaemeniden in der zweiten Hälfte des 5. Jahrhunderts v.u.Z. », *Oikumene* 4, 53-59.
Wolfgang Helck
1939, *Der Einfluss der Militärführer in der 18. ägyptischen Dynastie, Untersuchungen* 14.
1955-1958, *Urkunden des ägyptischen Altertums, IV, Urkunden der 18. Dynastie*, Berlin [suite de Sethe : 1930].
1956a, « Wirtschaftliche Bemerkungen zum privaten Grabbesitz im Alten Reich », *MDAIK* 14, 63-75.
1956b, *Untersuchungen zu Manetho und den ägyptischen Königslisten, UGAÄ*, 18.
1957, « Bemerkungen zu den Pyramidenstädten im Alten Reich », *MDAIK* 15, 91-111.
1961, *Übersetzung zu den Heften 17-22 der Urk. IV*, réédition, 1984, Berlin.
1966, « Zum Kult an Königsstatuen », *JNES* 25, 32-41.
1969, *Der Text der « Lehre Amenemhets I. für seinen Sohn », KÄT.*
1970, *Die Prophezeiung des* Nfr.tj, *KÄT.*
1971, *Die Beziehung Ägyptens zu Vorderasien im 3. und 2. Jahrtausend v.* Chr., 2^e éd. augmentée, *ÄA* 5.
1975a, *Wirtschaftsgeschichte des alten Ägypten im 3. und 2. Jahrtausend vor Chr., HdO* I/1.5.
1975b, *Historisch-biographische Texte der 2. Zwischenzeit und neue Texte der 18. Dynastie, KÄT.*
1975c, « Abgeschlagene Hände als Siegeszeichen », *GM* 18, 23-24.
1976a, « Die Seevölker in der ägyptischen Quellen », *Jahrbericht des Instituts für Vorgeschichte der Universität Frankfurt am Main*, Munich, 7-21.
1976b, « Zum Datum der Eroberung von Auaris », *GM* 19, 33-34.
1977a, *Die Lehre für König Merikare, KÄT.*
1977b, « Das Verfassen einer Königsinschrift », dans *Fragen an die altägyptische Literatur, Studien E. Otto*, 241-256.
1979a, « Die Datierung der Gefässaufschriften aus der Djoserpyramide », *ZÄS* 106, 120-132.
1979b, « Die Vorgänger König Suppiluliumas I. », *ÄAT* 1, 238-246.
1980, « Ein " Feldzug " unter Amenophis IV. gegen Nubien », *SAK* 8, 117-126.
1981a, *Geschichte des alten Ägypten*, 2^e édition, *HdO* I/1.3.
1981b, « Probleme der Königsfolge in der Übergangszeit von 18. zu 19. Dynastie », *MDAIK* 37, 207-216.

1981c, « Wo errichtete Thutmosis III. seine Siegesstele am Euphrat ? », *CdE* 56, 241-244.
1981-1982, « Zu den Königinnen Amenophis' II. », *GM* 53, 23-26.
1983a, « Zur Verfolgung einer Prinzessin unter Amenophis III. », *GM* 62, 23-24.
1983b, « Schwachstellen der Chronologie-Diskussion », *GM* 67, 43-50.
1983c « Chronologische Swachstellen II », *GM* 69, 37-42.
1983d, *Ägypten. Die Mythologie der alten Ägypter, Wörterbuch der Mytologien* I.1.
1984a, « Chronologische Schwastellen III », *GM* 70, 31-32.
1984b, « Der " König von Ober — und Unterägypten " », dans *Studien zu Sprache und Religion Ägyptens, Festschrift W. Westendorf*, 251-256.
1986a, « Der Aufstand des Tetian », *SAK* 13, 125-134.
1986b, *Politische Gegensätze im alten Ägypten. Ein Versuch*, *HÄB* 23.
1987, *Untersuchungen zur Thinitenzeit*, *ÄA* 45.

Wolfgang HELCK & Eberhardt OTTO
1956, *Kleines Wörterbuch der Ägyptologie*, Wiesbaden.

Wolfgang HELCK, Eberhardt OTTO & Wolfhardt WESTENDORF
1972-1986, *Lexikon der Ägyptologie*, Wiesbaden, 6 vol.

Edwin HENFLING
1984, « Das·Eine und das Viele », dans *Studien zu Sprache und Religion Ägyptens, Festschrift W. Westendorf*, 735-740.

David HENIGE
1981, « Generation-counting and Late New Kingdom Chronology » *JEA* 67, 182.

Don E. G. DE HERREROS
1923, *Quatre voyageurs espagnols à Alexandrie*, Alexandrie.

Hans HICKMANN
1961, *Ägypten*, in H. BESSELER & M. SCHNEIDER, *Musikgeschichte in Bildern*, II, *Musik des Altertums*, Lieferung 1, Leipzig.

Friedrich W. HINKEL
1977, *The Archaeological Map of the Sudan, 1, A Guide to Its Use and Explanation of Its Principles*, Berlin.
1984, « Die meroitischen Pyramiden : Formen, Kriterien und Bauweisen », *Meroitica* 7, 310-331.

Fritz HINTZE
1974, « Zur statistischen Untersuchung afrikanischer Orts — und Völkernamen aus ägyptischen Texten », *MNL* 14, 4-19.

Fritz & Ursula HINTZE
1967, *Les civilisations du Soudan antique*, Leipzig.

Histoire Générale de l'Afrique
1978, *Études et documents, I, Le peuplement de l'Égypte ancienne et le déchiffrement de l'écriture méroïtique*, Actes du colloque tenu au Caire du 28 janvier au 3 février 1974.
1980a, I, *Méthodologie et préhistoire africaine*, dir. du volume J. KI-ZERBO, Jeune Afrique, Stock, UNESCO.
1980b, II, *Afrique ancienne*, dir. du volume G. MOKHTAR, Jeune Afrique, Stock, UNESCO.

A. HOBBS & J. ADZIGIAN
1981, *A Complete Guide to Egypt and the Archaeological Sites*, New York.

Svetlana HODJASH & O. D. BERLEV
1982, *The Egyptian Reliefs and Stelae in the Pushkin Museum of Fine Arts, Moscow*, Leningrad.

Günther HÖLBL
1981, « Die Ausbreitung ägyptischen Kulturgutes in den ägäischen Raum vom 8. bis zum 6. JH. v. Chr. », *Or* 50, 186-192.

Michael A. HOFFMAN
1979, *Egypt Before the Pharaohs*, Routledge & Kegan Paul, Londres.

Michael M. A. Hoffman, H. A. Hamroush & R. O. Allen
1986, « A Model of Urban Development for the Hierakonpolis Region from Predynastic through Old Kingdom Times », *JARCE* 23, 175-187.
James K. Hoffmeier
1983, « Some Egyptian Motifs Related to Warfare and Enemies and their Old Testament Counterparts », *Ancient World* 6, 53-70.
1985, *« Sacred » in the Vocabulary of Ancient Egypt. The Term Dsr With Special References to Dynasties I-XX, OBO* 59.
Inge Hofmann
1979, *Der Sudan als ägyptische Kolonie im Altertum, VIAÄWien* 5.
1981a, « Kambyses in Ägypten », *SAK* 9, 179-200.
1981b, « Kuschiten in Palästina », *GM* 46, 9-10.
1984, « Meroitische Herrscher », *Meroitica* 7, 242-244.
I. Hofmann, H. Tomandl & M. Zach
1984a, « Bewohner Kordofans auf ägyptischen Darstellungen? », *GM* 75, 15-18.
1984b, « Eduard Freiherr von Callots Bericht über Meroe », *GM* 79, 85-90.
I. Hofmann, & A. Vorblicher
1979, *Der Äthiopenlogos bei Herodot, VIAÄWien* 4.
T. Holm-Rasmussen
1977, « Nectanebos II and Temple M at Karnak (North) », *GM* 26, 37-42.
1979, « On the Statue Cult of Nektanebos II », *AcOr* 40, 21-25.
D. Holmes
1985, « Inter-regional Variability in Egyptian Predynastic Lithic Assemblages », *Wepwawet* 1, 16.
Th. Hopfner
1922-1925, *Fontes Historiae Religionis Ægyptiacae*, 5 vol., Bonn.
Erik Hornung
1956, « Chaotische Bereiche in der geordneten Welt », *ZÄS* 81, 28-32.
1957, « Zur geschichtlichen Rolle des Königs in der 18. Dynastie », *MDAIK* 15, 120-133.
1964, *Untersuchungen zur Chronologie und Geschichte des Neuen Reiches, ÄA* 11.
1966, *Geschichte als Fest. Zwei Vorträge zum Geschichtsbilde der frühen Menschheit* Darmstadt.
1967, « Der Mensch als " Bild Gottes " in Ägypten », dans **Oswald Loretz**, *Die Gottebenbildlichkeit des Menschen*, Munich, 123-156.
1971, « Politische Planung und Realität im alten Ägypten », *Saeculum* 22, 48-58.
1973, *Der Eine und die vielen. Ägyptische Gottesvorstellungen*, 2e éd.
1979, « Chronologie in Bewegung », *ÄAT* 1, 247-252.
1983, « Die Israelstele des Merenptah », *ÄAT* 5, 224-233.
1984, *Götterwort und Götterbild im alten Ägypten, dans* **H.-J. Klimkeit**, *Götterbild in Kunst und Schrift, Studium Universale* 2.
E. Hornung & E. Staehelin
1974, *Studien zum Sedfest, AH* 1.
HPBM = Hieratic Papyri in the British Museum, Londres.
Paul Huard
1965, « Recherches sur les traits culturels des chasseurs anciens du Sahara centre-oriental et du Nil », *RdE* 17, 21-80.
1966, « Contribution saharienne à l'étude de questions intéressant l'Égypte ancienne », *BSFE* 45, 5-18.
P. Huard & J. Leclant
1973, « Figurations de pièges des chasseurs anciens du Nil et du Sahara », *RdE* 25, 136-177.
1980, *La culture des chasseurs du Nil et du Sahara*, Mémoires du Centre de recherches anthropologiques, préhistoriques et ethnographiques 29, Alger.

H.-J. Hugot
1974, *Le Sahara avant le désert*, Toulouse.
Jean Humbert
1987, « Panorama de quatre siècles d'égyptomanie », *BSFE* 110, 48-77.
R. Huntington & P. Metcalf
1979, *Celebration of Death. The Anthropology of Mortuary Ritual*, Cambridge.
IFAO = Institut Français d'Archéologie Orientale, Le Caire.
C. Irby & J. Mangles
1817-1818, *Travels in Egypt and Nubia, Syria and Asia Minor During the Years 1817 and 1818*, Londres, 1823, réédition 1985.
J. Irmscher
1968-1969, « Winckelmann and Egypt », *BIE* 50, 5-10.
M. Isler
1985, « On Pyramid Building », *JARCE* 22, 129-142.
Erik Iversen
1968-1972, *Obelisks in Exile*, I, *Rome*, II, *Istanbul and England*.
1975, *Canon and Proportions in Egyptian Art*, Warminster.
1979, « Remarks on Some Passages from the Shabaka Stone », *ÄAT* 1, 253-262.
1985, *Egyptian and Hermetic Doctrine*, Copenhague.
JA = *Journal Asiatique*, Paris.
H. Jacobsohn
1939, *Die dogmatische Stellung des Königs in der Theologie der alten Ägypten*, *ÄF* 8.
Christian Jacq .
1986, *Le voyage dans l'autre monde selon l'Égypte ancienne. Épreuves et métamorphoses du mort d'après les Textes des Pyramides et les Textes des Sarcophages*, Le Rocher.
Helen Jacquet-Gordon
1960, « The Inscription on the Philadelphia-Cairo Statue of Osorkon II », *JEA* 46, 12-23.
1967, « The Illusory Year 36 of Osorkon I », *JEA* 53, 63-68.
1981, « Fragments of a Topographical List Dating to the Reign of Thutmosis I, *BIFAO du Centenaire*, 41-46.
Bertrand Jaeger
1982, *Essai de classification et datation des scarabées Menkheperre*, *OBO*, Arch. 2.
St. James
1986, *Missing Pharaohs : Missing Tombs*, Horam.
Thomas G. H. James
1966, *Sculptures égyptiennes*, Collection d'art UNESCO 10/18, Milan.
1982, *Excavating in Egypt. The Egypt Exploration Society 1882-1982*, Londres.
1984a, *Pharaoh's People. Scenes from Life in Imperial Egypt*, Londres. Traduit en français sous le titre *Le peuple de Pharaon. Culture, société, vie quotidienne*, Paris, 1988.
1984b, *The British Museum and Ancient Egypt*, Londres.
T. G. H. James & W. Davies
1982, *Egyptian Sculpture*.
H. L. Jansen
1971, *Ägyptische Religion, Handbuch der Religionen* 1.
Jac J. Janssen
1975, *Commodity Prices from the Ramessid Period. An Economic Study of the Village of Necropolis Workmen at Thebes*, Leyde.
1978, « Year 8 of Ramesses VI Attested », *GM* 29, 45-46.
1981, « Die Struktur der pharaonischen Wirtschaft », *GM* 48, 59-77.
1982, « Gift-Giving in Ancient Egypt as an Economic Feature », *JEA* 68, 253-258.
1986, « Agrarian Administration in Egypt During the Twentieth Dynasty », *BiOr* 43, 351-366.

Karl Jansen-Winkeln
1987a, « Thronname und Begräbnis Takeloths I. », *VA* 3, 253-258.
1987b, « Zum militärischen Befehlsbereich der Hohenpriester des Amun », *GM* 99, 19-22.
1988, « Weiteres zum Grab Osorkons II. », *GM* 102, 31-39.
JAOS = *Journal of the American Oriental Society*, New Haven.
JARCE = *Journal of the American Research Center in Egypt*, Le Caire.
Richard Jasnow
1983, « Evidence for the Deification of Thutmosis III in the Ptolemaic Period », *GM* 64, 33-34.
JE = *Journal d'Entrées* du Musée du Caire.
JEA = *Journal of Egyptian Archaeology*, Londres.
David G. Jeffreys
1981, « The Threat to Ancient Memphis During this Century », dans N. Grimal, *Prospection et sauvegarde des antiquités de l'Égypte*, *BdE* 88, 187-188.
1985, *Survey of Memphis*, 1, *The Archaeological Report*, Londres.
H. C. Jelgersma
1981-1982, « The Influence of Negro Culture on Egyptian Art », *JEOL* 27, 43-46.
Nancy Jenkins
1980, *The Boat Beneath the Pyramid. King Cheops' Royal Ship*, Thames & Hudson, Londres. Traduit en français sous le titre *La barque royale de Chéops*, Paris, 1983.
H. Jenni
1986, *Das Dekorationsprogramm des Sarkophages Nektanebos 'II.*, *AH* 12.
JEOL = *Jaarbericht van het Vooraziatisch-Egyptisch Genootschap « Ex Oriente Lux »*, Leyde.
Gustave Jequier
1922, *Les temples ramessides et saïtes, de la XIX*[e] *à la XX*[e] *dynastie*, coll. « l'architecture et la décoration dans l'ancienne Égypte », A. Morancé.
1925, *Histoire de la civilisation égyptienne, des origines à la conquête d'Alexandre*, Paris.
1932, « Les femmes de Pépi II », dans *Studies Griffith*, Oxford, 9-12.
Anton Jirku
1941, « Der Name der palästinischen Stadt Bet-š'an und seine ägyptische Wiedergabe », *WZKM* 48, 49-51.
JNES = *Journal of Near Eastern Studies*, Chicago.
Janet H. Johnson
1983, « The Demotic Chronicle as a Statement of a Theory of Kingship », *JSSEA* 13, 61-72.
1984, « Is the Demotic Chronicle an Anti-Greek Tract ? », dans *Grammata Demotika, Festschrift E. Lüddeckens*, 107-124.
M. Jomard
1823, *Voyage à l'oasis de Syouah*, réédition, 1981.
Frans Jonckheere
1958, *Les médecins de l'Égypte pharaonique. Essai de prosopographie*, Bruxelles.
C. de la Jonquière
L'expédition d'Égypte, Paris.
Pierre Jouguet
1926-1961, *L'impérialisme macédonien et l'hellénisation de l'Orient*, coll. « l'Évolution de l'Humanité », 15[e] éd. révisée, A. Michel.
JSSEA = *Journal de la SSEA*.
H. Jüngst
1982, « Zur Interpretation einiger Metallarbeiterszenen auf Wandbilder alt-ägyptischer Gräber », *GM* 59, 15-28.
Hermann Junker
1941, *Die politische Lehre von Memphis*, *APAW* 1941. 6.

A. KACZMARCZYK & R. E. M. HEDGES
1983, *Ancient Egyptian Faience. An Analytical Survey of Egyptian Faience From Predynastic to Roman Times,* Warminster.
Ahmed KADRY
1980, « Remains of a Kiosk of Psammetikhos II on Philae Island », *MDAIK* 36, 293-298.
1981, « Some Comments on the Qadesh Battle », *BIFAO du Centenaire,* 47-55.
1982, « Semenkhkare, the Ephemeral King », *ASAE* 68, 191-194.
1983, « The Theocratic Symtoms at the End of the New Kingdom in Ancient Egypt », *JSSEA* 13, 35-43.
1986, « The Social Status and Education of Military Scribes in Egypt During the 18th Dynasty », *Oikumene* 5, 155-162.
KÄT = *Kleine Ägyptische Texte,* Wiesbaden.
Werner KAISER
1956, « Zu den Sonnenheiligtümer der 5. Dynastie », *MDAIK* 14, 104-116.
1958, « Zur vorgeschichtlichen Bedeutung von Hierakonpolis », *MDAIK* 16, 183-192.
1969, « Zu den königlichen Tabelzirken der 1. und 2. Dynastie in Abydos und zur Baugeschichte des Djoser-Grabmals », *MDAIK* 25, 1-21.
1981, « Zu den Königsgräbern der 1. Dynastie in Umm el-Qaab », *MDAIK* 37, 247-254.
1985a, « Ein Kultbezirk des Königs Den in Sakkara », *MDAIK* 41, 47-60.
1985b, « Zur Südausdehnung der vorgeschichtlichen Deltakulturen und zur frühen Entwicklung Oberägyptens », *MDAIK* 41, 61-87.
1987, « Zum Friedhof der Naqadakultur von Minshat Abu Omar », *ASAE* 71, 119-125.
Laszlo KAKOSY
1964, *Urzeitmythen und Historiographie im alten Ägypten, Neue Beiträge zur Geschichte der alten Welt,* I, *Alter Orient und Griechenland,* éd. **E. Ch. WESLKOPF**, Berlin.
1977a, « The Primordial Birth of the King », *Stud. Aeg.* 3, 67-71.
1977b, « Osiris als Gott des Kampfes », dans *Fragen an die altägyptische Literatur, Stud. E. Otto,* 285-288.
1981, « Die weltanschauliche Krise des Neuen Reiches [*ZÄS* 100 (1973), 35-40] », *Stud. Aeg.* 7, 263-268.
1986, *The Battle Reliefs of King Sety I, RIK* 4, *OIP* 107.
Ibrahim KAMEL
1979, « Studies for Discussion About King Ahmose's Tomb », *ASAE* 68, 115-130.
Jill KAMIL
1976, *Luxor. A Guide to Ancient Thebes,* 2ᵉ éd., Longman.
1978, *A Guide to the Necropolis of Sakkara and the Site of Memphis,* Longman.
1983, *Upper Egypt. Historical Outline and Descriptive Guide to the Ancient Sites,* New York.
M. KAMISH
1985, « Foreigners at Memphis in the Middle of the Eighteenth Dynasty », *Wepwawet* 1, 12-13.
Kamosé = textes de Kamosé, cités d'après les pages de l'édition de Helck : 1975.
Naguib KANAWATI
1974a, « The Financial Resources of the Viziers of the Old Kingdom and the Historical Implications », *AHS Alexandrie* 5, 1-20.
1974b, « Notes on the Genealogy of the Late Sixth Dynasty », *AHS Alexandrie* 5, 52-58.
1977, *The Egyptian Administration in the Old Kingdom. Evidence on its Economic Decline,* Warminster.
1979, « The Overseer of Commissions in the Nine Provinces », dans *L'égyptologie en 1979,* II, 141-142.

1980, *Governmental Reforms in the Old Kingdom Egypt*, Warminster.
1981, « Deux conspirations contre Pépy I[er] », *CdE* 56, 203-217.
1984, « New Evidence on the Reign of Userkaf? », *GM* 83, 31-38.
Peter Kaplony
1963a, *Die Inschriften der ägyptischen Frühzeit, ÄA* 8.
1963b, « Gottespalast und Götterfestungen in den ägyptischen Frühzeit », *ZÄS* 88, 5-16.
1964, *Die Inschriften der ägyptischen Frühzeit, Supplement, ÄA* 9.
1965, « Bemerkungen zu einigen Steingefässe mit archaischen Königsnamen », *MDAIK* 20, 1-46.
1967, *Kleine Beiträge zu den Inschriften der ägyptischen Frühzeit,* ÄA 15.
1968, *Steingefässe mit Inschriften der Frühzeit und des Alten Reiches, Mon Aeg* 1.
1971, « Ägyptisches Königtum in der Spätzeit », *CdE* 46, 250-274.
1977, *Die Rollsiegel des Alten Reiches,* 1, *Allgemeiner Teil mit Studien zum Königtum des Alten Reiches, Mon: Aeg* 2.
1981, *Die Rollsiegel im Alten Reich,* 2, *Text und Tafeln, Mon. Aeg* 3.
Ursula Kaplony-Heckel
1963, *Die demotischen Tempeleide, ÄA* 6.
Karnak = Publications du Centre Franco-Égyptien des Temples de Karnak : d'abord dans la revue *Kêmi*, puis sous forme de *Cahiers* publiés à Beyrouth, Le Caire, puis Paris.
Hans Kayser
1969, *Ägyptisches Kunsthandwerk, Bibliothek für Kunst und Antiquitäten-freunde,* Bd. 26, Brunswick.
Herman Kees
1954, « Zu den Annaleninschrift des Hohenpriesters Osorkon vom 11. Jahre Takeloths II. », *MIO* 2, 353-362.
1958, « Die weisse Kapelle Sesostris'I. in Karnak und das Sedfest », *MDAIK* 16, 194-213.
1964, *Die Hohenpriester des Amun von Karnak von Herihor bis zum Ende der Äthiopenzeit,* « Probleme der Ägyptologie », Leyde, Brill.
Kêmi, Paris, Geuthner.
Barry J. Kemp
1976, « The Window of Appearance at El-Amarna and the Basic Structure of this City », *JEA* 62, 81-99.
1978a, « A Further Note on the Palace of Apries at Memphis », *GM* 29, 61-62.
1978b, « Imperialism and Empire in New Kingdom Egypt », in **P.D.A. Garnsey & C. R. Whittaker**, *Imperialism in the Ancient World,* Cambridge, 7-57, 284 sq.
1982, « Automatic Analysis of Predinastic Cemeteries : A New Method for an Old Problem », *JEA* 68, 5-15.
1985, « The Location of the Early Town at Dendera », *MDAIK* 41, 89-98.
1987, « The Amarna Workmen's Village in Retrospect », *JEA* 73, 21-50.
B. Kemp & R. Merrillees
1980, *Minoan Pottery in Second Millenium Egypt. With a Chapter by E. Edel, Sond. DAIK* 7.
Timothy Kendall
1982, *Kush. Lost Kingdom of the Nile,* Brockton Mass.
Dieter Kessler
1981, *Historische Topographie der Region zwischen Mallawi und Samalut, TAVO* B/30.
1982, « Zu den Feldzügen des Tefnachte, Namlot und Pije », *SAK* 9, 227-252.
1984, « Nachtrag zur archäologischen und historischen Karte der Region zwischen Mallawi und Samalut », *SAK* 11, 509-520.
1987, « Zur Bedeutung der Szenen des täglichen Lebens in den Privatgräbern (I) : Die Szenen des Schiffsbaues und der Schiffahrt », *ZÄS* 114, 59-88.

T. KHALIDI
1984, *Land Tenure and Social Transformation in the Middle East*, Beyrouth.
René KHOURY
1977, « Quelques notes additionnelles au *Voyage en Égypte* de Pierre Belon (1547) », *BIFAO* 77, 261-270.
Friedrich K. KIENITZ
1953, *Die politische Geschichte Ägyptens vom 7. bis zum 4. Jahrhundert vor der Zeitwende*, Berlin.
1967, « Die saïtische Renaissance », in *Die altorientalischen Reiche*, III, *Die erste Hälfte des 1. Jahrhunderts*, « Fischer Weltgeschichte », Bd. 4, Francfort-sur-le-Main.
G. S. KIRK
1970, *Myth. Its Meaning and Functions in Ancient and Other Cultures*, Cambridge University Press.
Hannelore KISCHKEWITZ
1977, « Zur temporären Einwohnung des Gottes im König », dans *Ägypten und Kush*, *Schr. Or.* 13, 207-212.
Kenneth A. KITCHEN
1972, « Ramesses VII and the Twentieth Dynasty ». *JEA* 58, 182-194.
1975-1976, « The Great Biographical Stela of Setau, Viceroy of Nubia », *OLP* 6/7, 295-302.
1977a, « Historical Observations on Ramesside Nubia », dans *Ägypten und Kush*, *Schr. Or.* 13, 213-226.
1977b, « On the Princedoms of Late-Libyan Egypt », *CdE* 52, 40-48.
1982a, *Pharaoh Triumphant. The Life and Times of Ramesses II King of Egypt*, Warminster. Traduit en français sous le titre *Ramsès II pharaon triomphant*, Monaco, 1985.
1982b, « The Twentieth Dynasty Revisited », *JEA* 68, 116-125.
1982-1983, « Further Thoughts on Egyptian Chronology in the Third Intermediate Period », *RdE* 34, 59-69.
1983, « Egypt, the Levant and Assyria in 701 BC », *ÄAT* 5, 243-253.
1984, « Family Relationship of Ramses IX and the Late Twentieth Dynasty », *SAK* 11, 127-134.
1985, « Les suites des guerres libyennes de Ramses III », *RdE* 36, 177-179.
1986, *The Third Intermediate Period in Egypt (1100-650 B.C.)*, seconde édition, augmentée, Warminster.
1987a, « The Titularies of the Ramesside Kings as Expression of their Ideal Kingship », *ASAE* 71, 131-141.
1987, « Amenmesses in Northern Egypt », *GM* 99, 23-25.
K *RI* = K. A. KITCHEN, *Ramesside Inscriptions. Historical and Biographical*, 7 vol., Oxford, 1968-1988 : cité par volumes.
M. R. KLEINDIENST
1985, « Dakhleh Oasis Project. The Palaeolithic : a Report on the 1986 Season », *JSSEA* 15, 136-137.
Rosemarie & Dietrich KLEMM
1981, *Die Steine der Pharaonen*, Munich.
Horst KLENGEL
1977, « Das Land Kusch in den Keilschrifttexten von Amarna », dans *Ägypten und Kusch*, *Schr. Or.* 13, 227-232.
C. B. KLUNZINGER
1878, *Bilder aus Oberägypten, der Wüste und dem Roten Meere. Mit einem Vorwort von G. Schweinfurth*, réédition, 1980.
E. A. KNAUF & C. J. LENZEN
1987, « Notes on Syrian Toponyms in Egyptian Sources II », *GM* 98, 49-54.

U. KÖHLER
1974, « Die Anfänge der deutschen Ägyptologie : Heinrich Brugsch. Eine Einschätzung », *GM* 12, 29-42.
Yvan KOENIG
1983, « Livraison d'or et de galène au trésor du temple d'Amon sous la xx^e dynastie : document A, partie inférieure », *BIFAO* 83, 249-255.
1985, « Égypte et Israël : quelques points de contact », *JA* 273, 1-10.
Walter KORNFELD
1967, « Aramäische Sarkophage in Assuan », *WZKM* 61, 9-16.
Michail A. KOROSTOVTSEV
1977, « À propos du genre " historique " dans la littérature de l'ancienne Égypte », dans *Fragen an die altägyptische Literatur, Stud. E. Otto,* 315-324.
Rolf KRAUSS
1981a, « Necho II. alias Nechepso », *GM* 42, 49-60.
1981b, « Sothis, Elephantine und die altägyptische Chronologie », *GM* 50, 71-80.
1981c, « Zur historischen Einordnung Amenmesses und zur Chronologie der 19./20. Dynastie », *GM* 45, 27-34.
1981d, *Das Ende der Amarnazeit. Beiträge zur Geschichte und Chronologie des Neuen Reiches,* 2^e édition, *HÄB* 7.
1981e, « Sothis, Elephantine und die altägyptische Chronologie », *GM* 50, 71-80.
1982, « Talfestdaten — eine Korrektur », *GM* 54, 53-54.
1983, « Zu den Familienbeziehungen der Königin Tachat », *GM* 61, 51-52.
1984, « Korrekturen und Ergänzungen zur Chronologie des Mittleren Reiches und Neuen Reiches — ein Zwischenbericht », *GM* 70, 37-44.
1985, *Sothis-und Monddaten. Studien zur astronomischen und technischen Chronologie Altägyptens, HÄB* 20.
1986, « Kija — ursprüngliche Besitzerin der Kanopen aus KV 55 », *MDAIK* 42, 67-80.
Walter KREBS
1976, « Unterägypten und die Reichseinigung », *ZÄS* 103, 76-78.
1977, « Die neolitischen Rinderhirten der Sahara und die Masai », dans *Ägypten und Kusch, Schr. Or.* 13, 265-278.
Jean-Marie KRUCHTEN
1979, « Rétribution de l'armée d'après le décret d'Horemheb », dans *L'égyptologie en 1979,* II, 143-148.
1981a, *Le décret d'Horemheb. Traduction, commentaire épigraphique, philologique et institutionnel,* Éditions de l'Université Libre de Bruxelles.
1981b, « Comment on écrit l'histoire égyptienne : la fin de la XIX^e dynastie vue d'après la section " historique " du papyrus Harris I », *Ann. IPHOS* 25, 51-64.
1982, « Convention et innovation dans un texte royal du début de l'époque ramesside : la stèle de l'an 1 de Séthi I^er découverte à Beith-San », *Ann. IPHOS* 26, 21-62.
1986, *Le grand texte oraculaire de Djehoutymose, intendant du domaine d'Amon sous le pontificat de Pindejem II, MRE* 5.
Lech KRZYZANIAK
1977, *Early Farming Cultures on the Lower Nile,* Varsovie.
1983, « Les débuts de la domestication des animaux et des plantes dans les pays du Nil », *BSFE* 96, 4-13.
L. KRZYZANIAK & M. KOBUSIEWICZ
1984, *Origin and Early Development of Food-Producing Cultures in North-Eastern Africa,* Posnan.
Lisa KUCHMAN SABBAHY
1981, « The Titulary of Queens *nbt* and *ḥnwt* », *GM* 52, 37-42.
1984, « *ʿnḫ-n.s-Ppy, ʿnḫ-n.s.-Mry-Rʿ* I and II, and the Title *w3ḏs ḏti* », *GM* 72, 33-36.

E. Kühnert-Eggebrecht
1969, *Die Axt als Waffe und Werkzeug im alten Ägypten, MÄS* 15.
Klaus P. Kuhlmann
1981a, « Ptolemais — Queen of Nectanebo I. Notes on the Inscription of an Unknown Princess of the XXXth Dynasty », *MDAIK* 37, 267-280.
1981b, « Zur *srḫ*-Symbolik bei Thronen », *GM* 50, 39-46.
1982, « Archäologische Forschungen im Raum von Achmim », *MDAIK* 38, 347-354.
K. P. Kuhlmann & W. Schenkel
1983, *Das Grab des Ibi, Obergutsverwalters der Gottesgemahlin des Amun (Thebanisches Grab Nr. 36)*, Bd. 1 in 2 Teilen, *AV* 15.
Dieter Kurth
1987, « Zu den Darstellungen Pepi I. im Hathortempel von Dendera, in *Tempel und Kult, ÄA* 46, 1-23.
Mahfouz Labib
1961, *Pèlerins et voyageurs au mont Sinaï, RAPH* 25.
Pahor Labib
1936, *Die Herrschaft der Hyksos*, Glückstadt.
Audran Labrousse, J.-Ph. Lauer & J. Leclant
1977, *Le temple haut du complexe funéraire du roi Ounas, Mission archéologique de Saqqarah*, II, *BdE* 73, Le Caire.
Ginette Lacaze, O. Masson & J. Yoyotte
1984, « Deux documents memphites copiés par J.-M. Vansleb au XVII^e siècle », *RdE* 35, 127-137.
Peter Lacovara
1985, « Archeology an the Decay of Mudbrick Structures in Egypt », *NARCE* 128, 20-28.
P. Lacovara & C.-N. Reeves
1987, « The Colossal Statue of Mycerinus Reconsidered », *RdE* 38, 111-115.
LÄ = Lexikon der Ägyptologie, Wiesbaden, 1975-1987.
LÄS = Leipziger Ägyptologische Studien, Glückstadt, Hambourg, New York.
Claire Lalouette
1981a, *L'art égyptien*, coll. « Que sais-je ? » n° 1909, P.U.F.
1981b, *La littérature égyptienne*, coll. « Que sais-je ? » n° 1934, P.U.F.
1984, *Textes sacrés et textes profanes de l'ancienne Égypte*, I, Paris.
1985, *L'empire des Ramsès*, Fayard.
1986, *Thèbes ou la naissance d'un empire*, Fayard.
1987, *Textes sacrés et textes profanes de l'ancienne Égypte*, II, Paris.
Mary-Ellen Lane
1985, *A Guide to the Antiquities of the Fayyum*, Le Caire.
Edward William Lane
1833-1835, *An Account of the Manners and Customs of the Modern Egyptians, Written in Egypt During the Years 1833-1835*, réédition, Le Caire, 1978.
Kurt Lange & Max Hirmer
1978, *Ägypten. Architektur, Plastik, Malerei in drei Jahrtausenden*, réédition, Munich, traduit de l'allemand par G. Blumberg et R. Antelme, sous le titre **K. Lange, M. Hirmer, E. Otto & C. Desroches-Noblecourt**, *L'Égypte*, Flammarion, 1967/1980.
LAPO = Littératures Anciennes du Proche-Orient, le Cerf.
John A. Larson
1975-1976, « The Date of the Regnal Year Change in the Reign of Ramesses II », *Serapis* 3, 17-22.
Jean-Philippe Lauer
1929, « Études sur quelques monuments de la III^e dynastie (pyramide à degrés de Saqqarah), *ASAE* 29, 99-129.

1948, *Études complémentaires sur les monuments du roi Zoser à Saqqarah*, 1, *CASAE*.
1956, « Sur le dualisme de la monarchie égyptienne et son expression architecturale sous les premières dynasties », *BIFAO* 55, 153-172.
1957, « Évolution de la tombe royale égyptienne jusqu'à la pyramide à degrés », *MDAIK* 15, 148-165.
1960a, *Observations sur les pyramides*, *BdE* 30, Le Caire.
1960b, « Žbynek Žaba : l'orientation astronomique dans l'ancienne Égypte et la précession de l'axe du monde », *BIFAO* 60, 171-184.
1961, « Au sujet du nom gravé sur la plaquette d'ivoire de la pyramide de l'Horus Sekhemkhet », *BIFAO* 61, 25-28.
1962a, « Sur l'âge et l'attribution possible de l'excavation monumentale de Zaouiêt el-Aryan », *RdE* 14, 21-36.
1962b, *Histoire monumentale des pyramides d'Égypte*, I, *Les pyramides à degrés (III^e dynastie)*, *BdE*, 39, Le Caire.
1966a, « Quelques remarques sur la I^re dynastie », *BIFAO* 64, 169-184.
1966b, « Nouvelles remarques sur les pyramides à degrés de la III^e dynastie », *Or* 35, 440-448.
1966-1968, « Recherche et découverte du tombeau sud de l'Horus Sekhem-khet à Saqqarah », *BIE* 48-49, 121-136, — repris sous le même titre dans *RdE* 20, 97-107.
1967, « Sur la pyramide de Meïdoum et les deux pyramides du roi Snefrou à Dahchour », *Or* 36, 239-254.
1969a, « Remarques sur les complexes funéraires royaux de la fin de la IV^e dynastie », *Or* 38, 560-578.
1969b, « À propos des vestiges des murs à redans encadrés par les " Tombs of the Courtiers " et des " forts " d'Abydos », *MDAIK* 25, 79-84.
1972, *Les pyramides de Sakkarah*, IFAO.
1973, « Remarques sur la planification de la construction de la grande pyramide », *BIFAO* 73, 127-142.
1976, « À propos du prétendu désastre de la pyramide de Meïdoum », *CdE* 51, 72-89.
1977, *Saqqarah. La nécropole royale de Memphis. Quarante siècles d'histoire, cent vingt-cinq ans de recherches*, Paris.
1979, « Le développement des complexes funéraires royaux en Égypte depuis les temps prédynastiques jusqu'à la fin de l'Ancien Empire », *BIFAO* 79, 355-394.
1980, « Le premier temple de culte funéraire en Égypte », *BIFAO* 80, 45-68.
1981, « La signification et le rôle des fausses-portes de palais dans les tombeaux du type de Négadah », *MDAIK* 37, 281-288.
1984-1985, « Considérations sur l'évolution de la tombe royale sous la I^re dynastie », *BSEG* 9-10, 141-152.
1988, *Saqqarah, une vie. Entretiens avec Philippe Flandrin*, Rivages.

J.Ph. Lauer & J. Leclant
1969, « Découverte de statues de prisonniers au temple de la pyramide de Pépi I^er », *RdE* 21, 55-62.
1972, *Le temple haut du complexe funéraire du roi Téti, Mission archéologique de Saqqarah*, I, *BdE* 51, Le Caire.

Jean Lauffray
1973, *Karnak d'Égypte, domaine du divin*, Paris.
1979, « Urbanisme et architecture du domaine d'Aton à Karnak d'après les " talatat " du IX^e pylône », dans *L'égyptologie en 1979*, II, 265-270.

LdM = *Livre des Morts*, cité en traduction d'après Barguet : 1967.

Anthony Leahy
1979, « Nespamedu, " King " of Thinis », *GM* 35, 31-40.
1984a, « Saite Royal Sculpture : A Review », *GM* 80, 59-76.
1984b, « Tanutamon, Son of Shabako ? », *GM* 83, 43-46.

Lebensmüder = *Dialogue d'un désespéré avec son Ba*, cité d'après Barta : 1969, planches.

Christian Leblanc

1979, « Les piliers dits " osiriaques " dans le contexte des temples de culte royal », dans *L'égyptologie en 1979*, I, 133-134.

1980, « Piliers et colosses de type " osiriaque " dans le contexte des temples de culte royal », *BIFAO* 80, 69-90.

1982, « Le culte rendu aux colosses " osiriaques " durant le Nouvel Empire », *BIFAO* 82, 295-311.

1986, « Henout-taouy et la tombe N° 73 de la Vallée des Reines », *BIFAO* 86, 203-226.

Ange-Pierre Leca

1977, *Les momies*, Hachette.

Jean Leclant

1949, « Nouveaux documents relatifs à l'an VI de Taharqa », *Kêmi* 10, 28-42.

1954, *Enquête sur les sacerdoces et les sanctuaires égyptiens à l'époque dite « éthiopienne » (XXVe dynastie)*, *BdE* 17.

1956, « La " mascarade " des bœufs gras et le triomphe de l'Égypte », *MDAIK* 14, 129-145.

1957, « Tefnout et les Divines Adoratrices thébaines », *MDAIK* 15, 166-171.

1961a, *Montouemhat, quatrième prophète d'Amon, prince de la ville*, *BdE* 35.

1961b, « Le voyage de Jean-Nicolas Huyot en Égypte (1818-1819) et les manuscrits de Nestor Lhôte », *BSFE* 32, 35-42.

1961c, « Sur un contrepoids de *menat* au nom de Taharqa : allaitement et " apparition " royale », *BdE* 32, 251-284.

1965, *Recherches sur les monuments thébains de la XXVe dynastie dite éthiopienne*, *BdE* 36.

1969, « Espace et temps, ordre et chaos dans l'Égypte pharaonique », *Revue de Synthèse*, IIIe série, 55-56, 217-239.

1978a, *Le temps des pyramides. De la Préhistoire aux Hyksos (1560 av. J.-C.)*, « Univers des Formes », Gallimard.

1978b, « L'exploration des côtes de la mer Rouge. À la quête de Pount et des secrets de la mer Érythrée », *Annales d'Éthiopie* 11, 69-75.

1978c, « Le nom de Chypre dans les textes hiéroglyphiques », *Colloques internationaux du CNRS* n° 578, *Salamine de Chypre. Histoire et archéologie*, 131-135.

1979, *L'Empire des Conquérants. L'Égypte au Nouvel Empire (1560-1070)*, « Univers des Formes », Gallimard.

1980a, *L'Égypte du crépuscule. De Tanis à Méroë (1070 av. J.-C.*-IVe siècle ap. J.-C.), « Univers des Formes », Gallimard.

1980b, *Égypte pharaonique et Afrique*, séance annuelle des Cinq Académies, Institut de France n° 10, Paris.

1980c, « L'empire de Koush : Napata et Méroé », dans *Histoire Générale de l'Afrique*, II, UNESCO, 295-314.

1980d, « Les "empires " et l'impérialisme de l'Égypte pharaonique », dans **Maurice Duverger**, *Le concept d'Empire*, P.U.F., Paris, 49-68.

1981a, « La " famille libyenne " au temple haut de Pépi Ier », dans le *Livre du Centenaire*, *MIFAO* 104, 49-54.

1981b, « Recherches récentes sur l'histoire de l'Égypte pharaonique », *REA* 83, 5-15.

1984a, « Textes de la Pyramide de Pépi Ier, VII : une nouvelle mention des *Fnḫw* dans les *Textes des Pyramides* », *SAK* 11, 455-460.

1984b, « Taharqa à Sedeinga », dans *Studien zu Sprache und Religion Ägyptens, Festschrift W. Westendorf*, 1113-1117.

1985, « Recherches récentes sur les textes des Pyramides et les pyramides à textes de

Saqqarah », *Bulletin de la Classe des Lettres et Sciences Morales et Politiques de l'Académie Royale de Belgique*, 5e Série, 71, 295-305.
1987, « Le rayonnement de l'Égypte au temps des rois tanites et libyens », dans Paris : 1987, 77-84.
Jean Leclant & Gisèle Clerc
1967-1988, « Fouilles et travaux en Égypte et au Soudan », chronique annuelle tenue dans la revue *Or*.
France Lecorsu
1966, « Une description inédite d'Abou Simbel : le manuscrit du colonel Straton », *BSFE* 45, 19-32.
Gustave Lefebvre
1927, « Stèle de l'an V de Méneptah », *ASAE* 27, 19-30.
1929a, *Histoire des grands prêtres d'Amon de Karnak jusqu'à la XXIe dynastie*, Paris, Geuthner.
1929b, *Inscriptions concernant les grands prêtres d'Amon Romé-Roy et Amenhotep*, Paris.
1940, « Deux mots de la Ire dynastie, aux inscriptions du tombeau " de Hemaka " à Saqqarah », *RdE* 4, 222-223.
1951, « Inscription dédicatoire de la chapelle funéraire de Ramsès I à Abydos », *ASAE* 51, 167-200.
1976, *Romans et contes égyptiens de l'époque pharaonique. Traduction avec introduction, notices et commentaires* (reproduction inchangée de l'édition de 1949), Maisonneuve, Paris.
Georges Legrain
1914, *Louqsor sans les pharaons. Légendes et chansons populaires de la Haute Égypte*, Vromant, Bruxelles-Paris.
1929, *Les temples de Karnak. Fragment du dernier ouvrage de G. Legrain, Directeur des travaux du Service des Antiquités de l'Égypte*, Vromant.
L'égyptologie en 1979 = Actes du Deuxième Congrès International des Égyptologues, *Colloques internationaux du CNRS*, n° 595, Paris, 1982.
Mark Lehner
1983, « Some Observations on the Layout of the Khufu and Khafre Pyramids », *JARCE* 20, 7-26.
1985, « The Pyramid Tomb of Hetep-heres and the Satellite Pyramid of Khufu », *Sond. DAIK* 19.
1986, « The Giza Plateau Mapping Project », *NARCE* 131, 23-57.
G. Lello
1978, « Thutmose III's First Lunar Date », *JNES* 37, 327-330.
C.J. Lenzen & E.A. Knauf
1987, « Notes on Syrian Toponyms in Egyptian Sources I », *GM* 96, 59-64.
Ronald J. Leprohon
1983, « Intef III and Amenemhat III at Elephantine », *Ancient World* 6, 103-107.
C.R. Lepsius
1849-1856, *Denkmäler aus Ägypten und Äthiopien...*, 12 vol., Leipzig.
Christian Leroy
1975, « Voyageurs et marins dans l'antiquité », *REG* 88, 178-181.
A. Leroy-Molinghen
1985, « Homère et Thèbes aux cent portes », *CdE* 60, 131-137.
Françoise Le Saout
1978-1980a, « Reconstitution des murs de la Cour de la Cachette », *Karnak* 7, 213-258.
1978-1980b, « Nouveaux fragments au nom d'Horemheb », *Karnak* 7, 259-264.
1978-1980c, « À propos d'un colosse de Ramsès II à Karnak », *Karnak* 7, 267-274.
F. Le Saout & Cl. Traunecker
1978-1980, « Les travaux au IXe pylône de Karnak : annexe épigraphique », *Karnak* 7, 67-74.

F. Le Saout, F. A-el-H.Ma'Arouf & Th. Zimmer
1987, « Le Moyen Empire à Karnak : Varia 1 », *Karnak* 8, 293-323.
Leonard H. Lesko
1980, « The Wars of Ramses III », *Serapis* 6, 83-86.
Bernadette Letellier
1979, « La cour à péristyle de Thoutmosis IV à Karnak (et la " cour des fêtes " de Thoutmosis II) », dans *Hommages Sauneron*, I, *BdE* 81, 51-72.
Pierre Lévêque
1987, (éd.) *Les premières civilisations*, I, *Des despotismes orientaux à la cité grecque*, coll. « Peuples et civilisations », Paris, P.U.F.
Frantisek Lexa
1925, *La magie dans l'Égypte ancienne, de l'Ancien Empire jusqu'à l'époque copte*, 3 vol., Paris.
1926, *Papyrus Insinger. Les enseignements moraux d'un scribe égyptien du premier siècle après J.-C...*, Paris.
Liber Anuus, Jérusalem.
Miriam Lichtheim
1973, *Ancient Egyptian Literature. A Book of Readings*, Berkeley, I, *The Old and Middle Kingdoms.*
1976, II, *The New Kingdom.*
1980a, III, *The Late Period.*
1980b, « Some Corrections to my *Ancient Egyptian Literature*, I-III », *GM* 41, 67-74.
1983, *Late Egyptian Wisdom Literature in the International Context. A Study of Demotic Instructions, OBO* 52.
Luc Limme
1972, « Les oasis de Khargeh et Dakhleh d'après les documents égyptiens de l'époque pharaonique », *CRIPEL* 1, 41-58.
B. Lincoln
1981, *Priests, Warriors and Cattle. A Study in the Ecology of Religions*, Berkeley.
Iingegerd Lindbald
1984, *Royal Sculpture of the Early Eighteenth Dynasty in Egypt, Medelhavsmuseet Memoir*, Stockholm, 5.
Jaswiga Lipinska
1967, « Names and History of the Sanctuaries Built by Tuthmosis III at Deir el-Bahri », *JEA* 53, 25-33.
P. Lipke
1984, *The Royal Ship of Cheops. A Retrospectival Account of the Discovery Restoration and Reconstruction...*, Oxford.
M. A. Littauer & J. H. Crouwel
1979, *Wheeled Vehicles and Ridden Animals in the Ancient Near East, HdO* 7/I, 2B : 1.
Alan B. Lloyd
1975-1976, *Herodotus, Book II, 1, Introduction, 2, Commentary 1-98*, Leyde.
1982, « The Inscription of Udjahorresnet, A Collaborator's Testament », *JEA* 68, 166-180.
Christian E. Loeben
1986, « Eine Bestattung der grossen königlichen Gemahlin Nofrete in Amarna ? Die Totenfigur der Nofrete », *MDAIK* 42, 99-108.
B. Löhr
1974, « Aẖanjati in Heliopolis », *GM* 11, 33-38.
R. D. Long
1976, « Ancient Egyptian Chronology, Radiocarbon Dating and Calibration », *ZÄS* 103, 30-48.
Jesus López
1973, « L'auteur de l'*Enseignement pour Mérikarê* », *RdE* 25, 178-191.

Antonio Loprieno
1981-1982, « Methodologische Anmerkungen zur Rolle der Dialekte in der ägyptischen Sprachentwicklung », *GM* 53, 75-95.
J. A. Lorent
1861, *Égypten. Alhambra. Tlemsen. Algier. Reisebilder aus den Anfängen der Photographie*, Mannheim, 1985.
David Lorton
1974a, *The Juridical Terminology of International Relations in Egyptian Texts Through Dyn. XVIII*, Baltimore.
1974b, « Terminology Related to the Laws of Warfare in Dynasty XVIII », *JARCE* 11, 53-68.
1979, « Towards a Constitutional Approach to Ancient Egyptian Kingship », *JAOS* 99, 460-465.
1986a, « Compte rendu de A. Nibbi, *Ancient Egypt and Some Eastern Neighbours, Ancient Byblos Reconsidered, Wenamun and Alashiya Reconsidered* », *DE* 6, 89-100.
1986b, « Terms of Coregency in the Middle Kingdom », *VA* 2, 113-120.
1986c, « The King and the Law », *VA* 2, 53-62.
1987a, « The Internal History of the Heakleopolitan Period », *DE* 8, 21-28.
1987b, « Egypt's Eastermost Delta Before the New Kingdom », *DE* 7, 9-12.
1987c, « Why " Menes " ? », *VA* 3, 33-38.
Louxor
1978, *Guide du Musée d'art égyptien ancien de Louxor*, Organisation des Antiquités de l'Égypte, Le Caire.
Ulricht Luft
1978, *Beiträge zur Historisierung der Götterwelt und der Mythenschreibung*, *Stud. Aeg.* 4.
1982, « Illahunstudien, I : zu der Chronologie und den Beamten in den Briefen aus Illahun », *Oikumene* 3, 101-156.
1986a, « Illahunstudien, III : Zur sozialen Stellung des Totenpriesters im Mittleren Reiches », *Oikumene* 5, 117-153.
1986b, « Noch einmal zum Ebers-Kalender », *GM* 92, 69-77.
1987, « Der Tagesbeginn in Ägypten », *AoF* 14, 3-11.
I. Lurie
1971, *Studien zum altägyptischen Recht*, Weimar.
M. F. L. Macadam
1949, *The Temples of Kawa, I, The Inscriptions*, Oxford.
1955, *The Temples of Kawa, II, History and Archaeology of the Site*, Oxford.
MÄS = *Münchner Ägyptologische Studien*, Deutscher Kunstverlag, Munich-Berlin.
Michel Malaise
1981, « Aton, le sceptre Ouas et la fête Sed », *GM* 50, 47-64.
Jaromir Málek
1982, « The Original Version of the Royal Canon of Turin » *JEA* 68, 93-106.
Michel Malinine
1953, *Choix de textes juridiques en hiératique « anormal » et en démotique (25e-27e dynasties)*, 1, *Traduction et commentaire philologique*, Bibliothèque de l'École Pratique des Hautes Études 300.
1983, *Choix de textes juridiques en hiératique anormal et en démotique*, 2, *Transcriptions*, *RAPH* 18.
Lise Manniche
1988, *Lost Tombs*, Londres.
Geoffrey T. Martin
1976, « La découverte du tombeau d'Ḥoremheb à Saqqarah », *BSFE* 77-78, 11-25.
1979, « Queen Mutnodjmet at Memphis and El-ʿAmarna », dans *L'égyptologie en 1979*, II, 275-278.
1984, *Corpus of Reliefs ot the New Kingdom From the Memphite Necropolis and Lower Egypt*, Londres.

Maurice Martin
1979, « Souvenirs d'un compagnon de voyage de Paul Lucas en Égypte (1707) », dans *Hommages Sauneron*, II, *BdE* 82, 471-476.
Éva Martin-Pardey
1988, *Untersuchungen zur ägyptischen Provinzialverwaltung bis zum Ende des Alten Reiches*, 2e éd., *HÄB* 1.
Sherry I. Mary
1979, « Kia, the Second Pharaoh », dans *L'égyptologie en 1979*, II, 279-280.
Gaston Maspero
1895, *Histoire ancienne des peuples de l'Orient Classique*, I, *Les origines. Égypte & Chaldée*, Paris, Hachette.
1897, II, *Les premières mêlées des peuples*, Paris, Hachette.
1899, III, *Les Empires*, Paris, Hachette.
1914, « Chansons populaires recueillies dans la Haute Égypte de 1900 à 1914 pendant les inspections du Service des Antiquités », *ASAE* 14, 97-290.
1915, *Guide du visiteur au Musée du Caire*, 4e édition, Le Caire, IFAO.
Olivier Masson
1969, « Les Cariens en Égypte », *BSFE* 56, 25-36.
1971, « Les Chypriotes en Égypte », *BSFE* 60, 28-46.
Bernard Mathieu
1987, « Le voyage de Platon en Égypte », *ASAE* 71, 153-167.
I. Matzker
1986, *Die letzten Könige der 12. Dynastie*, Francfort-sur-le-Main.
Bernard Maury
1979, « Toponymie traditionnelle de l'ancienne piste joignant Kharga à Dakhla », dans *Hommages Sauneron*, II, *BdE* 82, 365-376.
L. Mayer
1802, *Vues en Égypte, d'après les dessins originaux en la possession de Sir R. Ainslee, pris durant son ambassade à Constantinople...*, Londres.
Charles Maystre
1950, « Le compte des épagomènes dans les chronologies individuelles », *RdE* 7, 85-88.
A. McFarlane
1987, « The First Nomarch at Akhmim : The Identification of a Sixth Dynasty Biographical Inscription », *GM* 100, 63-72.
W. McQuitty
1976, *Island of Isis. Philae Temple of the Nile*, Londres.
G. Mattha
1975, *The Demotic Legal Code of Hermopolis West*, *BdE* 45.
MDAIK = *Mitteilungen des Deutschen Archäologischen Instituts*, Abteilung Kairo.
Dimitri Meeks
1963, « Les " quatre *ka* " du démiurge memphite », *RdE* 15, 35-47.
1971, « Génies, anges et démons en Égypte », dans *Génies, anges et démons*, « Sources Orientales » 8, Seuil, Paris, 18-84.
s.d. « Pureté et purification en Égypte », dans *Dictionnaire de la Bible, Supplément* 9, col. 430-452.
Mounir Megally
1977, *Recherches sur l'économie, l'administration et la comptabilité égyptienne à la XVIIIe dyn. d'après le pap. E 3226 du Louvre*, *BdE* 71.
Arpag Mekhitarian
1954, *La peinture égyptienne*, « Les grands siècles de la peinture », Skira, Genève.
James Mellaart
1965/1978, *Earliest Civilizations of the Near East*, in *The Library of the Early Civilizations*, ed. by Prof. Stuart Pigott, Thames & Hudson.

Edmund S. Meltzer
1970, « Archaic Sovereign as Primeval God? », *ZÄS* 98, 84.
1978, « The Parentage of Tut'ankhamun and Smenkhare' », *JEA* 64, 134-135.
Leïla Menassa & Pierre Laferrière
1974, *La Sâqia. Technique et vocabulaire de la roue à eau égyptienne, BdE* 67.
K. Mendelssohn
1973, « A Building Disaster at the Meidum Pyramid », *JEA* 59, 60-71.
1976, « Reply to Mr. C. J. Davey's Comments (*JEA* 62, 178-179) », *JEA* 62, 179-181.
Bernadette Menu
1970, *Le régime juridique des terres et du personnel attaché à la terre dans le Papyrus Wilbour*, Publications de la Faculté des Lettres et Sciences Humaines de Lille.
1981, « Considérations sur le droit pénal au Moyen Empire égyptien dans le P. Brooklyn 35. 1446 (texte principal du recto) », *BIFAO du Centenaire*, 57-76.
1982, *Recherches sur l'histoire juridique, économique et sociale de l'ancienne Égypte*, Versailles.
1984, *Droit — économie — société de l'Égypte ancienne (Chronique bibliographique 1967-1982)*, Versailles.
1986, « Les récits de créations en Égypte ancienne », *Foi et Vie*, LXXXV/5, *Cah. Bibl.* 25, 67-77.
1987a, *L'obélisque de la Concorde*, Versailles.
1987b, « Les cosmogonies de l'ancienne Égypte », in *La création dans l'Orient ancien*, éd. du Cerf, Paris.
Mérikarê = Enseignement de Khéty pour Mérikarê, cité d'après l'édition de Helck : 1977.
Reinholdt Merkelbach
1962, *Roman und Mysterium in der Antike*, Munich.
Meroitica, Humboldt-Universität zu Berlin, Bereich Ägyptologie und Sudanarchäologie, Berlin-Est.
Mesopotamia, Copenhagen Studies in Assyriology, Copenhague.
C. Meyer
1982, *Senenmut Eine prosopographische Untersuchung*, Hambourg.
Eduard Meyer
1912-1913, *Fremdvölkerdarstellungen altägyptischer Denkmäler. Sammlung photographischer Aufnahmen aus den Jahren 1912-1913, ÄMA* 2, 1973.
Kazimierz Michalowski
1968, *L'art de l'ancienne Égypte*, Paris, Mazenod.
1980, « Les contacts culturels dans le monde méditerranéen », dans le *Livre du Centenaire, MIFAO* 104, 303-306.
Béatrice Midant-Reynes
1986, « L'industrie lithique en Égypte : à propos des fouilles de Balat (Oasis de Dakhla) », *BSFE* 102, 27-39.
1987, « Contribution à l'étude de la société prédynastique : le cas du couteau " Ripple-flake " », *SAK* 14, 185-224.
MIFAO = Mémoires publiés par les membres de l'Institut Français d'Archéologie Orientale, Le Caire.
A. R. Millard
1979, « The Scythian Problem », dans *Glimpses of ancient Egypt, Studies in Honour of H. W. Fairman*, 119-122.
Nicholas B. Millet
1981, « Social and Political Organisation in Meroe », *ZÄS* 108, 124-141.
Anthony J. Mills
1975, « Approach to Third Millenium Nubia », dans *Études Nubiennes, colloque de Chantilly, BdE* 77, 199-204.

A. T. Minai
1984, *Architecture as Environmental Communication, Approach to Semiotics*, 69, Berlin.
H. von Minutoli
1824, *Reise zum Tempel des Jupiter Ammon in der Libyschen Wüste und nach Ober-Ägypten in den Jahren 1820-1821*, Berlin, 1982.
MIO = *Mitteilungen des Instituts für Orientforschung*, Berlin.
MMA = Metropolitan Museum of Art, New York.
MNL = *Meroitic Newsletter*, Paris.
M. Abd el-Qader Mohammed
1966, « The Hittite Provincial Administration of Conquered Territories », *ASAE* 59, 109-142.
Mohamed Gamal el-Din Mokhtar
1983, *Ihnâsya el-Medina (Herakleopolis Magna). Its Importance and Its Role in Pharaonic Egypt*, IFAO, *BdE* 40.
Mon. Aeg. = *Monumenta Ægyptiaca*, Bruxelles.
Balthasar de Monconys
1646, *Le voyage en Égypte de Balthasar de Monconys*, présentation et notes d'H. Amer, Voyageurs IFAO, 1973.
Janine Monnet Saleh
1955, « Un monument de la corégence des Divines Adoratrices Nitocris et Ankhenesneferibrê », *RdE* 10, 37-47.
1965, « Remarques sur la famille et les successeurs de Ramsès III », *BIFAO* 63, 209-236.
1969, « Forteresses ou villages protégés thinites ? », *BIFAO* 67, 173-188.
1980, « Égypte et Nubie antique : approche d'une colonisation », *BSEG* 3, 39-49.
1983, « Les représentations de temples sur plates-formes à pieux de la poterie gerzéenne d'Égypte », *BIFAO* 83, 263-296.
1986, « Interprétation globale des documents concernant l'unification de l'Égypte », *BIFAO* 86, 227-238.
1987, « Remarques sur les représentations de la peinture d'Hiérakonpolis (Tombe N° 100) », *JEA* 73, 51-58.
C. Montenat
1986, « Un aperçu des industries préhistoriques du golfe de Suez et du littoral égyptien de la Mer Rouge », *BIFAO* 86, 239-256.
Pierre Montet
1925, *Les scènes de la vie privée dans les tombeaux égyptiens de l'Ancien Empire*, Publications de la Faculté des Lettres de l'Université de Strasbourg, Paris.
1946, *La vie quotidienne en Égypte au temps des Ramsès* (XIIIe-XIIe siècles), Paris.
1947, *La nécropole royale de Tanis, I, Les constructions et le tombeau d'Osorkon II à Tanis*, Paris.
1951a, *La nécropole royale de Tanis, II, Les constructions et le tombeau de Psousennès à Tanis*, Paris.
1951b, « Le roi Ougaf à Médamoud », *RdE* 8, 163-170.
1952, *Les énigmes de Tanis. Douze années de fouilles dans une capitale oubliée du delta égyptien*, Paris.
1956, *Isis. Ou à la recherche de l'Égypte ensevelie*, Paris.
1957, « Le tombeau d'Ousirmare Chechanq fils de Bastit (Chechanq III) à Tanis », *BSFE* 23, 7-13.
1960, *La nécropole royale de Tanis, III, Les constructions et le tombeau de Chéchanq III à Tanis*, Paris.
1962, « la date du sphinx A 23 du Louvre », *BSFE* 33, 6-8.
1984, *Vies des pharaons illustres*, Paris.
Siegfried Morenz
1962, *La religion égyptienne, essai d'interprétation*. Traduction française par L. Jospin, Payot.

1971, « Traditionen um Cheops. Beiträge, zur überlieferungsgeschichtlichen Methode in der Ägyptologie, I », *ZÄS* 97, 111-118.
1972, « Traditionen um Menes. Beiträge zur überlieferungsgeschichtlichen Methode in der Ägyptologie, II », *ZÄS* 99, X-XVI.
Alexandre MORET
1901, « Le titre " Horus d'Or " dans le protocole pharaonique », *RT* 23, 23-32.
1903, *Du caractère religieux la royauté pharaonique*, Paris.
1923, *Des clans aux empires*, Paris.
1925, « La campagne de Séti Ier au nord du Carmel d'après les fouilles de M. Fischer ». *Revue de l'Égypte Ancienne* 1, 18-30.
1926, *Le Nil et la civilisation égyptienne*, Paris.
1927, *La mise à mort du dieu en Égypte*, Fondation Frazer, Conférence 1, Geuthner.
Anthoine MORISSON
1697, *Le voyage en Égypte d'Anthoine Morisson, 1697*. Présentation et notes de G. Goyon, Voyageurs IFAO 17, 1976.
R. G. MORKOT
1986, « Violent Images of Queenship and the Royal Cult », *Wepwavet* 1, 1-9.
1987, « Studies in New Kingdom Nubia, 1, Politics, Economics and Ideology : Egyptian Imperialism in Nubia », *Wepwavet* 3, 29-49.
S. MOSCATI
1963, *Historical Art in the Ancient Near East, Stud. Semitici* 8.
Mohamed I. MOURSI
1972, *Die Hohenpriester des Sonnengottes von der Frühzeit Ägyptens bis zum Ende des Neuen Reiches, MÄS* 26.
1983, « Corpus der Mnevis-Stelen und Untersuchungen zum Kult der Mnevis-Stiere in Heliopolis », *SAK* 10, 247-268.
Ahmed Mahmoud MOUSSA
1981, « A Stela of Taharqa from the Desert Road at Dahshur », *MDAIK* 37, 331-338.
A. M. MOUSSA & H. ALTENMÜLLER
1975, « Ein Denkmal zum Kult des Königs Unas am Ende der 12. Dynastie », *MDAIK* 31, 93-97.
MRE = Monographies Reine Elisabeth, Bruxelles.
T. MRSICH
1968, *Untersuchungen zur Hausurkunde des Alten Reiches. Ein Beitrag zum ägyptischen Stiftungsrecht, MÄS* 13.
Ingeborg MÜLLER
1977, « Der Vizekönig Merimose », dans *Ägypten und Kusch, Schr. Or.* 13, 325-330.
Maya MÜLLER
1979, « Die Darstellung der Königfamilie in Amarna », dans *L'égyptologie en 1979*, II, 281-284.
1986, « Zum Werkverfahren an thebanischen Grabwänden des Neuen Reiches », *SAK* 13, 149-164.
Renate MÜLLER-WOLLERMANN
1983, « Bemerkungen zu den sogenannten Tributen », *GM* 66, 81-93.
Henri MUNIER & Gaston WIET
1932, *Précis de l'histoire d'Égypte*, II, *L'Égypte byzantine et musulmane*, IFAO.
Irmtraut MUNRO
1986, « Zusammenstellung von Datierungskriterien für Inschriften der Amarna-Zeit nach J. J. Perepelkin *Die Revolution Amenophis'IV.* », *GM* 94, 81-87.
1988, « Zum Kult des Ahmose in Abydos : ein weiterer Beleg aus der Ramessiden-zeit », *GM* 101, 57-62.
Peter MUNRO
1978, « Der König als Kind », *SAK* 6, 131-137.
1984, « Die Nacht vor der Thronbesteigung. Zum ältesten Teil des Mundöffnungsri-

tuals », dans *Studien zu Sprache und Religion Ägyptens, Festschrift W. Westendorf,* 907-928.
1987, « Compte rendu de Y. Y. PEREPELKIN, *The Revolution of Amenhotep IV.*, Moskau, 1984 », *BiOr* 44, 137-143.
S. C. MUNRO-HAY
1982-1983, Kings and Kingdoms of Nubia », *RSO* 29, 87-138.
M. MÜNSTER
1968, *Untersuchungen zur Göttin Isis vom Alten Reich bis zum Ende des Neuen Reiches, MÄS* 11.
William J. MURNANE
1970, « The Hypothetical Coregency Between Amenhotep III and Akhenaten : Two Observations », *Serapis* 2, 17-21.
1975-1976, « The Accession Date of Sethos I », *Serapis* 3, 23-34.
1976, « The Earlier Reign of Ramesses II : Two Addenda », *GM* 19, 41-44.
1977, *Ancient Egyptian Coregencies, SAOC* 40.
1980a, *United with Eternity : A Concise Guide to the Monuments of Medinet Habu,* Chicago-Le Caire.
1980b, « Unpublished Fragments of Hatshepsut's Historical Inscription From Her Sanctuary at Karnak », *Serapis* 6, 91-102.
1981a, « In Defense of the Middle Kingdom Double Dates », *BES* 3, 73-81.
1981b, « The Sed Festival : a Problem in Historical Method », *MDAIK* 37, 369-376.
1985a, *The Road to Kadesh. Historical Interpretation of the Battle Reliefs of King Sety I at Karnak, SAOC* 42.
1985b, « Tutankhamun on the Eights Pylon at Karnak », *VA* 1, 59-68.
Michel MUSZYNSKI
1977, « Les " associations religieuses " en Égypte, d'après les sources hiéroglyphiques, démotiques et grecques », *OLP* 8, 145-174.
Carol MYSLIWIEC
1978, « Le naos de Pithom », *BIFAO* 78, 171-196.
1979, « Amon, Atum and Aton : the Evolution of Heliopolitan Influences in Thebes », dans *L'égyptologie en 1979,* II, 285-290.
1985, *XVIIIth Dynasty Before the Amarna Period, Iconography of Religions,* 16/5, Leyde.
Nadav NA'AMAN
1982, « The Town of Ibirta and the Relations of the " Apiru and the Shosou " », *GM* 57, 27-34.
1983, « The Town of Malahu », *GM* 63, 46-52.
NARCE = *Newsletter of the American Research Center in Egypt,* Princeton-Le Caire.
Édouard NAVILLE
1903, « La pierre de Palerme », *RT* 25, 64-81.
1930, *Détails relevés dans les ruines de quelques temples égyptiens,* 2 parties en 1, Paris.
NAWG = *Nachrichten von der Akademie der Wissenschaften zu Göttingen,* Göttingen.
Néferti = *Prophétie de Néferti,* citée d'après l'édition de Helck : 1970.
A. NEHER
1956, *Moïse et la vocation juive,* Seuil, Paris.
Alessandra NIBBI
1974, « Further Remarks on *w3ḏ-wr,* Sea Peoples and Keftiu », *GM* 10, 35-40.
1975a, « *Ym* and the Wadi Tumilat », *GM* 15, 35-38.
1975b, « The Wadi Tumilat, Atika and *mw-qd* », *GM* 16, 33-38.
1975c, « Henu of the Eleventh Dynasty and *w3ḏ-wr* », *GM* 17, 39-44.
1976a, « Remarks on the Two Stelae From the Wadi Gasus », *JEA,* 62, 45-56.
1976b, « *ḫbsḏ* From the Sinai », *GM* 19, 45-48.
1976c, « A Further Note on *ḫbsḏ* », *GM* 20, 37-39.
1976d, « *ḫbsḏ* Again », *GM* 22, 51-52.

1979a, « Somme Rapidly Disappearing and Unrecorded Sites in the Eastern Delta », *GM* 35, 41-46.
1979b, « Some Evidence From Scientists Indicating the Vegetation of Lower and Middle Egypt During the Pharaonic Period », dans *L'égyptologie en 1979*, I, 247-254.
1979b, « The " Trees and Towns " Palette », *ASAE* 63, 143-154.
1981, « The Hieroglyph Signs *gs* and *km* and Their Relationship », *GM* 52, 43-54.
1981-1982, « The *nhsy.w* of the Dahsur Decret of Pepi I », *GM* 53, 27-32.
1982a, « A Note on the *Lexikon* entry : Meer », *GM* 58, 53-58.
1982b, « The Chief Obstacle to Understanding the Wars of Ramesses III », *GM* 59, 51-60.
1982c, « Egitto e Bibbia sulla base della stele di Piankhi », *Liber Annuus* 39, 7-58.
1983, « A Further Note on the *km* Hieroglyph », *GM* 63, 77-80.
1984, « The Sea Peoples : Some Problems Concerning Historical Method », in *Terra Antiqua Balcanica*, II, *Annales de l'Université de Sofia* 77/2, 310-319.
1985, « The Lebanon (sic) and Djahy in the Egyptian Texts », *DE* 1, 17-26.
1986a, « Hatiba of Alashiya and a Correction to My Proposed Area for That Country », *DE* 5, 47-54.
1986b, *Lapwings and Libyans in Ancient Egypt*, Oxford.
1988, « Byblos (sic) and Wenamun : A Reply to some Recent Unrealistic Criticism », *DE* 11, 31-42.

Alviero Niccacci
1977, « Il messagio di Tefnakht », *Liber Annuus* 27, 213-228.

Charles F. Nims
1973, « The Transition From the Traditional to the New Style of Wall Relief under Amenhotep IV », *JNES* 32, 181-187.

Andrzej Niwinski
1984a, « Three More Remarks in the Discussion of the History of the Twenty-First Dynasty », *BES* 6, 81-88.
1984b, « The Bab El-Gusus Tomb and the Royal Cache in Deir el-Bahri », *JEA* 70, 73-81.
1985, « Zur Datierung und Herkunft der altägyptischen Särge », *BiOr* 42, 508-525.

M. Noth
1938, « Die Wege des Pharaonenheeres in Palästina und Syrien », *ZDPV* 61, 26-65.
1943, « Die Annalen Thutmose III. als Geschichtsquelle », *ZDPV* 66, 156-174.

NYAME AKUMA, Khartoum.

OBO = *Orbis Biblicus et Orientalis*, Fribourg.

Boyo Ockinga
1983, « Zum Fortleben des " Amarna-Loyalismus " in der Ramessidenzeit », *WdO* 14, 207-215.
1987, « On the Interpretation of the Kadesh Record », *CdE* 62, 38-48.

David O'Connor
1984, « Kerma and Egypt : The Significance of the Monumental Buildings, Kerma I, II, and XI », *JARCE* 31, 65-108.
1985, « The Chronology of Scarabs of the Middle Kingdom and the Second Intermediate Period », *JSSEA* 15, 1-41.
1986, « The Locations of Yam and Kush and Their Historical Implications », *JARCE* 23, 27-50.
1987, « The Location of Irem », *JEA* 73, 99-136.

Oikumene = *Oikumene, Studia ad historiam antiquam classicam et orientalem spectantia*, Budapest.

OIP = *Oriental Institute Publications*, Chicago.

OLA = *Orientalia Lovaniensia Analecta*, Louvain.

OLP = *Orientalia Lovaniensia Periodica*, Louvain.

Patrick F. O'Mara
1985a, *Some Indirect Sothic and Lunar Dates from the Late Middle Kingdom in Egypt,* Paulette Pub. Californie.
1985b, *Additional Unlabeled Lunar Dates from the Old Kingdom in Egypt,* Paulette Pub. Californie.
1986a, « Is the Cairo Stone a Fake ? An Example of Proof by Default », *DE* 4, 33-40.
1986b, « Historiographies (Ancient and Modern) of the Archaic Period. Part I : Should we Examine the Foundations ? A Revisionist Approach », *DE* 6, 33-46.
1987, « Historiographies (Ancient and Modern) of the Archaic Period. Part II : Resolving the Palermo Stone as a Rational Structure », *DE* 7, 37-50.
1988, « Was the Sed Festival Periodic in Early Egyptian History ? (I) », *DE* 11, 21-30.
OMRO = *Oudheidkundige Mededelingen uit het Rijksmuseum van Oudheden te Leiden,* Leyde.
Christian Onasch
1977, « Kusch in der Sicht von Ägyptern und Griechen », dans *Ägypten und Kusch, Schr. Or.* 13, 331-336.
Or = *Orientalia,* Institut Biblique Pontifical, Rome.
OrAnt = *Oriens Antiquus,* Rome.
Jürgen Osing
1977, « Zur Korregenz Amenophis III.-Amenophis IV. », *GM* 26, 53-54.
1978, « Zu einigen ägyptischen Namen in keilschriftlicher Umschreibung », *GM* 27, 37-42.
1979, « Zu einer Fremdvölkerliste Ramses' II. in Karnak », *GM* 36, 37-39.
1980, « Zum ägyptischen Namen für Zypern », GM 40, 45-52.
1981, « Zu einer Fremdvölker-Kachel aus Medinet Habu », *MDAIK* 37, 389-392.
1982, « Strukturen in Fremdländerlisten », *JEA* 68, 77-80.
1986, « Notizen zu den Oasen Charga und Dachla », *GM* 92, 79-85.
Eberhard Otto
1954, *Die biographischen Inschriften der ägyptischen Spätzeit. Ihre geistgeschichtliche und litterarische Bedeutung,* Leyde, Brill.
1956, « Prolegomena zur Frage der Gesetzgebung und Rechtssprechung in Ägypten », *MDAIK* 14, 150-159.
1957, « Zwei Bemerkungen zum Königskult der Spätzeit », *MDAIK* 15, 193-207.
1958, *Das Verhältnis von Rite und Mythus im ägyptischen, SHAW* 1958/1.
1960, « Der Gebrauch des Königstitel *bitj* », *ZAS* 85, 143-152.
1964, *Gott und Mensch, nach den ägyptischen Tempelinschriften der griechischen-römischen Zeit. Eine Untersuchung zur Phraseologie..., ADAW* 1964/1.
1966, « Geschichtsbild und Geschichtsschreibung in Ägypten », *WdO* 3, 161-176.
1969a, *Wesen und Wandel der altägyptischen Kultur,* Berlin-Heidelberg.
1969b, « Legitimation des Herrschers im pharaonischen Ägypten », *Saeculum* 20, 385-411.
1969c, « Das " goldene Zeitalter " in einem ägyptischen Text », dans *Religions en Égypte hellénistique et romaine,* CESS Strasbourg, P.U.F., Paris, 93-108.
1970, « Weltanschauliche und politische Tendenzschriften », *HdO* I, 1, 2, 2e éd., 139-147.
1971, « Gott als Retter Ägyptens », dans *Tradition und Glaube. Das frühe Christentum in seiner Umwelt,* Göttingen, 9-22.
1979, « Israel under the Assyrians », dans *Power and Propaganda. A Symposium on Ancient Empires, Mesopotamia* 7, 251-262.
J. Padro i Parcerisa
1987, « Le rôle de l'Égypte dans les relations commerciales d'Orient et d'Occident au Premier Millénaire », *ASAE* 71, 213-222.

J. PADRO I PARCERISA & F. MOLINA
1986, « Un vase de l'époque des Hyksos trouvé à Almunecar (province de Grenade, Espagne) », *Hommages à François Daumas*, 2, Montpellier, 517-524.
Ch. PALANQUE
1903, *Le Nil à l'époque pharaonique. Son rôle et son culte en Égypte*, Paris.
Jean PALERNE
1581, *Le voyage en Égypte de Jean Palerne, Forésien*, présentation et notes de S. Sauneron, Voyageurs IFAO, 1971.
Laure PANTALACCI
1985, « Un décret de Pépi II en faveur des gouverneurs de l'oasis de Dakhla », *BIFAO* 85, 245-254.
Robert PARANT
1974, « Recherches sur le droit pénal égyptien. Intention coupable et responsabilité pénale », in *Le Droit égyptien ancien*, Institut des Hautes Études de Belgique, Bruxelles, 25-55.
1982, *L'affaire Sinouhé. Tentative d'approche de la justice répressive égyptienne au début du IIe millénaire avant J.-C.*, Aurillac.
PARIS
1967, *Toutantkhamon et son temps*, Petit Palais.
1976, *Ramsès le Grand*, Galeries Nationales du Grand Palais.
1982, *Naissance de l'Écriture. Cunéiformes et hiéroglyphes*, Galeries Nationales du Grand Palais.
1987, *Tanis, l'or des pharaons*, Galeries Nationales du Grand Palais.
1988, *Les premiers hommes au pays de la Bible. Préhistoire en Israël*, CNRS-DGRCST.
Richard A. PARKER
1952, « Sothic Dates and Calendar " Adjustment " », *RdE* 9, 101-108.
1957a, « The Length of Reign of Ramesses X », *RdE* 11, 163-164.
1957b, « The Length of Reign of Amasis and the Beginning of the Twenty-sixth Dynasty », *MDAIK* 15, 208-212.
1970, « The Beginning of the Lunar Month in Ancient Egypt », *JNES* 29, 217-220.
R. A. PARKER, J. LECLANT & J.-C. GOYON
1979, *The Edifice of Taharqa by the Sacred Lac of Karnak, with Translations from the French by Cl. Crozier-Brelot, BES* 8.
G. PARTHEY
1858, *Ägypten beim Geographen von Ravenna, AKAW*.
E. PAULISSEN, P. van VERMEERSCH & W. NEER
1985, « Late Palaeolithic Sites at Qena », *NYAME AKUMA* 26, 7-13.
T. E. PEET
1930, *The Great Tomb-Robberies of the Twentieth Egyptian Dynasty*, Oxford.
P. Harris I : cité d'après Erichsen : 1933.
Olivier PERDU
1977, « Khenemet-nefer-hedjet : une princesse et deux reines du Moyen Empire », *RdE* 29, 68-85.
1985, « Le monument de Samtoutefnakht à Naples (première partie) », *RdE* 36, 89-113.
1986, « Stèles royales de la XXVIe dynastie », *BSFE* 105, 23-38.
W. PEREMANS & E. VAN'T DACK
1986, « À propos d'une prosopographie de l'Égypte basée sur les sources démotiques », *Enchoria* 14, 79-86.
J. J. PEREPELKIN
1983, *Privateigentum in der Vorstellung des ägyptischen Alten Reiches*, trad. R. Müller-Wollermann, Tübingen.
P. W. PESTMAN
1974, « Le démotique comme langue juridique », in *Le Droit égyptien ancien*, Institut des Hautes Études de Belgique, Bruxelles, 75-85.

1977, *Recueil de textes démotiques et bilingues*, Leyde.
1982, « The " Last Will of Naunakhte " and the Accession Date of Ramesses V », dans *Gleanings from Deir el-Medîna*, 173-182.
1984, « Remarks on the Legal Manual of Hermopolis : A Review Article », *Enchoria* 12, 33-42.

W. M. F. Petrie
1891, *Illahun, Kahun and Gurob*, Londres, réédition, 1974.
1953, *Ceremonial Slate Palettes*, suivi de *Corpus of Proto-dynastic Pottery*, *BSEA* 66.

Alexandre Piankoff
1948, « Le nom du roi Sethos en égyptien », *BIFAO* 47, 175-177.
1959, « Les tombeaux de la Vallée des Rois avant et après l'hérésie amarnienne », *BSFE* 28-29, 7-14.
1964, « Les grandes compositions religieuses du Nouvel Empire et la réforme d'Amarna », *BIFAO* 62, 207-218.

Kathleen M. Pickavance
1981, « The Pyramids of Snofru at Dahshûr. Three Seventeenth-Century Traveller », *JEA* 67, 136-142.

PIHAN Stamboul = Publications de l'Institut Historique et Archéologique Néerlandais de Stamboul.

Jacques Pirenne
1962, « La théorie des trois cycles de l'histoire égyptienne antique », *BSFE* 34-35, 11-22.
1972, « La population égyptienne a-t-elle participé à l'administration locale ? », *RdE* 24, 136-141.

Jacques Pirenne & Aristide Théodoridès
1966, *Droit égyptien, introduction bibliographique à l'histoire du Droit et à l'ethnologie juridique*, Université Libre de Bruxelles.

R. Pococke
1743-1745, *A Description of the East and Some Other Countries*, I-II, Londres.

A. Pohl
1957, « Einige Gedanken zur *ḫabiru*-Frage », *WZKM* 54, 157-160.

Adalbert Polacek
1974, « Le décret d'Horemheb à Karnak : essai d'analyse socio-juridique », in *Le Droit égyptien ancien*, Institut des Hautes Études de Belgique, Bruxelles, 87-111.

PM = **B. Porter & R. L. B. Moss**, *Topographical Bibliography of Ancient Egyptian Hieroglyphic Texts, Reliefs and Paintings*, 8 vol., en cours de réédition, Oxford-Warminster, 1939-1988.

Georges Posener
1934a, « À propos de la stèle de Bentresh », *BIFAO* 34, 75-81.
1934b, « Notes sur la stèle de Naucratis », *ASAE* 34, 143-148.
1936, *La première domination perse en Égypte, recueil d'inscriptions hiéroglyphiques*, *BdE* 11, réimpression inchangée 1980.
1940, *Princes et pays d'Asie et de Nubie*, Bruxelles.
1947, « Les douanes de la Méditerranée dans l'Égypte saïte », *Revue de Philologie* 21, 117-131.
1957, « Les Asiatiques en Égypte sous les XIIe et XIIIe dynasties », *Syria* 34, 145-163.
1960, *De la divinité du pharaon*, *Cahiers de la Société Asiatique* 15.
1969a, *Littérature et politique dans l'Égypte de la XIIe dynastie*, *Bibliothèque de l'École Pratique des Hautes Études* 307.
1969b, « Achoris », *RdE* 21, 148-150.
1974, « *Mwḳd* V », *GM* 11, 39-40.
1976, *L'enseignement loyaliste. Sagesse égyptienne du Moyen Empire*, *Bibliothèque de l'École Pratique des Hautes Études, IVe Section*, II 5.

1977, « L'or de Pount », dans *Ägypten und Kusch*, *Schr. Or.* 13, 337-342.
1986, « Du nouveau sur Kombabos », *RdE* 37, 91-96.
Georges Posener, Serge Sauneron & Jean Yoyotte
1959, *Dictionnaire de la civilisation égyptienne*, Paris.
Paule Posener-Kriéger
1976, *Les archives du temple funéraire de Néferirkarê-Kakaï (les papyrus d'Abousir)*, *BdE* 65, Le Caire.
Claire Préaux
1978, *Le monde hellénistique, la Grèce et l'Orient (323-146 av. J.-C.)*, « Nouvelle Clio », 6-6 bis, P.U.F., Paris.
Karl-Heinz Priese
1970a, « Der Beginn der kuschitischen Herrschaft in Ägypten », *ZÄS* 98, 16-32.
1970b, « Zur Sprache der ägyptischen Inschriften der Könige von Kusch », *ZÄS* 98, 99-124.
1973, « Zur Entstehung der meroitischen Schrift », *Meroitica* 1, 273-306.
James B. Pritchard
1950, *Ancient Near Eastern Texts Relating to the Old Testament*, Princeton, 2e éd., 1955.
Jan Quaegebeur
1975, *Le dieu égyptien Shaï dans la religion et l'onomastique*, *OLA* 2.
1986, « Aménophis, nom royal et nom divin : questions méthodologiques », *RdE* 37, 97-106.
P. Quezel & M. Babero
1988, *Carte de la végétation potentielle de la région méditerranéenne, 1, Méditerranée orientale*, Paris.
S. Quirke
1986, « The Regular Titles of the Late Middle Kingdom », *RdE* 37, 107-130.
Ali Radwan
1975, « Der Königsname », *SAK* 2, 213-234.
1981, « Zwei Stelen aus dem 47. Jahre Thutmosis' III », *MDAIK* 37, 403-408.
1983, *Die Kupfer- und Bronzegefässe Ägyptens. Von den Anfängen bis zum Beginn der Spätzeit*, Munich.
H. Ragab
1980, *Le papyrus*, Le Caire.
Anson F. Rainey
1976, « Taharqa and Syntax », *Tel Aviv* 3, 38-41.
Hermann Ranke
1932, « Istar als Heilgöttin in Ägypten », dans *Studies Griffith*, Oxford, 412-418.
1936, *The Art of Ancient Egypt, Architecture, Sculpture, Painting, Applied Art*, Vienne.
RAPH = *Recherches d'Archéologie, de Philologie et d'Histoire*, IFAO, Le Caire.
Suzanne Ratié
1979, *La reine Hatchepsout. Sources et problèmes*, Leyde.
1980, « Attributs et destinée de la princesse Neferuré », *BSEG* 4, 77-82.
1986, « Quelques problèmes soulevés par la persécution de Toutankhamon », *Hommages à François Daumas*, 2, Montpellier, 545-550.
Maarten J. Raven
1982, « The 30th Dynasty Nespamedu Family », *OMRO* 61, 19-32.
1983, « Wax in Egyptian Magic and Symbolism », *OMRO* 64, 7-47.
John D. Ray
1974, « Pharaoh Nechepso », *JEA* 60, 255-256.
1982, « The Carian Inscriptions from Egypt », *JEA* 68, 181-198.
1986, « Psammuthis and Hakoris », *JEA* 72, 149-158.
RdE = *Revue d'Égyptologie*, Paris.
REA = *Revue des Études Anciennes*, Paris.

Donald B. Redford
1967a, *History and Chronology of the Eighteenth Dynasty of Egypt. Seven Studies,* Toronto.
1967b, « The Father of Khnumhotpe II of Beni Hasan », *JEA* 53, 158-159.
1971, « The Earliest Years of Ramesses II, and the Building of the Ramesside Court at Luxor », *JEA* 57, 110-119.
1972, « Studies in Relations Between Palestine and Egypt During the First Millenium B.C. : I, The Taxation System of Solomon », in *Story of the Ancient Palestinian World,* 141-156.
1979a, « The Historical Retrospective at the Beginning of Thutmose III's Annals », *ÄAT* 1, 338-342.
1979b, « The Historiography of Ancient Egypt », dans **Kent Weeks,** *Egyptology and the Social Sciences,* The American University in Cairo Press, 3-20.
1983, « Notes on the History of Ancient Buto », *BES* 5, 67-94.
1984a, *Akhenaten. The Heretic King,* Princeton.
1984b, « The Meaning and Use of the Term *gnwt* " Annals " », dans *Studien zu Sprache und Religion Ägyptens, Festschrift W. Westendorf,* 327-341.
1985, « Saïs and the Kushite Invasions of the Eight Century B.C. », *JARCE* 22, 5-15.
1986a, « Egypt and Western Asia in the Old Kingdom », *JARCE* 23, 125-143.
1986b, « New Light on Temple J at Karnak », *Or* 55, 1-15.
1986c, *Pharaonic King-lists, Annals and Day-books. A Contribution to the Study of Egyptian Sense of History, SSEA Publications* 4.
Charles N. Reeves
1978, « A Further Occurrence of Nefertiti as *ḥmt nsw ʿ3t* », *GM* 30, 61-70.
1979, « A Fragment of Fifth Dynasty Annals at University College, London », *GM* 32, 47-52.
1981a, « The Tomb of Tuthmosis IV : Two Questionable Attributions », *GM* 44, 49-56.
1981b, « A Reappraisal of Tomb 55 in the Valley of the Kings », *JEA* 67, 48-55.
1982a, « Akhenaten After All ? », *GM* 54, 61-72.
1982b, « Tuthmosis IV as " Great-Grandfather " of Tut' ankhamun », *GM* 56, 65-70.
1981b, « A Reappraisal of Tomb 55 in the Valley of the Kings », *JEA* 67, 48-55.
REG = *Revue des Études Grecques,* Paris.
Walter Friedrich Reinecke
1977, « Ein Nubienfeldzug unter Königin Hatschepsut », dans *Ägypten und Kusch, Schr. Or.* 13, 369-376.
1979, « Die mathematischen Kenntnisse der ägyptischen Verwaltungsbeamten », dans *L'égyptologie en 1979,* II, 159-166.
E. Reiser
1972, *Der königliche Harim im alten Ägypten und seine Verwaltung,* Diss. Wien 77.
La Revue du Caire, Le Caire.
Revue de l'Égypte Ancienne, Paris.
Revue du Louvre, Paris.
Revue de Philologie, Paris.
Revue de Synthèse, Paris.
E. A. E. Reymond
1986, « The King's Effigy », *Hommages à François Daumas,* 2, Montpellier, 551-557.
J. Richards & N. Ryan
1985, *Data Processing in Archaeology,* Cambridge.
RIDA = *Revue Internationale du Droit de l'Antiquité,* Paris.
R. T. Ridley
1983, « The Discovery of the Pyramid Texts », *ZÄS* 110, 74-80.

Oskar M. Riedel
1981, « Das Transportproblem beim Bau der grossen Pyramiden », *GM* 52, 67-74.
1981-1982, « Nachtrag zu : " Das Transportproblem beim Bau der grossen Pyramiden " aus Heft 52 », *GM* 53, 47-50.
1985, *Der Pyramidenbau und seine Transportprobleme. Die Maschinen des Herodots*, Vienne.
Josef Riederer
1987, « Die chemische Analyse in der archäologischen Forschung », *GM* 100, 91-95.
Julien Ries
1986, *Théologies royales en Égypte et au Proche-Orient ancien et hellénisation des cultes orientaux*, Louvain.
RIHAO = *Revista del Instituto de Historia Antigua Oriental*, Buenos Aires.
RIK = *Ramesside Inscriptions in Karnak*, publiées par l'Oriental Institute, Chicago.
C. Rinaldi
1983, *Le piramidi. Un'indagine sulle tecniche costrottive*, Milan.
Rites égyptiens, Fondation Égyptologique Reine Élisabeth, Bruxelles.
Robert K. Ritner
1980, « Khababash and the Satrap Stela — A Grammatical Rejoinder », *ZÄS* 107, 135-137.
Ibrahim Rizkana & Jürgen Seeher
1984, « New Light on the Relation of Maadi to the Upper Egyptian Cultural Sequence », *MDAIK* 40, 237-252.
1985, « The Chipped Stones at Maadi : Preliminary Reassessment of a Predynastic Industry and its Long-Distance Relations », *MDAIK* 41, 235-255.
1988, *Maadi*, II, *The Lithic Industries of the Predynastic Settlement*, *AV* 65.
F. et K. Rizqallah
1978, *La préparation du pain dans un village du Delta égyptien (province de Charqia)*, *BdE* 76.
David Roberts
1846-1849, *Egypt and Nubia.*
Gay Robins
1978, « Amenhotep I and the Child Amenemhat », *GM* 30, 71-76.
1981a, « The Value of the Estimated Ages of the Royal Mummies at Death as Historical Evidence », *GM* 45, 63-68.
1981b, « *ḥmt nsw wrt* Meritaton », *GM* 52, 75-82.
1982a, « Ahhotpe I, II and III », *GM* 56, 71-78.
1982b, « Meritamun, Daughter of Ahmose, and Meritamun, Daughter of Thutmose III », *GM* 56, 79-88.
1982c, « *S3t nsw nt ẖt.f Tjʿ3* », *GM* 57, 55-56.
1983, « A Critical Examination of the Theory that the Right to the Throne of Ancient Egypt Passed Through the Female Line in the 18th Dynasty », *GM* 62, 67-78.
1987, « The Role of the Royal Family in the 18th Dynasty up to the Reign of Amenhotpe III : 2. Royal Children », *Wepwawet* 3, 15-17.
1988, « Ancient Egyptian Sexuality », *DE* 11, 61-72.
G. Robins & C. C. D. Shute
1985, « Wisdom from Egypt and Greece », *DE* 1, 35-42.
1987, *The Rhind Mathematical Papyrus. An Ancient Egyptian Text*, British Museum Publications.
Alessandro Roccati
1982, *La littérature historique sous l'Ancien Empire égyptien*, *LAPO*, Paris.
1984, « Les papyrus de Turin », *BSFE* 99, 9-27.
s.d. *Il Museo Egizio di Torino*, Rome.
1987, (éd.) *La Magia in Egitto*, Milan.

A. Rocchetta
1598, *Voyages en Égypte des années 1597-1601*, trad. et comm. de C. Burri, N. et S. Sauneron, Voyageurs IFAO, 1974.
D. Rocco
1982, « Los Habiru. Nuevos enfoques para un viejo problema », *RIHAO* 6, 113-124.
Günther Roeder
1926, « Ramses II. als Gott. Nach den Hildesheimer Denkstein aus Horbêt », *ZÄS* 61, 57-67.
1956, « Amarna-Blöcke aus Hermopolis », *MDAIK* 14, 160-174.
1959, *Die ägyptische Götterwelt*, Zurich et Stuttgart.
1960a, *Mythen und Legenden um ägyptische Gottheiten und Pharaonen*, Zurich et Stuttgart.
1960b, *Kulte, Orakel und Naturverehrung im alten Ägypten*, Zurich et Stuttgart.
M. Römer
1975, « Bemerkungen zum Argumentationsgang von Erik Hornung " Der Eine und die Vielen " », *GM* 17, 47-66.
Ursula Rössler-Köhler
1984, « Der König als Kind, Königsname und Maat-Opfer. Einige Überlegungen zu unterschiedlichen Materialen », dans *Studien zu Sprache und Religion Ägyptens, Festschrift W. Westendorf*, 929-945.
U. Rössler-Köhler & D. Kurth
1988, *Zur Archäologie des 12. oberägyptischen Gaues. Bericht über zwei Surveys der Jahre 1980 und 1981, GOF* IV/16.
James F. Romano
1983, « A Relief of King Ahmose and Early Eighteenth Century Archaism », *BES* 5, 103-111.
1985, Compte rendu de I. Lindbad, *Royal Sculpture of the Early 18th Dynasty*, *BiOr* 42, 614-619.
J. F. Romano & B. von Bothmer
1979, *The Luxor Museum of Ancient Egyptian Art, Catalogue*, ARCE.
John Romer
1974, « Tuthmosis I and the Bîban el-Molûk : Some Problems of Attribution », *JEA* 60, 119-133.
1984, *Ancient Lives. The Story of the Pharaohs Tombmakers*, Londres.
J. Rose
1985, " *The songs of Re* ". *Cartouches of the kings of Egypt*, Warrington.
Abraham Rosenvasser
1972, « The Stele Aksha 505 and the Cult of Ramesses II as a God in the Army », *RIHAO* 1, 99-114.
1978, « La estela del ano 400 », *RIHAO* 4, 63-85.
Ann Macy Roth
1977-1978, « Ahhotep I and Ahhotep II », *Serapis* 4, 31-40.
Jean Rousseau
1988, « Les calendriers de Djoser », *DE* 11, 73-86.
Georges Roux
1985, *La Mésopotamie. Essai d'histoire politique, économique et culturelle*, Paris, Seuil.
RSO = *Rivista degli Studi Orientali*, Rome.
Gerhard Rühlmann
1971, « Deine Feinde fallen unter deinen Sohlen : Bemerkungen zu einem altorientalischen Machtsymbol », *WZU Halle* 20, 61-84.
Edna R. Russmann
1974, *The Representation of the King, XXVth Dynasty*, Bruxelles.
1979, « Some Reflections on the Regalia of the Kushite Kings of Egypt », *Meroitica* 5, 49-54.

Barbara Ruszczyc
1977, « Taharqa à Tell Atrib », dans *Ägypten und Kusch, Schr. Or.* 13, 391-396.
Ramadan M. Sa'ad
1975, « Fragments d'un monument de Toutânkhamon retrouvés dans le IX^e pylône de Karnak », *Karnak* 5, 93-109.
Ramadan M. Sa'ad & Lise Manniche
1971, « A Unique Offering List of Amenophis IV Recently Found at Karnak », *JEA* 57, 70-72.
Ashraf I. Sadek
1979, « Glimpses of Popular Religion in the New Kingdom Egypt, I, Mourning for Amenophis I at Deir el-Medina », *GM* 36, 51-56.
Saeculum = *Saeculum, Jahrbuch für Universalgeschichte*, Fribourg, Munich.
Torgny Säve-Söderbergh
1946, « Zu den äthiopischen Episoden bei Herodot », *Eranos Rudbergianus* 44, 68-80.
L. Saffirio
1981-1982, « Popoli dell' antica età della pietra in Egitto e Nubia », *Aegyptus* 71, 3-64 et 72, 3-42.
Sagesses antérieures aux PROVERBES, Faculté de Théologie, Institut Catholique, Paris, s.d.
Edward Said
1980, *L'Orientalisme. L'Orient créé par l'Occident*, trad. C. Malamoud, Seuil, Paris.
Rushdi Said & H. Faure
1980, « Le cadre chronologique des phases pluviales et glaciaires de l'Afrique », dans *Histoire Générale de l'Afrique*, I, UNESCO, 395-434.
Rushdi Said & Fouad Yousri
1963-1964, « Origin and Pleistocene History of River Nile Near Cairo, Egypt », *BIE* 45, 1-30.
Jean Sainte Fare Garnot
1948, La vie religieuse dans l'ancienne Égypte, coll. « Mythes et religions », P.U.F.
SAK = *Studien zur Altägyptischen Kultur*, Hambourg.
Abd el-Aziz Saleh
1972, « The *gnbtyw* of Thutmosis III's *Annals* and the South Arabian *Geb(b)anitae* of the Classical Writers », *BIFAO* 72, 245-262.
1981, « Notes on the Ancient Egyptian *t3-nṯr*, ' God's-land' », *BIFAO du Centenaire*, 107-118.
A. B. Salman
1984, *Bibliography of Geology and Related Sciences Concerning Western Desert Egypt (1732-1984)*, Le Caire.
Georges Salmon
1905-1923, *Silvestre de Sacy (1758-1838)*, I-II, *Bibliothèque des arabisants français*, 1-2, IFAO.
Pierre Salmon
1965, *La politique égyptienne d'Athènes*, Bruxelles.
A. Sammarco
1935, *Précis de l'histoire d'Égypte*, IV, *Les règnes de 'Abbas, de Sa'id et d'Isma'il (1848-1879)*, Rome.
Julia Ellen Samson
1976, « Royal Names in Amarna History », *CdE* 51, 30-38.
1978, *Amarna, City of Akhenaton and Nefertiti*, Warminster.
1979a, « Akhenaten's Successor », *GM* 32, 53-58.
1979b, « The History of the Mystery of Akhenaten's Successor », dans *L'égyptologie en 1979*, II, 291-298.

1981-1982, « Akhenaten's Coregent Ankhheperure-Nefernefruaten », *GM* 53, 51-54.
1982a, « Akhenaten's Coregent and Successor », *GM* 57, 57-60.
1982b, « Nefernefruaten-Nefertiti « Beloved of Akhenaten ». Ankhkheperure Nefernefruaten « Beloved of Akhenaten ». Ankhkheperure Smenkhkare », *GM* 57, 61-68.
1985, *Nefertiti and Cleopatra. Queen-monarchs of Ancient Egypt*, Londres.

Maj SANDMAN
1938, *Texts from the Time of Akhenaten*, *BAE* 8.

G. SANDYS, W. LITHGOW
1611-1612, *Voyages en Égypte des années 1611 et 1612, Georges Sandys et William Lithgow*, traduits, présentés et annotés par O. Volkoff, Voyageurs IFAO 7, 1973.

SAOC = *Studies in Ancient Oriental Civilization*, Oriental Institute, Chicago.

Helmut SATZINGER
1984, « Zu den neubabylonischen Transkriptionen ägyptischer Personnennamen », *GM* 73, 89-90.

Serge SAUNERON
1950, « Trois personnages du scandale d'Éléphantine », *RdE* 7, 53-62.
1952, « La forme égyptienne du nom Teshub », *BIFAO* 51, 57-59.
1954, « La justice à la porte des temples (à propos du nom égyptien des propylées) », *BIFAO* 54, 117-128.
1955, « Quelques sanctuaires égyptiens des oasis de Dakhleh et de Khargeh », *Cahiers d'Histoire Égyptienne* 7, 279-299.
1959, « Les songes et leur interprétation dans l'Égypte ancienne », *Sources Orientales* 2, Seuil, 18-61.
1962, *Les prêtres de l'ancienne Égypte*, Seuil, Paris. Réédition, Paris, 1988.
1966, « une visite à Soleb en 1850 », *BIFAO* 64, 193-196.
1968a, *L'égyptologie*, coll. « Que sais-je ? », n° 1312, P.U.F., Paris.
1968b, « Les désillusions de la guerre asiatique (Papyrus Deir el-Médineh 35) », *Kêmi* 18, 17-27.
1971, « Deux épisodes de l'exploration des pyramides », *Beiträge zur ägyptischen Bauforschung und Altertumskunde* 12, 113-119.
1974, *Villes et Légendes d'Égypte (1-45)*, recueil des articles parus dans le *BIFAO*, IFAO.

S. SAUNERON & H. STIERLIN
1975, *Derniers temples d'Égypte : Edfou et Philae*, Paris.

S. SAUNERON & J. YOYOTTE
1950, « Traces d'établissements asiatiques en Moyenne Égypte sous Ramsès II », *RdE* 7, 67-70.
1952, « La campagne nubienne de Psammétique II et sa signification historique », *BIFAO* 50, 157-207.

Abd el-Monem A. H. SAYED
1977, « Discovery of the Site of the 12th Dynasty Port at Wâdi Gawâsîs on the Red Sea Shore », *RdE* 29, 138-178.
1983, « New Light on the Recently Discovered Port on the Red Sea Shore », *CdE* 58, 23-37.

SBAW = *Sitzungsberichte der Bayerischen Akademie der Wissenschaften*, Munich.

Ernesto SCAMUZZI
1966, *L'art égyptien au Musée de Turin*, Hachette.

H. SCHAEDEL
1936, *Die Listen des grossen Papyrus Harris. Ihre wissenschaftliche und politische Ausdeutung*, *LÄS* 6.

A. SCHÄFER
1986, « Zur Entstehung der Mitregenschaft als Legitimationsprinzip von Herrschaft », *ZÄS* 113, 44-55.

Heinrich Schäfer
1901, *Die äthiopische Königsinschrift der Berliner Museums*, Leipzig.
1963, *Von ägyptischer Kunst*, 4e édition revue par E. Brunner-Traut, Wiesbaden.
H. Schäfer & W. Andrae
1925, *Die Kunst des alten Orients*, Berlin.
Alexander Scharff
1936, *Der historische Abschnitt der Lehre für König Merikarê*, Munich.
Bernd Scheel
1985, « Studien zum Metallhandwerk im Alten Ägypten. I. Handlungen und Beischriften in den Bildprogrammen des Gräber des Alten Reiches », *SAK* 12, 117-178.
1986, « Studien zur Metallhandwerk im Alten Ägypten. II. Handlungen und Beischriften in den Bildprogrammen der Gräber des Mittleren Reiches », *SAK* 13, 181-206.
1988, « Anmerkungen zur Kupferverhüttung und Kupferraffination im Alten Ägypten », *DE* 11, 87-97.
Wolfgang Schenkel
1974, « Die Einführung der künstlichen Felderbewässerung im alten Ägypten », *GM* 11, 41-46.
1977, « Zur Frage der Vorlagen spätzeitlicher " Kopien " », dans *Fragen an die altägyptische Literatur, Stud. E. Otto*, Wiesbaden, 417-442.
1978, *Die Bewässerungsrevolution im alten Ägypten, Sond. DAIK* 6.
1979, « Atlantis : die " namenlose " Insel », *GM* 36, 57-60.
1986, « Das Wort für " König (von Oberägypten) " », *GM* 94, 57-73.
Romuald Schild & Fred Wendorf
1977, *The Prehistory of Dakhla Oasis and Adjacent Desert*, Polska Akademia Nauk Instytut Historii Kultury Materialnej, Varsovie.
Hermann A. Schlögl
1985, *Echnaton-Tutanchamun. Fakte und Texte*, 2e éd., Wiesbaden.
1986, *Amenophis IV. Echnaton. Mit Selbstzeugnissen und Bilddokumenten dargestellt*, Reinbek.
A. Schlott-Schwab
1981, *Die Ausmasse Ägyptens nach altägyptischen Texten, ÄAT* 3.
1983, « Weitere Gedanken zur Entstehung des altägyptischen Staates », *GM* 67, 69-80.
Klaus Schmidt
1984, « Zur Frage der ökonomischen Grundlagen frühbronzezeitlicher Siedlungen im Südsinai », *MDAIK* 40, 261-264.
Bettina Schmitz
1978, « Untersuchungen zu zwei Königinen der frühen 18. Dynastie, Ahhotep und Ahmose », *CdE* 53, 207-221.
Piotr Scholtz
1984, « Fürstin Iti — " Schönheit aus Punt " », *SAK* 11, 529-556.
Erika Schott
1972-1977, « Bücher und Bibliotheken im alten Ägypten », *GM* 1, 24-27 ; 25, 73-80.
Siegfried Schott
1945, *Mythe und Mythenbildung im alten Ägypten, UGAÄ* 15.
1950, *Altägyptische Fesdaten, AAWLM* 1950. 10.
1956a, *Zum Krönungstag der Königin Hatschepsût, NAWG* 1956/4.
1956b, *Les chants d'amour de l'Égypte ancienne*, traduit de l'allemand par P. Kriéger, coll. « l'Orient illustré », Paris.
1957, *Die Reinigung Pharaohs in einem memphitischen Tempel*, Göttingen.
1959, « altägyptische Vorstellungen vom Weltende », *Analecta Biblica* 12, 319-330.
1964, *Der Denkstein Sethos I. für die Kapelle Ramses'I. in Abydos*, Göttingen.

1965, « Aufnahmen vom Hungersnotrelief aus dem Aufweg der Unaspyramide », *RdE* 17, 7-13.
1969, « Le temple du sphinx à Giza et les deux axes du monde égyptien », *BSFE* 53-54, 31-41.
Schr. Or. = *Schriften zur Geschichte und Kultur des Alten Orients*, Berlin-Est.
Th. V. Schuller-Götzburg
1986, « Zur Familiengeschichte der 11. Dynastie », *GM* 90, 67-70.
Alan R. Schulman
1964, *Military Rank, Title and Organization in the Egyptian New Kingdom, MÄS* 6.
1966, « A Problem of Pedubasts », *JARCE* 5, 33-41.
1979a, « Diplomatic Marriage in the Egyptian New Kingdom », *JNES* 38, 177-194.
1979b, « The Nubian War of Akhenaton », dans *L'égyptologie en 1979*, II, 299-316.
1980, « Chariots, Chariotry and the Hyksos », *JSSEA* 10, 105-153.
1984, « Reshep at Zagazig : a New Document », dans *Studien zu Sprache und Religion Ägyptens, Festschrift W. Westendorf*, 855-863.
Peter H. Schulze
1976, *Herrin beider Länder Hatschepsut (Frau, Gott und Pharao)*, Bergisch-Gladbach.
1980, *Auf den Schwingen des Horusfalken. Die Geburt der ägyptischen Hochkultur*, Bergisch Gladbach.
1983, *Der Sturz des göttlichen Falken. Revolution im alten Ägypten*, Bergisch Gladbach.
R. A. Schwaller de Lubicz
1949, *Le temple dans l'Homme*, Le Caire.
1982, *Les temples de Karnak. Contribution à l'étude de la pensée pharaonique. Photographies de G. et V. de Miré, notices de L. Lamy*, Paris.
Jacques Schwartz
1949a, « Les conquérants perses et la littérature égyptienne », *BIFAO* 48, 65-80.
1949b, « Le " Cycle de Pétoubastis " et les commentaires égyptiens de l'*Exode* », *BIFAO* 49, 67-83.
1951, « Hérodote et l'Égypte », *Revue Archéologique*, 6e série, 37, 143-150.
J.-C. Schwarz
1979, « La médecine dentaire dans l'Égypte ancienne », *BSEG* 2, 37-43.
Ursula Schweitzer
1948, *Löwe und Sphinx im alten Ägypten, ÄF* 15.
Geneviève Sée
1973, *Naissance de l'urbanisme dans la vallée du Nil*, éd. Serg.
1974, *Grandes villes de l'Égypte antique*, éd. Serg.
K. C. Seele
1940, *The Coregency of Ramses II with Seti I and the Date of the Great Hypostyle Hall at Karnak*, Chicago.
Erwin Seidl
1964, *Altägyptisches Recht, HdO* I/E.3.
Serapis, Chicago.
Kurt Sethe
1896, *Die Thronwirren unter den Nachfolgern Königs Thutmosis' I. Die Prinzenliste von Medinet Habu, Untersuchungen* 1.
1912, *Die Einsetzung des Veziers unter der 18. Dynastie, UGAÄ* 5.
1914, *Übersetzung zu den Heften 1-4 der* **Urk. IV**, réédition 1984, Leipzig.
1930, *Urkunden der ägyptischen Altertums*, IV, *Urkunden der 18. Dynastie*, Leipzig.
1935, *Urkunden der ägyptischen Altertums*, VII, *Urkunden des Mittleren Reiches*, Leipzig.
Jürgen Settgast
1963, « Materialen zur Ersten Zwischenzeit, I », *MDAIK* 19, 7-15.
1969, « Zu ungewöhnlichen Darstellungen von Bogenschützen », *MDAIK* 25, 136-138.

A. Severyns
1960, *Grèce et Proche-Orient avant Homère*, Bruxelles.
Karl Joachim Seyfried
1976, « Nachträge zu Yoyotte 'Les Sementiou... », *BSFE* 73, 44-55.
1981, *Beiträge zu den Expeditionen des Mittleren Reiches in der Ostwüste*, *HÄB* 15.
1987, « Bemerkungen zur Erweiterung der unterirdischen Anlagen einiger Gräber des Neuen Reiches in Thebes — Versuch einer Deutung », *ASAE* 71, 229-249.
SHAW = *Sitzungsberichte der Heidelberger Akademie der Wissenschaften.*
Ian M. E. Shaw
1984, « The Egyptian Archaic Period : a Reappraisal of the c-14 Dates (I) », *GM* 78, 79-86.
1985, « Egyptian Chronology and the Irish Oak Calibration », *JNES* 44, 295-318.
Negm el-Din Mohamed Sherif
1980, « La Nubie avant Napata (3100 à 750 avant notre ère) », dans *Histoire Générale de l'Afrique*, II, UNESCO, 259-294.
E. J. Sherman
1982, « Ancient Egyptian Biographies of the Late Period (380 BCE through 246 BCE) », *NARCE* 119, 38-41.
A. Siliotti
1985, *Viaggiatori veneti alla scoperta dell-Egitto. Itinerari di storia e arte*, Venise.
David Silverman
1969, « Pygmies and Dwarves in the Old Kingdom », *Serapis* 1, 53-62.
Joachim Sliwa
1974, « Some Remarks Concerning Victorious Ruler Representations in Egyptian Art », *FuB* 16, 97-117.
William Kelly Simpson
1965, « The Stela of Amun-wosre, Governor of Upper Egypt in the Reign of Ammenemes I or II », *JEA* 51, 63-68.
1974, « Polygamy in Egypt in the Middle Kingdom », *JEA* 60, 100-105.
1980, « Mariette and Verdi's Aïda », *BES* 2, 111-120.
1981, « Textual Notes on the Elephantine Building Text of Sesostris I and the Zizina Fragment From the Tomb of Horemheb », *GM* 45, 69-70.
1982a, « Egyptian Sculpture and Two-dimensional Representation as Propaganda », *JEA* 68, 266-271.
1982b, « A Relief of a Divine Votaress in Boston », *CdE* 57, 231-235.
B. Sledzianowski
1973, « Alessandra Nibbi, *The Sea Peoples :* a Reexamination of the Egyptian Sources », *GM* 5, 59-62.
Harry S. Smith
1972, « Dates of the Obsequies of the Mother of Apis », *RdE* 24, 176-187.
1979, « The Excavation of the Anubieion at Saqqara : a Contribution to Memphite Topography and Stratigraphy (from 400 BC-641 AD) », dans *L'égyptologie en 1979*, I, 279-282.
H. S. & A. Smith
1976, « A Reconsideration of the Kamose Texts », *ZÄS* 103, 48-76.
H. S. Smith & R. M. Hall
1983, *Ancient Centres of Egyptian Civilization*, Londres.
Mark J. Smith
1980, « A Second Dynasty King in a Demotic Papyrus of the Roman Period », *JEA* 66, 173.
R. W. Smith & D. Redford
1976, *The Akhenaten Temple Project*, 1, *Initial Discoveries*, Warminster.
1988, *The Akhenaten Temple Project*, 2, *The Temple Rwd-Mnw and the Inscriptions*, Warminster.

W. S. Smith
1978, *A History of Egyptian Sculpture and Painting in the Old Kingdom.*
SNR = *Sudan Notes and Records*, Khartoum.
Sond. DAIK = *Sonderdrücke des Deutschen Archäologischen Instituts in Kairo*, Le Caire.
Georges Soukiassian
1981, « Une étape de la proscription de Seth », *GM* 44, 59-68.
Hourig Sourouzian
1981, « L'apparition du pylône », *BIFAO du Centenaire*, 141-152.
1983, « Henout-mi-Rê, fille de Ramses II et grande épouse du roi », *ASAE* 69, 365-371.
Anthony J. Spalinger
1973, « The Year 712 BC and its Implications for Egyptian History », *JARCE* 10, 95-101.
1974a, « Assurbanipal and Egypt : a Source Study », *JAOS* 94, 316-328.
1974b, « Some Notes on the Battle of Megiddo and Reflections on Egyptian Military Writing », *MDAIK* 30, 221-229.
1974c, « Esarhaddon and Egypt : an Analysis of the First Invasion of Egypt », *Or* 43, 295-326.
1977a, « A Critical Analysis of the " Annals " of Thutmose III (*Stücke* V-VII) », *JARCE* 14, 41-54.
1977b, « Egypt and Babylonia : a Survey (c. 620 BC-550 BC) », *SAK* 5, 221-244.
1978a, « A New Reference to an Egyptian Campaign of Thutmose III in Asia », *JNES* 37, 35-41.
1978b, « The Date of the Death of Gyges and its Historical Implications », *JAOS* 98, 400-409.
1978c, « A Canaanite Ritual Found in Egyptian Reliefs », *JSSEA* 8, 47-60.
1978d, « The Foreign Policy of Egypt Preceding the Assyrian Conquest », *CdE* 53, 22-47.
1978e, « The Concept of the Monarchy During the Saite Epoch — an Essay of Synthesis », *Or* 47, 12-36.
1978f, « The Reign of King Chabbash : an Interpretation », *ZÄS* 105, 142-154.
1979a, « Egyptian-Hittite Relations at the Close of the Amarna Period and Some Notes on Hittite Military Strategy in North Syria », *BES* 1, 55-90.
1979b, « Some Additional Remarks on the Battle of Megiddo », *GM* 33, 47-54.
1979c, « The Northern Wars of Seti I : an Integrative Study », *JARCE* 16, 29-47.
1979d, « Traces of the Early Career of Ramesses II », *JNES* 38, 271-286.
1979e, « Some Notes on the Libyans of the Old Kingdom and Later Historical Reflexes », *JSSEA* 9, 125-162.
1979f, « Traces of the Early Career of Seti I », *JSSEA* 9, 227-240.
1980a, « Addenda to " The Reign of King Chabbas : An Interpretation " (*ZÄS* 105, 1978, pp. 142-154) », *ZÄS* 107, 87.
1980b, « Remarks on the Family of Queen *ḥʿ.s.nbw* and the Problem of Kin ship in Dynasty XIII », *RdE* 32, 95-116.
1980c, « Historical Observations on the Military Reliefs of Abu Simbel and Other Ramesside Temples in Nubia », *JEA* 66, 83-99.
1981a, « Considerations on the Hittite Treaty Between Egypt and Hatti », *SAK* 9, 299-358.
1981b, « Notes on the Military in Egypt During the XXVth dynasty », *JSSEA* 11, 37-58.
1983, « The Historical Implications of the Year 9 Campaign of Amenophis II », *JSSEA* 13, 89-101.
1986a, « Baking During the Reign of Seti I », *BIFAO* 86, 307-352.
1986b, « Foods in P. Bulaq 18 », *SAK* 13, 207-248.
1987, « The Grain System of Dynasty 18 », *SAK* 14, 283-311.

D. Spanel
1984, « The Date of Ankhtifi of Mo'alla », *GM* 78, 87-94.
J. H. Speke
1865, *Les sources du Nil. Journal de voyage du capitaine J. H. Speke...*, Paris.
P. A. & A. J. Spencer
1986, « Notes on Late Libyan Egypt », *JEA* 72, 198-201.
Joachim Spiegel
1957a, « Der " Ruf " des Königs », *WZKM* 54, 191-203.
1957b, « Zur Kunstentwicklung der zweiten Hälfte des Alten Reiches », *MDAIK* 15, 225-261.
SSEA = *Society of the Studies of Egyptian Antiquities*, Toronto.
Rainer Stadelmann
1965, « Ein Beitrag zum Brief des Hyksos Apophis », *MDAIK* 20, 62-69.
1980, « Snofru und die Pyramiden von Meidum und Dahschur », *MDAIK* 36, 437-449.
1981a, « Die lange Regierung Ramses' II. », *MDAIK* 37, 457-464.
1981b, « La ville de pyramide à l'Ancien Empire », *RdE* 33, 67-77.
1983, « Das vermeintliche Sonnenheiligtum im Norden des Djoserbezirkes », *ASAE* 69, 373-378.
1984, « Khaefkhufu = Chephren. Beiträge zur Geschichte der 4. Dynastie », *SAK* 11, 165-172.
1985, *Die ägyptischen Pyramiden. Vom Ziegelbau zum Weltwunder*, « Kulturgeschichte der antiken Welt », 30, Mayence.
1987, « Königinnengrab und Pyramidenbezirk im Alten Reich », *ASAE* 71, 251-260.
Elisabeth Staehelin
1966, *Untersuchungen zur ägyptischen Tracht im Alten Reich, MÄS* 8.
Georg Steindorff
1932, « Nubien, die Nubier und die sogenannten Troglodyten », dans *Studies Griffith*, Oxford, 358-368.
Frank Steinmann
1980-1984, « Untersuchungen zu den in der handwerklich-künstlerichen Produktion beschäftigten Personen und Berufsgruppen des Neuen Reichs », *ZÄS* 107, 137-157; 109, 66-72 et 149-156; 111, 30-40.
Stèle de la Victoire = Stèle triomphale de Pi(ânkh)y, citée d'après Grimal : 1981a.
Stèle du Songe = Stèle de Tantamani, citée d'après Grimal : 1981b.
H. M. Stewart
1960, « Some pre-ʿAmarnah Sun-hymns », *JEA* 46, 83-90.
Henri Stierlin
1984, *Égypte. Des origines à l'Islam*, Paris.
Lothar Störk
1973, « Gab es in Ägypten einen rituellen Königsmord? », *GM* 5, 31-32.
1979, « Beginn und Ende einer Reise nach Punt : das Wadi Tumilat », *GM* 35, 93-98.
1981a, « Zur Etymologie von *ḥ3b* " Flusspferd " », *GM* 43, 61-62.
1981b, « Er ist ein Gott, während ich ein Herrscher bin ». Die Anfechtung der Hyksossuzeränität unter Kamose », *GM* 43, 63-66.
1981c, « Was störte der Hyksos Apophis am Gebrüll der thebanischen Nilpferde? », *GM* 43, 67-68.
John Strange
1973, « A " New " Proposal for the Identity of Keftiu/Caphtor. A Preliminary Account », *GM* 8, 47-52.
Cornelia Strauss-Seeber
1987, « Zum Statuenprogramm Ramses' II. im Luxortempel », in *Tempel und Kult, ÄA* 46, 24-42.

Eugen Strouhal
1979, « Queen Mutnodjmet at Memphis — Anthropological and Paleopathological Evidence », dans *L'égyptologie en 1979*, II, 317-322.
Nigel Strudwick
1985, *The Administration of Egypt in the Old Kingdom*, Londres.
Stud. Aeg = *Studia Aegyptiaca*, Budapest.
Stud. Semitici = *Studi Semitici*, Rome.
Émile Suys
1933, *Étude sur le conte du fellah plaideur, récit égyptien du Moyen Empire*, *AnOr* 5.
Nabil M. A. Swelim
1971, « The Funerary Complex of Horus Neter-khet at Sakkara », *AHS Alexandrie* 4, 30-38.
1974, « Horus Senerka, an Essay on the Fall of the First Dynasty », *AHS Alexandrie* 5, 67-78.
1983, *Some Problems on the History of the Third Dynasty*, *AHS Alexandrie* 7.
S. Symeonoglou
1985, *The Topography of Thebes. From the Bronze Age to Modern Times*, Princeton.
Syria, Paris.
Zbigniew Szafranski
1979, « Problem of Power-concentration in Hands of One Family in Edfu at the Time of Sebekhetep IV. Genealogical Tree-preliminary Study », dans *L'égyptologie en 1979*, II, 173-176.
1983, « Some Remarks About the Process of Democratization of the Egyptian Religion in the Second Intermediate Period », *ET* 12, 53-66.
1985, « Buried Statues of Mentuhotep II Nebhepetre and Amenophis I at Deir el-Bahari », *MDAIK* 41, 257-264.
TÄB = *Tübinger Ägyptologische Beiträge*, Tübingen.
Jacques Tagher
1950, « Fouilleurs et antiquaires en Égypte au XIXe siècle », *Cahiers d'Histoire Égyptienne* 3, 72-86.
TAVO = *Tübinger Atlas des Vorderen Orients*, Wiesbaden.
Sayed Tawfik
1981, « Aton Studies 6. Was Nefernefruaten the Immediate Successor of Akhenaten ? », *MDAIK* 37, 469-474.
Emily Teeter
1986, « The Search for Truth : A Preliminary Report on the Presentation of Maat », *NARCE* 134, 3-13.
Roland Tefnin
1979a, *La statuaire d'Hatschespout*, Bruxelles.
1979b, « Image et histoire. Réflexions sur l'usage documentaire de l'image égyptienne », *CdE* 54, 218-244.
1981, « Image, écriture, récit. À propos des représentations de la bataille de Qadech », *GM* 47, 55-78.
1986, « Réflexions sur l'esthétique amarnienne, à propos d'une nouvelle tête de princesse », *SAK* 13, 255-262.
Gertrud Thausing
1948, « Zur Frage der " juristischen Person » im ägyptischen Recht », *WZKM* 51, 14-20.
Aristide Théodoridès
1967, « À propos de la loi dans l'Égypte pharaonique », *RIDA*, 3e série, 14, 107-152.
1973, « Les Égyptiens anciens, " citoyens " ou " sujets " de Pharaon ? », *RIDA*, 3e série, 20, 51-112.
1974, « Le problème du droit égyptien ancien », in *Le Droit égyptien ancien*, Institut des Hautes Études de Belgique, 3-24.

Heinz-J. THISSEN
1984a, « Ziegelfabrikation nach demotischen Texten », *Enchoria* 12, 51-56.
1984b, *Die Lehre des Anchscheschonqi (P. BM 10508). Einleitung, Übersetzung, Indices*, Bonn.
Elisabeth THOMAS
1959, « Ramesses III : Notes and Queries », *JEA* 45, 101-102.
1967, « Was Queen Mutnedjmet the Owner of Tomb 33 in the Valley of the Queens ? », *JEA* 53, 161-163.
1980, « The Tomb of Queen Ahmose (?) Merytamen, Theban Tomb 320 », *Serapis* 6, 171-181.
1981a, *Gurob*, I-II, Warminster.
1981b, *Gurob. A New Kingdom town, Egyptology Today* 5.
C. TIETZE
1985, « Amarna. Analyse der Wohnhäuser und soziale Struktur der Stadtbewohner », *ZÄS* 112, 48-84.
1986, « Amarna, II », *ZÄS* 113, 55-78.
Herbert TOMANDL
1984, « Der Gefangenfries am Thronuntersatz aus dem Amuntempel von Napata », *GM* 82, 65-72.
1986, « Die Thronuntersätze vom Amuntempel in Meroe und Jebel Barkal. Ein ikonographischer Vergleigh », *VA* 2, 63-72.
Laszlo TÖRÖK
1979, « The Art of the Ballana Culture and its Relation to Late Antique Art », *Meroitica* 5, 85-100.
1984a, « Economy in the Empire of Kush : A Review of the Written Evidence », *ZÄS* 111, 45-69.
1984b, « Meroitic Architecture : Contributions to Problems of Chronology and Style », *Meroitica* 7, 351-366.
1987, « The Royal Crowns of Kush. A Study in Middle Nile Valley Regalia and Iconography in the 1st Millenia B. C. and A. D. », Cambridge BARIS 338.
A. D. TOUNY & St. WENIG
1969, *Der Sport im alten Ägypten*, Leipzig.
Claude TRAUNECKER
1975, « Une stèle commémorant la construction de l'enceinte d'un temple de Montou », *Karnak* 5, 141-158.
1979, « Essai sur l'histoire de la XXIX^e^ dynastie », *BIFAO* 79, 395-436.
1980, « Un nouveau document sur Darius I^er^ à Karnak », *Karnak* 6, 209-213.
1984, « Données nouvelles sur le début du règne d'Amenophis IV et son œuvre à Karnak », *JSSEA* 14, 60-69.
1986, « Aménophis IV et Nefertiti : Le couple royal d'après les talatates du IX^e^ pylône de Karnak », *BSFE* 107, 17-44.
1987, « Les " temples hauts " de Basse Époque : un aspect du fonctionnement économique des temples, *RdE* 38, 147-162.
Claude et Françoise TRAUNECKER
1984-1985, « Sur la salle dite " du couronnement " à Tell el-Amarna », *BSEG* 9-10, 285-307.
Cl. TRAUNECKER & J.-C. GOLVIN
1984, *Karnak. Résurrection d'un site*, Payot, Paris.
Cl. TRAUNECKER, F. LE SAOUT & O. MASSON
1981, *La chapelle d'Achôris à Karnak*, II, Centre Franco-Égyptien des Temples de Karnak, *Mémoires* 2.
Jorge A. TRENCH
1988, « Geometrical Model for the Ascending and Descending Corridors of the Great Pyramid », *GM* 102, 85-94.

Bruce G. Trigger
1979a, « The Narmer Palette in Cross-cultural Perspective », *ÄAT* 1, 409-419.
1979b, « Egypt and the Comparative Study of Early Civilizations », dans **Kent Weeks**, *Egyptology and the Social Sciences*, The American University in Cairo Press, 23-56.
1981, « Akhenaten and Durkheim », *BIFAO du Centenaire*, 165-184.
B. G. Trigger, B. Kemp, D. O'Connor
1983, *Ancient Egypt. A Social History*, Cambridge.
Lana Troy
1979, « Ahhotep — A Source Evaluation », *GM* 35, 81-92.
1981, « One Merytamun Too Many. An Exercise in Critical Method », *GM* 50, 81-96.
TT = Tombe thébaine, citée d'après *PM*.
A. Tulhoff
1984, *Tutmosis III. 1490-1436 v. Chr. Das ägyptische Weltreich auf dem Höhepunkt der Macht*, Munich.
UGAÄ = *Untersuchungen zur Geschichte und Altertumskunde Ägyptens*, Berlin.
Eric P. Uphill
1965, « The Egyptian Sed-festival Rites », *JNES* 24, 365-383.
1965-1966, « the Nine Bows », *JEOL* 19, 393-420.
1975, « The Office *sḏ3wty bity* », *JEA* 61, 250.
1984a, *The Temples of Per Ramesses*, Warminster.
1984b, « The Sequence of Kings for the First dynasty », dans *Studien zu Sprache und Religion Ägyptens, Festschrift W. Westendorf*, 653-667.
Urk. IV, 1-1226 = Sethe : 1930.
Urk. IV, 1227-2179 = Helck : 1955.
Urk. VII = Sethe : 1935.
VA = *Varia Aegyptiaca*, San Antonio, Cal.
Frantisek Vahala
1970, « Der Elephant in Ägypten und Nubien » *ZÄS* 98, 81-83.
P. Vaillant
1984, *J.-F. Champollion, lettres à son frère 1804-1818*, « Champollion et son temps » 2.
Dominique Valbelle
1979, « Modalités d'une enquête ponctuelle sur la vie quotidienne », dans *L'égyptologie en 1979*, II, 177-178.
1985a, « *Les ouvriers de la tombe* ». *Deir el-Médineh à l'époque ramesside, BdE* 96.
1985b, « Éléments sur la démographie et le paysage urbains, d'après les papyrus documentaires d'époque pharaonique », *CRIPEL* 7, 75-90.
1987, « Les recensements dans l'Égypte pharaonique des troisième et deuxième millénaires », *CRIPEL* 9, 33-52.
Michel Valloggia
1964, « Remarques sur les noms de la reine Sebek-Ka-Re Neferou-Sebek », *RdE* 16, 45-53.
1969, « Amenemhat IV et sa corégence avec Amenemhat III », *RdE* 21, 107-133.
1974, « Les vizirs des XI[e] et XII[e] dynasties », *BIFAO* 74, 123-134.
1976, *Recherche sur les « messages »* (upwtjw) *dans les sources égyptiennes profanes*, EPHE N, II/9, Genève.
1981, « This sur la route des oasis », *BIFAO du Centenaire*, 185-190.
1986, *Balat I, Le mastaba de Medou-nefer*, IFAO, Le Caire.
G. P. F. Van den Boorn
1982, « On the Date of The Duties of the Vizier », *Or* 51, 369-381.
Dirk Van der Plas
1986, *L'Hymne à la crue du Nil, Egyptologische Uitgaven* IV, Leyde.

Claude Vandersleyen
1967, « Une tempête sous le règne d'Amosis », *RdE* 19, 123-159.
1971a, *Les guerres d'Amosis, fondateur de la XVIII[e] dynastie*, *MRE* 1.
1971b, « Des obstacles que constituent les cataractes du Nil », *BIFAO* 69, 253-266.
1975-1976, « Aménophis III incarnant le dieu Neferhotep », *OLP* 6/7, 535-542.
1980, « Les deux Ahhotep », *SAK* 8, 233-242.
1981, « Sources égyptiennes pour l'Éthiopie des Grecs », *BIFAO du Centenaire*, 191-196.
1983a, « Un seul roi Taa sous la 17[e] Dynastie », *GM* 63, 67-70.
1983b, « L'identité d'Ahmès Sapaïr », *SAK* 10, 311-324.
1985, *Das alte Ägypten*, Propyläen Kunstgeschichte 18.
1987, « Une tête de Chéfren en granit rose », *RdE* 38, 194-197.
Baudouin Van de Walle
1976, « La découverte d'Amarna et d'Akhenaton », *RdE* 28, 7-24.
1979, « Les textes d'Amarna se réfèrent-ils à une doctrine morale ? », *OBO* 28, 353-362.
Jacques Vandier
1936, *la famine dans l'Égypte ancienne*, IFAO, *RAPH* 7.
1949, *La religion égyptienne*, coll. « Mana », P.U.F.
1950, *Mo'alla. La tombe d'Ankhtifi et la tombe de Sébekhotep*, IFAO, *BdE* 18.
1952, *Manuel d'archéologie égyptienne*, I, *Les époques de formation, La préhistoire — les trois premières dynasties*, Paris, Picard.
1954, *Manuel d'archéologie égyptienne*, II, *Les grandes époques, L'architecture funéraire*, Paris, Picard.
1955a, *Manuel d'archéologie égyptienne*, II, *Les grandes époques, L'architecture religieuse et civile*, Paris, Picard.
1955b, « Hémen et Taharqa », *RdE* 10, 73-79.
1958, *Manuel d'archéologie égyptienne*, III, *Les grandes époques, La statuaire*, Paris, Picard.
1964, *Manuel d'archéologie égyptienne*, IV, *Bas-reliefs et peintures, scènes de la vie quotidienne*, 1, Paris, Picard.
1969, *Manuel d'archéologie égyptienne*, V, *Bas-reliefs et peintures, scènes de la vie quotidienne*, 2, Paris, Picard.
1971, « Ramsès-Siptah », *RdE* 23, 165-191.
1978, *Manuel d'archéologie égyptienne*, VI, *Bas-reliefs et peintures, scènes de la vie agricole à l'Ancien et au Moyen Empire*, Paris, Picard.
Jacobus van Dijk
1979, « The Luxor Building Inscription of Ramesses III », *GM* 33, 19-30.
J. van Dijk & M. Eaton-Krauss
1986, « Tutankhamun at Memphis », *MDAIK* 42, 35-44.
Joos van Ghistele
1482-1483, *Le voyage en Égypte de Joos van Ghistele, 1482-1483*. Traduction, introduction et notes de R. Bauwens-Préaux, Voyageurs IFAO 16, 1976.
John van Seters
1954, « A Date for the *Admonitions* in the Second Intermediate Period », *JEA* 50, 13-23.
1967, *The Hyksos. A New Investigation*, réédition, New Haven.
1983, *In Search of History. Historiography in the Ancient World and the Origins of Biblical History*, Londres.
Charles Cornell van Siclen III
1973, « The Accession Date of Amenhotep III and the Jubilee », *JNES* 32, 290-300.
1984, « The Date of the Granite Bark Shrine of Tuthmosis III », *GM* 79, 53-54.
1985, « Amenhotep II at Dendera (lunet) », *VA* 1, 69-73.
1987a, « Amenhotep II and the Mut Temple Complex at Karnak », *VA* 3, 281-282.
1987b, « Amenhotep II, Shabako, and the Roman Camp at Luxor », *VA* 3, 157-165.

Alexandre Varille
1947, *À propos des pyramides de Snefrou*, Le Caire.
VdQ = Vallée des Reines + numéro de la tombe, cité d'après *PM* I².
VdR = Vallée des Rois + numéro de la tombe, cité d'après *PM* I².
M. Veniet
1982, « Greek Pottery in Egypt », *NARCE* 117, 30-31.
Venise
1988, *I Fenici*, éd. **Sabatino Moscati**, Bompiani.
Marjorie Susan Venit
1984, « Early Attic Black Figure Vases in Egypt », *JARCE* 31, 141-154.
1985a, « Laconian Black Figure in Egypt », *AJA* 89, 391-398.
1985b, « Two Early Corinthian Alabastra in Alexandria », *JEA* 71, 183-189.
Raphael Ventura
1983, « More Chronological Evidence from Turin Papyrus Cat. 1907 + 1908 », *JNES* 42, 271-278.
Jean Vercoutter
1947-1949, « Les Haou-nebout », *BIFAO* 46 (1947), 125-158 ; 48 (1949), 107-209.
1963-1964, « Journal du voyage en Basse Nubie de Linant de Bellefonds (1821-1822) », *BSFE* 37-38, 39-64 ; 41, 23-32.
1964, « La stèle de Mirgissa IM 209 et la localisation d'Iken (Kor ou Mirgissa ?) », *RdE* 16, 179-191.
1972a, « La XVIIIe dynastie à Saï et en Haute Nubie », *CRIPEL* 1, 9-38.
1972b, « Une campagne militaire de Séti Ier en Haute Nubie. Stèle de Saï S 579 », *RdE* 24, 201-208.
1975, « Le roi Ougaf et la XIIIe dynastie sur la IIe Cataracte (stèle de Mirgissa IM 375) », *RdE* 27, 222-234.
1976, « Égyptologie et climatologie. Les crues du Nil à Semneh », *CRIPEL* 4, 141-172.
1979a, « L'image du noir dans l'Égypte ancienne (des origines à la XXVe dynastie) », *Meroitica* 5, 19-22.
1979b, « Balat sur la route de l'Oasis », dans *L'égyptologie en 1979*, I, 283-288.
1980a, « Le pays Irem et la pénétration égyptienne en Afrique (Stèle de Saï S. 579) », *Livre du Centenaire, MIFAO* 104, 157-178.
1980b, « Invention et diffusion des métaux et développement des systèmes sociaux jusqu'au ve siècle avant notre ère », dans *Histoire Générale de l'Afrique*, I, UNESCO, 746-770.
1980c, « Le peuplement de l'Égypte ancienne », dans *Histoire Générale de l'Afrique*, *Études et Documents*, 1, 15-36.
1984, « L'Égypte et le Soudan nilotique, problèmes historiques et archéologiques », *BOREAS* 13, 115-124.
1987, « L'Égypte jusqu'à la fin du Nouvel Empire », in P. Lévêque : 1987.
Joseph Vergote
1961, *Toutankhamon dans les archives hittites*, *PIHAN Stamboul* 12.
1980, « À propos du nom de Moïse », *BSEG* 4, 89-95.
U. Verhoeven
1984, *Grillen, Kochen, Backen im Alltag und im Ritual Altägyptens. Ein lexicographischer Beitrag*, *Rites Égyptiens* 4.
Miroslav Verner
1979, « Neue Schriftliche Quelle aus Abusir », dans *L'égyptologie en 1979*, II, 179-182.
1980, « Die Königsmutter Chentkaus von Abusir und einige Bemerkungen zur Geschichte der 5. Dynastie », *SAK* 8, 243-268.
1982, « Eine zweite unvollendete Pyramide in Abusir », *ZÄS* 109, 75-78.
1985a, « Les sculptures de Reneferef découvertes à Abousir », *BIFAO* 85, 267-280.
1985b, « Les statuettes de prisonniers en bois d'Abousir », *RdE* 36, 145-152.

1985c, « Un roi de la V[e] dynastie : Reneferef ou Renefer ? », *BIFAO* 85, 281-284.
1986, « Supplément aux sculptures de Reneferef découvertes à Abousir », *BIFAO* 86, 361-366.
M. Verner & V. Hasek
1981, « Die Anwendung geophysikalischer Methoden bei der archäologischen Forschung in Abusir », *ZÄS* 108, 68-84.
Pascal Vernus
1970, « Quelques exemples du type du " parvenu " dans l'Égyte ancienne », *BSFE* 59, 31-47.
1975-1976, « Inscriptions de la Troisième Période Intermédiaire, I-III », *BIFAO* 75, 1-72 ; 76, 1-15.
1977, « Le dieu personnel dans l'Égypte pharaonique », « Colloques de la Société Ernest Renan », 143-157.
1978, « Un témoignage culturel du conflit avec les Éthiopiens », *GM* 29, 145-148.
1980, « Inscriptions de la Troisième Période Intermédiaire. Le texte oraculaire remployé dans le passage axial du III[e] pylône de Karnak », *Karnak* 6, 215-233.
1982, « La stèle du roi Sekhemsankhtaouyré Neferhotep Iykhernofert et la domination Hyksôs (Stèle Caire JE 59635) », *ASAE* 68, 129-135.
1985, « Le concept de monarchie dans l'Égypte ancienne », in E. Le Roy Ladurie, *Les monarchies.*
VIAÄWien = Veröffentlichungen des Instituts für Archäologie und Ägyptologie, Vienne.
Vladimir Vikentiev
1930, *La Haute crue du Nil et l'averse de l'an 6 de Taharqa,* Le Caire, IFAO.
Villamont (Seigneur de)
1590, *Voyages en Égypte des années 1589, 1590 & 1591,* trad. de C. Burri, N. Sauneron et P. Bleser, Voyageurs IFAO, 1971.
Günther Vittmann
1974, « Was There a Coregency of Ahmose with Amenophis I ? », *JEA* 60, 250-251.
1984, « Zu einigen keilschriftlichen Umschreibungen ägyptischer Personnennamen », *GM* 70, 65-66.
1983, « Zur Familie der Fürsten von Athribis in der Spätzeit », *SAK* 10, 333-340.
Sven P. Vleemings
1980, « The Sale of a Slave in the Time of Pharaoh Py », *OMRO* 61, 1-18.
Oleg V. Volkoff
1967, *Comment on visitait la vallée du Nil : les « guides » de l'Égypte, RAPH* 28.
1970, *À la recherche de manuscrits en Égypte, RAPH* 30.
1971, *Le Caire 969-1969. Histoire de la ville des « Mille et Une Nuits »,* IFAO, Bibliothèque Générale, 2, Le Caire.
1972, *Voyageurs russes en Égypte, RAPH* 32.
1981, « Notes additionnelles au Voyage en Égypte de Jean Coppin (1638-1646) (Édition de l'IFAO, 1971) », *BIFAO du Centenaire,* 471-504.
C. F. Volney
1807, *Voyage en Syrie et en Égypte pendant les années 1783, 84 et 85,* 4[e] éd. Paris.
Axel Volten
1945, *Zwei altägyptische politische Schriften. Die Lehre für König Merikarê (Pap. Carlsberg VI) und die Lehre des Königs Amenemhet, AnAe* 4.
Michael von Bretten
1585-1586, *Voyages en Égypte de Michael Von Bretten, 1585-1586,* traduits de l'allemand, présentés et annotés par O. V. Volkoff, Voyageurs IFAO 18, 1976.
Frédérique von Känel
1979, « Akhmîm et le IX[e] nome de Haute Égypte », dans *L'égyptologie en 1979,* I, 235-238.
1984a, *Les prêtres-ouab de Sekhmet et les conjurateurs de Serket,* Bibliothèque de l'École Pratique des Hautes Études, V[e] Section, 87.

1984b, « Les courtisans de Psousennès et leurs tombes à Tanis », *BSFE* 100, 31-43.
1987, « *La nèpe et le scorpion* ». *Une monographie sur la déesse Serket*, Genève.
Werner Vycichl
1972, « Die ägyptische Bezeichnung für den " Kriegsgefangenen " (*sqr ʿnḫ*) », *GM* 2, 43-46.
1977, « Heliodors *Aithiopika* und die Volkesstämme des Reiches Meroë », dans *Ägypten und Kusch, Schr. Or.* 13, 447-458.
1982a, « Eine weitere Bezeichnung für den " Kriegsgefangenen " », *GM* 54, 75-76.
1982b, « Le nom des Hyksos », *BSEG* 6, 103-111.
Guy Wagner
1977, « Nouvelles inscriptions d'Akôris », dans *Hommages Sauneron*, II, *BdE* 82, 51-56.
1979, « Nouveaux toponymes des oasis transcrits en grec, grécisés ou arabisés », dans *L'égyptologie en 1979*, I, 293-296.
G. A. Wainwright
1952, « Asiatic Keftiu », *AJA* 56, 196-212.
F. W. Walbank
1979, « Egypt in Polybius », dans *Glimpses of Ancient Egypt, Studies in Honour of H. W. Fairman*, 180-189.
Christiane Wallet-Lebrun
1982, « Notes sur le temple d'Amon-Rê à Karnak, 1, L'emplacement insolite des obélisques d'Hatshepsout », *BIFAO* 82, 355-362.
1984, « Notes sur le temple d'Amon-Rê à Karnak, 2, Les *w3dyt* thoutmosides entre les IVe et Ve pylônes », *BIFAO* 84, 317-333.
William A. Ward
1981, « Middle Egyptian *sm3yt*, " Archive " », *JEA* 67, 171-173.
1982, *Index of Egyptian Administrative and Religious Titles of Middle Kingdom*, Beyrouth.
P. Warren
1985, « The Aegean and Egypt : Matters for Research », *DE* 2, 61-64.
Barbara Watterson
1984, *The Gods of Ancient Egypt*, Londres.
T. von der Way
1984, *Die Textüberliefrung Ramses II. Zur Qades-Schlacht. Analyse und Struktur*, *HÄB* 22.
WdO = *Die Welt des Orients, Wissenschaftliche Beiträge zur Kunde des Morgenlandes*, Wuppertal, Stuttgart, puis Göttingen.
Kent Weeks
1979, *Egyptology and the Social Sciences*, The American University in Cairo, Le Caire.
1985, *An Historical Bibliography of Egyptian Prehistory, ARCE Catalogue*, 6.
Josef W. & Gary Wegner
1986, « Reexamining the Bent Pyramid », *VA* 2, 209-218.
Raymond Weill
1900, « L'art de la fortification dans la haute antiquité égyptienne », *JA* 15, 80-142 et 200-253.
1904, *Recueil des inscriptions égyptiennes du Sinaï. Bibliographie, texte, traduction et commentaire...*, Paris.
1907, « Notes sur les monuments de la période thinite », *RT* 29, 26-53.
1912, *Les décrets royaux de l'Ancien Empire égyptien. Étude sur les décrets royaux trouvés à Koptos (campagne de 1910 et 1911)...*, Paris.
1926-1928, *Bases, méthodes et résultats de la chronologie égyptienne*, Paris.
1928, « le roi Neterkhet-Zeser et l'officier Imhotep à la pyramide à degrés de Saqqarah », *Revue de l'Égypte Ancienne* 2/1-2, 99-120.

1929, « Les successeurs de la XII[e] dynastie à Médamoud », *Revue de l'Égypte Ancienne* 2/3-4, 144-171.
1938a, « Notes sur les monuments de la pyramide à degrés de Saqqarah d'après les publications d'ensemble », *RdE* 3, 115-127.
1938b, « Le problème du site d'Avaris », *RdE* 3, 166.
1938c, « Sharouhen dans les textes de Ras-Shamra », *RdE* 3, 167.
1938d, « Le dieu cananéen Hwrwn sous les traits de Horus-faucon chez les Ramessides », *RdE* 3, 167-168.
1938e, « Un nouvel Antef de la XI[e] dynastie », *RdE* 3, 169-170.
1940, « Sekhemre-Souaztaoui Sebekhotep à El Kab. Un nouveau roi, Sekhemre-Sankhtaoui Neferhotep, à El Kab et à Karnak », *RdE* 4, 218-220.
1946a, « Les ports antiques submergés de la Méditerranée orientale et le déplacement du niveau marin », *RdE* 5, 137-187.
1946b, « Les *'pr-w* du Nouvel Empire sont les *ḫabiri* des textes accadiens ; ces *ḫabiri* (exactement *ḫapiri*) ne sont pas des " Hébreux " », *RdE* 5, 251-252.
1948, « Notes sur l'histoire primitive des grandes religions égyptiennes », *BIFAO* 47, 59-150.
1949, « Un nouveau pharaon de l'époque tardive en Moyenne Égypte et l'Horus de Deir el-Gebrâwi, XII[e] nome », *BIFAO* 49, 57-65.
1950a, « Les nouvelles propositions de reconstruction historique et chronologique du Moyen Empire », *RdE* 7, 89-105.
1950b, « Le roi Hotepibre Amou-se-Hornezherit », *RdE* 7, 194.
1951, « Une question inattendue : comment les rois de l'Ancien Empire ont-ils été conduits à faire les Grandes Pyramides ? », *RdE* 6, 232-234.
1961, *Recherches sur la I[re] dynastie et les temps prépharaoniques*, BdE 38.

James M. Weinstein
1981, « The Egyptian Empire in Palestine : a Reassessment », *BASOR* 241, 1-28.

Fred Wendorf
1982, « Food Production in the Paleolithic. Excavations at Wadi Kubbaniya : 1981 », *NARCE* 116, 13-21.

F. Wendorf & R. Schild
1984, *Cattle-keepers of the Eastern Sahara, The Neolithic of Bir Kiseiba*, Department of Anthropology, Southern Methodist University, Dallas.

Stefen Wenig
1973, « Nochmals zur 1. und 2. Nebendynastie von Napata », *Meroitica* 1, 147-160.
1978, *Africa in Antiquity. The Arts of Ancient Nubia and the Sudan*, 1-2, Brooklyn.
Wepwawet, Cambridge.

Marcelle Werbrouck
1938, *Les pleureuses dans l'Égypte ancienne*, Bruxelles.

E. K. Werner
1982, « The Amarna Period of the Eighteenth Dynasty Egypt Bibliography Supplement 1980-1981 », *NARCE* 120, 3-21.
1984, « The Amarna Period of the Eighteenth Dynasty Egypt Bibliography Supplement 1982-1983 », *NARCE* 126, 21-39.

Vilmos Wessetzky
1973, « Die ägyptische Tempelbibliothek », *ZÄS* 100, 54-59.
1977, « An der Grenze von Literatur und Geschichte », dans *Fragen an die altägyptische Literatur, Studien E. Otto*, Wiesbaden, 499-502.
1984, « Die Bücherliste des Tempels von Edfu und Imhotep », *GM* 83, 85-90.

Wolfhart Westendorf
1974, « Das Eine und die Vielen. Zur Schematisierung der altägyptischen Religion trotz ihrer Komplexität », *GM* 13, 59-61.
1976, « Achenatens angebliche Selbstverbannung nach Amarna », *GM* 20, 55-58.
1979, *Aspekte der spätägyptischen Religion, GOF* IV/9.

1983a, « Raum und Zeit als Entsprechungen der beiden Ewigkeiten », *ÄAT* 5, 422-435.
1983b, « Die Geburt der Zeit aus dem Raum », *GM* 63, 71-76.
J. Wiesner
s.d. *L'art égyptien*, Payot.
Walter Wifall
1981, « The Foreign Nations : Israel's Nine Bows' », *BES* 3, 113-124.
Henri Wild
1972, « Une statue de la XII^e dynastie utilisée par le roi hermopolitain Thot-em-hat de la XXIII^e », *RdE* 24, 209-215.
J. Wild
1606-1610, *Voyages en Égypte de J. Wild*, trad. et comm. d'O.V. Volkoff, Voyageurs IFAO, 1973.
Dietrich Wildung
1969a, *Die Rolle ägyptischer Könige im Bewusstsein ihrer Nachwelt*, I, *MÄS* 17.
1969b, « Zur Deutung der Pyramide von Medûm », *RdE* 21, 133-145.
1969c, « Zur Frühgeschichte des Amun-tempels von Karnak », *MDAIK* 25, 212-219.
1972, « Ramses, die grosse Sonne ÄÄgyptens », *ZÄS* 99, 33-41.
1974, « Aufbau und Zweckbestimmung der Königsliste von Karnak », *GM* 9, 41-48.
1977a, *Imhotep und Amenhotep. Gottwerdung in alten Ägypten, MÄS* 36.
1977b, *Egyptian Saints. Deification in Pharaonic Egypt*, Hagop Kevorkian Series on Near Eastern Art and Civilization, New York.
1984a, *L'Age d'Or de l'Égypte, le Moyen Empire*, P.U.F., Paris.
1984b, « Zur Formgeschichte der Landeskronen », dans *Studien zu Sprache und Religion Ägyptens, Festschrift W. Westendorf*, 967-980.
1985, *Ni-user-re Sonnenkönig-Sonnegott, SAS* 1.
R. H. Wilkinson
1985, « The Horus Name and the Form and Significance of the Serekh in the Royal Egyptian Titulary », *JSSEA* 15, 98-104.
H. O. Willems
1983-1984, « The Nomarchs of the Hare Nome and Early Middle Kingdom History », *JEOL* 28, 80-102.
Bruce Williams
1985, « A Chronology of Meroitic Occupation below the Fourth Cataract », *JARCE* 22, 149-195.
R. J. Williams
1964, « Literature as a Medium of Political Propaganda in Ancient Egypt », in W. S. McCullough, *The Seed of Wisdom*, Toronto, 14-30.
John A. Wilson
1930, « The Language of the Historical Texts Commemorating Ramses III, in Medinet Habu Studies 1928/1929 », *OIC* 7, 24-33.
1973, « Akh-en-Aton and Nefert-iti », *JNES* 32, 235-241.
S. Wilson
1983, *Saints and Their Cults. Studies in Religious Sociology, Folklore and History*, Cambridge.
Erich Winter
1957,« Zur Deutung der Sonnenheiligtümer der 5. Dynastie », *WZKM* 54, 222-233.
K. A. Wittfogel
1976, *Oriental Despotism. A Comparative Study of Total Power*, réédition, New Haven.
W. Wolf
1986, *Die Welt der Ägypter*, Essen.
G. R. Wright
1979, « The Passage on the Sea », *GM* 33, 55-68.

WZKM = *Wiener Zeitschrift für die Kunde des Morgenlandes*, Vienne.
WZU Halle = *Wissenschaftliche Zeitschrift der Universität Halle*, Halle.

Sh. Yeivin
1965, « Who Were the *Mntyw?* », *JEA* 51, 204-206.
1976, « Canaanite Ritual Vessels in Egyptian Cultic Practices », *JEA* 62, 110-114.

Ahmed Abd el-Hamid Youssef
1964, « Merenptahs Fourth Year Text at Amada », *ASAE* 58, 273-280.

Jean Yoyotte
1950a, « Les filles de Téti et la reine Seshé du papyrus Ebers », *RdE* 7, 184-185.
1950b, « Les grands dieux et la religion officielle sous Séti Ier et Ramsès II », *BSFE* 3, 17-22.
1951a, « Le martelage des noms royaux éthiopiens par Psammétique II », *RdE 8*, 215-239.
1951b, « Un document relatif aux rapports de la Libye et de la Nubie », *BSFE* 6, 9-14.
1952, « Un corps de police de l'Égypte pharaonique », *RdE* 9, 139-151.
1953, « Pour une localisation du pays de *Iam* », *BIFAO* 52, 173-178.
1958, « À propos de la parenté féminine du roi Téti (IVe dynastie) », *BIFAO* 57, 91-98.
1960a, art. « Néchao », in *Supplément au Dictionnaire de la Bible*, VI, 363-394.
1960b, « Le talisman de la victoire d'Osorkon », *BSFE* 31, 13-22.
1961, « Les principautés du Delta au temps de l'anarchie libyenne, études d'histoire politique », *MIFAO* 66, 121-181.
1962, « Processions géographiques mentionnant le Fayoum et ses localités », *BIFAO* 61, 79-138.
1972a, « Petoubastis III », *RdE* 24, 216-223.
1972b, « Les Adoratrices de la IIIe Période Intermédiaire, à propos d'un chef-d'œuvre rapporté par Champollion », *BSFE* 64, 31-52.
1972c, « Une statue de Darius découverte à Suse », *JA* 1972, 235-266.
1975, « Les *Sementiou* et l'exploitation des régions minières de l'Ancien Empire », *BSFE* 73, 44-55.
1976-1977, « " Osorkon fils de Mehytouskhe ", un pharaon oublié ? », *BSFE* 77-78, 39-54.
1977, « Une notice biographique du roi Osiris », *BIFAO* 77, 145-150.
1980a, « Une monumentale litanie de granit : les Sekhmet d'Aménophis III et la conjuration permanente de la déesse dangereuse », *BSFE* 87-88, 46-75.
1980b, « L'Égypte pharaonique : société, économie et culture », dans *Histoire Générale de l'Afrique*, UNESCO, II, 107-132.
1980-1981, « Héra d'Héliopolis et le sacrifice humain », *Annuaire de l'École Pratique des Hautes Études*, Ve Section, 89, 31-102.
1981, « Le général Thouti et la perception des tributs syriens », *BSFE* 91, 33-51.
1982-1983, « Le dieu Horemheb », *RdE* 34, 148-149.
1987, « Tanis », suivi de « Pharaons, guerriers libyens et grands prêtres » La Troisième Période Intermédiaire », dans Paris : 1987, 25-75.

Jean Yoyotte & Jesus López
1969, « L'organisation de l'armée et les titulatures de soldat au Nouvel Empire égyptien », *BiOr* 26, 3-19.

Jean Yoyotte & Serge Sauneron
1949, « Le martelage des noms royaux éthiopiens et la campagne nubienne de Psammetik II », *BSFE* 2, 45-49.

Frank J. Yurco
1977-1978, « Meryet-Amun : Wife of Ramesses II or Amenhotep I ? A Review », *Serapis* 4, 57-64.

1980, « Sennacherib's Third Campaign and the Coregency of Shabaka and Shebitku », *Serapis* 6, 221-240.
1986, « Merenptah's Canaanite Campaign », *JARCE* 23, 189-215.
Louis V. Žabkar
1972, « The Egyptian Name of the Fortress of Semna South », *JEA* 58, 83-90.
1975, « Semna South : the Southern Fortress », *JEA* 61, 42-44.
Ran Zadok
1977, « On Some Egyptians in First-millenium Mesopotamia », *GM* 26, 63-68.
1983, « On Some Egyptians in Babylonian Documents », *GM* 64, 73-75.
ZÄS = *Zeitschrift für Ägyptische Sprache und Altertumskunde*, Leipzig, puis Berlin.
Karl-Theodor Zauzich
1978, « Neue Namen für die Könige Harmachis und Anchmachis », *GM* 29, 157-158.
Abd el-Hamid Zayed
1980, « Relations de l'Égypte avec le reste de l'Afrique », dans *Histoire Générale de l'Afrique*, II, UNESCO, 133-152.
ZDPV = *Zeitschrift des Deutschen Palästina-Vereins*, Leipzig, Wiesbaden.
Karola Zibelius
1979, « Zu Form und Inhalt der Ortsnamen des alten Reiches », *ÄAT* 1, 456-477.
1981-1982, « Zur Entstehung des altägyptischen Staates », *GM* 53, 63-74.
Christiane Ziegler
1987, « Les arts du métal à la Troisième Période Intermédiaire », dans Paris : 1987, 85-101.
K. Ziegler, W. Sontheimer & G. Gärtner
1979, *Der Kleine Pauly. Lexikon der Antike, auf der Gundlage von Pauly's Realencyclopädie der klassischen Altertumwissenschaft*, DTV 1-5.
Thierry Zimmer
1988, « Les voyageurs modernes à Karnak : rapport préliminaire », Karnak 8, 391-406.
J. R. Ziskind
1973, « The International Legal Status of the Sea in Antiquity », *AcOr* 35, 35-49.
Alain-Pierre Zivie
1972, « Un monument associant les noms de Ramsès I^er^ et de Séthi I^er^ », *BIFAO* 72, 99-114.
1975, « Quelques remarques sur un monument nouveau de Mérenptah » *GM* 18, 45-50.
1979, « Du bon usage des traditions littéraires et des légendes populaires : à propos du Caire et de sa région », dans *L'égyptologie en 1979*, I, 303-304.
1981, « Du côté de Babylone. Traditions littéraires et légendes au secours de l'archéologie », dans le *Livre du Centenaire*, *MIFAO* 104, 511-517.
Christiane M. Zivie
1972, « Nitocris, Rhodopis et la troisième pyramide de Giza », *BIFAO* 72, 115-138.
1974a, « Princes et rois du Nouvel Empire à Gîza », *Stud. Aeg.* 1, 421-433.
1974b, « Les colonnes du " Temple de l'Est " à Tanis — épithètes royales et noms divins », *BIFAO* 74, 93-122.
1976, *Giza au deuxième millénaire*, IFAO, *BdE* 70.
1980, « La Stèle d'Aménophis II à Giza — A propos d'une interprétation récente », *SAK* 8, 269-284.
1981, « Bousiris du Létopolite », dans le *Livre du Centenaire*, *MIFAO* 104, 91-107.

فهرست الكتاب

الباب الثالث : الإمبراطورية

رقم الإيداع ٧١٧٣ / ١٩٩٠
I . S . B . N : 977 - 5091 - 00 - 4

إعداد فني : سعدالدين عطية

International Press
انترناشونال برس
٥ شارع جمال الشاهد ـ مدينة الصحفيين ت ٣٤٧٤٢٥٩

تاريخ مصر القديمة

مؤلف هذا الكتاب هو نيقولا جريمال أستاذ المصريات بالسوربون، ومدير المعهد الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة.

يعالج جريمال هنا مجمل تاريخ مصر القديمة منذ ماقبل التاريخ حتى فتح الإسكندر، فى أحدث ترتيب زمنى موثوق به، وبمنهج تجميعى تحليلى يعتمد على ذخيرة هائلة ومتنوعة من المعلومات.

يتميز الكتاب بما أولاه مؤلفه من أهمية خاصة للحياة الاقتصادية وعلم اللغة والأنثروبولوچيا وتطور الفنون والأدب والعمارة. ويضم الكتاب العديد من الصور والجداول والخرائط التوضيحية وقائمة بأسماء ملوك مصر بالخط الهيروغليفى داخل خراطيش، وترجمة للعديد من النصوص المصرية القديمة.

صدر هذا الكتاب فى باريس فى أواخر ١٩٨٨، وفور صدوره بدأت دار الفكر تعد لإصدار طبعة عربية منه.

«الن

الطبعة الثانية

دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع

السعر